

صَفْوَةُ التَّفَاسِيرِ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، جَامِعٌ بَيْنَ الْمَأْثُورِ وَالْمَنْقُولِ
مُسْتَمَدٌّ مِنْ أَوْثَقِ الْكُتُبِ التَّفْسِيرِيَةِ
(الْمُطَبَّرَةِ، الْكُتُبِ، الْهَرَطِيِّ، الْأَرْبُوعِيِّ، ابْنِ كَبِيرٍ، الْبُحَارِيِّ، وَغَيْرِهَا)
بِمَنْشُورِهِ مَبْنًى، وَتَطْبِيقِهِ مَعِ الْعَنَائَةِ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْبَيِّنَاتِ وَالْأَقْفَرِيَةِ
نُسخة مُنقَّحة ومُصنَّعة

تَأْيِيدُ

مُحَمَّدُ عَلِيُّ الْيَسَّابُ

الرَّئِيسُ أَدْعِيَةُ الْيَسَّابُ وَالْإِسْلَامُ الْهَرَطِيُّ
عَلَى الْمَكْرَمَةِ وَالْمَنْشُورِ وَالْمَنْشُورِ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

بِإِذْنِ الْيَسَّابِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الاحزاب: ٤٤]

﴿ وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

لَتُقِيمَنَّاهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

صدق الله العظيم

كلمة سماحة الدكتور عبد العليم محمود

شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعليه وآله وصحبه ومن اتبع هداه (في يوم الدين وبعد) :

فقد خضعني الأخ الأستاذ محمد علي الصابوني على شيء من كتابه الجديد (معمود القاسم) وهو كتاب تحري في المؤلف ذكر أصح الآراء في تفسير كتاب الله تعالى مع الاختصار والسهولة. وإذا كان اختيار المراء قطعة من عقله فإنه لا شك أن المؤلف وفق توفيقاً كبيراً في الاختيار من أمهات كتب التفسير التي رجع إليها على علم وبصيرة.

والسبب هذا هو، الكتاب الأول للمؤلف في موضوع القرآن فقد سبق أن اختصر كتاب (تفسير ابن كثير) وكان اختصاره لهذا الكتاب العظيم مفيداً أيضاً جداً من كل نفع.

ولقد اختصر آيات الأحكام في القرآن الكريم مؤلفاً مستقلاً صمداً. (روائع البيان في تفسير

آيات الأحكام). وهو كتاب بين الأحكام في المرجع الأول لها وهو الكتاب الكريم

وسبق أيضاً أن ألف في علوم القرآن الكريم تحت عنوان (البيان في علوم القرآن). وما هو

بلوج كل هذه الدراسات بكتاب نفيس هو وهو راحة لكثير مما أنتجت فرائض أسلافنا رضوان الله عليهم في عصر.

وتوجه الله سبحانه به توفيق وأن يهدي سبحانه كتابه ويهدي به إليه صبيح قريبه محبوبه.

عبد العليم محمود

شيخ الجامع الأزهر

مكتبة المكتبة

١٠ صفر ١٤١٦هـ ٢٢ شباط ١٩٩٦م

كتبة صدقة النسخ عند الله بن محمد

رئيس مجلس القضاء الأعلى

الوزير العام للإشراف الديني على المسجد الحرام

الحمد لله وحده، وبعد: فإن على طائفة الأئمة الشريفة الشرح معاً على الأصول التي
تتعلق من جهة الحكماء، ثم من جهة الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة أن يكتب
تقريراً كتاباً (مجموعة تعابير) بعد أن قرأ على بعض بعض المواضيع من هذا الكتاب، وأن يتبع
المرقة لسماعه كذا.

لقد أجاد المؤلف وفاد فيما سمعه من كتابه جزء الله خيراً، كما أجيده من جمعه وأحس
أصح الأقوال، وأرجحها في تفسير كتاب الله، وجميع نثر هذه التعابير بين الحقائق والمنقول،
التي هي من صريح، ومطابقة حريصة سهلة، يذكر من يرى الله في خلاصته لسهولة الأمانة بها،
بوصح بعض الكليات ريثما شفافها، والسياسة بين الآيات والسنة والآيات التامية، رئيس
السبب الآخر نزلت من أمارة الآيات، بعد أن تمسكوا بآياتهم، ووجه الإحسان، وبذلك التوافق
لأن لها علاقة بالآيات والمستنظمة منها، ويوضح بيان العصور المبكرة والكتاب الشريعة.
نسأل الله التوفيق والتوفيق والسداد، وأن يعيد المنفعة بهذا الكتاب، ويجري المؤلف على ما يدل
من جهته.

والله سميع وعليم، والله أعلى وأعلم. ركن وصحة وسلم.

عبد الله بن محمد

رئيس مجلس القضاء الأعلى

الوزير العام للإشراف الديني على

المسجد الحرام

١٤٢٧/١٢/٣ هـ

كلمة منقحة للشيخ أبي الحسن علي الحسيني القزويني

رئيس ندوة العلماء بالهند - الهند

الحمد لله رب العالمين ، والخلاوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ،

وبعد :

فقد كان الاتجاه العلمي السائد في عصور التأليف الإسلامي الأولى هو الاستيعاب الشامل لكل ما ذيل وزكوى في الموضوع ، فكانت كتب المؤلفين في التفسير ، والحديث ، والتسيرة ، والتاريخ - تُشبه بموسوعات علمية - وإن كانت لهذا الاتجاه والأسلوب الشائع فوائد أعظمها : صيانة هذه الثروة العلمية من الضياع ، وتمكين القارئ من اختيار ما هو أوفق وأقرب إلى ذوقه ، فقد أحدثت مشكلة - خصوصاً في هذا العصر - وهي أن الطالب المبتدئ والمتوسط يحتاج من اختيار أقرب الأقرب إلى الموضوع ، ويشتت ذهنه فلا يربح فيه فوزاً واحداً ويحصد خسارة في غاية شدة من الأقوال والآراء والمذاهب ، ولذلك مال كثير من المؤلفين في كل عصر إلى الانقباض من هذه الكتب الموسوعية ، واختيار أقرب الأقوال والأنواع ، فكانت لهذه الكتب فائدة عظيمة بفضل كبير على طلبة العلم .

وكان هذا العصر من أخرج المصنوع إلى هذا الأسلوب من التأليف لمقصر الوقت وضعف الهمم وتشتت الأذهان . لذلك كان صديق القاضل فضيلة الشيخ محمد علي انصاري في مؤلفاً كل التوفيق في وضع كتابه (صفوة التفاسير) فقد قرأ على طلبة علم التفسير وقتاً طويلاً وأخذ يدهم إلى ما هو عبارة دراسية وخلاصة التفاسير ، لا يقتصر على ذلك إلا من توسعت ذواته وسلم ذوقه وحسنت ممارسته لعن التدريس ، فاستحق بذلك شكر طلبة العلم والمشتغلين بفن التفسير جزاء الله خيراً وأثابه وتقبل عمله

أبو الحسن علي الحسيني القزويني

محكمة المحكمة

١٣٩٩/٤/٩ هـ

كلمة محال: لدكتور عبد الله عمر نصيف

مدير جامعة الملك عبد العزيز

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على عبد رسولنا الأمين، محمد بن عبد الله
المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

إن أشرف ما يقدّمه الباحثون، وأسر ما يسعى إليه المؤنّعون في بحوثهم وتأليفهم، ما كان
في خدمة القرآن العظيم، وعلومه الجليلة الرائعة... وشرف الإنسان بشرف الرسالة التي
يحملها، والغاية التي يسعى من أجل تحقيقها... وليس ثمة جهد يضاهي جهد العناء، فإنهم
مسائل النور والضياء، في كل زمان ومكان، وبهذا رقم الله قلوبهم، وأعلى شأنهم بقوله جلّ
تعالى: ﴿فَمَنْ حَمَلِ ثَوْبَ خُيَافٍ يُعَارِضَ فَأَنزِلْهُ يَأْتِ الْبَأْسَ أَفْزَعًا وَأَنزِلْهُ أَفْزَعًا﴾.

إن هذا التحمل الجليل، الذي قام به فضيلة الأخ العزيز الشيخ محمد علي الصابوني أستاذ
التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الشريعة، من استخلاص
المجموعة من تفاسير القرآن الكريم، تعدّ من جهته الأمانة الملقاة على عاتقه؛ لتكون في متناول
العامة والطلاب، لعلهم على ما ساءلوا همومهم من آلاء الله وتعالى إلى المؤلف، فقد مكّنه جلّ
وعلا من تقديم هذه الكون العظيمة في سفر واحد هو مصفوفة التفسير ليسهل على الباحثين
مهمة الاطلاع وفهم الكتاب الله عز وجل.

والله أسأل أن يهب فضيلة المؤلف على عمه، وأن يضع به المسلمين، وأن يجزيه منهم خير
الجزاء إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآله من وراء القصد، وهو تعالى إلى سواء السبيل.

د. عبد الله عمر نصيف

مدير جامعة الملك عبد العزيز

حقة، ١٤ صفر ١٤١٠ هـ

الموافق: ٢ يناير ٢٠١٠ م

كلمة سعادة الدكتور راشد بن واصل
عميد كلية الشريعة والنواصات الإسلامية
بمسكة المكرمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد... لقد اطلعت على كتاب «مغرة التفسير» لفضيلة الشيخ الفاضل الأستاذ محمد علي الصابوني وقرأت بعض صفحاته، ألفيته كتاباً ثرياً حوى علامة ما قاله أئمة المفسرين ليهن فهم على طلبة العلم بأسلوب مبسط وعبارات مبسرة وإيضاحات جيدة مع العناية بالجوانب اللغوية والبيان.

فهو بذلك كتاب جيد يستحق الطبع والنشر لتمام الفائدة... جزى الله مؤلفه خير الجزاء ونفع به الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسنا ونعم الوكيل.

بكتبه الفقير إلى الله تعالى

راشد بن واصل الشريف

عميد كلية الشريعة والنواصات

الإسلامية بمسكة المكرمة

مسكة المكرمة ١٤٠٧/١-١٣٩٦هـ

مكلمة فضيلة الشيخ عبد الله خياط

خطيب المشيخ الحرم

كتاب صفوة التفاسير

كنت أجد في نفس رغبة ملحة لتفسير القرآن العظيم في تناول طالب العلم ، بجمل ما تفرق في كتب التفسير المعتمدة ، ويقتني من المراجع المطولة ، ويمليه فكرة واضحة من لغة القرآن ، وسبب النزول ، ويسر له المعاني فيكون زاده وعده ، فكان كتاب (صفوة التفاسير) هو الفسالة المنشودة والحلقة المفقودة إذ قد صني مؤلفه فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني بكل ما أشررت إليه مما حقق الرغبة ، وليس الحاجة .

والله أسأل أن ينفع به ويأجر مؤلفه على ما بذله من جهد ونصحية ، وعلى الله على غير خلفه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

وكتبه الفقير إلى الله

عبد الله خياط

خطيب المسجد الحرم

في اليوم الخامس والعشرين من شهر

شوال سنة ١٤٢٩هـ

مكتبة فضيلة الشيخ محمد القزالي
رئيس قسم الدعوة وأصول الدين بمكتبة الشريعة
لمكة المكرمة

الحمد لله أهل التقوى والعزّة، والصلاة والسلام على سائر العلم والهدى في الدنيا والآخرة، وبعد:

إن الثقافة القرآنية تحتاج إلى قلم سهل العبارة، فيأخذ الأداء، بعيد عن المصطلحات الغنية، والمناقشات الفلسفية، همه الأكبر إيراد أساليب السماعي، والوصول إلى نفوس الجاهل دون تكلف أو النواء.

وقد نجح فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني في تحقيق هذه الغاية إذ يشر تفسير الكتاب العزيز، وجمع في تفسيره جملاً من أقوال الأئمة تتضمن خلاصات علمية وأدبية جميلة غنياً بالحقائق، والحكم النافعة. وقد لاحظنا أن الشيخ محمد علي الصابوني قرأ في تفسيره بين كثير من مأثورات أسلاف واجتهادات الخلف، أي أنه جمع بين المتفون والمحقق - كما يقولون - يستطيع القارئ أن يرى أمامه اللؤلؤ معاً، وأن يتفجع بخير ما في الحقيقة.

كما لاحظنا أن التفسير الأخرى قد تمح إلى أحد الطرفين، فإما إيجاز شديد وإما إطناب لا يطيقه المعاصر، ولكن الشيخ محمد علي الصابوني - جزاه الله خير - استطاع أن يتوسط في سلكه العلمي ففاد وأجمل، كما ابتعد عن الشطط الذي وقع فيه البعض حين جازف بذكر نظريات علمية أو أحاديث نبوية لا يد في سوقها من الثبوت والتحصين.

نفع الله به وشرح الصدور له وجزاه عن الأمة كل خير.

محمد القزالي
 رئيس قسم الدعوة وأصول الدين
 بمكتبة الشريعة بمكة المكرمة
 في ١٦/١١/١٤١٦هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

حمد لله الذي أنار قلوب عباده المحققين بنور كتابه المبين، وحصل القرون شفاة لها في
أرضها، وهدى ورحمة للعالمين. والصلوة والسلام على عائلة الأنبياء وأشرف الأئمة ساجدين،
سيدنا محمد آخى العربى الأمين، الذي فتح الله به أمة كريمة، وأدانا ضياءً، وقلوبنا قنقلاً،
وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور، صلواته ثلاثون سنة إلى يوم البعث، الشكور، وعلى
آله الطيبين الأطهار، وصحابه الكهنايين الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فلا يزال القرآن الكريم، بحرًا زاخرًا بأنواع العلوم والمعارف، من رغب في التعمق في
عشر آياته، وفرد، أن يفهم من أعمقاته، ولا يزال القرآن ينحدر في طبين البلاء، ومصانيع
العلماء، بأية الكتب المعجز، المعزك على النبي الأُمى شاهدًا صدقه، يحمل بين يديه برهان
عالمه، وآية عجزه، ودليل أنه تنزيل الحكيم العليم ﴿مَنْ يَرْجُ الْآخِرَ لَا يُفْلِحْ﴾ ﴿عَلَّ قَلْبَهُ لِيُفَكِّرَ﴾
﴿يُنَادِ بِتُورَاتِهِ﴾.

وعلى كثرة ما كتب لعشاء والصوم - وعلى كثرة ما تحويه المكتبة الإسلامية من أسفار
ضخمة، وكتب غريبة، جده بها المثلثة كتاب الله الجليل، يبقى القرآن زاخرًا بالمعاني،
مملوءًا بالآثار والحوادث، بطا منجز حيي وأخر، بما بهر العقول وبيح الألب، بما به من
الإشراقات الإلهية، والغيوصات القدسية، والنفحات النبوية، بما هو كليل تحليص الإنسانية
من شدة الحياة وحجيمها المعصن... وكفى علم شاط وأحرق إلا علم انفسره فيله لا يزال
بحرًا لخبًا، يحتاج إلى من يفهم من أعمقه؛ لاستخراج كنوزه الثمينة، واستنباط روائحه
وأسراره، ولا يزال المعاهد يفتن عند ساحله، يرشقون من معينه الصالح، ولا يرتوون. ومن
ذ الذي يستطيع أن يحيط عشا بكلام رب العزة حلل وعلا، وأن يدرك أسراره، ودقائقه،
وعجزه! وأن يرغم أنه أرمي أو حصل إلى درجة الكمال!

به الكتاب المعجز - الذي سيظل منبع الإنسانية من علومه ومعانيه، ومن أسرار، وحكمه،
وآبائه، وبه أنما أنما أنما الله عز وجل أنما أنما أنما أنما أنما أنما أنما أنما أنما
صلوات الله وسلامه عليه وأنه شريف الحكيم الحميد.

وإذا كان المصنف قد اضطره الدين لبشلي وقته في تحصيل معانيه، وضائق أبحاثه من الرجوع
إلى التفاسير الكثيرة، التي خدم بها أسلافنا، وضوائف الله عليهم، كتب الله تعالى، تيسيرًا
وهدى صليًا لأبنائه. وإظهار البلاغة، وبييضها الإعجاز، وإبراز المعاني، والكتابات المعجزة من

لتشريع وتهذيب، وأحكام وأخلاق، وتربية وتوجيه - فإن من واجب العلماء اليوم أن يبذلوا جهودهم لتيسير فهمه على الناس، بأسلوب واضح، وبأسلوب واضح، لا خشونة ولا تطويل، ولا تعقيد ولا تكلف، وأنه يُبرِّز ما في القرآن من روعة الإعجاز والبيان، بما ينفع وروح العصر الحديث، ويُلبي حاجة الشاب المضعف، المتعطش إلى التزود من علوم ومعارف القرآن الكريم. ولم أجد نصيراً للكتاب أشدَّ من رجل - على ما وصفت - رغب الحاجة إليه، وسؤال الناس عنه، ورغبهم فيه، فمزمت على القيام بهذا العمل، وغد ما فيه من مشقة وتعبد، واحتياج له الوقت لا يتابع في هذا الزمان، متعباً بنقله الكريم، ماله متوكلاً عليه، سائلاً به أن يعيشتي على إنجاز هذا الواجب، وأن يوفني لإخراجيه بشكل يبين بكتابه الله تعالى، بعين المعلم على فهم آيات القرآن، والتزود من بيانه، ما يزيده إيماناً ويقبض، ويدفعه إلى حمل الجادة الموفقة إلى مرشدة الرب جني وعلا.

وقد أسميت كتابي (صفحة التفاسير) وذلك لأنه جامع لعلوم ما في التفاسير الكثيرة المفضلة، مع الاختصار والترتيب، والوضوح والبيان، وكلُّ أمرٍ أن يكون اسمه مطابقاً لمعناه، وأن تستفيد منه الأمة الإسلامية، بما يوفِّق لها السبل الأقوم، والبراط المستقيم. وقد سنكت في طريقي لتفسير لكتاب العزيز بأسلوب الآتي:

أولاً: بين يدي السورة، وهو بيان إحصائي للصورة التكرية وتوضيح مقاصدها الأساسية ثانياً: المتشابه بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة. ثالثاً: ملحق مع بيان الاشتقاق اللغوي والاشتراك المعنوي، وأيضاً حسب الترتيب. خامساً: التفسير. سادساً: البلاغة. سابعاً: الفوائد واللطائف. وقد مكثت في تأليف هذا التفسير خمس سنوات، أوائله في ألبيل بالبحار، وما كنت أكتب شيئاً حتى أقرأ ما كتبه المفسرون في أمهات كتب التفسير المتبوعة، مع التحري الدقيق لأصح الأقوال وأرجحها... وثاني أشكر الله ما جئت وعلا أن - جعل لي هذا العمل - فقد كنت أكره أن ألزمي بحوي لي، وكلُّ ذلك ببركات جوار البيت الحثيث الذي بكرمني الله وشرفني بجواره. منذ أن انتدبت للتدريس بكلية شريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة عام ألف وثلاثمائة وأحدى وثمانين من هجرة سيد المرسلين،

والله تعالى أسأل أن يسدد خطاي، ويحول لي الثواب يوم الثواب، فعا عملك ولا أملاً بتبيل رضاء، وأحياناً أنه أن يجعل عملي خالصاً لوجه الكريم، ويقيبه ذخراً لي يوم الدين. وأرجو ممن قرأ فيه فاستفاد أن يعفني بدعوة حالحة تمنعني يوم المعاد، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

وكتبته فقير ال عفو به

محمد علي الصديقي

الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

مكة المكرمة - حلقة الملك عبد العزيز

مكة المكرمة - هـ ر د من المحمد ١٤٢٩هـ

حيث إنها أول القرآن في الترتيب لا في الزمن، وهي - على قصرها ووجازتها - قد حوت معاني القرآن العظيم، واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال، فهي تتناول أصول الدين وقواعده، تتناول العقيدة، والعبادة، والتشريع والاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بصفات الله الحمدي، وإفراذه بالعبادة والاسمعة والدعاء، والترجى إليه جلى وعلا بطلاب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم، والتقصص إليه بالتشيت على الإيمان ونهج سبيل العالحي، وتجب طريق المعقوب عليهم والقبائل، وفيها الإخبار عن قصص الأمم السلفين، والأطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء، وفيها التنبؤ بأمر الله سبحانه ونهجه، إلى غير ما هنالك من مقاصد وأغراض وأهداف، فهي كلام بالنبوة لبقية السور الكريمة ولهذا أُنسِيءَ «أم الكتاب» لأنها جمعت مقاصد الأساسية.

فقلنا:

أ روى الإمام أحمد، في المعتمد أن «أبي بن كعب» قرأ على النبي ﷺ أم القرآن فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلاً، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». فهذا الحديث الشريف يشير إلى قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿إِنَّ الْقُرْآنَ لَكُنْزٌ مِّنْ أُنْزُلٍ، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.

ب وفي «صحیح البخاری» أن النبي ﷺ قال لأبي سعيد بن المعلن: «ألا علمت سورة هي أعظم السور في القرآن - الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

ج تسمية: تسمى «الفاصلة»، وأم الكتاب، والسبع المثاني، والاشادية، والوافية، والمكانية، والأساس، والحمد، وقد عددها العلامة القرطبي وذكر أن لهذه سورة اثني عشر اسماً.

دفعه: «الحكمة» الثناء بالحمل على جهة التعظيم والتبجيل مقروناً بالحمية، وهو بغض الذم وأمر من الشكر، لأن الشكر يكون مغايلاً للتممة بخلاف الحمد (الله) اسم علم للذات المقدسة لا يشركه فيه غيره، قال القرطبي: هذا الاسم (الله) أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، وهو اسم للحمود الحق، الجامع لصفات الإلهية، المنبوت بتعوت الربوبية، المنفرد بالرجوع الحقيقي لا إله إلا هو سبحانه «نبي» الرب: مشتق من تربى وهي إصلاح شتو الغير ورعاية أمره قال الهروي: يقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد ربىه، ومنه الربانيون لقباهم بالكتب، والرب يطلق على عدة معان وهي: «المالك»، و«المصلح»، و«المعبود»، و«السيد المطلق» «المتكبر»، «العالم» اسم جنس لا واحد له من لفظه فالرحم، وهو يشمل الإنس والجر والملائكة والشياطين، كذا قال الفراء، وهو مشتق من العلامة لأن العالم علامة على وجود

الخالق جل وعلا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ صفتان مشتقان من الرحمة ، وقد روي عن كل من
﴿الْحَمْدُ﴾ و﴿الْحَمْدُ﴾ معنى لم يراع في الآخر : فالرحمن بمعنى عظيم الرحمة لأن الفعلان
صيغة مبالغة في كثرة الشيء ، وعظمت ولا يلزم منه اندوام كغنيان وسكون ، والرحمة بمعنى دائم
الرحمة لأن صيغة تعبد تحمل في الصفات الدائمة ككرم وظريف فتأله قيل : العظيم الرحمة
الدائم الإحسان .

قال: **أخطأ** الرعيل ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق من أركانهم ومصلحتهم وعفت المؤمن والكافر، ولرحيم حاسس بالمؤمن كما قال تعالى: ﴿وَكُنَّا بِالْمُؤْمِنِينَ رَءِيفًا﴾. **الكرام** منته الحديث كما تدين ثنائه أي كما تعمل تجزي **تعبّد**، قال **الزمخشري**: العبادة - أقصى غاية الخضوع والتبذل ولذلك لم يستعمل إلا في الخضوع لله تعالى لأنه مولى أعظم النعم فكان حفيظاً بأقصى الخضوع **أَصْرَظَ** الطريق وأصله بالسين من الاسم بمعنى الانبلاء كان الطريق يتلم السالك، قال الشاعر:

وَأَمَّا الْفُلُ فَأَنزَلْنَاهُ ذِكْرًا وَأَنبَايَ ۖ
وَأَمَّا الْبُرْجَ فَقَوَّيْنَاهُ بِخَبَرٍ مُّشْتَبِهٍ ۖ
وَأَمَّا الْجِدَارَ فَبُيِّنَّا لِيُذَكِّرَ ۚ
تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ ۚ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۚ

﴿يَسْمِعُ أَمْرَ الْغَيْبِ أَرْبَعًا ۖ فَتَحَدَّثُ بِهِ رَبُّهُ الْغَائِبَةَ ۖ أَرْبَعِينَ الرِّبْعَ ۖ سَلَامٌ يَوْمَ الْقِيَامِ ۖ إِنَّكَ مُبَشِّرٌ بِمَا كُنْتَ تَعْلَمُ ۖ أَفَبِمَا كُفِرَ الْفِرَاطُ الْمَشْجُونُ ۖ جَبَرُطَ الْهَيْبَةِ ۖ أَلَمَسْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْطَبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْغَبَالِينَ ۖ﴾.

العظيم هو عذبت الباري جل وعلا كيف ينبغي أن نحمده ونقدسه ونشئ عليه بما هو أهله
فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي قوله يا عبادي إذا أردتم شكرى وثقائي: الحمد لله،
الشكر لله على إحسانى وجميلى إليكم. قلنا الله ذو العظمة والحسد، السؤدد، المنفرد بالخلق
والإيجاد، رب الإنس والجن والألائكة، رب السموات والأرضين، فائقه والشكر له رب
العالمين دون ما يُعبد من دونه ﴿أَتَقْرَأُونَ﴾ أي الذى رحمت ورحمت كل شيء، وعلم
فضله جميع الأنام، بما أنتم على عباده من الخلق والرزق والهداية إلى سعادة العارفين، فهو
الرب الجليل عظيم الرحمة دائم الإحسان ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ أي هو سبحانه العالمك للحرار
والحساب، المنصرف في يوم الدين تصروف المالك في ملكه ﴿يَوْمَ لَا يَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ وَلَا يُنْصَرَفُ
بِشَيْءٍ﴾ ﴿إِنَّكَ تَعْبُدُ رَبَّكَ ذُرِّيَّتُكَ﴾ أي نخضك يا الله بالعبادة، ونخضك بطلب: لإعانة،
تلا نعيد أسرار الله لك وعذك نقد ونخضع ونسكين ونأشع، وإِنَّكَ رب تسعمين على
طاعتك ومن هباتك، فإِنَّكَ المستحق لكن: جلال وتعليم، ولا يملك القدرة على عون أحد

الكوفة: النعمان، نظم ابن جحرمة.

سراك ﴿أَهْدَا أَبْهَرْتُكَ تَسْتَعِيدُ﴾ أي دلنا وأرشدنا يا رب إلى ضيقك الحزن وبذلك نستعيد،
 ونجده عن الإسلام الذي نحدث به ألباءك وبنايتك، وأرسلت بهم أرواحنا من
 سعاد غريم من المشرقين ﴿بِصِرَاطِ الْقَيِّمَةِ﴾ نَحْنُ عَلَيْهِمْ أي طريق من عفتك عليهم المصروف
 والإندام، من التبرير وبهذه تقيم والشهادة والصلح بين، وبحسن تركك رفيقاً ﴿مَنْ لَمْ يَتَّقِ﴾
 عَلَيْهِمْ وَلَا أَكْثَرُ مِنْهُمُ أي لا يحسنوا مثله من زمره أعدائنا الحاليين عن الصراط المستقيم،
 الساكنين عن المنهج النوراني من اليهود المعفوف عنهم أو النصارى الصالحين الذين فضلوا من
 شريعتك العبدية، فاستحبوا الحبس واللبنة لأبدية نعمهم ليس،

المعاصرة

- ١- ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ﴾ النجاسة عينية لنفقا يستتبه معنى أي قولوا: «الحمد لله» وعن مكية
 تسمى النجاسة عينية تعني كقولهم: الكرم في العزب.
- ٢- ﴿إِنَّكَ تَعْتَدُ وَإِنَّكَ تَسْتَعِيدُ﴾ فيه لفتات من لغوية في الخطاب ولم يجرى كلام على
 الأصل بقول: إنا منه، وإنما لم يسمو بقوله القصير أي لا يجد سواك كما في قوله ﴿وَأَنْتَ
 قَائِمٌ﴾.

٣- قال في البحر المحیط: وفي هذه السورة ذكر مرة من أنواع التضحية، البلاغة أنواع

الأول حسن الاختراع وبراعة الطبع.

الثاني المدح في الثناء (إحادة اللفظ الاستعادي).

الثالث تلوين الخطاب لإيهامه بحر ومياه، الأمر أي قولوا الحمد لله

الربح الاختصاص في قوله: ﴿أَنْتَ﴾.

الرابع الحذف حذف صراحة من قوله ﴿تَبَرُّ الْمُنْصَرِفِ لِبَهْمِ وَلَا الْكَافِرِ﴾ تعديده:

غير صراط المنصوب عليهم وغير صراط الصالحين

لنحو: المنقلب والآخر في ﴿إِنَّكَ تَعْتَدُ﴾

السادس التصريح بعد الإيهام ﴿بِصِرَاطِ الْقَيِّمَةِ﴾ ثم قوله: ﴿بِصِرَاطِ الْقَيِّمَةِ﴾ نَحْنُ عَلَيْهِمْ

لأننا الاستعداد في ﴿إِنَّكَ تَعْتَدُ وَإِنَّكَ تَسْتَعِيدُ﴾.

السابع طاعة أشبه بالمراد به، ورواه واستمر، في ﴿أَهْدَا أَبْهَرْتُكَ تَسْتَعِيدُ﴾ أي نشأ

عليه

المراد بالمراد السجود المستلزم في قوله ﴿تَوَضَّعْتَ﴾ أي تضرعت، ﴿تَوَضَّعْتَ﴾ أي تضرعت، وقوله

﴿تَسْتَعِيدُ﴾، ﴿تَسْتَعِيدُ﴾

الوقوف:

الأولى: الفرق بين (الله) و (الإله) أن الأول اسم علم للذات المتدسية ذات الجارى جل وعلا ومعناه شمعوبد بحق واثنى معناه شمعوبد بحق أو باطل فهو اسم يطلق على الله تعالى وعلى غيره.

الثانية: وردت الصيغة بنقط الجمع اتعبد وتستعين، ولم يقل: «إياك أعبد وإياك أستعين» صيغة المفرد وذلك للاعتراف بقصور العبد عن الوقوف في باب ملك الملوك فكانه يقول: أنا يا رب العبد الحقير الدليل لا يطق به أن أقف هذا السوقف ثم تراجعت بحرف ذي، بل أنضم إلى سلك المستعين الموحدين فتقبل دعائى فى ذمتهم فنحن جميعاً نعيذك وتستعين بك.

الثالثة: نسب النعمة إلى الله عز وجل ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ولم ينسب إليه الإحلال والغضب فلم يقل: غضبت عليهم أو الذين أضللتهم، وذلك لتعليم العباد الأدب مع الله تعالى، فالشر لا ينسب إلى الله تعالى أدباً وإن كان منه تقديرًا العزير كله يياذك وأشر لا ينسب إليك.



هاتمة في بيان الأسرار المقدسية في فاتحة الكتاب العزيز

يقول شهيد الإسلام الشريخ حسن ابى فى رسالته القيمة «منفعة في تفسير» ما نصه: «الاشارة
 أن من تدوير الفاتحة الكريمة رأى سر عزاية المعاني ووجهها، وروعة الكسب وجلاله ما يأخذ
 بذه، وينضي جوارب غصه، فهو يتدبّر ذكرًا عاليًا منبسطًا باسم الله الموصوف بالرحمة التي
 تظهر آثار رحيمته «تجددة في كل شيء» فإذا استشعر هذا المعنى ووقر في نفسه انطلق ناله
 بحمد هذا الإله العظيم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وذكره الحمد يعظم محبه وكريم فضله، ووجهه لآياته
 بنادية في تربته للعالم جميعًا، وأجل به من هذا المحيط الذي لا ساحل له، ثم نذكر من
 جديد أن هذا القسم التحزيلة والسرعة المجيلة، ليست عن رغبة ولا ربه، ولكنها عن عصل
 ورحمة، فتنطق لسانه مرة ثانية بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ومن كمال هذا الإله العظيم أن يفرق
 الرحمن والرحمن، ويذكر بالحبوب بعد الفصل فهو مع رحمة السابعة المستجدة سيدين عباده
 ويحاسب خلقه يوم الدين ﴿يَوْمَ لَا تَنْفَعُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ ذَنْبًا وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ بِهٖ﴾ تربيت خلقه فائدة على
 آثار غيب ما راحة، والشرع بالعبادة الحساب ﴿مِنْ يَوْمِ أُبْرِجَ﴾ وإذا كان الأمر كذلك
 فقد أصبح العبد مكلفًا بخلق الخير، والبحث عن وسائل النجاة، وهو في هذا أشد ما يكون
 حاجة إلى من يهديه سواء السبيل، ويرشده إلى الصراط المستقيم، وليس أولى به من ذلك من
 خافقه ومولاه، يلجأ إليه ويعتمد عليه وإبناطه، قوله: ﴿يَبْنَكَ نَعْدُ وَإِنَّكَ فَسْتَوْيُّ﴾ ولسانه
 الهداية من فضله إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم بمعرفة الحق وتباعد عن
 المص صورته عليهم بالسلب بعد العطاء، والتكوص بعد الاندفاع، وغير المحالين التائبين، الذين
 يصلون عن الحق أو يردون الوصول إليه فلا يوفقون لشعور عليه، أمير، ولا جرم أن «أمين»
 براعة مقطع في غاية الجمال والحسن، وإلى شيء أرى بهذه البراعة من فاتحة الكتاب، والشرح
 إلى الله بالثناء؟ فهل رأيت حاسفًا أدنى، أو ارتباطًا أدنى مما تراه بين دعاءها، وآية الكريمة؟
 وإنكروا ذلك فهم في أدوية هذا الجمال ما يرويه رسول الله ﷺ عن ربه في الحديث القدسي
 «لمست الصلاة بيني وبين عبدي نسيجي ولعدي ما سأل» الحديث وأومع هذا السدر
 والإحاط، واجتهد أن تقرأ في الصلاة وغيرها على سكت ونهش، وخشوع وبذل، وإن تقف
 على رموس الآيات، وتعطي التلاوة حقتها من تخويد أو التفات، من غير تكلف، ولا نظرب،
 وتبذل بالألفاظ عن المعاني، فمن ذلك يعنى عمر العصب وشير ما نحض من شأبب النديم،
 وما مع العيب شيء أنفصل من تلاوة في تدبر وحش

المنهي نفس سورة الفاتحة.

تَفْصِيلُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

سورة البقرة جميعها مدنية بلا خلاف، وهي من أوائل ما نزل، وآياتها مائة وثلاثون وسبع آيات.

فحين يذكي الممونة

سورة البقرة من أطول سور القرآن على الإطلاق، وهي من السور المدنية التي تُعنى بجانب التشريع، شأنها شأن سائر السور المدنية. التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية

اشتملت هذه السورة الكريمة على معظم الأحكام التشريعية في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، وفي أمور الزواج، والطلاق، والعدة، وغيرها من الأحكام الشرعية. وقد تناولت الآيات في البدء الحديث عن صفات المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، فوضحت حقيقة الإيمان، وحقيقة الكفر والنفاق، للمفارقة بين أهل السعادة وأهل الشقاء.

ثم تحدثت عن بدء الخليقة فذكرت قصة أبي البشر آدم عليه السلام، وما جرى عند تكوينه من الأحداث والمفاجآت العجيبة التي نال على تكريم الله جل وعلا للنوع البشري.

ثم تناولت السورة الحديث بالإسهاب عن أهل الكتاب، وبوجه خاص بني إسرائيل «اليهود» لأنهم كانوا مجاورين للمسلمين في المدينة المنورة، فبينت المؤمنين إلى خيبتهم ومكرهم، وما تنطوي عليه نفوسهم الشريرة من انزوم والخنوع والخبثاء، ونقض العهد والمواثيق... إلى غير ما هنالك من القبايع والجرائم التي ارتكبتها هؤلاء المنفصلون، مما يوجب عظيم خطرهم، وكبر ضررهم، وقد تناول الحديث عنهم ما يزيد على الثلث من السورة الكريمة. بقا من قوله تعالى: ﴿يَتَنَبَّأُ بِإِسْمَاءٍ أَذْكُرًا بَيِّنَةً أَلَيْسَ أَفْشَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا نَجْمًا يُنَقِّلُونَ﴾.

وأما بقية السورة الكريمة فقد تناولت جانب التشريع؛ لأن المسلمين كانوا في بداية تكوين الدولة الإسلامية، وهم في أمس الحاجة إلى المنهاج الرباني، والتشريع السماوي، الذي يسيرون عليه في حياتهم سواء في العبادات أو المعاملات، ولذا فإن جماع السورة يتناول الجانب التشريعي، وهو باختصار كما يلي:

أحكام الصوم مفصلة، بعض التفصيل، أحكام الحج والعمرة، أحكام الجهاد في سبيل الله، شؤون الأسرة وما يتعلق بها من الزواج، والطلاق، والرضاع، والعدة، لحريم تكاح المشركات، والتحذير من معاودة النساء في حالة الحبس... إلى غير ما هنالك من أحكام تتعلق بالأسرة لأنها الترة الأولى للمجتمع الأكبر.

ثم تحدثت السورة الكريمة عن «جريمة الربا» التي تهدد كيان المجتمع وتقرض بنيانه، وحملت حملة عنيفة شديدة على المرابين، بإعلان الحرب الساخرة من الله ورسوله على كل من

بتعامل مائرا أو يفسد عليه ﴿تَأْتِيهِ الْغَمَرُ كَلْبًا قَلْبًا وَهُوَ يُرَىٰ بِرَأْيِهِ إِن تَكْفُرْ أَزِيدُوا فِي سَعَاتِهِ إِن تُقِرُّ بِكُفْرِهِمْ لَا يَنْصُرُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ يُعَذِّبُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِسُونَ﴾

وأنهيت آيات الرماية بالحديد من فلكه ابرم الرهيب الذي يجزي فيه الإنسان على عمله إن حذرا حذير ﴿إِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ عَنْ آلِ الْاَافِ ثُمَّ ذَرْكَ عَلَىٰ عَنِي مَا سَمِعْتُمْ وَقَدْ لَا يَخْلُفُ﴾ وهو نمرود مراد من القرن الكريم، وآخر وحي نزل من السماء إلى الأرض، ورسول هذه الآية لقطع الحجب، والتغلل الرسول بين إلى جوار ربه، بعد أن أدى الرسالة وبلغ الأمانة

وانتمت السورة المكرمة بتوجيه المؤمنين إلى التوبة والإتابة، والتضرع إلى الله جل وعلا برفع الأغلال والأحبار، طلب النصرة على الكفار، والعداء لعاقبة عدوة تدفون ﴿وَمَا كُنَّا نَعْتَقِدُ لَكَ إِلَّا ظُلْمًا مَا يَكُنْ لَكُ دِينٌ إِلَّا مَا شِئْنَا فَأَنسَاكَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِّنْهُنَّ فَتُصَدِّقُهَا وَمَكُنَّ بَدَأَتِ السُّورَةُ بِالْإِيفَاءِ الْمَعْبُورِ، وانتهت بدعاء المؤمنين ليناسق البدء مع احتتام وينتم مثل السورة أفضل لتتام!

التفسيرية سميت السورة المكرمة مسودة البقرة إحياءا للذكرى تلك المعجزة الساهرة التي ظهرت في زمن موسى الكليم، حيث قُتل شخص من بني إسرائيل ولم يعرفوا الله، فعرسوا الأمر على موسى لعله يعرف القتلى، فأوحى الله تعالى إليه أن أمرهم بدمع بقره، وأن يضربوا الميت بعزمه منها قبضه، إردن الله ويصرفه عن القتلى، ويكفون برهنا عن فقره، أنه حل به فلا هي إحياء الحيا بعد الموت، وستأتي انقصة مفصلة في موضعها إن شاء الله.

فضلها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا تَحْمِلُوا بِيُوتَكُمْ مَغَابِرَ، إِنْ انْشَبَطَانِ بَنُو مِنْ لَيْتِ الْمَدِي تَفَرَّقَ فِيهِ سَوَادُ الْبَقَرَةِ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَشَرْمَلِي». وقال غيره: «قَرِءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ! فَإِنْ أَخَذَهَا مَرَكَةً، وَتَرَاهَا حَذَرَةً، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطْنَةُ بَعِي السَّحَرَةِ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي مَحَبِّهِ»

٣٣٥

قال عنه تعالى ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إلى ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ قَوْمًا يَبْكُونَ﴾ من أية (١) إلى نهاية أية (٥).

ملحظة: ﴿يَبْكُ﴾ الرَّبُّ: الشك وهو الغم البينة بذلك. وانه. وأمر مريب إذا كان فيه شك وريبه. قال الزمخشري: الربيب مصدر: (أنه إذا أحدث له ريبه وهي نفس النفس واضطرأ بها، وبه رب الزمان تراثه) ﴿الْبَيْتُ﴾ أصل التقوى مأخوذ من اللغة المكرمة بمعنى ما لا يجوز أن يترك ريبه، قال النجاشي:

سقط التصريف ولم يُرد إسقاطه فُسِّلَ وَفُسِّلَ وَشَتَّتْ بِسَدِّ فَالْتَقَى هُوَ الَّذِي فِي غَسِّهِ وَمَا وَضَعَهَا. وهو الذي يقضي عذاب الله بضاغته، وجماع التقوى أن يمتثل العبد الأوامر ويحجب النواهي ﴿لَتَبَيَّنَ﴾ ما غلب من الحواس، وكل شيء

مستور فهو غيب كالجنة والنار والحشر والنشر، قال الراجبي: الغيب: ما لا يبع تحت
 السموات^(١) ﴿التَّغْيُيُونَ﴾ الفلاح: الفوز، والتجاع قال أبو عبدة: كل من أصاب شئ من الخير
 فهو مفلح^(٢) وقال البيضاوي: المفلح: الفائز بالمطلوب كانه الذي امتعت له وجوه الظفر^(٣)،
 وأصل الفلاح في اللغة: انشقق والقطع ومنه فونهم: «إِنَّ لِحَدِيدٍ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ أَي يُشَقُّ» ولذلك
 سمي الفلاح لأنه يشق الأرض بالحراثة ﴿كَذَرُوا﴾ الكثر لغة: سر النعمة ولهذا يسمى الكافر
 كذراً لأنه يحسد النعمة ويستترها، ومنه قيل للفراخ وتسيل: كثر، قال تعالى: ﴿أَجَبَّ الْكَفَّارُ
 نَأْتَهُمُ﴾ أي أعجب الزرع، وسُمي الليل كافراً لأنه يقضي كل شيء بسوؤه ﴿وَسَدَّيْنَهُمُ﴾ الإنذار
 الإعلام مع التخويف فإن خلا من التخويف فهو إعلام وبعبارة لا إنذار ﴿سَتَمُ﴾ التخم: التغطية
 على الشيء والطبع عليه حتى لا يبدله شيء، ومنه تختم الكتاب: ﴿سَتُونَ﴾ الغشاة الغطاء،
 من غشاه إذا غطاه، ومنه الثالثة وهي القيامة لأنها تعلى الناس بأهوالها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْقُرْآنُ﴾ ذلك التكملة لا ريب، ومع هذه، ﴿يُنْفِخُونَ﴾ ﴿الْفُجْرَ﴾ يَفْجُرُونَ بِالْفَتْحِ، وَيُفْجِرُونَ الْقُلُوبَ وَمَا دَقَّ لَهُمْ
 يُفْجِرُونَ ﴿وَالَّذِينَ يَرْجُونَ﴾ بِمَا أَرَى إِلَهُكَ وَمَا أَرَى مِنْ قِيَمَةٍ وَإِلَّا فَرِحُوا بِمَا يُرْجُونَ ﴿لَأَنَّا﴾ عَنْ هَذِهِ نَرَى رُؤْيَاهُمْ
 وَرَأَيْنَاكَ هُمُ التَّغْيُيُونَ

التفسير: ابتدأت السورة للكرامة بذكر لوصاف المتقين، وابتداء السورة بالحروف المقطعة
 ﴿الْقُرْ﴾ وتصدىرها بهذه الحروف النحائية يجذب أنظار المعترضين عن هذا القرآن، إذ يترك
 أسماهم لأول وهلة أنفاطاً غير مألوفة في تخاطبهم، فيستهوا إلى ما يلقي إليهم من آيات بينات،
 وفي هذه الحروف أمثلة تنبيه على إعجاز القرآن، فإن هذا لكاتب منظم من ميم ما ينظمون
 منه كلامهم، فإذا عجزوا عن الإتيان بمثله، فذلك أعظم برهان على إعجاز القرآن بقول العلماء
 ابن كثير رحمه الله: لم تدفكرت هذه الحروف في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن، وإن الخلق
 عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وهو
 قول جميع من المحققين، وقد قرره الزمخشري في تفسيره الكشف ونصره أنه نصر، وإليه ذهب
 الإمام ابن نجية ثم قال: ولهذا كل سورة فتحت بالحروف، فلا بد أن يذكر فيها الاختصار
 للقرآن، وبيان إعجازه وحظمت مثل ﴿الْقُرْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَرْجُونَ﴾ ﴿لَأَنَّا﴾ ﴿يُنْفِخُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَرْجُونَ﴾
 ﴿يُنْفِخُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَرْجُونَ﴾ ﴿يُنْفِخُونَ﴾ ﴿يُنْفِخُونَ﴾ ﴿يُنْفِخُونَ﴾ ﴿يُنْفِخُونَ﴾ ﴿يُنْفِخُونَ﴾ ﴿يُنْفِخُونَ﴾
 وغير ذلك من الآيات الواردة على إعجاز القرآن^(٤) ثم قال تعالى: ﴿يُنْفِخُونَ﴾ ﴿لَأَنَّا﴾ ﴿يُنْفِخُونَ﴾
 هذا القرآن المنزل عليك يا محمد هو الكتاب الذي لا يدانيه كتاب ﴿لَأَنَّا﴾ ﴿يُنْفِخُونَ﴾ أي لا شك في
 أنه من عند الله لمن تعمر وتغير أو أنقى السمع وهو شهيد ﴿وَالَّذِينَ يَرْجُونَ﴾ أي هؤلوا المؤمنين

(١) مجاز القرآن لأبي عبدة (٢٩٩)

(٢) مختصر تيسير ابن كثير (٢٧/١)

(٣) مفردات القرآن للرجب .

(٤) البيضاوي (١٠/١٦٠) .

الحقير، الذين يثقون بخط الله بامثال أوامر واجتناب مواهبه، ويدعون غذاء بطاعته، قال ابن عباس: المستوفون هم الذين يثقون الشرع، ويميلون بصحة الله. وقال الحسن البصري: فقروا من حرم عليهم، وأثروا ما افترض عليهم. ثم بين ثلث صفات هؤلاء المستعفين فقال: ﴿أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّا تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنِّي مَصْدُوقٌ﴾ بما غلب عنهم ولم تترك حواسهم من البعث، والحنن، والدر، والصراط، والحساب، وغير ذلك من كل ما أغير عنه لحوادث أو شبي عليه الصلاة والسلام ﴿وَيُحْيُونَ الْمَوْتَى﴾ أي يؤدونها على الوجه الأكمل بشرطها وأركانها: رخصتها وآدابها، قال ابن عباس: (فانفتحت) إتمام التوكيد والسجود والصلاة والحشوع^{١٠} ﴿وَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي من الذي يحكمهم من الأموال يثقون ويصدقون في وجوه البر والإحسان، والآية عامة تشمل التركة، والصدقة، وسائر المنافع. وهذا اختيار ابن جرير، وروي عن ابن عباس أن لمراد بها تركه للأموال، قال ابن كثير: كثيراً ما يقرن تعالى بين الصلاة والإحسان من الأموال، لأن الصلاة حق الله وهي مشتملة على ترحيمه وتوجيهه وإتقائه عليه، وإتقائه هو الإحسان إلى المخلوقين وهو حق العبد، فكل من التفتت الواجب، والتركاة المفروضة دخل في الآية الكريمة^{١١} ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا نَزَّلَ بَيْنَا مِنْهُ﴾ أي يصدقون بكل ما جئت به من الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ الرُّسُلِ هُمْ سِنَةٌ﴾ لا يفرقون بين كتب الله ولا بين رسوله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُؤْتُونَ﴾ أي ويعتقدون اتفاقاً جازماً لا يفرقه شيء أو يربط بالادار الأخلاق التي تارة تهاجمها فيها من ربح ومزاول، وجنودها، وحساب، وميزان، وإنما سببت لدار الآخرة فأنها بيد الدنيا ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي أولت ما العاطرون بالمحارج والمعالج في حوائج العبد.

الصلوة، ففصل الآيات الكريمة وجعلها من السرائر والبطم بوجزها فيما يلي:

- ١- المماز المقارن ﴿فَعَذَابُ النَّاسِ﴾ أسد الهذية للمقر، وهو من الإسناد للسبب، والهادي في الحقيقة هو الله رب العالمين فبق مجاز عقلي.

- ٢- الإشارة بالعبد من القريب ﴿فَكَذَّبْتَ وَيَكَفِّرُ﴾ للإيمان بمعنى شأنه، وبعد مرتته في الكمال، لئلا يقع منزلة العبد الحسي.

- ٣- تذكير الإثارة ﴿أَلَمْ يَكُنْ عَلَى فَعْوَى﴾ والوَلَّى هُم الْمُتَنَبِّهُونَ، للحمية بشأن المستعفين، وسي بالعمير هُم، فيبعد الحصر كما قال: هـ المتعلمون لا غيرهم.

- ٤- التنبؤ من بعد الكفار ﴿سَوْفَ نُنَبِّئُكَ أَنَّهُمْ كَلَفُوا﴾ فاحتملة سبقت لتنبئه على غلهم في الكفر والطغيان، وعدم استعذابهم للإيمان، ففيها تبيين وإقناع من إيمانهم.

^{١٠} كما انقسم من الطرق وابن كثير وتفسير الجلالين.

^{١١} غلب تفسير ابن كثير (٢٠١) ٢٢٠.

٥- الاستعارة التصريحية الصيغة «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» شبه قلوبهم لتأنيها عن الحق، وأسماعهم وأبصارهم لامتناعها عن تلميح نور الهداية بالوعاء المخبوم وغيره، المستودع ما بعده، المتشأن بشيء يمنع أن يسه ما يصلحه، واحتراز نطق الختم، والاشتواء لذلك طريق الاستعارة التصريحية^(١).

للمصيفة: نسا ذكر تدعى صفات المؤمنين في الآيات السابقة، أعقبها بذكر صفات الكافرين؛ ليظهر الفرق بين الرافض بين الصالحين، على طريقة القرآن الكريم في العقوبة بين الأبرار والفسار، والتعجب بين أهل الصلابة وأهل الشذوذة ويضدها تميز الأشياء.

﴿إِنَّ الْقَوْمَ كَفَرُوا مَوَافَقَ غَيْبِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الْيُسُوفِ﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَغَشَاوَهُمْ أَكْثَرُ فَهُمْ كَذِبُونَ ﴿٦﴾

تفصيل: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ كَفَرُوا﴾ أي إن الذين جحدوا آيات الله وكذبوا رسالته محمد ﷺ ﴿مَوَافَقَ غَيْبِهِمْ﴾ أي يتساروا عذوبهم ﴿فَالَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَفْقَهُونَ﴾ أي سواه أحد منهم يا محمد من عذاب الله وغوبتهم منه لم لم تعدوهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يصدقون بما جنتهم به، فلا تطمع في إيمانهم، ولا تذهب نفسك عليهم عذوبهم. وفي ذلك نية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له ثم بين تعالى العلة في سبب عدم الإيمان فقال: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أي طبع على قلوبهم فلا يدخل فيها نور، ولا يشرق فيها إيمانه، قال المفسرون: الختم: التغطية والطبع، وذلك أن القلوب إذا كثرت عليها الذنوب طمست نور البصيرة فيها، فلا يكون للإيمان إليها سبيل. ولا لكفر عنها مخلص كما قال تعالى: ﴿لَا تَطْعَمُ اللَّهُ عَلَىهَا يَكْفُرُ﴾^(٢) «وَقَدْ سَتَّيْنَاهُمْ زُجْجَ الشَّرِيعَةِ وَغَشَاوَهُمْ أَكْثَرُ» أي وعنى أسماعهم وعلى أبصارهم غطاء، فلا يبصرون هدى، ولا يسمعون ردا بفقير ولا يعقلون، لأن أسماعهم وأبصارهم كأنها مغطاة بحجب كثيف. لذلك يرون الحق ولا يشعرون، ويسمعونه فلا يعرفونه، قال أبو حيان: شبه تعالى قلوبهم لتأنيها عن الحق، وأسماعهم لإقربها عن سماع داعي الفلاح، وأبصارهم لامتناعها عن تلميح نور الهداية - ياروع - المختوم عليه، المستودع ما بعده، المتشأن بشيء يمنع أن يصل ما يصلحه، وذلك لأنها كانت - مع ماحتها وقوة إدارتها - منقوعة عن قول الخير وسامع، وتلميح نور، وهذا بطريق الاستعارة^(٣) ﴿وَأَكْثَرُ قُلُوبِهِمْ﴾ أي وأغلبهم في الآخرة عذاب شديد. لا يتطعم كبرهم بإجرامهم وتكاسرهم بآيات الله.

تفسير

(١) انظر لخصائص: الشرف الرضي (١/٣٢) والبحر المحيط لأبي حيان، (١/٢١).

(٢) انظر ما كتبه العلامة ابن كثير من تفسيره، أحسن منه تحقيق فضيل جبل.

(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/٢١).

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَمْرِ أَنْ يَقُولَ مَا شَاءَ وَيُلْزِمُوا الْأَمْرَ...﴾... إِنَّكَ لَفَعْلٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ من آية (٨) إلى نهاية آية (٢٠).

المتضمنة لما ذكر تعالى في أول السورة صفات المؤمنين، وأعقبها بذكر صفات الكافرين، ذكر هنا المعتنقين، وهم المصنف الثالث، الذين يُظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر، وأُغيب بذكرهم في ثلاث عشرة آية لئلا يلبس إلي عقيب خطرهم، وكبر ضررهم، ثم عقب ذلك بغير مثنى زيادة في الكشف والبيان، وتم صيحا لما تنطوي عليه بقوسهم من ظلمة الضلال والافتراق، وما يتول إليه حالهم من الهلاك والدمار.

الشفة: ﴿تَخَذِعُونَ﴾ الجذاع: الحكمة والاحتياط وإظهار خلاف المباطى، وأصله الإحفاء، ومنه سمي الدهر عادنا لما ينغي من غوائله: وسُمي ليجذع يتخذع لشر أصحاب المنزل به ﴿عَبَسَ﴾ عرس: الشقم وهو ضد الصحة، ولذا يكون حسيا كمرض الجسم، أو متوليا كمرض الفتاق ومرض الحسد والترياء، قال ابن فارس: العرس: كل ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة من غلو، أو نفاق، أو تقصير في أمر ﴿تَمِيدُوا﴾ الفساد العدول عن الاستقامة وهو ضد الصلاح ﴿أَكْثَهْتُمْ﴾ جمع سبه وهو الحاصل، الضيف الرأى، القليل المعرفة بما وضع له مانع والمضار، وأصل الشفة: الجفنة، والسفيه: الخفيف العقل، قال علماء الشفة: الشفة: حفة وسحادة وأي ينضبان نقصان العقل، والجفنة يقابله ﴿تَتَبَّهْتُمْ﴾ اللطيف: مجوزة الحد في كل شيء ومنه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي ارفع وعلا وجاوز حد، والطامة الجبار تعنيد ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ الشفة: التحير والتردد في الشيء، يقال غيبه بضم فهو غيبه قال رؤبة: فأعمى الهدي بالحذرين العمه قال الضحار الرازي: الشفة مثل النعمى، لأن الشفة مدم في البصر والرأى، والشفة هي الرأى خاصة، وهو التردد والتحير لا يدري أين ينوجه ﴿أَشْرَوْا﴾ حفيضة لأشراء: الاستبدال، وأصله بان التمن السبيل الشيء المطلوب: وأعرب تقول لمن استبدل شيئا بشيء: أشراء، قال الشاعر:

فإن ترعسبي كنت أجهد نيكم
فإني أشربك العلم بديك بالجهل
﴿قَمَّ﴾ جمع أصم وهو الذي لا يسمع ﴿تَكَمَّ﴾ جمع أبكم وهو الأسمر الذي لا يطق
﴿عَمَّ﴾ جمع أعمى وهو الذي فقد بصره ﴿كَتَبَ﴾ الضيف: العطر الغرير مأخوذ من الضوب
وهو النزول بشدة، قال الشاعر: اسقطك رواية العزل حيث تصوب ﴿أَفْجَيْتُ﴾ جمع حد عفة
وهي ناز محرقة لا تضر شيء، لأنك عمله، مشتقة من الضمق وهو شاة المذمومة ﴿أَكْثَهْتُمْ﴾
الساء في اللغة: كل ما عداك فأضرك، ومنه قيل لسقف البيت سماء، ويسمى العطر سماء
فتزوله، من السماء قال الشاعر:

١١٠ نظير هديب الفخة، وأصلها: ونظامي.
٢٠١ تفسير الكبير للضحار الرازي (٧١/٧٢).

وكرمهم أهل الفضل والاعمال ﴿فَلْيَرْبُوا لَكُمْ إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي فلتوالهم نحن على دينكم وعلى مثل ما أنتم عليه من الاعتقاد، إيماناً بتهذيبهم وبسحر منهم بإقهار الإنسان، فإن تعالى ربنا عنهم ﴿أَلَمْ يَتَّبِعْنَاهُ﴾ أي الله بحمازيمهم على استهراقهم بالإمهال ثم بالذكول، قال ابن عباس: يستخرجهم لتفتحة منهم ويملأ لهم كقول: ﴿وَأَنَّى لَهُ بُدٌّ مِّنْ عِزِّهِ﴾ قال سر كثير. هذا إخبار من الله أنه مجازيهم جزاء الإساءة. ومعادهم عقوبة الخائن، فالخارج أخير عن الجزاء مخرج لحرر عن العمل الذي استحقوا العقاب عليه، فاللفظ متعذر والمحضر مختلف^(١)، وإني وجهه لكل ما في الله أن من نظام مثل ﴿وَتَرَكُوا بَنِيَّ مِنَّا﴾ ومن ﴿فَنِي أَنفَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فالأول ظلم، والثاني عدل ﴿وَتَرَكُوا بَنِيَّ عَلَيْهِمْ يَتَتَّبِعُونَ﴾ أي يزيدهم بطريق الإمهال والترك - في إهمالهم وكرمهم يخبطون ويردون خبري - لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً لأن الله صبح على قلوبهم وأعمى أبصارهم فلا يبصرون وشاءوا لا يعتدون سبلاً ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَذِبًا بِالْهُدَى﴾ أي استبدوا الكفر بالإيمان، وأخذوا الضلالة ودموا شئها الهدى ﴿فَمَا يَحْتَسِبُ عَتَرَتُهُمْ﴾ أي ما رجحت ضعفهم في هذه السدرة والبيع ﴿وَمَا كَانُوا مُنْجِينَ﴾ أي وما كانوا المخلصين في صميمهم ذلك؛ لأنهم خسروا عبادة الدارين، ثم ضرب تعالى مثلي وضع فيهما خسارتهم الفادحة فقال: ﴿مَتَّعْنَاهُم مَّا كُنَّا نَبْغِي﴾ أي مثالي في نعماتهم وحالهم العجيبة فيه كحال شخص أوقف نارا البشري بها، وتضيء، مما اتفقت حتى تمنيات وتركته في ظلام تامس وغرور شديد ﴿فَمَا أَصْبَرُوا مَا جَاءَهُمْ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي وما الصبر الحكيم الذي حوله فأبصر وأبصر، واستأنس بذلك انوار العشرة المصيبة ذهب الله نورهم أي أطفأها الله بالكيفية، ففلاست انوار ولهم اللوز ﴿وَتَرَكْنَاهُ فِي غُلْفَةٍ﴾ أي وقاهم في ظلمات كثيفة وخوف شديد، يخبطون فلا يبتدون، قال ابن كثير: ضرب الله للمؤمنين هذا العن، شبههم في انشراحهم الضلالة والهدى، وهم يرونهم في الهدى إلى الهدى، لا يبتدون، لا يفتنوا أصوات، وحوله واتفع بها، وتأنس بها، أبصر ما عن بعينه وشبهه... فبما هو كذلك إذ ضلوا ناره، وحده في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهدي، فذلك هو لاه المبالغة في استنادهم الضلالة عوفنا عن الهدى، وشبههم المعنى على الرشد، وهي هذا المعنى دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا، وذلك ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات التشتت والكفر والسفوق لا يبتدون إلى سبيل خير، ولا يعرفون طريق النجاة^(٢) ﴿عَلَّمَ﴾ أي مع كائنهم لا يسعدهم حيزاً ﴿تَكُنْ﴾ أي كالحرس لا يتكلمون بما يصعبهم ﴿فَنِي﴾ أي كالحامي لا يبصرون الهدى ولا يسمعون حيله ﴿فَنِي﴾ أي لا يسمعون عما هم فيه من المعنى والضلالة، ثم نزل تعالى بتسليم أمر

(١) يسمى هذا المخرج عند علماء البيان «تأنيده» وهو أن يلقى الجملتان في اللفظ وتختلف في المعنى كقول: تبارك الذي خلقنا من طين - فقلت: أجبوا لي حذو الجملتين

(٢) يختصر في كثير (٣٦/٢)

التي تبدأ انشيداً، «وَإِنْ» التي هي للتأكيد، وعسر الفصل «عَمَّ» ثم تعريف «شَيْءٍ» «تَنْفِي» «وَبِهَا» ومنها في التأكيد «أَلَا إِنَّهُمْ لَكُفَّارٌ» وهذا رد من الله تعالى عليهم بالبلغ رد أحكامه.

سادساً: المسألة «لَقَدْ تَبَيَّرَ بِكُمْ» معنى الخراء على الاستهزاء، استهزاء بطريق المسألة وفي الاتفاق في المعط مع الاحتلال في المعنى.

سابعاً: الاستمارة التصريحية «أَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ كَافَّةً وَتُكْفِلُوا» المراد استبدوا النبي بالرشاد، والكفر بالإيمان عتسروا، صدقتهم ولم تروح تجارتهم، فاستداروا الشراء الاستبداد ثم زاد، فوخرها بقوله: «فَمَا رَاحَتُ يَدَيَّ فَخَرْتُنَّ» وهذا هو الترشح الذي يبلغ بالاستمارة الفروء العدا^(١١).

ثامناً: التشبيه التخييلي: «مَنْهُمْ كَذِبٌ أَكْثَرُ مِنْكُمْ كَذِبًا» وكذلك في «أَوْ كَتَبْتَ مِنْ الْقُرْآنِ» به فُكِّنَتْ» شبه في المثال الأول المنافق بالمسترق للثأر، وإظهاره الإيمان بالإفشاء، وانقطاع انضاعه بانقطاع الثأر، وفي المثال الثاني شبه الإسلام بالمطر لأن المطر تجاياه كحياة الأرض بالماء، وشبه شبهات الكفار بالظلمات، وما في القرآن من شروعه وأنوعه بالوعود البري... إلخ^(١٢).

تاسعاً: التشبيه الطبع «مَنْ يَكْفُرْ غَيًّا» أي هم كأنهم البركع العمي في عدم الاستفادة من هذه الحواس، حدثت ذمة التشبيه بوجه المشه فأمسح بليلاً.

عاشراً: المجاز المرسى «يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ» وهو من إطلاق الكمال لإرادة الجرح، أي زوروا أصابعهم؛ لأن دخول الأصابع كلها في الأذن لا يمكن.

الحادي عشر: توافق القواصل مراعاة لزومس الآيات، وهذا له وقع في الأدب حس وكر في النفس رائع مثل «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» كالأدب كآلة كآلة «فَمَا عَنْ تَحِيَّتِهِمْ» «وَلَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ يَتَّقُونَ» (الخ وهو من المحسنات البديعية^(١٣)، لغزوات).

الأول: للغاية من ضرب المثل. تزيين البعيد، وتوضيح الغامض حتى يصبح كالأمر المشاهدة المحسوس، وللاعتكاف تأثير عجيب في النفس «وَمَنْ يَكْفُرْ لَتَكُونَنَّ مِنْ أَجْزَائِهِ» «وَمَنْ يَكْفُرْ لَتَكُونَنَّ مِنْ أَجْزَائِهِ» «وَمَنْ يَكْفُرْ لَتَكُونَنَّ مِنْ أَجْزَائِهِ».

الثانية: وصف تعالى المنافقين في هذه الآيات عشرة أوصاف كلها شنيعة وفيها تذكرة على رسولهم في الضلال وهي (الكذب، الخداع، المكر، الشف، الاستهزاء، الإفشاء في الأرض، الجهل، الميلال، التذبذب، الشبهة بالتؤمنين) أعاد الله من صفات المنافقين.

الثالثة: حكمة كُفَّ عليه الصلاة والسلام عن قتل المنافقين مع أنهم كفار وعلمه الله بأعيان

(١١) قال ابن عسري: وهذا من الصفة العجيبة التي تلج بالعلم الدنوة العليا انظر الكشف (١/ ٢٥).

(١٢) قال الصبر الرازي: والتشبيه هنا في غاية فصاحة؛ لأنه يجهلهم أولاً كسبوا زوراً، ثم بعتهم ثانياً بعلو ادلك البر، ويقرعوا في حيرة عظيمة لأنه لا حيلة أعظم من حيرة الذين عسروا نفسهم بالأدب. كوزي (١/ ٧٣).

(١٣) ذكر الأملجة البلاغية عن سبل المثال لا الحصر: يفتقد القرآن بعض رواج قرآن، لا إقلام الله صبر ربه من الروايع البهتة، والصورة هلامه مأدورة الإنسان ويعجز عن وضعه فلتاد.

عضهم ما أخرجه البخاري أن النبي ﷺ قال لسمر: «أقرء أن يحدث العرب أن محمداً يقبض أصحابه»^(١).

طيف قال العلامة ابن القيم: تأمل قوله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْرَافِيًّا وَكَافِرًا﴾. «ذهب الله بنارهم» مع أنه مفعلي اسراف يطابق قول الآية ﴿أَسْرَفْنَا لَهُ﴾ فإن النار فيها إسراف وإحراق. فذهب الله بها فيها من الإسراف وهو «النور» وأنقى ما فيها من الإحراق وهو «النارية»^(٢) وأنشأ كيف قال: ﴿وَيُؤْتِيهِمْ﴾ ولم يقل: «يغزوهم» لأن المصداق زيادة في النور. فلو قيل: ذهب الله مصونهم لأنهم الباطل بالزيادة فقط دون الأصل!! وتأمل كيف قال: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْرَافِيًّا﴾ فوجد النور ثم قال: ﴿وَيُؤْتِيهِمْ﴾ فجميعها، فإن الحق واحد مع صمد الله المستقيم، انتهى لا صراط يوصل سواه. بخلاف سرق الباطل فيها متعددة ومتشعبة، ولهذا أقرء سبحانه «العوز» وجمع «الاسفل» في آيات عديدة مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ ونونه ﴿وَيَسْأَلُ الْأَشْجَارُ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ جِبْرِيلُ فَتُفْثِنُ فَتَقْطَعُ زُلَّامًا شَجَرًا الْأَشْجَارُ فَتُفْثِنُ بِكَيْدِ غِي كَيْبِلِيٍّ﴾ فجمع سبل الباطل ووجد سبيل الحق^(٣).



قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّعَذَّبُوا لِكُلِّ إِلَهٍ فَلَئِمَّ بِهِ مِنْهُ خَلْقُهُ﴾^(٤) إلى ... ﴿لَهُمْ فِيهَا خَلْقَاتٌ﴾ من آية (٢١) إلى نهاية آية (٢٥).

التاسعة لم يذكر تعالى الأصناف الثلاثة النعمانين، والكافرين، والمعتدين، وذكر ما ميزوا به من سجادة أو غفارة، أو بيان أو نفاق، وضرب الأمثال، ووضح طرق الضلال أغنيك عن ذكر الأدلة والنراحي على وحدانية رب العالمين. وضرب الناس نعمة ليذكروا عليها، وأقبل عليهم بالحمد والثناء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وهو خطاب لجميع الفئات، محسناً عليهم بما خلق ورزق، وأبرر لهم معجزة القرآن، بالنص بيان وأوضح برهاناً ليضع من القلوب جذور الشك، ولا ريب في ذلك. ﴿خَلَقَكُمْ﴾ الخلق الإيجاد والاختراع بلا مثال، وأصل فهو الخلق التقدير يقال: خلق الله فلان، فوجد ولا مؤلف، ومؤلف بالمفارقة، وخالق الأديم لتسقاء إله، وقدر، قال الزجاج: «ما خالف لا فريث، ولا مؤلف ولا فريث» أي ما قدرت شيئاً إلا أنفسي. ولا عدت بشيء، ولا فريث من. ﴿وَرَبُّكَ﴾ البراني. شوقه والمهاد الذي يقعد عليه الإنسان وينام ﴿تَبَّ﴾ تبا: ما يؤسف من آفة أو حزن أو يوت ﴿أَنْدَانُ﴾ جمع ندى وهو الخفق والعتيل والظفر، ومنه قول علماء السجدة: «ليس لله يد ولا جند» قال حسان:

أَنْدَانُ ج. وَه. رَأَى لَهْ يَنْفُذُ فَخَيْرُكُمْ مَحْبِرُكُمْ مَصْفُوحُ^(٥)

وقال الريحطري: «اليدُ» تعطل ولا يقال إلا بالاختلاف، الساري. قال جرير أيضاً: تعطلن

(١) أخرجه البخاري في التيسير (٢٢/١) ... نقله عن معاني التأويل لمسلم.

(٢) عرضي (٢٢/١).

إِلَى نَارًا؟ ﴿١٠٠﴾ وَذُوقُوا الَّذِي تُوَفَدُونَ لِحُضْبٍ الَّذِي تُوَفَدُونَ النَّارَ، قَالَ الْعَرَبِيُّ: الْيُفْرَدُ (يُفْلَتَحُ) الْحُطْبُ، (وَيُؤَلَّسُ) مَعْدَنٌ بِمَعْنَى التَّوَفُّدِ ﴿١٠١﴾ لِيُذْكَرَ حُبُّهُ، وَأَعْدَدْتُ: حَبَلًا، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: ﴿أُجْنَتْ﴾ فَبَيَّنَتْ نَهْمَ وَلَحْنَتْ عَذَّةَ عَذَابِهِمْ ﴿١٠٢﴾ وَبَيَّنَّتِ الْبَشَارَةَ: الْحَبِيرَ لِسَانُ الَّذِي يَتَغَيَّرُ بِهِ بَشَرَةُ الْوَجْهِ مِنَ السَّرُورِ، وَإِذَا اسْتَمْعَلَ فِي أَسْرِ فَهُوَ يَهْكُمُ مِثْلَ ﴿نَعْبُذُكُمْ بِحَذَابِ أَيْمٍ﴾ ﴿أَزْوَاجُ﴾ سَمِيعُ زَوْجٍ، يَهْطُلُ عَلَى الذَّكَرِ الْأُنْثَى ﴿كَتَلْتُمْ لَمْ تَزَلْ تَلْتُمْ﴾ فَالْمَرْءُ رُوحَ الرِّجْلِ، وَالرَّجُلُ رُوحَ الْمَرْءِ قَالَتِ الْأَصْمَعِيُّ: لَا تَكُنَّ الْعَرَبُ تَقُولُ: زَوْجَةٌ ﴿عَذَابُكُمْ﴾ بِأَفْوَنَ دَائِمُونَ.

[illegible][illegible][illegible]

(١) القدر المدفوع (٢٤٨'٦)

(187) C_{60}H_2 $\text{C}_{60}\text{H}_2^+$

الطريق (17/1).

إن نفس المرحوم السيد بن العاصم وزاني الإنسان البخاري صريح في كروية الأرض قبل أن يدور رؤس القضاة حولها.

إِيَّاهَا فِي الْكَفَّارِ وَالْأَصْدَامِ لَتُنِي هَبْدُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفُوهَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تَكُونُونَ فِيهَا مِنْ أَجْدَاةٍ يَجُرُّهِنَّ سَفَرُهُنَّ مِنَ الْجَبَّةِ يَعَذِّبُونَ فِيهَا مَعَ الثَّارِ﴾ **﴿أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾** أَي هَبَّتْ تِلْكَ النَّارُ وَأُرْصَدَتْ لِلْكَافِرِينَ هُنَا جَدِيدٌ، يَنْتَلُونَ فِيهَا أَلْوَانِ الْعَذَابِ الْمَعِينِ.

ثم لما ذكر ما أعدَّ لأعدائه، عطف عليه يذكر ما أعدَّ لأولياءه، على طريقة القرآن في الجمع بين الترهيب والترغيب؛ والمعارضة بين حال الأبرار والفقار فعالم: ﴿وَنُفِثَ فِي السَّيِّئَاتِ﴾ **﴿أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾** أَي بَانَ لَهُمْ حَقَائِقُ وَمَسَائِنُ خَالِيَةِ شُجَارٍ وَمَسَكِينٍ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَمَعَانِكِهَا نَهَارُ الْجَنَّةِ **﴿مُكَلَّمًا رُؤُوفًا﴾** فِيهَا يَرَى شَرًّا رُؤُوفًا أَي كَمَا أَهْلُوا عَطَاءَ وَرُزْقًا رُؤُوفًا مِنْ شَارِ الْجَنَّةِ **﴿عَالَمًا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا بِهِ﴾** أَي هَذَا مِثْلُ الطَّعَامِ الَّذِي قَدَّمْنَا إِلَيْهَا فِيهِ هَذِهِ الْمَرْفَعَةُ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُرْزَقُونَ مِنْ شَارِهَا مَا يُلَبِّسُهُمْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا قَدَّمُوا لَهُمْ مَرَّةً ثَانِيَةً قَالُوا: هَذَا الَّذِي تَتَّخِذُونَ بِهِ مِنْ قَبْلِ نَفْسٍ الْمَلَائِكَةُ: كُلُّ مَا عِندَ اللَّهِ فَالْمَلَكُ وَاحِدٌ وَالطَّعْمُ مُخْتَلِفٌ **﴿وَالَّذِي يَرَى فِيهَا نَفَسًا﴾** أَي مُشَابِهًا فِي الشَّكْلِ وَالْمَنْظَرِ، لَا فِي الطَّعْمِ وَالصَّخْبِ قُلْ إِنَّ جَرَمًا، يَعْنِي فِي اللَّوْنِ وَالْعَرَاءِ وَأَيْسَ يَنْسِبُهُ فِي الْعَادَةِ، فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ: لَا يَشَاءُ شَيْءٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا فِي الْأَسْمَاءِ **﴿وَالَّذِينَ فِيهَا رِجَالٌ لَمْ تَمُوتْ﴾** أَي وَلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ زُوجَاتٌ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ مَطَهَّرَاتٍ مِنَ الْأَفْذَارِ وَالْأَدْنَانِ الْحَسْبِ وَالْمَحْنَةِ، قُلْ إِنَّ عَبَّاسًا: مَطَهَّرَةً مِنَ الْقَذَرِ وَالْأَذَى، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَطَهَّرَةٌ مِنَ الْحَيْضِ وَالنَّعَاسِ، وَالْمَخَاطِطِ وَالْبَوْلِ وَالشَّوْمِ، وَوَرَدَ أَنْ نَسَاءَ الدُّنْيَا مَطَهَّرَاتٌ يَكُونُ يَوْمَ الْغِيَاةِ يُحْمَلْنَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى لَوْ كُنْتُمْ عَاذِلِينَ فَتُحْبَذُوا﴾ **﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** أَي دَائِمُونَ، وَهَذَا هُوَ نِعَامُ الْمُعَادَةِ، فَرَّحَهُمْ مَعَ عِلَاةِ النِّعَمِ فِي حَقِّهِمْ آمِينَ، يَبْشُرُونَ مَعَ زُوجَانِهِمْ فِي هَذَا عَالَمٍ لَا يَحْتَرِبُهُ انْقِطَاعُ.

الْبَلَاغَةُ

- ١ - ذكر النجمية **﴿يَقْرَأُونَ فِيهَا﴾** مع إضافته إلى المخاطبين فالتفخيم والتعظيم.
- ٢ - الإضافة **﴿عَلَى سِدْرٍ﴾** للتشريف والتخصيص، وهذا اشتراف وصحب الرسول ﷺ.
- ٣ - التمجيز **﴿فَالَّذِينَ رُزِقُوا﴾** خرج الأمر عن صيغة إلى معنى التمجيز، وتذكير (سورة) قرادة الشموع والشمول.

- ١ - المتبادلة الماطية **﴿يَسْمَوْنَ لَكُمْ الْوَرْدَ وَرَيْحًا وَالنَّخْلَ﴾** فقد قابل بين الأوصاف والمصاحف.

١٠١ جاء في الحديث أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ نَهْرٌ يُدْعَى زُرْقًا، أَي فِي نَدِيَّاهُ، وَهَذَا قَوْلُ مَرْحُومِ الصَّبِيحِ: «نَارِي عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَهِيَ أَنْ هَذَا فِي الْجَنَّةِ وَأَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا فِيهَا، إِنَّهُ إِلَّا الْأَسْمَاءُ».

والفرش والبناء، وهذا من المحسنات البديعة .

٥ - الجملة الاستغرافية ﴿وَلَنْ نَقُولَ﴾ لئلا تتحدى في الماضي والتقبل ويدل العزم التام في جميع العصور والأزمان .

٦ - الإيجاز البديع بذكر الذنوبة ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ أي فون بحجرتكم فحافظوا عار سيدهم بتصديقكم بالقرآن

□ □ □

قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأن ضربت مثلاً ... ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ﴾ من آية (٢٦) إلى نهاية آية (٢٩) .

الغائبية كما بينت تعانى بالدليل الساطع ، والرمز القاطع أن القرآن كلام الله لا ينظر إليه بشك . وأنه كتاب لا يجوز أن يؤلفه من خاتم المرسلين ، وإنما علم أن القرآن هو سورته من قصص سورته ، ذكر هنا شبهة أو دعاء الكفار للفتح فيه وهي أنه جاء في القرآن ذكر (العمل) ، والذنب ، والنعكسوت ، والعمل) إلخ وهذه الأمور لا يبين ذكرها بكلام . لمصحة فضلاً عن كلام رب الأرباب ، فاجذب الله تعالى من هذه الشهية ، ورد عليهم بأن صغر هذه الأشياء لا يفتح في مصاحبه القرآن من عجايزه ، إذا كان ذكر النمل مثلاً من حجمه

تلقفه ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحياء . بغير والكار يعثر الإنسان من خوف من يعاب به ويذم ، والتمرد به هنا : لا زعم وهو فكرت . قال الزمخشري : أي لا يترك سرب المثل بأجمعه تركه من يستحي من ذكرها لحفارتها ﴿فَمَا قَوْلُهَا﴾ فما دونها في الصغر ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ أصل تقوى في كلام العرب : الخروج عن الشيء ، والصانع فأسر الخروجه عن طاعة ربه ، قال القراء : اعلم : ما أخرجه من قولهم : فسقت الرقبة من فطرها أي خرجت ، ويسمى تقاضى فسقاً الخروجه عن طاعة الله ، ومن الفسوة فوسقة الخروج الأجناس من فسوة ﴿تَقْوَى﴾ الانقيص . فتح التركيب والفساد ما أبرمته من بناء أو حيل ، أو عهد فاع تعاضل ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يَنْفَعُ عَرَضاً﴾ وقال ﴿فَمَا تَعْلَمُ﴾ أي فبما تهم العباد ﴿عَنْهُ﴾ العهد . فالمؤمن الذي يعطيه الإنسان بغيره ، يقال : عهد إنني أي وعده ﴿تَعْلَمُ﴾ العهد لمؤدب يمين وهو أبلغ من العهد ﴿تَعْلَمُ﴾ الاستواء في الأصل . الاعتدال والاستقامة يقال : استوى العبد إذا قدم واعتدل ، واستوى إليه إذا قصده قصداً مستويًا ، وقال تعالى : الاستواء : الإقبال على الشيء ، ﴿فَتَعْلَمُونَ﴾ علمهم وأعلمهم وقيل : معناه : مبرهن .

سند الأول لما ذكر الله تعالى العباد والعبيد في كتابه ، وضرب أمثلة لمن به أمثل صحت ليهم وقالوا : ما يشبه هذا كلام الله . وما أراد بذكر هذه الأشياء المحسوسة ؟

(١) الكشف ج ١ (ص ٨٥) . (٢) تفسير تكملة للزبد ج ٢ (ص ١٤٦) .

٣ - الصادق عن الجلاء ج ١ (ص ١٩) ، والكشاف ج ١ (ص ٩٢) .

يخرج أسماهم من الجواب أمراً قطعياً بينهم ويحكم في أمصارهم . وأثر ثلث صيغة الاستفهام
فيذاتنا بالحدود والاعتدال وههنا العلامة أبو السعود^(١)

الثالثة : قال ابن جزري في الشهبان : وهذه الآية ﴿سَبَّحْتَ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا ثُمَّ اسْتَغْنَىٰ عَنْكَ﴾
أنتك : تقتضي أنه خلع السماء بعد الأرض ، وقوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضُ بَدَاةٌ غَشِيَةٌ﴾ ظاهره
خلاف ذلك ، والجواب من وجهين . أحدهما : أن الأرض خلقت قبل السماء . ووجهه بعد ذلك
فلا تعاونن . والآخر : تكون ﴿كُلُّكُمْ﴾ لترتيب الأعمار^(٢) .



قال الله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ ۖ اِيْلِى ۚ وَاتَعْلَمُوْا مَا يُدْعٰٓى بِكُمْ لِكُنْتُمْ ۖ مِنْ اٰدَمَ﴾
(٣٠) إلى نهاية آية (٣٣) .

الفسحة : لما امتن تعالى على عباده بنعمه الخلق والإيجاد وأنه سخر لهم ما في الأرض
جديداً ، وأمرهم من بعدهم إلى الوجود ، فأنع ذلك بيده خلقهم ، وادخل عليهم بشرواً ، أبهرهم
وبكره ، يجعله خليفة ، وإمكانه دار الكرامة . وإسعاد السالكين مطبعا لشأنه ، ولا شك أن
الإحسان إلى الأهل إحسان إلى الفرع ، والنعمة على الآباء نعمة على الأئمة ، ولهذا ناسب أن
يذكرهم بذلك ، لأنه من وجوه النعم التي أنعم بها عليهم .

اللغة : ﴿إِذْ﴾ ظرف زمان منصوب بفعل محذوف تقديره : ذكر حين أو تذكر وقت ، وقد
يصرح بالمحذوف فتعوله تعالى : ﴿وَاتَذَكَّرُوا ۖ إِنَّكُمْ لَشَيْءٌ نِّيْلٌ﴾ قال السرد : إذ جاء ، وإذا مع مستقبل
كان معناه ماضياً نحو قول : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ يَخْتَارُ ۚ﴾ . إذ جاء ، وإذا مع الماضي كان
معناه مستقبلاً كقوله : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ يَخْتَارُ ۚ﴾ . إذ جاء ، وإذا مع المستقبل كان
الخلقة من مختلف غيره ، ونسب من ، فعن بمعنى فاعل والتاء للمبالغة ، سمي خليفة لأن
مختلف عن الله عز وجل في إجماع الأحكام وتنفيذ الأوامر الربانية قال تعالى : ﴿يَتَدَاوَىٰ ۖ فِيهَا
مُكَلَّلَاتٌ بَلَغَتْ مِنَ الْأَرْضِ ۖ الْأَيَةُ ۖ وَيَنْفِكُ ۖ أَسْعَدُ ۖ الْقَصَبُ ۖ وَالْإِرَاقَةُ ۖ لَا يَسْمَعْنَ إِلَّا قِي ۖ يَذُمْنَ فَاذ
فِي الْمَصْبَاحِ ۖ وَسَعَدَ الدَّم ۖ أَرَادَهُ وَيَابَهُ شَرِبَ ﴿شَخ﴾ التدرج : نزله الماء وتم ذقه من
أسره الماء ، وأسره من الشخ وهو الجري والذهب قال تعالى : ﴿إِذْ يَدْعُو ۖ يَكْبِتُ ۖ شَوْكُ﴾
فانصليح جاري في نزله الله تعالى ﴿وَتَقْدُسُ﴾ القدوس . التطهير ومنه الأرض المقدسة ، وروح
القدس ، وحده التجسس ، وتقديس الله سبحانه . تجميعه وتعظيمه وتطهير ذكره عما لا ينطبق به

١ : روى المثل سليم ج : (ص ٤٩) . ٢ : الشهبان في علوم التنزيل ج : (ص ١١٢) .

٣ : القرطبي ج : (ص ٢٦٦) .

٤ : روى حليمة من عبد الله قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحانه الله فقال : هو بزه الله عز وجل من
شأنه القاطن ج : (ص ٢٧٦) .

وَمِنْ صَلَاحٍ مِنْ أَرْسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ خَرَجَ قُلُوبُ رِبِّهِ لِمَا تَلَا
وَلِزَوْجِ أَثْنَيْنِ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَأَلَّا يَخْرُجَ مِنْ قَوْلِ الْعَائِدَةِ الْمُحْصِيَةِ قَالَتْ تَعَالَى ﴿تَلَوْنَا﴾
﴿تَلَوْنَا﴾ وَتَلَوْنَا نَفْثُوهَا لَكُنْ تَجْعَلُ مِنْ كَلِمَةِ الْمَسَاءِ أَيْ خَفَافًا .

[illegible]

المعبر ﴿وَأَزَاقَهُ زُلْزَلَتٌ فَلَمَّ كُرْسُوهٗ﴾ أي ذكره يا محمد حين قال ربك فاعلم أنك وفادته من قوله ذلك ﴿يَبْقَىٰ بِعَاقِبِ الْأَرْضِ حَيًّا﴾ أي حاشي في الأرض وعند مدنها خيفة يخلطني من بعد حكمي فيها، وهو آدم أو قوم ما يختلف بعضهم بعضا فربا بعد قرون وجيلا بعد جيل ﴿قَالُوا لَلْخُلَاقِ يَوْمَ تَرْفُئُهُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي قالوا على سبيل التعجب ولا استعلام: كيف تستدعيهم هؤلاء، وفيهم من يقصد في الأرض بباله ناصي ﴿وَيُثْبِتُهَا زُلْزَلَةً﴾ أي يربط الدماء باليمني والأعداء ﴿وَنَحْنُ نَسُجُّ بَحْرَهُ﴾ أي نتركها عما لا يسبق بك متلبسين بحمدك ﴿وَأَعْبَسَ لِلَّذِينَ أَتَوْا بِمَعْذَرَةٍ﴾ يظهر ذلك ما ساء إليك الملحدون ﴿قَالَ إِنِّي أَنُفِثُ مِمَّا تَخْتَلِفُ فِيهِ﴾ أي أعلم من الصراح ما هو خفي عليكم، وفي حكمة من خلق الخيفة لا تعلمونها ﴿وَنُفِثَ مِمَّا تَخْتَلِفُ فِيهِ﴾ أي أسماء السميت كاهن، قال ابن عباس: علمه اسم كل شيء حتى القصعة والسمرة ﴿وَنُفِثَ مِمَّا تَخْتَلِفُ فِيهِ﴾ أي عرض المسبيات على الملائكة وما هم على سبيل السكينة ﴿فَقَالَ أَلَيْسَ لِي عِزٌّ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ أي باسماء هذه المخلوقات التي ترونها ﴿إِنِّي أَنُفِثُ مِمَّا تَخْتَلِفُ فِيهِ﴾ أي فرادىكم أدرك الحق بالخلقة من منخلته .

والحاصل: أن الله تعالى أظهر فضل آدم للملائكة بتعليمه الحلال والحرام
بعد معرفة الثمة وأنهم من معرفة الأسماء والأشياء والأحداث ولهذا اعترفوا بتعظيم
والصعود ﴿فَأَمَّا الشَّيْطَانُ فَلَمْ يَلَمْ إِلَّا مَا عَلَّمَهُ﴾ أي سخرت به الله عن النص ومن لا علم له إلا
ما علمت إياه ﴿إِنَّهُ كَانَ الْقَسِيمَ﴾ أي الذي لا يخفى عب حاجته ﴿وَالْمَكِيدَ﴾ الذي لا يفعل إلا ما
يختصه بحكمه ﴿قَالَ يَكِيدُ الْإِنْسَانُ لِقَوْمِهِ﴾ أي اعملهم بالأسماء التي عجزوا عن علمها
واعتبروا بفضائلهم عن طوع مرئها ﴿فَلَمَّا أَكْفَرَهُ بِاتِّبَاعِهِ﴾ أي أخبره بكل الأشياء وسمي
كل شيء باسمه وظهر حكمته التي حلز لها ﴿وَالَّذِي أَكْفَرَهُ لَئِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ أي
قال تعالى للملائكة: ألم أكنسكم بأنواع ما غاب في السموات والأرض عنكم ﴿وَأَعْلَمُ مَا
تَكْفُرُونَ﴾ أي ما تظهرون ﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي تصور من دعواكم أن الله لا يحنن خلقا أفضل
منكم. ووجه أنه تعالى دعا حلز آدم عليه السلام وأن الملائكة فطرته المحبة، وقام الحكيم ما

شاء، فمن يخلق بها خلقاً إلا كذا اكرم عليه منه^{١١١}.

البقرة

١- انشعري بعنوا الربوبية ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلرَّبُّوبِيَّةِ﴾ مع الإضافة إلى الرسول عليه السلام لتشرىف والتكريم لمقامه العظيم وتقديم الحار والمجرب ﴿لِلرَّبُّوبِيَّةِ﴾ للاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر.

٢- الأمر في قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَ﴾ خرج عن حقيقته إلى التعزيز والتبكيث^{١١٢}.

٣- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُم بَابِيعَ﴾ فيه مجاز بالحذف، والتقدير: فآتاهم به فلما آتاهم، حذف نفسه المسمى.

٤- ﴿فَمَنْ عَرَضَهُ﴾ هو من باب التثنية؛ لأن التميم علامة الجمع للعلماء المذكور، وتو لم يعلب لقال. (ثم عريضاً) أو عرضاً.

٥- إبرة السفل في قوله: ﴿إِنْ أَنْطَلَقْتَ نَجَبَ الشَّوْزِ وَالْأَنْبِ﴾ ثم قال: ﴿وَأَعْلَمَ مَا تَنْوَدُ﴾ للاهتمام بالخبر والتثنية على إحاطة علمه تعالى بجميع الأشياء، وبسبب هذا بالإطراب.

٦- تضمنت آخر هذه الآية من علم الدبع ما يسمى بالطباق، وذلك في كلمتي ﴿تَنْوَدُ﴾ و ﴿تَكْتُمُ﴾.

العلماء

الأولى قال بعض العلماء: في إخبار الله تعالى للملائكة عن حسن فؤاد واستحلافه في الأرض، تعلم لعباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدروا عليها.

الثانية: الحكمة من جعل آدم عليه السلام خليفة في الرحمة بالعباد - لا لا تقار الله - وذلك أن العباد لا طاقة لهم عني تلقى الأوامر والنواهي من الله بلا واسطة، ولا بواسطة ملك، فمن رحمته ونطقه ورحمته إرسال الرسل من البشر.

الثالثة: قال الحفاظ ابن كثير: وتقول الملائكة ﴿أَتَحْفَلُ بِهَا مِنْ لَيْسَ يَنْسَى﴾ الآية ليس هذا على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه التحديس آدم، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عمن الحكمة في ذلك، يقولون: ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض^{١١٣} وفان في السموات، وإنما علمت الملائكة أن بني آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك، وقيل: فإن في الأرض جن فافسدوا بعلم الله إليهم ملائكة فضلتهم، ففاسد ملائكة بني آدم عليهم.

الرابعة: سئل الشعبي: هل لا طيس زوجة؟ قال: ذلك فرس ثم شهده؟ قال: ثم فرست قوله تعالى: ﴿فَتَشِيدُكَ وَدَبَّيْنَهُ أَرْبَعًا مِنْ دُونِ﴾ فعلمت أنه لا يكون له ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم^{١١٤}.

١١١- انشعري ابن كثير ج ١ ص ٥٦، وأبو السعود ج ١ ص ٦٩. ١١٢- إندو شو السعود.

١١٣- انشعري ابن كثير ج ١ ص ٥٦. ١١٤- الشهاب لابن حزم ج ١ ص ٢٣.

١١٥- عاصم الأنون ج ٢ ص ١٠٤.

ظلموا أنفسهم بحمضه الله ﴿فَأَرْسَلْنَا نُفُثًا مِّنَ النَّارِ﴾ أي أرسلنا في الرنة بسببها وأعوانها بالأسرها هذا إذا كان الضمير عند إني الشجرة، أو إذا كان عائداً إلى سجة فيكون المعنى أبعدهما وحيثما من الجنة ﴿وَأَعْرَجْنَاهَا مِن دُونِهَا﴾ أي من مبدئ الجنة ﴿وَلَمَّا أَتَيْنَاهَا﴾ أي اضطررنا إلى جهة إلى الأرض والخطبات وأدم وعصاه والجنس ﴿فَتَعَرَّجَ بِمَعْنَى تَعَرَّجَ﴾ أي شيعتان عدوانكم فكسوا أعداءكم كفولهم ﴿فَإِن تَنصِبْكَ لَنَا ذُرًّا فَلْيُؤْتِكُوا شَاكراً﴾ ولعل في ذكرهم شتراً أي لكم في الدنيا موضع استفادة وإدماه عيباً ﴿وَمَنْ يَلِدْ يَلِدْ﴾ أي تمنع بغيرها إلى وقت نفقدها أحالكم ﴿مَفْلُوحاً﴾ أي من موطئ آخر في سورة الأعراف ﴿فَأَلْزَمْنَا طَائِفًا مِّنْهُمْ﴾ الآية ﴿فَنَابِئُوكَ﴾ أي قبل ربه ثوبته ﴿إِنَّهُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي إن الله كتب القبول والثوبه. وادع القوم من شيعته. ﴿فَلَمَّا تَخَلَّوْا بَيْنَهُمْ﴾ كوز الأمر بالهبوط للتكيد والبيان أن إقامة الله وذريته في الأرض لا في الجنة ^{١٧} ﴿فَلَمَّا بَأْنَيْنَكُمْ أَنِي قَسَىٰ﴾ أي رسول نبعشه لكم، وكتاب أنزله عليكم ﴿فَلَمَّا نَبِئَ هَٰذَا﴾ أي من آسن في ومن معاشي ﴿وَلَا حَافَ عَلَيْهُ وَلَا هَٰذِهِ تَعْمَلُونَ﴾ أي لا ينالهم خوف ولا حزن في الآخرة ﴿بِالْأَيُّونَ كَرُّوْا وَتَكْرَرُوا عَلَيْهِ﴾ أي جعده وأبداً انزلت ربه أرسلت ﴿وَأَوْفَيْتُ أَخَصَّ الْأَرْضَ فَمِنْ بَيْنِ سُبُلِهَا﴾ أي من مخلدون في الجنة أعادنا الله منها.

العنوان:

أولاً : عبيقة النجم ﴿وَرَوْىَ﴾ للتعظيم وهي معطوفة على قوله : ﴿أَرَأَيْتَ قَالَ رَبُّكَ﴾ وفيه
الغائب من الغائب إلى المتكلم شريعة المهادة وظاهر الحلافة
ثاني : أفاضت الغاء في قوله : ﴿فَسَكَّرَ﴾ أنهم سارحوا في الاعتدال ولم ينتبطروا فيه . وفي الآية
إيجاز بالعطف أي فسححوه وإنه وكذلك ﴿ثُمَّ﴾ معطوفة معطوفة أي أي سجود
ثالثاً : قوله : ﴿وَلَا تَقْرَأْ هَؤُلَاءِ الْقُرْآنَ﴾ : المنهي عنه هو الأكل من نهار المشرك . وتحقيق النهي
بالغوب منه ﴿وَلَا تَقْرَأْ﴾ لقصد المبالغة في النهي عن الأكل ، إذ النهي عن التقرب منه عز العمل
بالمريض أبلغ بقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَأْ الْقُرْآنَ﴾ فمن عن الغوب من الزنى ليعطع الوسيلة إلى ارتكابه
رابعاً : التعبير بقوله ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ أي في الدلالة على فحشاء الخيرات مع لو فس من
التعظيم أو التحفة ، فود من أساليب البلاغة في الدلالة على عظم الشيء . أن يعبر عنه بلفظه مبهم نحو
﴿يَتَذَكَّرُ﴾ لينذهب نفس السامع في تصور عقده وكعاله إلى أقصى ما يمكنها أن تذهب إليه .
خامساً : ﴿أَتَأْتِكُ رِيشَ﴾ من صيغ المبالغة أي يحير التريه راسم الرحمة .

لغة

لماذا؟ كيف يصنع المسحود غير الله؟ والجواب أن مسحود الصلابة لاדם كان للتحية وكان مسحود تعظيم وتكريب لا مسحود صلاة وعبادة. قال المرحوم سي. السجود لله تعالى هم سبيل

حبة، ونفيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم، ويعقوب وأبناؤه ليوسف^(١١).
 الثانية: قال بعض المفسرين: سابق السبابة لا يؤثر فيه حدوث الجنبانية، ولا يهبط من رتبة
 الولادة، فمخالفة آدم التي أوجبت له الإخراج من دار الكرامة لم تخرجه عن حظيرة القدس، ولم
 تسلبه رتبة الخلافة، بل أجزأ الله له في العتبة فقال ﴿ثُمَّ تَبَيَّنَتْ رُتَبُهُ﴾ وقال الشاعر
 وإذا شبيب أنى بفلق واحد جاءت محاسنه يكلف شقيق^(١٢)
 الثالثة: هل كان إبليس من الملائكة؟ الجواب: اختلف المفسرون على قولين: ذهب بعضهم
 إلى أنه كان من الملائكة بدليل الاستثناء ﴿تَبَيَّنَتْ رُتَبُهُ إِلَّا لِإِبْلِيسَ﴾ وقال آخرون: الاستثناء منقطع،
 وإبليس من الجن وليس من الملائكة، وإليه ذهب الحسن وقاعدة واختاره الزمخشري، قال
 الحسن البصري: لم يكن لإبليس من الملائكة طرفة عين، ونحن نرجح القول الثاني فلا بد
 الآتية:

- ١- الملائكة مزهونون عن المعصية ﴿لَا يَتَّبِعُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ وإبليس قد عصى أمر ربه.
- ٢- الملائكة خلقت من نور، وإبليس خلق من نار فطبعتهما مختلفة.
- ٣- الملائكة لا ذرية لهم وإبليس له ذرية ﴿فَلْيَتْلُو ذُرِّيَّتَهُ وَيَرْبِّتْهُ، أُولَئِكَ مِنْ دُونِي؟﴾
- ٤- الصريح الواضح في سورة الكهف على أنه من الجن وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْبِسْ كَذَبَ مِنْ أَلْفَيْنِ ضَلُوعًا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ وكفى به حجة وبرهاناً^(١٣).



قال الله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَافِيلُ... إِلَى... وَارْكَبُوا نَحْ أُولَئِكَ﴾ من آية (١٠) إلى نهاية آية
 (٤٣).

التاسعة: من بداية هذه الآية إلى آية (١٤٢) ورد الكلام عن بني إسرائيل، وقد تحدث القرآن
 الكريم بالإسهاب عنهم فيما يفر من جزء كامل، وذلك يدل على عناية القرآن بكتشف حقائق
 اليهود، وإظهار ما انطلت عليه نفوسهم الشريرة من غيب وكيد وتدمير حتى يحذرهم
 المسلمون، أما وجه العناية فلا والله تعالى لما دعا البشر إلى عبادته وتوحيده، وأقام للناس
 الحجج الواضحة على وحدانيته ووجوده، ثم دافعهم عما أنعم به على أبيهم آدم عليه السلام،
 دعا بني إسرائيل خصوصاً - وهم اليهود - إلى الإيمان بخاتم الرسل وتصديقه فيما جاء به
 عن الله، لأنهم يصفونه مكتوباً عندهم في التوراة، وقد نقض القرآن في مخاطبتهم، فتارة دعاهم
 بالملاطفة وتارة بالتحذير وتارة بالتذكير بالنعم عليهم وعلى آبائهم، وأخرى بإقامة الحجج
 والتوبيخ على سوء أعمالهم، وهكذا انتقل من التذكير بالنعم العامة على البشرية في تكريم أبي
 الإنسانية، إلى التذكير بالنعم الخاصة على بني إسرائيل.

(١١) البحر المحيط ١٤/١.

(١٢) اكتشاف ٩٥/١.

(١٣) انظر الشقين الفصل في كتاب النبوة والأنبياء.

واغفر لنا عذابنا ﴿لَقَدْ نَزَّلْنَا سُورَةَ هَٰذَا﴾ أي نزلنا سورة هود ونكفر سيئاتكم ﴿وَسَيُؤَيِّدُ الْتَّائِبِينَ﴾ أي يزيد من أحسن إحساننا بالشواب العظيم والأجر الجزيل ﴿وَعَذَابُ الْكَافِرِينَ شَدِيدٌ﴾ أي غير المغامون أمر الله فقالوا ﴿لَوْ لَا غَيْرُ الْكَافِرِينَ﴾ أي لئن لم يكن غير الكافرين على آثامهم، وقالوا على سبيل الاستهزاء: «حبة في شجرة» وسخروا من أوامر الله ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَ الْفِرْعَوْنَ عَذَابًا بَظُهُورِهِ أَشَدُّ مِنْ أَشَدِّ عَذَابِ الْغُلَامِ﴾ أي أنزلنا عليهم طاعونا وبلاء ﴿بَيْنَا كَانُوا يَقُولُونَ﴾ أي بسبب عصيانهم وخروجهم عن طاعة الله، ورئى أنه حات بالطاعون في ساعة واحدة منهم سبعون ألفاً.

البلاغ ٢٤٤

أولاً: إنما قيد البحث بعد الموت ﴿فَمَنْ يَمُنُّكَ نَزَلَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي من ربكم، لزيادة التأكيد على أنه موت حقيقي، وله فاع ما بعده إنزلهم أن يمتنع من أن يعد إغواء أو يعد قوم ثانياً: في الآية إيجاز بالحذف في قوله ﴿فَمَنْ يَمُنُّكَ﴾ أي قلنا لهم: كلوا، وفي قوله ﴿وَمَا تَكْفُرُوا﴾ تقدير: فظلموا أنفسهم بأن كفروا وما ظلموا بذلك، دل على هذا الحذف قوله ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَتَيْنَهُمْ بِكُتُوبٍ﴾ والجمع بين صيغتي الماضي والمضارع ﴿فَلَمَّا﴾ و﴿يَكْفُرُوا﴾ للدلالة على تواليهم في الظلم واستمرارهم على الكفر^(١).

ثالثاً: وضع الظاهر مكان الضمير في قوله ﴿فَلَمَّا عَلَ الْفِرْعَوْنَ عَذَابًا﴾ ولم يقل: فأنزلنا عليهم لزيادة التوضيح والمبالغة في الذم والتعريض، وتكثير ﴿يَمُنُّكَ﴾ للتوبيخ والتعظيم^(٢).
 ثانياً: قال الراغب: نخصيص قوله ﴿وَمَنْ يَمُنُّكَ﴾ هو أن العذاب ضريراً: ضرب قد يمكن دفعه، وهو كمن عذاب جاء على يد آدمي، أو من جهة المخلوقات كالهدم والغرق، وضرب لا يمكن دفعه بقوة آدمي كالطاعون والصاعقة والموت وهو المراد بقوله ﴿يَمُنُّكَ﴾^(٣).



قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نُوحًا ذُرِّيَّتَهُ إِذْ يَبْزِيهِ . . . إِلَى . . . وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِ زَلَّاتِهَا﴾ أي نوحاً وأولاده إلى نهاية آية (٦٢).

الشمسية، لا تزال الآيات تعدد النعم على بني إسرائيل، وهذه إحدى النعم العظيمة عليهم حين كانوا في التيه، وعطشوا عطشاً شديداً كدرا يهلكون معه، فهداهم موسى ربه أن يمشيهم، فأوحى الله إليه أن يصرب بمصاة الحمبر، فتصربت منه عيون بقدر ثباتهم، وكانوا التي عشرة قبيلة، فجرى لكل منها جدول خاص، يأخذون منه حاجتهم لا يشاورهم فيه غيرهم، وكان موضوع أسفياً آية باهرة ومعجزة ظاهرة لأسيدنا موسى عليه السلام ومع ذلك كفروا ورجلوا.

اللقية: ﴿أَمْسَيْنَ﴾ قلب السقي لقومه؛ لأن السنين والثناء للعلب مثل: استنصر واستنصر، قال أبو حيان: الاستيقاء: طلب الماء عند عذمه أو قلته، ومفعوله مخلوق أي استسقى موسى

(٢) إرشاد العقل السليم ١/ ٨٢.

(١) الفتوحات الإلهية ١/ ٥٧.

(٣) هاشم: التأويل ١/ ١٣.

ثالثاً: ﴿إِذْ أَخَذُوا مِيثَاقَهُمْ مِنَ الْأَمْصَارِ وَبَدَأَ مِنَ الْبَلَدَانِ أَيَّاماً كَثِيراً فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ﴾
 أم قال تعالى: ﴿وَمِنْهَا عَلَى صَلَاتِهِمْ وَسُقْيَاهُمْ وَعُذُّهُنَّ﴾ ﴿وَمِنْهَا أَيَّامٌ كَثِيراً﴾
 أي لزمهم الذل والهوان وخرب منهم الصحار والغري الأذى الذي لا يضرهم متى الحياه
 ﴿وَبَدَأَ بِمَنْزِلِهِ رَبُّهُمُ الْفُؤَادَ﴾ أي انصرفوا ورجعوا بالغضب والسخط الشديد من الله ﴿وَبَدَأَ بِمَنْزِلِهِ رَبُّهُمُ الْفُؤَادَ﴾
 نالوه من الذل والهوان والسخط والغضب بسبب ما قسروا من الجور ثم استنصروا
 بكفركم بآيات الله ورسوله ﴿وَبَدَأَ بِمَنْزِلِهِ رَبُّهُمُ الْفُؤَادَ﴾ أي بسبب كفرهم بآيات الله جحداً واستكباراً
 وقتلهم رسول الله صلواته ورسوله ﴿وَبَدَأَ بِمَنْزِلِهِ رَبُّهُمُ الْفُؤَادَ﴾ أي بسبب عصيانهم وطغيانهم
 ونردهم عن أحكام الله ثم دعا لعالم أصحاب الفعل والعلل المؤمنين واليهود والنصارى
 والمسلمين إلى الإيمان الصادق وإخلاص العمل لله وساقه بصيغة المحرف فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
 المؤمنون أتباع محمد ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اليهود أتباع موسى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ النصارى
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قوم عدلوا عن اليهودية وبصارية وعبدوا الملائكة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي
 من آمن من هذه الأمم التي يسألنا ميثاقاً فغضبك بالله وأبشرك بالآخرة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي
 بطاعة الله في دار الدنيا ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي لهم ثوابهم عند الله لا مخرج من عذاب دوة
 ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهُمْ﴾ أي ليس على هؤلاء المؤمنين خوف في الآخرة حين يحذف
 الكفار من العقاب. ويجزأ المفسرون على تصنيف العمر ونوعه الثواب.

للبلاغة

أولاً: في إنشاده الروي إلى الله تعالى ﴿يَكْفُرُوا وَيَكْفُرُوا﴾ يزي أياً عظيمة للمسلمة والإنسان
 وإيمان إلى أنه رفق حاصل من غير تعب ولا مشقة

ثانياً: هي التصريح بذكر الأرمي ﴿وَلَا تَكْفُرُوا﴾ ﴿وَلَا تَكْفُرُوا﴾ مبالغة في تفجيع الخصام وأولاه
 ﴿تَكْفُرُوا﴾ حال مؤكدة. ووجه فصاحة هذا الأسلوب أن المتكلم قد نشأ عليه أن يحسن
 الأمر أو ينهي ما يحرم سوله ليس أو شك. ومن مظهر هذه العناية التوكيد في قوله ﴿تَكْفُرُوا﴾
 كسر اللين عن الفساد قوة، ويجعله بعداً من أن يفعل بعد أو ينسى.

ثالثاً: قوله تعالى ﴿يَكْفُرُوا﴾ تعني الحقيقة الحقيقية هو الله سبحانه عليه محاز يسمى
 المحاز العقلي ومرتفعه السببية. لأن الأرض لما كانت بها أثبتت أسد إليها.

رابعاً: قوله ﴿وَكَيْفَ يُكْفِرُ﴾ كذا من إيمانهم بهم كما تحبط الغيبة عن
 صيرت عليه كما قال الشاعر:

إن السحابة والسمرة والسدي هي فيه ضربت على من المشرح
 حاسداً فزيد قلبي الأبياء بقوله ﴿يَكْفُرُوا﴾ مع أن تظلم لا يكون بحق آتية إنما هو لزيادة
 التضييع بفتح مدحاه

المحاضر:

الأول: حكى الطبري أن أقوالاً كثيرة في العصر النبوي، صرحه موسى فخرجت منه الحجة، وأما
وكيف وأشياء؟ قد صرح صمدنا عن هذه الأقوال والروايات، فليعلم، معنى الآية، وأما قصة إسماعيل
عليه السلام، فمن أم وجه الحجة، وأن الحجة التي صرحه موسى كان من العصر لأهم لدى الناس
من شأنه الاعتقاد بالآراء، وما يكون من الحجة أو خروج، وإليه من السطح، فإن الشخص البصري، أنه
أما، أن يصرح بحجة، فإنه لا. وهذا الظاهر في الحجة، وليس في العصر.

تدبيرة لسان قبيح. ما تحكيه في هذه المأدبة التي عشوة جلاء؟ والجواب أن هؤلاء هم من طائفة كثيرة من الكتاب في المديح والثناء إذ اشتد بهم الحسد من العلم ثم وحطوا فونه بجمع بينهم فتشاجر وتنازع ما بين هذه النخبة من أنبياء لكل منهم ما يدعيه على غيره من أنبياء كثير المنيعة منهم دابة يعرفون ما بين عشرون إلى عشرين.

فإنه ذهب بعض المفكرين إلى أن المركز المفعول في قوله ﴿وَيُؤْتِيهِمُ الْحِطَّةَ﴾، والأمر مع أن
المفعول فيه المفعول، بما قبل قوله من معبود قلوبهم، وبذلك اشتراط التبعيل بعده فإن المفعول
الذي في الترتيب أعلى العنصر والفعل من الحطة، واستند يفرض على ذلك بقوله ﴿وَيُؤْتِيهِمُ الْحِطَّةَ﴾
وأنهم قد ناسوا أن المفعول في قوله ﴿وَيُؤْتِيهِمُ الْحِطَّةَ﴾ هو المفعول في قوله ﴿وَيُؤْتِيهِمُ الْحِطَّةَ﴾
بمعنى يؤتيهم الحطة والعصاة.

דבר

فَقُلْ لِمَنْ نَحْنُ عِبَادٌ خَالِقُونَ
إِلَىٰ خَلْقِهِ رُجُوعُونَ ﴿١٦٠﴾

الذي إذا تذكرهم عانى النعم للحيلة الغضبية أدرك ذلك ببركاته ما حذرهم من معصيته
كفرهم وعبادتهم وبصرهم على آراهم لله فقد كفروا النعمة، وغض البشاق واستبدوا في
نفسهم نعم الله في فردة، وهذا أشد كل أمة عدت عن أمر ربها وعصت رسله
سورة ﴿مِثْقَاتِكُمْ﴾ الميثاق العهد العرفاني يمين وحموة وانذارية هذا العمل والحكام
الشرعية ﴿أَهْلُوا﴾ هو الحبل الذي قام الله عليه موسى عليه السلام ﴿يَوْمَ﴾ يحرم بصره
﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ اتشروا، الإعراض عن الشريعة والإعراض عنه ﴿مَدِينٍ﴾ جمع خاصين وهو تعجيل
العمارة، قال ابن كثير: الغنائم، الصغار الصغار لم تطرد كالخنازير إذ أمر الناس فبيئوا
بها أي شاعوا وانتفردوا بها ﴿تَكْفُرُ﴾ التكفارة، المغفرة المستبددة، حرة ولا يقال لكن
مغفرة تكفير، حتى تكون جرة ذنابة

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُمْ فَوَاحِشَ حَقٍّ وَإِنَّهُمْ لَمَّا بِهِ لَأَخَذُوا مَذْمُومًا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾

وَأَنْتُمْ قُلْتُمْ لَهُمْ كُونُوا زُرَّةً خَبِيرِينَ ﴿٦٠﴾ قَسَمْنَا لَكَ يَا بَنِي إِدْرَا وَنَا خَلْقًا وَمَوْعِدَةً لِلنَّبِيِّينَ ﴿٦١﴾
 التفسير ﴿كُونُوا زُرَّةً خَبِيرِينَ﴾ أي اذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا منكم العهد الموكد على
 العزم بما في التوراة ﴿وَقَسَمْنَا لَكَ يَا بَنِي إِدْرَا وَنَا خَلْقًا وَمَوْعِدَةً﴾ أي نقسم لك يا بني إسرائيل
 ﴿خَلْقًا وَمَوْعِدَةً﴾ أي ما نؤاخذ به من الذنوب بعد رحمة ﴿وَأَنْتُمْ قُلْتُمْ لَهُمْ كُونُوا زُرَّةً﴾ أي اعطوهم ولا
 تسوء ولا تمنوا عنه ﴿مَنْ لَكُمْ تَقْوَى﴾ أي لتصور الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، أو رجاء
 منكم أن تكونوا من فريق المنفين ﴿فَمَنْ تَوَلَّيْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي عرفتم من المشرك بعد أحده
 ﴿فَمَنْ لَكُمْ تَقْوَى﴾ أي بقبول التوبة ﴿وَأَنْتُمْ قُلْتُمْ لَهُمْ كُونُوا زُرَّةً﴾ أي عرفتم من المؤمنين
 لكنتم من الهالكين في الدنيا والآخرة ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْآيَاتِ الْكَافِرِينَ﴾ أي عرفتم ما فعلنا
 بمن عصى أمرنا حين خالفوا وصعدوا يوم السبت وقد نهيناهم عن ذلك ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا زُرَّةً
 خَبِيرِينَ﴾ أي مسحناهم قردة بعد أن كانوا بشر مع الأدلة والإهانة ﴿قَسَمْنَا لَكَ يَا بَنِي إِدْرَا وَنَا خَلْقًا
 وَمَوْعِدَةً﴾ أي عقوبة راحرة من يأتي بعدها من الآسم ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ أي جعلنا مسخه قردة
 عبرة لمن شهده أوصيائه، وعبرة لمن جاء بعده ولم يتعدها ﴿وَمَوْعِدَةً لِلنَّبِيِّينَ﴾ أي عصة
 وذكرى لكل عبد صالح متى له سبحانه وتعالى

البلغا.

أولاً ﴿خَلْقًا وَمَوْعِدَةً﴾ فيه إيجاز بالحذف أي قلنا لهم حدراً وهو كما قال ابن محشر
 على إرادة القول

ثانياً ﴿كُونُوا زُرَّةً خَبِيرِينَ﴾ خرج الأمر من حقيقة إلى مرمز الإهانة والتحقير. وقال بعض
 المفسرين. هذا أمر تخيير وكبر، فهو عار عن تعلق القدرة بتعليلهم من حقيقة التبشيرة إلى
 حقيقة القردة.

ثالثاً ﴿يَا بَنِي إِدْرَا وَنَا خَلْقًا وَمَوْعِدَةً﴾ كناية عن أني قلنا أو أني بعدها من الأسم والخلائق، أو
 عبرة لمن تقدم ومن تأخر.

القوائد الأولى. قال النفاذ. إما قال ﴿يَسْتَفْتِكُمْ﴾ رثم على: (مواثيقكم) : لأنه أراد يثاق من
 واحد منكم أقواه ﴿فَمَنْ يَخْلَعُكُمْ بِلَفْلَافٍ﴾ أي يخرج كل واحد منكم طلقاً.

الاسم قال معمر أهل اللطائف. كانت نفوس بني إسرائيل من تعلقات عصبانها تحبط في
 عشواء حائلة الجباب. وتخطر من غاوتها وأغلوها في شللي كبر وإعجاب، فلما أمروا بأخذ
 التوراة ورأوا ما فيها من أعمال ثارت نفوسهم فرجع الله عليهم الجبل موجدود ثقل مما كانوا،
 فهاهنا عابده حمل التوراة قال الشاعر:

إس اخه يدعى بالبراهيمي من أبيه فإن لم يجب نأده يضر الصولح^{٢٢}

الثالثة: إنما خص المنافقين بإضافة الموعظة إليهم ﴿وَتَذَكَّرُ أَلْفٌ مِّنْهُمْ﴾ لأنهم هم الذين يستمعون بالمعظة والتذكير قال تعالى ﴿وَتَذَكَّرُ أَلْفٌ مِّنْهُمْ﴾

□ □ □

قال ابن عباس: ﴿أَلْفٌ مِّنْهُمْ﴾ أي ألف من هؤلاء المنافقين... إلى... ﴿وَمَا أَتَىٰ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِّنْ آيَةٍ﴾ (٦٧) إلى نهاية آية (٧٤)

المذكورة، لما ذكر تعالى بعض فرائج اليهود وسراتهم، من نفث العواتيق، واعتدائهم في السنن، وإعراهم على الله عز وجل في تصديق شرايته العزيم، أعنيه بذكر نوع آخر من معادلتهم ألا وهو مخالفتهم للأبيات، وتكذيبهم لهم، وعدم مسارعتهم لأمتثال الأوامر التي يوحىها لهم إليهم، ثم كثرة اللجاج والتمناه للرجل صلوات الله عليهم، وحفاهم في مخالفة نبيهم الكريم موسى عليه السلام، إلى آخر ما يتألف من فرائج وسائر.

الطبعة: ﴿مُزَوَّرٌ﴾ اليهود: المخرقة وهم الظالمين، وقيل: ﴿مُزَوَّرٌ﴾ وهو ﴿صُغْرًا﴾ وأكبره، والمعنى على حذف مصاف أي أنتهزنا موضع عزرك؟ أو يحسن المصدر على معنى اسم المفعول أي أنتهزنا موضعنا، ﴿فَارِضٌ﴾ الفارض: الهرمة المسنة التي كبرت وطمنت في السن كذا في لسان العرب قال الشاعر:

لعمري لقد أعطيت صيفك فارضاً تساق إليه ما تخوم على رجل
لله نعمة يكره فبرصه مسنة فكف سحاري بالسودة والفص^١

﴿مُزَوَّرٌ﴾ وسه ليست بمسنة ولا مخرقة، وقيل: هي التي ولدت بطناً أو بطنين ﴿فَارِضٌ﴾ المنزع. شدة المخرقة يقال: مخرقة كما يقال: أحمر فاني في شدة الحمرة قال الخليلي: وهو مطير الفصوع في اليد من ﴿مُزَوَّرٌ﴾ أي مائلة لا يعمل يقال: دبة فبول أي رغبة زلت صموتها فقوله ﴿لَا تُؤْثِرُونَ﴾ أي لم تذاكل لإثارة الأرض أي لحراثتها. ﴿تَنْتَلُهُمُ﴾ من الصلاة أو عناية امرأة من العيوب ﴿يُذَيِّبُهُمُ﴾ الذئب: الذئبة التي تلهو بها الغلبة عني الخون الأصلي قال الطبري: ﴿لَا يَتَّبِعُهُمُ بَينَهُمْ﴾ أي لا يباين ولا سر ويحالف لهمها^٢ ﴿فَارِضٌ﴾ أي مدانتم واستغنتم ونزاعتم وأحسنها فدارتم أذعنتم أثناء في اللان، وأنهم يهزموا من ليس حول بها إلى قسور بالان كن ساروا دارتم، ومعنى المخرقة: المخرقة لا تذا من المخرقين كان بد أعلى، وآخر أي تدفع، وفي الحديث: دعوا الحدود بالشبهات. ﴿تَنْتَلُهُمُ﴾ التفتة: الصلاة وتقيضها مرفقة ﴿يَنْتَلُونَ﴾ انتفق: التصديق بطون أو عرض ﴿يَهَيِّلُ﴾: الهيرط الزول من أعلى إلى أسفل.

معجزة إحياء ميت وقصة البقرة

ذكر القصص: روى ابن أبي حاتم عن عبيدة السلماني قال (كان رجل من بني إسرائيل عقيماً لا

(١) مضعر الطبري (١/١٧)

(٢) حر المحيط (١/١٨)

يولد له وكان له مال كثير ، وكان ابن أمية وارثه فقتله ثم احتضله ليلا ثم ضعه على باب رجل منهم ، ثم أصبح يذبحه عليهم حتى نكحوا وركب بعضهم على بعض ، فقال ذو الرأى منهم والله! سلام يمشي بعضنا بعضه وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى عليه السلام وذكروا ذلك له فقال : **هَؤُلَاءِ كَذِبُكُمْ أَن تَدْعُوا نَارِي** قال : ولو لم يعرضوا لأجوات حنثهم أدنى بقرة ، ولكنهم شددوا تشدد الله عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أسروا بذبحها ، فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها ، فقال : والله لا أنقصها من ملي ، جالعا ذبا ، فاشتروها بملي ، جلدها ذبح فذبحوها فصرروا بعضها فقام ، فقالوا : من تلك؟ قال : هذا ، وأشار على ابن أمية ثم مال ميت ، فلم يعد من ماله شيئا فلم يرث خاتل بعد^{١١١} وفي رواية (فأخذوا الغلام قتلوه).

[illegible][illegible]

سعتدي إلى معرفتها إن شاء الله، ولو لم يقولوا ذلك لم يهتموا إليها أبدا كما ثبت في الحديث ﴿كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَقَالَ لَا دَوْلَةَ لِيَوْمِ الْأَرْضِ وَلَا نَفْسٍ لِمَوْلَةٍ﴾ أي تسميت هذه البقرة مسخرة لنعراته الأرض، ولا لستغاية الزرع ﴿مُسَلَّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ أي سليمة من العيوب ليس فيها لون أصفر يخالف لونها فهي صفراء كلها ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يَخْلُقُ الْفَلَكَ﴾ أي الآن يستحق لنا يانا شافيا لا خصوص فيه ولا لبر، قال تعالى إخبارا عنهم: ﴿فَذَبْحُوا وَنَا كَذَابًا يَفْتُلُوكَ﴾ لغلاء نستها أو خوف التفضيح. ثم أخبر تعالى عن سبب أمرهم بذبح البقرة، وعما شهدوه من آيات الله الباهرة، فقال ﴿وَرَأَوْا نِسْفَةَ نَسْفَةٍ﴾ أي اذكروا يا بني إسرائيل حين قتلتم أنفسا ﴿فَأَذَرْتُمْ فِيهَا﴾ أي فخاصمتم وندافتم بشأنها، وأصبح كل فريق يدفع التهمة عن نفسه وينسبها للغير ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا تَكْتُمُ﴾ أي يظهر ما تخفونه ﴿فَقَالُوا أَتُحْيِي الْمَيِّتِينَ﴾ أي أضربوا القاتل بشيء من البقرة بحيا ويخبركم عن قاتله ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ الْفُتُورَ﴾ أي كما أحيا هذا القاتل أمام أبصاركم يحيي الموتي من قبورهم ﴿وَلِيُخَيِّطَ لِكُلِّ شَيْءٍ قِسْرَتَهُ﴾ أي يريكم دلائل قوته لتفكروا وتندبروا وتعلموا أن الله على كل شيء قدير، ثم أخبر تعالى عن جفائهم وقسوة قلوبهم فقال ﴿ثُمَّ فَكَّ الْقُرْآنُ﴾ أي صلبت قلوبكم بما سطر اليهود فلا يؤثر فيها وعظ ولا تذكير ﴿وَبِئْسَ بَلَدًا﴾ أي من بعدوينة المعجزات الباهرة ﴿تَبَيَّنَ الْآيَاتُ لِقَوْمٍ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ أي بعضها كانت حجارة وبعضها أشد قسوة من الحجارة كالحديد ﴿وَلَقَدْ يَنْجَازُونَ مَا يَخْتَرُ بَيْنَ الْأَنْهَارِ﴾ أي ينفذون منها لأنهار الغزيرة ﴿وَلَقَدْ يَنْجَازُونَ مَا يَخْتَرُ بَيْنَ الْأَنْهَارِ﴾ أي من الحجارة ما يتصدع إشفاقا من عظمة الله فيبيع منه الماء ﴿وَلَقَدْ يَنْجَازُونَ مَا يَخْتَرُ بَيْنَ الْأَنْهَارِ﴾ أي ومنها ما ينضت ويرثي من رؤوس الجبال من خشية الله، فالحجارة تلين ونخسح، وقلوبكم بامعشر اليهود لا تتأثر ولا تليس ﴿وَمَا اللَّهُ بِكُنْزٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ أي أنه تعالى رقيب على أعمالهم لا يفتن عليه خافية، وسيجازيهم عليها يوم القيامة، وفي هذا وعيد وتهديد.

العلافة:

أولاً: قوله تعالى ﴿فَذَبْحُوا وَنَا كَذَابًا يَفْتُلُوكَ﴾ من إيجاز القرآن أن حذف من صدر هذه الجملة جملتين مفهومين من نظم الكلام والتقدير: فطلبوا البقرة الجامعة للأوصاف السابقة وحصلوها، فلما اعتلوا إليها قبحوها. وهذا من الإيجاز بالحذف.

ثانياً: قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَنْجَازُونَ مَا يَخْتَرُ بَيْنَ الْأَنْهَارِ﴾ هذه الجملة اعتراضية بين قوله: ﴿فَذَبْحُوا وَنَا كَذَابًا يَفْتُلُوكَ﴾ وقوله ﴿فَقَالُوا أَتُحْيِي الْمَيِّتِينَ﴾ والجملة المستخرجة بين ما شأنهما الاتصال نهي، تحلية بزيادة بها الكلام البليغ حسنا، وقائدة الاعتراض هنا إشعار المخاطبين بأن الحقيقة ستجلي لا محالة.

ثالثاً: ﴿ثُمَّ فَكَّ الْقُرْآنُ﴾ وصف القلوب بالصلابة والغلظ يراد منه ثبوتها عن الاعتبار، وعدم تأثرها بالمواعظ، ففيه استعارة تصريحية قال أبو السعود: القسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لثبوت قلوبهم عن التأثر بالغلظ والقسوة التي تمنع منها أنجبال وتلين بها المنحور^(١).

(١) يرواه العقل السليم ٩٠/١.

وايضاً: ﴿فَهِيَ كَالْحَبَاذَةِ﴾ فيه تشبيه يسمى (مرسلاً مجسلاً) لأن أداة التشبيه المذكورة ووجه التشبيه محذوف.

خامساً: ﴿لَمَّا يَنْفَجَرُ بِهِ الْفَجْرُ﴾ أي ماء الأنهار، والعرب بطلقوا اسم الممحل كالنهر على الحال فيه كالماء، والقرينة ظاهرة لأن الفجر إنما يكون للماء، ويسمى هذا مجازاً مرسلاً.

المفوائد

الفائدة الأولى: فيه قول تعالى: ﴿قَالَ أَهْوَأُ يُادُوْهُ أَمْ آخُوْهُ مِنْ فُلْهَيْلٍ﴾ على أن الاستهزاء بأمر من أمور الدين جهل كبير، وقد منع المحققون من أهل العلم استعمال الآيات فأمثال يضربونها في مقام المزح والهزل، وقالوا: إنما أنزل القرآن للتدبر والخشوع لا للتسلي والتفكك والمزاح.

الثانية: الخطاب في قوله: ﴿فِيْهِ ذَلَّلْتُ نَفْسَكَ﴾ لليهود المعاصرين للتبني ^١ وقد جرى على الأسلوب المعروف في مخاطبة الأقوام، إذ ينسب إلى الخلف ما فعل السلف إذا كانوا سائرين على نهجهم، راضين بفعلهم، وفيه توبيخ وتفريع للناظرين والحاصرين.

الثالثة: هذه الواقعة واقعة (قتل النفس) جرئت قبل أمرهم بذبح البقرة، وإذا وردت في الذكر بعده والسر في ذلك التشويق إلى معرفة السبب في ذبح البقرة، والتكرير في التفريع والتوبيخ قال العلامة أبو السعود: وإنما غُيِّرَ الترتيب لتذكير التوبيخ ونشئة التفريع، فإن كل واحد من قتل النفس المحرمية، والاستهزاء بموسى عليه السلام والآفات على أمره جناية عظيمة جديدة بأن شئى عليهم ^(١).

الرابعة: ذكر تعالى إسماء المومنين في هذه السورة الكريمة في خمسة مواضع:

أ- في قوله: ﴿لَمْ يَسْأَلْكُمْ نَبِيٌّ نَّفُو تَزِيكُمْ﴾.

ب- وفي هذه القصة: ﴿فَلَمَّا أَصْرَبُوا بِمَقْعَتِهَا﴾.

ج- وفي قصة الذين حرقوا من ديارهم وهم ألوف: ﴿فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ تَوَفَّوْا ثُمَّ انْجَبَهُمْ﴾.

د- وفي قصة عزيز: ﴿فَإِنَّمَا أَقْبَدْتُمُوهُ فَارْتَدَّ بِأُخْرَىٰ ثُمَّ قُتِلَ﴾.

هـ- وفي قصة إبراهيم: ﴿وَبِأَيِّ سَكْنَةٍ نَّتَمَنَّىٰ لِقَىٰ رَبِّكَ﴾ ^(١).

الخامسة: ﴿وَأَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحَبَاذَةِ أَوْ أَشَدُّ قُوَّةً﴾ بمعنى قبل، أي بل أشد قسوة

كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ يَاقُوتَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَنِ ادْخُلْ بِلَادَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وقال بعضهم: هي للتشديد أو التحجير، فمن عرف حالتها شبهها بالمعجزة أو ساءل أفسى كالعديد، ومن لم يعرفها شبهها بالحجارة، أو قال: هي أفسى من الحجارة.

السادسة: ذهب بعض المفسرين إلى أن الخشب هنا حقيقية، وأن الله تعالى جعل لهذه الأحجار خشية خدرها كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَشْيَاءَ يُشْعِرُونَ﴾ بل هو من باب للمجاز كقول الفائل: قال الحائط للسمار: لِمَ تَشْقِي؟ قال: سل من بدني والله أعلم.

(١) أنباء العلامة ابن كثير.

(٢) إرشاد العقل السليم ٩٠/١.

قَالَ اللَّهُ مَعَالَى ﴿الْمُتَّقِينَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا مِنْ قَبْلُ وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ... إِنَّهُمْ ... أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٦﴾

الفاضية سادكو نعلی عناد اليهود، وعدم امتثالهم لأوامر الله تعالى، ومحادثتهم ثلاثياً، الكرام وعدم الاتقياء والإدعاء، عقب ذلك يذكر بعض القبايح والفجرائم التي ارتكبوها تتعريف بسلام الله تعالى، ولعنهم بأهم أحياب الله، وإن كان من نهمهم إلا بضعة أيام قليلة، إلى آخر ما دام عليه من أمثاله كثيرة ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، وقد بدأ تعالى الأبيات بـهـيـس السماويين من بينهم؛ لأنهم نفروا على الصلوات وجعلوا على العباد والمكاتب

ملغية: ﴿التَّقْوَى﴾ الطمع: تعلق النفس بشيء مطلوب تعلُّقاً قوياً، فإذا اشتدَّ فهم طمع، وإذا ضعُف كان رِجاء ورغبة ﴿قُرْبَى﴾ القربى: الجماعة؛ وهو اسم صحيح لا واحد له من لفظه والوحد والمقوم ﴿كَيْدُ الْيَهُودِ﴾ الخديفة: التشبُّل والتظهير، وأصله من الاتحارب عن الشيء ﴿عَقْلُوهُ﴾ جعل الشيء أدركه بطلته، السراقة: فهو، وعمره: ﴿يُسْأَلُ﴾ جمع أمي وهو الذي لا يحسن القراءة والكتابة، سمي بذلك نسبة إلى آدم، لأنه باق على ما ولدته عنه أمه من عدم المعرفة ﴿ثَمَرُ﴾ جمع أمية وهي ما يتعمده الإنسان ويشتبهه، أو يقدره على نفسه من ثَمَرٍ ولذلك تتفق على الكذب قال أنفاسي للإنسان أهدأ الشيء، لأنه أم تارة أي اختافته، وثاني: من قرأ فإن حسان تدعى كتاب الله أول ليلة... ﴿قُرْبَى﴾ الولي: الهلاك والضمار وقيل: العصاة والعزبي. وهي كلمة تستعمل في الشر والعذاب قال الغففي. هي غاية نوعيه والتهديد يكون ﴿إِنَّ الْقُلُوبَ﴾ وقال مكيه: وبارئ من هلكة، ويوحى لمن أشرف عليها.

سندھ لٹریچر

١ - نزول هي: **الأمير كاتوا** - **عقبة اليهود** وبعثهم **جوار وشماعة** وكانوا يردون لوامد الحوا
 فقام **الامد حاتم** **القصير** **أبو نبيط** **الكر** **الآفة**

2- وزیر مچھند عیسیٰ ابن جبارس نے یہودیوں کا یہ قول: "ہم خدا کے آسمان سے
 اور اس کا تعبد پر کل آسمان سے ہر ماں کے لئے ایک ایسا معبود بنائے گا۔ اللہ تعالیٰ فرماتا ہے کہ:

[illegible]

أَفَلَا تَلَّامُونَ ﴿١٠٠﴾ بَيْنَ مَنْ كَفَرَ وَلَمْ يَكُنْ بِهِ خُطِيئَةٌ فَأَرْسَلْنَاكَ الْكِتَابَ فِيهَا شِهَادًا ﴿١٠١﴾ وَلَوْلَا دَعَاؤُكُمْ لَأَخْلَعْنَا بَيْنَهُنَّ أَسْجُوتَ الْخَبْثِ كُلِّ مِمَّا شِهِدُونَ ﴿١٠٢﴾

تفسير: يخاطب الله تعالى عباده المؤمنين بقوله: ﴿أَفَلَا تَلَّامُونَ﴾ أي أتعجبون يا معشر المؤمنين أن يسلم اليهود وينحلوا في دينكم ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَشْكُرُونَ كُفْرَهُمْ﴾ أي والحال قد كان طائفة من أحبارهم وعلمائهم يقولون كتاب الله ويسمعونه يينا حيا ﴿شَرُّ مَخْرُوءَةٍ مِنْ يَدِهِ مَا مَعْلُومٌ﴾ أي يعبرون آيات التوراة بالتبديل أو التاويل، من بعد ما فهموه وصبوه بعقولهم ﴿وَكَمْ يَلْمُزُوكَ﴾ أنهم يتركون جريمة أي أنهم يخاضعون على بصيرة لا عن شغل أو سبيل ﴿وَيَا لَعْنَةُ الْيَهُودِ إِنَّا لَكَاذِبُونَ كَاذِبٌ﴾ أي إذا احتضروا أصحاب النسي يوم قال السنافرون من اليهود أمنا بكم على الحق. وأن محمدا هو رسول البشر به ﴿وَيَا قَوْمَ لَا يَحْشُرُهُمْ إِنْ نَقِيَ﴾ أي إذا انعد واختل بعضهم ببعض ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْغَبْنَ فِي تَبْنِئِهِمْ﴾ أي قالوا عانس عبيهم. يخبرون أصحاب محمد بساتن الله بكم في التوراة من صفة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَيَا قَوْمَ لَا يَحْشُرُهُمْ إِنْ نَقِيَ﴾ أي كثر الحجة للمؤمنين عليهم في الأثرة في ترك الباع برسول مع انعم بصدقه ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي أقبلت لكم حقوق تمتعكم من أن أحدثوهم بما يكون لهم فيه حجة عليكم؟ والقاتلون ذلك هم اليهود لمن نافق منهم، قال تعالى ودا عليهم وريبى ﴿وَلَا يَشْكُرُونَ أَنَّهُمْ إِعْتَمَدُوا عَلَى اللَّهِ وَمَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي ألا يعلم هؤلاء اليهود أن الله تعالى يعلم ما يحسون وما يظهرون، وأنه تعالى لا يخفى عليه خافية، فكيف يقولون ذلك ثم يزعمون الإيمان؟

ولما ذكر حالى العلماء الذين حرفوا وبدلوا، ذكر النورانيين الذين قلدهم وشه لهم في الفضل سواء فقال ﴿وَرَبُّهُمْ أَشَدُّ لَاحِقًا لَاحِقًا﴾ أي من اليهود طائفة من الجهلة النورانيين الذين لا يعرفون الكرامة، الكتابة ليطلعوا على ما في التوراة بأنفسهم ويتحققوا بها ﴿وَلَا أُنَاقُ﴾ أي لا ما هم عليه من الأماني التي فاض بها أحبارهم، من أن الله يعفو عنهم ويرحمهم؛ وأن النار ليس تسهم إلا أيام معدودة، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، وأنهم أبناء الله وأحباءه إلى غير ما حالك من الأماني الفارغة ﴿وَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي ما هم على يقين من أمرهم، بل هم مقلدون لأبائهم، تقليد أهل العسى والغياء، ثم ذكر عدلى جريمة أولئك الرذلاء المنفصلين الذين أمروا المعادة في سبيل حطام الدنيا فقال ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ فَقَدْ جَاءَ بِهِ هَدْيٌ مُسْتَضِيءٌ﴾ أي هلاك وعذاب لأولئك الذين حرفوا التوراة، وكتبوا تلك الآيات المحرفة بأيديهم. ﴿وَمَنْ يَقُولْ عُدَاوَةٌ بَيْنَ اللَّهِ﴾ أي يقولون لأبائهم الأميين. هذا الذي جدونه من نصوص التوراة التي أمر لها فله على موسى عليه السلام، مع أنهم كشروا بأيديهم ونسبوا إلى الله كذبا وزورا ﴿يَنْتَحِزُّوا بِهِ﴾ أي فسد غلب لهم أي لينالوا به عرض الدن وبخطامها الفاني ﴿قَرَّبَلْ لَهُمْ بَيْنًا كَذِبًا﴾ أي فسد غلب لهم على ما فعلوا من تعريف الكتاب ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ﴾ أي ويل لهم مما يصيبون من الحرام والحلت ﴿وَيَا قَوْمَ لَا تَتَّبِعُوا الْهَيْدَ وَلَا الْكِبْرِيَاءَ﴾ أي لن تدخل النار إلا إيما قدامي، هي

السلام فإن العلامة أبو الحمزة زوى أن أحياء اليهود خافوا أنزال رسلهم فعمدوا إلى صفة كسبي يتخذه في الشجرة وكانت هي فيها حسن الوجه، حسن النشرة، أنحل العين، أسقر، ربيعة، نضربها وكتبوا مكانها طوائف الزرق، سبط الشعر فلما سألتهم العامة عن ذلك فرموا ما كانوا فرجا وأنه مخالف لما في التوراة فيكتبونه^(١).

الثانية: التحريف بقسميه وقع في الكتب المسيحية كالشجرة والإنجيل كما قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أما التحريف بمعنى التناوب أياها فقد وقع في القرآن من السجدة أو الملائكة، وأما التحريف بمعنى إسقاط الآية ووضع كلام بدلها فقد حفظ الماء منه كتبه العزيز ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ لِيُخْرِجَكُم مِّنْ هَٰذِهِ الدِّينِ﴾.

الثالثة: دوى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لما فُتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: جئتموني من كان من اليهود هذا، فقال لهم رسول الله: من أبركم؟ قالوا: بلان، قال: كذبتكم بل أبركم فلا فقالوا: صدقت وبررت، ثم قال لهم: هل أنتم صادقون عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبتنا عرفنا، كذبتنا كما عرفت في أمينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسير ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: اغتصروا والله لا يخلفكم فيها أبدا، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: هل أنتم صادقون عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: هل جعلتم في هذه الشاة سمًا؟ فقالوا: نعم قال: فما جددكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كذبا أن نستريح منك، وإن كنت نبيلا بهضمك»^(٢).



قال في هذا: ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبُيُوتَ﴾ يعني لا تقرأوا ولا تكتبوا ولا تفتقدوا... إلى... ولا تقرأوا... من آية (٨٢) إلى نهاية آية (٨٦).

فالمسند: لا تزال الآيات الكريمة تعدد جرثمت اليهود، وفي هذه الآيات أمثلة صارخة على هوانهم وحمايتهم وإسعادهم في الأرض، فقد تفرقت الأمم التي الذي أجد عليهم في التوراة، وقتلوا أنفسهم التي حرم الله، واستبدوا أكمل أموال الناس بالباطل، واستندوا على إخوانهم في الدين فأخرجوهم من الديار، فاستحقوا اللعنة واللعن في الدمار.

اللغة: ﴿يَتَّقُوا﴾ فيبقى: العهد المؤكد باليمين غاية التأكيد، فإن لم يكن مؤكداً لمجيء عهداً. ﴿يَتَّقُوا﴾ المحسن: اسم عام جامع لمعاني الخير، ومنه لين القول، ولأدب الحديث، وبتحقيق الكريمة، وهذه الفصح، والله... أولو قولاً حسناً فهو ممة لمصداق حذوف. ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ التولي عن نفسي: الإعراف عنه ورفضه وعدم قبوله كقوله: ﴿يَتَّقُوا﴾ بالتعريف عن من تولى عن يرة، وفوق بعينهم من التولي والإعراف عن فقال: التولي بالتجسس والإعراف بالقلب^(٣).

والفرع التريخ لأنهم جمعوا بين الكفر والإيمان، والكفر ببعض آيات الله كفر بالكتاب كله، ولهذا عقب الله تعالى ذلك بقوله ﴿فَمَا حَزَّ مِنْ قَلْبِكَ بِكَفَرِكُمْ إِلَّا يُؤْتِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي ما حزنه من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض إلا أذل وهو أن: وفتت وغضب في الدنيا. ﴿وَيَوْمَ أَقْبَضُوا رُؤُوسَهُمْ أَإِذَا كُنْتُمْ أَغْصَارًا﴾ أي وهم صغارون في الآخرة إلى عذاب أشد منه؛ لأنه عذاب خالد لا ينقضي ولا ينهي ﴿إِنَّمَا أَنتَ بِذَلِكُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وفيه وعيد شديد لمن عصى أوامر الله. ثم أخبر تعالى عن سبب ذلك العصيان والعدوان فقال ﴿أَلَمْ يَكُنْ أَهْلَ الْقُرُونِ أَنِ يُكَذَّبَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي أولئك الموعظون بما ذكر من الأوصاف القبيحة هم الذين استبدلوا الحياة الدنيا بالآخرة بمعنى اختاروها وأثروها عن الآخرة ﴿فَلَا تَحْزَنْهُمْ نَكَاتٌ﴾ أي لا يفتنهم عذاب سابعة واحدة ﴿وَلَا يَحْزَنُونَ﴾ أي وليس لهم ناصر ينصرهم، ولا مجير ينجدهم من عذاب الله الأكبر.

تفسير: كانت (توريفة) و(بنو النضير) من اليهود فعالت بنو خزيمة الأوس، وغزو النضير الحزوع، فكانت الحرب إذ نضمت بينهم قاتل كل مريد من اليهود مع حلفائه، فيقتل اليهودي أشاء اليهودي من الغريق الآخر، ويخربونهم من بيوتهم، وينهبون ما فيها من الأثاث والتمتع والمال، وذلك حرام عليهم في دينهم وفي نص التوراة، ثم إذا وقعت الحرب أوزارها أفكروا الأسارى من الغريق المملوك عملاً بحكم التوراة، ولهذا قال تعالى ﴿أَلَمْ يَكُنْ أَهْلَ الْقُرُونِ أَنِ يُكَذَّبَ بِمَا يَقُولُونَ﴾.

١ ﴿لَا تَسْتُرُوا لَأَنَّهُ﴾ خبر في معنى النهي، وهو أبلغ من صريح النهي كما قال أبو السعود نعم فيه من إيهام أن المنهي حقه أن يسارع إلى الانتداء فكانته نهى عنه. فحاشا بصيغة المحبر وأراد به كنهياً.

٢ ﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّمَا كُنْتُ﴾ رفع المصدر مرفوع الصفة أي قولاً مستأزراً حسن؛ للمبالغة فإن العرب ترفع المصدر مكان اسم الفاعل أو الصفة بقصد المبالغة فيقولون: هو عدو.

٣ التفسير في قوله ﴿يُؤْتِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ للتعظيم والتبجيل.

٤ ﴿فَتُؤْتُونَكَ أَنْفُسَكُمْ﴾ عو عن قتل النير بتل النفس؛ لأن من أراق دم غيره فكأن أراق دم نفسه، فهو من باب جاء جاز لأشياء ملازمة.

٥ ﴿أَلَمْ يَكُنْ أَهْلَ الْقُرُونِ أَنِ يُكَذَّبَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ الهمزة للإيماء التريخي.

الفائدة الأولى: جاء الترتيب في الآية بتقديم الأهم فالأهم، فقدم حق الله تعالى؛ لأنه أهم في الحقيقة على الأعيان، ثم قدم ذكر الوالدتين؛ لهما أهم في تربية الولد، ثم القرابة؛ لأن

ففيهم علة الرحمن وأجر الإحسان، ثم التمام: قفلة حبلهم، ثم الماكين: قصصهم
وسكتهم.

ثاني: ﴿ذُرِّيَّتًا يَتَّبِعُونَ خُفَاةً﴾ ولم يقل: رقبوا لإخوانكم أو تولوا المؤمنين حسنا ليدل على أن الأمر بالإحسان عام لجميع الناس، المؤمنين والكافر، وأبهر وأفادح. وفي هذا حصص على تكريم الأخلاق بين الكلام، وسط الوجه، والأدب الجميل: والخلق انكريم قال أحد الأدباء:

يُنَبِّئُكَ إِنَّ ظَهْرَ مُوسَى هَاهُنَا دُونَ طَبَقٍ وَهَٰذَا قَبْلُ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ دَخَلْنَا مُوسَىٰ ذَاتَ الْيَمِينِ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْوَيْلَ الْبَاسَ ۖ فَلَمَّا أَفْضَلْنَا
الْمِثْلَ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْطَّلَاسُوتَ﴾ مَرَاتِبَ (٨٧) إِلَىٰ نَهَايَةِ آيَةِ (٩٢).

الشفقة ﴿الرَّكَتَيْنِ﴾ الشفوة ﴿وَلَقَبْتُهُمَا﴾ أردنا وأنبئنا وأخبلنا من القفا يقال: ففاد إذا أنبعت، وأنفعا بكذا إذا أنبعت. ﴿الْقَبِيضَيْنِ﴾ المحضات الباهرات كإبراء الأكمه والأفريس، وإعيا، لمرش. ﴿وَأَلْبَنَتُهُ﴾ قويت، مأخوذ من الأبد وهو القوة ﴿بِرُوحِ الْقُدُّوسِ﴾ جبريل عليه السلام، والقدس الظهور والبركة ﴿شَرَفْتُ﴾ تحب، من قوري إذا أحب. ومصدره الهوى ﴿عَفَنُ﴾ جمع أغلف، والغلاف: الغطاء يقال: سب أغلف إذا كان في غلاف. وقلب أغلف أي حشور عن الفهم والتمييز. مستعار من الأغلف الذي لم يحسن. ﴿لَقَبْتُهُ﴾ أسأل اللسان في كلام المرء: الطرد والإبعاد يقال: ذهب لسين أي مطرود مبهذ، والسراد: قصاصهم وأبعدهم عن رحمة ﴿بَنَيْنِيكَ﴾ يستصرون من الاستفاح وهو طلب الفرح أي النصرة ﴿بَشَقًا﴾ أصنها بشر ما أي بشر: الذي، وبشر فعل لفظ، كما أن تعم للبدح ﴿عَفَا﴾ البخر: السعد والظنم، وأصله انفساد من بشر الجرح إذا فسده الأفعى ﴿فَتَأْتَرُ﴾ وجعوا، وأكثر ما يستعمل في الشر ﴿فَهَبْتُ﴾ مخز مثل مأخوذ من الهوا بمعنى الذل.

المعصية لا تنال الآيات فلا تحدث عن بني إسرائيل، وفي هذه الآيات التكريرة تفكير لهم يضرب من النعم التي أنعم الله به ثم فلبسوها بالكفر والإحرام، كعادتهم في مقابلة الإحسان بالإساءة، والنعمة بالكفران والجود.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسُسْهُمُ الْقُرْآنُ وَلَا الْحَيَاةُ وَلَا الْمَوْتُ يُعَذِّبُهُمْ رَبُّهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَوَسِّلُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسُسْهُمُ الْقُرْآنُ وَلَا الْحَيَاةُ وَلَا الْمَوْتُ يُعَذِّبُهُمْ رَبُّهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَوَسِّلُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسُسْهُمُ الْقُرْآنُ وَلَا الْحَيَاةُ وَلَا الْمَوْتُ يُعَذِّبُهُمْ رَبُّهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَوَسِّلُونَ ۝

خَلَقْنَا وَكَفَلْنَاهُم بِمَا ءَزَقْنَاهُمْ وَهُوَ الْحَقُّ مَصَدَّقًا لِمَا تَسْمَعُونَ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ثُمَّ اخْتَلَفْتُمْ أَلِفَةً يَوْمَ تَسْمَعُونَ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ

الْفُتُورُ ﴿٥١﴾ وَتَقَعْنَا عَلَيْهِمُ الْمِيزَانُ ﴿٥٢﴾ أَيُّ أَعْيُنِنَا جُورُكُمُ الْيَوْمَ ﴿٥٣﴾ وَتَقْبَسُكُمْ يَوْمَ تَبُوءُونَ ﴿٥٤﴾ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴿٥٥﴾ أَيُّ لُغَيْبِنَا حَيْسُ الْآيَاتِ الْبَارِئَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْوَاضِحَةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ نُبُوته ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ رُوحُ الْغَدِيرِ ﴿٥٧﴾ أَيُّ قَوَيْدِهِ وَشِدْدَتِ أَرْوَهِ جَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿٥٨﴾ أَتَذْكُرُونَ مَا أَتَوْا بِمَا لَا قُوَّةَ لَكُمْ بِهِ ﴿٥٩﴾ أَيُّ الْكَلِمَاتِ جَاءَكُمْ بِأَلْسِنَةِ إِسْرَافِيلَ رَسُولِ بَعَا لَا يُوَاقِنُ هَوَاكُم ﴿٦٠﴾ أَتَذْكُرُونَ تَقْرِيفًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيحًا تَقْتُلُونَ ﴿٦١﴾ أَيُّ نَكِيرٍ تَبْهَنُ مِنْ تَبَاهِهِ فُطَاعَتِهِ مِنْهُمْ كَذَّبْتُمْهُمْ وَطَاعَتِهِ فَتَلْعَمُونَهُمْ -

ثم أخبر تعالى عن اليهود المعاصرين للنبي ﷺ وبين خذلانهم في اقتدائهم بالأسلاف فقال حكاية عنهم ﴿وَقَالُوا قَوْلُ اللَّهِ كِبَارٌ﴾ أي في أكنة لا تغتبه ولا تعي ما تقول يا محمد، والمغرض إقناعه عليه السلام من إيمانهم، قال تعالى رؤا عنهم: ﴿بَلْ لَقْنَاهُمُ لَهْفًا بِكُفْرِهِمْ﴾ أي طردهم وأبعدهم من رحمته بسبب كفرهم وخذلانهم ﴿فَقِيلَ لَا مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي تغلب من يؤمن منهم، أو يؤمرن إسداناً فليلاً وهو إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم بالبحر الآخر ﴿وَأَنَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وهو القرآن العظيم الذي أنزل على خاتم المرسلين، مصدق لما في التوراة ﴿وَكُفَرُوا بِهِ﴾ قُلْ يَسْتَنبِئُونَ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ كُفْرًا ﴿أَيُّ وَهْدٍ كَانُوا قَبِيلَ مَجِيئِهِ بِمَنْصُورِهِمْ بِهِ عَسَىٰ أَعْدَانُهُمْ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ نَعْرِضْنَا بِالنَّبِيِّ الْمُبْعُوثِ آخِرَ الْإِنْسَانِ، الَّذِي نَعُدُّ نَسَبَ فِي التَّوْرَةِ ﴿فَقَالُوا جَاءَهُمْ مَا مَرَّمُوا بِكَفَرُوا بِهِ﴾ أي فلما بعث محمد ﷺ الذي عرفوه حق المعرفة كفروا برسالة ﴿فَلَقَدْ أَنشَرْنَا عَنْ الْكُفْرِ﴾ أي بعنة الله على اليهود الذين كفروا بخاتم المرسلين ﴿بَلْ كُنَّا أَنْشَرْنَا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي بنسب النسيء السافه الذي باع به اليهود أنفسهم ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا كَرَّرَ اللَّهُ﴾ أي كفروهم بالقرآن الذي أنزله الله ﴿بَقِيَّةً﴾ أي حسداً وطلباً لما ليس لهم ﴿أَن يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِهِ﴾ عَنْ مَنْ يُشَاقُّ مِنْ جِبَارِهِ ﴿أَيُّ حَسَدٍ مِنْهُمْ لِأَجْلِ أَن يَنْزِلَ اللَّهُ وَجِئاً مِنْ قَبْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْطِفُ مِنْ خَلْقِهِ﴾ ﴿تَأْتُوهُمُ بِغُفْلٍ غَافِلِينَ﴾ أي رجعوا بغضب من الله زيادة على سابق غضبه عليهم ﴿وَلَقَدْ كُتِبَ فِي كِتَابِ الْإِنشَاءِ﴾ أي وكتب مع الإحسان والإدلال؛ لأن كفروهم به التكرار والحمد فغفروا بالإحسان والصغلة ﴿قَوْلًا قِيلَ لَهُمْ تَابُوا يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي أنصروا بما أنزل الله من القرآن وصدقوه واتبعوه ﴿فَاتَّبَعُوا مَوْعِدَ يَمَّا أَنْزَلَ خَلْقَهُ﴾ أي يكتب الإحسان بما أنزل علينا من التوراة ﴿وَتَذْكُرُونَ مَا أَتَوْا بِمَا وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا تَقُولُونَ﴾ أي يكفرون، بالتفرد، مع أنه هو الحق مع افقار لما معهم من كلام الله ﴿قُلْ وَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي قل لهم يا محمد، إذا كان إيمانكم بما في التوراة صحيحاً فلم كنتم تقتلون أنبياء الله من قبل هذا كنتم فعلاً مؤمنين ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ أي يا أحمق انصاعوا ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمُ الْغَيْبَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ فِي هَذَا الصَّحِيحِ -

أَعْمَالِهِمْ فَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهَا ﴿قُلْ شَرَّكُمْ مِمَّنْ كَذَبُوا بُعِيثًا﴾ أي قل لهم يا محمد من كان عدو لجبريل فإنه عدو لله ؛ لأن الله جعله واسطة بينه وبين رسله فمن عاداه فقد عادى الله ﴿وَمَنْ كَذَبَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ يَبِئْسَ مَا لَهُمْ﴾ أي لمن كذب جبريل لأمرين : أن هذا القرآن علم ، قلبك يا محمد قد أمد الله تعالى ﴿شَيْئًا مِمَّا يَنْزِيلُ فِيهِ﴾ أي معصداً لم يفسده من الكتب السماوية ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ أي وفيه الممارسة للكفالة ، والاشارة بسارة المؤمنين ، جند الله ، من كان منافقاً فهو يتأذى بغيره ، وتؤذي به ، وسيفل ويبيكس ﴿أَيُّ مَنِ عَادَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وعادى على نحو الوجه الأصغر (جاء بن دحيكنايل) فهو كافر عدو لله ﴿مَنْ كَذَبَ أَنَّهُ نَزَّلَ بَعْثُيٌّ﴾ لأن الله ينزل من عادي أحد من أوليائه ، ومن عاداهم عاداه الله فبه الوعيد والتهديد الشديد .

سبب النزول : يرى أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنه ليس نبي من الأنبياء إلا يأتيه حدث من الملائكة من عنده ، والرسالة والوحي ، فمن صاحبك حتى تأتيك ؟ قال : جبريل ، فقلوا : ذلك الذي ينزل بالحر والبرق ، وبالمقال ذلك هو أنا ، أو قلت : ميكائيل الذي ينزل بالقطر والبرق ، فاجابهم : ذلك ما رآه الله ﴿قُلْ شَرَّكُمْ مِمَّنْ كَذَبُوا بُعِيثًا﴾ ﴿قُلْ شَرَّكُمْ مِمَّنْ كَذَبُوا بُعِيثًا﴾

البلاغة

١ - ﴿وَأَشْرَبِيْنَا فِي فَلَوْنِهِمْ تَتَضَوَّلُونَ﴾ فيه استعارة مكنية ، شبه حب عبادة المعجى بمشروب لذيذ سائغ الشراب ، وطوى ذكر العيشة به ، من شيء من لونه وهو الإشراب على طريق الاستعارة المكنية ، قال ابن تيمية البيان : هو هذه الاستعارة والشراب وصفه فلومهم بالعبادة في حب الله ، فكأنها نشرت ، منه فصار بها عبارة المشروب ، وتخلطها مع الخلقة التي ، الخلقة والآلة .

٢ - ﴿قُلْ يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ﴾ ﴿يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ﴾ استاء الأمر إلى الإنسان نهكم بهم تقوله ﴿أَسْلَوْكُمْ تَأْتُرُونَ﴾ وكذلك إضافة الإحسان إليهم ، أفاد المر مشى .

٣ - ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ أي أن الله ادبها ، لا أحد وحده ، وهي الحياة لاعتقالات التي يمر فيها الشخص آلاف المشين .

٤ - ﴿قُلْ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ النجدة واقعة في جملة أشراط وحى بها السجدة لزيادة التنبيه ؛ لأنها بعد الميثاق ، ووضع الظاهر موضع التفسير فقال : ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بدل عدو نهج لتسجيل حيلة الكفر عليهم ، وأنهم بسبب عدوهم الملائكة أصبحوا من الكافرين .

٥ - ﴿تَكْفُرُونَ﴾ جاء بعد ذكر الملائكة فهو من باب ذكر المعاصي بعد العام للتشريف

والعظيم

سورة

الأنبياء : ليس معنى السمع في قوله ﴿وَأَسْمَعُونَ﴾ يذكرون للقول فقط ، بل المراد سماع ما أمرو به في شؤره سماع تدبير واطاعة والقرار فهو مؤكد ومقرر لقوله ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾

الثانية - حص الفلسف بالذكر : ﴿رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَدُنْكَ﴾ . لأنه موضع العلم وتلقي المعارف كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ قَرَّبْتَ لَا تُفْقِدُونَ بِهَا﴾ .

الثالثة - الحكمة في الإيمان عا بالإن : ﴿وَلَنْ يَنْتَفِعُوا بِهَا﴾ وفي "جمعية بدلاء" ﴿وَلَا يَنْتَفِعُوا بِهَا﴾ أن ادعاءهم هنا أعظم من ادعاءهم هناك . فإنهم ادعوا هنا اختصاصهم بالحكمة ، وهناك كونهم أولياء الله من دون الناس ، فناسب هذا التوكيد لمن البغيدة للنفي في انحصار المستفيل ، ولما هناك فاكفى بالنفي^(١) .

الرابعة - الآية التكريمة من المحرمات لأنها إغتر بالغيب وكان الأمر كما أخبر ، ويكفي في تحقق هذه البعوضة أن لا يقع ثمنه ، الموت من اليهود الذين كانوا في عصره بئحة وفي الحديث الشريف دلل أن اليهود تسبوا الموت لما سبوا وأوعداهم من النار^(٢) .



فكان الله سبحانه : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آبَاءَكَ بِآيَاتِنَا﴾ . . . إني . . . لَمُؤْمِنٌ بِنِعْمَةِ رَبِّي فَاتَّقُوا اللَّهَ . . . ﴿١٠٣﴾ .

التفصيصة : لما ذكر تعالى ما جيل عليه اليهود من حيث السريرة ونقض العهد ، والكذب لرسل الله ومعداة أوليائه ، حتى انتهى بهم الحال إلى عدواة السطير بين الله وبين خلقه وهو جبريل ، الأمين عليه السلام ، أعجب ذلك ببيان أن من عادة اليهود عدم إوفائه بالعهود ، وتكذيب الرسل ، واتباع طرق الضلالة والفساد ، وفي ذلك تسلية لرسول الله ﷺ حيث سلكوا معه هذه الطريقة ، في عدم الأخذ بما انطوى عليه كتاب الله من التبشير بجنة السراج المنير ، وإلزامهم الإيدان به وتادعة فتيده ، انكتاب وراء ظهورهم ، وتبوء ما ألفت إليهم أئمة الجاهل من كتب السحر والشعوذة ، ونسبوا ما إلى سليمان عليه السلام وهو منها بوري ، وهكذا حالهم مع جميع الرسل الكرام ، فلا تذهب غشت عندهم حسرات .

اللفظة : ﴿بِئْسَ﴾ : البئس : التراج والإفهام ، ومنه سمي المنقبط منبوءاً لأنه ينبذ على الطريق قال الشاعر :

إن العسن أمرتهم أن يحدوا نبدوا كتابك واستحلوا تخمرها^(٣)

﴿تَلَوْا﴾ : تحدث وتروي ، من التلاوة بمعنى القراءة ، أو من التلاوة بمعنى الاتباع قال الطبري : ولعلوا الغافل وهو يتلوا كذا في كلام العرب معتان . أحدهما : الاتباع كما تقول : تلوت فلاناً إذا مثلت خلقه وتبعته أثره . والآخر : القراءة والدراسة كقولك : فلان يتلو القرآن أي يقرؤه^(٤) . ﴿تَتَّبِعُوا﴾ : قال الجوهري . كل ما لطف مأخذ ودق فهو سحر ، وسحره أيضاً بمعنى ضاع^(٥) .

(١) مغرطي ٣٣/٢ .

(٢) قصاري على الجلالين ١٩/١ .

(٣) طبري ٤٠٧/٢ .

(٤) مغرطي ٤٠/٢ .

(٥) الصحاح للجوهري

يعلمون ما جاء من علم السحر ، ويكون سبباً في انهيار بين روجين ، فبعد أن كان السحر
والحجة بينهما صبح الشقاق والفرق ﴿وَمَا لَهُمْ بِمَا يَصْنَعُونَ مِنْ السَّحْرِ أَنْ يَأْتُوا بِآيَاتٍ كَمَا يَأْتُوا بِآيَاتِهِمْ﴾ أي وما هم
بما صنعوا من السحر يضر ولا ينفع إلا إذا شهد الله ﴿وَيَقُولُونَ مَا يَصْنَعُونَ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ أي
والحال أنهم يعلمون السحر يحصلون على الضرر لا على النفع ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لِي أَخَذْتُهُمْ مَا لِي فِي
الْآيَاتِ مِنْ بَرٍّ خَيْرٍ﴾ أي ولقد علموا أنهم الذين بدلوا كتاب الله واستبدلوا به السحر ، فهم ليس
لهم حظ من رحمة الله ولا من الجنة ! لأنهم كروا الحصر على كتاب الله ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ بِذِكْرٍ
بَرٍّ مُبِينٍ ثُمَّ نَزَّلْنَاهُ بِذِكْرٍ مُبِينٍ﴾ أي ونزل هذا الشيء الذي دعوا به أنفسهم لو كان لهم علم أو
فهم وإدراك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِتَّقَوْا اللَّهَ حَقَّ إِتْقَانِهِ﴾ أي وما أن أولئك الذين يتعلمون السحر اتقوا بالله وسألوا
عذاب ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي لأنهم الله لو كان أفضل مما شغلوا به
أعهم من السحر ، الذي لا يعود عليهم إلا بالويل والحسرة والدمار

سبب هزول لما ذكر وسبب منه ينطق ما يدرك في نعرسلين ، قال بعض أعلام اليهود :
تعبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً افترت هذه الآية ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ
شَايِعِينَ﴾ أي كنتم الذين كنتم تعلمون السحر ، لأنهم لا يفتخرون إلا بالسحر

النافع.

١- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِتَّقَوْا اللَّهَ حَقَّ إِتْقَانِهِ﴾ أي كفتم عن السحر ، ووقفتم عن ما كنتم من عند الله لإفادته مريد
الانصاف

٢- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِتَّقَوْا اللَّهَ حَقَّ إِتْقَانِهِ﴾ أي كفتم عن السحر ، ووقفتم عن ما كنتم من عند الله لإفادته مريد
الانصاف

٣- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِتَّقَوْا اللَّهَ حَقَّ إِتْقَانِهِ﴾ أي كفتم عن السحر ، ووقفتم عن ما كنتم من عند الله لإفادته مريد
الانصاف

٤- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِتَّقَوْا اللَّهَ حَقَّ إِتْقَانِهِ﴾ أي كفتم عن السحر ، ووقفتم عن ما كنتم من عند الله لإفادته مريد
الانصاف

فائدة : الحكمة من تعذيب الملوك الناس سحر ، أن السحر كثر ومن ذلك انهم وخبروا
فوقاً قرية من السحر ، وربما دعوا أنهم نبيا ، وبعت الله تعالى الساكين لعند الناس وحوه
السحر حتى يشكوا من التمييز بينه وبين المعجزة ، ويعرفوا أن الذين يدعون سيرة كذباً إنما هم
سحرة لا أنبياء

المشاهدة. أما ذكر تهالي فبأن اليهود، وما اقتصروا به من ضرورات السحر والسحر، أعف
بما أن نوع آخر من السحر، والذي يضره ناسي، في ذلك والمؤمنين، من الذين والأحق.
والجهد، وتسمى روافد السمة عن المؤمنين، وتخدم الشريعة العامة وذلك لظلم، والتجريح
سبب السخر بعض الأعكام الشريعة

اللعنة ﴿تَرْجَمَهُ﴾ من المراجعة وهي الإقرار والإمهال، وأصيب من الرعيه وهي النظر في
مصالح الإنسان، وقد عرفه اليهود فجهلوه كلمة مستغنى من ألم عبودته وهي الحق وإدراك
بهي عنده المأساة ﴿نَظَرْنَا﴾ من انظر ولا نظار تقول: نظرت فلان إذا نظرت وترقته أي
انظرتنا وبأن بما ﴿نَوَّهَ﴾ يمتني يصعب ﴿تَنَسَّخَ﴾ النسخ في اللغة الإبطال والإزالة يقال: نسخت
التمس من أي أزالته وفي الشعر: وقع حكم شرعي وتبدله بحكم آخر ﴿لَمُبَّهَ﴾ من لسي
بشيء جعله مسبا لهو من السبا، فلهي هو صيد الذكر أي منجها من القنوب ﴿وَلَوْ﴾ أي من
منولى أمر الإنسان وحصله ﴿قَبَّرَ﴾ الصبي: جمع من أخوه من قولهم: نص، إذا أعله ﴿أَمْ﴾
بمعنى بل وهي تقييد لا نعت من جعله إلى حصة كفوله تدل على ﴿لَا يَقُولُونَ أَفَأَعَدُّ﴾ أي هل يقولون
﴿يُشْكِي﴾ بذاك، فقال: وبذلك وأسبغ أي جعل شيئا مفرغ آخر، وتلك الكفر بالإيمان معناه
أعده بدل الإيمان ﴿تَوَدَّ تَنَكُّبِينَ﴾ أي وسط الطريق، والعمود من كل شيء، والوسط، والنبل
بعده الطريق ﴿فَأَعْمَوْا﴾ جمعوا، تركوا المواءمة على الذئب ﴿وَأَسْعَفُوا﴾ وبمعنى: تركوا القنوب

صلى السؤل: أي: أيا سيود قتلوا؟ ألا تعجزون لأمر محمد؟ يأمر أصحابه بأمرهم ينهونهم عنه ويأمرهم بحملاته، ويقول: اليوم قولا ويرجع منه غدا، فما هذا؟ فقرأوا: **إلا كلام محمد**، يعمله من بينكم، منه، تناقص بعضه بعضا، فآلات: ﴿تَاللَّهِ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّ غَافٍ﴾.

[illegible]

وَمَا تَقُولُوا لِأَنبِيَايَ سِرًّا هَهُؤَاجِدُ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ بِنَاتَقُولُكَ بَعِيرٌ ۖ

التفسير ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا جاء من الله جل جلاله المؤمنين يخاطبهم فيه يقول ﴿لَا تَقُولُوا زِينَةً﴾ أي زينا وأمهلتا حتى يتمكن من حط ما تافيه علينا ﴿وَقُولُوا لَكَ﴾ أي انصرفت وأزفنا ﴿وَأَسْمُوا﴾ أي اطمئنا وأمر الله ولا تكونوا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ﴾ أي ولليهود الذين نالوا من الرسول ومبعوه عذاب أليم موحى ﴿فَإِذَا بَرَأَ النَّاسُ﴾ كفروا من غير أن يكتب ولا يقرروا أن يبرأ عنهم فن غم من يبرأ عنهم أن ما يحب الكافرون من اليهود والنصارى ولا المشركون أن يبرأ عنهم شيء من الجور معضا فيكم وحدا لكم ﴿وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الْمُتَّبِعِينَ﴾ أي يتتبع بالضرورة والوحى واللفظ والإحسان من شاء من عباده ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ وهذه واسعة الفضل والإحسان ثم قال تعالى يا أيها اليهود حين ضمرتم الغم أن سب السبع: ﴿فَإِنَّمَا نَسَخَ مِنَ تِلْكَ أَوْ تُبَيِّنَ﴾ أي ما أثبت من حكم أمة فضيرة بأمر أو سبها يا محمد أي نعمها من قبيل ﴿وَأَنْتَ يَحْيَىٰ أَوْ يَسَّىٰ﴾ أي ذات يحير لكم منها أيها المؤمنون بما هو أنفع لكم في المآجل أو الآجل، ما رفع الشبهة عنكم، أو بزيادة الأجر والشواب لكم ﴿فَإِنَّمَا تَقَالُ تِلْكَ عَلَىٰ قُلُوبِ قَوْمٍ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي قالوا يا أيها المحاطب أن الله عليه حكم قدير لا يصدر منه إلا كل خير وإحسان للعدا! ﴿فَإِنَّمَا تَقَالُ تِلْكَ تِلْكَ فِيلُ الْكُفْرَةِ وَالْأَكْثَرِينَ﴾ أي ألم تعلم أن الله هو المالك المستوفى من شئون الخلق يحكم بما شاء ويأمر بما شاء؟ ﴿وَأَنَّا نَحْكُمُ فِي ذُنُوبِهِمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَا لِيُمْسِكُ﴾ أي ما لكم ولذي من شدتكم أو ناصر بنهم كم غير الله تعالى فهو حكم الناصر والمغير ﴿أَلَمْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْسِفُوا آسَافًا﴾ أي لم يريدوا أن يفسدوا آسافا ﴿وَأَن يَكُونَ مِثْلَكُم مِثْلُ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا نَسْأَلُ﴾ أي استبدل الضلالة بالهدى وبأخذ الكفر بدل الإيمان ﴿فَإِنَّمَا تَقَالُ تِلْكَ﴾ أي قالوا هذه من أجادوا وخرج من الأمر ط السوي ﴿وَأَنَّا صَغِيرٌ قَرِينٌ أَكْبَرُ﴾ أي نسوا كبر من اليهود والنصارى ﴿فَوَرَدُّكُمْ تِلْكَ بِغَيْرِ عِلْمِكُمْ كَذِبًا﴾ أي لو بعيرتكم بما بعد أن أنتم ﴿حُكْمُ تِلْكَ عَمِ أَنْبِيَاءِ﴾ أي حسدا منهم لكم، حسنتهم على أنفسهم الخبيث ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا تَقَالُ تِلْكَ﴾ أي من حد ما ظهر لهم بالبراهين الساطعة أن دينكم هو الحق ﴿فَأَقْصُوا﴾ واستقصوا

أي التزاعيم وأمر ضرا عنهم فلا تزلزلوهم ﴿عَلَىٰ بَيْنِ اللَّهِ بَيْنَهُ﴾ أي حتى يأتى الله لكم عقابهم ﴿بِمَا تَقَالُ تِلْكَ﴾ أي قلوا على كل شيء فيستقيم بهم إذا كان الأثران ﴿وَأَقْبِلُوا﴾ القسرة وتلقوا ﴿وَأَقْبِلُوا﴾ أي حلقوا على عمودي الإسلام وهما الصلاة والزكاة وتقرروا إليه بالعبادة البدنية والمالية ﴿وَمَا تَقُولُوا لِأَنبِيَايَ سِرًّا هَهُؤَاجِدُ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ بِنَاتَقُولُكَ بَعِيرٌ﴾ أي ما تنصرونه إلى الله من صلاة أو صدقة أو عمل صالح قوعسا كان أن ظلوها تجدوا نوابه عند الله ﴿وَاللَّهُ يَتَّبِعُ النَّاسَ﴾

أي رقيب عليكم مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها يوم الدين .
البلاغه :

- ١ - الإضافة في قوله ﴿ تَزَيَّجْنَاهُ ﴾ للتزييف . وفيها تدكير للمعاد بمرسته سبحانه لهم .
- ٢ - تصدير الجملة بـ ﴿ بَعَثَ الْجَلِيلَةَ ﴾ ﴿ وَأَنَّهُ يُخَفِّلُ ﴾ ﴿ وَأَنَّهُ ذُو الْفَضْلِ ﴾ للإيذان بغفارة الأثر .
- ٣ - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ ﴾ الاستفهام للتقرير ، والحطاب للتوبيخ والسراد أمته ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَحْكُمُونَ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ .
- ٤ - وضع الاسم الجليل موضع الضمير ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ ﴾ و ﴿ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ لتربية الروعة والنهاية في النفوس .
- ٥ - ﴿ مَن مَّنَّ اللَّهُ ﴾ للتكبير من إضافة الصفة للموصوف أي الطريق المستوي ، وفي التعبير به نهاية التوكيد والتشجيع لمن ظهر له الحق بعدل عنه إلى طابقت القول .

الأولى : خاطب الله المؤمنين بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ في حثية وتعالين موضعاً من القرآن ، وهذا لول خطاب عوطف به المؤمنون في هذا السورة بالنداء العادل على الإقبال عليه . ونداء المخاطبين باسم المؤمنين يذكرهم بأن الإحسان يقتض من صاحبه أن يتقرب أو امر الله ولو به بحسن الطاعة والامتثال .

الثانية : تهيئ المسلمون أن يقدموا في خطاب النبي عليه الصلاة والسلام ﴿ زَيَّجْنَا ﴾ وأمرنا بأن يقولوا مكانها ﴿ الْفُكْرَةَ ﴾ وهي ذلك نبيه لأدب جميل وهو أن الإنسان يتجنب في معاملته الألفاظ التي توهم انجفاء أو التنقص في مقام يقتض إظهار الحردة أو التعظم .

الثالثة : كانت اليهود تستعمل كلمة ﴿ زَيَّجْنَا ﴾ يعنون بها السبية والشيعة ، وروى أن سعد بن معاذ سمعها عنهم فقال : يا أعداء الله ، عليكم لعنة الله ، واشدي نفسي بيده لمن سمعها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضرب عنقه فقالوا : أولستم تقولونها؟ فمرلت هذه الآية ﴿ لَا تَقُولُوا زَيَّجْنَا وَلَوْ بَدَّلْنَاهُ ﴾ .



قال الله تعالى : ﴿ وَتَزَكَّى أَوْ يَدْخُلْ أَيْحَةَ الْكِبَرَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ هَؤُلَاءِ أَوْ يَكُونُوا ﴾ . . . إني . . . إِنَّكَ اللَّهُ زَيَّجْنَا ﴾ من آية (١١١) إلى نهاية آية (١١٥)

المفسر في هذه الآيات الكريمة يبادر آخر الآية طيل أهل الكتاب ، حيث ادعى كل من الفريقين : اليهود والنصارى ، أن الآية خاصة به ، وطمع في سر الآخر ، فاليهود يعتقدون في كفر النصارى وضلالهم ويكفرون بعباسي وبالإنجين ، والنصارى يعتقدون بكفر اليهود آدم إيمانهم بالمسيح وقد جاء لإتمام أمرهمهم . ونشأ عن هذا النزاع عداوة اشتدت بها الأهواء حتى صار كل فريق يطمع في دين الآخر ويترفع أن اجتهد وإنه عليه . فأكد الله الفريقين ، وبين أن

فقد كفروا عن علم ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ يَتْلُو قُرْآنًا مِثْلَ قُرْآنِهِمْ﴾ أي كذلك قال مشركو العرب مثل قول أهل الكتاب قالوا ليس محمد على شيء ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ كَانُوا فِيهِ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي يحكم بين اليهود والنصارى ويفصل بينهم بقضائه العادل فيما اختلفوا فيه من أمر الدين ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَبَ تَسْبِيحَ اللَّهِ وَلِيُذَكِّرَ فِيهِ آيَاتِهِ﴾ استنكار واستبعاد لأن يكون أحد أعلام من فعل ذلك أي لا أحد أعلم ممن مع انشاس من عبادة الله في بيوت الله ، وعمل لغواها بالمهدم كما فعل الرومان بيت المقدس ، أو تعطيلها من العادة كما فعل كفار فريش ﴿أُولَئِكَ مَا كُنَّا لِنُكَلِّمَهُمْ لَا تَتْلُوا هَؤُلَاءِ دُونِ آيَاتِنَا أَنْ تَقُولُوا سَمِعْنَا وَإِنْ كُنَّا مِنْكُمْ لَشَاكِرُونَ﴾ أي لا أولئك المذكورين هو أن وفاة في الدنيا ﴿وَأَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو عذاب النار ﴿وَقَدْ تَنَزَّلَتْ آيَاتُ اللَّهِ عَلَى مَكَانٍ شَرُوفٍ مُبِينٍ﴾ أي إلى أي جهة توجهتم بأسماء ومكان غرورها والسماء جميع الأرض ﴿فَاتَّبَعُوا قَوْلَهُمْ رَبُّهُمُ اللَّهُ﴾ أي إلى أي جهة توجهتم بأسماء هذا قبله ثم ربيها لكم ، وقد نزلت الآية فيمن أصابع جهة الفلقة ﴿إِنَّكَ اللَّهُ وَبِشْرِكَ كَيْبَ﴾ أي يسع الخلق بالحدود والإفضاء ، عليم بديور شئوهم ، لا تنص عبدة خافية من أحرارهم .

للمبالغة

- ١ - ﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ تُبَيِّنُ الْكِتَابَ﴾ الحسنة اختراعها ، وعادتها كان طلال الدجوى وأنها دجوى كخافه
- ٢ - ﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ تُبَيِّنُ الْكِتَابَ﴾ الأمر هنا للنيكيت والتفريح .
- ٣ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَبَ تَسْبِيحَ اللَّهِ﴾ خص الوجود بالذكر ، لأن الشرف الأعظم ، والوحد ، عت (استعارة) أي من أقبل على عبادة الله وجعل توحيدهم إليه بجملة ^١ .
- ٤ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَبَ تَسْبِيحَ اللَّهِ﴾ العندبة للتشريف ، ووضع اسم الرب مضافا إلى صمير من أسلم موضع ضمير الجلالة لإظهار مريد النطق به .
- ٥ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَبَ تَسْبِيحَ اللَّهِ﴾ فيه توبيخ عظيم لأهل الكتاب : لأنهم نظموا أنفسهم - مع علمهم - في ذلك من لا يؤمن أصلا .

- ٦ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَبَ تَسْبِيحَ اللَّهِ﴾ الاستهزاء ببعض النبي أي لا أحد أظلم منه .
- ٧ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَبَ تَسْبِيحَ اللَّهِ﴾ التكرار للتوبيخ أي خزي مثل قطع لا يكاد يوصف نهوله
- ٨ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَبَ تَسْبِيحَ اللَّهِ﴾ حبيبة فعين للمبالغة ، أي وسع العلم .
- ٩ - قلادة قال الإمام المصنف : إسلام توجه لله يعني إسلام النفس لغاية الله وقد يكنى توجه من النفس كما قال تعالى : ﴿كُلُّ قَوْمٍ يَدْعُوا لَدُنْهُمْ إِلَهًا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ﴾ قال زيد بن سبل :
- وأسلمت وجهي لسمي أسلمت له الأرض تحمل صخرها ثقلا
- وأسلمت وجهي لسمي أسلمت له الممر تحمل حاديا زلا

مَأْيَسًا نَفْسًا ﴿١﴾ أَي تَكُونُ رَحْمَةً وَحِجَةً عَلَى حَادِقِ تَبَوُّكَ، قَالُوا ذَلِكَ اسْتَكْبَارًا وَعِندًا ﴿٢﴾ كَذَلِكَ قَالُوكَ لِي قَبْلِهِمْ يَقُولُ قَوْلُهُمْ ﴿٣﴾ أَي مِثْلَ هَذَا السَّاطِلِ الْمَشْنَعِ نَالِ الْمَكْذُوبِينَ مِنْ أَسْلَافِهِمْ لَمْ يَسْلَمُوا ﴿٤﴾ فَتَكْتُمُ تَوْبَتَهُمْ ﴿٥﴾ أَي قُلُوبَهُمْ هَؤُلَاءِ، مَنْ قَبْلَهُمْ فِي الْمَسِي وَالْعِصْيَانِ وَالْكَذِبِ لِلْأَسَادِ، وَفِي هَذَا تَسْلِيهِ لَهُ يَجِدُ ﴿٦﴾ قَدْ تَبَيَّنَ الْاِتِّكَافُ يَقُولُ تَوْبَتُكَ ﴿٧﴾ أَي قَدْ وَضَعْنَا الْأَوَّلَةَ وَأَعْدَدْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ يَحْمِلُونَ الْحَقَّ وَالْيَقِينَ، وَكُلُّهَا تَاطُفَةٌ بِصَدَقِ مَا جِئْتَ بِهِ ﴿٨﴾ إِنَّمَا أَوَّلَتُكَ بِأَلْفَيْ يَوْمٍ وَتَوْبَتُكَ أَي أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِالشَّرِيعَةِ النَّبَوِيَّةِ وَالْإِيمَانِ الْغُيُوبِيِّ بِشَرِّ الْمُسْلِمِينَ سَجَاتِ قَسَمِهِ، وَمَا بَرَأَ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ الْعَجِيمِ ﴿٩﴾ وَلَا تُكَلِّمُ عَنْ أَهْلِ تَوْبَتِهِمْ ﴿١٠﴾ أَي أَمَّا لَسْتُ مُسْتَرَلًا عَنِ لِمَ بَرَأَ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ يَذِلَّتِ الْجَهْدُ فِي دَعْوَتِهِمْ ﴿١١﴾ وَإِنَّمَا عَيْنُكَ الْبَلْغُ وَخَيْبَتُكَ الْمَسْخَرُ ﴿١٢﴾، ﴿وَلَوْ رَضِيَ عَنْكَ لَتَوْبَةُ وَلَا أَتَمَّرْتَ مَنْ مَنَعَ يَدَهُمْ﴾ أَي لَوْ رَضِيَ عَنْكَ الْعَدْلَانِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، حَتَّى تَرَكَ الْإِسْلَامَ الْمَسِيرَ وَنَتَجَ دِينِهِمُ الْأَعْرَجَ ﴿١٣﴾ قَوْلُكَ هَذِهِ الْقَوْلُ الْكَلْبُ أَي قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ الْإِسْلَامَ هُوَ الْإِيمَانُ الْحَقُّ رَمَا عَدَاةَ جَهْدِ هِذَالِ ﴿١٤﴾ وَتَوْبَتُهُ لَتَبَيَّنَ أَهْوَاءُهُمْ عَنَّا لَقِيَ بَأَدَ بَرِّ الْبَلَاءِ ﴿١٥﴾ أَي وَلَمَّا سَابَرَتْهُ عَلَى أَوَّلِهِمْ الْإِيمَانُ وَأَعْوَاهِهِمُ الْقَاسِدَةُ بِمَدَامَا تَهْوِي إِلَيْكَ الْحَقُّ بِالْإِيمَانِ السَّاطِعَةِ وَالْحَقِيقِ الْفَاطِمَةِ ﴿١٦﴾ لَقَدْ بَرَأَ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ يَذِلَّتِ وَلَا تُغَيِّرُ ﴿١٧﴾ أَي لَيْسَ لَكَ مِنْ يَحْفَظُكَ أَوْ يَدْفَعُ عَنْكَ عَقَابَهُ الْأَنْزَامِ ﴿١٨﴾ قَدْ بَرَأَ مِنْهُمْ لَتَكْتُمُ ﴿١٩﴾ مِثْلًا وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَسْلَمُوا ﴿٢٠﴾ يَقُولُونَ نَحْنُ بِتَوْبَتِهِمْ أَي يَقْرَأُونَهُ غَرَّةَ حِفْظٍ كَمَا أَقْرَأَ ﴿٢١﴾ وَتَوْبَتُهُمْ يَقُولُونَ يَوْمَ ﴿٢٢﴾ هَذَا خَيْرُ السَّنَةِ أَي مَا لَوْلَكَ هُمْ الْمُسْلِمُونَ خِفَ دُونَ الصَّاحِبِينَ أَسْمَعُ فِيهِمْ الْكَلَامَ لِلَّهِ ﴿٢٣﴾ أَوْ يَشْكُرُ بِهِ، قَوْلُهُمْ قَدْ أَتَمَّرْتَ هُمْ الْقَوْمُ ﴿٢٤﴾ أَي وَمَنْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ فَقَدْ خَسِرَ دِينَهُ وَآخِرَتَهُ ﴿٢٥﴾ يَتَنَبَّأُ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْهُ الَّذِي أَتَمَّرْتَ عَلَيْهِمْ، أَي أَذَكَرُوا أَعْمَلُوا، الْكَثِيرَةُ عَلَيْكُمْ رَعَى آيَاتِكُمْ ﴿٢٦﴾ يَأْتِي فَتُكَلِّمُ عَلَى الْقَالَةِ ﴿٢٧﴾ أَي وَآذَكَرُوا تَفْصِيلِي لَكُمْ عَمَّا سَأَلَ الْأَسَاءُ فِي أَعْمَالِكُمْ ﴿٢٨﴾ وَتَوْبَتُهُمْ يَرَانَا لَا نَحْنُ، مَثَرُ هِيَ قَبْرُ نَبِيِّنَا ﴿٢٩﴾ أَي عَافُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ فَهِيَ الْبَدِي لَا تَغْنِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ وَلَا تَدْفَعُ عَنْهَا مِنْ هَذِهِ الْقَدَةِ مِثْلًا: لَأَنْ كُنْ نَصْرًا بِمَا كَسَبَتْ رَهْبَتُهُ ﴿٣٠﴾ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا قَدَالٌ ﴿٣١﴾ وَلَا يُنْقَلُ مِنْهَا قَدَالٌ ﴿٣٢﴾ أَي لَا تَقْبَلُهَا شِعَاعَةُ أَحَدٍ لِأَنَّهَا كَقَرَمٍ يَأْتِيهَا ﴿٣٣﴾ تَابَتْ تَوْبَتُهُمْ قَدَالَةً الْيَقِينِ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَقْرَأُ تَوْبَتُهُمْ أَي لَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ أَحَدٌ عَذَابَ اللَّهِ وَلَا يَجِدُهُمْ مِنْ سَطْوَةِ عَذَابِهِ.

الْبَلَاءُ

- ١- ﴿لَتَكْتُمُ تَوْبَتَهُمْ﴾ ج. م. أ. اعتزالية وفاتحتها بين بطلان دعوى الظالمين الذين وعموا لله لوليد ذلك أبو السمر: وفيه من التثنية البليغ من حيث الاشتقاق من «السبح» ومن جهة النقل إلى التعميل «السبح» ومن جهة العدول إلى المصدر لا يحسن ولا يراد أنزهه تنزيها لا فائدة له
- ٢- ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الْاِتِّكَافُ يَقُولُ تَوْبَتُكَ﴾ لفتيل أي تعليب المعلاء على غير المعلاء، والتعليب من القبول المتعددة في محاسن البيان
- ٣- التعبير عن الكافرين والمكذبين بكلمة «تَوْبَتُهُمْ» أي أن أولئك المحملين من المعصية على قلوبهم فلا يرحمهم من خروج عن تكفير والعقلان إلى الإيمان والإدعان

عذاب النار فلا يجد منها محيصاً ﴿وَمَنْ أَتَسْبِيحُ﴾ أي ويحسن السجود والمرجع للكافر أن يكون مأواه نار جهنم فاس الخليس الرزق على الإمامة فنتبه تعالى على أن الرقي رحمة دينية شاملة للناس ولتفاجر بخلاف الإمامة فإنها خاصة بالخوادم من المؤمنين، ثم قال تعالى حكمة من قصة بناء البيت العتيق: ﴿وَأُتِيَ بِقَعْرِ إِبْرَاهِيمَ الْفَوَاقِشَ مِنْ أَبْنَاءِ إِسْحَاقَ﴾ أي وادخر يا محمد ذلك الأمر الغريب، وهو رفع الرسولين العظميين إبراهيم وإسماعيل، الواحد النبي والآخر موضع أساس ورفع شأنه وحما بقولان خاضوع وإجلال: ﴿وَمَا تَكُنْ بَشَرًا إِنَّكَ أَنْتَ أَنْبِيَا الْقَلِيلِ﴾ أي يمتدح ويدعوان بهذه الدعوات الكريمة فالتنبيه: يا ربنا قبل منا أي قبل منا عبادنا هذا واجعله خالصاً لوجهك الكريم فإنك أنت السميع للعالمات العظمى ببيتنا ﴿وَمَا تَكُنْ بَشَرًا إِنَّكَ أَنْبِيَا الْقَلِيلِ﴾ أي اجعلنا خاضعين لك متفادين لحكمك ﴿وَمَا تَكُنْ بَشَرًا إِنَّكَ أَنْبِيَا الْقَلِيلِ﴾ أي واجعل من ذريتنا من يسلم وجهه لك. ويخضع لعظمتك، ﴿وَمَا تَكُنْ بَشَرًا إِنَّكَ أَنْبِيَا الْقَلِيلِ﴾ أي وعلمنا شرايع عبادتنا وهدانا لك، ﴿وَمَا تَكُنْ بَشَرًا إِنَّكَ أَنْبِيَا الْقَلِيلِ﴾ أي فبعبادنا راحمتنا فإنك عظيم المغفرة واسع الرحمة ﴿وَمَا تَكُنْ بَشَرًا إِنَّكَ أَنْبِيَا الْقَلِيلِ﴾ أي امتع في الأمة المسلمة رسولا من أنفسهم. وهذا من جملة دعوته المباركة فاستجاب الله الدعاء بعبدة السراج المنير محمد ﷺ ﴿تَقُولُوا عَلَيْهِمْ أَلَيْسَ﴾ أي يقرأ آيات القرآن ﴿وَيَتَّبِعُهُمُ الْكَلْبُ وَالْكَلْبُ﴾ أي يعلمهم القرآن العظيم والسنة المطهرة ﴿وَيَتَّبِعُهُمُ الْكَلْبُ﴾ أي يظهرهم من رحمتك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَنْبِيَا الْقَلِيلِ﴾ العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب، والحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والامصلحة

البلاغ

١- الشعر لعنوان الربوبية ﴿أَتَقُولُ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحَ﴾ تشریف له عليه السلام وإيدان بأن ذلك الابتلاء تربية له وترشيع لأمر عظيم، والمصطفى: عامله سبحانه معاملة المخير حيث كلفه أوامر ونواهي يظهر بها المستحققة للإمامة العظمى.

٢- إيقاع المصلح مرفوع اسم الفاعل في قوله: ﴿وَمَا تَكُنْ بَشَرًا إِنَّكَ أَنْبِيَا الْقَلِيلِ﴾، أي أمّا من دخله كقولته تعالى: ﴿وَمَنْ أَتَسْبِيحُ كَانَ كَأَنَّكَ﴾ وغير ما قرنته بالوارد.

٣- إشاعة البيت إلى ضمير الجلالة ﴿وَمَا تَكُنْ بَشَرًا إِنَّكَ أَنْبِيَا الْقَلِيلِ﴾ لتشريف والتعظيم.

٤- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُنْ بَشَرًا إِنَّكَ أَنْبِيَا الْقَلِيلِ﴾ ورد التعبير بصيغة المضارع حكاية عن المعاصي ولذلك وجد معروف في محاسن الياء وهو استحضار صورة المعاصي وكأنه حدث هذه العباد فكان السامع ينظر ويرى إلى البيان وهو يرتفع، وفتاة هو إبراهيم، إسماعيل عليهما السلام قال أبو السمر: وصية الاستقبال لحكاية الحال المعاصية لاستحضار صورتها المحيية المستبينة عن المعصية الباهرة^(١).

٥- ﴿وَمَا تَكُنْ بَشَرًا إِنَّكَ أَنْبِيَا الْقَلِيلِ﴾ ميثاقان من صبيح السبابة لأن فغان وقعين من صبيح المبالغة.

الغواصة،

الأولى: تقديم المفعول في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُزَيِّرُ رَبُّكَ﴾ واجب، لاتصال لفاعل بضمير يعود على المفعول، فلو قدم الفاعل لزم عود الضمير على متصرف لفظاً ورتبة قال ابن مالك:

وَسَامِعٌ ذَا وَحَدٍّ ذَا عَدَدٍ وَشَدِيدٌ ذَا نَوَازٍ ذَا شَجَرٍ

الثانية: الاختيار في الأصل: الامتحان بالشيء ليعلم صدق ذلك لشخص أو كذبه وهو مستحيل على الله لأنه عالم بذلك قبل الاختيار، فالمراد أنه عامله معاملة المختبر ليطهر ذلك للخلق.

الثالثة: اختص المفسرون في الكلمات التي اعتبر الله بها إبراهيم عليه السلام وأصح هذه الأقوال: ماؤوي عن ابن عباس أنه قال: «الكلمات التي ابتلي الله بها إبراهيم فأنهم». فوافق قوله في الله حين أُمِرَ بمسئرتهم، ومحاكاة سرور في الماء وصبره على قذفهم إياه في النار ليخرجهم والهجرة من وطن حين أمر بالخروج عنهم، وما لبثي من ذبح ابنه حين أمر بقبحه^(١).

الرابعة: المراد من الإمامة في الآية الكرسي (الإمامة في المنبر) وهي النبوة التي حرمها الظالمون، ولو كانت لإمامة النبوية لخالفت ذلك الواقع إذ نالها كثير من الظالمين، لظهر أن المراد: الإمامة في الدين خاصة.

الخامسة: ذكر العلامة ابن القيم أن السر في تفضيل البيت العتيق طاهر في العذاب الأفند، وهو في القلوب ومحبته له، فتدبُّه للقلوب أعظم من جذب المختلطين للحديد، فهم يلزمون إليه من جميع الأقطار ولا يقصرون منه وطراً، بل كلما ازدادوا له نهابة، ازدادوا له اشتياقاً^(٢).

لا يرجع الطرف عنها حين يصرها حتى يعود إليها الطرف مشتاق



هَذَا اللَّهُ نَعَان: ﴿وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْ يَدِهِ إِنْ جَاءَ إِلَّا مَنْ نَبَأَ نَسْأَ...﴾ إلى... وَلَا تَسْتَوِي قَسَا كَأَوَّ
يَسْتَوِي من آية (١٣٠) إلى نهاية آية (١٣٤)

المُخَاضِبة: لما ذكر تعالى مآثر الخليل إبراهيم حبه السلام، وقصة بنيائه فليست التيق مندر في الحرج، أعجب بالتوبيخ الشديد للمخالفين لسلة الخليل من اليهود والنصارى والمشركون، وأكد أنه لا يرغب من ملته إلا كل شفي منه الرأي، خيف العقول، متبع لخطوات الشيطان.

اللُّغَةُ: ﴿نَبَأَ نَسْأَ﴾ انتهت واستغف بها وأصل نَسْأَ: اللغاة ومنه زمام سفينة أي عفيف ﴿تَسْلُفَتُهُ﴾ أي جعلناه صافياً من الأذناس مشتق من الصفرة وسعة تخير الأصفي والمراد اصطفاؤه بالربانة والنجاة والإمامة لعظمى ﴿وَمَنْ﴾ التوسعة، إرشاد العبر إلى ما فيه صلاح وقرينة ﴿شَهَادَتُهُ﴾ جمع شاهد أي حاضر ﴿حَدَّثَ﴾ سمعت وانقرضت.

﴿وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْ يَدِهِ إِنْ جَاءَ إِلَّا مَنْ نَبَأَ نَسْأَ﴾ ولقد استظفنت في الآية ما يؤيد في الآية لمن التسلية، إذ قال له: أليس قال لست، لرب تكليفاً ﴿وَمَنْ يَبَأَ يَرْجِعَ يَبَأَ وَيَقُولُ يَبِيْءَ﴾ لئلا

أَتَقَى لَكُمْ آيَاتِي فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ وَلَا تَأْخُذُوا بِحَدِّهِ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ
مَا تُفْعِلُونَ مِنْ تَدْوِي أَلْوَانِي فَتَعَدَّى إِلَهُاتُ الْبِلَادِ الْبَاطِلَاتُ لِتُصْغِرَ وَيُصْغِيَ
لَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَتَمُّ مَدَّ عِلَّتْ لَهَا مَا كُنْتَ وَقُلْتُمْ مَا كُنْتمْ لَا تُفْعِلُونَ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ .

التفسير: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِهِ فَإِنَّهُ لَمُخْلَصٌ إِلَّا مَنْ تَجَعَّلَ اللَّهُ﴾ أي لا يرغب من دين إبراهيم وحده
الراضية الغرة إلا من استخف نفسه واستعها ﴿وَلِلَّهِ اسْتِغْنَاءٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي اختاره من بين سائر
الخلق بالرسالة والنبوة والإمامة ﴿وَالْإِيمَانُ لِبَيْنِ الْفَتَلَيْنِ﴾ أي من المنفردين الذين لهم
المرجات على ﴿إِنَّمَا قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِئُ﴾ أي استسلم لأمر ربك وأخلص نفسك له ﴿فَإِنْ أُنشِئْتَ رَبِّ
الْفَتَلَيْنِ﴾ أي استسلمت لأمر الله وعصمت لحكمه ﴿وَمَنْ يَتَّخِذْ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ يَصِفْهُ﴾ أي ووصى
الخلق أبناءه باتباع منه وكانك يعقوب أوصى بعلله إبراهيم ﴿يَتَّبِعْ بِرَّ اللَّهِ اسْتَطَقَ لَكُمْ آيَاتِي﴾ أي
اختار لكم دين الإسلام ديناً وهذا حكاية لما قال إبراهيم ويعقوب لأبنائهم ﴿فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ وَلَا تَأْخُذُوا
بِحَدِّهِ﴾ أي اتبعوا على الإسلام حتى يدرىكم الموت وأنتم منسكون به ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُرَكَاءَ
بِحَدِّهِ بِغَيْرِ الْبَرِّ﴾ أي بل كنتم شهداء حين احتصر يعقوب وأشرف على الموت وأوصى بنيه
باتباع ملة إبراهيم ﴿إِنَّمَا قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِئُ﴾ أي أي شيء تصعبوه معدي ﴿وَأَتَاخُذُ
إِلَهُاتُ الْبِلَادِ الْبَاطِلَاتُ بِإِزْمَارٍ وَاسْتِغْنَاءٍ فِي الدُّنْيَا وَاحِدًا هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
إِلَهِ أَبْنَاءِكَ وَاجِدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي نحن له وحده مطيعون خاضعون ، والغرض
تحقيق البراءة من الشرك ، قال تعالى مشيراً إلى تلك الغربة الطيبة : ﴿بَلَدٌ آمَنٌ قَدْ خَلَتْ﴾ والإشارة إلى
إبراهيم وبنيه أي تلك جماعة وجبل قد سلف ومضى ﴿أَمَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ أي لها ثواب ما
كتبتم ، وكنتم ثواب ما كنتم ﴿وَلَا تُفْعِلُونَ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي لا تفعلون يوم القيامة عما كانوا
يفعلون في الدنيا بل كل شيء تتحفل وجمعاً ما اكتسبت من سوء .

العبادة

- ١- ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ﴾ استفهام يراد به الإنكار والتفريع . وقع فيه معنى السعي أي لا يرغب عن
ملة إبراهيم إلا الضمير . والجملة واردة مررد التوبيخ للكهنة
- ٢- التأكيد به ﴿وَالْإِيمَانُ لِبَيْنِ الْفَتَلَيْنِ﴾ لأنه لما كان إحرازاً عن حالة منية
في الآخرة حناجته إلى تأكيد بخلاف حال الدنيا فإنه معلوم ومشاهد .
- ٣- ﴿إِنَّمَا قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِئُ﴾ هو من باب الالتفات ، إذ السياق (إذ قلنا) والالفتات من محاسن
البيان ، والتعرض يعنون التوبيخية ﴿رَبُّهُ﴾ لإظهار مزيد اللطف والاعتناء بتربيته كما أن جواب
إبراهيم جاء على هذا المقتول ﴿أَسْمِئُ رَبِّ الْفَتَلَيْنِ﴾ ولم يقل : أسلمت لك ، للإيذان بكمال
قوة إسلامه ، والإشارة إلى أن من كان رباً للعالمين لا يفتقر إلا أن يلقى أمراً بالخضوع وحسن
الطاعة .

٤- قوله : ﴿وَأَتَاخُذُ﴾ شغل النعم والآب والعبد ، فالجاء إبراهيم والنعم إسماعيل والآب

ياسماني وهو من باب "التغليب" وهو من المجازات الممهدة في نصير الكلام .

قائفة: قال أبو حنبل: «كُتِبَ بالموت عن مقاماته لأنه إذا حضر الموت فغلب لا يقول المحتضر شيئاً» في قوله: «شَقَرْتُ أَنْفُسِي» كناية غريبة وهو أنه غائب ولا يدرك أن يقدم وتلافت فقال في الدعاء: واجعل الموت خير غائب تنظره» (١٩)

تفصيلاً، طاهر قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا لَهُمْ شَيْئاً﴾، ينهي عن الموت إلا على هذه الحالة من الإسلام، والمقصود الأمر بأشياء على الإسلام إلى حين الموت، أي قاتلوا على الإسلام ولا تغلقوا أبداً، واستمروا على صحبته أنيقاً، حتى يبرككم الموت وتتم على الإسلام الكمال، كقولك: لا تغلق إلا وأنت عظيم.

707

فَقَالَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ هُوَذَا نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ قَدْ آمَنَّا بِمَا نُرَىٰ
مِنْ آيَاتِكَ (١٣٥) إِلَىٰ نَهْدِ آتَا (١٤٠).

الفاشية. لما ذكر تعالى أن مئة إبراهيم هي مئة الخيفية السمحة، وأن من ثم يوم بها ورغب عنها فقد سبغ الدروة النعيا في الجملة والشفاعة. وذكر تعالى ما عليه من الكذب من انداعوق الماظفة من وعهم أن للهداة في اتباع اليهودية أو النصرانية، وبين أن تلك الدعوى لم تكن من دليل أو شيعة بل هي مجرد جحود وعناد، ثم عقب ذلك بأن الذين اتحق هو في انقصاصك بالإسلام، دين جميع الأنبياء والمرسلين

المنفعة. ﴿حَيْثُ﴾ الحنيف: المائل عن الدين الباطل إلى الدين الحق، والحنيف: العليل، وبه سمى الأحنف لعل في إحدى قديمه قال الشاعر:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِبْرَاهِيمَ وَنُوحًا زُلْفَةً وَذُرِّيَّتَهُمْ إِذْ هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنْ اتَّخَذُوا آلِهَتَهُم بِالْبَيْنَةِ فَهُمْ لِآلِهِمْ مُّشْرِكُونَ

الأسباط جمع بَيْط وهم حَقْدَةُ يَحْقُبُون أَي ذُرِّيَّاتُ أَكْثَانِهِ، وَكَأَمْرَا نَسْرٍ عَشْرٍ سَيْطًا وَهْمُ فِي
نَسْرٍ بِإِسْمِ نِيلٍ كَنْيَالِلٍ فِي الْعَرَبِ «يَيْتَانِي» لِنَقَالِي الْمَخَالِفَةَ وَالْعِدَاوَةَ وَأَصْرُهُ مِنَ النِّسْبِ وَهُوَ
لِجَانِبِ أَي صَارَ هَذَا فِي شَيْءٍ. وَهَذَا فِي شَيْءٍ «تَنْتَبِهُنَّ» مِنَ الْكُفَاةِ بِحَسْنِ الْوَقْفَةِ «يَيْتَنَةُ أَتَمَّ»
النَّصِيفَةُ مَأْخُودَةٌ مِنَ الطُّغْيَانِ وَهُوَ نَغِيرُ الشَّيْءِ بِلَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ، وَالْمَرَادُ بِهَا الْأَذْيَانُ «الْمُتَأَمِّنُونَ»
تَعَادَلُوا بَيْنَهُ مِنَ الْمَحَاجَةِ وَهِيَ التَّجِدُّلُ «تُخْشِرُهُ» الْإِخْلَاصُ أَنَّهُ يَخْشَعُ بِالْحَمْلِ وَجْهَ اللَّهِ وَحْدَهُ.

[illegible]

[illegible]

البنية

١٠ ﴿وَقَالُوا كَافَرُوا بِمَا آتَاهُم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ١٠ : إيجاز بلهدف أي فإن اليهود : كفروا بهيؤا وقال
الصارف : كفروا بصارف ، وليس المعنى أن يفرق بين تلافوا ذلك لأن كل مؤمن بهيؤا في الآخر ماثلًا .
١١ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنفَضُوا أَبْصَارَهُمْ﴾ ١١ : فيه إيجاز ظاهر أي يكتسبوا الله شعورهم ، وانهم في الأفعال ينسحبون
سوف ينسحبون بأن صوره عليهم وانهم في ربح قريب

١- ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ تَنْفِرُ﴾ من صوب السموات ومعها الذي أحاط شئها وعلوه صحيح الإنشاء
٢- ﴿سَمِعَهُمْ﴾ سعى السمعين بعدد ما يهلون الاستعارة حيث نقلت عنه عن الله عز وجل كما نقلت
أثر الصمد في الحديث (١)

١٠. ﴿تَتَخَلَّفُونَ عَنْ قُدُوبِ اللَّهِ عَظِيمٍ﴾ وازد على هذه الآية وانظر

میتواند

القائد: الأوسى تكرر وورد ١٥ الآية في ٢٠ على من القربان (وما ألقى بتبعي عما يفتنون) قال
 أبو جبال: ولا نأسى الحملة (لا عيب الزكيات معبىه فتحيه متفهمة وضوء) ومدة أن انما لا
 تترك أمرهم سدى^{١١}

فتنايذ قال ابن عباس إن أنصاره كان إذا ولد لأخيههم وقد فاضت عبه سبعة أولاد سبعة في
الليل فبذل له الأعمى في كنفهم وبذل له هذا ظهوره فكان الأعمى إذا فاضوا ذل
أنصاره سبعة وأولاد الله هذه الآية

اذا كان كذلك كان الكتاب يقوم على الترتيب والاختصار، وبهذا تكونت له أهمية خاصة في الأوساط الإسلامية.

ד.ד.ד.

(١٤٦) إلى بضاعة أبيه (١٤٥)

مفسرنا زعم اليهود وعلماء أن إبراهيم والأنبياء معه كانوا يعبدون الأصنام، ثم جاء محمد
 والأنبياء بدين الحق، وكان صلوات الله عليه وهو شبكة من فضائل بيت المقدس، وقد أمر

أموالهم ، وأباحت ما يهروت ويحرمونه بعد وضوح البرهان الذي جعله بطريق الواحي ﴿يُنَزِّلُ بِرَأْسِهِ أَتَىٰ تِلْكَ﴾ أي تكون ممن ارتكب أفحش الخلف ، والكلام وارد على سبيل الفرض والتقدير والافاضة من إباحة أموال الكفرة المسمومين ، وهو من باب التضييق للبيان على الحق ﴿فَالَّذِينَ عَقَبَتْهُمْ الْكُفَّةُ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿يَمْزُقُونَ كُنُفَهُمْ أَتَقَاتَمُ﴾ أي يعرفون محمدا معرفة لا يتواء فيها كما يعرف الواحد منهم وبه معرفة يقين ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَازِلُ يَتَنَبَّهُونَ فِيهَا عَلَىٰ تِلْكَ الْأُمَّةِ أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي وإن جماعة منهم • وهم رؤساؤهم وأخبارهم • ليحفون الحق ولا يعلنونه ويخفون صفة النبي مع أنه معروف لديهم بإظهار النعمت ﴿الَّذِي يُخَذِّلُكُمْ مِنْكُمْ بِحُكْمِهِمْ فِي الْأَوَّلَةِ وَالْآخِرَةِ﴾ فهم يكتفون أو مصادق من علم وعرفان ﴿أَلَمْ يَكُنْ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ الَّتِي تَكْفُرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي ما أو جاء الله بآية يا محمد من أمر القبلة والدين هو الحق فلا تكون من المشاكين ، والخطاب للرسول والمراد أمته ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مَنْ حُجِّبَ عَنْهُمْ فَتَنُوا فَتَنُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي لكل أمة من الأمم قبله هو حويلها وجهه أي ماثل إليها بوجهه ، فبادروا وسارعوا إليها الموسر إلى فعل الخيرات ﴿فَإِنْ مَا تَكُونُوا تَأْتِي بِكُمْ اللَّهُ جِيحًا﴾ أي في أي موضع تكونوا من أعماق الأرض أو قمم الجبال بجمعكم الله للحساب فيفصل بين الحق والمبطل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الْفَاسِقِينَ﴾ أي هو قادر على جمعكم من الأرض وإن تفرقت أجسامكم وأبدانكم ﴿فَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي من أي مكان خرجت إليه للسير فوجهك في صلاتك جهة الكعبة ﴿وَلْيَمُزِّقْ لَكُمْ مِنَ زِينَتِكُمْ وَمَا اللَّهُ يُبَدِّلُ مَا تَشَاءُونَ﴾ تقدم تفسيره وكثره لبيان تسلوي حكمه ، السفر والحضر ﴿فَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هذا أمر ثالث باستقلال الكعبة المسترفة وفائدة هذا التكرار أن القبلة كان أول ما نبأ من الأحكام الشرعية ، فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة قال تعالى : ﴿يَتْلُو تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ﴾ أي عزركم أمر القبلة لئلا يتردد عليكم نبيه فيقولوا لا يجدون دينا وضيع قبلة فانكم في لهم حجة عليكم أو كقول المشركين : يدعي محمد مكة إبراهيم وبخالف قبلة • إلا أنكم فكلموهم فلا تستخفوا واستخفوا • أي إلى الخليفة السعديين الذين لا يفتنون أي تعاليل فلا تخافوهم وخافوني ﴿وَلَا تَمْنُوا فَيْتَنًا غِيْبَتُمْ وَلَقَدْ كُتِبَ فِي الْقُرْآنِ لَكُمْ فَتَنَةٌ﴾ أي أتم فضلي عليكم بالهداية إلى جنبه أبكم إبراهيم والتوفيق للسعادة الدارين .

البيان

- ١ - وضع اسم الموسر ، موضع الضمير في قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ الْكِتَابَ﴾ للإيدان بكمال سره حالهم من الخلف .
- ٢ - ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مَنْ حُجِّبَ عَنْهُمْ﴾ هذا من باب التضييق والإلهاب للبيان على الحق .
- ٣ - ﴿وَمَا أَتَىٰ بِكُلِّ بَلَاءٍ﴾ هذه الجملة أبلغ في النفي من قوله : ﴿مَا تَجِدُوا فَنَقُلْ﴾ لأنها عمدة اسمية أو لا تأخذ نفيها بالياء تأني . ذكر صاحب الفوائد الإلهية
- ٤ - ﴿كُلَّ شَيْءٍ أَتَقَاتَمُ﴾ فيه تشبيه أمر من مفضل أي يعرفون محمدا معرفة واضحة كمعرفة أنبيائهم الذين من أصلهم

والمنى كما اتممت عليكم نعمتي، كذلك ارسلت نبيكم رسولا منكم ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ﴾ اي يقرأ عليكم القرآن ﴿وَيُزَكِّيْكُمْ﴾ اي يطهركم من الشرك وقيح العمل ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ﴾ اي يعلمكم احكام الكتاب المجيد، والسنة النبوية المعصرة ﴿وَيُزَكِّيْكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَكُونُونَ﴾ اي يعلّمكم من أمور الدنيا والدين الاشياء الكثير الذي لم تكونوا تعلمونه ﴿تَقْرَأُونَ﴾ اي الاذكار ﴿اي الاذكريني بالمعافاة والطاعة اذكركم بالتراب والسفر﴾ ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾ اي اشكروا نعمتي عليكم ولا تكفروا بها بالجحود والمغيبات، ووي ان موسى عليه السلام قال: يا رب كيف اذكرك؟ قال له ربه: اذكروني ولا تنساني، فإذا ذكرتني فقد شكرتني، وإذا نسيتني فقد كفرتني^(١) ثم نادى تبارك وتعالى عباده المؤمنين بنطق الإيمان ليستنهض منهم إلى امثال الاوامر الإلهية، وهو النداء الثاني الذي جاء في هذه السورة الكريمة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اي استمعوا على أمور دينكم وأمرتكم بالصبر والصلاة، فليصبر سائر كل فصيلته، وبالصلاة ينتهون عن كل ذنبا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَىٰ لَهُمُ الْكُفْرُ﴾ اي معهم بالنصر والمعونة والحفظ والتأييد ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُعْتَصِلُ بِ سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّهُ قَرُنٌ﴾ اي لا تقولوا للمشهداء: إنهم أموات ﴿إِن لَّهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ وَلَئِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ اي بل هم احياء عند ربهم يرزقون، ولكن لا تعلمون بذلك لأنهم في حياهم يرزقون أسرى من هذه الحياه ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَنَّي يَنْزِلُ الْكِتَابُ وَالْفُرْقَانُ﴾ اي لا تعلمون ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَنَّي يَنْزِلُ الْكِتَابُ وَالْفُرْقَانُ﴾ اي ولتستخيرنكم بشيء يسير من الرمان البلاء مثل الخوف والجوع، وذعاب بعض الاموال، وموت بعض الاحباب، وحياض بعض الزروع والشجار ﴿وَلَيُعْلَمَنَّ أَنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ اي بشر الصابرين على المصائب والبلاء بجنات التعيم، ثم بين تعالى تعريف الصابرين بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ اي نزل بهم كرب أو سلاء أو مكروه ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ اي استرجعوا وأقروا بأنهم عبيد لله يفعل بهم ما يشاء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ عَلَيَّ مُلْكٌ مِّن رَّبِّهِمْ يُنَزِّلُ السُّحُوبَ مِن فَوْقِ السَّمَاءِ فَيَنزِلُ بِهِ الْمَاءَ فَيَنسُجُ الْبَاسَ فَيَرْسُلُ فِيهِ خِثَافًا وَمُزَكَّاتٍ وَمِنْهَا خَرْدَلٌ وَسَوْفٌ وَكَافُورٌ﴾ اي اولئك الموصوفون بما ذكر لهم شاء وتمجيد ورحمة من الله، وهم المهتدون إلى طريق السعادة.

البيان:

- ١- بين كلمتي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و ﴿يُزَكِّيْكُمْ﴾ جناس الاشتقاق وهو من المحدثات اللغوية
- ٢- قوله: ﴿وَيُزَكِّيْكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَكُونُونَ﴾ بعد قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ﴾ هو من باب ذكر الحام بعد الخاص لإفادة الشمول ويسمى هذا في البلاغة بـ (الإطناب).
- ٣- ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَنَّي يَنْزِلُ الْكِتَابُ وَالْفُرْقَانُ﴾ فيه لحاظ بالحذف، أي لا تعلمون: هم أموات بل هم احياء (وبينها طباق).
- ٤- التذكير في قوله: ﴿وَيَنْزِلُ الْكِتَابُ وَالْفُرْقَانُ﴾ لتفصيل أي شيء قليل.
- ٥- ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَنَّي يَنْزِلُ الْكِتَابُ وَالْفُرْقَانُ﴾ المتونين فيهما تنعيم، والتعرض بعنوان الرومية مع الإضافة إلى ضميرهم ﴿رَبِّهِمْ﴾ لا يظهر مزيد العناية بهم.

(١) ابن كثير المفسر ١/ ١٢٢.

أعمال دينه وحسناته التي نعيمنا الله بها ﴿مَنْ شَرَعَ نَفْسَهُ أَوْ أَخْتَارَ﴾ أي من قصد بيت الله للحج أو فداءه لزيارة بأحد النسكين «الحج» أو «العمره» ﴿فَلَا يَنْتَظِرُ أَنْ يُفَوِّتَ بِهِمَا﴾ أي لا مرج ولا يتم عليه أن يسمي بينهما، فإنما كان المشركون يسمون بينهما ويتسحرن بالأصنام، فاسموا أنتم لله رب العالمين، ولا تتركوا الطواف بينهما خشية أن ينسب بالمشركين ﴿وَمَنْ تَقَرَّبَ حَقًّا﴾ أي من تقرب بالحج والعمره بعد قضاء حجه المفروضة عليه، أو فعل خير، فربما كان أو تَقَرَّبَ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيْهِ﴾ أي إنه سبحانه شاكراً له طاعته وسجده عليها حبر الجزاء؛ لأنه علم بكل ما يصدر من عباده من الأعمال فلا يضيع منه أجر المحسنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا آتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَأُتُوا بِهِ﴾ أي يخفون ما أنزلناهم من الآيات والنبينات، والدلائل الواضحات التي قبل على صدق محمد ﷺ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ مَا يَكْفُرُ فِي الْكِتَابِ﴾ أي من بعد ترسيخه لهم في الشريعة أو في الكتب السماوية كنزوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِكُتُبِنَا كُفْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿وَأُولَئِكَ الْأَعْمَالُ﴾ أي أولئك الموصوفون بغير «الأعمال» الكاشمين لأوصافه الرسول المحزون لأحكام الشريعة بلعنهم الله قبيحهم من رحمة، وتأنهم لعدائته والعزم من ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَسْلَمُوا وَتَابُوا وَاسْلَمُوا﴾ أي إلا الذين اندموا على ما صنعوا، وأصلحوا ما تسودوا بالكتمان، ويمنون للناس حفيظة ما أنزل الله فأولئك يملئ الله ثوبتهم ويصلهم برحمته ﴿وَأَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي كثر الشربة على عبادي، واسع الرخصة بهم، أصحح عافط منهم من السيئات ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَفَرُوا وَكُفُّوا﴾ أي كفروا بالله واستمروا على الكفر حتى دأبهم الموت وهم على تلك الحالة ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي يلعنهم الله وملأته وأهل الأرض جميعاً، حتى الكفار منهم يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي خالدين في النار - وهي إحصاءها بغير شأنها - ﴿لَا يَحْصِي اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ أي إن عدائهم في جهنم دائم لا يتقطع لا يحصف عنهم طرفة عين ﴿لَا يَغْنَصُ عَنْهُمْ رَحْمَةُ اللَّهِ﴾ ﴿وَأُولَئِكَ يَكْفُرُونَ﴾ أي لا يعملون أو يؤجلون بل يلاهم العذاب حال مفارقة الحياة الدنيا

سحب النبؤول . عن أبي رزمي الله عنه أنه سئل عن العفة والحرمة فقال : كما يرى أنهما من أمر الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أمكننا عليهما فأنزل الله ﴿لَا أَفْشًا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾^١

الإضافة:

- ١ - ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي من شعائر دين الله فبه إيجاز بالحذف .
٢ - ﴿شَاكِرًا غَنِيًّا﴾ أي شبيب عنى الطاعة قال أبو المعمر : عيّر عن ذلك بالشكر مبالغة في الإحسان على العباد فأطلق الشكر وأراد به الجراء طريق المجاز .
٣ - ﴿يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ﴾ فيه التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة إذ الأصل «نعلنهم» ولكن في إظهار الاسم الجليل ﴿يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ﴾ إلقاء البرعة والمهابة في القلب .
٤ - ﴿وَيُؤْتِيهِمْ أَفْئِدَةً﴾ فيه جناس الاشتقاق . وهو من المحسنات الابدعية .

والمراد به ما يكون بين الناس من روابط كالنسب والمصداقة ﴿كُرَّةٌ﴾ الكثرة: فالرجعة والعودة إلى الساحة التي كان عليها ﴿حَسْرَةً﴾ جمع - حسرة وهي أشد الندم على شيء فانت، وفي التنزيل: ﴿أَنْ تَقُولَ نَحْنُ بِمَسْرُورٍ﴾ أي ما فرحت في حب أنبياء.

سَجِبَ السُّؤَالُ. عَنْ سَعَاءٍ قَالَ: أَتَرَأَتْ بِالْمَدِينَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ فَقَالَتْ كَعَارُ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ: كَيْفَ يَسْجُ النَّاسُ إِلَهُ وَاحِدًا؟ فَنُتَوَلَّى الْمَلْعَ قَعَارُ. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْكَشُوفُ وَالْأَزْهَرُ...﴾
إِلَى قَوْلِهِ... أَتَرَأَيْتُمْ يَوْمَ يُنْفَخُونَ^١

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ وَلَا إِلَى يَوْمِ الْآخِرَةِ ۚ وَمَن يَدْعُ إِلَى الضَّلَالَةِ فَهُوَ كَمَا يَدْعُ إِلَى الْهُدَىٰ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ وَلَا إِلَى يَوْمِ الْآخِرَةِ ۚ وَمَن يَدْعُ إِلَى الضَّلَالَةِ فَهُوَ كَمَا يَدْعُ إِلَى الْهُدَىٰ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾

التفسيب: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَازِلُ مُتَتَابِعَةٌ﴾ أي إنهم المستحق للعبادة، إنه واحد، لا نظير له في ذاته، لا في صفاته ولا في أعماله ﴿كَأَنَّهُمْ فِيهَا مُنَادُونَ﴾ أي لا معبود بحق إلا هو جل وعلا مولى السم ومصدر الإحسان ﴿إِنَّ فِي سَمَوَاتِكُمُ اثْنَتَيْنِ وَالْأَرْضُ فِي سِتٍّ﴾ أي إن في إبداع السموات والأرض سما بينهما من عجائب مصنعة ودلائل القدرة ﴿وَنُفُوسُهُنَّ أَنْثَىٰ ذَكَرًا﴾ أي تعاقبهما بنظام محكم، يأتي الليل فيعقبه النهار، ويتسلخ النهار فيعقبه الليل، وبطول النهار وينقص الليل، والعكس ﴿وَالسَّائِفُ آتَانِي بَحْرِي فِي الْيَوْمِ﴾ أي السفن الفسحة الكبيرة التي تسير في البحر على وجه الماء وهي موزعة بالانقلاب ﴿فِيهَا يَخْتَضِرُ الشَّجَرُ﴾ أي يما فيه مصالح الناس من أنواع لمتاجر البضائع ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّارِ وَكَانَ الشَّجَرُ مِنْ قَنْبَرٍ﴾ أي وما أنزل الله من السحاب من المطر الذي به حياة البلاد والعباد ﴿فَأَنشَأَ مِنْ الْأَرْضِ بَنَاتٍ زَوَّجْنَاهُنَّ فِي الْيَوْمِ﴾ أي أحيا بهذا الماء الزرع والأشجار، بعد أن كانت باسمة محدبة ليس بها حبوب ولا نمو ﴿وَمِنْ فِيهَا مِنْ مَعْنَى النَّكْرِ﴾ أي أنشأ وفارق في الأرض من كل ما يمدد عليها من أنواع الدواب، المختلفة في أحجامها وأشكالها وأنوعها وأصواتها ﴿وَنَضْرِبُ الْيَوْمَ إِلَيْكَ غَيْبِ الرِّيحِ فِي مَرْيَبِهَا جَنُوبًا وَشِمَالًا﴾ حارة رباردة، ولينة وعاصفة ﴿وَنُفِثَ الْيَوْمَ أَنْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِسَافِ﴾ أي السحاب المذلل بقدرة الله، يسير حيث شاء الله وهو يحمل الماء الغزير ثم حمله على الأرض قطرات قطرات، قلل كعب الأحبار: السحاب غرمان المطر وتولا السحاب لأقد السطر ما يقع عليه من الأرض ^{١١١} ﴿لَا يَخْشَوْنَ الْعَذَابَ﴾ أي لدلائل وبراهين عظيمة دالة على

١ : السجائب النزهة للأحد، ص ٢٥، القزطبي ١٩٦٢ .

1. 4 14/11 1994

الفوائد

الأول: ذكر تعالى في الآية من عجائب مخلوقاته ثمانية أنواع تنبئها على ما فيها من العبر واستدلالا على الرحمانية من الأثر. الأول: خلق السموات وما فيها من الكواكب والشمس والقمر، الثاني: الأرض وما فيها من جبال وبحار وأشجار وأنهار ومعادن وجواهر، الثالث: اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والنور والظلمة والبرودة والحرارة، الرابع: السفن العظيمة كُنْها الراميات من البحار وهي موفرة بالإنقاذ والرجاء تجري بها الريح مقيمة ومديرة، الخامس: المطر الذي يجعله الله سببا لحياة الموصولات من حيوان ونبات وانزاله بمقداره السادس: ما بث في الأرض من إنسان وحيوان مع اختلاف الصور والأشكال والألوان، السابع: تصرف الرياح، والثراء حسم لطيف وهو مع ذلك في غاية القوة بحيث يطلع الصخر والشجر ويخرب الشبان العظيم وهو مع ذلك حيلة الوجود فلم أسك طرفه عين ثبات كل ذي روح وأمن ما على وجه الأرض. الثامن: المسحاب مع ما به من الحياة العظيمة التي تسيل منها الأودية الكبيرة ينقي معلما بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسند قسبحان الواحد القهار.

الثانية: ورد لفظ الريح في القرآن مفردة بمجموعة، فجاءت مجموعة مع الرحمة، مفردة مع العذاب كقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِنِّي أَزِيدُ الْعَذَابَ﴾ وقوله: ﴿وَقُلْ أُولَئِكَ أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ يَكُنَّ رَحْمَةً﴾ وجاءت مفردة في العذاب كقوله: ﴿وَيُؤَيِّدُ بَيْنَهُمْ سُلُوفًا يُحَدِّثُونَ﴾ وقوله: ﴿فَرِيحٌ كَثِيرٌ﴾ ودوي أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا هبت الريح: اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا.



قال الله تعالى: ﴿يَتْلُوهَا أَنْفُسٌ مُكَلِّمَاتٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ فِي الْأَرْضِ يَكُونُ لَهُنَّ صُفُوفٌ مُنْتَهِيَةٌ﴾ من آية (١٦٨) إلى نهاية آية (١٧٦).

الغاية: لما بين تعالى التوحيد والائتلاف، وما للمؤمنين المتقين والكفرة المعاصين، أتبع ذلك بذكر إنعامه على الكافر والمؤمن: ليدل على أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام؛ لأنه تعالى رب العالمين، فأحسن علم الجميع الأنام دون تمييز بين مؤمن وكافر وبر وفاجر. ثم دعا المؤمنين إلى شكر نعمته جل وعلا والأكل من الطيبات التي أباحها الله، واختاب ما حرمه الله من أنواع الخبث.

الغاية: ﴿خَطَرَاتٍ الْكُفْرَةِ﴾ جمع خطورة، وهي في الأصل ما بين الضلالتين عند المشي، وتستعمل مجازا في تنوع الآثار، ﴿أَنْفُسٌ﴾ أصل الشراء، ما يسو الإنسان أي بمنزته، ويطلق على المعصية لم لا فهو فعلا لو اعتقادا لأنها تسو صاحبها أي تحزنه في الحال أو المآل ﴿الْمُتَشَاوِرَاتُ﴾ ما يستظم ويشتد من المعاصي، فهي أفصح أنواع المعاصي ﴿أَلْفًا﴾ ووجدنا رمنة ﴿وَالْفَا﴾ سُدَّهَا ﴿يَتْلُوهُنَّ أَنْفُسٌ مُكَلِّمَاتٌ﴾ أي وجدوا ﴿يُؤَيِّدُ﴾ يصيغ بقاء: تعق الراعي بعنقه ينعق نعيقا

إِلَّا كَفَّةً وَفَذَلِكُمْ فِي عَدَمِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعَدْلِ وَحُجَّتِهِ السَّاطِعَةِ وَمَنْعٍ مِنْ يَدِهِمْ
 إِلَى الْهَدْيِ: كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي يَصْبَحُ بِخَتْمِهِ وَيُزَجِّرها فِيهِ تَسْمَعُ الصَّوْتُ وَإِنْ شَاءَ دُونَ أَنْ يَفْهَمُ
 الْكَلَامَ وَالسَّرَّاءُ، أَوْ تَذَكُّرُ الْمَعْنَى الَّذِي يَقَالُ لَهَا: فَهَذَا الْكُفْرُ كَالدُّوَابِّ الْمَارِحَةِ لَا يَفْهَمُونَ حَا
 نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَلَا يَفْقَهُونَ، يَسْمَعُونَ الْقِرَاءَانَ وَيَعْتَوُونَ عَنِ الْآذَانِ ﴿إِنَّهُمْ لَا يَأْتِيهِمْ لِقَاءُكُمْ أَشَدُّ﴾
 كَيْدًا ﴿وَلِهَذَا فَانْ نَحَالِي: ﴿مَنْ يَكْفُرْ يَكْفُرْ لَكُمْ لَا يَنْتَوُونَ﴾ أَيُّ صَدْرٍ مِنْ مَسَامِعِ الْحَقِّ، يُكْفِرُ أَيُّ
 غَرَسٍ مِنَ النَّصْرِ بِهِ، مِمَّنْ مِنْ رِوَيْهِ فَعَمَّ لَا يَفْقَهُونَ مَا يَقَالُ لَهُمْ: لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكَلَامِ وَابْنُ قَيُّمٍ
 فِي إِسْلَامِهِمْ يَخْتَلِفُونَ وَخِلَافَةُ الْمَثَلِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ مَا
 يَمُرُّ الرَّاعِي أَكْثَرُ مِنْ مَسَامِعِ الصَّوْتِ دُونَ أَنْ يَفْهَمَ الْمَعْنَى، وَهُوَ حَلَاةُ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿تَنَبَّأَ
 الْوَيْلُ مَا أَصْحَابُ كَيْفِي مَا وَرَفَتَكُمْ﴾ خَاطَبَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَفْقَهُونَ بِالتَّوْحِيدِ هَاتِ
 الرِّبَايَةِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ كَلِمَاتُهَا أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ احْتِمِلْتُمْ وَمَا طَابَ مِنْ تَرْكُوكِ الْحِلَالِ الَّذِي
 رَزَقَكُمْ اللَّهُ بِهِ ﴿وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ بِالْعِبَادَةِ وَلَا يَحِيدُونَ أَحَدًا سِوَاهُ﴾ إِنَّمَا مَرَّ عَلَى حَقِّهِ الْقَبِيلَةُ بِاللَّهِ وَنَحْمُ
 الْغَنَرِ ﴿أَيُّ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْغَبَائِثَ كَالْمَيْتَةِ وَالْخَمِّ وَالْحَمِّ الْخَنَزِيرِ ﴿وَمَا أَوْلَى بِهِ، يَقُولُ اللَّهُ﴾
 أَيُّ وَمَا ذُبِحَ لِلْأَصْنَامِ فَكُنْ عَلَيْهِ اسْمُ عِبَرِ اللَّهِ كَقَوْلِهِمْ: بِاسْمِ الْمَلَائِكَةِ وَالْهَوَىٰ ﴿فَإِنِّي أَخْطَرُ عَمَّ تَنْزِيلِ
 وَلَا تَقُولُ أَيُّ فَمَنْ الْجَدُّهُ ضَرُورَةٌ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِنَ الْمَحْرُومَاتِ بِشَرِّطٍ أَلَا يَكُونُ سَاعِيًا فِي فِسَادٍ،
 وَلَا يَجَاوِزُ مَقْدَارَ الْحَاجَةِ ﴿فَلَا يَأْتِي غَلَّةً﴾ أَيُّ مَا عَفْوَةٌ عَلَيْهِ فِي الْأَكْلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ﴾
 أَيُّ يَخْضَرُ الذَّنُوبَ وَبِرَحْمَةِ الْعِبَادِ، وَمَنْ رَحِمَهُ لَمْ يُبَاحِ الْمَحْرُومَاتُ وَكَتَبَ الْمَحْرُورَةُ ﴿إِنَّ الْوَيْلَ
 يَكْتُمُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِالنَّكِيبِ﴾ أَيُّ يَحْمَلُونَ صِفَةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَذْكُورَةُ فِي النُّورَةِ وَهُمْ
 الْيَهُودُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَزَلَّتْ فِي دُورِهَا، الْيَهُودُ عَرَبِينَ كَتَمُوا نَعْتَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَلَقَدْ يَكْفُرُ بِهِ، قُلْنَا
 قِيلًا﴾ أَيُّ يَأْتِدُونَ بِدَلِّهِ حَوْثًا حَضَرًا مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا ﴿أَوَلَيْكَ مَا يَأْتِيهِمْ فِي مَكُونِهِمْ، لَا تَنْتَرِ﴾ أَيُّ
 إِنَّهُمْ يَأْتِيهِمْ تَدَارًا تَأْتِيهِمْ فِي مَكُونِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُمْ أَكَلُوا ذَلِكَ النَّسَاءَ الْحَرَامَ بِتَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى إِتْرَارِ
 ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ بِمَنْ أَنْتَبَهَ﴾ أَيُّ لَا يَكْتُمُهُمْ كَلَامُ رَضِيَ كَمَا يَكْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ يَكْتُمُهُمْ كَلَامُ
 عَصَبٍ كَقَوْلِهِ: ﴿أَنْتُمْ مِمَّا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَلَا تَرْضَوْنَ﴾ أَيُّ وَلَا يَطْهَرُهُمْ مِنْ دَسِ الذَّنُوبِ
 ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ غَدًا، أَوْ كُنْتُمْ فِي عَذَابٍ مُزِيلٍ وَهُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ أَوَلَيْكَ الْوَيْلُ الْغَدَاةُ تَعْلَمُونَ بِاللَّهْمَّ أَيُّ
 أَخَذُوا انْتِفَاعًا بِدَلِّ الْهَدْيِ، وَالْكَفَرُ بِدَلِّ الْإِيمَانِ ﴿وَالْقَدَرَاتِ وَالْمَقْدُورَاتِ﴾ أَيُّ وَاسْتَعْدَلُوا الْجَحِيمَ
 بِالْحَبَّةِ ﴿فَلَمَّا كَتَبْتُمْ عَمَّ أَنْتَابِ﴾ أَيُّ مَا أَشَدَّ صَبْرَهُمْ عَلَى نَارِ جَهَنَّمَ وَهُوَ تَحْيِيْلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
 بَرَاءَةِ أُولَئِكَ الْكُفْرَ عَلَى خِطَرَاتِ الصَّمَامِ: ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مَبْنًى سَبَّ السَّكَاةَ وَالْعَذَابَ:
 ﴿وَلَقَدْ يَأْتِيهِ، تَزَلَّتْ الْعَجَائِلُ بِالْعَقْلِ﴾ أَيُّ فَذَلِكَ الْعَذَابُ الْوَالِيَهُمْ سَبَبٌ أَنْ يَكُونَ تَزَلُّوا كِتَابَهُ وَتَزَلَّتْ رَأْيًا
 بَيْنَ الْحَقِّ وَكَتَمُوا رَحْمَتًا سَابِقَةً ﴿وَلَقَدْ يَأْتِيهِ، تَزَلَّتْ بِالْعَقْلِ﴾ أَيُّ تَعْلَمُوا فِي شَرِّهِ وَتَحْرِيقِهِ
 ﴿فَلَمَّا تَعْلَمُوا بِهِ﴾ أَيُّ فِي خِلَافِ بَعْدِ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّرَفِ، مَسْتَوْجِبٌ لِأَشَدِّ الْعَذَابِ.

سبب الرسول: قال ابن عباس: نزلت هذه الآية من رزء اليهود. كتب بن الأشرف
 ومالك بن النصف: يحيى بن أعين كانوا بأحدون من أشاعهم لغيره. وقد رث محمد عليه
 السلام عفافه المطاع تلك المدح قدما أمر محمد وأمر شراعه فركت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ الْمُعْزِينَ﴾ ١٠٠ ﴿وَلَا تَعْلَمُوا﴾ ١٠١

للمادة

- ١ ﴿لَا تَعْلَمُوا أَن تَعْلَمُوا﴾ استعارة عن الاتقان به وتبع آثاره قال في التلخيص البيهقي: وهي أبلغ
 عبارة عن التعشير من ساحة فيما يأمرون به ويؤتون قوله فيما يدعونه إلى نهيته ١٠٢
- ٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هو من باب «عطف الخاص على العام» لأن القسم يتناول جميع
 الناس، والخاصة أفصح وأخصر المعاني
- ٣ ﴿وَنُفِثَ الْيُونُ حُمْرًا﴾ فيه تشبيه (مر من) ومحمل (مر من) المأكول الأكل، وهو بمنزلة الحمر. وجه
 التشبيه، فقد شبه الكفار بالله الذي يسمع صوت المعاصي دون أن يفقه كلامه وتعرف مراده.
- ٤ ﴿لَا تَعْلَمُوا أَن تَعْلَمُوا﴾ حدثت أداة الخفية ووجه التشبيه، فهو تشبيه بطبيعة أي شيء كالعلم في عدم
 صلاح الحق وكما هو في كماله في عدم الانتفاع بغير الترتيب.
- ٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْلَمُوا﴾ محذوف مرسل باعتبار ما يقول الله: أي إنما يأنكلمون تعالى
 الحرام الذي يفضي بهم إلى النار ويؤلفه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ زيادة تشجيع وتوبيخ لحالهم وتصويرهم
 بمن يتناول وحش جهنم، وذلك لأفزع سائر وأشد إيجاعا.
- ٦ ﴿لَا تَعْلَمُوا أَن تَعْلَمُوا﴾ استعارة ووجه الاستعارة والكفر بالآيات وما قد تشبه في قول

المسورة بجواز هذه الاستعارة

المؤلف

الأولى: عن ابن عباس قال: نفيت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأثرين
 شدك ظنك ﴿فَقَامَ مَعَهُ بَنِي إِسْرَافِيلَ﴾ فخاص فقال: يا رسول الله، أفعى الله أن يبعث إلي من معجزة
 الدعوة؟ فقال: «يا سعد، أبشئ مطمئنت تكون مستجاب الدعوة، والذي يقبل محمد بن عبد الله
 لم يكن يفتقد الشفقة الحرام في جوفه ما يتقبل هذه أربعين مؤلفا، وإنما سئلوا من لحيه من
 اللغات وأمرها بالآية الأولى به ١٠٣

الثانية: قال بعض المؤلف: يدخل من اتباع خطوات الشيطان كل معصية منه، وكل ما في
 المعاصي، قال الشعبي: نذر رجل أن يضر ابنه فأمره مسروق بن زياد بنسب وقال: هذا من خطوات
 الشيطان ١٠٤

الثالثة: قال ابن كثير في إعراب الموقعير عن قوله تعالى: ﴿وَنُفِثَ الْيُونُ حُمْرًا﴾ كمثل الذي

١٠٠ التلخيص البيهقي ج ١ ص ١٠١

١٠١ محاسن التأويل ج ١ ص ١٠٢

١٠٢ المعجم الزاوي ج ٢ ص ٢٨٥

١٠٣ تفسيره المصنف ج ١ ص ١٠٤

وَأَقْبَلُ الْبُشْرَى وَأَمَّا الرَّاكِبُ فَلْيَمْلِكْ بِخَدَمِهِمْ يَسْعَوْهُمْ الْغَيْمُ وَالْحُمْمُومُ فِي الْأَشْحَابِ وَالْغَوَامِرِ فِي الْأَنْهَارِ وَمِنْ الْأَنْهَارِ يُنْفِثُ الْغَدَقَاتُ فَيَحْيِي بِهِهَا الْأَرْضَ فَيَكُونُ عَرْشًا لَكَ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَوْمُ الْقِيَامِ ۚ

[illegible]

اندية فله عذاب اليم هي الآخرة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي ولكم - يا أولي العقول - فيما شرعت من القصاص حياة وأتى حياة لأنه إذا قتل نفساً قُتل بها برئعه وبترجي عن القتل ، فيحفظ حياته وحياة من أراد قتله وكذلك تُصان الأرواح وتُحفظ حياة الناس ﴿لَكُمْ شُرُوفُ أَيْ لِعَلَّكُمْ تَتَزَيَّرُونَ وَتَقْتُلُونَ مَعْلَمٌ لَهُ وَأَنْتُمْ ﴿كُنْتُمْ عَنْكُمُ إِذَا قُتِلْتُمْ لَوْلَا يُؤْتَى أَهْلُ الْقُرُوبِ﴾ أي فرض عليكم إذ أشرف أحدكم على الموت وقد ترك مالا كثيرا ﴿تَوْصِيَةً لِلَّذِينَ وَلَّيْتُمْ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي وجب عليه الإيصاء لأقربيه والأقربين ﴿وَالْمَرْبُوبَ سَلَامًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ما بعد بأن لا يزيد على الشك والأيوحي للأغنياء ويشرك الفقراء ، هذا لأمرنا على المؤمنين لله ، وقد كان هذا واجبا قبل نزول آية الموارسة ثم ليخ بأمة السماوية ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ أي من غير هذا الوصية بعد ما علمها من وصي أو شاهد ﴿فَالْيَمَّةُ يَكْفُرُ عَلَى نَفْسٍ بِبُيُوتِهِمْ﴾ أي إثم هذا التبديل على الذين بدلوه لأنهم علموا وعلموا حكم الشرع ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه وعيد شديد للمبدلين ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ يَكْفُرْ﴾ أي فمن علم أو ظن من الموصي مبدلا عن الحق باطلا ﴿أَوْ إِشَارًا﴾ أي مبدلا من الحق ممدا ﴿فَالْيَمَّةُ يَكْفُرُ﴾ أي أصلح بين الموصي والموصى له فلا ذنب عليه بهذا التبديل ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي واسع المغفرة والرحمة لمن قصد بعمله الإصلاح .

تفلاحة

١ - ﴿وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ حَيَوةٌ﴾ حُجِّلَ البرُّ نفس من آمن على طريق العبادة وهذا معهود في كلام السلفاء إذ تجددهم يقولون : استغناء حاتم ، والشعر زهير ، أي أن السخاء سخاء حاتم ، والشعر شعر زهير ، وعلى هذا خرجته سبويه حيث قال في كتابه : قال جرير وعمر : ﴿لَكُمْ فِي الْقُرْآنِ حَيَوةٌ﴾ وإنما هو : ولكن البرُّ من آمن بالله ، نفسٌ وتفسير ذلك أن تقول : ليس الكرم أن تبدل بزهديا ولكن الكرم بذل الآلاف ، فلا يتناسب ولكن الكرم من يبدل الآلاف .

٢ - ﴿وَلِي الْقُرْآنِ﴾ إيجاز بالحذف أي وفي ذلك الرقابة يعني قراء الأسرى ، وفي لغة القران : معجز مرسل ، حيث أطلق الرقة وأراد به النفس وهو من إطلاق البحر ، ورادة لكل

٣ - ﴿وَالْقُرْآنِ فِي الْإِنشَاءِ﴾ الأصل أن يأتي حرفا كقوله : ﴿وَالْقُرْآنُ مَهْدِيَةٌ﴾ وإنما عصب على الاختصاص أي وأعمل بالذكر الصديقين . وهذا الأسلوب معروف بين البلغاء فإذا ذكرت صفات المدح أو الذم وغرت في إعراب في بعضها فذلك تنقن ويسمى قطعاً ، لأن تغيير الأسلوب يدل على مزيد اهتمام بشأنه وتشويق لسماعه .

٤ - ﴿وَلَوْلَيْدُ الْأَنْبِيَاءِ سَفَرًا﴾ الجملة جاء الخبر فيها عملاً باسم «صدقوا» لإفادة التحقيق وأن ذلك وقع منهم واستقر ، وأنه يخبر الثانية في جملة تسمية ﴿الْأَنْبِيَاءِ﴾ فَمُ الْقُرْآنُ ﴿لِيَدُلَّ عَلَى الْحَقِّ وَهُوَ لَيْسَ مُتَجَدِّداً بَلْ صَارَ كَالنَّجْمِ لَهُمْ وَمَرَاةٌ لِلْعَامِلَةِ أَيْضًا﴾ .

٥ - ﴿مَعًا عَلَى النَّبِيِّينَ﴾ ذكر المؤمنين من باب الإنهاك والتوبيخ .

٦ - السُّبْحَانَ بَيْنَ الْبَاقِ وَالْأَوَّلِ وَبَيْنَ الْحَزَنِ وَالْمَعْدِ

الغواص.

الأولى: من ذكر الأحرار: تحطفت دافع إلى العفو، فقد سقى الله القتلى أخا لولي المعتول ﴿فَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْفِئَةِ فِئَةٌ مِنْكُمْ﴾ تذكير بالأحرار الدينية والشرية حتى يهز عطف كل واحد منها إلى الآخر فليعلم بينهم العفو والاتباع بالمعروف والأداء بالإحسان.

الثانية: كذا في بني إسرائيل للفصاح ولم يكن لهم مذبة، وكان في المصارى العدة وء يمكن فيهم لفصاحي، فأكرم الله هذه الأمة المحمدية وغيرها بين لفصاحي والذبة والمفر، وهذا من يسر الشريعة الغراء التي جاء بها سيد الأنبياء ﷺ.

الثالثة: اتفق علماء البيان على أن هذه الآية ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ بالحة أملى درسات البلاغة، ونقل من العرب في هذا، بمعنى قولهم: القتل أغنى للقتل، ولكن نورد الحكمة في القرآن فضل من ناحية حسن البيان، وإذا شئت أنه تردد خبره بفضل بلاغة القرآن وسمو مرتبه على مرارة ما تطرق به بلفظ البشر، فانظر إلى العبارتين فذلك تجد من نعمات الإعجاز ما يبهت لأن لشهد الفرق بين كلام الخلق وكلام المخلوق: أما الحكمة القرآنية فقد جئلت سبب الحياة الفصاح وهو القتل مبنية على وجه المسائل، والمثل العربي جعل سبب الحياة القتل، ومن القتل ما يكون ظلياً فيكون سبب للعناء، وتصحيح العبارة أن يقال: القتل فصاحاً أغنى للقتل ظلياً، والآية جاءت لحماية من التكرار اللفظي والمثل كُرد فيه لفظ القتل فمث بهذا التكرار من التقليل ما سلمت منه الآية، ومن الترويق الدقيق بينهما أن الآية جعلت الفصاح سبب للحياة والمثل جعل القتل سبب لغير القتل وهو لا مستلزم للحياة. الخ وقد غد العلماء محشرين وحها من وجوه التفريق بين الآية القرآنية والمفظة العربية وقد ذكرها السيوطي في الإنقاذ فراجع إليه تجد فيه شفاء الخليل.

□ □ □

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَأْتُرُونَ قِيَمَتَكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾. إسن. . كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْبَاطِلَ لَكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ من آية (١٨٣) إلى نهاية آية (١٨٧).

المناسبه، ذكر تعالى في الآيات السابقة حكم القصاص ثم عطف بحكم الوصية للوالدين والأقربين، ثم بأحكام الصيام على وجه التفصيل لأن هذا الجزء من السورة الكريمة يتناول جانب الأحكام الشرعية ولما كان المصوم من أهم الأركان ذكره الله تعالى هنا ليهي عباده إلى سائر الفلاس ومعارج المستبين الأمور.

اللفظ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في اللغة: الإمساك عن الشيء، قال أبو عبيدة: كن ممسكاً عن الضم أو كلام لم يتر فهو صائم، قال الشاعر:

حَيْلٌ صَبِيحٌ وَخَبَلٌ غَيْرُ صَائِمٍ تَمَتَّعَ النَّجَاحُ وَأَمْرٌ تَعْلُكُ اللَّجْجَا

وفي الشعر: الإمساك عن الطعام واشتراب والجماع في النهار مع البتة ﴿يَلْبِغُكُمْ﴾ أي

بصورتونه حصر و مشقة، قال الرب: **«الطاعة خير لحفظك، ما يمكن للإنسان أن يفعله مع الله، و
قضاء الطاعة المحيط بالشئ»** **«مادة»** ما يفعله به الإنسان نفسه من مال وغيره **«شئ»** من
الاستثمار، وعبء الطهور **«اختلاف»** من الرب الذي هو الله **«مادة»** ورمضاء الله من التمسك،
والمحبة ورمضاء الله بربك الذي يربطها **«أوقات»** الجماعة ورمضاء الله نفسه فوق الفصحى له
كثيره من المبدأ، قال: **«الله»**

ويُخبر من أمر حديث (أَجَا) . ويصل من وقت رجل نذر
﴿عَلَا لَوْ﴾ قال في الأمر جاء واستاء والحجاء مصدر من الحجاء وهي صد لأمانة
ومثل بعد فروع من التبع فضل . أحرك وإن جازك ﴿مَكُونُ﴾ التثنية في الجمع المثلث
واللزوم . ومن التبع . المثلث في التبع واحدة ﴿حُدُودُ﴾ الحد في اللغة المنع . وأساء
أعاض بين المثلثين . وسببت لأحكام حدوداً لأنها تمنع بين الحق والباطل .

سبب الخوف رأى أن جماعة من الأتباع سألوا النبي عن محمد ثم سألوا
فإنه أم عبد فناداهم فقالوا له ﴿هؤلاء هم بني عبد المطلب﴾ الآية

[illegible]

لنفسه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عاد من لفظ الإنسان بغير ذكر فيها ملأها فغفلة ويؤذي بهيم
حقاً الإنسان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أرض ما بينكم وبين الله وهو جدرانكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي كما فرض على الأمم فادفعه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي تخمروا من النبيين به
المحسوس لمعاريه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي وتعيّنوا أمامه معدوداً وهي أيام وعوائل وأهل يعرفون
عليكم الله قال تعديلاً ووجهكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي تخمروا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي
من دابة من دابة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي تخمروا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي تخمروا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

يُضَيِّقُونَ بِذُنُوبِهِمْ عَصَامَ يَتَكَبَّرُونَ أَي وَعَلَى الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ صِيَامَهُ مَعَ الشَّقِيقَةِ لِلْخَوْصِ أَوْ ضَعِيفِ
 إِذَا أَطْعَمُوا عَلَيْهِمْ عَدِيَّةً بِقَدْرِ مَتَاعٍ مَسْكِينٍ لَكِنْ يَوْمَ ﴿فَمَنْ تَتَوَكَّلْ حَبْرًا﴾ أَيِ فَمَنْ زَادَ عَلَى الْقَدْرِ
 الْمَذْكُورِ فِي الْقَدِيَّةِ ﴿فَهُوَ سَرٌّ لَكَ﴾ ثُمَّ قَالَ شَامِي: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيُزِيلُ عَنْكَ اللَّهُ كَنْزَهُ﴾ أَيِ:
 وَالصَّوْمَ حَبْرَ لَكَ مِنَ الْفُطْرِ الْقَدِيَّةِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّوْمِ مِنْ أَجْرٍ وَفَضِيلَةٍ ثُمَّ بَيَّنَّ نَعْلَى
 وَفَسَدَ الصِّيَامِ بِقَوْلِ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ لَفُتِ بِلِهَافٍ فَتُحَدَّثُونَ﴾ فَيُكَلِّمُ وَيُخَبِّرُ بَيْنَ الْهَلَاكِ
 وَالتَّقَرُّقِ أَيِ وَالْأَيَّامَ الْمُبِيدَةِ الَّتِي فُرِصَتُهَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الَّتِي أَبْدَأَ
 فِيهِ أَنْبَاءُ النَّبِيِّ إِذْ قَالَ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لِلنَّاسِ إِذَا فُتِيَ مِنْ أَوْشَادٍ وَإِحْجَازٍ وَأَبْرَافٍ وَاضْدَحَاتٍ تَعْرِى سِيْرَ
 الْحَنِّ وَالْبَاطِلِ ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أَيِ مَنْ حَضَرَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فليصمه ﴿وَمَنْ حَضَرَ
 شَهْرًا أَوْ غَلَّ مِنْهُ مَرَدَّدٌ بِأَنَّكَ أَهْلُ الْغُرَى﴾ أَيِ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ سَافِرًا فَليُفْطِرْ عَلَيْهِ صِيَامَ أَيَّامٍ
 أُخَرِ وَكَثُرَ تِلْكَ بَنُوهُمْ نَسَخَهُ بِمَعْنَى لَقَدْ شَهِدُوا الشَّهْرَ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
 الْعُسْرَ﴾ أَيِ يُرِيدُ اللَّهُ بِهَذَا التَّرْخِصِ لِيَسِيَ عَلَيْكُمْ لَا الْعُسْرَ ﴿وَالْعَصْرُ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَيِ وَلْيَكْمَلُوا
 عِدَّةَ شَهْرِ رَمَضَانَ بِغَضَاءِ مَا أَفْطَرْتُمْ ﴿وَالْعَصْرُ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَيِ وَلْيَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا
 أَوْشَدَكُمْ إِلَيْهِ مِنْ مَدَامٍ أَدْبَنَ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيِ وَلَكِنْ تَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى فَضْلِهِ أَعِدَّ لَهُمْ
 لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ أَنَّهُ لَمْ يَرْجِ بِحَبِيبٍ دَعَاةَ الْغَايِبِينَ بِفَضْلِ حَوَائِجِ السَّائِلِينَ فَقَالَ: ﴿وَأَمَّا مَا لَكَ
 يَا حَبِيبُ مِنْ رَبِّكَ﴾ أَيِ إِذَا مَدَّ يَدَهُ أَسْمَعَ دَعَاهُكُمْ وَرَأَى تَوَدُّهُمْ وَأَعْلَمَ حَالَهُمْ كَقَوْلِهِ
 ﴿وَمَنْ قَرَأَ يَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ ﴿يُجِيبُهُ دُعَاؤُكَ﴾ أَيِ أَسْمِعَ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاكَ إِذَا كَانَ
 عَنْ إِيمَانٍ حَشَرَعْتَ لَهُ ﴿فَلْيَسْتَسْئِلُوا لِي وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ﴾ أَيِ إِذَا كُنْتَ تُدَارِكُكَ الْخَبَرُ
 عَنْكُمْ مُجِيبَ دَعَائِهِمْ فَاسْتَجِيبُوا لَهُمْ نِي بِالْإِيمَانِ مِنْ مَطَاعَتِي وَدُورِي عَلَى الْإِيمَانِ لِيَكُونُوا
 مِنَ السَّعِيدِينَ هَذَا الدِّبْسُ... ثُمَّ شَرَعَ نَعْلَانِي فِي بَيَانِ قِسْمَةِ أَحْكَامِ الصِّيَامِ بِمَا أَنْ ذَكَرْتُهُ بِقُرْبِ
 وَادِّعَاءِ فَعَالَ ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الْاِثْنَيْنِ وَالْاِثْنَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ﴾ أَيِ لِيُجِبَ تَكْمِيلُهَا الصَّائِمُونَ عَشِيَّةَ
 النَّاسِ فِي لَيْلَتِي الصَّوْمِ ﴿فَمَنْ عَاشَ مِنْكُمْ فَلْيَصُمْهُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ سَكَنَ لَكُمْ وَنَسِيَ
 سَكَنَ لَكُمْ ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ لَكُمْ كُنْتُمْ تَخْشَوْنَ اللَّهَ﴾ أَيِ تَخَوُّوْهُمَا بِمُقَارَفَةِ الْجَمَاعِ إِلَيْهِ فَانْسِلِمَا
 وَكَانَ هَذَا مَحْرُوفٌ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ نَسِمَ رَوَى الْحَاوِي عَنْ الْبِرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا
 أَوَّلَ صَوْمِ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ التَّصَدَّقَ وَمَصْلَاهُ كَمَاءٌ وَكَأَنَّ وَحْدًا يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ فَأَنزَلَ اللَّهُ
 ﴿قَدْ لَكُمْ لَيْلَةُ الْاِثْنَيْنِ وَالْاِثْنَيْنِ﴾ الْآيَةَ ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ وَفَقَدْ حَكَكَهُ أَيِ لَقَدْ سَوَّيْتُكُمْ
 وَهَمَّ عَنْكُمْ نَسِمَ قُلُوبُ النَّاسِ ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّبِيَّ يَتْلُوا مَا سَخَّرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أَيِ جَامِعُونَ فِي
 لَيْلَتِي الصَّوْمِ وَاطْلُبُوا تَكْلَافَهُنَ الْوَلَدَ وَلَا تَدْرُسُهُ مِنْ نَفْسِهِ الشُّبُوهَ فَعَلَّ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيُزِيلُ عَنْكَ
 اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ يَدِهِ﴾ أَيِ كَلَامُهُ أَسْرَعُوا إِلَى طَلْعِ النَّصْرِ ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ أَيِ
 تَبَيَّنَ أَيِ أَسْكُرَ عَنِ الضُّعْفِ وَالشُّرَابِ وَالنِّكَاحِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ﴿وَلَا تَزِلْزَلْهُ﴾ وَأَشْهُهُهُ
 بِالنَّكْبَةِ أَيِ لَا تَقْرُوهُنَّ إِلَّا بِأَلْوَانِ الْإِيمَانِ وَدَعَا مَعْتَكِفِينَ فِي الْمَسْجِدِ ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾

نُفِرُوا^{١٢} أَي تِلْكَ أَوَامِرُ اللَّهِ وَوُجُوهُ أَحْكَامِهِ الَّتِي شَرَعَهَا لَكُمْ فَلَا تُحَافِظُوا^{١٣} كَذَلِكَ بَيِّنَاتٌ
لِلَّهِ يَهْدِي بِهَا لِقَاءَ رِضْوَانِهِ^{١٤} أَي يَقُولُ الصَّالِحِينَ .

الْبَيِّنَاتُ:

١- ﴿كَذَلِكَ﴾ التشبيه في الفرضية لا في الكيفية أي في فرض الصيام عليكم كما فرض
على الأمم قبلكم وهذا التشبيه يسمى فرضاً مجعلاً .

٢- ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ فيه إيجاز بالحذف أي من كان مريضاً فامطر، أو
على سفر فامطر، فعليه قضاء أيام بعدد ما أخطأ .

٣- ﴿وَمَنْ أَلْبَسَكُمْ لِيُظَاهِرَ﴾ في تفسير الجلالين قنره يحذف ولا أي لا يطيقونه، ولا ضرورة
لهذا الحذف لأن معنى الآية يطيقونه بجهنم شديد وذلك كالتشيع اليوم والحامل والمرضع مهم
بسطعونه لكن مع المشقة الزائدة، والطائفة اسم لمن كان قادراً على الشيء مع الشدة والمشقة .

٤- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ يَحْكُمَ الْأَشْرَارَ﴾ فيه من المحسنات الابدعية ما يسمى
بوطيان السلب .

٥- ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَنَاتُ﴾ الرغبت كناية عن الجماع وعذبي بدائي، لنفسه معنى الإفشاء وهو
من الكتابات الحسنة كقوله: ﴿مَلَكًا تَنْصِتُهَا﴾ وقوله: ﴿قَالُوا عَزَلَكُمْ﴾ وقوله: ﴿عَالِقِينَ خَيْرِيَّ﴾^{١٥}
قال ابن عباس: إن الله عز وجل كريم حليم يحمي^{١٦} .

٦- ﴿مَنْ يَأْتِكُمْ وَالْتَمَسَ إِلَيْكُمْ﴾ استعارة تدعى شه كل واحد من الزوجين لاشتماله على
صاحبه في الحاق والتضم بالناس المتماثل على لابه . قال في تلخيص البيان: والمراد قرب بعضهم
من بعض واشتغال بعضهم على بعض كما تشغل البلاس على الأجسام فاللباس استعارة^{١٧} .

٧- ﴿أَنْفِطَ الْأَخْمَرُ مِنَ الْخَيْلِ الْأَخْضَرِ﴾ قال الشريف الرضي: وهذه استعارة عجبية والمراد بها
بياض الصبح وسواد الليل، والخيطان هنا مجاز، وإنما شبههما بذلك لأن بياض الصبح يكون
في أول طلوعه مشرقاً خافتاً، ويكون سواد الليل منقضيّاً موكباً، فهما جميعاً ضعيفان إلا أن هذا
يزداد انتشاراً وهذا يزداد استشرافاً، ونذهب الزمخشري إلى أنه من التشبيه النبط .

الْقَوَائِدُ

الأولى: روي عن الحسن أنه قال: إن الله تعالى فرض صيام ومضيان على اليهود والنصارى،
أما اليهود فإنها تركت هذا الشهر وصامت يوماً من السنة زعموا أنه يوم غرق فيه فرعون، وأما
النصارى فإنهم صاموا رمضان فعادوا فيه النحر الشديد فحولوه إلى وقت لا يتغير ثم قالوا عند
ذلك: نريد فيه قراءوا عشرًا، ثم بعد زمان اشتكى^{١٨} ملكهم فنذر سبعة فزاهه، ثم جاء بعد ذلك
ملك آخر فقال: ما بال هذه الثلاثة فأنه خمسين يوماً. وهذا معنى قول تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ
أَلْهَاءَكُمْ دُونَهُمْ﴾^{١٩}

(١٢) رواتع النبات ١/ ١٩٠ . وتلخيص البيان ص ١٢

(١٣) أظهر الكتاب ١/ ١٢٥ . (١٤) اشتكى: أي مرض . (١٥) التفسير الكبير ٥/ ٧٦ .

الثانية : قال الحافظ ابن كثير : وفي ذكره تعالى هذه الآية المباشرة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام ﴿وَرَبَّكَ سَاءَ لَكَ يَسْكُو عَنِّي﴾ إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة بل وعد كل فطر لحديث فإن لمصائهم عند فطره دعوة مأثورة وكان عبد الله بن عمر ويقول إذا أظفر : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي .

الثالثة : ظاهر نظم الجملة ﴿وَرَبَّكَ سَاءَ لَكَ يَسْكُو عَنِّي﴾ أنهم سألوا عن الله ، والسؤال لا يكون من الذات وإنما يكون من شأن من شئونها فقولهم في الجواب : ﴿يَا نَبِيَّ قَسِيحٌ﴾ يدل على أنهم سألوا عن جهة الغرب أو البعد ، ولم يفسد الجواب بدفعه أو دفعه كما وقع في أجوبة مسائلهم الواردة في آيات أخرى نحو ﴿وَمَن تَتَوَلَّوْا فَمَا يَتَّبِعْكُمْ أَن يُبْرِئِكُمْ﴾ بل تولى جوابهم بعبارة إشعاراً بفرط قربهم منهم ، وحضوره مع كل سائل بحيث لا تتوقف إحاطته على وجود واسطة بينه وبين السائلين من ذوي الحاجات .

الرابعة : قال الإمام ابن تيمية . وهو سبحانه فوق عرش رفيع على خلقه مهيب عليهم مطلق إليهم يدخل في ذلك الإنسان بأنه قريب من خلقه وفي الحديث : ﴿إِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُ أَقْرَبُ﴾ إلى أحدكم من معنى راحته وما ذكر في الكتاب والسنة من قربهم ومعينته لا يتنافى ما ذكر من عنونه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثلهم شيء .

الخامسة : عبر الموصي حل وعلا من المباشرة المباشرة التي تكون بين الزوجين بتبشير مام لطيف ؛ لتعطينا الأدب في الأمور التي تتعلق بالجسم والعشاء ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه : إن الله عز وجل كريم حليم يكتفي .

٣٦٦

قال الله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا تَرْفُقُوا لِحُرُوفِكُمْ يَتَّبِعُوا بِقَبْلِ إِلَى . وَأَخِيَّتُ إِذْ أُمَّ يُحِبُّ التَّيْبِيَّةَ﴾ من آية (١٨٨) إلى نهاية آية (١٩٥) .

المناسبة : لما بين تعالى في الآيات السابقة أحكام انصياع وأباح للمؤمنين الاستمتاع بالطعام والمشرب والنكاح في ليالي رمضان عقبه بالتهي عن أكل الأموال بغير حق لأن التسلم لا يصح له أن يستمتع بالمال الحرام لا في ليالي رمضان ولا غيره . ولما كان حديث الصيام يتصل برفقة الهلال وهذا ما سمرق في النفوس حاظر السؤال عن الأهلة ، جاءت الآيات المذكورة تبين أن الأهلة مؤاتت لعبادات الناس في الصيام وسائر أنواع القربات .

اللفظ : «الباطل» في اللغة : الزائل الداعب ، يقال : بطل الشيء بطولاً فهو باطل وفي الشرع هو المسال الحرام كالصعب والسرقة والفساد والربا ﴿وَقَدْ تَوَلَّوْا﴾ الإدلاء في الأصل : إرسال المدلول في البئر ثم جعل كل إدعاء أو دفع لقول أو عمل إدلاء يقال : أدلى بحجته أي أرسلها والمراد بالإدلاء هنا الدفع إلى الحاكم بطريق الرشوة ﴿الْأَقْبَلُ﴾ جمع هلال وهو أول حال القمر حين براء الناس ثم يصح قراءته بداراً حين يتكامل نوره ﴿مُؤَيَّدٌ﴾ جمع ميفات وهو الوقت كمنصحاء

معنى الوعد وقيل: الصفات تنتهي الوقت ﴿يَنْتَهِي﴾ تَهَيَّأَ الشيء، إذا ظن به وجوده على جهة الأخذ والغلبة، ورجل تَهَيَّأَ: سارع الأخذ لأمره فل الشاعر:

فَإِذَا نَقَطْتُونِي فَأَقْتُلُونِي فَمَنْ أَرْغَبُ فَلْيَسْ إِلَى خُلُودِ
 ﴿٢٢﴾ الْهَلَاكِ بِعَالِ فَتَكْ يَهْلِكُ فَلَا حَافَا وَتَهْلِكُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

أولاً: يروي أن بعض الصحابة قالوا: يا رسول الله، ما نال الهلال يبدو دُبُّهُ ملىً لمخيط ثم يزبد حتى يمتلئ ويستري ثم لا يزال ينقص حتى يمود كما بدأ لا يكون على حاله واحدة ثلاثين؟! فقلت: ﴿تَتَوَكَّعُ عَنْ الْإِخْلَافِ﴾ ﴿١٠٠﴾ الآية.

ناب: روي أن الأصهار كانوا إذا أحرم الرجل منهم في الجاهلية لم يدخل بيتاً من بيته بل كان يدخل من تشبه في ظهره، أو يتخذ سُلماً يصعد فيه فزال قوله تعالى: **وَلَا يَتَرَفَّعُ إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ شَيْءٌ**

[illegible]

«مفسر» ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي لا يأكل بعضكم أموال بعض بالوجه الذي لم يبيحه الله ﴿وَتَذْكُرُوا يَوْمَ إِذْ تُنْفَخُ الصُّفُوفُ﴾ أي تدفمونها إلى الأحكام وشرة ﴿وَتَأْخُذُوا قُرْبَىٰ مِمَّنْ أَمْلَكُوا النَّاسُ بِإِذْنِهِ﴾ أي ليعينوكم على أخذ طائفة من أموال الناس بالباطل ﴿وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ أنكم مبهلون تاكلون الحرام ﴿تَقُولُونَ عَنِ الْآيَةِ﴾ أي يسألوك بما محمد عن إهلاك لم يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يعظم ويستدير ثم ينقض ويبدى حتى يعود كما كان؟! ﴿قُلْ مِمَّنْ قَبِضَ النَّاسُ بِيَدِهِ﴾ أي فقل لهم إنه أوقات لحياة أنكم ومجانة تعرفون بها مراعيه العوم والصح والمركاة ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِمَا كُنَّا فَعَلْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي ليس البر بدخولكم الحلال من ظهورها كما كنتم تفعلون في الجاهلية ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِمَّنْ أَمَّنَ﴾ أي ولكن البر العمل الصالح الذي يفرركم من الله في اجتناب محرم الله ﴿وَأَمَّا الْفِرْسَنُ مِنَ الْوَيْثَانِ﴾ ادخلها كعادة الناس من الأثواب ﴿وَأَتَوْهُمُ أَهْلُكُمْ﴾

تزايدها في أول الشهر وتناقصها في آخره ، وهذا ما يسموه علماء البلاغة : الأسلوب الحكيم .

« أَفَلَا تَتَّقُمُ الْيَمِينَ » فيه إيحاء بالحذف تقديراً : « ذلك حرمة الأشهر الحرم » أي بهتلك حرمة الشهر الحرم ، ويسمى حذف الإيحاء .

« وَفِي الْأَنْفَالِ لَكُمْ فَتَحَاتُ عَلَيْهِ » سمي جراره العدوان عدوياً من قبيل « المعشاكفة » وهي الاتفاق في السخط مع الاختلاف في المعنى كقوله : « وَتَرَوْهَا بِفَخْرٍ شَيْتَاقٍ يُفْتَلِّحُ » قال الزجاج : العرب تقول : ظلمني فلان فظلمته ، أي جازيته بظلمته .

قصد لا يذكر في القرآن الكريم لفقد القتل أو الجهاد إلا ويغفل بكلمة « سبيل الله » وهي ذلك دلالة واضحة على أن الغاية من القتال غاية شرعية نبيلة هي إعلاء كلمة الله لا لسيطرة أو العظم أو الاستعلاء في الأرض أو غيرها من الغايات الدنيوية .

تمجيده : كل ما ورد في القرآن بصيغة السؤال أجيب عنه بـ « قل » لا « ما » إلا في « طه » « نُفُورٍ يُبَيِّنُهَا لِي سُبْحَانَ » فقد وردت بالقاء ، والحكمة أن الجواب في الجميع كان بعد رفع السؤال وبغير طه كان فيه إذ تغدو : إن مثلت من الجبال فقل : سغهاذي نغد .

فأما « وري أن رجلاً من المسلمين حمل على جيش الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان اللهلقى يديه إلى الشهكة » فقال أبو أيوب الأنصاري : إنما نزلت هذه الآية فبما عثر الأكراد ، حين أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقلنا : أو أفت في أمورك فأصلحنا ما ضاع منها فنزل : « تَأْيِيذًا لِّمَنْ يُبَيِّنُ لَكُمْ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْهَيْكَةِ » فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وصلاحها ونزول الجهاد في سبيل الله فمأزال أبو أيوب كعضا في سبيل الله حتى استشهد ودفن بأرض الروم

□ □ □

قال محمد شعاع « وَإِنَّمَا تَقِيَّتُمْ رَبَّكُمْ بَأْ... إِلَى... وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا » من آية (١٩٦) إلى نهاية آية (٢٠٣) .

المعاصرة لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة أحكام الصيام ، اعتقب ذلك يذكر أحكام الحج لأن شهوره تأتي مباشرة بعد شهر الصيام ، وأما آيات القتال فقد ذكرت فرعاً لبيان حكمه هام وهو بيان الأشهر الحرم والقتال فيها وبما هو متروك للمشركين للمؤمنين وهم في حالة الإحرام على يراعى لهم رأى العدوان عن أنفسهم والقتال في الأشهر الحرم فقد وردت الآيات السابقة بنسب الحكمة الأحنة وأنها موافقة للمصام والحج ثم بيئت الآيات بعدها مرفقة المسلمين من القتال في الشهر الحرم وذلك حين أراد رسول الله ﷺ العمرة وصدده المشركون واستعد من دخول مكة ووقع صلح الحديبية ثم لما أراد القضاء في لعام الثاني وخشى أصحابه غدر المشركين بهم وهم في حالة الإحرام نزلت الآيات تبين أنه ليس لهم أن ينهكوا هذه الحرمات

٤- ﴿يَذَرُهُمْ غُلُومًا سَابِقَةً﴾ فيه إحسان بعد انتعاشهم ، وهذا من باب الإحسان ، ومائدته زيادة اتفاقه والمبالغة في المحافظة على صباهما وعدم الهادف بها أو تقصير عددها

٥- ﴿وَأَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَابْتَغِ الْوَعْدَ الْأَخِيرَ﴾ يظهر الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية الشهادة وإدخال التروية .

٦- ﴿فَلَا زَكَاةَ عَلَيْكُمْ﴾ صيغة تعني وحقيقته هي أن لا يرفق ولا يمسك وهو أربع من تنهي التصريح لأنه مفيد أن هذا الأمر مثلاً لا ينبغي أن يقع أصلاً بأن كان . تكراراً من قبله في

نفسه هي أشهر الحج يكون أفصح وأشد ، فمن الإتيان صيغة لخصر بإزالة النهي مبالغة ومبالغة

٧- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ كَمَا تَقِيطُونَ﴾ فيه تشبيه تشبهي سبي أمرلاً محملاً .

٨- الآية مبالغة الطيعة بين ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ فيه تشبيه تشبهي سبي أمرلاً محملاً .
يَتَوَلَّى كَيْفًا يَتَوَلَّى فِي الْآيَةِ كَيْفًا . . . الآية

فائدة . أصل تسلك . العبادة ، وسعوت ديدة الأمام تستد لها من أشرف العبادات التي يتقرب بها المؤمن إلى الله تعالى .

فائدة ثانية . زاد الدنيا يوصل إلى مراد الناس وشهو نها ، وزاد الأخرة يوصل إلى اتعبد المقيم في الآخرة . ولهذا ذكر تعالى زاد الأخرة وهو الزاد المتافع وفي هذا المعنى قول الأعشى :

إذا كنت لم ترحل بزاد من نفسي ولا قيت بعد الموت من قد زادوا
تدبرت علي ألا تكون كمنه وأنت لم ترحل كما كان أوسعاً



قال الله تعالى ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْفُؤُوسُ﴾ أي في النفوس الفانية . . . إلى . . . ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ من آية (٢٠٤) إلى نهاية آية (٢١٢)

نفسية . لقد ذكر تعالى في الآيات السابقة العبادات التي تظهر القسوس ، ونزفني الشفوس

5. إلهام ، والصدقة ، والحج ، وذكر أن من الناس من يطلب الدنيا ولا عاية له ورواه . ومنهم من تكون عافية نيل رصداً لله تبارك وتعالى ، أعقبها بذكر نموذج عن الفريقين . فريق الله الله الذي ياب قلبه لمطبات ، وفريق يلهي الذي ياب نفسه الرحوم . ثم حذر تبارك وتعالى من نتائج حظوات الشيطان ، ويظهر لنا عدوانه الشديدة .

فَلَعَنَ ﴿لَعَنَ﴾ اللعنة شدة العقوبة ، قال الطبري : اللعنة الشديدة المحصنة وفي الحديث «إلا أغض الحرجاء إلى الله الألفه الخسيس» ﴿لَعَنَ﴾ الزرع لأنه يزرع ثم يحرق التسل ، العربة ولولد . وأصله الخروج بعد عذوب ﴿إِنْ زَاهَا تَجْلُوكَ﴾ وسعي تسللاً لأنه يتسل . يستط . من يظن أنه يسرع ﴿أَقْبِرَ﴾ الألفه والحبنة ﴿فَمَسَّكُمْ﴾ محب لم فعل بمعنى كافيه ﴿الْمَكَّةَ﴾

انقرش المعبد لغرم ﴿نَقَرَى﴾ يبيع ﴿الْمَكَّةَ﴾ طلب ﴿الْمَكَّةَ﴾ بكسر الميم بمعنى الإسلام ونحتها بمعنى المصلح ، وأصله من الاستسلام وهو الخضوع والتفادي قال الشاعر :

تعبده المصنوعة بجهل بالباطل وتظاهر بالدين ، الصلاح بكلامه المسمون ﴿وَأُولَٰئِكَ سَيُنَازِلُ
الْأَرْضَ بَقِيَّةَ يَوْمِهَا﴾ أي وإذا تصرفت منك عاث في الأرض فساداً ، وقد نزلت في الأخص
والكها عامة في كل ما نزل يقول بلسان ما نزل في قلبه

بعطبك من طرف اللسان حلاوة ويردح منك كما يروغ النعل
﴿وَيُزَيِّلُكَ النَّارَ وَالنَّارَ﴾ أي يملك الردح وتنازل من الإنسان والحيوان ومعه أو بعده
عام يشمل الحاضر والمستقبل فالحرث محل نفع الزرع والثمار ، والنسل وهو نتاج الحيوانات التي
لا تروم لنفس إلا بهما ، ففاسداً بهما نعيم للإنسانيه ﴿وَأَنَّهُ لَا يُخِثُّ الْقَكْدُ﴾ أي يبيض العباد ولا
يحب لنفسين ﴿وَأَنَّهُ يَزِيدُكَ أَيُّ نَفْسٍ تَكُونُ تَقَرُّ بِالْإِسْرَ﴾ أي إذا وعظ هذا الفاجر وذكر وقبل
لن الزرع عن مولك وبعك الفصح ، حملته أمانة وحمية الحاملة على العباد بالإنم والتكر هو
قبول الحق ، فغرق في الإسنة وأمس في العناد ﴿فَنَسِيكَ سَمَكًا زَكِيًّا أَتَيْتُ﴾ أي مكلفه أن
تكون له جهنم فإشأ ومهتد ، ونفس هذا العراش واجهاد ﴿وَمَكَ تَنَازِلَ مِنْ يَشِيءُ﴾ فَنَسِيكَ تَبَيَّنَتْ
نَمَسَاتِ أَمْرٍ هذا هو النوع الثاني وهم الأخيار الأبرار ، بعد أن ذكر تعالى صفات المنافقين
الذين هم في الدنيا منصفون ، والذين هم في الآخرة منصفون ، ومن ابتلىهم فربى من أهل الخير
والصلاح باع نفسه لله طلباً لمرغباته ورغاً في ثواب لا يشقوى بعده إلا وجه الله ﴿وَأَنَّهُ يَزِيدُكَ
بِالْإِسْرَ﴾ أي عظيم الرحمة بالعباد بضائع الحسنات ويوسع عن السيئات ولا يجعل العقوبة لمن
عصاه .

ثم أمر تعالى المؤمنين بالانقياد لحكمه والاستماع لأمره والاندول في الإسلام الذي لا
يعمل الله بيننا سيوة فمات : ﴿يَتْلُوهُ أُولُو بَرْءٍ خَاشِعُونَ لِذِكْرِهِ﴾ أي ادخلوا في
الإسلام بكنية في جميع أحكامه وشريعته . ولا تأخذوا حكماً وتروا حكماً . لا تأخذوا بانصلاً
وتسمعوا انزكاً مثلاً ، فالإسلام كل لا يحزأ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَنَافِقَ الْفَكْرِ﴾ أي لا
تأخذوا طرق السفطان وإغواءه فإنه عدو لكم فاعلم العداوة ﴿وَأَنَّهُ يَزِيدُكَ بِالنَّارِ﴾
﴿يَتْلُوهُ﴾ أي إن انصرفتم عن الدخول في الإسلام من بعد محبة الصحيح الباهرة وأبى أمين
الفاطمة على أنه حذر ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَوْلِيَاءَ غَيْرَ خَيْرٍ﴾ أي اعدوا أن الله عاقب لا يعبر الانضمام
من عصاه ، حكى في خلقه رضىه ﴿مَنْ يَتْلُوهُ﴾ أي لا تأخذوا من الفتن والفتن
أي ما ينظرون شيئاً إلا أن تأتبهم له يوم القيامة لفصل القضاء بين الخلائق^(١) حيث تمشق
السم ، ويترك الجبار عز وجل في ظلي من انضمام ، وحيلة العرش والملائكة الذين لا يعلم

(١) ذهب الإمام الصغرى إلى أن معنى قوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَوْلِيَاءَ﴾ أي تأتبهم أمره ، وأنه مبر على حذف مصاب مثل قوله
﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَوْلِيَاءَ﴾ وهو مما مشهور يقال : صوب الأمر ولا تأتبه وأعطاه والبراءة أمر ذلك ، واستدل على صحة
هذا قول بلاية الآخر : ﴿مَنْ يَتْلُوهُ﴾ أي تأتبهم فليحفظه ، لأن تأتبه من غير أمر الله ، وما ابتداء من غير أمر الله هو
ذهب الخلف . هو عدم التأ ، بل ويؤيد معنى الآية عن سبل التعصب إلى الله تعالى .

كثرتهم، لا الله ولهم زحل من الشبيح يقولون، سبحانه ذي الملك والملكوت، سبحانه ذي العزة والجليلوت، سبحانه الحي الذي لا يموت، سبحانه الذي يبيح الخلائق ولا يموت، صرح قدوس رب الملائكة والروح ﴿وَقُلْ أَفَرَأَيْتُمْ أَفْعَوْا عَنْ ذُنُوبِ آدَمَ إِذْ هُوَ جَاهِلٌ أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي انتهى أمر الملائكة بالمصير منهن حرب في الجنة وفريق في السعير، وإلى الله وحده مرجع الناس جميعاً والمقصود تصوير عظمة يوم القيامة وهولها وشدها وبيان أن الحاكم فيها هو ملك الملوك حل وعلا الذي لا معقب لحكمه ولا رافع لقضائه وهو أحكم الحاكمين.

ثم قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَمَا كَانَ لَكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مُعْتَدِلٌ شَيْءٌ وَمَنْ يَمُنْ بِمَا نَزَّلْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِنْ قَبْلِ الْفُرْقَانِ يَسْتَفْهِمُ وَيَرْكَعُ رُكْعًا وَسَدَقَ أَقْسَامُ اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي زين لهم شهرات الدنيا وسعيهم حتى سوا الآخرة وأمرتهم بحجتها في قلوبهم حتى تهاشروا عنها وأمرؤوا من دار المخلود ﴿وَيَسْتَفْهِمُ بَيْنَ الْآيَاتِ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ يَوْمَ يُخْلَقُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَالْأَنْهَارُ وَالْأَشْيَاءُ كُلُّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي زين لهم شهرات الدنيا وسعيهم حتى سوا الآخرة وأمرتهم بحجتها في قلوبهم حتى تهاشروا عنها وأمرؤوا من دار المخلود ﴿وَيَسْتَفْهِمُ بَيْنَ الْآيَاتِ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ يَوْمَ يُخْلَقُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَالْأَنْهَارُ وَالْأَشْيَاءُ كُلُّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي زين لهم شهرات الدنيا وسعيهم حتى سوا الآخرة وأمرتهم بحجتها في قلوبهم حتى تهاشروا عنها وأمرؤوا من دار المخلود ﴿وَيَسْتَفْهِمُ بَيْنَ الْآيَاتِ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ يَوْمَ يُخْلَقُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَالْأَنْهَارُ وَالْأَشْيَاءُ كُلُّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي زين لهم شهرات الدنيا وسعيهم حتى سوا الآخرة وأمرتهم بحجتها في قلوبهم حتى تهاشروا عنها وأمرؤوا من دار المخلود.

البلاغ

- ١- ﴿أَفَعَدَّ الْعَذَابَ لِلْآتِينَ﴾ ذكر لفظ «الآثم» بعد قوله «العزة» يسمي عند علماء الجديع به «التعظيم» لأن ربما يتوهم أن المراد عزة المدح فذكر بالآثم ليعبر إلى أنها عزة مدمرة.
- ٢- ﴿وَقُلْ لِّمَنْ هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْكُمِ﴾ أي جعلت لهم جهنم فطاعة ووطاة فأخبرهم بذلك كما تكلم الأم ولدها بالنعاء والوفاء اللب.
- ٣- ﴿عَلَى بَنَاتِهِمْ﴾ مصهم إغاري في معنى النفي بتليل مجيء (الآ) بعدها أي ما ينتظرون.
- ٤- ﴿فِي ظُلُمٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ التذكير لتعجيل، فهي في غاية الهول والمهابة لما لها من الكثافة التي تغم على الرائي ما فيها، وقوله: ﴿وَقُلْ لِّمَنْ هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْكُمِ﴾ هو عطف على المصارع ﴿يَتَنَبَّهَهُمْ أَنَّ﴾ وإنما عدل إلى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانه قد كان.
- ٥- ﴿يَوْمَ يُخْلَقُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَالْأَنْهَارُ وَالْأَشْيَاءُ كُلُّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ إظهار الاسم الحليل لتربية المهابة وإدخال الروح

شديداً نسباً بالزُّلُمَة حتى وصل بهم الحال أن يقول الرسول والمؤمنون معه: متى نصر الله؟ أي متى يأتي نصر الله وذلك سبطاً منهم ثمصر لثباني الشفة عليهم، وهذا غاية الخيالات في تصوير شدة المحنة، فإذا كان الرسول مع علو معيهم في نصير وإشادة - قد وُيِّلَ صرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والظن كان ذلك طليلاً على أن الشدة بلغت منهاها، قال تعالى حرواً لهم: ﴿أَلَا يَغْتَرْ بَئِذٍ الَّذِينَ لَا يَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ يُؤْتِيهِمْ اللَّهُ فَتُنْزَلُ بِهِ السَّحَابُ الْغَامُ أَتَنَسَوْنَ فِي الْفِتْنَةِ وَلَسْتَ مِنْ الْفَائِزِينَ﴾ أي لا تأبشروا بانصر فؤاد خد حان أوامره ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا قَفْظَ مَنْ يَمْشِي عَلَى كِبَارِهِمْ طَوَوَاتٍ مَرَرًا﴾ ثم قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ إِنِّي خَشِيتُ لِلَّهِ عَذَابَ يَوْمٍ يُنْفَخُ السَّمَاءُ كِطَابًا فَمُتَّعْتُ بِهِم مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي يسألونك يا محمد ما يفعلون وعلم من يفتنون؟ وقد نزلت لما قال بعض الصحابة: يا رسول الله، ماذا تنفعني من أموالك وأبن نفسيهما؟ ﴿قُلْ مَا أَفَعَيْتُ مِنْ شَيْءٍ مَالَهُمْ إِنِّي خَشِيتُ لِلَّهِ عَذَابَ يَوْمٍ يُنْفَخُ السَّمَاءُ كِطَابًا فَمُتَّعْتُ بِهِم مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي لعل لهم ما محمد: امر فوها في هذه الوجوه ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا قَفْظَ مَنْ يَمْشِي عَلَى كِبَارِهِمْ طَوَوَاتٍ مَرَرًا﴾ أي ونحن معروف نعلوهم بدمه الله وسيجزيكم عليه أوفر الجزاء، ثم قال معاني ميثا حكمه مشروعية القتال في الإسلام ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ﴾ أي فرض عليكم قتال الكفار أبها المؤمنين وهو شاق ومكروه على نفوسكم لما فيه من بدت العار وحطرت علاك النفس ﴿وَمَنْ كَانَ مِنَ الْكُفَرِ فَهُوَ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ لَا يَصِفُونَ﴾ أي ولكن قد تكبر نفوسكم شيئاً وفيه كل النفع والخير ﴿وَمَنْ كَانَ مِنَ الْكُفَرِ فَهُوَ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ لَا يَصِفُونَ﴾ أي وقد تحب نفوسكم شيئاً وفيه كل العطر والضرر عليكم، جعل لكم في القتال - وإن كرهتموه - خيراً - لأن فيه إما الظفر والنجبة أو الشهادة والأجر، ولعل لكم في تركه - وإن أحببتموه - شراً لأن فيه إثم القتل والقتل، وحرمان الأجر ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا قَفْظَ مَنْ يَمْشِي عَلَى كِبَارِهِمْ طَوَوَاتٍ مَرَرًا﴾ أي الله عذب بعباد الأمور منكم وأقرى بها فيه ملاحكم في ميثاك وأمركم بدور إلى ما مأمركم به ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فِي النَّفْسِ النَّفْسِ فِي يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ أي يسألك أصحابك يا محمد عن النفاء في أشهر الحرام ليجل لهم القتال فيه؟ ﴿قُلْ فَقَدْ جَاءَ بِكُمْ كَيْدٌ﴾ أي قتل لهم - القتال فيه أمر كبير، ووزره عظيم، ولكن هناك ما هو أعظم وأخطر وهو: ﴿وَمَنْ كَانَ مِنَ الْكُفَرِ فَهُوَ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ لَا يَصِفُونَ﴾ أي ونفع المؤمنين عن دس الله وكفرهم بالله وحدهم عن المسجد المحرم - يعني مكة - وإخراجكم من ليلة الحرام وأنتم أهله وحملته، كل ذلك أعظم ووزراً وثناً عند الله من قتل من قتلته من المشركين، فإذا استعظمتم قتلهم لهم في أشهر الحرام فليضموا إلى ما ماركم في حق أنفس والمؤمنين أعظم ونافع ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا قَفْظَ مَنْ يَمْشِي عَلَى كِبَارِهِمْ طَوَوَاتٍ مَرَرًا﴾ أي أفتت المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد بعاده أكثر عند الله من القتل ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي يَوْمِهِمْ أَنْ يَمْشُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي ولا يزالون جاهدين في فتاكك حتى يبعدوكم إلى الكفر والفساد إن أفردوا فهم غير سرحين من كعرب ومعدانهم ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا قَفْظَ مَنْ يَمْشِي عَلَى كِبَارِهِمْ طَوَوَاتٍ مَرَرًا﴾ أي ومن يستجيب له منكم فيرجع عن دينه ويرتد عن الإسلام بعد معرفته عن الكفر فقد بطل عمله الصالح في الدارين وذهب ثوابه ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا قَفْظَ مَنْ يَمْشِي عَلَى كِبَارِهِمْ طَوَوَاتٍ مَرَرًا﴾ أي وهم مستعدون في جهنم لا يخرجون منها شيئاً ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ السَّمَاءُ كِطَابًا فَمُتَّعْتُ بِهِم مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَنفِرُ فِيهَا مِنَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٠١﴾

التلاوة

١ - ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُ الَّذِي أَخْبَرْنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ ﴿فَجَاءَتْهُ الْوَحْيُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّيَ الْعَلِيِّ﴾ ﴿فَجَاءَتْهُ الْوَحْيُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّيَ الْعَلِيِّ﴾ ﴿فَجَاءَتْهُ الْوَحْيُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّيَ الْعَلِيِّ﴾

٦ (أ) **سَبَّحَهُ** (أما) سَفَعَتْ، و لَهْمَزَةٌ فِيهَا لِلْإِنْكَارِ وَالْإِسْتِعْجَالِ، أَيِ بَنِ أَحْسَنِمُ؟ فَنِيهِ
الْمَدَامُ الْكَارِي

۳. ﴿وَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ (لَقَدْ أَتَاكُمْ عَلَى الْحَسَنَةِ) مع تَوْجُّعٍ وَرُجُوعٍ حَتْفِيٍّ كَمَا قَالَ: «لَمْ يَحْضُرْ»^١ وَالْمَعْنَى: لَمْ يَنْتَهِ بِكُمْ مِثْلَ مَا سَرَّ سَبَّ فَبَدَّلَكُمْ وَسَيَقُولُ قَوْلَ بَرٍّ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْمَعْنَى: إِذَا قَالَ الْغَاطِلُ لَمْ يَأْتِي زَيْدٌ فَهِيَ نَعْيٌ لِقَوْلِكَ: «تَمَّازَ زَيْدٌ» وَإِذَا قَالَ: «لَمْ يَأْتِنِي قَبِيضًا» أَلَمْ يَأْتِي بِمَدْرَأَةٍ أَوْ زَوْجَةٍ، وَهَذَا يَكُونُ بِإِذَا: «الْخَدَّائِدُ عَلَى السُّوسِ» مِنْ عِلَّةِ اسْتِغْنَاءِ

١٠ - ألا نقرر ان نقرئ في هذه الجملة عدة مواضع ان نل على تحقيق النص، أولاً، ان الجملة بأداة الاستعانة (التي) تحيد لتأكيد، ثانياً، ذكر (إنه) الدالة على التوكيد أيضاً، ثالثاً، يشار الجملة الاسمية على القناعة فلم يخل مستعملون، والتعبير بالجملة الاسمية يعيد التأكيد، رابعاً، إضافة نصير الى راس العائس، القادر على كل شيء.

هـ - ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ أُولَئِكَ﴾ راجع المصدر مرفوع اسم المفعول ذكّرته مذكّر المكوّن المكوّن له المبالغة
كقوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ أُولَئِكَ﴾

١٠- **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهَا** ... **فَقُلْ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ** بين الحبس من المحسنات فيه بعد ما
اسمى به العتق فقد قابل بين الكفرية والحب ، وبين الحر والعبد .

v- «وَأَمَّا بَيْنَنَا وَمَنْ لَيْسَ بَيْنَنَا فَخَلُّوا عَنْهُ» «فَالْبَاقِ بِالنَّاسِ»
خَالِفَةً عَنِ الْمَالِ، مَصْنُوعَةً لِوَاحِدٍ عَنْ كِتَابِ التَّيْسِينَ «رَأَوْهُ فِيهَا أَكْبَثَ» لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنْ كُتِبَ

الشيئين وإن تعددت هي ثم نبتها وجوهرها كتاب واحد لا اشتغالها في شيء واحد في أصناف كتاب
قال تعالى: ﴿لَا تَرْوُوا إِلَيْنَا أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ تَأْتُوا بِلَايِكُمْ﴾ الآية . . . الآية .
تأديفة زكري الخزازي عن حجاب عن الأوت وصفي الله عنه قال: سيكون إلى زمان أنه بين
وهو منومة بردة له في من الكثرة فقال: ألا تنصبر لما؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: لقد كان من قبل
بؤخذ الرجل من جفرك له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيرأسه
تصغير ، ويضبط بأشواط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما بعده فاذن عن دينه والله يشعني أنه
هذا الأمر من يصير الرقيب من صغاه إلى عصر موت لا يتخلف إلا الله والتمس علم غمعه
الكلهم نستعمله

إِن اللَّه تَعَالَى. ﴿يَتَشَكَّلُكَ عَرَبُ الْعَرَبِ وَالْكَتَبِ﴾ . إِنْ وَأَلَّهُ تَعَرُّؤُ جَلِيمٍ ﴿ مِنْ آيَةِ (٢١٩) إِلَى نِهَاجَةِ آيَةِ (٢٢٥) .

المُتَشَكِّلَةُ: لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى فِي آيَاتِ الْمُسَابَقَةِ أَحْكَامَ الْإِنْفَالِ ، وَبَيَّنَ لِهَدَفِ السَّامِعِ مِنْ مَشْرُوعَتِهِ وَهُوَ عِبْرَةُ الْحَقِّ بِإِعْزَازِ الدِّينِ وَحِمَايَةِ الْأُمَّةِ مِنْ أَنْ يَتَهَمَهَا الْعَدُوُّ الْخَارِجِيُّ ، ذَكَرَ بَعْدَهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِإِصْلَاحِ الْمَجْتَمَعِ الدَّاخِلِيِّ عَلَى أَسَسٍ مِنَ التَّفْضِيلَةِ وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ ، وَلَا يَذِلُّ لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْإِصْلَاحِ الدَّاخِلِيِّ وَالْخَارِجِيِّ لَتَقُومَ دَوَائِمُهَا عَلَى أَسَاسٍ نَتِجَةٍ وَتَبْقَى صِرَاحًا شَامِعًا لَا تَتَوَثَّرُ فِيهِ الْأَعْيَاصِيرُ الْخُلُقِيَّةُ: ﴿الْكَتَبُ﴾ الْمَذْكُورُ مِنَ الْأَنْشُرَةِ سَعِيَتْ خَدَمُهَا لِأَنَّهَا تَسْتَرُ الْعَقْلَ وَتَنْظِيهِ وَمِنْ حَقِيقَتِ الْإِنْفَالِ أَيْ عَقِبَتِهِ لِمَسِيرِ الْعَصْرِ ، وَأَعْمَلَهُ مِنَ الْمَسِيرِ: لِأَنَّهُ كَسَبَ مِنْ هَيْرٍ كَذًّا وَلَا تَعَبٍ ، وَفِيهِ: مَنْ الْيَسَارُ لِأَنَّهُ سَبَبُ الْغَنَى ﴿إِنَّمِ﴾ الْإِنَّمُ: التَّنْذِيرُ وَجَمْعُهُ إِنَّمَامٌ وَتَسْمَى الْخُبْرُ بِـ«الْإِنَّمِ» لِأَنَّ لِمَرْجَئَهَا سَبَبَ فِي الْإِنَّمِ قَالَ الشَّاعِرُ:

شَرِبْتُ الْإِنَّمِ حَتَّى ضَلُّ عَفْصِي كَذَلِكَ الْإِنَّمُ تَذَهَبُ سَاعِقُولُ
﴿تَلَفَعُوْا﴾ الْفَضْلُ وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْحَاجَةِ الْعَنَتِكُمْ أَوْ تَعْلَمُكُمْ فِي السَّحَرِ وَالشَّقَةِ وَأَصْلُ
الْعَنَتِ: الشَّقَةُ أَيْ: الْأَمَةُ: الْعَبِيدَةُ بِمِلْكِ الْيَمِينِ وَهِيَ تَقَابُسُ الْحُرَّةِ وَجَمْعُهَا: عَنَاءٌ ﴿تَكْمِينُ﴾
مَعْدَرٌ بِمَعْنَى الْحَيْضِ كَالْمَعِيَشِ بِمَعْنَى الْعَيْشِ ، وَأَصْلُ الْخَبْصِ: التَّسْلُكُ يَقَالُ: حَاسِرَ السَّبِيلِ
وَفَاصِرٌ وَحَاصَتِ الشَّجَرَةُ أَيْ سَلَّتْ ، وَيَقَالُ لِلْمَرْأَةِ: حَاصِنٌ وَحَاصِنَةٌ وَأَنْشَدَ الْفَرَزْدَقُ: كَعْدَتُصْفَى
يُؤْنِسِي بِهَا فَبِزْ طَاهِرَةٍ ﴿تَرْتُ﴾ الْحَمْرُ: الْبَقْعَةُ الْخَمْرِيَّةُ لِأَرْضِ قَالَةَ الرَّائِبِ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ:
الْحَمْرُ: الزَّرْعُ ، وَالتَّحَارُثُ: التَّوَارُغُ وَمَعْنَى حَرِثَ أَيْ حَزَنَ وَبَدَأَ لِلْمَوْلِدِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ
﴿عَرَفَكُمُ﴾ مَانِعًا وَكَأَنَّمَا يَعْزِزُهُ فَيَنْجِي عَنْ الشَّيْءِ فَهُوَ عَرَفَةٌ وَلِهَذَا يَقَالُ لِلْمَحَابِّ: عَارِضٌ لِأَنَّهُ
يَجْنَحُ رَوْدَةً الشَّمْسِ ، «الذَّخْوُ» الْمَقَاطِفُ الَّتِي لَا يَحْتَدِيهِ سَوَاءٌ كَانَ كَلَامًا أَوْ غَيْرَهُ وَلَعُوَ الْفَطَارُ:

تَصَوُّيْتَهُ

صَفِيحُ النَّزْوَلِ:

أَتَجِدُ جَمَاعَةً مِنَ الْأَصْلَاقِ فِيهِمْ شُبْرٌ مِنَ الْخُطَابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفَقَالُوا: أَفَتَأْتِي فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ فَإِنَّمَا مَذْهَبُ الْفَعْلِ مُسْتَبْطَأٌ لِمَا قَالُوا: اللَّهُ ﴿يَتَشَكَّلُكَ عَرَبُ الْعَرَبِ وَالْكَتَبِ وَالْكَتَبِ﴾ . آيَةُ
ب- عَنْ أَبِي عِيسَى قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُبَيِّنَ﴾: يُطْلَقُ مِنْ
كَانَ عِنْدَهُ مَالٌ بِنَيْمٍ فَيَعْرِضُ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشُرَابِهِ مِنْ شُرَابِهِ ، فَجَعَلَ يَفْصِلُ الْفَتَى مِنْ ضَمَامِهِ
فِي حَسْرَةٍ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَشْرَبَهُ وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ
﴿يَتَشَكَّلُكَ عَرَبُ الْعَرَبِ وَالْكَتَبِ وَالْكَتَبِ﴾ . آيَةُ

ج- عَنْ أَبِي أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانَتْ إِذَا حَاصَتِ مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ أَخْرَجُوها مِنَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَأْكُلُوها وَلَمْ
يَشْرَبُوها وَلَمْ يَجَامِعُوها فِي الْبَيْتِ ، فَاسْتَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ فِيهَا لُغُؤُكُمْ وَقُلُوبُكُمْ لَا تَفْقَهُونَ﴾

[illegible]

المفسر. ﴿يَتَذَكَّرُ رَبِّهِ﴾ أَلْقَمْتُ وَأَتَمَّرْتُ ﴿أَيِ يَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ عَنْ حُكْمِ الْخَمْرِ وَحُكْمِ
لَذَّةِ الْفَرْجِ هَذَا أَتَى حَقِيرٌ وَتَتَبِعْ مَا كَانَ فِي فَمِّ لَهْمٍ﴾ إِذَا فِي نَعَاشِي الْحَمَرِ وَالْمَجَرِّ صَرًّا
عَظِيمًا وَإِنَّمَا كَبِيرٌ وَمَصَابِعُ مَدِينَةٍ مُسَلَّةٌ ﴿إِنَّمَا أَهْوَاؤُهُمْ﴾ أَيِ وَفَرُّهُمْ وَمَا أَغْنَاهُمْ
شَيْعُهُمَا فَإِنَّ ضِيَاعَ الْعَقْلِ وَدَعَابَ الدَّانِ وَتَمْرِيضَ بَيْدِ الْفَرَسِ فِي الْخَمْرِ ، وَدَ بَحْرُ الْقَمَارِ مِنْ
حُرَابِ السُّبُوتِ وَدَمَارِ الْأَمْرِ وَخِدَوَاتِ الْمَسَاوِي وَالْمُضَاهَاةَ بَيْنَ الْأَعْيَانِ ، كُلُّ ذَلِكَ مَحْذُومٌ مَشَاهِدٌ
وَإِذَا قَبِسَ الْقُرُوءَ الدَّوْحَ بِأَنَّهُ شَدَّ طَهْرَ حِمْرِ الْمَذْكَرِ لِحَبِيبٍ ﴿وَتَقُولُكَ مَا لَا يُعْمَلُونَ يُوقَعُهُ﴾
أَيِ وَيَسْأَلُكَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَمَا لَا يَكُونُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ؟ قُلْ لَّهُمْ أَغْنَاهُ الْعَاقِلُ عَنْ حَاجَةِ وَلَا
تُغْنَاهُ إِلَّا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَتُضَيِّقُهَا وَأَنْفُسُكُمْ ﴿كَذَلِكَ يَنْتَظِرُ أَتَمُّ لَكُمْ الْخَمْرُ﴾ أَيِ كَمَا بَشَّرَ لَكُمْ
الْأَحْكَامَ بَيْنَ لَكُمُ اسْتِنَاعِ الْمَصَارِ وَالْحِلَالِ وَالْحَرَامِ ﴿فَلَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ وَفِي آيَةِ الْآخِرَةِ
أَيِ كَتَبْتُمْهُ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَتَعْلَمُوا أَنَّ الْأَوَّلَى قَائِمَةٌ وَالْآخِرَةُ بَاقِيَةٌ فَتَعْلَمُوا أَنَّهَا مَوْضِعٌ
وَالْعَاقِلُ مَنْ أَمَرَ مَا يَنْفَعُهُ عَنِ مَا يَضُرُّهُ ﴿وَيَتَقُولُونَ نَبَأُكَ أَشَدُّ قُلْ إِنَّمَا نُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ بِنُجُومٍ﴾
مُحَمَّدٌ مِنْ مَخَالِقَةِ الْبَنَاتِ فِي أَمْوَالِهِمْ أَيْ جَاهِلَتُهُمْ أَمْ يَعْتَزُّونَ بِهِمْ؟ قُلْ لَّهُمْ فُلُوحُهُمْ عَلَى وَجْهِ
الْإِسْلَاحِ سِوَا مِنْ أَمْتِزَالِهِمْ ﴿فَلَا تَحْطَرُوهَ فَاوْتَوْكُمُ﴾ أَيِ لَا تَحْطَرُّهُمْ مَعَ إِيَّاهُمْ بَأَمْوَالِكُمْ عَلَى وَجْهِ
الْمُصَنَّفَةِ لَهُمْ فَهُمْ إِحْوَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الَّذِينَ أَقْرَبُ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ ، وَمَنْ حَقَّقَ هَذَا
لَاخِرَةً: الْمَخَالِقَةُ بِالْإِسْلَاحِ وَبِالْبَيْعِ ﴿فَالَّذِي نَفَقَ تَتَمَّ الْقَسَمُ مِنَ التَّهْلِيلِ﴾ أَيِ الْكَافِي عَالِمُ
وَأَمْرِي بِمَنْ يَقْضَى بِمَخَالِقَتِهِمْ الْخِيَانَةَ وَالْإِسَاءَةَ لِأَمْرِ الْمَوَدَّةِ وَبِعِلْمِ كَيْفَ تَكُونُ بِقَصْدِ لَهُمْ الْإِسْلَاحُ
فِي أَمْرِي بِالْإِسْلَامِ ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَتَفَتَحْتُمْ﴾ أَيِ لَوْ شَاءَ تَعَالَى لَأَفْتَحَكُمْ فِي الْحَرَجِ وَالْمَنْفَعَةِ وَشَدَّ
عَلَيْكُمْ وَلَكِنَّ بَشَرَكُمْ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا وَسَهْلَكُمْ بِكُمْ ﴿إِنْ أَنْتُمْ ذَرَيْتُمْ خِزْيَةً﴾ أَيِ هُوَ عَالِمُ الْغَالِبِ

باليمين بأن يقول أحدكم : قد حلفت بأنعم إلا فعله وأريد أن أزيد أن أزيد يميني بل فعلوا الخير وكفروا عن أيمانكم^١ فان ابن عباس : لا تجمعن الله عربة حينئذ أن لا تصنع الخير ولكن كفر عن يمينك والصحيح الأخير ﴿كَبُ قَبْرًا وَتَقَرُّوا وَتُحْلِلُوا بِقَبْرِ النَّبِيِّ﴾ أي لا تجعلوه تعالى شيئاً مانعاً عن طهر وتقوى والإصلاح بين الناس وقد نزلت في عهد الله من رواه حين حلف ألا يكلم حنة : المصنف من بشير ، ولا يصلح منه وبين أخيه ﴿وَلَنْ تَجِيْعَ لِكَيْتُ﴾ أي مصعب لأقربكم علم بأسواقكم .

ثم قال تعالى : ﴿لَا يُؤْمِنُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِي آثَرْتُمْ﴾ أي لا يؤمنكم بما جرى فان إيمانكم من ذكر اسم الله من غير قصد الحلف تقول أحدكم . بين الله ، ولا والله ، لا بقصد به اليمين ﴿وَلَنْ يَكُنْ بِؤَامِنَكُمْ بَا كَسْتُمْ قَوْلَكُمْ﴾ أي يؤخذكم بما فصلتم إليه وعقدتم فلفظ علم من الإيمان إذا حثتم فيها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ﴾ أي واسع العفوة لا يحاسب عباده بالعفوية .

البيضة

- ١ - ﴿يَتَذَكَّرُ غَيْرَ الْفَحْشَى وَالْمُنْكَرِ﴾ فيه إيجاز بالحناف أي عن شرب الخمر وتماطي المسر .
- ٢ - ﴿رَبِّكُمْ أَكْثَرُ مِنْ نَبِيِّكُمْ﴾ هذا من باب الفصل بعد الإحسان وهو ما يسمى في الصلاة به الإطناب .

ج - ﴿كَذَبْتُ بِبَيْتِ اللَّهِ لَكُمْ الْكُفْرُ﴾ فيه تشبيه مرسل مجمل .

- ١ - ﴿تَنْفُسُهُمْ مِنْ تَلَفِجٍ﴾ في الآية طائر بين كلمة التلغيف ، والعصيح وهو من السمكات البديعة .

٢ - ﴿يَذْهَبُونَ إِلَى أَنْبَاءٍ وَأَنْبَاءٍ يَذْهَبُونَ إِلَى الْكَلْبَةِ﴾ كذلك يرجع طياري بين كلمة التلغيف وكلمة الكلبة .

- ٣ - ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي﴾ فيه تشبيه يلبيح حيث أخذت أداة التشبيه ووجه التلغيف فاصبح بليغاً ، وأصده .

اليمين نسي ، مستفاد كالآتي فحذف ذلك سائلة على حذفهم عن أسد .

- ٤ - ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا﴾ كتابه من الجمع .
- ٥ - ﴿بِأَلْسَانٍ خَرَّتْ﴾ على حذف مضاف أي موضع حوت أو على مسيل لشبه فالمراد كالأرض ، والنظيمة كاليد ، والولدي لنبات الحارج ، فالبحرث بمعنى المعترث سمى به على سبل الصالحة .

العقائد

الأولى - تسمى الحمر أم الحيات لأنها سببه في كل فعل قبيح - دوى التلساني من عثمان وصي الله عنه أنه قال : (اجتمعا الخمر فأنها أم الحيات ، إنه كان جلي من فلككم معبد تحفته

١٠١ - وقيل : المعنى : لا تكفروا بخلف ففعلوا الله عدلاً لا يهديكم بتقولوا الله الأعظم في كل شيء فليل أو تثيرا عظيم أو حفيظ فمادة أن تروا وتنفروا وتصلحوا فإن الحلف لا يكون إلا برب ولا تظلم .

امرأة غوية فأرسلت إليه جاريته فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فادخلت مع جارتها، فطقت، كلما دخل باباً أغلقت دونه حتى أقضى إلى امرأة وميئة، عندها غلام وباطية عمر فقلت: إني ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتضع عليّ لو شرب من هذه الخمر كأساً أو تفتل هذه الخلام، قال: فاسقيني من هذه الخمر كأساً، فسقته كأساً فقال: زيدوني فزادوه فلم يبرح حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإيمان الخمر إلا لبوشك أن يخرج أحدهما صاحبه)

للثابة: كيف يكون في الخمر منافع مع أنها تذهب بالعقل والمال؟ والجواب أن المراد بالمنافع في الآية المنافع المادية حيث كانوا يتاجرون بها ويبيعون منها ليربح العاشر، ويحتمل أن يراد بالمنافع تلك اللذة والنشوة المزعومة التي عثر عنها الشاعر بقوله:

ونشربها فتتركنا ملوكنا وأشد ما ينهينها الخلفاء

قال القرطبي: وشارب الخمر يصير ضحكة للعقلاء فيملأ بيوله وحذرنه وربما يمسح وجهه حتى روي بعضهم يمسح وجهه ببوله ويقول: اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، وروي بعضهم وكلب يلحس وجهه وهو يقول: أكرمك الله كما أكرمتني^(١).

الثالثة: قال الزمخشري: ﴿فَأَمَّا لَوْلَا الْفَالَاةُ﴾ «بفتح اللام وتشديد الفاء» «فَأَمَّا مَرَدُّكَ أَنْ يَشْتَرِكَ مِنْ مَكْنَابَاتِ الْمُطِيعَةِ وَالْتَرِيضَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ، وَهَذِهِ وَأَشْبَاهُهَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ آدَابٌ حَسَنَةٌ، عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا وَيَتَأَدَّبُوا بِهَا وَيَتَكَلَّمُوا بِمِثْلِهَا فِي مَحَارِبِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ»^(٢).



قال ابن عباس: ﴿الَّذِينَ يُلَاقُونَكَ مِنْ ثَمَلِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الدَّيْتِ﴾ إلى: ﴿وَيَذَلُّكَ اللَّهُ يُنْجِيكَ مِنَ الْغُرُوبِ﴾ من آية (٢٢٦) إلى نهاية آية (٢٣٠)

للنفسية: ذكر تعالى في آيات السابقة بعض الأمراض الاجتماعية التي تنخر جسم الأمة وتحل عرى الجماعة وتوقع بينهم العداوة والبغضاء كالخمر والميسر، ثم انتقل إلى الحديث عن الأسرة باعتبار أنها النواة الأولى لبناء المجتمع الفضيل، فيصلاح الأسرة يصلح المجتمع ويقسدها يفسد المجتمع، وابتدأ من أحكام الأسرة بالعلاقة الزوجية وت على ضرورة أن يكون الاختيار على أساس الدين لتظل العلاقة موثقة بروابط المودة والرحمة والإخلاص، فالمشركة لا يصلح لها أن تكون في حجر المسلم، والمؤمنة لا يصلح لها أن تكون تحت سلطان الرجل المشرك ولهذا حرم الإسلام الزواج بالمشركات وفروج المشركين بالمؤمنات، ثم بين في هذه الآيات الكريمة بعض الأمراض التي تحمل بالأسرة وتهدد كيانها فذكر منها الإيلاء، والطلاق والخلع وبين العلاج الناجع لمثل هذه المشاكل التي تقوهر بنيان الأسرة

من إساءة ويزجرهم ﴿إِنْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْمَعْ فُتَاتَ تَصَدُّقٍ﴾ أي إذا عمتحوا على عدم المسئاة والامتناع عن المودة فإن الله سمع لأقوالهم عليهم بيمينهم . والبراد من الآية أو الروح إذا حلفت ألا يعرف روحه تنظره الزوجة مدة أربعة أشهر ، فإن عاشرها من العدة فيها انعدمت . ويكون قد حلفت في يمين أو عليه الكفارة ، وإن لم يداشرها وقعت طهره والطلاق بمضي ثلث العدة عند أبي حنيفة . وقال الشافعي : رفع أمره إلى الحالف فيأمره إما بيمينه أو الطلاق فإن امتنع عهد طلق . عليه حكمه . وهذا هو خلاصة حكم الإيلاء . ثم قال تعالى : ﴿يَبْتَغِي أَحْكَامَ الْمَنَاسِكِ وَالْعَلَّافِ﴾ اشري . ﴿الْعَلَّافُ بَرَصٌ﴾ واليمين لغة قُرْبَى أي التواحب على المعتقد . انحرارهم فالدخول بهن أو يتصرن مدة ثلاثة أشهر . على قول الشافعي . ومالك . أو ثلاث حيض على قول أبي حنيفة وأحمد . ثم تخرج إن شاءت بعد انتهاء عدتها . وهذا في المدخول بها أما غير المدخول بها فلا عدة عليها لقوله تعالى : ﴿فَالْمَنَاسِكُ عَلَيْكُمْ مِنَ بَرٍّ﴾ . ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَكُنَّ مَا شَاءَتْ أَنْ تَقْبَلَهُنَّ﴾ أي لا يباح للمطلقات أن يقبضن حامي زواجهن من قبل أو حيض استعجلاً في العدة . وهذا لحرم الزواج في الرجعة . وإن كُرِيَ لَهَا بِلَهِّ وَتَبَيَّنَ الْأَمْرُ أي إن كُرِيَ حَقَاقَةً بعد بقاءه وبحسن من عقاره . وهذا شديد لها حتى يخبر بالحق من غير زيادة ولا نقصان لأنه أمر لا يعلم إلا من جهتين . ﴿وَلَهُنَّ كَمَنْ يَتَزَوَّنَ فِي دِينِهِنَّ﴾ أي ولهن ما يزوجهن . أحل يهن في طهر جمعة من التزوج للأجانب إذا لم تنقض عدتهن . وكان ينقض من الرجعة الإصلاح لا الإضرار . وهذا في الطلاق الرجعي . ﴿وَالْمَنَاسِكُ عَلَى مَنَاسِكِهِنَّ﴾ أي ولهن على مراحل من الفسخ مثل غاظر بناء عايز . والدمعة . أي الذي أمر تعالى به من حسن العشرة وترك العسار ونحوه . ﴿وَيُزَوِّجُنَّ قَبْلَهُنَّ﴾ أي ولنر حال على النساء مبرأة ، وهي فيها أمر تعالى به من تقوية والإيضاح والإمرة ووجوب الطاعة فهي دوسة تكليفي لا تشريفي . لقوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَمَا تَعْلَمُونَ﴾ . ﴿وَأَمَّا زَيْنُ كَبْرُكٍ﴾ أي غالب ينضم من عساه . حكمه في أمره . وتشرعه .

[illegible]

ملطفه. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال: ايتي لأحب أن تزيين لامرأتك بما
تزين به، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلْيَضْحَكُنَّ تَلَهِىَ﴾ وتلهيها.

707

فقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا عَلِمُوا الْيَتَامَىٰ مَالَهُمْ أَخْلَفُوا﴾ إلى... والله يعلم أنتم لا تعلمون ﴿من آية (٢٣١) إلى نهاية آية (٢٣٢)﴾

انسانسې ډېر ژواله آيات الكريمه ته د بحث عن احكام الطلاق و توضيح تعريفته و شرح وضعه راځي له
منه بهر د ايمان و ناسرور ، خوځه انسانسې ادا ظاهر .

اللعنة ﴿يَقُولُ الْكَافِرُ﴾ أي قاتل من الانتباه من اتعنه ﴿يُزَلُّ﴾ أي قد صدق الإلهام والقد
الفضل. انظر إلى هذا المصداق في قوله ﴿تَجِبُ حَبْرَةٌ﴾ أي يفسدوا المؤمنين ﴿يُغْتَابُونَ﴾ الغيب
المنع والتفريق. قال: أفضل الأمر أي أشكل وضاعت فيه التحيل، وهذا الضمان أي عيب أعيان
الأطباء قال الأزهرى: وأصابه من غفلت السافة: زنا نكاح يندھا فتم يصيب غرور حة ﴿يُؤْتِكُ﴾
يد. يوصى ويؤمر به ﴿تَكُ﴾ أسمى وأرفع يشاء: زكا المزوج إذا سماك شرب وسركه ﴿وَأَمَّا﴾
انصافه. التواء عن الشئ والمماضي.

سبب التزويج: زوي أن أمعل من بشار زوج أخته وحلاً من المعتنين عن عهد النبي ﷺ
 فكانت عنه ما كان ثم خلقها طليقة ثم يرأى لها حتى انقضت العدة، فهو بها مويته ثم شطبها مع
 الخطأ فقال له: يا أتكع أي بالنجم وأكرمك بها وزوجك فطلعتها، والملك لا ترجع إليك أبداً.
 فعلم الله حاجته إليها - اجتهدا إلى بعدها فذكر الله ﴿فَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَّيْنَهُنَّ مَا شَرَكْتُمُ فِي
 الْإِلَهِ فَمَا مَسَّهَا مِنْهُنَّ عِدَّةٌ فَقَدْ أَزْوَاجُكُمْ وَكُنتُمْ﴾

[illegible]

التعصير ﴿وَأَمَّا حُلُقُمُ الْبَنَاءِ فَلَقَدْ أَشْهَنَ﴾ أي إذا حلقفه يا معشر الرجال لبناء حلقاقاً وحلقاتاً وقارين نقصه العدة ﴿وَأَبْكُومُ بَطْرَفٍ أَوْ شَرْخِيمٍ يَمْكُومُ﴾ أي فيه جموع من عمر ضار ولا مادي أو الزكوة حتى تنفسي عدهن برحاح من غير تعطيل العدة عابون ﴿وَأَمَّا شَرْخِيمُ بِيْرَا فَيُشَقُّوْهُ﴾ أي لا تراهم من إرادة الإغوار بهم لتطعموهن بالإلحاح إلى الإفساد وفيه جرأة كإفساد عابيه الناس حيث كان الزوج يتردد مسئلة حتى إذا شارفت النقص العدة بدأ معها للإغوار بها ليطيل عليها العدة لا لئلا عه فيها ﴿وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ لَقَدْ طَلَعَ حَقْمٌ﴾ أي من يسكنها للإغوار بها أو ليكرهها

على الافتداء فقد ظلم بذلك المصل نفسه : لأنه عرضها لعقاب الله ﴿وَلَا تَجِدُوا رَافِقًا لِلَّهِ هَرَبًا﴾ أي لا نهر ، أو أحكام الله ، أو أوسر ، ونواهيه فتجعلوا شريعته مهزوما بها بمعاملتكم لها ﴿وَلَا تَكُونُوا بِشَيْءٍ قَدْ تَعَلَّمْتُمْ وَمَا أَرَىٰ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ أي ادركوا فضل الله عليكم بها بترككم الإسلام وما أنعم به عليكم من القرآن العظيم والسنة لمظهره ﴿يَعْلَمُ بِذَلِكَ﴾ أي يرشدكم ويذكركم بكتابه وهدى رسوله إلى معادتكم في الدارين ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَالْعَمَلُوا إِلَىٰ اللَّهِ سَبْعًا كُلَّ يَوْمٍ﴾ أي حافظوا الله واثروا في أعمالكم ، واعلموا أنه تعالى لا ينحس عليه خافية من أحوالكم .

ثم أمر بما الأولياء بعدم عضل النساء الرغبات في العودة إلى أزواجهن فقال : ﴿وَلَا تَلَفُّوا أَنْفُسَكُمْ وَلَكِنْ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ إِغْلَابٌ وَلَا تَغْلِبُوهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي إذا طلقتم أنفسكم وانقضت عدتكم ﴿فَلَا تَحْضُرُوهُنَّ أَنْ يَكُنَّ لِزَوْجِهِنَّ إِذَا رَزَقُوا مِنْ يَدَيْهِمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي فلا تنصبرن ما يعتبر الأولياء من العودة لأزواجهن إذا أصبحت الأحوال بين الزوجين وتطهرت أمراض الدم ورضي كل منهما بالعودة صاحبه والسير به برضى الله ﴿وَلَا يَدْرَأُ بَعْضُهُمْ أَمْرُكُمْ إِلَّا بِنَاصِهِمْ﴾ أي ما نهىكم عنه من الإضرار والمصلح يصححه وبم عطف من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . لأنه هو المستفيع بأحوال الشريعة ﴿وَلَا يَكُنْ لَكُمْ دُونُ اللَّهِ حَمِيمٌ﴾ أي الاعتصام بسا ذكر والتمسك بأوامر الله خير وأمنع لكم وأظهر من الآثام وأوصار الدنوب ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ﴾ فاعتقلوا أمره تعالى وبه في جميع ما نأول وما ندرى .

الصلاة .

- ١ - ﴿مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْهُ يَوْمٌ يُبْعَثُ فِيهِ﴾ أي فادرس بقضاء عدته . أطلق اسم الكل على الأكثر فهو محال مرسل . لأنه من انقضت المدة لما جاز له إسكانها والله تعالى يقول ﴿وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ يَوْمًا﴾
- ٢ - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي لا تكونوا كمن يسهون عن الصلاة . هو من باب عطف الخاص على العام : لأن التهمة يراد بها نعم الله ، والكتاب ، والسنة من أفراد عام انتم
- ٣ - ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَالْعَمَلُوا إِلَىٰ اللَّهِ سَبْعًا كُلَّ يَوْمٍ﴾ بين كسرة فاعلموا ، وعلمهم من الحسنات البنيوية ما يسمى بحسن الاشتقاق .

- ٤ - ﴿فَلَا يَكُنْ لَكُمْ دُونِ اللَّهِ حَمِيمٌ﴾ يراد بأزواجهن المصطفين : فهي من باب الصلح المرسل والمخلاف اعتبار ما كان .

فائدة : قال الإمام المفسر : الحكمة في إثبات حق الرخصة أن الإسلام ما دام مع صاحبه لا يدري هل تشق عليه المفارقة أو لا ؟ فإذا عارقه ، فقد ذلك بظهر ، فلما جعل الله العلاقة الواحدة مانعة من الرجوع لعقد له شقة على الإسلام إذ قد تطهر المحبة بعد المفارقة ، ثم لما كان كمال التجربة لا يجعل ماله ، الرأفة أنت تعانى عن المرأة من غير ، وهذا يدل على كمال رحمة تعالى ورأفته بعبده .

أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ خَائِذُونَ وَأَعْتَبُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَنِيمٌ ﴿١٠﴾ لَا حَاجَ عَلَيْكَ بِحَلْفَتِكَ أَيْتَهُ مَا تَمَّ
تَسْوِئَتُكَ لَمْ تُعْرِضْ لَهُمْ رِبْعَةً وَيَتَوَهَّجُ عَنِ الرِّبْعِ قَدَرٌ وَقَدْ أَكْثَرُ قَدَرًا شَعًا بِأَمْثَلِهِمْ مَعًا عَلَى الْغَنِيِّينَ
﴿١١﴾ إِنَّكَ حَلْفَتُهُمْ بِنَفْسِكَ أَوْ تَسْمِعُهُمْ وَقَدْ دَخَسَهُمْ رِبْعَةً فَصَفَتْ مَا وَكُنْتُمْ إِلَّا أَنْ يَتَوَهَّجُوا لَمْ يَتَوَهَّجُوا
أَلْفَهُ يَبْرَهُ غَفْدَةُ الْبَكْرِجِ وَإِنْ تَعَرَّوْا الرُّبَّ يَتَفَقَّوْنَ وَلَا تَنْتَوُوا الْقَصْدَ يَنْتَكُمُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَا تَعْتَبُونَ
نَبِيَّهُ ﴿١٢﴾

الصفة سبعة - ﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ أَنْفُسَهُمْ لِرَبِّهِمْ كَذِبًا﴾ أي الواجب به أن يبرهن عن
أولاده من عدة سنتين كاملتين ﴿لَنْ يُدْعَى أَنْ يَمُوتَ الرِّجَالُ﴾ أي إذا شاء الولدان إتمام الرضاعة ولا
ريادة عليه ﴿وَلَنْ يُدْعَى الْوَلَدُ أَنْ يَتَوَهَّجَ بِالرِّبْعِ﴾ أي وعلى الأب نعمة الوالدات لمصنفات
ومسوتهن بما هو متعارف بدون إسراف ولا تغيير مضمون بخدمة حق القيام ﴿لَا تَكْلفُ بَعْدَ وَلَا
تُسْعَفُ﴾ أي تكون النفقة بقدر الطاقة؛ لأنه تعالى لا يكلفه ما لا وسعها ﴿لَا أَكْثَرُ وَلَا ذِلَّةٌ
بِأَلْفِهِمْ وَلَا مَوْتٌ لَهُمْ وَتَوَهَّجُ﴾ أي لا يضرب الولدان بالولد فيعزطوا في تعهده ويقضوا بما ينبغي له. أو
بضار أحدهما الآخر بسبب أنه قد قرض الأم إرضاعه لنفس أمه نريته، وينزع لأب الولد منها
إصراراً بها مع رضنها في إرضاعه ليحفظ أحدهما صاحبه، قاله مجاهد ﴿وَلَنْ يُدْعَى الْوَلَدُ بِمَوْلَا ذِيهِ﴾
أي وعلى الوارث مثل ما على والد الطفل من الإنفاق على الأم وإقامته بقوتها وهدم الإصرار
بها والسرور به وارث الأب، وقيل: ورث النسي، والأول احتياط الطبري ﴿لَنْ يُدْعَى أَنْ يَمُوتَ الرِّجَالُ
قَدَرٌ وَيَتَوَهَّجُ فَلَا يَكُنْ عَشِيَةً﴾ أي فردا تنفق الوالدان على فطانه قبل الحولين ورواها في ذلك
مصنعة له بعد استشارة فلا يتم عندهما ﴿قَدْ كُنْتُمْ أَنْ تَتَوَهَّجُوا لَوْ كُنْتُمْ فَكُنْ حَاجَ تِلْكَ رَدَّ كُنْتُمْ مَا
فَاتَمَّ بِالرِّبْعِ﴾ أي وإن أودع أبها الآية أن تظنوا مرسعة لولدكم غير الأم بسبب محبتها أو
إرادتها الزواج فلا يتم عليكم شريطة أن تدفعوها لها، تنقسم عليه من لأخره فإن العرض إذا لم
تكرم لا تهتم بالطفل ولا ترضى بإرضاعه ﴿وَتَتَوَهَّجُ قَدْ وَأَعْتَبُوا أَنَّ اللَّهَ بِأَمْثَلِهِمْ مَعًا﴾ أي راقبوا الله في
جميع أفعالكم فإنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أفعالكم وأحوالكم ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَهَّجُونَ بِرَبِّهِمْ وَيَذُنُّونَ
لِرَبِّهِمْ يَرْفَعُ أَفْئِدَتَهُمْ قُدْرًا وَكَفَرًا﴾ أي على النساء اللواتي سموت أزواجهن أن يمكن في
العدة أربعة أشهر وعشرة أيام حداثة على أزواجهن، وهذا الحكم لغير متعامل، إذا أحاطت
فعدتها، وضع اسمها لقوله تعالى: ﴿وَوَلَّتْ الْأَمْثَالُ لَكُمْ أَوْ يَصْغُرُ حَتْمًا﴾، ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأُمُورُ
فَلَا يَنْبَغُ عَلَيْكُمْ فِيهَا عَمَلٌ وَلَا شَيْءٌ﴾ أي فإذا بلغت عدتهن فلا يتم عليكم معها
الأولياء في الإذن لهم بالزواج وقيل ما أباه عن حق الشروع من الزينة والتمريض للمنطاب ﴿وَلَقَدْ كَانَ
فَعَلُوا خَيْرًا﴾ أي عديم بجميع أعمالكم فيجازيكم عليها ﴿وَلَا يَكُنْ عَلَيْكُمْ بَيْنًا عَرَضُكُمْ مِنْ
يَنْتَبِهُ إِلَيْكُمْ﴾ أي لا يتم عليكم بها الرجال في التمريض بخطة النساء المستوفى عنهن أزواجهن في
العدة بطريق التاميم لا التصريح قال ابن عباس: كقول الرجل: وددت أن لا أدر بشر لي امرأة
صالحة وإن النساء لمن حاجتي ﴿أَوْ أَصْغُرُ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي لا يتم عليكم أيضًا ذنباً

أخفينوه في أنفسكم من رغبة الزواج بهن ﴿وَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ تَسْتَكْثِرُونَ وَلَكِنْ لَا تُوَافِقُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ
تَقُولُوا قَوْلًا مَنصُورًا﴾ أي قد علم الله أنكم تستكثرونهن في أنفسكم ولا تصبرون عنهن، ورفع
عنكم الحرج، فإذا كنتم من ذلك لا نراهن من النكاح سرا إلا بطريق انحصار والتلويح
وبالصعروف الذي أتوه لكم الشرع ﴿وَلَا تَحْزَنُوا حَتَّى تُبَيِّنَ إِلَيْكُمْ الْكَلِمَةَ﴾ أي ولا
تعفدوا عقد النكاح حتى تنهي العدة ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبَيِّنُ لَكُمْ شَأْنَكُمْ﴾ أي اذكروا
عقابه في مخالفتكم أمره ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَيْرٌ﴾ أي يمحو ذنب من أتاب ولا يحاسب
الضعفة لمن عصاه، ثم ذكر تعالى حكم المطلقة قبل المماس فقال ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ أَيْسَرَ
مَا تَا لَمْ تَسُوْهُنَّ لَوْ فَرَّسْتُمْ لَهُنَّ فَرْسَتَكُمْ﴾ أي لا إثم عليكم أيها الرجال إن طلقتم النساء قبل المماس
الجماع، وقيل أن فرسوا لهن مهرًا، فالطلاق في مثل هذه الحالة غير محظور إذا كان لمصلحة
أو ضرورة ﴿وَيَتَوَسَّوْنَ عَلَى الْوَتْعِ حَذْرٌ وَعَلَى الْفَقْرِ قَدْرٌ سَنَّا بِالْمُتَرَبِّعِ شَأْنَهُ الْكَلْبِيِّ﴾ أي ماذا
طلقتن من فادفرا لهن السنة تطيبا لخاطر من وجب الرخصة الفراق، على قدر حال الرجل في
الغننى والفقر، الموصى بقدر ماله، والموصى بقدر إيماره، تنبيها بالمعروف حقا على المؤمنين
المحسنين ﴿وَلَمَّا طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسُوْهُنَّ وَقَدْ فَرَسْتُمْ لَهُنَّ فَرْسَتَكُمْ فَمَا رَسْتُمْ﴾ أي وإذا
طلقتن من قبل الجماع وقد كنتم ذكرتم لهن مهرًا معينًا فالواجب عليكم أن تدفعن نصف المهر
المسمى لهن، لأنه ضلاق قبل المماس ﴿إِلَّا أَنْ يَتَوَفَّاكُم أَوْ يَمُوتَا أَلَيْسَ بِشَيْءٍ حَتْفَةُ الْكَلْبِ﴾ أي إلا
إذا أسقطت المطلقة منها أو أسقط ولي أمرها الحق إذا كانت صغيرة، وقيل: هو الزوج، لأنه
هو الذي يملك حقة النكاح وذلك بأن يسمحها بكامل المهر الذي دفعه لها واحتاره ابن جبر،
وقال الزمخشري: القول بأنه الولي ظاهر الصحة^(١) ﴿وَلَمَّا تَسَوَّاهُنَّ الْوَتْبَ يَتَوَسَّوْنَ﴾ الخطاب عام
للرجال والنساء قوله ابن عباس: أقربها للمتوفى الذي يعمر ﴿وَلَا تَسُوْهُنَّ الْقَتْلَ تَبْخُؤُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي
تسبوا بغيره أي لا تسوا أيها المؤمنون الجميل والإحسان ببيئكم، فقد خب تعالى الآيات
بالتذكير بعدم نسيان المودة والإحسان والجميل بين الزوجين، فإذا كان الطلاق قد تم لأسباب
ضرورية فاهرة فلا ينبغي أن يكون هذا قاطعًا لروابط المصاهرة ورشاش القرى.

الخلاصة:

- ١- ﴿وَأَنذَرْتُ يُسُفَ﴾ أمرٌ أُخرج مخرج الخبر مبالغاً في الحمل على تعقيدِهِ، أي يُبرِضُعن كالآية السابقة ﴿وَالْعَلَفُ بَرَصٌ﴾ .
- ٢- ﴿لَنْ تُبْرِضُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ فيه إيجاز بالحذف أي تسترضعوا المراهق لأولادكم، كما أن فيه الالفتات من الغيبة إلى الخطاب، لأن ما قبله ﴿كُنْ أَرَأَيْتَ﴾ وناثلة هذا الالتفات هزّ مظاهر الأباء، نعم الأبناء.

(١٤) بهذا القول مروى عن ابن عباس وهو مذهب مالك ونوب الشافعي في القديس ، قال الناصر في تعليقه على كلام ابن حجر عسيري : وصلني الرغزني أنه قال ظاهر الصحة ، عليه يؤيد الحق وظلاله الصواب لوجوه منها سابقها بالظن بيان فائدها في المكتشف ١/ ٢١٧ .

٢- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا عِدَّةَ الْحَيْضَةِ﴾ ذكر الموعظ للمسالمة في النهي عن مباشرة النكاح، فإذا نهى عنه كان النهي عن القبل من باب أولى.

٤- ﴿وَمَا يُمْسِكُكُمْ﴾ كلُّ تعالى بالمس عن الجماع تأديباً للعباد في اختيار أحسن الألفاظ فيما يتحاشون به.

٥- ﴿وَلَنْ تَنفِرُوا﴾، ﴿وَلَا تَسْمُوا الْقَتْلَ﴾ الخطاب عام للرجال والنساء، ولكنه ورد بطريق التثريب.

٦- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنََّّهُ﴾ إظهار الاسم الجليل في موضع الإصدار تربية المهابة والروعة.

المؤلف:

الأولى: فتعبر بنقطة «الم الدات» دون قوله «الم المطلقات» أو «النساء المطلقات» لاستعطفهن بحر الأولاد، فموصول الطلاق لهن لا يبين أن ينهرهن عاطفة الأمومة.

الثانية: أضاف تعالى أوله في الآية الكريمة إلى كلِّ من الأبوين في قوله ﴿وَأَقْرَبَ﴾ و﴿تَوَلَّوْا لَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ وذلك لطب الاستعطف والإشفاق عليه، فالتولد ليس أجنبيًّا عن الوالدين، هذه أمه وذلك أبوه فمن حقهما أن يشفقا عليهما ولا تكون العداوة بينهما سبباً للإضرار به.

الثالثة: الحكمة في إيجاب المشقة للسلطة هي جبر إباحش الصلح، قال ابن عباس: إن كان مسلماً اجتمعوا بثلاثة أثواب، وإن كان مسلماً مسلماً بثلاثة أثواب.

الرابعة: روي أن الحسن بن علي شغل روحه بمشقة آلاف درهم، فقالت المرأة: امتنع قلبك من حبب مفارق، وسبب طلاقه بإها ما روي أنه لما أصيب علي كرم الله وجهه وبويح الحسن بالعلامة قالت له: تنهك الخلافة يا أمير المؤمنين! فقال: بقتل علي وتظهير الشك في إفعلي فانت طالق ثلاثاً، فتأفقت بجلبابها وقعدت حتى انقضت عذتها فبعث إليها بمشقة آلاف مئة رقيقة ما بقي لها من مبدائها، فقالت ذلك، فلما أخبره الرسول بكى وفادى: لولا ألمي طلقنها ثلاثاً ثم اجتمعا^١.



قال الله تعالى: ﴿تَتَّبِعُوا عَلَى الْمَكْتُوبَةِ وَالْمَكْتُوبَةِ الْوَسْطَى﴾ إلى... ﴿يَنْبَغُ أَنَّ يَحْكُمَ الْكِتَابُ﴾

لَكُمْ تَعْقِيلٌ﴾ من آية (٢٣٨) إلى نهاية (٢٤٢)

استنبطت آيات المعاهدة على صلاة خلال الآيات الكريمة المتعلقة بأحكام الأسرة وعلاقات الزوجين عند الطلاق أو الانفراق، وذلك لحكمة بليغة، وهي أن الله تعالى لما أمر بالحنو والتسامح وعدم نسيان الفضل بعد الفراق بين بعد ذلك أمر الصلاة، لأنها أعظم وسيلة إلى سبيل هموم الدنيا وأقدارها، ولهذا كان جاز إذا حزنه هم من إلى الصلاة، فالطلاق بولد الشحنة والخصام، والصلاة تدعو إلى الإحسان والتسامح ونهي عن الغشما والمكر، وذلك أفضل طريق لتربية النفس الإنسانية

اللُّعْطَةُ ﴿١٤٦﴾ السَّحَابَةُ: السَّحَابَةُ عَلَى الشَّيْءِ، وَالْعَوَاقِبَةُ عَلَيْهِ ﴿الزُّنُزُلُ﴾ مَوَاقِفُ الْأَرْسُلِ، وَوَسَطُ الشَّيْءِ خَبْرُهُ، وَاعْدَلُهُ، فَإِنَّ أَعْرَابِيَّ يَسْلُحُ مُرْسُولَ بَيْتِهِ:

يَا أَرْسُلَ النَّاسِ طُرُقِي بِمُفَازِهِمْ وَأَكْرَمِ هِنَاسِي أَمَّا بَرْءُ وَأَبَا

﴿قَبِيْبِيْنَ﴾ أَصْلُ انْفَتَحَتْ فِي اللَّعْطَةِ الْمَدَامَةُ عَلَى الشَّيْءِ، وَلَمْ يَخُفْ الْقِرَاءُ بِالْمَدَامِ عَنْ الطَّاعَةِ وَالْمِلَازِمَةِ لَهَا عَلَى وَجْهِ الْخُضُوعِ وَالْخَضُوعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَنْفَرِيْهِ أَتَقِيْكَ﴾.

﴿وَقِيَالًا﴾ جَمْعُ رَاجِلٍ وَهُوَ الْعَالِمُ عَلَى الْغَدَمِ قَالَ الرَّاغِبُ: اشْتُقُّ مِنَ الرُّوْحَلِ: دَاخِلٌ، لِلْمَاشِيِ بِالزُّنُزُلِ، وَيُقَالُ: وَجَلَّ رَاجِلٌ أَيْ تَوَيَّ عَلَى الْمَشِيِّ^(١٤٧) ﴿زَكَاةً﴾ جَمْعُ رَاكِبٍ وَهُوَ مَنْ يَرْكَبُ الْفَرَسَ وَالْمَدَايِةَ وَنَحْوَهَا

﴿يَنْطَرُوا عَلَى الْفُتُوْنِ وَالْمَكْنُوْنِ ذُكُوْرًا وَنُؤْمًا يَوْمَ قَبِيْبٍ﴾ فَإِنْ جُفِيَ قِيَالًا أَوْ زَكَاةً فَلَبَّاهُ أَيْسَرُ مَا ذُكِرُوا أَنَّهُ كَمَا نَحْنُكُمْ نَأْتُمْ نَكُوْرًا مَّا تَكُوْرُكُمْ ﴿وَالَّذِيْنَ يَمْتَرُوْنَ أَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ﴾ وَبَيْنَ الْأَوْتَا وَبَيْنَ الْأَوْثَانِ نَحْنُ إِلَى الْفُتُوْنِ مِثْرُ الْإِسْرَافِ فَإِنْ تَرَجَعَ فَلَا يَنْجِيْكُمْ عَنْكُمْ وَنَا تَكُوْرُ فِيْ أَهْلِكُمْ مِنْ تَقْوِيْنِ وَأَنَّهُ غَيْرُ حَكِيْمٍ ﴿وَالَّذِيْنَ تَلَجَّ بِالْمَنَافَةِ حَقًّا عَلَى النَّفْسِ﴾ كَذَابُكَ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ نَابِيْبٌ. لَكُمُ الْقَبِيْبَةُ.

التفسير: ﴿يَنْطَرُوا عَلَى الْفُتُوْنِ وَالْمَكْنُوْنِ﴾ أَيِ رَاغِبُوا إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ وَدَوَامُوا عَلَى آدَاءِ الصَّلَاةِ فِيْ أَوْتَانِهَا وَحَاصَةً صَلَاةَ الْعَصْرِ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَشْهَدُهَا ﴿ذُكُوْرًا وَنُؤْمًا﴾ أَيِ قَبِيْبٍ دَاوَمُوا عَلَى الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ بِالسُّجُودِ وَالْخُضُوعِ أَيِ قَوْمُوا إِلَهُ فِيْ صَلَاتِكُمْ خَاشِعِينَ ﴿فَإِنْ جُفِيَ قِيَالًا أَوْ زَكَاةً﴾ أَيِ فُلَا كُنْتُمْ فِيْ خَوْفٍ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ غَيْرِهِ فَصَلُّوا مَا شِئْتُمْ عَلَى الْأَعْدَامِ أَوْ الرَّاكِبِينَ عَلَى الدَّوَابِ ﴿قَدْ أَيْسَرُ مَا ذُكِرُوا أَنَّهُ كَمَا نَحْنُكُمْ نَأْتُمْ نَكُوْرًا مَّا تَكُوْرُكُمْ﴾ أَيِ فُلَا رَأَى الْخَوْفَ وَجَاءَ الْأَمْنُ فَأَتَمَّ صَلَاةَ مَسْرُوعَةٍ لِّجَمِيعِ الْأَرْكَانِ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ وَعَلَى الْوُجُوْهِ الَّذِيْ شَرَعَهُ لَكُمْ. وَهَذِهِ عَقُولُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَأَذُّرُوا الْقُتُوْبَ﴾ وَالْمَذْمُورُ فِي الْآيَةِ بِرَأْيِهِ الصَّلَاةَ التَّكَامُلَةَ الْمُتَوَفِيَةَ لِلْأَرْكَانِ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: الْمَعْنَى اذْكُرُوا بِالْعِبَادَةِ كَمَا أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ بِمَا عَنْكُمْ مِنَ الشَّرَاحِ وَكَيْفَ تُصْنُونَ فِيْ حَالِ الْخَوْفِ وَالْأَمْنِ

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مِثْلَ أَحْكَامِ الْعِدَّةِ ﴿وَالَّذِيْنَ يَمْتَرُوْنَ أَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ﴾ وَبَيْنَهُمْ وَقَدْ رَوَى أَوْتَا وَبَيْنَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى الْفُتُوْنِ مِثْرُ الْإِسْرَافِ أَيِ وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ مِنْ رِجَالِكُمْ وَيَشْرَكُونَ وَوَجَانَتُهُمْ، عَلَى هَذَا أَنْ يَرَوْا قَبْلَ أَنْ يُحْتَضَرُوا بِأَنْ تَلْجُ أَوْ أَحَدَهُمْ بِمَدْمُ حَوْلًا كَامِلًا، يُسَلِّتُ عَلَيْهِمْ مِنْ تَرْكِهِ وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ. وَكَانَ ذَلِكَ فِيْ أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ تَبَدَّلَتِ الْعِدَّةُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةِ أَيَّامٍ ﴿فَإِنْ تَرَجَعَ فَلَا يَنْجِيْكُمْ عَنْكُمْ وَنَا تَكُوْرُ فِيْ أَهْلِكُمْ﴾ أَيِ فَإِنْ خَرَجْتَ مِنْ مَسَاكِنَاتِ رِجَالِكُمْ فَلَا تَسْمُ عَلَيْهِمْ بِوَلِيَّائِهِ الْعَمِيَّتِ فِيْ تَرْكِهِمْ أَنْ يَقَعْلُوا مَا لَا يَنْكُرُهُ الشَّرْعُ كَاللَّزِيْنِ وَالنَّطِيْبِ وَالْمُتَرَفِّعِ الْمُخْطَافِ ﴿وَأَنَّهُ غَيْرُ حَكِيْمٍ﴾ أَيِ هُوَ سَحَابُهُ خَالِبٌ فِيْ مَلِكِهِ حَكِيْمٌ فِيْ صِنْعِهِ ﴿وَالَّذِيْنَ تَلَجَّ بِالْمَنَافَةِ حَقًّا عَلَى النَّفْسِ﴾

(١٤٧) مفردات الرامب مادة وجل .

فَتَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَكُمْ عَقْلٌ كَثِيرٌ ﴿١﴾ أي واجب على الأزواج أن يضمن المطلقات بقدر استطاعتهم جبراً الوحشة القراق، وهذه النعمة حقاً لازم على المعزتين المعتين لله ﴿كَذَلِكَ يَنْهَى اللَّهُ لَكُمْ تَأْتِيَهُمْ، لَعْنَتُكُمْ تَقِيْلُونَ﴾ أي مثل ذلك البيان الشافي الذي بوجه النفوس نحو العودة والرحمة بين الله سبحانه لكم آياته الدالة على أحكامه الشرعية لتعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها .
الخلاصة .

- ١- ﴿وَالْمَكْنُونُ: الْغَيْبُ﴾ عطف خاص على عام لبيان مزيد فصلها .
- ٢- ﴿فَمَنْ يَنْتُمْ﴾ ﴿فَإِذَا أُنْتُمْ﴾ بين لفظ الختم، ودأبهم طباقي وهو من المحسنات البيعية ، قال أبو السعود: وفي إيراد لشرعية بكلمة إذا: المعينة عن عدم تحقق وقوع الطوف، وإيراد الثانية بكلمة إذا: المبينة عن تحقق وقوع الأمن وكثرته مع الإيجاز في جواب الأولى والإطبات في جواب الثانية من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه هبة لأولي الأبصار .
تفصيلاً: الصلاة الوسطى على الراجح من الأقوال هي صلاة العصر: لأنها وسط بين الفجر والظهر والمغرب والعشاء، ويقوي هذا ما ورد في الصحيحين: «دخلوا من الصلاة تومض من صلاة العصر: ملا الله قلوبهم ويؤمنهم ناراً» وفي الحديث: «الذي نومه صلاة العصر فكأنما زفر أهله وماله» أخرجه الشيخان وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة .

□ □ □

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِهِمْ خَلْقًا وَإِنَّا لَهُمْ رَافِقُونَ﴾ . . . إلى . . . وَلَئِنْ كُنْتُمْ

المتضمنة لما ذكر تعالى أحكام الأسرة بالتفصيل والنظم التي تربط بين أفرادها، وسمى لإصلاحها باعتبار أنها النواة واللبنة التي يبنى عليها المجتمع القاض، ذكر بعدها أحكام الجهاد وذلك لحماية العقيدة وصيانة المقدسات، وتأخيراً لبينة الصالحة للأسرة المسلمة التي تشيد الحياة الكريمة، فلا صلاح للأسرة إلا بصلاح المجتمع، ولا بناء لها ولا خلوة إلا ببناء الحق وأنصاره، ولهذا أمر تعالى بالقتال، وحزب عليه الأمثال بالأسلم السابقة، كيف جاهدت في سبيل الحق وانصهرت القلة مع إيمانها على الكثرة مع كفرها وطغيانها، فنيست الغيرة بكثرة أنصار الباطل بل بصمود أهل الحق وفترامهم له وجهادهم في سبيله

اللقية: ﴿تُؤْمَرُ﴾ جمع ألف جمع كثرة وفي القصة آلاف، ومساء كثرة كثرة والوف مؤنفة ﴿حَذَرٌ﴾ خشية وخوف ﴿يَقِيْلُ يَنْتَهِي﴾ القبيض قسم الشيء، والجمع عليه والتمرد به التفتير .
واليسط ضده، والمراد به التوسيع قال أبو تمام:

تمرد بسط الكف حتى لو أنه دعاهم لقبض لم تنبته أناسه
﴿أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْآخِرِينَ مِنَ النَّاسِ﴾ سخوا بذلك لأنهم يملأون العين مهابة وإجلالاً ﴿فَقَتَلُوا﴾

ما صور بحول الله ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي ظهر رافي المنقب لعشيع وجهه لوجه أمام ذلك الجيش الجرار جيش جالوت المدرب على الحروب ﴿فَقَاتِلْهُمْ فَيَبَسَّ﴾ أي قاتلهم فبسطوا دموعهم إلى ثلاث دموع ثقب إدراس النصر فقالوا أولاً: ربنا أفضل علينا مسراً بعدما لى حمناً وفي خاصة نفوسنا لنفوز على قتال أعدائنا ﴿وَكَبَّتْ أَفْئِدَتُنَا﴾ أي تضايق مبدان الحرب ولا تجعل لأفكار سبيلاً إلى قوتها، وهي المدسوسة الشافية ﴿وَأَضْمَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ قَعَصِيرًا﴾ أي انصرف عني من كفر بك وكذب رسلك وهم جالوت وجنود، وهي الدعوة الثالثة، قال تعالى يا أيها الذين آمنوا ﴿فَاصْبِرُوا﴾ أي صبروا ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ جِيشٌ جَالُوتٌ يَدْعُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُمْ رِجْزِيَّةً لِّدَعَائِهِمْ وَأَنْكَرُوا عَنْهُمْ وَغَمُّ كَثُورَةٍ﴾ وقيل دأبهم حالوتكم ﴿أَيَّ وَتَقْتُلْ دَاوُدَ﴾ أي وقتل داود وكذب في جيش المؤمنين مع جالوت - رأس اطفيلان جالوت والآخر جيشه ﴿وَمَا أَتَيْنَاهُ أَفْئِدَتُكَ وَمُخْطَفَةً وَعَلَّمْتَهُ بِكُنْهَاتِ﴾ أي أعطى الله تعالى داود الملك والنبوة وعلمه ما يشاء من الجسم لتافع الذي أفاده عليه، قال ابن كثير: كان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يورثه ابنته وبشطره سمته، وبشرته في امره، فوفى به ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله به من النعمة العظيمة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ الدُّعَاءَ عَنْكُمُ يَدْرِي لَقَدْ كُنْتُمْ مِنَ الْغَابِطِينَ﴾ أي لو أن يدفع الله عنكم الدعاء لكان الخرب والدمار ﴿وَلَقَدْ صَبَّرَ اللَّهُ دَاوُدَ فَصَلَّى عَلَى التَّكْوِينِ﴾ أي ذو تعظيم وانعام على البشر حيث لم يمكن ذلك من الاستسلام ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ أَفْئِدَةً تَنْقُرُ عَلَى كُنْهَاتِ﴾ أي ما قصصنا عليك يا محمد من الأسرار الخفية والقصص المعجزة التي وقعت في بني إسرائيل هي من آيات الله، أخذوا المعية التي أوحاها إليك بالحق بواسطة جبريل الأسير ﴿وَلَقَدْ لَبِئْسَ لَكُمُ الْوَصِيَّةُ﴾ أي واثقت يا محمد، لمن حملة الراس للذين رسلهم أنه لن يذبح دعوة الله عز وجل.

اخلاصه

١- قال أبو حيان، تضمنت الآية الكريمة من ضرر البيلانية وصنوف اسنان أموراً كثيرة، منها الاستغناء الذي يجري اتعجب في قوله ﴿أَفَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾ والعنف بين ﴿مُؤْتَفَاتِهِمْ﴾ أي فمنازلهم أحبهم، والبطاق في قوله ﴿ثَوْبُهُمْ﴾ و﴿أَتَيْتُهُمْ﴾ وكذلك في قوله ﴿يَقُولُ﴾، ﴿وَرَمَتْهُ﴾ والكرار في قوله ﴿فَصَلَّى عَلَى التَّكْوِينِ﴾، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ أَفْئِدَةً تَنْقُرُ عَلَى كُنْهَاتِ﴾ و﴿وَلَقَدْ لَبِئْسَ لَكُمُ الْوَصِيَّةُ﴾ و﴿وَلَقَدْ لَبِئْسَ لَكُمُ الْوَصِيَّةُ﴾ و﴿وَلَقَدْ لَبِئْسَ لَكُمُ الْوَصِيَّةُ﴾ و﴿وَلَقَدْ لَبِئْسَ لَكُمُ الْوَصِيَّةُ﴾.

٢- ﴿تَرَى عَلَيْنَا مَكْرًا﴾ فيه استمارة تميلية، فقد شئ حالهم - والله تعالى بفيض عليهم بالصبر - بحال الماء يصب ويغرق على الجسم فيعمه كله، ظاهره وباطنه فيلقي في الغلظ يرداً وسلاطاً وهدوءاً واطمئناناً.

الفوائد:

الأولى: استند الاستعراض إلى الله في قوله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذْ يَقُضِي الْأَمْرُ﴾ وهو المزمع عن الأحداث ترفعاً في صدقه كما أنصاف الإحسان إلى العربي واليهود واليهود إلى الله تعالى في قوله حل وعلا في الحديث القدسي: «ابن آدم مررت فلم تجدني» و«تستصمكتك فلم تطعمني» واستصمكتك فلم تغسلني» الحديث الذي رواه الشيخان.

الثانية: روي أنه لما نزلت الآية الكريمة جاءه أبو الدحداح الأمازيغي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله وإن الله يريد منا الفرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح! قال: «وإن ذلك يا رسول الله، فتأولت يده قال: فإني قد أقرضت ربي حنطلي» أو بستان وكان فيه شيطان فخلط وأتم الدحداح فيه وعياله - فجاء أبو الدحداح فتأداه: يا أم الدحداح قالت: ليتك، قال: الخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل^(١)، روي رواية قلت: يبيع بيعك يا أبا الدحداح، وخرجت منه مع عاله.

الثالثة: قال البقاعي: ولعلّ مقام بني إسرائيل بهذه القصص لما فيها لمناسي ﷺ من واضح الدلالة على صحة رسالته، لأنها مما لا يعلمه إلا القليل من حذيق علماء بني إسرائيل^(٢).

٣٥٥

قُلْ هَلْ تَعْلَمُ ﴿بِقَوْلِ الْكَافِرِينَ﴾ قُلْنَا تَعْلَمُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ . وَأَتَكْفُرُونَ ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا﴾ مَسْأَلَةٌ (٢٥٤).

المناسبة: لما ذكر تعالى في الآيات السابقة أصحاب طالعوت علي بن إسرائيل، وتفصيل ماود عليهم بخمسك والنبوة ثم حاسب رسوله ﷺ بأنه من الكافرين، وكان ظاهر اللفظ يقتضي هشوية بين الرسل، ذكر في هذه الآية أن المرسلين يسو في درجة واحدة بل بعضهم أفضل من بعض كما يكون التفصيل بين البشر.

اللفظ: ﴿تَعْلَمُ﴾ جمع نعمة، وهي المعرفة الوحيية الحسامية ﴿أَتَكْفُرُونَ﴾ المحجرات ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ توراة من التأييد بمعنى التقرية ﴿وَرُوحُ الْكَافِرِينَ﴾ القدس: الطهارة وروح القدس جبريل عليه السلام وقد تقدم ﴿مَنْزِلَةُ﴾ الحافة العبدية والفرقة، حسبت بذلك، لأنها تخلل الأفضاء أي تدخل خلالها، وهذه الخليل ﴿تَكْفُفُ﴾ مأخوذة من انتفع بمعنى الضم، والشفاعة الانضمام إلى آخر ما مر أنه وسائلاً عنه.

﴿بِقَوْلِ الْكَافِرِينَ﴾ قُلْنَا تَعْلَمُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ . وَأَتَكْفُرُونَ ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا﴾ مَسْأَلَةٌ (٢٥٤).

(١) أخرجه البزار والترمذي عن ابن مسعود

(٢) مجلس التكميل ٧٢-٧٥.

نَسُوا لَيْلَتُوا يَسَاءَ تَزْكِيَّتُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْجِي فِيهِ وَلَا عِلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾
 فتفسيره: ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَافِلًا بَعْدَهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي أولئك الرسل الكرام الذين قصصنا عليك من أنبيائهم يا محمد هم رسل الله حقاً، وقد فضلنا بعضهم على بعض في الرفعة والمنزلة والمرتبة العالية ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَافِلًا بَعْدَهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي منهم من غصه الله بالتكذيب بلا واسطة كموسى عليه السلام ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَافِلًا بَعْدَهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي ومنهم من غصه الله بالعنصرية الرفيعة السامية كعالم المرسلين محمد بن عبد الله فهو سيد الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة، وكأسي الأنبياء إسماعيل الخليل ﴿وَمَا كُنَّا بِعَيْنِي أَنْ نَحْمِلَ الْكَفِيرَ﴾ أي ومنهم من أعطاه الله السموات البهارات كإحياء المومنين وإلهاء الأكمه والأبرص والإخبار عن المخبيات ﴿وَمَا كُنَّا بِعَيْنِي أَنْ نَحْمِلَ الْكَفِيرَ﴾ أي قورناب يعجز عن الأمين وهو عيسى بن مريم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الْوَيْلَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي لو أراد الله ما أفتن أولئك الذين جاءوا بعد الرسل من بعد الحجج الباهرة والبراهين الساطعة التي جاءتهم بها رسلهم، فلم شاء الله ما نزعوا ولا دخلقوا ولا قاتلوا، ولجعلهم متفقين على اتباع الرسل كما أن الرسل متفقون على كلمة الحق ﴿وَلَوْ كُنَّا فَتَنَّا قَوْمَهُمْ مِنْ دُونِ الْكَافِرِينَ﴾ أي ولكن الله لم يشأ مدينتهم بسبب اختلافهم في الدين ونسب مدعيهم وأهوائهم، فغصهم من ثبت على الإيمان ومنهم من حاد وكفر ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الْوَيْلَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي لو شاء الله لعمل البشر على طبيعة الملائكة لا ينازعون ولا يقتلون ولكن الله حكيم يفعل ما فيه المصلحة، وكل ذلك من قضاء الله وقدره فهو الغمام لما يريد ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَافِلًا بَعْدَهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي أنفقوا في سبيل الله من مال الله الذي منحكم إياه، انصروا الزكاة وأنفقوا في وجوه الخير ولجبر والمصالحات ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَافِلًا بَعْدَهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي من قبل محبي ذلك اليوم الرقيب الذي لا يستطيعون أن يفتندوا نفوسكم بما أنفقتموه فيكون كالبيع، ولا تجدون مدينتاً يدفع عتكم العذاب، ولا شقيقاً يشفع لكم ليحط عتكم من سيئاتكم إلا أن يأذن الله رب العالمين ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي لا أحد أظلم ممن وافى الله يومئذ كافراً، والكافر باله هو الظالم المعتدي الذي يستحق العقاب.

البلاغة:

- ١- ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَافِلًا﴾ الإقارة بالبعد بعد مررتهم في الكمال.
- ٢- ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَافِلًا﴾ الآية تفصيل لذلك التفضيل، ويسمى هذا في البلاغة: التفسير، وكذلك في قوله ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَافِلًا بَعْدَهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ وبين لفظ قاتل، وكفر، طلاق.
- ٣- الإطناب وذلك في قوله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الْوَيْلَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ حيث كرر جملة ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾.
- ٤- ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ تعبر الصفة على الموصوف، وقد أكدت بالجملة الاسمية وبضمير الفصل.

فائدة: روي عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ولم يقل: «والظالمون هم الكافرون» ومراؤه أنه لو نزل هكذا لكان قد حكم على كل ظالم بالكفر فلم

بِخلافه، منه إلا من جرحه الله .

تفتيقه. يحصل أن يراد بالكفر المحض الحقيقى "والمجازي فيكون المراد بالكفر نارك الزكاة كما ذهب إليه المومخري حيث قال: أراد والتاركون للزكاة هم العلمون، وإظهاره عليه للتليط واتتهديد كما فى آية الحج ﴿زمر﴾ فكان (ومن له سحق) ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفر فى قوله: ﴿يَوْمَ لِلْمُتَشَكِّكِينَ ﴿٥٠﴾ الْيَوْمَ لَا يَرْجُونَ الْفَرَجَ﴾



قال الله تعالى: «إِنَّكَ لَا يَهْدِي إِلَّا غَوْلِي الْقِيَمُ»... إلى... أَوْفَيْتَهُمْ أَهْلَهُمْ فَتَبَّ عَلَى رَبِّكَ - (٢٤٧) سورة
مريم (٢٤٧) إلى نهاية آية (٢٤٧).

المتأنيبة، فلما ذكر تعالى تغيب بعض الأنبياء، حتى يعض، وبين أن الأخلاق قد انحلت، من بعدهم ونزاعوا، وتقاتلوا بسب الدين، ذكر أن هذا التفصيل بين الأنبياء لا يستدعي النزاع بين أتباع ولا الخصام والنزاع، فذكر مثل صلوات الله عليهم وإن كانوا متفادين في الفضل إلا أنهم جميعاً جاءوا بدعوة واحدة هي «دعوة التوحيد» فرسلتهم واحدة ودينهم واحد، وأنه لا إكراه في الدين فقد سطع نور الحق وأشرق صيانه.

اللغة. ﴿ثُمَّ﴾ ذو العباد الكاملة ومعناه الباقى الذائب الذي لا سبيل للمعاد عليه ﴿الْيَوْمَ﴾
القائم بتدبير الخلق ﴿وَنَافَ﴾ بكسر الميم القندس وهو عايش يوم من قنور قاب انفسه:
ومن ان قصده انعاش وثقت في عبده بقاء وليس بآدم

﴿يَتَوَكَّلْ﴾ يَتَوَكَّلْ وَيَتَعَبْ ﴿أَمْرٌ﴾ العزاد على المسئلة والشأن الذي تعال في جلاله وعظم في سلفاته ﴿رُكَّاءُ﴾ الإكرام : جعل الشخص على ما يكره يعطين الفسار والجبر ﴿أَتَقَطَّرُونَ﴾ من الضغائن وهو كمن ما يُضَيِّقُ الإنسان ويضاه عن طريق الحق والهدى ﴿الْأَوَّلَى﴾ مؤنث الأولى وهو الشيء المحكم الموثق ﴿أَتَيْتَاهُ﴾ الانقسام : الانكسار ، قاله افراء : الانقسام والانقسام لعتان وبالفاء انصم وقال بعضهم : انصم انكسار غير سيرة ، وانصم انكسار سيرة .

تسبب الغزو. كان الرجل من الأنصار يهتفوا بهل جنة السرى بجدة لم قدما فهدبه في غير
من التحار يحملون ارباب، غرهمها ارجما وقال: لا تدعكما حتى تسلموا فزلت لا لا في
الذي لا يسمع من الله لا الآية.

[illegible]

الطائفة **أَتَيْتُكَ أَصْحَبَ النَّبِيِّ حَمِيًّا عِيَادًا** ﴿١٠﴾

التفسير: **أَتَيْتُكَ يَا رَبِّ يَا مَنْ أَتَى الْقَوْمَ** ﴿١٠﴾ أي هو الله جل جلاله الواحد الأحد الفرد الصمد، ذو الجلال والإكرام، اليافي الدائم الذي لا يموت، الغائم سلم بتدبير شهود الخلق بالعبادة والعبادة والتبوير **لَا تَأْخُذُ بِنِعَّةِ وَلَا قَوْمٍ** ﴿١١﴾ أي لا يأخذه معاش ولا نوم كما ورد في الحديث: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَسْنُو** له أن يتم بنفسه المفسر ورفع **لَمْ يَأْكُلْ لَشْوَبًا وَلَا فِي الْأَرْضِ** ﴿١٢﴾ أي جميع ما في السموات والأرض منك وعبيد، وتحت قهره وسلطانه **لَمْ يَأْكُلْ لَشْوَبًا وَلَا فِي الْأَرْضِ** ﴿١٣﴾ أي لا أحد يستطيع أن يشق لأحد لا إذا أذن له الله فعلى قلبه كبير: وهذا أن لضعفه وجلاله وقهره بحيث لا يتحاصر أحد، على الشعاقة ولا يؤذ القولى **بِقَوْمٍ مَا يَكُنْ أَيْدِيَهُمْ وَمَا تَحْتَ هَمٍّ** ﴿١٤﴾ أي يعلم ما هو حاضر مشاهد لهم وهو انفسا وما خلفهم أي أمامهم وهو الآخر منذ أحدث علمه بذلك كائنات والمعوام **وَلَا يَهْرُؤُونَ مَعَهُ يَوْمَ ثَبُوتِ السَّعَادَةِ** ﴿١٥﴾ أي لا يعلمون شيء من معلوماته لا بما أعلمهم إياه على السنة أرسل **وَبِيعَ كَرْيَسَهُ كَتَمُونِ وَأَذَلُّوا** ﴿١٦﴾ أي أساط كرسية بالسموات والأرض ليقت وسعة، والسموات السبع والأرضون بالنسبة للعرسي كحلقه متقاف في فلاة، وروي من ابن عباس **وَبِيعَ كَرْيَسَهُ** قال: علمه بدلالة قوله تعالى: **وَمَا وَبِيعَ حَتَّى يَكُونَ الْخُسُوفُ رُبْعًا** **وَأَعْبَرُوا** **أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُ رُبْعَ كَرْيَسِهِ** ^(١٧) وقال الحسن البصري: الكرسى هو العرش قال ابن كثير: والصحيح أن الكرسى غير العرش، وأن العرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار والأخبار **وَلَا يَهْرُؤُونَ مَعَهُ يَوْمَ ثَبُوتِ السَّعَادَةِ** **وَمَنْ أَذَلُّ الْقَوْمِ** ﴿١٨﴾ أي لا يثقل ولا يمحور حفظ السموات والأرض ومن بينهما وهو العلي فوق خلفه ذو العظمة والجلال كقوله: وهو **الْحَكِيمُ الْقَسِيمُ** ﴿١٩﴾ **وَلَا يَأْخُذُ فِي الْبَيْتِ مَنْ أَرَادَ مِنْ الْقَوْمِ** ﴿٢٠﴾ أي لا إيجاب ولا إكرام لأحد على الدخول في دين الإسلام، فقد بان ووضح الحق من الباطل والهدى من الضلال **وَمَنْ يَكُنْ كَرْيَسَهُ الْخُسُوفُ** **وَيَكُونُ بِقَوْمٍ فَكَمْ كَتَمُوا** **بِأَمْرِهِ الْأَمْرُ** ﴿٢١﴾ أي من كرسى ما به من غير الله كالمبطل والأمر **وَمَنْ يَأْخُذُ بِاللَّهِ فَعَدَّ نَسْلَكَ مِنَ الدِّينِ بِأَمْرِهِ سَبَّ** **لَا تَبْسُمُ لَهَا** ﴿٢٢﴾ أي لا تعطى لها ولا رول **وَنَفَقَ بَيْعُ عَيْسَى** ﴿٢٣﴾ أي سمح لأقوال عباده عليهم بأفعالهم **لَهُ وَكَانَ الْقَوْمُ مَعَهُ بِفَرْخِهِمْ عَنْ الْفَلَكِ** **بِأَمْرِهِ** ﴿٢٤﴾ أي الله ناصر المؤمنين وحافظهم ومنوئى أمورهم، يحرقهم من ظلمات الكفر والفساد إلى نور الإيمان والهداية **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لِقَاءُ اللَّهِ إِلَّا الْفُتُورُ** ﴿٢٥﴾ أي وأما الكافرون فاولئك لهم هم الشياطين يحرقونهم من نور الإيمان إلى ظلمات الضلالت والفساد **أَتَيْتُكَ أَمْرًا نَبِيًّا حَمِيًّا عِيَادًا** ﴿٢٦﴾ أي ما كنون في فار جهنم لا يخرج منها أبدًا.

العلاقة:

١- في آية الكرسى الأربع من الصلوة وعلى البيان بها حسن الانتفاع لأنها افتتحت بأجل

(١٧) قال ابن جرير: وقول من جهنم ما يندل من سمته غاهر القرآن ولأن أصل الكرسى العلم، ومنه يقال للعلماء كرسى لأهم القصد عليهم كما يقال: أوماد الأرض، انتهى وصحح ما قاله ابن كثير.

أسماء الله تعالى، وتكرار اسمه ظاهراً ومضمراً في ثمانية عشر موضعاً، والإطناب بتكرير الصفات، وقطع للمجمل حيث لم يصلها بحرف المعطف، والطباق في ﴿مَا يَذُنَّ لَكُمْ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾^(١) أفاده صاحب البحر المحيط.

٢- ﴿أَسْتَشْكُ أَنتَ أَزْوَاجَ﴾ استعارة تشبيهية حيث شبه المستمك يدبى الإسلام بالمستمك بالعبيل المحكم، وعدم الانقسام ترشيع.

٣- ﴿وَيَنْفُلُكَ إِلَى الْوُجْهِ﴾ استعارة تصريحية حيث شبه الكفر بالظلمات والإيمان بالنور فإنه في تلخيص البيان: وذلك من أحسن التشبيهات لأن الكفر كالظلمة التي يتسكن فيها الحنايط ويضل الفاضد، والإيمان كالنور الذي يؤمه الجائر ويهتدي به العاقل، وعاقبة الإيمان عيشة بالنعيم والثواب، وعاقبة الكفر مظلة بالجحيم والعذاب^(٢).

فائدة: أفراد النور وجميع الظلمات لأن الحق واحد لا يتمدد وأما طرق الضلال فكثيرة ومشعبة.

تفسير آية الكرسي لها شأن عظيم وقد مرغ الحديث عن رسول الله ﷺ بأنها أفضل آية في كتاب الله، وفيها اسم الله الأعظم كما جاء في الحديث الشريف: (اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في ثلاث: سورة البقرة وآل عمران رطبه) قال مشام: أما بقرة فقول: ﴿لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وفي آل عمران ﴿قَدْ أَفْلَحَ لَكَ إِذْ رَأَيْتَ وَقْدَ الْقَوْلِ﴾ وفي طه ﴿وَصَرَّحَ الْوَحْيُ بِأَنَّ الْقَوْلَ﴾ قال ابن كثير: وقد اشتملت على عشر حمل مستقلة، متعلقة بالذات الإلهية وفيها تمجيد الواحد الأحد^(٣).

تفسير

قال الله تعالى: ﴿أَقِمَّ صِرَاطَ إِلَى الْوَلِيِّ حَاجَّ رِجْعِهِ فِي رَيْبِهِ... إِلَى... وَأَيُّكَ سَعِيًّا وَأَقْلَمَ لَكَ لَقَدْ عَرِضُ عَكِيمٍ﴾ من آية (٢٥٨) إلى نهاية آية (٢٦٠).

البيان: لما ذكر تعالى الإيمان بالله وصفاته القدسية العلية، وذكر ولاية المؤمنين وولاية الطاغوت للكافرين، ذكر هنا نموذجاً من تحكم الطغاة في نفوس الكفرة المعاندين ومجادلتهم في وحدانية الله، فذكر ما فيها قصصاً ثلاثاً: الأولى في بيان إثبات المحال للحكيم، والثانية والثالثة في إثبات العشر، والبحث بعد الفتنة.

اللقبة: ﴿حَاجَّ﴾ الصحاح: المنالية يقال: حاججته فحججته، وحاجبه أي بادء الحجة ﴿قَبِيْثٌ﴾ انقطع وسكت متحيراً، قال العنزي:

فما هو إلا أن أراما فجاءه فابتهت حتى ما أكاد أجيب
﴿خَوَلِيَّتُ﴾ سابقة ﴿عُرُوشُهَا﴾ العرش: سقف البيت، وكل ما يهبط ليظل أو يكره فهو عرش

عليه من الخراب والدمار ، وكان راقباً على حماره ، حينما مر عليها ﴿فَأَمَّا اللَّهُ فَبِهِ نُتِمُّ﴾ أي أمات الله ذلك السائل واستمر شيئاً مائة سنة ثم أحياء الله ليريه كمال قدرته ﴿قَالَ حَتَّىٰ لَأُبْدِيََنَّكَ يَوْمَآ تُرَىٰ بَعْضُ يَوْمِي﴾ أي قال له ربه براحة الملك : كم مكثت في هذه الحال ؟ فإن يوحنا تم نظر حوله فرأى الشمس ساقية لم تغيب فقال : أو يحض يوم أي أقل من يوم فخالطه ربه بقوله : ﴿قَالَ لَرَأَيْتَكَ مِائَةً مَّكَرَ﴾ أي بلى مكثت مئتي مائة سنة كاملاً ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ عَذَابِكَ وَشَرِّكَ لَمْ يَكُنْ﴾ أي إن شككت فانظر إلى طعامك لم يتغير يمرور الزمان ، وكان معه غضب ربي وعصير فوجدها على حالها لم تفسد ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حَبْلِكَ﴾ أي كيف تفرقت عظامه ونخرت وصار هيكلاً من السبي ﴿وَلْيَنْتَفِكْ رُكْبَهُ فَتَكْثُرَ﴾ أي فعضاها فقلنا لنزدرك قدرة الله سبحانه ولنجعلك ممسكة بظاهرة تدل على كمال قدرتنا ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الظَّالِمِ حَقِّكَ فَنُفِّرْهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ أي تأمل في عظام حمارك البقرة كيف تركب بعضها فوق بعض وأنت تنظر ثم تكسوها نعلماً بقدرتنا ﴿فَلَسَّافٍ فَتُحَرِّقَ﴾ قال أَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أي فلما رأى الآيات الباهرة قال : أيقنت وعلمت علم مشاهدة أن الله على كل شيء قدير ﴿وَرَبُّكَ قَالَ يُرِيدُ رَبُّكَ إِيَّاكَ لَتَتَّبَعَنِي﴾ وهذه هي القصة الثالثة وفيها الدرس الحسي على الإعادة بعد الغفلة ، والمعنى : اذكر حين طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتي ، سأله الخليل عن الكيفية مع إيمانه الجازم بالقدرة الربانية ، فكان يريه أن يعلم بالعباد ما كان يوقن به بالوجدان ، ولهذا خاطبه ربه بقوله ﴿قَالَ أَزَلَمْ تُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَكَيْفَ يُنْفِخُنَّ أَنفُسَهُمْ فِي يَوْمٍ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي أزل أربعة طيور فضعهن إليك ثم انقلبن ثم اخلهن بعضهن ببعض كقصة واحدة ﴿ثُمَّ أَفْجَلْنَ عَلَىٰ نَقَبٍ مِّنْ جَبَلٍ فَأَهْلَكْنَ﴾ أي فرق أجزاها من على وموس الجبال ﴿ثُمَّ أَفْجَلْنَ جِبَالَهُنَّ سَوَاءً﴾ أي ماضين بأعينك مسرعات قال مجاهد : كانت طارئة وقرآن وحمامة وديكا فذبحهن ثم فعل بهن ما فعل لم دعاهن فأنين مسرعات ﴿وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ﴾ أي لا ينجز عما يريد ، حكيم في تعبيره وعنده . قال المفسرون : ذبحهن ثم تعلمين ثم خلط بعضهن ببعض حتى اختلط ريشها وفماؤها ولحمها ثم أمسك برؤسها خذها وجزأها أجزاء على الجبال ثم دعاهن كما أمره تعالى فجمع ينظر إلى الريش يطير إلى الريش ، والدم إلى الدم ، والنعم إلى اللحم حتى عاد طيراً كما كانت وأتبعه بعشرين سعيلاً ليكون أبلغ له في الرقية لما سأل . ذكره ابن كثير .

الملاحظة :

١ - ﴿كُلَّمَا نَزَّلَ﴾ الرواية الثانية والاستفهام للمعجب .

٢ - ﴿يُنْزِلُ وَيُنْزِلُ﴾ التعبير بالمضارع بعد التجدد والاستمرار ، والصيغة تفيد القصر ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِشَيْءٍ﴾ لأن المجدد أو الشرح وردا مرغبتين ، والمعنى أنه وحده سبحانه هو الذي يحيي ويميت ، وبين كلمتي يحيي ويميت طباق وهو من المحسنات البديعية وكذلك بين لفظ «المشرق» و«المغرب» .

٣. ﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ أَنتَ الْغَنِيُّ﴾ التعبير بالنقص الأساسي بشر مالملة وأن سبب الشيرة هو كفو، وله ثلث: فهي الكثرة لما أفاد ذلك فمعنى الذئب.

٤. ﴿وَأَنْ يَكُنْ﴾ فندو أفه تش توتها موت المفردة هم موت السكان فهو من قبل إطلاق المحل وإرادة الحال ويسمى معجزة الحرس.

٥. ﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ أَنتَ الْغَنِيُّ﴾ بشره ما كما بشر هجده باللباس قال أبو حيان: الكثرة حرفة هي ما وراء العبد من الفناء، واستعارها هنا لما أنشأ من اللحم الذي غطى، المعظم وهي استعارة في غاية الحسن.

انتهوا

الأولى قال مجاهد: نكث الدنيا مشرقها ومغربها أرضاً، متواضعة، وكافران، فالتزموا من سليمان بن داود وذو القربى، والكافران الشريرة والبخسة التي عوذ، بيت اليفاس الثانية: لما رأى الخليل تحامل المغاربة معنى الحياة والموت وسطرته فسلطت التلبس والتسوية على الرعاع، وكان يطلون حوايه من اجلاء بحيث لا يطمئ على أحد، انتقل إبراهيم إلى حجة أخرى لا تجري فيها المحافظة ولا ينسب للمغاربة أن يخرج عنها بدكارية أو مشربة فقال: ﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ أَنتَ الْغَنِيُّ﴾ فلو لم يخلل الله عنه حسن أواه عجزه وأحرس لسانه.

الثالثة: مزال الخلل وما يقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ أَنتَ الْغَنِيُّ﴾ ليس عن شك في قدرة الله ولكنه مزال عن كيفية الإحيا، ويدل عليه ورواه بصيغة ﴿كَيْفَ﴾ وموضعها السزان عن الحال ويؤيد المعنى قول النبي ﷺ: نحن أهل بالثبات من إبراهيم، ومعناه: ونحن كم نشك، فلأن لا يشك إبراهيم أخرى وأولاه.

٦٦٦

فقال الله سبحانه: ﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ أَنتَ الْغَنِيُّ﴾ إلى نهاية الآية (٢٦٦).

المتنبيد: لما ذكر تعالى في الآيات السابقة أن إنساناً فريقت: أولاه الله وهم المؤمنون، وأولاه الظعوت وهم الكافرون ثم أعقبه بذكر موعود الإيمان وموعود للظعيات، فذكرهما ما مرثب في الإنفاق في سبيل الله، خاصة في أمر الجهاد لأعداء الله، لأن الجهاد في سبيل الحق له مبادئ ثلاثة: أولها الانتاع بالحجة والبرهان، وثانيها: الجهاد بالنفس، وثالثها الجهاد بالمال، فلما ذكر فيما سبق جهاد الدعوة وجهاد النفس شرح الآن في ذكر الجهاد بالمال.

لغاية: الثمرة أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه، وأن يذكره لتعنه على سبيل النظام.

مصب عنه، ضمعي ثم، غيرها من الأرمس ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْفُلْكَ﴾ أي قول له يزل عليه المعبر الغريب فيكفيها أبطل الخرافة، أو بكيفها الذي أجودته، وكرم منها ولطفه، ومنها فهي شج على كل حال ﴿وَأَمَّا بِمَا تَسْأَلُونَ فَاعْبُدُوا﴾ أي لا يغيث عبه شيء من أعمال المعاصي ﴿إِلَّا أَنْ تَحْكُمُوا أَنْتُمْ﴾ ثم ماذا ويريد في وأما في أي أحب أحدكم أن نكسر له حذيفة غناه بها من أنواع التجميل والاعتاب وأشجار الشجر والكثير ﴿فَمَنْ مِنْكُمْ﴾ أي نعم الأشجار من نعمت أشجارها ﴿فِي يَدَيْهِ مِنْ حَشَى النَّارِ﴾ أي يبيت له فيها جميع الثمار ومن كل زوج بهيج ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَلَا بَصِيرَةٌ﴾ أي أصابته الضخامة فصعب عن التكسب وله أرلاء صغير لا يغيرون عن التكسب ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَلَا بَصِيرَةٌ﴾ أي أصاب تلك الضخامة ربح عاصفة شديدة معها من ثمرات الشجر والأشجار أروج ما يكون الإنسان إليها ﴿كَذَلِكَ يَنْبَأُ اللَّهُ لَكُمْ الْأَشْيَاءَ وَالْغَيْبَ﴾ أي مثل هذه البيان الواضح في هذا الحقل المروج المعكم بين الله دكم آياته في شبه الحكيمة فكيف تفكروا وتقدروا بما فيها من العبر والنعلمات ﴿يُنَبِّئُكُمُ الْبَاسَ إِذَا تَأْتَى﴾ أي تنبئكم حقائقه، أي أنفقوا من الحلال الغلب من المال الذي يمتدونه ﴿وَمِمَّا أَنْفَقْتُمْ لَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْأَكْثَرُ مِنَ الْأَلْيَسِ﴾ أي ومن طيات ما أخرجه لكم من الحبوب والثمار ﴿وَلَا تَحْكُمُوا الْقِيَامَ بِهَذَا شَيْئًا﴾ أي ولا تعبدوا والذي والغيب فتصدقوا به ﴿وَلَا تَسْأَلُوا عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾ أي لا تسألوا عن شيء من أغنيته ولا إلا فاسألوا أغنيهم البصر، فكيف بدودته حق الله ﴿وَوَقُّوا أَنْتُمْ عَنْ حَيْثُ﴾ أي أي أنه سبحانه غني عن خلقكم، حميد يجزي المحسن فصل الحزب ١٠٠ له حذر بعاني من سورة الشطار فقال: ﴿أَلَمْ يَنْظُرُوا بِعَيْنِهِمْ تَفَرَّقَ وَاذْهَبَ بَلْعُ الشَّيْطَانِ﴾ أي الشيطان يذهبكم من العلم إذا تسددتم ويسركم بالحق ومنع الزكاة ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَلَا بَصِيرَةٌ﴾ أي وهو سبحانه بعدكم على إيتائكم أي بانه نعمة الله عليكم، وخلقناهم، ففقدوا من الله عن الأصل ﴿وَأَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ مِنْ آفَافٍ﴾ أي من السحاب والعماء علم من يستحق الثناء، ﴿فَإِنْ يَدْعُوا إِلَى جَنْبِكُمْ لِيُخْشِعُوا أَسْمَاعَكُمْ﴾ أي يحضروا لعلهم أسامعهم التي في سمع السمع لصاح من شاء من عبده ﴿وَمَنْ أَرْزَقْنَاهُ فَعَلْنَا قَدْرَ الْوَقْرِ﴾ أي من من أغني الحكمة فمد أغني الحبر الكثير لمصير صاحبه، إلى السعادة الأبدية ﴿وَمَنْ نَذَرْنَا لَهُ عَمَلًا﴾ أي من نذرنا له من عملنا من أجله إلا أصحاب العقول البيرة الخاصة من الهوى .

22

- ١ - ﴿ كَثُرَ يُكْثِرُ ﴾ لغة جحاته التصاقه التي تُغز في سبيله بحجة زعمت وباركها العوالم
فأصبحت سمعانه حجة وفيه تشبيه «مرص» محمل، لذلك أدلة التشبيه وحذف وجه الله قال: «يا
حزاني» وهذا التمثيل تصوير للاخضعاء كأنهم «مائدة» بين يدي الناظر
٢ - ﴿ فَكُنْتُ سَمْعًا ﴾ إسماء الإتيان إلى الجهة «سعد» معاري وبمعنى «السماع» لخصي «الأذن»
المست في الحقيقة مع الله تعالى

- ١- ﴿وَمَا كُنَّا لَأَن نُّؤَيِّدَ﴾ من باب ذكر ١٠٠٠٠ بعد الخاص لإفادة التشديد لأن الأدي يشمل لمن .
- ٢- ﴿تَتَكَلَّمُ مَتَوَلَّيْنِ عَلَيْهِ ثَرَاكُ﴾ فيه تشبيه يسم تشبيهاً بمثلث لأن وجه الشبه مستخرج من متعدد وكذلك يوحد تشبيه تمثيلي في ثونه ﴿كَتَلَكِلَ جَمْعُهُ بِمَثَلٍ﴾
- ٣- ﴿أَيُّوْا لَنَا سَلْمًا أَلْ تَكُوْنُكُمُ تَمَّ حَتَّى...﴾ الآية . ثم يذكر المشبه بالأداة التشبيهية وهذا النوع يسمى علماء البلاغة «استعارة تمثيلية» وهي تشبيه حال بحال لم يذكر فيه سوى التشبه به فقط وقامت قرائح تدل على إرادة التشبيه ، ونهضة للاضطرغام ، والمعننى على التيميد والتغني أي ما يود أحد ذات .
- ٤- ﴿تُدَيِّمُوْا وَيِيْ﴾ المراد به هنا الشجار والمساواة ، لأن الإنسان إذا رأى ما يكره أمضى عينيه فلا يرى ذلك ، ففي الكلام محار من مل أو استعاره^(١) .
- العوائد .

لأولى : قال ابن محشي : السُّنُّ أن ينع على من أحسن إليه بلا عداوة ، وفي نواحي الكلام مصوران . من منع سائله ومن ومن مع ناله ومن وطعم الآلاء أعلى من السُّن . وهي أبرز من الآلاء مع النية^(٢) . وقال الشاعر :

وإذا مررت بأحدى إلى صليبة
وذكرت فيها مرةً للشيخ
سائياً . لحظ أوله رش ثم ضحك ثم نضح ثم هطل ثم وبل . والمطر الزابل الشديد الغزير .
الثانية : قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي ﷺ (فيس ترون هذه الآية ترون...) ﴿أَيُّوْا لَنَا سَلْمًا أَلْ تَكُوْنُكُمُ تَمَّ حَتَّى...﴾ قوله الله أعلم . فغضب عمر فقال : فقولوا : نعلمه لو لا نعلم : فقال ابن عباس : هي نفسي معها شي . يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك . فقال ابن عباس : شربت مثلاً يعمل لرجلي غني يعمل بطلاعة الله ثم يموت له الشيطان يعمل بالمعصية حتى أغرق أعماله) أخرجه البخاري .

الرواية : قال ابن جرير : هذا مثل قل والله من يحمله : شيخ كبيره ضحك جسمه ، وكثر صبره . أمراً ما كان إلى حننه فجاءها الإعصار فأحرقها ، وإن أحرقتم - رواه - أقر ما يكون إلى عهده إذا انقطعت عنه الدنيا .

١١١١

قال الله تعالى ﴿وَمَا أَصْفَاكُمْ مِنْ قَوْمٍ أَوْ تَعْمَرُوا تَذَكَّرُوا مِنْ سَكْرٍ...﴾ إلى ... وَلَا تَقْرَبُوا عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ

تفاسمه لا تزل الأثر يتحدث عن الاتفاق في وجوه الخير وأسلأه الجهاد في سبل الله والاتفاق لإعلاء كلمته ، وترغب في إخفاء تصدقات : لأنها أعدت عن الزباء ، فوجه

(١) القومجات الإلهية (١/ ٢٢٢)

(٢) الكتاب (١/ ٢٢٨) والآية (بالفتح) شجر حسن الظاهر ناعم ، كذا في (المصباح)

غير بمعنى شئ، أي لا تجعلوا إيمانكم إلا لوجه الله لا لغرض دنيوي ﴿وَمَا تُقِفُوا بَيْنَ خَيْرٍ يَوْكُ
الْحَقِّ وَبَيْنَ لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي فإن أجروا وشوا به أضاعوا مضاعفة تناولونه أتم ولا تلتصقون شيئا من
حسانكم ﴿يَتَشَرَّعُ الْوَيْكُ أَمِيرُوا فِي كَيْفِ أَمْرِ﴾ أي اجعلوا ما تنفقونه للفقراء المدين
عيسوا أنفسهم لتحجاء والغزو في سبيل الله ﴿وَمَا تَتَّبِعُونَ مَكَارِ الْكَرْبِ﴾ أي لا
يسبقون بسبب الجهاد المنقر في الأرض للنجارة والكعب ﴿تَحْبِبُهُمُ الْكَرْبُ فِي أَفْيَئَةِ بَرِّ
أَتَتَّبِعُ﴾ أي بطنهم الذي لا يعرف حالهم أغنياء مرمين من شدة جفوفهم ﴿تَحْبِبُهُمُ بِيَكْتُمْ لَا
يَتَكَلَّرُ الْكَارِبُ الْكَارِبُ﴾ أي تعرف حالهم أيد المحاط بعلامتهم من التواضع وأثر الجهد
وهم مع ذلك لا يبالون الناس شيئا أصلا فلا يقع منهم الحاح، وقيل: معناه: إن سائرنا حاكم
بنتطيق ولم يُعْطُوا ﴿وَمَا تُقِفُوا بَيْنَ خَيْرٍ يَوْكُ أَمِيرُوا﴾ أي ما أفقتهم في وجوه الخير
فإلا الله يعزركم عليه الحسن المجزاء ﴿الْوَيْكُ يُنْفِقُونَ أَتَوَلَّاهُمْ بِأَيْدِي وَتَوَلَّاهُمْ بِأَيْدِي
أي الذين ينفقون في سبيل الله بخفاء مرصده، في جميع الأوقات، من ليل أو نهار، وفي جميع
الأحوال من سر رجهر ﴿وَلَهُمْ نُبُوءَةٌ يَحْذَرُهُمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي لهم نواب ما
أنفوا ولا خوف عليهم يوم القامة ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا.

تجلاء

- ١ ﴿وَمَا تُقِفُوا بَيْنَ خَيْرٍ يَوْكُ﴾ بين «النفقة» و«النفقة» جناس الاشتقاق وكذلك بين «النفقة» و«النفقة»
 - ٢ ﴿إِنْ يَدْرَأَ الْفَقْدَانُ﴾ في الإبداء والإغفاء طباق لفظي، وكذلك بين لفظ «الليل» و«النهار»
- والسر والعلانية، وهو من المحسنات البديعة.
- ٣ ﴿وَلَهُمْ نُبُوءَةٌ يَحْذَرُهُمْ﴾ اعتناء لوروده بعد قوله ﴿يَوْكُ إِلَيْهِمْ﴾ الذي معناه يصلحكم رافيا

غير منقوص.

فائدة: قال: هي الحكمة. إذا اصطفت المعروف فاستمر، وإذا اصطفت إليه، فاستمر.

وأشبهوا

يخذه في حسانه والله يظهرها إن الحصيل إذا أخفيته طهرها

٦٦٦

قال انه تعالى ﴿أَلَيْسَ بِالْمَعْلُومِ إِلَّا لَا يُعْلَمُونَ...﴾ إلى... ثُمَّ تَوَلَّى كَرْمِ كَرْمِ كَرْمِ كَرْمِ
لَا يُعْلَمُونَ﴾ من آية (٢٧٥) إلى نهاية آية (٢٨١).

تداسه لما أمره إلى بالانفاق من طبقات ما كسوا، وحضر على الصدقة وزعب في
الإنفاق في سبيل الله، ذكر هنا ما يغيب ذلك وهو انما الكسب الخبيث أو الوجه الكنايع
الطالح، الذي هو شح وقذارة ردى، بينما الصدقة عطاء وسماحة وطهارة، وقد جـهـهـهـه
مباشرة بعد عزمي ذلك توجه الناب من الإنفاق في سبيل الله ليظهر الفارق بـهـلـا، بين الكسب
المريب والكسب الحبيب وكـبـ قـل: فوضعا تـمـيـر الأـشـهـهـه.

هَذِهِ **﴿الزَّيْفَةُ﴾** لغة: الزيادة يقال: زدت الشيء إذا زلته، منه الزيادة والزيف، وشيئاً زيادة غام أحبل حالاً يأخذها الناس من اثنين مقابل الآخر **﴿يَتَخَفُّ﴾** لتخبط - الضرب على غير استواء كخبط البحر الأرض بأخفافه - ويقال لندي يصعب ولا يهتدي - حط في علوه وقهره - في عداوة - وتخطفه الشيطان إذا غلبته بحيث لم يدرك **﴿الْجَنُونَ﴾** الجنون وأصله من العجز باليد كان الشيطان يسر الإنسان فيحصل له الجنون **﴿شَقَّ﴾** بضم السين والقاف، ومنه شققة الدهر أي ما خرب **﴿يَتَخَلَّ﴾** المحذوف من صان الشيء حالاً بعد حال، ومنه المتخالي في الهلاك يقال:

مخفف لله مانع من واثق. ﴿١١٦﴾ كثير الأسماء المتعددة في الذنوب والأثام
سُخِّفَ الْقَوْلُ كَانَ لِهَيْبٍ مِمَّنْ وَبِغَيْبٍ بِهَنْوٍ بِسِ الْمَحْبُورَةِ فَأَعَادَ حَالُ الْأَعْمَلِ أَرْفَعُوا
أَنَّهُ يَنْفَعُ خَاسِرًا لِمَنْهُمْ مَبْرُورَاتِ الْآيَةِ ﴿١١٧﴾ قَالَتْ أَتَقْتِرُونَ عَلَى الْغَنَى أَنْ يَقْتِرُوا بِالْغِنَى وَالْفُتُورَ الْغِنَى وَالْفُتُورَ الْغِنَى
﴿١١٨﴾ بَلَاغٌ لَكُمْ تَعْلَمُونَ قَالُوا بَلَى سَئِمْنَا مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ الْأُولَى لَوْلَا أَنْبَاءُ الرُّسُلِ الْأُولَى لَوْلَا أَنْبَاءُ الرُّسُلِ الْأُولَى لَوْلَا أَنْبَاءُ الرُّسُلِ الْأُولَى
لَوْلَا أَنْبَاءُ الرُّسُلِ الْأُولَى لَوْلَا أَنْبَاءُ الرُّسُلِ الْأُولَى لَوْلَا أَنْبَاءُ الرُّسُلِ الْأُولَى لَوْلَا أَنْبَاءُ الرُّسُلِ الْأُولَى لَوْلَا أَنْبَاءُ الرُّسُلِ الْأُولَى

[illegible][illegible]

بالربا راد حرمه بعد تحريم الله له فهو من المعزولين في نار جهنم ﴿يَسْأَلُونَكَ الْقُرْآنَ زُيِّنَ لَهُ
 أَنْفَهُ قَبْلَهُ﴾ أي يا حبيب ربهم وبيد حوز خبره وإن كان زيادة في بظاهره ، ويكثر الصدقات وينها وإن
 كانت نقصاً في الشاهد ﴿وَلَقَدْ لَا يَكُنْ فِي كِتَابِ آلِ إِمْرٍ﴾ أي لا يجب كل كلفه القذاب ، ثم القول
 والفعل ، وفي الآية غلب في أمر الربا وبيان أنه من فعل الكفار ، ثم قال تعالى ما دنا الضمير
 لمصعبين أمره في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصْبِرُوا الْقُرْآنَ لَكُمْ
 يُزَكَّى كَرِهَ﴾ أي صدقوا له وعملوا الصالحات فني من سميتها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة
 ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَزِيمَةً وَلَا يَقُولُ عَلَيْهِمْ وَلَا قُمْ بِتَرْفُوتِكُمْ﴾ أي لقد تراجهم الكامل في الجنة ، لا
 يخافون يوم الدين الأكبر ولا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا ﴿يَتْلَاهَا أَوْ يَكُونُ عَلَى سَعِيدٍ فَأَنْقَضُوا الْقُرْآنَ
 مَا فِيهِ مِنْ تَزْوِيٍّ أَنْ تُكْتَسَبَ ثَمَرَةٌ﴾ أي احشوا ربكم وأقيوه فيه فتمنعون واتركوه ما لكم من الربا
 عند الناس إن كنتم مؤمنين ما به حط ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
 أَنْ يَتَحَدَّثُوا بِالرِّبَا بِالرِّبَا يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ عَنْ عَصَاهِنَّ﴾ قاله ابن عباس : يقال لأكل الربا يوم النفخة : خذ
 سلاحك للحرب ﴿يَوْمَ تَشْرَى نَفْسُكَ بِرُؤُوسِ النَّاسِ فَتُكْفَرُونَ وَلَا تُكْفَرُونَ﴾ أي يد رجعتهم من
 الربا وتكرسوه فلنكم أصل المال الذي دعتهم من غير زيادة ولا نقصان ﴿وَلَزِمَتْهُمُ الذُّلُومُ
 فَتَبَعُوا يَوْمَ بُعْثُوا﴾ أي إذا كان العبد من معصية فاعيكه أن يهينه إلى وقت أبسر لا قد كان
 أصل الجاهلية يقول أحدهم لصبيته : إنا أن نقضى وإن أن نربي ﴿يَوْمَ تَشْرَى نَفْسُكَ بِرُؤُوسِ
 النَّاسِ﴾ أي إن تحوزوا ما عندكم عنده فهو أكرم وتفضل - إن كنتم تعلمون ما فيه من الذكر
 نجس بالأجر العظيم

ثم حذر تعالى عبده من ذلت اليوم الرهب الذي لا يرفع فيه إلا العمل الصالح فقال ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
 نَوْمًا رُجُوتُكُمْ﴾ أي لا تلوكم موتكم كل نفس ما تكتفونكم ولا تظفرون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 سِرْ حَقُونِ فِيهِ إِلَى رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَقْدَرَهَا وَتُسْمَى لَا تَقْلَقُونَ﴾ وقد ختمت هذه الآيات
 النكروية بهذه الآية الجمعة السبعة التي كانت آخر ما نزل من القرآن وسزلها انفضح الوصي -
 وبها تدكير العباد بذلت اليوم انصعب شديد قال ابن كثير هذه الآية آخر ما نزل من القرآن
 العظيم ، وقد عاشر النبي ﷺ بعد نزولها سبع أيام ثم استقل إلى المرقع الأعلى

الجمعة

١ - ﴿يَوْمَ تَشْرَى نَفْسُكَ بِرُؤُوسِ النَّاسِ﴾ فيه تشبيه يسمى (التشبيه المقلوب) وهو أشهر مراتب التشبيه
 حيث يجعل المثل مكان المثلبة نه كقول الشاعر : كأن أمياه انعمت مرة جعفر ، والأصل في
 الآية أن يقال : الربا مثل البيع ، ولكنه بلغ مر اعتقادهم في حل الربا أن جعلوا أمياه يقاس عليه
 فشبهوا به البيع ،

٢ - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا نَوْمًا رُجُوتُكُمْ﴾ بين لفظ (أهل) واحرم (ساق) ، وكذلك بين لفظ (يمس) و

- ٣- ﴿تَكْفُرُ كُفْرًا﴾ صيغة فاعل وتعمل للمبالغة فقلوبهم ﴿كُفْرًا كَثِيرًا﴾ أي عظيم الكفر شديد الإثم .
 ٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ﴾ التذكير للتحويل أي ينزع من الحرب عظيم لا يتجاهد قدره . فالحق من عند الله . والله أبو السعد .
 ٥- ﴿لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ سَبِيلًا﴾ فيه من المحسنات البلاغية ما يسمى «الجناس التاتقص» لاختلاف الشكل .
 ٦- ﴿وَأَنفِرُوا فِي الْحَرْبِ﴾ التذكير للتخصيم والتحويل .
 الفوائد:

الأولى : غير بقوله ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ (إِنَّمَا) عن الانتفاع به لأن الأكل هو الغالب في المنافع ومساواة في ذلك المعطي والآخذ . فقول جابر في الحديث الشريف «لعمركم رسول الله أكل الربا ومزكاه وكاتبه وشاحديه وقال : هم سواء» .

الثانية : شبه تعالى العرابين بالمتصورين الذين تنهضهم الشياطين ، وذلك لأن الله عز وجل أربس في بطونهم ما أكلوا من الربا فأثقلهم فصاروا مخيلين ينهضون وسقطون . قال سعيد بن جبیر : تلك علامة أكل الربا يوم القيامة .

الثالثة : بقول شهيد الإسلام سيد قطب عليه الرحمة عند هذه الآية ﴿لَا يَرْجِعُونَ إِلَّا كَمَا يَبْغُونَ﴾ أقرب بـ «يَتَّبِعُونَ الشَّيَاطِينَ بِمَا يَتَّبِعُونَ» ما نصه : «إنها الحملة المفزعة والتمويه المزعج ، وما كان أي تهديد معنوي ليبلغ إلى الحد ما تبلغه هذه الصورة الحية المجسمة ، صورة الممسوس المصروع ، ولقد مضت معظم التفسير على أن المفسرود بالقيام في هذه الصورة المفزعة هو القيام يوم البعث ، ولكنها - فيما نرى - واقعة في هذه الأرض أيضا على البشرية الضالة التي تشبه كالممسوس في حكم النظام الرهوي ، إن العالم الذي نعيش فيه اليوم هو عالم الغفل والاضطراب والخوف والأمراض العصبية والنفسية ، وذلك على الرغم من كل ما بلغته الحضارة المدنية وعلى الرغم من كل مظاهر الرفاه المادي ، ثم هو عالم الحروب الشاملة والتهديد الدائم بالحروب المميتة وحرب الأعصاب والاضطرابات التي لا تقطع هنا وهناك»^(١) وهذا رأي حسن .
 الرابعة : أخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «كان رجل يدين الناس فكان يقول لفتاه . إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه ؛ لعن الله أن يتجاوز عنه ، فتقي الله فتجاوز عنه»^(٢) .



قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ﴾ (إلى . . . وكفهم بما يفتشون عليه) من آية (٢٨٢) إلى نهاية آية (٢٨٣)

المختاتبة ، لما ذكر تعالى الربا وبين ما فيه من فحاحة وشناعة ، لأنه زيادة مستطعة من هوى

(١) في خلال القرآن ٣/ ٨٢ .

(٢) انظر الأول الذي مر بها تحريم الربا والحكمة التشريعية في كتابه رواه البيهقي ٦/ ٨٩ .

١- الإيجاز بالحذف وذلك كثير وقد ذكر أنك صاحب البحر المحيط
 هـ - كرم لفظ الجلالة في الجمل الثلاث ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا﴾ ﴿رَبِّكُم مِّنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿وَمَا يَذْكُرُ لَكُمْ﴾
 نيفة ﴿لِإِشْفَاءِ الرُّوحِ وَتَرْبِيَةِ الْعِبَادَةِ فِي الْفَنُوسِ
 ٢- ﴿وَلْيَسِّرْ لَكُمْ ذِكْرَهُ﴾ جمع ما بين لاسم الجليل وانعتب الجميل باللفظ في التحذير
 فافهموه. العلم نوعان: كسبي ووهبي، أما الأول فيكون تحصيلاً بالأحشاء والمشاركة
 والمذاكرة، وأما الثاني فطريقه تنوير الله والعمل الصانع كما قال تعالى ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ
 اللَّهُ﴾ وهذا العلم يسمى العلم اللطيف ﴿وَيُطَهِّرُهُ مِنَ ذُنُوبِهِ﴾ وهو العلم الذي يهبه الله لمن
 شاء من عباده الصالحين وإليه أشار الإمام الشافعي بقوله:

شكوتُ إلى ربِّك حفاظي فلو شذتني إلى نرك المعاصي
 وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يُهدى لماسي

□ □ □

قال الله تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّسْكِرٍ﴾ . إلى . . . فاستمرنا على التفسير التحليلي ﴿من آية
 (٢٨٤) إلى نهايتها (٢٨٦) آخر سورة البقرة.

المناسبة: تناسب عشم هذه السورة الكريمة بهذه الآيات؛ لأنها اشتملت على تكاليف كثيرة
 في الصلاة والزكاة والمقاصص والمصرم والنجح والجهاد والطلاق والعدة وأحكام الربا والبيع
 والذهب . . . إلخ فتناسب تكليفه سبحانه إيانا بهذه الشرائع أن يذكر أنه تعالى مالك ما في
 السموات وما في الأرض فهو بكاف . من يشاء بما يشاء ولا جزاء على الأعصاة إنما يكون في
 الدار الآخرة، فحتم هذه السورة بهذه الآيات على سبيل الرعيد والتهديد . .

اللفظ: ﴿يَسْمُرُ﴾ الإصر في اللغة: الثقل والسدة قال النابغة:

يا ضائع أخيه أن يمشي مراتهم وانحامل الإصر عنهم بعد ما عرفوا
 وسيت التكاليف الشاقة إصرًا لأنها تنقل كاعل مباحبها كذا يسمى العود إصرًا، ولاء
 ثليل، ﴿سَائِدَةً﴾ العداوة، القدرة على الشيء من أطلاق الشيء، وهو مصدر جاء على غير فاعل
 الفعل ﴿وَأَعْنَتْ﴾ العفر: انصفع عن الغيب ﴿وَتَغَيَّرَ لَدُنَّ﴾ المغفران: ستر الغيب ومحوه
 سبباً لمؤول لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ ذُنُوبَكُمْ أُولِي الْأَبْصَارِ أَوْ لَمَسْتُمْ مِمَّا يَمُنُّ بَيْنَ يَدَيْ
 الْآيَةِ﴾ استند ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأنزلوا رسول الله فقالوا: كُفُّوا عن الاعتصام
 بطريق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا تطبقوها! فنزل
 أن يدون أن تقولوا كما قال أهل الكتبيين من قلكم: ﴿تِيمَنًا وَتَمَكُّبًا﴾ قولا: ﴿سَبَّحْتَ وَالْحَمْدُ﴾ بعد
 قواها انقروا وجرت بها نسخهم أمر الله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ونسخها الله
 تعالى فانزل ﴿وَلَا يَكُفُّ اللَّهُ عَنَّا إِلَّا وُفِّيَتْ لَكُمْ مَا كُنْتُمْ وَفَّيْنَا فَتَمَنَّاتُ﴾ الآية .

﴿فَرَأَى فِي الْغُورِ رَجُلًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ يُدْخِلُ إِلَى الْكَلْبِ الْمَضْجُوذِ إِذْ يَبْعَثُ عَنْ خِزْيَانِهِ إِنِ اتَّبَعْتَ أَهْلَكَ عَلَى خِزْيَانِهِمْ هَٰذَا يَوْمَئِذٍ نَّجَاتٌ فَغَارَ﴾

[illegible]

١- تضمنت الآية من أنواع الفصححة وصرح بالبلاغة أخصياء منها: الطائي في قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْخَائِلِينَ﴾، أو: ﴿تَكُنْ مِنَ الْخَائِلِينَ﴾، ويزيد: ﴿يَعْلَمُ﴾، وبهذا: ومنها الطائي كما هو بين: ﴿كُنْ﴾، و﴿تَكُنْ﴾، و﴿تَكُنْ﴾.

لأن كعب في الخير، والكعب في الشر

٢- ومنها الجناس ويسمى الاشتقاق في قوله ﴿فَأَمَّا...﴾ وَأَتَوَيْسُوتُ ﴿﴾.

٣- ومنها الإطناب في قوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ يَمَكُ الْمَرْءِ مِنْ ذُنُوبٍ﴾

٤- ومنها الإيجاز بالحذف في قوله ﴿وَأَتَوَيْسُوتُ﴾ أي: أتوا بالله ورسوله ومواضع أخرى

مأثورة، عن ابن مسعود: رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) أخرجه البخاري، وفي رواية لمسلم أن من كان من السماء فأنشئ النبي ﷺ فقال له: «أبشرك بوزن قد أثنى الله بهما ثم يوزنهما» فبذلك: فاتحة الكتاب، وخواتيمه سورة النمل، (ن) يقرأ حرف منها إلا أوتيه.

مع يعونه تعالى تفسير سورة البقرة،

تَحْمِيصُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ

بين يدي السُّورة

سورة آل عمران من السور العنانية العظمى، وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على ركبتين هامتين من أركان الدين هما: الأولى: ركن العقيدة وإقامة الألفة والبراهيم على وحدانية الله جل وعلا الثاني: التشريع وبخاصة فيما يتعلق بالمغازي والجهاد في سبيل الله... أما الأول فقد جاءت الآيات الكريمة لإثبات الرُوحانية، والسير، وإثبات صدق القرآن، والرد على الشبهات التي يثيرها أهل الكتاب حول الإسلام والقرآن وأمر محمد عليه الصلاة والسلام، وإذا كانت سورة البقرة قد تناولت الحديث عن الزمرة الأولى من أهل الكتاب وهم «اليهود» وأظهرت حقيقتهم وكشفت عن نواياهم وحياياهم، وما انطوت عليه نفوسهم من خبث ومكر، فإن سورة آل عمران قد تناولت الزمرة الثانية من أهل الكتاب وهم «النصارى» الذين جادلوا في شأن المسيح ورسموا ألوهيته وكذبوا برسالة محمد وأنكروا القرآن، وقد تناولت الحديث عنهم ما يغرب من نصف السورة الكريمة. وكان فيها الرد على الشبهات التي أدروها بالتحجج المداطعة والبراهيم القاطعة، وبخاصة فيما يتعلق بشأن مريم وعيسى عليه السلام، وجاء ضمن هذا الرد الحاسم بعض الإشارات والتفريعات لليهود، والتحذير للمسلمين من كيد ودسائس أهل الكتاب، أما الركن الثاني فقد تناول الحديث عن بعض الأحكام الشرعية كفرضة الحج والجهاد وأمور الربا وحكم طاح الزكاة، وقد جاء الحديث بالإسهاب عن العزوات كفزوة يفر، وغزوة أحد والذروس التي خلفها المؤمنون من تلك الغزوات، لقد انتصروا في بدر، وهزموا في أحد بسب عصيانهم لأمر الرسول ﷺ وسمموا بعد الهزيمة من الكفار والمنافقين كثيرا من كلمات التسمية والتخجيل، فأرشدهم تعالى إلى الحكمة من ذلك، ليعلموا وهي أن الله يريد تطهير صفوف المؤمنين من أرباب القلوب الفاسدة، ليعيز بين الخبيث والطيب، كما تحدثت الآيات الكريمة بالتفصيل عن اللطاف والمنافقين وموقفهم من تبسط همم المؤمنين، ثم ختمت بالفكر والتدبر في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من إنفاق وإبداع، وحجائب وأسرار تدل على وجود الخلق الحكيم، وقد ختمت بذكر الجهاد والتمجاهدين في تلك الوصية النفذة لجامعة التي بها يتحقق الخير، ويعظم النصر، ويتم الملاح واستباح ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

فصلها، عن أنس بن سميان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يحسنون به، فقدمهم سورة البقرة وإن عمران»^(١).

المسححة. سميت السورة بذلك لمرور ذكر قصة تلك الأسرة الفاضلة قال عمران
والد مريم أم عيسى، وما انجأ فيها من مظاهر القدرة الإلهية بولادة مريم البتول وابنها عيسى
عليهم السلام.

□ □ □

قال ابن تيمية: ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ آلٌ إِلَّا إِلهٌ مُؤْتَمِنٌ عَلَيْهِ﴾ إلى: ﴿وَكُنَّ آلُهُ الْقَيْنُكَةَ﴾ من
آية (١٦) إلى نهاية آية (٩)

اللقبة ﴿الْقُرْ﴾ لرب البيت الذي لا يمر ولا يموت ﴿الْقَيْنُكَةَ﴾ الفاضلة حتى تدبر لتكون العباد
﴿يَتَوَسَّطُونَ﴾ التصوير: جعل الشيء على صورة معينة أي بحسبكم كما يريد ﴿الْأَرْحَامُ﴾ جمع
رحم وهو محل تكون الجين ﴿تَحْكُمُونَ﴾ المحكم: ما كان واضح المعنى قال القرطبي:
«المحكم: ما عرفت تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه مثل ما
استأثر تعالى بعلمه دون خلقه مثل الحروف، المعطوفة في أوّل السور، هذا الحسن ما قيل فيه»
﴿أَنْتُمْ قَائِلُونَ﴾ أصل الكتاب وأساسه وعموده ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ قيل عن الحق يقال: زاع زيتا أي مال ميلا.
﴿تَابِيتُونَ﴾ التابيت: التصبير وأصله المرجع والمصير من قولهم: أت الأمر إلى؟ إذا صار إليه
﴿الْأَيْمُونُ﴾ التوسخ: تثبوت في الشيء، وانتمكن منه قال الشاعر:

لقد رجحت في القلب مني مودةً ليلبي أنت أيئتها أن تغفروا

نسبنا فنؤور سرت هذه الآيات في وقد صاروا نجواً وتناولوا منين راكياً، فيها أربعة عشر
من أشهرهم ثلاثة منهم كبارهم «عبد المسيح» أميرهم و«الأيهم» مشيرهم و«أبو حارثة» من
عامة «حزبه». فقد مر على النبي ﷺ ذلك منهم أو أنك الثلاثة معه عقابوا ثارة عيسى هو
«الله» لأنه كان يحيي الموتى، وقارة هو «إبي الله» إذ لم يكن له أب، وقارة لأنه «ثلاث ثلاثة»
يقوله بعلز «فحك وقلنا» وهو كان واحداً الخ «فعدك وقلنا» فقال بهم رسول الله ﷺ «أستم
تعلمون أن ربنا لا يموت ولا يموت وإن عيسى يموت!» قالوا: بلى، قال: «أستم تعلمون أنه لا
يكون ولد إلا وشبه آياه!» قالوا: بلى، قال: «أستم تعلمون أن ربنا قائم على كل شيء» وكانوا
ويحفضه ويرزقه فهل بمثل عيسى شيئاً من ذلك؟ قالوا: لا، قال: «أستم تعلمون أن الله لا
يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء» فهل يعلم عيسى شيئاً من ذلك ولا ما علم؟ قالوا:
لا، قال: «أستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يمتدح الحديث وأن
عيسى كان يعضد الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحديث!» قالوا: بلى، فقال: «فكيف
يكون كما زعمتم؟» فسكتوا وأبوا إلا الجحود وأمر الله من أوله «سورة إني نبي» و«عيسى»
آية (١٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[illegible]

تفسير: ﴿الفر﴾ إشارة إلى إيجاز القرآن وأنه منظم من أمثال هذه الحروف الهجائية وقد تنقذتم في أول البقرة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَعْبُدُوا شَيْئًا سِوَاهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَكَنُفِيرٌ﴾ أي الباقي الدائم الذي لا يموت، فالإمام على تفسير شئون عباده ﴿وَلَا تَقْلُبُ أَكْفَانَكُمْ يَنْتَحِلْ﴾ أي تزل عباكم يا محمد القرآن بالعجيج والبراهين القاطعة ﴿فَتَعْلَمُونَ أَنَّ إِلَهًا يَذَرُ﴾ أي من الكتب المنزلة قبله المطابقة لما جاء به القرآن ﴿وَأَنَّ اللَّهَ الْقَوِيُّ الْغَالِبُ﴾ أي أنزل الكتابين العظيمين «التوراة» و«الإنجيل» من قبل أنزل هذه لفظة لبني إسرائيل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ الْقَوِيُّ الْغَالِبُ﴾ أي جنس الكتب السماوية، لأنها تفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وقيل: المراد بالقرآن: القرآن وكثر تعظيم لشأنه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَعْبُدُوا شَيْئًا سِوَاهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَكَنُفِيرٌ﴾ أي جحدوا بها وأنكروها وردوها بالباطل ﴿فَلَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي عظيم الليم في الآخرة ﴿وَأَمَّا عَذَابٌ مُؤْتَقَاتٌ﴾ أي غائب عنه أمره لا يغلب، منتقم من عباده ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَنَّهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي لا يغيب ولا يخوب عن علمه أمر من الأمور، فهو مطلع على كل ما في الكون لا تخفى عليه خافية ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُدْعُونَ عَلَىٰ آيَاتِهِ أَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَيَخْلَفُوا بَعْدَ عَهْدِهِمْ﴾ أي يخلفكم في إرجاع أمهاتكم كتابها من ذكر ونس، رخص وبيع ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْقَوِيُّ الْغَالِبُ﴾ أي لا رب سواه، متفرد بالوحدانية والألوهية، العزيز في ملكه الحكيم في صنعه، وفي الآية ود على المناصرين حيث ادعوا ألوهية عيسى، فبه تعالى يكونه مصدراً في إرجاعه، وأنه لا يعلم الغيب على أنه عبد كثير من العباد ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُدْعُونَ عَلَىٰ آيَاتِهِ أَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَيَخْلَفُوا بَعْدَ عَهْدِهِمْ﴾ أي أنزل ما بين يا محمد القرآن العظيم ﴿يَتَذَكَّرُ لَكُمْ ۖ فَرِحَ اللَّهُ بَإِذْ أَخْرَجَ الْأَوَّابَ﴾ أي فيه آيات بينات وأوصحات لدلالة لا التباس فيها ولا غموض كتابات التحلل والحرام، من أصل الكتاب ونسبه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ الْقَوِيُّ الْغَالِبُ﴾ أي ربه يزيد أحر فيها المشابهة في الدلالة على كثير من الناس، فمن رذ استشابه إلى الواضح المحكم فقد اهتدى، وإن عكس فقد ضل ولهذا قال تعالى ﴿وَمَا تَلَّيْنِي فِي كُتُبِهِمْ رَبِّي فَلْيَكُونُوا مِنِّي قِسْطًا﴾ أي فاما من كان في قلبه ميل عن الهدى إلى الضلال فليست له نصيب المشابهة في قولهم قول خذوا الزجج والشارب من ميرز أن الفرقان مصدر حسن تفارقه بين النفي والرشاد والهدى والضلال فندم ذكر القرآن في قوله ﴿وَلَا تَقْلُبُ أَكْفَانَكُمْ﴾

قال الله سبحانه ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ كَلِمَةً أَقُولُ لَكُمْ سَهْمٌ أَنْتُمْ وَلَا أَرْدُكُمْ...﴾ إلى... ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ﴾

الآية (١٠) إلى نهاية آية (١٧).
 لما حكى تعالى عن المؤمنين دعا لهم وتبرع بهم أن يشهد الله على الإيمان،
 حكى عن الكافرين سبب كفرهم وهو اعتقادهم في هذه الحياة كثرة المال والبس، وبين أنها لن
 تدفع عنهم عذاب الله، كما أن ثمنهم عنهم شبهة في الدنيا، وضرب على ذلك الأمثال بمزونة بدر
 حيث التقى فيه حيد الرحمن بجند الشيطان، وكانت النتيجة اندحار الكافرين مع كثرتهم
 وانصرار المؤمنين مع قلةهم، فلم تنفعهم الأموال ولا الأولاد، ثم أعقب تعالى ذلك بذكر
 شهوات الدنيا وتنتج الحياة التي يتنافس الناس فيها، ثم عنتها بالتحذير بأن ما عند الله خير
 للأبرار.

الْبَقْعُ ﴿تَنْزِيلٌ﴾ الإغناء: الفدح والطمع ﴿وَقَدْ أَتَى﴾ انقضى (عنه الزوال) لمضطرب الذي ترقى
 به إلى (والفهم) مصدر بمعنى الانتفاء ﴿ذَلَّ﴾ الداب: لعادة والدان وأحمد من ذاب الرحن في
 عمله إذا حذ به واجتهد ثم أهلك الداب عن المادة والقدار لأن من ذاب عن شيء أمنا ضويلا
 صار له عادة ﴿بِأَيْ﴾ علامة ﴿يَنْتَقِرُ﴾ جساعة وسميت انتجاعة من الناس فتة لأنه ينادى اليه حي
 وقت الشدة ﴿يَنْتَقِرُ﴾ العيرة: الاتعاف ومته يقال: اعتبر، واشتقاقها من العير وهو حجازة
 أشبه إلى المشي ومنه عبور النهر، فالاعتب: انتقال من حالة الجوع إلى حالة العدم ﴿يَنْتَقِرُ﴾
 انتقير: تحصيل شيء وتجميعه في عين الإنسان ﴿الْمَشْهُورَةُ﴾ الشهرة ما تدعو النفس إليه
 وتشتهي والفعل منه انتهى ويجمع على شهوات ﴿وَالْفَتْرُ﴾ جمع فطر وهو القعدة الكبيرة من
 المال أو كمال التكثير الذي لا يحصى ﴿وَالْمُضْمَةُ﴾ وهو المتأكدة كذوات ألوف مؤمنة
 وأضعاف مضاعفة ثمة الطير: وراي من الغراء أنه قال: الفناطير جمع الفطر، والمفطرة
 جمع الجمع فيكون تسمية قناطير... ﴿وَالْمُعْلَمَةُ﴾ المعلمة بعلامة تجعلها حسنة لتنتظر اجتاز
 الأنظار وقيل: المسروقة: الرعية وقال مجاهد: وعكرمة: إنها الحبل المعطمة الحسان...
 ﴿الْمُتَنَبِّهَةُ﴾ المرجع يقال: أتى الرجل زائلا وما قال له أي: ﴿يَنْتَقِرُ﴾ بانهة، ﴿وَالْمُتَنَبِّهَةُ﴾
 الشجر: الوقت الذي قبل طلوع الفجر.

سبعة الخواري لما أحباب رسول الله في قريش يبدوا ورجع إلى المدينة جمع اليهود فقال
 لهم: يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أحباب قريشا فقد عرفتم ثم نبي مرسل،
 فقالوا: يا محمد لا يفوتك من نفسك أنك قلت: همرا من قريش كانوا أقمارا - يعني جاء الأول - لا
 علم لهم بالحرب، أمك والله لو فالتنا لعرفت أنا نحن لرحل، وأنت لم تلق مثنا فأمر الله
 ﴿فَلَوْ تَوَكَّلْتُمْ كَفَرْتُمْ سَتُنكَرُونَ﴾ الآية.

[illegible][illegible]

تسمعهم أني نعم ولو هبطاً ﴿وَلَوْ كُنْتَ تَهْمُ وَقَدْ أُنْكَرَ﴾. الجملة اسمية للدلالة على ثبوت الأمر وتحمفه
﴿كَذَلِكَ يَنْبَغِي فَلَمْ يَكُنْ أَفْ﴾. به الشفاعة من الغيبة إلى كحاجته الأصل فأخذناهم ﴿لَا كُنْ نَائِيَةً﴾
الأصل قربة لكم، وقد لم لاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر، والتكثير في الآية لتضخيم
التهويل أي آية عظيمة ومثله التكرار في ﴿وَيُفْضِلُونَ بَيْنَهُمَا﴾ وقوله تعالى: ﴿يَرْتَدُّونَ﴾
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بينهما ما جالس الاشتغاف ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يرد به المشتهيات قال ملازمخري:
عبر بالشهوات متأنفة كدتها نفس الشهوات، ونسبها على غشيتها؛ لأن الشهوة مسترذلة عند
الحكماء ﴿وَيُفْضِلُونَ بَيْنَهُمَا﴾ إيهام الخير لتضخيم شأنه والتشويق لمعرفة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾
قال أبو السعود: الضمير لغير آل العريضة مع الإضافة إلى فسير المؤمنين لإظهار مزيد اللطف
بهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بينهما من المحسنات الدينية ما يسمي بالجناس الناصر.

قائدة

الأولى من هو المزين للشهوات قيل: هو الشيطان ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيُفْضِلُونَ بَيْنَهُمَا﴾
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وتزيين الشيطان وسوسته وحجبه العمل إليها وفعل: التزيين هو الله ويدل
عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾
الشهوة من عبد لسوئى وهو طاهر قود عبر: اللهم لا مبر لك على ما زيفت لنا ولا يثا^(١).

ثانية: تخصص الأسحار بالاستغفار، لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، لأن النفس
أضنى، والروح أجمع، والعبادة أقرب فكانت أقرب إلى قبول. قال ابن كثير: كان عبد الله بن
عمر يهلي من اللبن ثم يقول: يا نافع هني جاء السحر؟ فمنا قال: نعم أقبل على الدعاء
والاستغفار حتى يصبح^(٢).

١ ١ ١

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ... وَوَحَّدَ كُلُّ نَبِيٍّ مَا هَكَكَتْ بَقْدَ لَا يُلْفُظُونَ﴾ من آية (١٨) إلى نهاية آية (٦٤).

لغائه لما مدح تعالى المؤمنين وأثنى عليهم قوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُمْ آيَاتُ﴾ أردفه
بأن من لا دليل إلا من ظاهرة حنية مبال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ثم بين أن الإسلام هو
الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده، وأمر الرسول بأن يعلن إسلامه لله وانقياده لدين الله،
وأخيه يذكر فضائل أهل الكتاب واختلافهم في أمر الدين اختلافاً كبيراً، وعراقهم من قبول
حكم الله.

للغة ﴿شَهِدَ﴾: شهادة: لإقرار والبيان، الفصح العدل ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ﴾ أصل الدين في اللغة:
أجزاء وطلق على الملة وهو المراء هنا ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ﴾ الإسلام في اللغة: الاستسلام والانقياد

المفسرون تشير إلى قصة محاكم اليهود إلى النبي ﷺ لما زنى منهم اثنان فعُكِمَ عليهما بالرجم فأبوا وقالوا: لا نجد في كتابنا إلا التحميم فحيء بالتوراة فوجد فيها الرجم فرجعا، ففضلوا فشنع تعالى عليهم بهذه الآية ^(١) ﴿وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ خَلَوْا رَبَّنَا أَنْ تَشَاءَ أَنْتَ أَنْ تَكُونَ تَوَّابًا أَوْ تَزْكُمَ﴾ أي ذلك التواي والإعراض بسبب افتراءهم على الله وزعمهم أنهم أبناء الأنبياء وأن النار لن تصيبهم إلا مدة يسيرة - أربعين يوماً - مدة عبادتهم للمجمل ﴿وَنُكَلِّمُ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَتَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ بِقَوْلِكَ ﴿أَيُّ غَرَضٍ كُنْتُمْ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾ ﴿إِنَّا مَتَنُفُّهُمْ يَوْمَ لَا تَصِفُهُ أَيْ كَيْفُهُ يَكُونُ حَالُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ لِلْحَبَابِ!﴾ وهو استعظام لما يدهمهم من الشدائد والآهوان ﴿وَوَكَّيْتُ سَكْرًا مَنِي تَا كَسْرَتُ﴾ أي نالت كل نفسي جزاءها العادل، ﴿وَوَقَّعْتُ لَا يَخْلُصُونَ﴾ أي لا يخلصون، بزيادة العذاب أو نقص الخراب.

المباعدة.

- ١- ﴿إِنْ أَفْرَأَيْتَ مِنْهُ أَلَمْ يُؤْخَذِ﴾ الجملة منزلة الضمير في نصيد العصر أي لا دين إلا الإسلام.
- ٢- ﴿أَفَرَأَيْتَ لَوْ كُنَّا الْكُتُبَ﴾ التعبير عن اليهود والنصارى بقوله: أأرأونا الكتاب لزيادة التشبيح والتضيق عليهم فإن الاختلاف مع علمهم بالكتاب في غاية القبح والشتاعة.
- ٣- ﴿يَتْلُوهُنَّ أَفَرَأَيْتَ لَوْ﴾ إظهار الاسم الجليل لتربية المعابة وإدخال الروح في النص.
- ٤- ﴿أَتَشَاءُ أَنْ يَنْبَغَ﴾ أطلق لوجه وأراد لكن فهو مجاز حوسل من إطلاق الجزء وإرادة الكل.
- ٥- ﴿فَتَقَرَّبَ مِنْهُ بِكَذِبِ أَلَيْسَ﴾ الأصل في البشارة أن تكون في الخير واستعمالها في الشر للتهكم ويسمى الأسلوب التهكمي حيث نزل الإنذار منزلة ابشادة السارة كقوله: ﴿فَتَقَرَّبَ مِنَ الْكُفَّيْنِ يَأْتِيَنَّ لَهُنَّ قَدْآءُ أَلَيْسَ﴾ وهو أسلوب مشهور.

قائدة. قال القرطبي، في هذه الآية دليل على فضل العلم، وشرف العلماء، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء، ويكفي في شرف العلم قوله لنبيه ﷺ: ﴿وَوَكَّلْتُكَ رَبِّي بِذِي جَبَّةٍ﴾ إني العلماء ورتة الأنبياء، وفي حديث ابن مسعود أن من قرأ قوله تعالى: ﴿قَسَبَهُ اللَّهُ لَوْ لَا يَلْفُ إِلَّا قَوْلُ﴾ الآية فإنه يجيء به يوم القيامة فيقول الله تعالى: عبدي عهد لي عهداً ولنا أحسن من ولى، أدخلوا عبدي الجنة ^(٢). لطيفة من أطرف ما قرأت في بيان فضل العلم تلك المحاورة اللطيفة بين العقل والعلم حيث يقول الفاضل وقد أبدع وأجاد:

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| علمُ العليم وعقلُ العاقل احتلغا | من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا |
| فالعالم قال: أنا أحرزت شأني | والعقل قال: أنا الراسخ بين نحرنا |

(١) انظر الفتحة في صحيح البخاري كتاب التفسير

(٢) رواه الطبراني في الكبير

فَقَضَّحَ الْعِلْمَ إِنْصَاحًا وَقَالَ لَهُ
يَا كُنَّا نَدْعُكَ فِي مَرْفَعِهِ أَتَمَّا
فَعَمِلَ الْعَقْلُ وَأَمْسَ الْعِلْمُ وَأَصْرَفَا



قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَقْبَضْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةَ الْفِتْرِ فَتَوْفَىٰ أَلْفُ مِائَةٍ مِّنْ فَتْرَةٍ ۚ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُؤْتِي﴾ (آل عمران: ٣٦) (٢٦) الآية (٢٦) نهاية الآية (٢٦).

الفاشية. لذا ذكرنا في الآيات السابقة دلائل التوحيد والنبوة وصحة دين الإسلام، أعقبه بذكر الجاثم الذي نزل على قلوب نصر الله للإسلام والمسلمين، فالأمر كله بيد الله، يفر من يشاء ويذل من يشاء، وأمر وسوونه بالدعوة والابتناء إلى الله بأي جند الحق وينصر دينه الجليل.

الطَّعَنُ. ﴿تَمَنَّى﴾ تَمَنَّى بِهِ أَثْلَهُ حَذَفَتْ أَثْلَهُ التَّوَالُفُ وَاسْتِغْنَى عَنْهَا بِالْعَمَلِ الْمَشْدُودِ هَكَذَا قَالَ ابْنُ حَنِيلٍ وَسَيَبَوِيهَ ﴿تَمَنَّى﴾ تَمَنَّى وَيَعْبُرُ بِهِ غَيْرُ التَّوَالُفِ يَقَالُ تَرَعَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّرَّ أَيْ أَوَّلَ ﴿تَمَنَّى﴾ الْإِبْرَاجُ الْإِدْعَالُ يَقَالُ وَلَجَ بِلَجٍ وَلَوْ جَاوَسَهُ ﴿حَتَّى يَكُنْ لِحَقْلٍ فِي سَبْءٍ تَهَيَّأُوا﴾ ﴿سَبْأٌ﴾ الْأَمَدُ غَايَةُ الشَّيْءِ وَحَتَّى وَحَمَمَهُ أَمَامَ ﴿نَفَقَةٍ﴾ نَفَقَةٍ وَهِيَ مَذَارَةُ الْإِسْبَاقِ مَعَانِفَةُ شَرِّهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أ - قد افتتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين ل محمد ملك فارس والروم؟! هم أنكر وأبى من ذلك ألم يكنه مكة حوى طمع في ملك فارس والروم فأقول الله: ﴿فِي الْقُرْآنِ مَكَّةَ النَّبِيِّ لَوْ أَنَّ أَهْلَكُم مِّنْ فَتَنَةٍ﴾ (١) الآية.

ب - عن ابن عباس أن الخيلاء بين الصائغ وكان يدويًا نقيًا - كان له حلف مع اليهود، فلما أخرج النبي ﷺ يوم الأحزاب قال له عبادة: يا نبى الله إن ممي حسنة من اليهود وقد رأيت أنه يغتر جوامع فاستظهر بهم على الله فأقول الله: ﴿لَا تَبْتَغُوا الْغُلُوبَةَ أَنْ تَكُونَ﴾ (٢) الآية.

[illegible]

تفسير ﴿وَلَا تَقْلُبْهُ بَيْنَ يَدَيْكَ﴾ أي قل يا الله يا مالك كل شيء ﴿تَرَىٰ أَثَرَهُ مُرْشَرًا﴾

وَنُفِثَ مَن ثَمَرَةٍ أَيْ أَنْتَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْأَكْرَادِ ، نَهَبَ الْعَالِكُ لِمَنْ تَشَاءُ وَتَخْلَعُ الْعَالِكُ
 مِمَّنْ تَشَاءُ ﴿وَنُفِثَ مَن ثَمَرَةٍ أَيْ تَمَطَّى الْعَمَلُ لِمَنْ تَشَاءُ وَهَذِهِ لِمَنْ تَشَاءُ﴾ بِبَيِّنَةٍ
 الْقَبْرِ يَلْقَى عَلَى كُلِّ مَوْزٍ قَبْرٍ أَيْ بِبَيْدِكَ وَحَدِّكَ غَوَّالُ كُلِّ خَيْرٍ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
 فِي الْقُرْآنِ وَحْيًا مُّشْتَرِكًا فِي الْقُرْآنِ أَيْ تَدَخَّلَ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ كَمَا تَدَخَّلُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ، فَتَزِيدُ فِي هَذَا
 وَتَنْقُصُ فِي ذَلِكَ وَالْعَكْسُ ، وَهَكَذَا فِي فَصُولِ السَّنَةِ شَتَاءٌ وَصَيْفًا ﴿وَنُفِثَ مَن ثَمَرَةٍ أَيْ تَمَطَّى وَتَخْلَعُ
 لِقَبْرِ مَن ثَمَرَةٍ أَيْ تَخْرُجُ الزَّرْعُ مِنَ النَّعْبِ وَالْحَبُّ مِنَ الزَّرْعِ ، وَالتَّخْلَعُ مِنَ السَّوَادِ وَالنَّوْءُ مِنَ
 السَّخْفِ ، وَالْبَيْضَةُ مِنَ الدَّجَاجَةِ وَالدَّجَاجَةُ مِنَ الْبَيْضَةِ ، وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ وَالْكَافِرُ مِنَ الْمُؤْمِنِ
 هَكَذَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ، وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : وَأَوَّلَى الثَّالُوِيَلَاتِ بِالصَّوَابِ تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ : يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ
 الْحَيِّ وَالْأَتَمَّامُ وَالْبَهَائِمُ مِنَ السَّخْفِ الْعَيْنَةُ ، وَيَخْرُجُ الثَّمَرَةُ الْعَيْنَةُ مِنَ الْإِنْسَانِ الْحَيِّ وَالْأَتَمَّامِ
 وَالْبَهَائِمِ الْأَحْيَاءِ^(١) ﴿وَنُفِثَ مَن ثَمَرَةٍ أَيْ تَمَطَّى بِبَيْدِكَ أَيْ تَمَطَّى مِنْ شَتَاءٍ عَطَاةً وَصَيْفًا بَلَا عَذْرَ وَلَا
 تَفْسِيْقَ . . ثُمَّ نَهَى تَعَالَى عَنِ اتِّخَاذِ الْكَافِرِينَ أَمْثَلًا وَأَحْبَابًا فَقَالَ : ﴿لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَسْطِ
 بِسُنُوفِهِمْ﴾ أَيْ لَا تَتَّبِعُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ وَتَرْكُوا أَوْلِيَاءَهُ فَمَنْ غَيَّرَ الْمَقْبُولَ أَنْ يَجْمَعَ الْإِنْسَانُ بَيْنَ
 حُبِّهِ اللَّهِ وَبَيْنَ حُبِّهِ أَعْدَاءَهُ ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : نَهَى أَنْ يُوَالِيَ الْكَافِرِينَ لِقَرَابَةٍ بَيْنَهُمْ أَوْ صِدَاقَةٍ أَوْ
 غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُلْصِقُ بِهَا وَيُتَعَامَلُ ﴿وَمَنْ يَتَّكِلْ عَلَى مَا لَا يَنْفَعُهُ يَتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ فِي شَيْءٍ أَيْ مَنْ
 يُوَالِي الْكَافِرَةَ فَلَيْسَ مِنْ دِينِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴿وَلَا تَكُنْوا بِمَثَلٍ ثَمَرَةٍ أَيْ لَا تَخَافُوا مِنْهُمْ
 مَحْذُورًا أَوْ تَخَافُوا إِذَا هُمْ وَشَرُّهُمْ ، فَاطْهَرُوا مَوَالِيَهُمْ بِاللِّسَانِ دُونَ الْقَلْبِ ، لِأَنَّهُ مِنْ تَوَعُّدٍ
 السَّغِيَّةِ كَمَا زَوَى الْإِنْسَانُ لِبَيْتِهِ فِي رُجُوعِهِ أَقْوَامَ وَقَدْ رَسَا لِحَبْلِهِمْ﴾ ﴿وَيَتَّبِعُهُمُ الْفَقْرُ﴾ أَيْ
 يَتَّبِعُهُمُ اللَّهُ عِقَابَهُ الصَّادِرَ مِنْ تَعَالَى ﴿يَلَى اللَّهُ الْفَتْرَ﴾ أَيْ الْمُنْقَلَبَ وَالْمَرْجِعَ بِجَلَّالِ كُلِّ
 عَامِلٍ بِعَمَلِهِ ﴿فَلَا يَنْ تَعْمَلُوا مَا يَدَّ سُدُوسُكُمْ لَوْ تَعَدُّوا بِحُكْمِ اللَّهِ﴾ أَيْ إِنْ تَعَفَّيْتُمْ مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ مَوَالِيَةِ
 الْكُفَرَاءِ أَوْ أَطْعَمْتُمُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ﴿وَيَتَّبِعُوا مَا فِي الْقُلُوبِ وَمَا فِي الْأَرْحَامِ﴾
 أَيْ حَالِمٌ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ ، يَعْلَمُ كُلَّ مَا هُوَ حَادِثٌ فِي السَّرَائِرِ وَالْأَرْضِ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

(١) تفسر الطبري ٣٠٩/٥ وللشهيد سيد قطب قول الراغب في معنى الآية الكرمة نبتة بإيجاز من التفلل يقول
 فليس الله ووجه: أو سوء كان معنى إللاج الليل في النهار وإللاج النهار في الليل هو أخذ هذا من ذلك ، وأخذ ذلك
 من هذا عند ضرورة الفصول . . . سواء كان هذا أو ذاك فإن القلب يتكدر بصر يد الله وهي تحرك الألفاظ ، وتغلب هذه
 الفكرة الممتدة أمام تلك الفكرة بالقياس - يعني النفس - وتغلب مواضع الظلمة ومواضع الضياء ، شيئاً فشيئاً ينسرب
 جيش الليل إلى وضوء النهار ، وشيئاً فشيئاً يتنفس الصبح في خيابة الظلام ، شيئاً فشيئاً يطول الليل وهو يأكل من النهار
 في الشقاء ، وطول النهار وهو يسحب من الليل في العيب . . . كذلك الحياء والكرامة يدب أحدهما في الآخر في عطف
 وتخرج ، كل حقيقة تمر على الحقي يدب فيه نفوذ إلى جانب الحياة ، يأكل من الموت ويقيم فيه الحياة ، خلافاً حية من
 نموت وتذهب ، وخلافاً حديدية فيه نشأ وتصلح . . . هكذا ضرورة دلالة في كل عطف من عطفات الليل والنهار ، ترواها هذه
 الإشارة على أنها التفسير للعقل البشري ، ولا يستطيع الإنسان أن يدعي أنه هو الذي يمنع من هذا كله شيئاً ، ولا يرغم
 حائل ذلك أنها تتم هكذا مصادفة بلا تدبير ، وإنما هي حركة غفية هائلة تدبر ما لا تخاف من المدح اللطيف المبرر طلال
 المرقأ ١٧٠-١٦٢ .

فَخِزِّي^١ أَي وهو سبحانه قادر على الانتقام ممن حالف حكمه وعصى أمره، وهو تهديد عظيم
 ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عٰثَرَ النَّفْسَ﴾ أي يوم القامة يجد كل إنسان عمله خالصاً لا
 بغيره، عنه، إن خير فإن شراً قصر، وإن كان عمله حسناً سره ذلك وأفرجه ﴿وَمَن عٰثَرَ مِن
 حُرٍّ مُّؤْتًى يُؤْتِيهِهُ اللَّهُ أَثَرًا طَيِّبًا﴾ أي وإن كان عمله سيئاً نعمت الله لا يري عمله، وأجاب أن
 يكون بينه وبين عمله الفجور غايه في تهديه إليه أي مثلاً بعداً عما بين المشرق والمغرب
 ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَّكَ تَنكِحًا﴾ أي يخبركم عقابه ﴿وَلَكُمْ زُكُوتٌ يُؤْتِيهِ﴾ أي رحيم خلقه بحث نعم أن
 يستفيد على صراط المستقيم ﴿فَمَن زَكَّاهُ فَزَكَّاهُ اللَّهُ فَثِيَابُهُ يَأْتِيهِ تَهْنِئَةً﴾ أي قل يا محمد: إن
 كنتم عقابتموهن لله فاتيمنوهن، لأن رسولاً يحكم الله ﴿وَيَنكِحَنَّ لَكُمْ مِّنْ ذُرِّيَّتِكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي
 أي ما حكم الرسول وطاعتكم لأمره يجبكم الله ويغفر لكم ما سلف من الذنوب، قال ابن
 كثير: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة
 المحمدية، فإنه كذب في دعواه، تثبت حتى ينزع المشرع المدعى له في جميع أقوله
 وأفعاله، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي أطيعوا أمر الله وأمر رسوله ﴿فَمَن
 تَوَلَّىٰ﴾ أي أمرضوا من الطاعة ﴿فَوَلَّىٰ اللَّهَ بَاطِلًا مُّكْتَرَمًا﴾ أي لا يجب من كفر بآياته وعصر
 رسوله بل يعاقبه ويخزيه ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَ رَبِّهِ إِلَّا لِمَن رَّزَقَ﴾

هبلغة. جمعت هذه الآيات الكريمة من ضروب العبادة وفاء، وإبلاغة ما يلي.

١- الطلاق في موضع من الغنى ونزول وانعز وتدل والليل والنهار والنجى والميت
 وانصروا ونشروا وفي الخبر وسواها، ومحضاً وبهذه

١- واجاس النافض في مالك الطلث وفي الميراث، وفيكم، وحاس الانقطاع بين الميراث
 ونكاح، وبين الميراث ونكاح

٢- رد العجز على المصدر في ﴿لَوْ لَمْ يَلِدْ لَآ أَتَىٰ﴾ ﴿وَلَوْ لَمْ يَلِدْ لَآ أَتَىٰ﴾.

٣- التكرار في جمل التسخيم والسعظيم كقول: ﴿لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ﴾ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ﴾

٤- الإيجاز بالحذف في مواطن عديدة كقول: ﴿تَوَلَّىٰ اللَّهَ بَاطِلًا مُّكْتَرَمًا﴾ أي من الله، إن ثوب
 ومثلاً ونشروا، ونحوه، وتدل

٥- ﴿يُؤْتِيهِ اللَّهُ فِي الْفَاتِحَةِ﴾ قال في تخيص البيان: وهذه استعارة عجيبة وهي عبارة عن إدخال
 هذا على هذا، وهذا على هذا معاً ينقصه من الليل يزيد في النهار، والعكس، ونظف الإيجاز
 البليغ، لأنه يبدل إدخال كل واحد منهما في الآخر لطيف المعالجة وشديد المعالجة.

٦- ﴿وَتَشْرِي النَّفْسُ ذَاتِ الشَّيْءِ وَتَعْرِىٰ نَفْسٌ مِّنْ نَّفْسٍ﴾ السرى والعت مجاز عن المؤسر والكافر

فقد شبه المؤمن بالحي والكافر بالبعث " والله أعلم
 دنده في لاقصص على ذكر الأخير ﴿يَكُونُ آخِرُ﴾ دون ذكر الشر تطمين لنا لأرباب البيت
 والشرك لا ينتم إلى الله تعالى أبداً وإن كان منه حلفاً وتقديراً ﴿مَنْ كَانَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ﴾
 نفعياً، أي ساء في صحبه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا أَحْبَبَ عَبْدٌ دَعَا
 جِبْرِيلَ فَقَالَ: يَا أَحِبُّ وَلاَكَ دَاعِيَةً قَالَ: فَيَحْبِبُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَتَقْرَأُ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ
 فَلَانًا مَا حَبِبَهُ قَالَ: فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدٌ دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فَلَانًا
 فَتَقْرَأُ قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ فَلَانًا فَتَقْرَأُ وَه
 يبين نصرته، ثم نوصح له باليقين في الأرض.

﴿ ٦ ٦ ٦ ﴾

قَالَ لَهُ تَعَالَى ﴿وَأَنْتَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْتَ الْيَتِيمُ الْأَلْفِينُ﴾ (٣٣) إلى ... أكتفى بالتفسير (الآن عظم) من آية (٣٣) إلى
 نهاية آية (٤١).

القصص الحاتين تعالى أن محنت لا تتم إلا بتناجاة المرسل وخاتمهم، بين عليه ما رجحت الرسل
 وشرفه، من صهم، قد أكرم أولهم، وأثنى بوج أبي البشر الثاني، ثم أقر ثلثاً بأن إبراهيم وإسحاق
 فيهم رسول الله ﷺ، لأنه من ولد إسماعيل، ثم أقر وأعاد بأن عمر (١) قد تخرج منه عيسى عليه
 السلام، وأعقب ذلك بذكر ثلاث قصص: قصة ولادة مريم، وقصة ولادة يحيى، وقصة ولادة
 عيسى، وأكملها خوارق العادة يدل على قدرة العلي القادر

الله ﴿فَتَلَقَّى﴾ حثوا وأصله من التصقوة أي حملهم صفوة خلقه ﴿مَرْيَمَ﴾ مأخوذة من المريم
 وهو الذي يجعل حراً خائفاً، والمراد بالعائض به من وجع الذي لا يشوبه شيء، من أمر الذي
 ﴿أَسْنَدُ﴾ عاز بكذا، اعتصم به ﴿فَوَقَّاهَا﴾ الكفالة، الضمان بقا، كمن يتكفل بهو قتل، وهو
 الذي يقر على إسناد وبهيم مصالحة وفي الحديث: "أَنَا كَافِلُ النَّبِيِّينَ مِنَ الْحَذِّ كَهَاتَيْنِ"
 ﴿الْجَبْرَيْنِ﴾ الموضع السلي الشريف، قال أبو عبيدة: "بعد المجادير وأشرفها مبدعها وكذلك
 هو من المسند" ﴿وَحُفَيَّا﴾ من الحضر وهو العيسى، وهو الذي يحسن نفسه عن الشهوات،
 وللمفسرين في معناه قولان يخار منها ما اختاره المحققون، أنه الذي لا يأتي النساء لا يعمز
 على لعمري ﴿فَنُفِثَ﴾ ثقب لا تلهو والتعاقب من لا يولد له من رجل أو امرأة ﴿وَنُفِثَ﴾ الرمز: إلا أن
 باليد أو يترأس أو يفرده.

مدا على رأي من فسّر أنها مائة الأسماء وهو أن مراد يخرج المؤمن من الكفر، وكفار من المؤمن، وسأله
 قوله: "أَنْتَ الْيَتِيمُ الْأَلْفِينُ" وهو أول عيسى عليه

بغير المبرط ١٣٣/٢

تفسير المحرر ٢٩/١٨ ونحوه في نظري وأما طي

سعيها مريم أي أسبغت هذه الأشي مريم ومعتاه في لغتهم العبادة خادمه الرب ﴿وَلَمَّا أَتَتْهَا رَبُّهَا بِتِلْكَ الْوَحْيَةِ﴾ أي أحبرها بعظمتك وأولادها من شر الشيطان الرحيم، فاستجاب له لها ذلك قال تعالى ﴿فَاتَّخَذَتْهَا رُوحُ رَبِّهَا مَقْرَنًا﴾ أي قبله الله قبولاً حسناً قال ابن عباس: ملك بها طريق السعداء ﴿وَالَّتِي كَانَتْ تَكْفُرُ﴾ أي ربها تربية كاملة ونشأته نشئة ممتنة ﴿وَلَمَّا رَزَقْنَاهَا﴾ أي جعل زكراً كافلاً لها ومتعهداً للقيام بمصالحها حتى إذا بلغت مبلغ النساء انزوت في محرابها تنسج منه: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَاسُورُهَا﴾ أي كلما دخل عليها زكراً حبرتها ومكان عبادتها وحد عندنا فأكفاه وطعامها قال مجاهد: وجد عندها فأكفاه الصنف في الشتاء وفأكفاه الشتاء في الصيف ﴿فَإِنْ يَسْتَمِعْ أَذُنُ حَدَثًا﴾ أي من أين لك هذا؟ ﴿فَأَنْتَ قَوِيٌّ بِهِمْ﴾ أي هي ذلك الوقت الذي رأى فيه زكريا كرامة الله الحريم دعا ربه متوسلاً ومتضرعاً. ﴿فَلَمَّا رَزَقْنَاهُ إِذْ بَيْنَ يَدَيْهِ أَمْرٌ﴾ أي أعطي من عندك ولذا صالحوه - وكان شيخاً كسراً وامرأته حجوراً وعاقراً - ومعنى طيبة مسالمة مباركة ﴿إِلَيْكَ تُرْجَعُ﴾ أي سيجب لدعاء من نادى ﴿فَلَمَّا رَزَقْنَاهُ﴾ أي ناداه جبريل حال كون زكريا قائماً في الصلاة ﴿فَلَمَّا رَزَقْنَاهُ﴾ أي يشرك بسلام اسمه يحيى ﴿مُتَوَسِّعًا بِرَبِّكَ﴾ أي مصلحاً بعبسى مؤثراً برسنته، وسمي عبسى كلمة الله لأن خلق بكلمة الله من غير أب ﴿وَتَكُونُ﴾ أي يسود قومه ويفوقهم ﴿وَتَكُونُ﴾ أي يحيى نفسه من الشهوات عفة وزهداً ولا يفرغ البأس مع قدرته على ذلك، وما ناله بعض المنصورين إن كان عبيثاً يباطل لا يجوز على الأنبياء، لأنه نقص وهم ولاية وردت مورد التمسح بالثناء: ﴿وَتَكُونُ﴾ أي يكون نبياً من الأنبياء الصالحين قال ابن كثير: وهذه بشارة ثانية بنبوه بعد البشارة برولادته وهي أعنى من الأولى كقوله لأم موسى: ﴿إِنَّكَ رَازِقَةٌ إِذْ لَوْ كُنْتَ فَاقَتْ رُوحَ رَبِّكَ﴾: ﴿فَإِنْ رَبُّكَ يَتَّخِذُ مِنْكَ نَازِحَةً﴾ أي كيف يأتيك الوعد ﴿وَتَكُونُ﴾ أي أدر كفتي الشبخوخة وكان عموه حينئذ مائة وعشرين سنة ﴿وَأَمَّا رَبُّ فَأَوْقَتْ﴾ أي عظيم لا تملك ولا تملك روجه بنت ثمان وتسعين سنة، فقد اجتمع بهما الشبخوخة والعم في الروعة وكل من السبعين ماض من لونه ﴿فَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ مَا تَكْفُرُ﴾ أي لا معجزة شيء ولا يتعاضده أمر ﴿فَإِنْ رَبُّكَ يَتَّخِذُ مِنْكَ نَازِحَةً﴾ أي علامة على حمل امرأته ﴿فَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ مَا تَكْفُرُ﴾ أي علامتك على كلام الناس إلا بالإشارة لئلا يأنام بلهاجها

قال ابن كثير فعلا من خلفي عيسى: فاعلم أن الله الله تعالى على يحيى أنه كان حبيباً لله كما قال تعالى: ﴿إِنْ كَانَ عِشْرَانُ لَوْ لَا ذِكْرُ اللَّهِ﴾ بل قد ذكر هذا عندنا المفسرين وقالوا: هذه تقيده ومب ولا يليق بالأنبياء حبيب السلام، وقد أجمع أن منصور من الأنبياء أي لا يأتيها كلمة منصور أو يدع نفسه من الشهوات، وقد قال ابن كثير من أن عدم القدرة على التكاثر نقصاً، وإنما الفضل في تجربته موجودة ثم يستنها إفاً بعد جادة كعيسى أو كغاية من الله يحيى عليه السلام انتهى.

مع أشد صوتي صحيح، وبمرض أنه بأنيته مانع سموي يمنع من الكلام غير ذلك الله ﴿وَأَنذَرْتُ رَدًّا كَثِيرًا﴾ أي أذكر الله ذكرًا كثيرًا، بل سأله، فذكرنا على المنعة: فقد منع عن الكلام ولم يمنع عن التذكر لله واستسبح له وذلك المنع في الإحصاء ﴿وَالصَّبْرَ وَالشَّيْرَ الْإِسْكَ﴾ أي زكاه الله عن صفات النفس غشوك، سبحانه في آخر الآية، وقيل المراد مثل الله، قال الطبري بعد، عظم ربك معادته بالعشي والإفكار.

البلاغه

١- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنزَلْنَا لَهُمُ الْكُتُبَ وَالْجُزْءَ مِنْ أَمْرِهِمْ إِنَّهُمْ لَأُولُو حِفْظٍ عَظِيمٍ﴾ جستان معترحات لتعليق الموضع ورفع منزلة المودة.

٢- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَقُوا بِالْكَافِرِينَ لَنَنصُرَنَّ الْإِيمَانَ وَالْكَافِرِينَ لَنَكُونَنَّ لَهُمْ دَجَالًا﴾ صيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وتجدد

٣- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَقُوا بِالْكَافِرِينَ لَنَنصُرَنَّ الْإِيمَانَ وَالْكَافِرِينَ لَنَكُونَنَّ لَهُمْ دَجَالًا﴾ تنبيهها في نعمها وترعرعها بالزوج الذي يمسو شينا فطينا، والكلام مجاز عن ثوبها بما يصحبها في جميع أحوالها بقرين لا شعارة التبعة.

٤- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَقُوا بِالْكَافِرِينَ لَنَنصُرَنَّ الْإِيمَانَ وَالْكَافِرِينَ لَنَكُونَنَّ لَهُمْ دَجَالًا﴾ بين كلفني الله شيئا واليكبر طباق وهو سر المحسنات البدعية.

الفرقة

الأولى: وهي أن الله عز وجل أمر آل عمران كذلك عجوزا عاقرا، في ذات يوم تحت ظل شجر فراء رأت ظفرا يصعد فرجه فحقت إلى ثولده وضعت، وقالت: اللهم إنك عني تبارك وتعالى، وأنت الذي أنصبتني به، عسى يبت القديس فيكون من ساداته، ثم دعاه عمران وهي حامل وهذا السر القدر الثاني: قال ابن كثير عند قوله تعالى ﴿كُلًّا دَعَا وَرَأَى الْمَخِرَّاتِ بَيْنَهُمَا يَبْتَغِي بَيْتًا يَدْعَاهُ﴾ قال والآية فيه، دلاء على نزاعات الأولياء، وهي الحصة بهذا الظاهر كثيره، وساق يستدعي عن حائر قصة الحنفية وخلافها إلى أنهم نكحوا أبا عبد الله علي بن أبي طالب، فلهذا تفرغوا بسلامتها عن الخدم ولم يكن عندهم شيء، أو سلت إليها جودته برغبتين وفداعة أحدهم ففرغتها في جودته ثم رأت الحنفية وقد اعتزلت دعاه وعزاه.

□ □ □

قال الله تعالى ﴿وَرَدَّ ذَلِكَ إِلَيْنَا لَعَنَّا الْفَكِرَةَ﴾ إن الله أنقضك... إلى... هذا سرنا فشتتة من نية (١٦٦) إلى نهاية آية (١٦٦).

المنشئة: لما ذكر لعن قصة ولادة يحيى بن زكريا من عمران عالم وشيع قد بلغ من الكبر عتيا، وذلك مقتضى النفس الكونية التي حادق المعادة، أعطتها الله، هو أبوع وأروع في خرق المعادات وذكر قصة ولادة السيد المسيح عيسى من مريم، وهي شيء أعجب من الأول، وبغرض من ذكر هذه القصة، روى على العباد إلى الإنسان ادعوا ألوهية عيسى، وذكر ولادته من

العلي أبي المود (١٦٦) ٢٥٠.

كانت وحياً من عند الله العظيم العبير . . . وروي أن حنّ حين ، لديها لئسها في خرفة وحملها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار وهم في بيت المقدس كالحجينة في الكعبة فغالت لهم : دونكم هذه الذبيرة ، فتنافسوا فيها ، لأنها ثلاث بيت إمامهم لم اختر عوا فخرحت من كفالة زكريا فكفلها^(١) قال ابن كثير : وإنما قدّم الله كون زكريا كافلاً لها . . . إعادتها لتفكيره عداً جثاً ورسلاً صالحاً ﴿إِنَّ هَذِهِ آيَةُ الْكَلِمَةِ بَلَدٌ بِأَنَّ كَلِمَةً مِنْهُ﴾ أي بموافقته يحصل بكلمة من الله بلا واسطة أب ﴿أَنْتُمْ تَسْبِيحُ بِنْتِ ابْنِ رَبِّهِ﴾ أي سمع عيسى ، ولقبه المسيح ، ونسبه إلى أمه نبيها على أنها لله بلا أب ﴿وَجِئَا فِي الْكُتُبِ وَالْأَنْبِيَاءِ﴾ أي سيبدأ ومعطفاً فيهما ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ عند الله ﴿وَبِأَسْمَاءِ آتَانِ فِي الْقُرْآنِ وَكَتَبَهَا﴾ أي طبعاً قبل وقت الكلام وبكلمتهم كهذا قال ابن كثير : . . . فومعه بكلم أسس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطقونة وحال الكهولة^(٢) . . . ولا شك أن ذلك غاية في الإعجاز ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي وهو من الكواكب في النقي والصالح ﴿فَالَّذِي رَبُّهُ أَنْ يَبْلُغَ إِلَى رَبِّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُونُ رَبُّهُ﴾ أي كيف يأتيه الولد وما كنت بذات زوج ؟ ﴿فَالَّذِي مَقْدُونِي اللَّهُ يَبْلُغُ مَا يَشَاءُ﴾ أي مكننا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء بخلق بسبب من الوالدين وغير سببه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ أَكْرَامُ بِلَادِنَا يَقُولُ لَوْ كُنَّا يَكُونُ﴾ أي إذا أراد شيئاً حصل من غير تأخير ولا حاح إلى سبب ، يقول له : كن فيكون ﴿وَبِأَيُّ الْكَيْفِ﴾ أي الكيفية ﴿وَبِأَيُّ الْكَيْفِ﴾ أي السداد فيه الثبوت والعمل أو من الأنبياء ﴿وَبِأَيُّ الْكَيْفِ﴾ أي ربيعه يحفظ التوراة والإنجيل قال ابن كثير : . . . وقد كان عيسى يحفظ هذا وهذا ﴿وَبِأَيُّ الْكَيْفِ﴾ أي ورسله رسولاً إلى بني إسرائيل فأتاهم : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ أَكْرَامُ بِلَادِنَا يَقُولُ لَوْ كُنَّا يَكُونُ﴾ أي سألني قد حشركم بعلامتي ثلث على صدقي وهي ما أبدي الله به من المعجزات ، وآية صدقي ﴿أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ غُلِيظَ كَهَنَةٍ أَتْلِفَ أَلْفَكُمْ﴾ أي أسروا لكم من الغين مثل صورة الطير ﴿فَأَتْلَفَ بَيْنَهُمْ فُلُوحٌ﴾ أي فُلُوحٌ ﴿فِي الْغُلِيظِ﴾ أي ثلث الصورة فتصيح طيراً بإذن الله . قال ابن كثير : . . . وكذلك كان فعله ، بصورة من الغين شكل طير ثم ينفخ فيه فطير عيالاً بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه إرماء^(٣) . وهذه المعجزة الأولى ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَى الْكَلْبِ وَالْأَنْبِيَاءِ﴾ أي أنشئ الذي ولد أعمى كما أنشئ السحاب بالبرق ، وهذه المعجزة الثانية ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ فُلُوحٌ﴾ أي أحبر بعض العوام لا يتدبرني ولكن بعشرة الله وقبولة ، وقد أحيا أربعة نفس : عازر وكان صديقاً له ، وبش المعمر ، وبنت الحانين ، وسام من نوح هكذا ذكر القرطبي وغيره ، وكرر لفظ عيالاً الله دفعا لتوهم الآفوه . وهذه المعجزة الثالثة ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَى الْكَلْبِ وَتَمَّ الْقَوْلُ فِي بَيْتِ الْحَمْدِ﴾ أي وأخبركم بالمعجزات من أحوالكم التي لا تشكون فيها فكان يخبر التخصر بما أكل وما أدرى في بطنه وهذه هي المعجزة الرابعة ﴿إِنَّمَا فِي ذَلِكَ آيَةٌ لِّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي فيما أنبئكم به من

الأمم مجزأت، علامة واضحة تدل على صدقها وإن كنتم مصدقين بآيات الله، ثم أخبرهم أنه جاء مؤيداً الرسالة موسى فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ أي وحشكم مصداقاً لرسالة موسى، معيداً لما جاء به في التوراة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ أي ولأجل ذلك بعض ما كان محرماً عليكم أي شريعة موسى، قال ابن كثير: وفيه دليل على أن عيسى عليه السلام بعض شريعة التوراة وهو الصحيح ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ أي ما كان محرماً بحلالة شاهدة على صحة رسالتي وهي ما أبدني الله به من السموات وكبرناكيداً ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ أي حانوا الله وأطيعوا أمره ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ أي أنا ونسبوا في العبودية له جل وعلا ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ أي إن نفوس الله وحياته، والإقرار بوحديته هو الطريق المستقيم الذي لا أعرج فيه.

البلاغة:

١- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ أطلق الملائكة وأرسل به جبريل فهم من باب تسمية أشخاص باسم العام تعظيماً له وبمن العجزة المرسى.

٢- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ تكرر لفظ «اصطفاك» كما تكرر لفظ «مريم» وهذا من باب الإغراب.

٣- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ كثر عن الجماع بالعمل كما كثر عنه بالمعروف والنهي عن المنكر ولما أشارة ١- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ بين لفظ «الحق» و«محرمة» من المحرمات البديعية العبادي، كما ورد الخلاف في عدة مواضع والإغراب في عدة مواضع. وهناك نواح بلاغية أخرى صرنا عنها صفتاً حشبة الإطالة.

فأشبهه: جاء التعبير هنا يقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ وفي قصة بعض ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾ والسر في ذلك مراد خلق عيسى من غير أب إبداع واختراع من غير سبب عادي لذلك، ذكر المخلق ومثاق الزوجة والزوج موصوفان ولكن ديوه الشبهوجة والمقم مانع في لئاده من وجود الولد فأنابه ذكر الفعل والله أعلم.

تشبيه: قال بعض العلماء: الحكمة في أن الله له بذكر في القرآن مراراً باسمها إلا «مريم» هي لإشارة من طرف غيبي إلى ما قاله أنصاري من أنها روحه فإن العظم يكلف من ذكر اسم زوجته بين الناس وينسب إليها عيسى باعتبار عدم وجود أب له ولهذا قال في الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَارًا يُزْجَىٰ فِيهَا لُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَاقِ﴾.

فان الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُمْ آتَيْنَاهُمْ آلَهُمْ...﴾ إلى... ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ يُخَذِّلُ الْأَعْدَاءَ﴾ من آية (٥٢) إلى نهاية آية (٦٣).

الفكاسية لا تترك الآيات تتحدث عن قصة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وقد ذكر تعالى في الآيات السابقة بشارة مريم بالسيد المسيح، ثم أعقبها بذكر معجزاته وكلها براهين ساطعة تدل على نبوته عليه السلام، ومع كل البراهين والمعجزات التي أيدها الله بها فإن الكثيرين من بني إسرائيل لم يؤمنوا به وقد عزم أعداءه الله اليهود على قتله فتجاه الله من شرهم ورفعه إلى السماء.

اللغة: ﴿أَتَىٰ﴾ حرف ونحقق وأصله من الإحساس وهو الإدراك ببعض الحواس الخمس ﴿تَتَوَلَّوْا﴾ جمع حواري. وهو صفوة الرجل وخاصته ومنه قيل للحضرات حواريات لخلوص الوشهن وبياضهن قال الشاعر:

فقل للحواريات يئكبن غيرنا ولا تئكبن إلا الكلاب النوايح

والحواريون: أتباع عيسى كالصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حواريين لصفاء قلوبهم ونقاء سرائرهم ﴿مَكْرًا﴾ السكر: الخداع وأصله السعي بالفساد في خفية قال الزجاج: يقال: مكر الليل وأمكر إذا أظلم، ومكر الله استدراجه لعباده من حيث لا يعلمون حكى عن العرب وغيره ﴿تَنَبَّهَ﴾ تنفزع في الدعاء، وأصل الابتهاج: الاجتهاد في الدعاء باللحن، والبهلة: اللعة.

سبب النزول: لما قدم وفد نصارى نجران، وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر عيسى قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: ما لك تشتم صاحبنا؟ قال: «وما أقول؟» قالوا: تقول: إن عبد قال: «أحل إن عبد الله ورسوله وكلته ألقاها إلى السماء البقول» فنضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله! فأمر الله ﴿إِنَّكَ مِثْلُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كَفُتِلَ تَذَكَّرْ﴾ الآية ودوي أنه عليه السلام لما دعاهم إلى الإسلام قالوا: قد كنا مسلمين قبلك. فقال: «كنتم يعتكفون من الإسلام ثلاث: قولكم اتخذ الله ولداً، وأحل لكم الخنزير، وسجدتم للصليب» فقالوا: من أبوه؟! فأنزل الله ﴿إِنَّكَ مِثْلُ عِيسَى﴾ إلى قوله... ثُمَّ تَبَيَّنَ لَكُمْ جَعَلُكُمْ لِقَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ كَيْفَتِهِ ﴿فَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ، فَقَالَ لَهُمْ بَعْضُهُمْ: إِنْ فَعلْتُمْ اضطررنا الوادي عليكم نازلاً! فقالوا: أما نمرض عليك سرى هذا؟ فقال: «الإسلام أو الجزية أو الحرب» فأمرهم بالجزية...»

﴿فَلَمَّا أَتَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُمْ آتَيْنَاهُمْ آلَهُمْ...﴾ إلى... ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ يُخَذِّلُ الْأَعْدَاءَ﴾ من آية (٥٢) إلى نهاية آية (٦٣).

مصيركم إلى الله فاقضي بين جميعكم بالحق فيما كنتم تختلفون فيه من أمر عيسى ﴿لَمَّا أَوْرَءَ كَفْرَهُمْ عَنْكَ مَكِيدَ بَنِي إِدْرِيسَ﴾ أي أما الكافرون بنيتوك المحالفون لميثك فاني معذبهم عذاباً شديداً في الدنيا بالقتل والمسي ، والأخوة بنار جهنم ﴿وَمَا لَهُمْ بِنْتِ شِيرِيكَ﴾ أي ليس لهم ناصر يمنع عنهم عذاب الله ﴿وَمَا لِلزُّبُرِ﴾ فاكسوا ويكفوا انكسحت قلوبهم ليس لهم أي وأما المؤمنون فيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملة غير منقوصة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَلْبَ الْغَافِلِينَ﴾ أي لا يجب من كان ظالماً فكيف يظلم عباده ﴿وَلَيْكَ تَقْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي هذه الأنبياء التي نقصها عليك يا محمد ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَائِرُ النَّبِيِّينَ﴾ أي من أدت القرآن الكريم المحكم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَائِرُ النَّبِيِّينَ﴾ أي إن شأن عيسى إذ خلفه بلا لب - وهو في باب عريب . كشأن آدم ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّوْثٍ ثُمَّ قَالَ كُفْ فَيَكُونُ﴾ أي خلق آدم من غير نيب ولا أم لم قال له : كمن فكان ، فليس أمر عيسى بأعجب من أمر آدم ﴿أَلَمْ يَكُنْ مِنْ رَبِّكَ لَوْلَا يُرَى الْقَائِلِينَ﴾ أي هذا هو القول الحق في عيسى فلا تكن من الشاكين ﴿كَمْ تَابَعْتَنِي بَنُو إِسْرَءِيلَ مَا جَاءَتْ مِنْ آيَاتِي﴾ أي من جادلوك في أمر عيسى بعدما وضع لك الحق واستبان ﴿فَقُلْ فَأَمَّا نَبِيَّ ابْنِ مَرْيَمَ وَآلَهُ فَأَتَوْاكَ وَأَخَذَتُهُمْ وَأَشْرَكَهُمْ﴾ أي هلماوا اجتماع يدعو كل منا ومنكم أبناء ونساء ونفسه إلى الميالة وهي صحيح منهم : لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فقال : «اللهم هؤلاء أهلي» ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ فَجَمَعَ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى الْفَاسِقِينَ﴾ أي تنسرع إلى الله تقول : اللهم اتعن الكاذب متا في شأن عيسى ، فلما دعاهم إلى الميالة امتنعوا وقبلوا بالجorie عن ابن عباس أنه قال : لو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً قال أبو حيان : وفي ترك الصاري الجلالة لعلمهم بصدقه شامد عظيم على صحة نبوته^(١) ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ مَتَكُ لَوَرَأَتْهُمُ النَّجْمُ﴾ أي هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا شك فيه ﴿وَمَا يَنْبَغُ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا يوجد له غير الله ، وفيه ود على الصاري في قوتهم بالتقليد ﴿وَلَيْكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ أي هو جل شأنه العزيز في منكه التحكيم في صنعه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ كَلِيمٌ بِالْمُتَصِفِينَ﴾ أي إن أعرضوا عن الإقراء بالوحيد فلانهم مفسدون والله عليم بهم وسيجازيهم على ذلك شر الجزاء .

الخلاصة .

- ١ - ﴿فَلَمَّا أَتَى﴾ قال أبو حيان : فيها استعارة إذ الكفر ليس بمحسوس وإنما يعلم ويعطن به فاطلاقاً لحسن عليه من نوع الاستعارة .
- ٢ - ﴿وَلَيْكَ عِزُّ الْمَكِينِ﴾ بين لذة طه كروا والساكنين جناس الاشتقاق وهو من باب العشاكفة .

٣ - ﴿يُؤَيِّدُونَهُمْ﴾ في الضمات من ضمير التكنم إلى ضمير لنبية للشرع في الفصاحة .

[illegible][illegible]

مشركا، وفيه تعريض بأهم مشركون في قولهم: **عزير ابن الله**، **والصريح ابن الله**، و**وعدا عوى**،
المشركين لهم على منة إبراهيم **﴿إِنَّكَ أَكْبَرُ الْأَنْبِيَاءِ﴾** **﴿إِنَّهُمْ قُلُوبٌ كَافِرَةٌ﴾** أي أعنى الناس بالانتساب
إلى إبراهيم: آباه الذين سلخوا طريقه ومنهاجه في عصره وبعده **﴿وَقَدْ سَبَّحُوا﴾** أي محمد بين
﴿وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ أي المخلوقين من أمة محمد فهم الجديرون بأن يقولوا نحن على دينه لا آتاه
﴿وَقَدْ كَانَ الْكَافِرِينَ﴾ أي حذقهم وناصرهم. ولما دعا يهود بعض الصحابة إلى اليهودية نزل
قول: **﴿وَقَدْ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَيْفَ لَا يَسْتَوُوا﴾** أي سمعوا إسنالكهم المخرج إلى دينهم حسدا
ويحيا **﴿وَمَا يَخْلُوكُمْ﴾** لا أفنتهم أي لا يعود وبال ذلك إلا عليهم إذ نصب عليه عدلهم. **﴿إِنَّمَا**
يَسْتَوُوا﴾ أي ما يعطون لذلك، ثم وبهم القرآن على فعلهم الفاسق فقال: **﴿وَيَتَأْتَلَّى الْكُتُبُ بِيَدِ**
تَكْوِينٍ﴾ أي يقرأ القرآن المنزل على محمد بين **﴿وَأَنْتُمْ تَهْتَكُونَ﴾** أي تعلمون أنه حق
﴿وَتَأْتَلَّى الْكُتُبُ بِيَدِ تَكْوِينٍ﴾ أي لم تحاطون بين الحق والباطل بإفناء الشك والتحريف،
والتبديل **﴿وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ﴾** أي تكتمون ما هي كتبكم من صفة محمد بين ولستم
تعلمون ذلك، ثم حكى تعالى نوعا آخر من كفرهم وعيبتهم، وهو أن يظهر الإسلام في أول
النهار ثم يرتدوا عنه في آخره ايشكوا الناس في دين الإسلام فقال: **﴿وَقَالَتْ حَاقِمَةُ بِنْتُ أَبِي**
الْكَيْسِ﴾ **﴿مُتَرِّبَةُ الْأَوَّلِ عَلَى الْآخِرِ﴾** **﴿مُتَرِّبَةُ الْأَوَّلِ عَلَى الْآخِرِ﴾** قال ابن كثير: وهذه مركبة أرادوها أن يردوا
على الضعيف من الناس أمر دينهم، وهو أنهم تشاوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار
ويصلوا مع المسلمين فإذا جاء آخر النهار أريدوا إلى دينهم ليقول الجيلة من الناس: إسماءهم
إلى دينهم أصلا عهد على نقصة وعيب في دين المسلمين **﴿وَالْقُرْآنُ كَذِبٌ﴾** أي كفروا بالإسلام
آخر النهار **﴿وَالْقُرْآنُ كَذِبٌ﴾** أي لعلمهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه: **﴿وَكَا تَوَيْتَا إِلَى رَبِّكِ**
وَبَشِّرِ﴾ هذا من تنمة كلام نبيك حكاة الله عنهم والمعنى: لا تصدقوا ولا تقصروا مشرككم
وتعلمتوا لأحد إلا إذا كان مني دينكم **﴿قُلْ بَلْ كُفِّرْتُ عَنْهُ﴾** أي قل لهم يا محمد: الهدى
ليس بأندسكم وإنما الهدى هي الله. يهدي من يشاء إلى الإيمان ويثبت عليه كما هداني
أنتم مني، وإجملة اعتراضه، ثم ذكر تعالى بعد ذلك الاعتراض بغير كلام اليهود فقال: **﴿إِنْ**
يُرِيدُ أَحَدُكُمْ تَوَلَّى مَا أُرْسِنَهُ لَكُمْ﴾ أي يقول اليهود: ههنا، ليهض لا تصدقوا إلا لمن
تبع دينكم، وانظروا بين ادعى النبوة فإن كان متعاضداً لدينكم تصدقوه ولا تكذبوه، ولا تقروا ولا
تخرفوا لأحد بالنبوة إلا إذا كان على دينكم، غشية أن يؤتى أحد مثل ما أُرْسِنَهُ وخشية أن
يحتاجوا به عند دينكم، وإذا أقرتم نبوة محمد ولم تدخروا في دينه تكون له السجدة عليكم يوم
القيامة، وغرضهم من التهمة من رسول الله صلى **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ دِينَكُمْ﴾** أي قل
لهم يا محمد: أمر النبوة ليس إليكم وإنما هو بيد الله والفضل، خير منه بيد الله يؤتى من يشاء
﴿وَقَدْ رُجِعَ﴾ أي كثير المعاص، واسع الإنعام بعظم من هو أهل له **﴿يَتَقَلَّبُ﴾** يترجى.

يَكْفُرُ﴾ أي يختص بالنبوة من شأنه ﴿وَأَنَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي فضله واسع عظيم لا يحُدُّ ولا يمنع.

فبلاغة. جمعت هذه الآيات من غروب الفصاحة والبلاغة ما يأتي: المجاز في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حيث أطلق اسم الواحد على الجميع، والتشبيه في قوله: ﴿أَنَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ حيث شبه طاعتهم لرؤساء الدين في أمر التحليل بطلب المستحق للعبادة، والطلاق في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي رُؤُوسِ الْأَنْبِيَاءِ﴾ و﴿يُنَزِّلُ الْوَحْيَ فِي رُؤُوسِ الْأَنْبِيَاءِ﴾ وجناس الاشتقاق في: ﴿أَنَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ والتكرار في عدة مواضع، والحذف في عدة مواضع^(١).

فائدة. كتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى «هرقل» ملك الروم يدعو فيه إلى الإسلام واستشهد فيه بالآية الكريمة التي فيها إخلاص الدعوة لنبينا الله وحده، وتمثل الكتاب كما هو في صحيح مسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من أتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلمت نفسك، وأسلمت بركاتك لله أجركم من أن تولد فإن تولدت فإن عليك اسم الأرمسين، يعني الفلاحين والخدم» و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ سَمِعَ بَشَرًا يَبْتَغِيكَ أَذَى تَتَّبِعُ إِلَّا نَرَهُ وَلَا نُشْرَكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يُلْبِسُكَ شَيْئًا لَبِئْسَ مَا تَدْعُ لَن تَوَلَّوْا تَعْبُدُوهُ تَعْبُدُوا بَنَاتَ مُشْرِكُوتٍ﴾^(٢).



قال الله تعالى ﴿وَبَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَنُصِّرُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ إلى... يَدَّ إِذْ أَنْتُمْ تُنصِّرُونَ﴾ من آية (٧٥) إلى نهاية آية (٨٠).

المفاد: لما حكى تعالى فرائض أهل الكتاب، وما هم عليه من الخيعة والكبد والمكر، أحبه بذكر بعض أوصاف اليهود خاصة وهي خيانتهم من الناحيتين: المالية والدينية، فقد خانوا الله والناس بغير فقه كلام الله عن معناه، واستحللوا أموال الناس بالباطل.

المفاد: انتظار الفسار المال الكثير وقد تقدم ﴿فَتَمِمْ﴾ ملازمًا ومدامًا على مطالبته ﴿أَتَأْتِيَهُمُ الْمَرْءُ بِهِمُ الْحَرْبُ وَأَمْلُ الْأَمْنِ﴾ الذي لا يقرأ ولا يكتب والمرب كاسوا كملك ﴿يُنْزِلُ﴾ من ثمن وهو النصف والغنل تقول: لويت به إذا فلقها والمراد أنهم يقتلوا المستنهم ليعملوا من الآيات المنزلة إلى العبادات المستحقة ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ أي لا تنسب لهم من رحمة الله ﴿وَتُكَيِّدُونَ﴾ جمع رباني وهو المنسوب إلى الرب قال الطبري: معناه: كونوا حكماء علماء^(٣).

سفيان بن عيينة قال: كان بيني وبين رجل من اليهود أوصى فجعدهني فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: «هل لك بيعة؟» قلت: لا، قال لليهودي: «الحلف قلت: إذا بحلف فيذهب بعاني عزرك الله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ يَتَّخِذُونَ بِسْمِهِ أَهْلًا»^(٤) الآية.

(٢) انظر صحيح البخاري ومسلم.

(٣) انظر طبري ١/٢٢٠.

(٤) خلاص من البحر المحيط.

(٥) الطبري ١/٢٢٠.

﴿وَمَنْ أَقْبَلَ الْكِتَابَ مِنْ بَنِي ثَمَارٍ يَنْظُرُ يُؤْذِرُهُ إِلَيْهِ زَيْنُهُمْ مَنْ بَنِي ثَمَارٍ يَنْظُرُ لَا يُؤْذِرُهُ إِلَيْهِ إِلَّا مَا وَصَّ عَلَيْهِ قَلْبُهُ يَأْتِيهِمْ خَلْقًا لَيْسَ عَلَيْكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُفُوبُ وَمَنْ يَقُولُ ذَلِكَ مِنَ الْكُفُوبِ يَكْفُرْ بِاللَّهِ عَمَلًا وَنَسْوَ. وَأَنْتَ يَا اللَّهُ بِيَمِينِ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّ الْأَوَّلِينَ بَشَرًا مِمَّنْ بَعْدَكَ قُلُوبًا لَلْأَوَّلِينَ خَلَقَ اللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بَنِي الْكُفُوبِ وَلَا يُرْجِعُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا قَوْلَ اللَّهِ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَتَمَّ مِنْ الْأَمَرِ بِقَوْلِ اللَّهِ وَكُلُّهُمْ فِي سَبِيلٍ يَسْمُونَ ﴿٧﴾ كَذَلِكَ يَنْهَى اللَّهُ النَّاسَ أَنْ يُؤْذِنُوا فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ الْكَلْبَةِ وَالْمَرْءُ مَا لَمْ يَلَمْسْ لَنْ يَكُونُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَشْيَاءٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا مِنْهُمْ يَسْعَوْا إِلَيْهِمْ إِلْفًا فَلَهُمْ أَلْوَاعٌ يُكْفَرُونَ فِيهَا يَصْتَلُونَ ﴿٨﴾ لَا يُلَاقُونَ اللَّهَ وَلَا يُبَلِّغُونَ عَنْهُ خَبْرًا إِذْ يُسْأَلُونَ عَنْهُ وَيَحْلِفُونَ عَلَى كَذِبٍ ذَٰلِكَ سُبُوغُهُمْ وَاللَّهُ مُتَلَفِتٌ إِلَيْهِمْ إِنْ جَاءُوا بِبُرْهَانٍ كَرِيمٍ ﴿٩﴾﴾

التماسيح: ﴿وَمَنْ أَقْبَلَ الْكِتَابَ مِنْ بَنِي ثَمَارٍ يَنْظُرُ يُؤْذِرُهُ إِلَيْهِ﴾ أي من اليهود من إذا اقتسمته على المال الكثير أذاه إليك لأمانته حميد الله من سلام أودعه قرشي ألف أوقية ذهباً فأذاها إليه ﴿زَيْنُهُمْ مَنْ بَنِي ثَمَارٍ يَنْظُرُ لَا يُؤْذِرُهُ إِلَيْهِ﴾ أي ومنهم من لا يهتم على دينار لخيالته كمنحاص من حازرواء انتعت قرشي على دينار فحجده ﴿إِلَّا مَا وَصَّ عَلَيْهِ قَلْبُهُ﴾ أي (لا إذا كنت ملازماً له ومشفقاً عليه ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيهِمْ خَلْقًا لَيْسَ عَلَيْكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ سَبِيلٌ﴾ أي إنما حملهم على الخيانة زعمهم أن الله أباح لهم أموال الأميين - يعني للعرب - روي أن اليهود قالوا: ﴿مَنْ أَكْبَرُ اللَّهُ وَأَيُّهُمْ﴾ والخلق لنا عبيد فلا سبيل لأحد علينا إذا أكلنا أموال عبيدنا، وقيل: إنهم قالوا: إن الله أباح لنا مال من خلف ديننا ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُفُوبُ وَمَنْ يَقُولُ ذَلِكَ مِنَ الْكُفُوبِ يَكْفُرْ بِاللَّهِ عَمَلًا وَنَسْوَ﴾ أي يكذبون على الله بادعائهم ذلك وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون، روي أنهم لما قالوا: ﴿لَيْسَ مَعَنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ سَبِيلٌ﴾ قال نبي الله: «كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فإنها موداة إلى البر والفاجر» ثم قال تعالى: ﴿يَقُلْ مَنْ ذُو الْأَرْحَامِ بِمَنْهَبِهِ. وَأَنْتَ يَا اللَّهُ بِيَمِينِ الْمَشْرِقِ﴾ أي ليس كما زعموا بل عليهم فيه إثم لكن من ذى الأمانة منهم وأمر بمحمد واتقى الله واجتنب محاربه فلن الله يحبه ويكرمه ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ بَشَرًا مِمَّنْ بَعْدَكَ قُلُوبًا لَلْأَوَّلِينَ خَلَقَ اللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُرْجِعُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي لا يطلعهم كلام أسس ولفظ، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة يوم القيامة ﴿وَلَا يُرْجِعُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي لا يطلعهم من أوضاع الأوزار، ولهم عذاب مؤلم على ما فرغوا من المعاصي ﴿وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ قَوْلُهُمْ قَوْلُ آبَائِهِمْ﴾ أي وإن من اليهود طائفة يقتلون أنفسهم في حال فراءة الكتاب لتحريف معانيه وتبديل كلام الله عن المراد منه.

عَنْهُمْ الْمَذَكَّ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا رَكِبُوا مِنْ الْفَحْشَاءِ فَهُمْ فِيهَا شُرَكَاءُ ۚ إِنَّهَا شَفَاغٌ أَسْوَأُ مِنْ أَنْ يَكُونَ ظَنُّكُمُ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ ۚ ﴿٥١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ مَا يَحِلُّ عَلَيْهِمْ إِلَّا بِطَرِيقٍ مُبِينٍ ۚ ﴿٥٢﴾ إِنَّ الْآيَةَ لَظَاهِرَةٌ لِذِي الْبَالِ ۚ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ مَا يَحِلُّ عَلَيْهِمْ إِلَّا بِطَرِيقٍ مُبِينٍ ۚ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْآيَةَ لَظَاهِرَةٌ لِذِي الْبَالِ ۚ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ مَا يَحِلُّ عَلَيْهِمْ إِلَّا بِطَرِيقٍ مُبِينٍ ۚ ﴿٥٤﴾

[illegible]

كيف يستحق العقوبة قوم كفروا بعد إيمانهم ﴿وَرَكِبُوا فِي الْاَرْضِ يَكْفُرُونَ﴾ أي بعد أن جاءهم الشواهد ووضح لهم الحق أن محمداً رسول الله: ﴿وَنَادَاهُمْ أَنَسَتْ﴾ أي حادتهم المنعرجون والجميع البيات على صدق النبي ﴿وَأَقْبَىٰ لَا يَهْدَىٰ أُنْفُسَهُ الْفَالِغِينَ﴾ أي لا يهتفهم لطريق السعادة، قال الحسن: هم اليهود والنصارى وأبو صفه سعيد في كتابهم، وشهدوا أنه حتى فلما بعث من غيرهم جدوا العرب فكفروا بعد إيمانهم ﴿أَوَلَيْكَ جَزَاءُكَ إِنْ كُفِرْتُمْ عَنْهُ﴾ أي جزاءهم على كفرهم اللعنة من الله والسلافة والخلق أجمعين ﴿خَالِفِينَ﴾ أي لا يجمعهم الميثاق ولا هم يجمعون ﴿إِلَّا الْيَوْمَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي ما كثر في النار أبد الأبد، لا يفسر عنهم العذاب ولا هم يهلكون ﴿إِلَّا الْيَوْمَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي لا تقبل منهم توبة ما أفاضوا على الكفر ﴿وَأَوَّلِيكَ هُمْ﴾ أي الذين كفروا عن سبج الحق إلى طريق الضلالي، ثم أخبر تعالى عن كفر رمان على الكفر فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَوَلَّوْا بَعْدَ كُفْرِهِمْ﴾ أي كفروا ثم ماوتوا على الكفر وام يربوا وهو عام في جميع الكفار ﴿فَلَنْ يَكُونُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي لن يغفر من أحدهم عدية ولو أتى بملء الأرض بعل، الأرض ذلت ﴿أَوَلَيْكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي مؤلم موجه ﴿وَنَادَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي ما هم من أحد يقاوم من عذاب الله ولا يجيرهم من أليم عقابه.

الانفصاف: ﴿لَا يَكْفُرُ﴾ فيه شفاه من الغيبة إلى الحاضر، لأن فيه: ﴿يَسْتَقْبِلُ الْيَوْمَ﴾ بين لفظ ﴿أَقْبَىٰ﴾ و﴿أَقْبَىٰ﴾ جناس الاشتقاق، وكذلك بين لفظ ﴿كَفَرُوا﴾ و﴿كَفَرُوا﴾ وهو من المحسنات اللفظية.

الطباق بين ﴿طَوَّافٌ﴾ و﴿كَافِرٌ﴾ وكذلك يوجد الطباق بين لفظ الكفر والإيمان.

١. ﴿وَأَوَّلِيكَ هُمْ﴾ أي الذين كفروا بعد إيمانهم، ومثله: ﴿وَأَوَّلِيكَ هُمْ﴾.

٢. ﴿وَنَادَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي مؤلم، وهو من باب عطف العام على الخاص.

٣. ﴿فَلَنْ يَكُونُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي مؤلم، والعدول إلى صيغة فاعل المبالغة.

فائدة الآيات الكريمة قسمت الكفار إلى ثلاثة أقسام:

١. قسم تاب توبة صادقة فغفر الله إليهم والإشارة بقوله: ﴿إِلَّا الْيَوْمَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

٢. وفهم الله، توبة فاسدة فلم تغفر الله إليهم والإشارة بقوله: ﴿كَفَرُوا بَعْدَ إِسْمَائِهِمْ ثُمَّ كَفَرُوا﴾.

كَفَرُوا

٣٠ - وفيه لم يبق أصلاً ودعت على الكفر واليهيم الإشارة بقوله: ﴿إِنْ تَلَوْتُمْ كِتَابًا وَكَانُوا يُعَذِّبُونَ﴾.

تنبهوا، أدركوا تشبهان عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «يقال للمرجوس من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أتيت مقتدياً به؟ قال: «يقول: نعم» فيقول الله: قد أردت ميتاً آمراً من ذلك، قد أردت حياً في شهر أبداً آدم أن لا تشركني شيء فأيت إلا أن تعلمك»

□ □ □

قال ابن عباس: ﴿إِنْ تَلَوْتُمْ كِتَابًا حَتَّى تُبَيِّنُوا بِهَا حُجُوبًا﴾ أي: تليتم لتفكروا بتلك من آية (١٤٢) إلى آية (١٥٣).

الثالثة لما ذكر تعالى حاز الكفار وماتهم في الآخرة، وبيّن أن الكفار لو أرادوا أن يفتدروا أنفسهم بغير الأرض ذهب ما ضعه ذلك، ذكره - استطراداً - ما يفتح المؤمن ليل وضي الله والقور بالجنة. ثم عد الكلام لرفع التشبه الذي أوردها أهل الكتاب سواء أشتبهوا بالرسالة وما حذوا من الإسلام، ثم جاء بعده الحدير من مكابدهم ومساكنهم لئلا يدر بها للإسلام والسلمين تصرفه الهدف ونشيت انشمل

الحجة: ﴿يُرَى﴾ كلمة جامعة لجميع الأمور، والله أديها هنا الجنة ﴿يَرَى﴾ حذو الأرواح مضمر تحت به ولذلك يستمر في قوله الواحد والجمع والتذكير والمؤنث ﴿إِنَّهَا﴾ هو يعود عليه السلام أبكة اسم لملكه يسمى أبكة وأمكفة سعيد. بذلك لأنها بك أي ندق الحاق الحياة فلم يفتدوا به بسوء إلا قصه الله ﴿يُنَادَى﴾ التبركة للريادة وكثرة الخير ﴿نَادَى﴾ روية محسن قيام يرثيهم وهو الحجر الذي قام عليه لما فرغ من بناء البيت ﴿يُنَادَى﴾ أي نوح الماعيل، قال أبو عبيدة: هي القدين والخلام والغسل، وبفتح غلام في الحائط والجذع ﴿يَنْتَمِسُّ﴾ تستمسك وتلتصق وأصله التمس، قال القرطبي: وكل متمسك بشيء، متمسك ركن مانع شيء فهو حاصم ﴿قَالَ لَا تَحْمِلْ آيَاتِي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، ﴿شَقَا﴾ الشقا: حرف كس شيء وحده ومثله الشقي، ونعما الحيرة، حذوها، قال تعالى: ﴿عَلَّ شَقَا حَزَنِي حَتَّى﴾

يروي أن الشاسم بن قيس، يهودي من بني نصر من الأنصار من الأوس ولجرح في مجلسي قهم يتحدثون، فغاضه من رأى من أختهم وصالح ذات بينهم عد الذي كان بينهم من الجدلية من العداوة فقال: «لما معهم إذا اجتمعوا من قرار، ثم أمر شاكياً من اليهود أن يجاس إليهم ويشتغلهم من يوم الجمعة ويشتغلهم يومه من الأعداء» وكان يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الغفر فيه تلاوس - فعل: فتنزع الغفر عند ذلك وتعاودوا وما مضوا

و ظهور انبياء ﴿مَّا وَكَّلْنَا لَهُمُ الْقَبِيلَ﴾ أي المبعوثون المكابرون بالملائكة ﴿وَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ﴾ أي صدق الله قري كل ما أوحى إلى محمد وهي كل ما أخبر ﴿بِقَبِيلِهِمُ﴾ أي أتباعهم أي أتروكوا اليهودية والنبوة ملة الإسلام التي من ملة إبراهيم ﴿عَلَيْهِمُ السَّلَامُ﴾ أي مائة من الأديان التي أفضها ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ برأه مما سببه اليهود والنصارى أنه من اليهودية والنصرانية، وفيه تعريف بشراكتهم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ أي أول مسجد بني في الأرض لعبادة الله: المسجد الحرام الذي هو بمكة ﴿مِمَّا كُنَّا نَقُولُ﴾ أي وضع سنننا كثير الخير والفع لمن حجه واعتدله، وهداهم الهداية والهدى لأهل الأرض، لأنه قبلهم، ثم عُدَّ تعالى من مزايده ما يستحق تخصيصه على جميع المساجد فقال: ﴿وَمِمَّا كُنَّا نَقُولُ﴾ أي فيه علامات وأسماء كثيرة يدل على شرفه وبفضله على سائر المساجد منها ﴿نَسَاءُ وَرَبِّيَّةٌ﴾ وهو الذي قام عليه سين ربح لنواهد من البيت، وفيه زمزم والحطيم، وفيه الصفا والعمرة والحجر الأسود، أفلا يكفي برهانه على شرف هذا البيت وأحقية أن يكون قبلة المسلمين؟ ﴿وَمَنْ يُشْكِكْ كَأَنَّا ثَمَادًا﴾ وهذا أية أخرى وهي آمن من دخن الحرم بدعوة الخليل إبراهيم ﴿وَرَبِّ اشْكِكْ هَذَا قَسَمٌ لِّمَا﴾ ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِ جَمْعٍ أَتَيْنَا نِي﴾ أي موعظ لازم على المستطع حج بيت الله الحبيب ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ أَوَّلَ عَمَلٍ عَمِلَ عَنِ اللَّهِ الْحُجَّ فَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَفْتٍ عَنْ عِبَادَتِهِ وَعَنِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ﴾ وهو عنه بأنكم تغلبوا عليه، قال ابن عباس: من جحد فربضه الحج فقد كفر والله عني عنه، ثم أشد يبيحك آمن فكتاب على كفرهم فقال: ﴿قُلْ يَتَأَفَّلُ الْكُفْرُ الْكُفْرُ وَتَكْفُرُونَ﴾ أي لم تجمعوا بانقرآن المنزل عني محمد مع قيام الدلائل وإبراهيم على صدقه ﴿وَلَوْ تَحَوَّلَ عَلَى مَا تَقُولُونَ﴾ أي مطلع على جميع أعمالكم فيجزيكم عليها ﴿قُلْ يَتَأَفَّلُ الْكُفْرُ الْكُفْرُ وَتَكْفُرُونَ﴾ أي لم تصرفون الذين عن دين الله الحق، وتؤمنون من أولادكم، لا جانيه؟ ﴿تَقُولُونَ﴾ أي تصفون أن تكون الطريق المستقيمة معوجة، وذلك بتغيير صفة لرسول، والتأليس عني الناس بإيهامهم أن في الإسلام عدلاً، عوجاً ﴿إِنَّهُ شَكَّكَ﴾ أي عالمون بأن الإسلام هو الحق والذين المستقيمة ﴿وَمَا أَفْعَلُ عَمَّا تَقُولُونَ﴾ تهديد ووعيد، وقد جمع اليهود والنصارى الناصقين، الضلال والإضلال كما أشارت الآيات الكريتان فقد كفروا بالإسلام ثم ما رأوا الناس من الدخول به بإفهامه واشكوك في قلوب الضمعة من الناس ﴿يَتَأَفَّلُ الْكُفْرُ الْكُفْرُ وَتَكْفُرُونَ﴾ أي إن تطيعوا صافعة من أهل الكتاب ﴿يَزِيدُكُمْ شَيْئًا يَتَأَفَّلُ الْكُفْرُ الْكُفْرُ وَتَكْفُرُونَ﴾ أي يصيركم كافرين بعد أن هداكم الله للإيمان، والخطاب للأوس والنخزج إذ كان اليهود يربون فتنهم كما هي سبب لنزول وأنشط في الآية عدم ﴿كَلِمَاتُ كُفْرٍ وَأَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ غُلَامٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُمْ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي كيف ينصرف إليكم فكمع وأنهم أن آيات الله لا تزل تنزل عليكم والوحي لم ينقطع ودسول الله حي بين أظهركم؟ ﴿يَوْمَ نَخْتِمُ بِهِ قُلُوبَهُمْ﴾

جريت شقيقاً» أي من رتبة ملك. فبينه الحق الذي بيده ما به على لسانه ورسوله فقد اعتدى إلى أقوم طريقاً. وهي الطريق الموصلة إلى جنات النعيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أي اتقوا الله تقوى حقة أو حتى تقوى، فإن ابن مسعود: «هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر»^{١١١} والعبادة بالأية ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أي كما يجب أن يبقى وذلك باحتراب جميع مذهب «وَلَا تَوَلُّوهُ إِلَّا وَجْهًا مُبِينًا» أي استكوا بالإسلام وحذوا عليه بدواً حتى يبرئكم الموت وأنتم على تلك الحالة تسمون: عبي الإسلام، والمفسرون: الأمر بالإقامة على الإسلام «وَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَا تَفْرُقُوا» أي تمسكوا بدين الله وكتبه جميعاً ولا تفرقوا عنه ولا تختلفوا في الدين كما اختلف من قبلكم من اليهود والنصارى ﴿وَأَذِّنَا فِي النَّارِ الْكَافِرَ﴾ أي ذكرنا وإنعنه عنكم يا معشر العرب ﴿لَكُمْ أَنْتُمْ كُفَرًا قَدْ كُنْتُمْ﴾ أي حين كنتم قبل الإسلام «هَذَا آيَةُ الْفَافِ بِمِرْقَاتِكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَحَمَلْتُمْ عَلَى الْإِيمَانِ ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ أي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم فأنقذكم الله منها بالإسلام ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي مثل ذلك البيان التواضح يبين الله لكم سائر الآيات ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي لكي تهتدوا بها إلى سعادة الدارين.

بمحدد تعيدت الآيات الكريمة وجوهاً من البلاغة توجزها بما يلي

﴿قُلْ دُتُوا بِالْقُرْآنِ﴾ الأمر بالتسبب والتمسك بالدلالة على كمال الشرح

﴿لَا تَرْوُكُمْ﴾ أي للبيت الذي بيته وفي ترك الموصوف من الشخص ما لا يخص

﴿وَتَرَكُوا﴾ وضع هذا النقط موضع عوم من لم يحجج تأكيدهم لوجوبه وتلبيته على تاركه.

قال أبو السعود: «ولقد أتت الآية الكريمة من قول الأعرابي: «ما لا مزيد عليه» وهي قوله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جِئْ الْقُرْآنَ﴾ حيث أثرت صيغة الخبر الدالة على التحقيق وأثرت في صيغة

الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار. على وجه يزيد أنه حق ويجب أنه سبحانه لم يسم

الاسم، وسلبت بهم مسائل الشبهة ثم الشخصيات. والأيهام تم التبيين، والإيمان ثم

التفصيل»

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ شبه القرآن بالعباد وسمي اسم التمسك به وهو العبد للعبادة وهو

القرآن على سبيل الاستعارة التصريحية والجامع بينهما أنهما شجاف في كل

﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ شبه حائلهم الذي كانوا عليه بالجائفة بجان من كان مشرفاً على سفرة

عذبة وهوة سحرية وفيه - عبارة زيادة وإزالة -

وودت الآيات الكريمة لدفع شبهة من شبه أهل الكفرات:

أنهم قالوا: «القرآن» إنك تدعي أنك علم دبر إلههم وقد خالفت شريعتهم

البلغة. فقصت الأيات الكرسيه وجوه من البيان والشرح موجهة الى :

- ١ - ﴿يَرْبُوهَ يَنْفُتُونَ مِنْهُ خِثْلًا مُبْدًى﴾ فيه من الصفات الطبيعية (التي لا تدعى بالصفات)
- ٢ - ﴿وَأَنْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه قصر صفة على موضع حيث قصر الفلاح على
- ٣ - ﴿يَنْبُتُ وَنُورًا وَنُورًا﴾ بين كلتي "نُورًا" واسم "نُورًا"
- ٤ - ﴿يَرَى رُحْمًا أَوْ رُحْمًا﴾ محلو من أصل الحاد وأريد المحل أي وهي اجمة لأنها مكان مرأ.

الرجعة

- ٥ - ﴿يُرَى مِنْهُ نَبَاتٌ﴾ فيه استعارة حيث شبه اللؤلؤ بالنبات، المصير إلى على أسعابه وفي تقدمت في (الخرقة)

١ - ﴿رَبَّنَا بَعِّثْ لَنَا نَبِيًّا﴾ التكرير للتفخيم والتوبيخ

فائدة قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ عَنْهُ﴾ جملة مستأنفة وليست فيها خبر. قال الزمخشري: هو محذوف عن حكم الخبر، أي حكم الإخبار لئلا يأتى من ثم أخير قد أتى بخلافه من عدمه، ولو جزم كان نصي النصير مقيماً لقائلهم بيما النصير وعد مثلاً^١

سبب ذلك ثلاث: الأولى: الآية ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْزُوا وَتَنْسُوا﴾ إسماء يراد به الاختلاف في العبادة، في أصول الفرس، وأما الاختلاف في الخروج كما في: أمة، الأمة السجدة في ذلك من اليسر في الدعوة كما أنه على قلت العلم، وليس يبيد رجمه الله رسالة فيه أسعابه أرفع العلماء عن الأمة لأعلامه مخرج إليها إلهاء ومفيدة

١١١

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْفُتُونَ مِنْهُ خِثْلًا مُبْدًى﴾ أي... إن كنه بك يفسدوا ويخطئ من آية (١١٤) إلى نهاية آية (١١٥).

السبب له وصف تعالى أمر الكتاب بالصفات الجميلة، ذكر هنا أنهم يسوء الدرجة واحدة من يومهم إلى يوم الكفر والشر وقد عرفه الله تعالى عقاب الكافرين وأن أمهاتهم أو أولادهم من بعدهم يرون القبيحة شيئاً، وتعرف ذلك من أي عن أحد أعداء الدين قولاً: والله إلى ما من ذلك من الصبر الحبيب في الدنيا والآخر

العبادة (أما في الدنيا والآخرة) (أي) على وزن يفسد ﴿يَنْفُتُونَ﴾ (يخطئ) من الكفر بعض المعجزة، سمي منع الخواء كقوله: ﴿لَا يَمُوتُ لَمْ يَمُوتْ﴾ (الطراز: سورة التوبة) قوله إن عدم أصله من الصبر الذي هو الصبر ويراد به الرجوع التمدد الباردة ﴿خِثْلًا﴾ زرع وأصله من حرت الأرض إذا شعثها الخلع، وكذا ﴿بِطَانَةٍ﴾ بطانة الرجل - حاشية

حَقَّقَ بَيْعَ فِيهَا بِمَرْءٍ أَي مَثَل مَا يَفْقَهُونَ فِي الدُّنْيَا فَصَدَّقُوا أَهْلَهُ وَحَسِبُوا الذِّكْرَ كَمَثَلِ رَيْحٍ خَاصِفَةٍ فِيهَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ مُؤْتًى﴾ أَي أَمَّا مَنْ يَتْلُو ﴿أَي أَمَّا مَنْ يَتْلُو﴾ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَرِجَالُ نَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْمَدَامَةِ فَاصْدَرُوا وَأَمَلَكِيهِمْ فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ ، فَكَذَّبَتْ الْكَفَرُ بِحَقِّ اللَّهِ وَأَعْدَلَهُمْ عَصَاةً كَمَا يَذْهَبُ هَذَا الزُّرْعُ بِذُرُوبٍ صَاحِبِهِ ﴿وَمَا ظَلَمَهُمْ اللَّهُ وَلَٰكِنْ نَفْسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أَي وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ بِهَذَا مَا دَعَوْهُ ، وَلَكِنْ ظَنَّمُوا أَنْفُسَهُمْ بِاتِّكَافِهِمْ بِسُجُودِهِمْ ، ثُمَّ حَادَرَ نَعَانِي مَرَاتِدِهِ الْمُتَقَبِّرِ بِطَانَةِ يَطْمَعِيهِمْ عَنْ أَسْرَارِهِمْ فَقَالَ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا بِهَدْيِ بَنِي ذَٰلِكَ﴾ أَي لَا تَتَّبِعُوا الْمُتَنَافِسِينَ لِمَدَامَةِ أَوْدُوهُمْ وَتَعْلَمُوهُمْ عَنْ أَسْرَارِهِمْ وَقَدْ دَعَاوَهُمْ أَوْ بَاءَ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿لَا يَأْتُواكُمْ حَتَّىٰ﴾ أَي لَا يَنْصَرُّوا لَكُمْ فِي الْقِتَالِ ، ﴿وَأَن تَحْتَرِبُوا﴾ أَي مَحَنُوا اسْتَحْتَكِمَكُمْ وَمَا يَرْفَعُكُمْ فِي الْغُرُورِ الشَّدِيدِ ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ الْقِتَاءَ مِنْ أَعْيُنِهِمْ﴾ أَي ظَهَرَتْ أَمَارَاتُ مَدَاوِلَةِ لَكُمْ عَلَى أَلْسِنِهِمْ ، بِهِمْ لَا يَكْتُمُونَ بِحُشْنِكَ بِتَلَوِّهِمْ حَتَّى يَبْصُرَ حَوَائِشُكَ بِأَنَّهُمْ ﴿وَمَا تُخْبِرُنَّ شِدْقُهُمْ أَكْثَرُ﴾ أَي وَمَا يَطْنُونَهُ لَكُمْ مِنْ نِيغْضٍ أَثَرُ مَا يَهْرُونَ ، ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ لَكُنَّ لَهُ أَتَىٰ﴾ أَي وَضَحْنَا لَكُمْ الْآيَاتِ الدَّلَالَةَ عَلَىٰ جُوبِ الْإِخْلَاصِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَمَوَالِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَدَاوِلَهُ الْكَافِرِينَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾ أَي إِذَا كُنْتُمْ مُعْلَاهُ ، وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الْهَزْزِ وَالْتَحْرِيكِ لِمَعْنَى كَتْمِ نِيَّتِكَ إِذَا كُنْتَ عَلَى مَنَافِلَةٍ تُوْذَى النَّاسُ ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : لِمَعْنَى إِذَا كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ عَنْ أَلَمِ أَمْرِهِمْ وَهِيَ : ثُمَّ يَبْزُرُ مَبِيدَهُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ كَرِهِيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ لَكُنَّ لَهُ أَتَىٰ﴾ أَي مَا أَثَرُ مَا يَحْتَرِبُونَ خَاطِبُونَ فِي مَوَالِيكُمْ إِذْ تُسَبِّحُهُمْ وَلَا يَحْبِبُونَكُمْ ، نَرِيدُونَ لَهُمْ لِمَعْنَى وَتَعْلَمُونَ لَهُمْ الصَّحْبَةَ وَهُمْ يَرِيدُونَ لَكُمْ الْكُفْرَ وَيَنْصَرُّونَ إِلَيْهِ أَتَىٰ ، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ إِلَّا الْإِنْسَانُ﴾ أَي أَنَّهُ يُؤْمِنُونَ بِالْكَذِبِ مَعْرِفَةً أَلَمًا وَهُمْ مَعَ ذَٰلِكَ يَفْضَحُونَكُمْ ، فَمَا بَالُكُمْ تَحْبِبُونَهُمْ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِشَيْءٍ مِنْ كِتَابِكُمْ ؟ وَفِيهِ تَوْبِيخٌ شَدِيدٌ لَهُمْ فِي بَاطِلِهِمْ أَصِيبَ مِنْكُمْ فِي حَتْمِكُمْ ﴿وَإِنَّا لَنُؤَذِّيكُمْ أَلَّا تُدْرِكُوا﴾ أَي وَهَذَا مِنْ عَذَابِهِمْ إِذَا يَظْهَرُونَ أَمَانَتَكُمْ الْإِيمَانِ نَقَاطَ ، ﴿وَإِنَّا لَنُؤَذِّيكُمْ أَلَّا تُدْرِكُوا﴾ أَي إِذَا خَلَّتْ مَحَالِسُهُ مِنْكُمْ غَصَا الطَّرَبُ الْأَصَابِعُ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ وَالْغُصْبِ بِمَا يَرَوْنَ مِنْ تَخْلَافِكُمْ ، وَهُوَ كِتَابَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْعَاقِلِ وَالْتِفَافِ بِحَقِّهِمْ مِنْ إِدْبَارَةِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فَلَنُؤَذِّيَكُمْ أَلَّا تُدْرِكُوا﴾ أَي إِنَّ اللَّهَ حَاوِيَهُمْ أَيْ قَلْبَ يَا مُحَمَّدُ : أَدَامَ اللَّهُ غِيظَكُمْ إِلَى أَنْ تَمُوتُوا ^{١١١} ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ أَي إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ مَا تَكْتُمُ عَنْ نَوْمِكُمْ مِنَ الْبُخْصِ وَالْحَسَدِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ أَجْرُ تَعْنِي مَا يَرْمُونَ تَزْوِيلَهُ مِنَ الْبِدَاءِ وَالْمِحَّةِ - الْمُؤْمِنِينَ هَذَا : ﴿إِنْ تَسْتَكْبِرُوا تَسْأَلُكُمْ﴾ أَي إِنْ أَسَادَكُمْ مَا سَرَكُمْ مِنْ رَحْمَةٍ وَغَضَبٍ وَنَصْرَةٍ وَغِيْمَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ سَأَلْتُمْ ﴿وَإِنْ تُسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ جَاثِدِينَ﴾ أَي وَإِنْ أَصَابَكُمْ مَا يَضُرُّكُمْ مِنْ شِدَّةٍ وَجَدْبٍ وَهَزِيمَةٍ وَأَمثالَ ذَٰلِكَ سَأَلْتُمْ ، فَيَنْتِ تَعَالَى بِذَلِكَ هَرَطَ عَدَاوَتِهِمْ حَيْثُ سَرَّهُمْ مَا نَالَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَيْرِ وَيُفْرَحُونَ بِمَا يَصِيبُهُمْ مِنَ الشَّدَةِ ﴿وَإِنْ تَقْصِرُوا

١٢١) هذا قول الطبري وكثير من المفسرين وقيل: المراد به: التخرج من الإحاطة. والمعنى: أنه لا يدرك من ما هو ممتد، لأن شئ دون ذلك كذا في التفسير: ١٢٢)

وَنَقُورًا لَّا يَصْرُحُكُمْ كَذَّبْتُمْ شَيْئًا ۖ أَيُّ إِنَّ صَبَرْتُمْ عَلَىٰ أَنَاهُمْ وَاتَّقَيْتُمْ اللَّهَ فِي أَوَّلِ الذِّكْرِ وَأَعْمَالِكُمْ لَا يَصْرُحُكُمْ مَكْرَهُمْ وَكَيْدُهُمْ، فشرط تعالى نفي خبرهم بالمعبر والتقوى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْتَشْرِكُ بِيُحْيِي﴾ أي هو سبحانه عالم بما يُدبرونه لكم من مكائيد فيصرف عنكم شرهم ويعافهم على نيابتهم الخبيثة.

البلاغة:

١- ﴿يَنْ أَوَّلِ الذِّكْرِ شَيْئًا﴾ جيء بالجملعة اسمية للدلالة على الاستمرار كما جيء بعدها بصيغة الشفاعة ﴿يَكُونُونَ أَكْبَرُ أَكْبَرُ﴾ للدلالة على التجدد، ومثله في ﴿يَسْتَبْدُونَ﴾.

٢- ﴿وَأَوَّلَ الذِّكْرِ بَيْنَ الْفَتَوَىٰ﴾ الإشارة بالمعبد لبيان علو درجته وسمو منزلته في الفضل.

٣- ﴿صَكَّالٌ رِيحٌ يَبْرُؤُا﴾ فيه تشبيه، وهو من نوع التشبيه التمثيلي، شبه ما كانوا يفعلونه في المغامر وكسب الثمن بالفرع الذي أصابت الريح المعاصفة الباردة تدمرته وجعلته حطاً.

٤- ﴿فَإِنْ تَنَجَّدُوا بِطُلُوحٍ﴾ شبه دخلاء الرجل وخوافه بالبطانة، لأنهم يستبطنون دجيل أمره ويلأزمونه ملازمة شعاره لجسسه، ففيه استمارة أفاده في (تمريض البيان) ^(١).

٥- ﴿عَسَىٰ فِتْنَتُكُمْ الْأَكْبَرُ﴾ قال أبو سفيان: يوصف الضد الظاهر والضم به في الأصل فيكم من حقيقة، ويحتمل أنه من مجاز التمثيل غير بذلك عن شدة الغيظ والتأسف لما يفوتهم من إداية المزمين ^(٢).

٦- في الآيات من المحسنات البديعية ما يسمى بالمعاقبة وذلك في قوله: ﴿إِنْ فَتَنَّاكُمْ تَبَدُّوا﴾ فتوهم أن فتنتكم تبدة بفتح التاء حيث قابل المحسة بالسينة والمساءة بالتفرج، وهي مقابلة بديعة، كما أن فيها جناس الاشتغاف في ﴿فَتَنَّاكُمْ﴾ و﴿يَفْتِنُكُمْ﴾ و﴿يَغِيظُكُمْ﴾ و﴿يَغِيظُكُمْ﴾ وفي ﴿يَفْتِنُكُمْ﴾ و﴿يَفْتِنُكُمْ﴾.

نظيفة غير بالمعنى في قوله: ﴿يَفْتِنُكُمْ تَبَدُّوا﴾ وبالإصابة في قوله: ﴿وَأَنْ تَبَدُّوا تَبَدُّوا﴾ وذلك للإشارة إلى أن المحسة تسمو الأعداء حتى ولو كانت بأيسر الأشياء ولو سماً خفيفاً، وإن المصيبة فإذا تمكنت الإصابة بها إلى الحد الذي يؤولي له التشتت، فإنهم لا يبرلون بل يفرحون ويسرون، وهذا من أسرار بلاغة التزيين، نقلاً عن حشوية الكشف.

□ □ □

قال الله تعالى: ﴿فَرَأَاهُ عَزَّازٌ مِنْ قَبْلِكَ يُؤَيِّنُ التَّوْبَةَ مَكِيدَةً يَفْقَهُ... وَلَيْسَ... وَالْجَبَرُوتُ أَكْبَرُ... وَكَرُومٌ لَتَفْعَلُنَّكُمْ لَمَّحُونَ﴾ من آية (١٣١) إلى نهاية آية (١٣٢).

افتتاحت هذه المحدث عن الغزوات من هذه الآيات الحكيمه، وقد انقل السيات من معركة الجبال والمناظرة إلى معركة الميدان والقتال، والآيات تحدثت عن غزوة واحدة بالإسهاب، وقد

جاء الحديث عن غزوة (يذر) في أثناءها احتراضاً ليدفروهم بتبعه تعالى عليهم لما صرح بيذر
وهم أثلة قليلون في الغدد والغدد، وهذه الآية هي امتناع القصة عن غزوة (أحد) وقد أنزل فيها
سورة آية.

ومناسبة الآيات لها قبلها: أنه تعالى لما حذر من اتخاذ بطانة السوء ذكر هناك السبب في من
اطاعتين من الأتباع بالفضل إنما كان بسبب تشبه المتأففين لهم ، وعلى رأسهم أبي بن سلول
رأس التفاق ، فالمناسبة واضحة ، روى الشيخان عن جابر قال : «فَبِمَا نَزَلَتْ ﴿يَا مَعْشَرَ الْكَاهِنِينَ﴾
بِحَقِّكُمْ آلُ فِرْعَوْنَ وَأَنَّهُ وَبَيْنَهُمْ ﴿قَالَ﴾ نَحْنُ الطَّاغُوتَانِ : بنو حارثة ، وبنو سلمة ، وماتعب أنهما لم
تنزل لقوله تعالى : ﴿وَمَا وَبَيْنَهُمْ﴾ .

الْفُجْءُ ﴿فَتَوَدَّ﴾ خرجت غُدوة وهي الساعات الأولى من الصبح ﴿تَتَلَوَّ﴾ الفشل: الهجين والضمف ﴿تُتَوَلَّى﴾ تُتَوَلَّى يقال: يرأه سراً ويرأه له سراً أي أنزك فيه وأصل التوءم اتخذ السزل ﴿أَيُّهَا﴾ أي قللة في العدد والصلاح ﴿قَرَّبْتُمْ﴾ النور: السرعة وأصله شدة الانغراس من قاروت القدر إذا غلت ثم استعصت للسرعة نقول: من فورء أي من ساعته ﴿مُتَوَلِّينَ﴾ مضج القواو بمعنى مسلمين على القتال وبكسرهما بمعنى لهم علامة وكانت سيماهم يوم بدر عملهم ييضاه ﴿عَزَّكَ﴾ طائفة ونقطة ﴿يَكْتَبُهُمُ﴾ الكت: الهزيمة والإهلاك، وقد يأتي بمعنى النفي والإذلال ﴿خَائِبِينَ﴾ الخسة: عدم الظفر بالمطلوب .

سبب النزول: ثبت في (صحيح مسلم) أن النبي ﷺ كسرت رجايته يوم أحد وشج في راحته، فحعل يمين الله عنه ويقول: وكيف يفتح قوم شجر أراهم نيههم وكسروا رجايته وهو يدعوهم إلى الله تعالى؟! فأمر الله ﷻ أن ينزل قوله: ﴿يُنَزِّلُ لَكَ آيَاتِهِ﴾.

[illegible]

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٠﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ حُبًّا أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ يَوْمَ الْبُرْجِ إِذْ هَبَّ شَرْكَائِكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلاَّ رَاغِبُونَ ﴿١٠١﴾ فِي الدُّنْيَا فَمَا لَبِثْتُمْ إِلاَّ آلَافًا مِنْ يَوْمٍ عَدَدٍ ﴿١٠٢﴾ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الدُّنْيَا خُلُقٌ مُضْتَرٌّ ﴿١٠٣﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكْبَرُ وَأَنَّكُمْ أَهْلُهَا الْغَابِرُونَ ﴿١٠٤﴾

جيش المسلمين أن تحب وتقبلوا وهذا ما يرجعوهما ثم لم يلبثوا وأبوا حارقه وذلك حين
خرج رسول الله ﷺ لأحد بأربع من أصحابه فلما غلبوا عسكر الكفرة وقتلوا ثلاثة آلاف اسفل
دعد الله من أمره بثلث الجيش وقوله علام يعقل أمعسا أو لادما؟ أنه الميزان من الأعداء
بالوجع ومعصمهم الله فعضوا مع رسول الله ﷺ وذلك قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ كَذِيبُكُمْ﴾ أي ناصرهم
ومثوبي أمرهم ﴿وَمَنْ أَلْفَ عَلَيْهِمْ كُنَّا ظُهُورُهُمْ﴾ أي في صبيح نحوهم بأمرهم وأمرهم ناصرهم
ناصر يوم يلقى قلوبهم وينسبوا عند أمتهم من الهزيمة يومئذ فقال ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُ
مَنْزِلًا وَأَنَّهُ أَتَى مَعَكُمْ يَوْمَ يَلْقَى فَاةً نَعْمَدُ وَالسَّلَاحَ نَعْمَدُ أَنْ نَنْصُرَ مَنْ عَدُوًّا لَا
يَكْتُمُ الْعَادُ وَالْعَدُوَّ لَا تُكْتُمُ اللَّهُ فَذُكِّرُوا كُنُوزَكُمْ﴾ أي اذكروهم ما من به عليكم من النصر
نقول للمؤمنين أن يفتحكم أن يفتحكم أن يفتحكم أن يفتحكم أن يفتحكم أن يفتحكم أن يفتحكم
لأصحابك أمر بكم بكم أن يفتحكم الله ما شاء لكم ثلاثة آلاف من الملائكة من أجل نصرتكم
﴿فَلَمَّا بَرَأ تَقِيَّةً وَكُنْتُمْ عَلَى كُرْسِيِّ جَدٍ﴾ أي نصرتكم على ما كنتم بالملائكة إن نصرتم في المعركة
انتصبت اليك وأعطيتهم أمرهم ﴿وَنَبَأْتُمْ فِي بُرُوحِهِمْ هَذَا﴾ أي بأمرهم الملائكة من نصرتهم هذه
﴿فَلَمَّا كُنْتُمْ فِيكُمْ يَخْبِتُونَ﴾ أي يركعون الله هده من الملائكة معتمدين من
السلاح ومدبرين على الغلب ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ أَنتُمْ لَا تَكْفُرُونَ﴾ أي وما جعل الله ذلك إلا لئلا
الملائكة ولا يشعروا أنهم أمم ما يؤمنون ثم دعوا اليك ﴿وَالْحَبِيشُ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي وتجاهل قلوبكم فلا
تجاهلوا من قلة عدوكم وقلة مددكم ﴿وَمَا تَنْفَعُ الْإِلَاحُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي فلا تفهموا ثم انصبروا كثيرا
لعدو والغلبة ما ينصر في الحقيقة إلا بعون الله وحده لا من الملائكة ولا من غيرهم ﴿الَّذِينَ
أَتَيْنَاهُمْ﴾ أي الغالب الذي لا يحب في أمره السكينة الذي يفتخر بفتح نصيبه حكيمته المعبرة
﴿يَقْطَعُ طَرَفًا مِنْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي ذلك التدبير الإلهي ليهلك طائفه منهم بالقس والأسلحة ويهدم
ركنا من أركان شركهم ﴿أَمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي كيف تعلمون ﴿فَلَمَّا كُنْتُمْ فِيكُمْ يَخْبِتُونَ﴾ أي يركعون
من طائفتين مبيتهمهم وقد فطن تعالى ذلك يومئذ في أمدار حيث قتل المشركون من صناديدهم
سبعين وأسرهم سبعين وأمر الله المؤمنين وأهل الشرك والمشركون ﴿فَلَمَّا كُنْتُمْ فِيكُمْ يَخْبِتُونَ﴾ أي هذه
الآية وردت أكثر من مرة في قصة زاهدك وذلك لما كسر دهره بأخيه وشيخ وجوه الشريعة
قالا وكيف يطلع قوم خسروا وجه بيدهم بالله؟ فقلت ﴿قُلْ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي ليس من
بأحمد من أمر تدبير الله شيء وإنما أمرهم إلى الله ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي فإني أهدى لكم من الهدى
أي قاله مالك أمرهم فيما أن يهلكهم أو ينجيهم أو ينجيهم أو ينجيهم أو ينجيهم أو ينجيهم
أمرهم على الكفر والآية عاينون من حقون العادون ﴿فَلَمَّا كُنْتُمْ فِيكُمْ يَخْبِتُونَ﴾ أي فإني أهدى لكم من الهدى
﴿فَلَمَّا كُنْتُمْ فِيكُمْ يَخْبِتُونَ﴾ أي فإني أهدى لكم من الهدى ﴿فَلَمَّا كُنْتُمْ فِيكُمْ يَخْبِتُونَ﴾ أي فإني أهدى لكم من الهدى

(١) وأما معنى سورة من أي معصم بعلامة قال سورة في الرد كتاب الملائكة من حين خلقهم معصم من
قد أرسلوا حين أفتاهم انصر الغيبي والكتاب

ويختر من يشاء وهو الغفور الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْكُمُوا أَيْنَمَا أَتَيْتُمَا تَحْكُمُوا هَذَا نَهَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَعْبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ تَعَالِي لِرَبِّهِمَا مَعَ التَّوْبِخِ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْحَالَةِ مِنْ نَحْبِهِمْ . قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : كَانُوا فِي تَجَاهُلِيَّةٍ بِمَا حَلَّ أَجَلَ الَّذِينَ يَقُولُ مُدَّ شَرٌّ : إِنَّمَا أَنْ تَقْضَى وَإِمَّا أَنْ تُؤْمَى إِذَنْ قَضَاءً وَإِلَّا زَادَهُ فِي الْعَمَاءِ وَزَادَهُ فِي الْقُدْرَةِ وَهَكَذَا عَلَى عَامٍ فَرَسًا تَضَاعَفَ الْقَبِيلُ حَتَّى يَصِيرَ كَثِيرًا مُضَاعَفًا ۝ ١٠ ۞ وَأَقْبُوا اللَّهَ ۞ أَي : اقْبُوا عَنَابَهُ بِشَرِّ مَا نَهَى عَنْهُ ۞ لَمْ تَحْكُمُوا قَبْلُ حُكْمًا ۞ أَي : نَكُونُوا مِنَ الْغَائِظِينَ ۞ وَأَقْبُوا الْكُفْرَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَكْفُرُ ۞ أَي : احْكُمُوا نَارَ جَهَنَّمَ ۞ أَي : هَيْتَ لِلْكَافِرِينَ ۞ وَأَقْبُوا اللَّهَ ۞ وَأَرْسُولَ اللَّهِ كَلِمَةً تَحْكُمُ زَعَمُوا ۞ أَي : اطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ اتَّكَبَرُوا مِنَ الْإِيمَانِ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ .

تِلْكَ آيَاتُ

- ١ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حِينَئِذٍ تَضَارِعُ لِحُكَايَةِ الْعَالِ الْعَاضِيَةِ بِاسْتِشَارَةِ صَوْتِهَا فِي الدَّخْرِ
- ٢ ۞ لَنْ يُبَدِّلَكُمْ فِيكُمْ ۞ التَّعَرُّضُ لِمُتَوَاتِرِ الرُّبُوبِيَّةِ مَعَ إِضَافَةِ الْمُتَخَاطَبِيِّينَ لِإِعْلَافِ كِمَالِ الْعَابَةِ بِهِمْ ، أَفَادَهُ أَبُو اسْمَعِيلَ .

ب : يَقْفَرُ وَمَذَبُ بَيْنَهُمَا طَبَاقٌ .

٣ ۞ أَفَتَحْكُمُونَ تَحْكُمَةً ۞ جِنَاسُ الْإِسْتِغْنَاءِ .

٤ ۞ وَلَا تَحْكُمُوا أَيْنَمَا ۞ سَمِي الْأَخَذُ أَكْلًا : لِأَنَّهُ يَتَوَلَّى رَبَّهُ فَيُؤْمَرُ بِحُكْمٍ مَرْمِسٍ .

تَنْبِيْهُ : ذَكَرَ الْأَضْعَافَ الْمُضَاعَفَةَ فِي آيَةِ لَيْسَ لِلْقَبِيلِ وَلَا لِلشُّرْطَةِ ، وَلِنَاوَعِ لِبَيَانِ الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ النَّاسُ فِيهَا فِي الْحَالَةِ ، وَلِنُشَبِّحَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ فِي هَذِهِ الْمَعَامَلَةِ نَفْسًا سَارِحًا وَصِدْقًا سَيًّا حَيْثُ كَانُوا يَأْخُذُونَ الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ، قَالَ أَبُو حَيَّانٍ : أَنَّهُوَ عَنِ الْحَالَةِ لِلنِّعَمِ الَّتِي يَرْفَعُونَ الرِّبَا عَلَيْهِمْ ، مَرَّةً أَسْفَرُ فِي النَّزْرِ ، نَيْسِيرَ مَالِ الْمُتَدِينِ ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ : ۞ تَحْكُمَةً ۞ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّضْعِيفَ حَقَاقِيَّةً ، هَامٌ ، وَالرَّدُّ ، مَحْذُومٌ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ ، فَهَذِهِ الْحَالُ لَسْتُ قَبْدًا فِي أَسْمَى ۝ ١١ ۞

١٢٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ۞ وَتَكَادُوا بِأَنَّ تَكْفُرُوا بِرَبِّكُمْ عَظِيمًا . ۞ إِلَى ۞ وَتَكْفُرُوا بِرَبِّكُمْ وَكَلِمَةً كَثِيرَةً ۞ وَكَلِمَةً كَثِيرَةً ۞ مِنْ آيَةِ (١٣٣) إِلَى نِهَازَةِ آيَةِ (١٤٨)

الْمَذْسُوبَةُ : لَمَّا حَثَّ تَعَالَى عِلْمَ الصَّبْرِ وَالْإِثْرَى وَبِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى إِعْدَادِ اللَّهِ لَهُمْ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، عَقِبَهُ بِالْأَمْرِ بِالسَّارِعَةِ إِلَى نَيْسِ رِضْوَانِ اللَّهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ بِالتَّفْصِيلِ غَزْوَةَ أُحُدٍ وَمَا نَالَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا مِنَ الْهَزِيمَةِ بَعْدَ احْتِسَارِ سَبَبِهِ مَخَالَفَةِ أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ ، ثُمَّ سَيَّرَ أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ سَبَبَ الْحَيَاةِ ، وَأَنَّ قَتْلَ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَنْفَعِي أَنْ يَدْخُلَ الْوَهْمُ إِلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ تَوَلَّى الْأَبَاتِ

الكريمة في بيت الله ومن والغير من غزو، أحد

الشيعة ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ ذَاكِرُوا﴾ ﴿أَنْتَرُ﴾ ﴿الرحاء﴾ ﴿وَالْعَرَّاءُ﴾ الشدة والغيظ ﴿وَالْمُطَهَّرَةُ﴾ كلهم الغيظ رذء في الجوف يقال: كلهم غيظه أي سم يظهره مع قدرته على بفاعه بالعذر، مأخوذ من كلهم الغيرة إذا ملاها وشدها ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ العاجلة: العمل الذي تناهى في الفصح ﴿سَلَكُ﴾ مضت ﴿سَلَكُ﴾ السلك: جمع منه وهي لغيره التي يقتدى بها، ومنها سنة النبي ﷺ والمبادئ بها هذا: الوقائع التي حصلت لمكذسب ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ جرح بالفتح والضم، قال الفراء: هو بالفتح: العرج والضم: الله، وأصل الكلمة: السلولس ومنه ما قرأنا ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ بصرناها والمدالة: نقل الشيء من واحد إلى آخر يقال: تداوله الأباي إذا نقل من شخص إلى شخص ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ السحيف: التخليع، يقال: محضته إذا خلطت من كل عيب، وأصله في اللغة: النقية والإزالة ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ المحض: نفس الشيء، قليلاً قليلاً ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ جمع عطف وهو مؤخر الرجل يقال: اتعجب على عظمه أي رجع إلى ما كان عليه ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ له وقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ كم، وهي للتكثير وأصلها: أتى دخلت عليها كلمة، التنبيه فأصبح معاً التكثير ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ جمع وهي نسبة إلى ضرب كالروائيين وقد انعاده الانتباه العدادون لهم، وقيل نسبة إلى الرية، هي الجماعة ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ جعلوا ودوا، وأصله من السكون: لأن الغاضب يحسن لصاحبه ليصنع به ما يريد.

﴿وَنُكَلِّبُهُمْ ذَاكِرُوا﴾ ﴿أَنْتَرُ﴾ ﴿الرحاء﴾ ﴿وَالْعَرَّاءُ﴾ الشدة والغيظ ﴿وَالْمُطَهَّرَةُ﴾ كلهم الغيظ رذء في الجوف يقال: كلهم غيظه أي سم يظهره مع قدرته على بفاعه بالعذر، مأخوذ من كلهم الغيرة إذا ملاها وشدها ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ العاجلة: العمل الذي تناهى في الفصح ﴿سَلَكُ﴾ مضت ﴿سَلَكُ﴾ السلك: جمع منه وهي لغيره التي يقتدى بها، ومنها سنة النبي ﷺ والمبادئ بها هذا: الوقائع التي حصلت لمكذسب ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ جرح بالفتح والضم، قال الفراء: هو بالفتح: العرج والضم: الله، وأصل الكلمة: السلولس ومنه ما قرأنا ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ بصرناها والمدالة: نقل الشيء من واحد إلى آخر يقال: تداوله الأباي إذا نقل من شخص إلى شخص ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ السحيف: التخليع، يقال: محضته إذا خلطت من كل عيب، وأصله في اللغة: النقية والإزالة ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ المحض: نفس الشيء، قليلاً قليلاً ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ جمع عطف وهو مؤخر الرجل يقال: اتعجب على عظمه أي رجع إلى ما كان عليه ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ له وقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ كم، وهي للتكثير وأصلها: أتى دخلت عليها كلمة، التنبيه فأصبح معاً التكثير ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ جمع وهي نسبة إلى ضرب كالروائيين وقد انعاده الانتباه العدادون لهم، وقيل نسبة إلى الرية، هي الجماعة ﴿وَنُكَلِّبُهُمْ﴾ جعلوا ودوا، وأصله من السكون: لأن الغاضب يحسن لصاحبه ليصنع به ما يريد.

وَمَا سَعَوْا إِلَّا بُنْكَاءً ۖ وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ بِالصَّابِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آفِرْنَا بِهِمْ رُسُلَهُمْ جَاءَتْهُمْ أَتَانَا وَالْعَمَلُ عَلَى الْقُلُوبِ خَفِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ فَاعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ عَلَى الْكَبِيرِ ﴿٢٦٦﴾ وَالنَّبِيِّ ﴿٢٦٧﴾

الْمُتَّقِينَ ﴿٢٦٨﴾ ﴿تَذَكَّرُوا إِلَىٰ مَثَلٍ قَدْ خَلَّ فِي قُلُوبِهِمُ الْكِبَرُ﴾ أي نادوا إلى ما وجب المنقورة بعبادة الله وامتثال أوامره ﴿وَعَسَىٰ عِزُّهُمْ أَكْثَرُ مِنَ الْإِنْفِ﴾ أي زائده واسعة عرسها كعرس النساء والأرض كما قال في سورة العنكبوت ﴿تَزِيدُ كَرَمًا تَقْشَرُونَ﴾ والمرص بيان سعتها، فإذا كان هذا عرسها بما طلت بطولها ﴿أَفَحَدَّثَ فَلْتَفِيرُ﴾ أي حيث للمفسرين منه ﴿فَلْيَنْتَفِعُوا بِهَا إِنِ اشْتَرَوْا بِهَا حَيَاتٍ﴾ أي يبالغون أنوالهم في اليسر والعسر وفي الشدة والرخاء ﴿وَالْعَظِيمُ الْمُعْظَمُ﴾ أي يستكبرون عظمهم مع قدرتهم على الاستقام ﴿وَالْقَائِلِينَ عَلَىٰ آلِهِمْ﴾ أي يهفون عن أسماء إليهم أو طاعتهم ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ بَيْنَ الْأَيْدِي﴾ أي يحب المنصفين تلك الأوصاف الحليمة وغيرها ﴿وَالَّذِينَ يَزِيدُوا فِي كَيْدِهِمْ﴾ أي يتكبروا دنيا قبيحة كالكبرياء ﴿أَوْ طَعَنُوا فِي الْأَنْبِيَاءِ﴾ أي بيان أي ذنب ﴿وَكَلَّوْا اللَّهُ فَاسْتَفْهَمُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي تذكروا عظمة الله ووعيد لمن عصاه فافهموا عن لديد ونايوا ونايوا ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا كُتِبَ لَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا فِيهَا وَيَعْمَلُوا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي لا يغفروا الذنوب إلا الله وهي حسنة آخر أهبة لطيب نفوس العباد وتنشيطهم لذنوبه وبيان أن الذنوب - وإن جئت - فإن عفو الله تعالى أحسن ورخصته أوسع ﴿وَأَمَّا بَعْدُ أَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا مَلَغَتْ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي لم يغفروا على فتح فعلهم وهم عاكفون بقمحة كل بطلعون - يتوبون ﴿أَوَلَيْكَ حَزَنٌ مِّمَّا يَفْعَلُونَ﴾ أي الموصوفون بذلك الصفات الحميدة جزأهم ونوالهم العفو عما سلف من الذنوب ﴿وَلَيَحْزَنَ غَيْرِي مِنْ نَحْوِهَا الْآخِرُ﴾ أي وبه - حدث تحري خلال شجارها الأنهار ﴿سَيُكَلِّمُكَ فِيهَا﴾ أي ماكنش فيها آية ﴿وَيُكَلِّمُ الْغَابِغِينَ﴾ أي بعدد الجنة جزأها من أطاع الله، ثم ذكر نعمتي نعمة تفصيل عزوة أحد بعد تهييد مبادئ الرشد والصلاح فقال: ﴿قَدْ خَلَّ مِنْ دَخَائِلِهِمْ شَافِيَ﴾ أي قد مضت سنة الله في الأمم الماضية والله لا يهلك ولا استنصال سبب مخالفتهم الأنبياء ﴿فَيُكَلِّمُكَ فِيهَا﴾ أي كلف كان عفة الغابغين ﴿أَي نَعْمُوا أَعْيَارَ الْمَكْدِيِّينَ وَمَا نَرَىٰ بِهِمْ نَسْتَفْهَمُوا أَعْيَارَهُمْ مِنْ دَارِ هَلَاكِهِمْ﴾ هكذا يَكَلِّمُ ﴿أَي عِدَا الْفِرَاقِ﴾ أي بيان شافق للناس عامة ﴿وَفَدَىٰ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ﴾ أي وهنا به لتعريف الرشد وموعظة وذكرى للمنافقين بالله وبأنه خص المنصفين بالذكر لأنهم هم المستفدون من دون سائر الناس، ثم أخذ يسلمهم عنا أصابهم من الهزيمة في وقعة أحد فقال: ﴿وَلَا تُهِنَّا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي لا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا عن ما أصابكم من خيل أو فرسة ﴿وَأَلَّامُ الْغُفُورِ﴾ أي وأنتم الغافرون لهم المستغفرون منهم، فإن كانوا قد أصابكم يوم أحد فقد أهبطت بهم يوم بدر

(٢٦٤) قال من حسن الحاجة: الزنا، وضع لهم ما دونه من العز والتمسك

(٢٦٥) اعتبار الظفر وبعض المفسرين أن تكون الإشارة واسعة إلى ما قدم ذكره، والمضمر هذا الذي أمضت لكم وما أنكم من أخبار هلاك الأمم فباعتد به سائر الناس من انتمى وهدى من الضلالة ومروعة للمنعين

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي إن كنتم حقاً مؤمنين فلا تهوا ولا تحزنوا ﴿إِنْ يَسْتَكْبِرُوا﴾ أي إن استكبروا فقد من الله عليهم ﴿وَلَقَدْ مَتَرْنَا إِلَهُكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ أي الأيام دول، يوم لك ويوم عليك، ويوم شه ويوم نسر ﴿وَلَقَدْ مَتَرْنَا إِلَهُكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ أي نفس ذلك ليستحكم فيرى من يصبر عند الشدائد ويصبر بين المؤمنين والمنافقين ﴿وَلَقَدْ يَمَنُّونَ بِكُمْ شَكّاً﴾ أي وأكرمهم بمضركم بنعمة الشهادة في سبيل الله ﴿وَلَقَدْ لَا يَمَنُّونَ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي لا يحبب المنعطين ومنهم المنافقون الذين استخذلوا عن نبه يوم أهد ﴿إِلَّا يَتَّبِعُنَا أَنْقَبُ إِلَيْنَا﴾ أي يتفهم ويظهرهم من الذنوب ويبرزهم عن المنافقين ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْنَا﴾ أي بهلكهم شبهة فليست ﴿إِنْ يَحْكُمُوا الْقَضَا﴾ استفهام على سبيل الإنكار، أي هل تطوفون بأعشر المؤمنين أن نأمر الله بدون قتال، ومحبص ﴿وَلَقَدْ يَمَنُّونَ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ تَقْوَىٰ عَلَيْهِمْ وَاتَّخَذُوا بِهِمُ اتَّخَذُوا﴾ أي ولما جاءهم في حبيبه فيعلم الله جهدهم وصبركم على الشدائد، قال الطبري: الحمى. أقتسم بأعشر أصحاب محمد أن نأمرهم كرامة ويحكم ولما يتبين لصنادي المؤمنين الصجد بدون شك في سبيل الله والصابرون عند اليأس على ما يبالهم في ذات الله من أتم ومكره ﴿وَلَقَدْ كُنَّا نَمُنُّ بِتَوَارِكِ الْآيَاتِ﴾ أي كنهه قد دون آياته الأعلام، انظروا يا أشقاء ﴿إِنْ يَنْزِلُ أَرْتَفَاقٌ﴾ أي من قبل أن تنزلوا شدة، والآية عتد في حق من تهزم ﴿فَلَقَدْ وَابَّتْهُمْ وَرَأَوْا تَقَابُورًا﴾ أي رأوا أعينكم حين قتل من إخوانكم وشاغبتم أن تقتلوا، ونزل لنا إشاع الكافرون أن محمداً قد قتل، وقال المنافقون: إن كان قد قتل فقلوا نرجع إلى ديننا الأول ﴿وَلَقَدْ كُنَّا نَمُنُّ بِرُسُولِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَنزَلْنَا إِلَيْنَا الْوَحْيَ﴾ أي ليس محمد إلا رسول مضى قبله رسول، والرسول مبعوث من مات ومنهم من قتل ﴿فَتَجَعَلْنَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي أن آياته، أن الله أو قتله للكمال ارتدتم كفاراً بعد إيمانكم ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ قُلٌّ يَسْأَلْهُ اللَّهُ شَيْئاً﴾ أي ومن يرتد عن دينه فلا يضر الله، وإنما يضر نفسه بتعرضه للسلط والعذاب ﴿وَيَسْأَلُهُ اللَّهُ شَيْئاً﴾ أي يسأل الله المطيعين ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْهُ﴾ ولم يتغيروا، ثم أحسن تعالى أنه حمل لكل نفس أجلاً لا يتقدم ولا يتأخر فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمَنْ يَكْفُرْ أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ﴾ أي بإرادته، مشيئة ﴿كَفَىٰ لُؤْلُؤًا﴾ أي كتب لكل نفس أجلاً كتاباً مؤثراً يوفق معلوم لا يتقدم ولا يتأخر، والفرع من حرصهم على الجهاد وترغيبهم في لقاء العدو، فالمتبع لا يريد في الحياة والشجاعة لا تنقص منها، وانعزل لا يدفع القدر، والإنسان لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خاض المهالك وانضم للعدوك ﴿وَتَسْأَلُهُ الْأَنْبِيَاءُ نَفْسَهُ﴾ أي من أراد بعلمه أمر الدنيا أعطيت له منها وليس له في الآخرة من نصيب، وهو نعيم من الذين رغبوا في الدنيا، فين تعالى أن حصول الدين للإنسان ليس بمرغص عطاء، لأنها مبدولة للبر والمجاهر ﴿وَمَنْ يُؤْتِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نَفْسَهُ﴾ أي ومن أراد بعمله أجر الآخرة أعطيت له الأجر كاملاً مع ما قسم الله من الدين، كقولنا: ﴿مَنْ كَلَّمَ رَبِّهِ تَرَكَ الْآخِرَةَ يَوْمَ نَمُوتُ﴾

حَرْبِهِمْ، ﴿وَسَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ﴾ أي سنطهيه من فضلنا ورحمتنا بحسب شكرهم وعملهم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ أي نجزى من الأنبياء فضل لإصلاح كلمة الله وفائق معه علماءه واتباعه ﴿وَالْعُدَاءُ صَالِحُونَ قَاتَنُوا فُقُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ﴾ ﴿فَمَا وَفَّوْا لِمَا كَسَبَتْ يَدَايِهِمْ تَتَذَكَّرُ﴾ أي ما جيتوا ولا ضعفت منهم لما أصابهم من القتل والجراح ﴿وَمَا حَسَمُوا﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا اسْتَنْصَلُوا﴾ أي ما دلوا ولا خضعوا العدوهم ﴿وَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ أي يحب الصابرين على مقاساة شدة والاهوال في سبيل الله ﴿وَمَا كَانُوا فُتِلُوا إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ﴾ أي ما كان قولهم مع ثباتهم وفوقهم في الدبر لا طلب المغفرة من الله ﴿وَأَنزِلْنَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي وفريقنا ونفصيرنا في راس طاعتك وعبادتك ﴿وَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ أي لثباتهم في مواضع الحرب ﴿وَأَسْرَرْنَا عَنْ أَنْصَارِهِمُ الْمُكْفِرِينَ﴾ أي انصرونا على الكفار ﴿فَكَفَرُوا بِهٖ فَكَفَرُوا﴾ أي جمع الله لهم بين جزاء النسيب بالعبية والمكر والنظر والتمكين لهم بالبلاد، وبين جزاء الأخيرة بنجدة ونجسها ﴿وَأَنَّهُمْ نَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ أي يحب من أحسن عمله وأخلص نيته، وخمس ثواب الأخيرة بالتحسن إشعاراً بفضلنا وأنه المحدث به عند الله.

البنالغة تفصت الآيات الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي

- ١- ﴿مَنْ حَرَبَكُمْ فَاسْتَعِينُوا﴾ الآية الأولى أي كمرض السموات والأرض، حذت أداة التشبيه ووجه الشبه، يسمى هذا التشبيه الطبع
- ٢- ﴿وَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ من باب تسمية الشيء باسم سببه أي إلى مرعيات المغفرة.
- ٣- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية الثانية، وهو من المحسنات البديعة.
- ٤- ﴿وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِّنْ ظُلُمٍ فَلِظُمِهِمْ﴾ الآية الثالثة استفهام يقصد منه النبي أي لا يفر
- ٥- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية الرابعة بالبعد للإشعار بعد منكرتهم وعلو طاعتهم في الفضل.
- ٦- ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ الآية الخامسة المنصوص من بالحدج محذوف أي: ونسم آخر المعاملين ذلك.
- ٧- ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ هو من باب الالتفات؛ لأنه جاء بعد لفظ ﴿يَوْمَ﴾ فهو التفات من العاشر إلى الثانية، والمرمى بهذا الالتفات تعظيم شأن الجهاد في سبيل الله.
- ٨- ﴿وَمَا كَانُوا فُتِلُوا إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ﴾ الآية السادسة فسر موصوف على صفة.
- ٩- ﴿وَأَنزِلْنَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الآية السابعة قال في التلخيص (البيان): هذه استعارة، والمراد به، الرجوع عن دينه، شبهه مرجعته الرجوع في الارتباب بالرجوع على الاعتقاد^(١).

الموائد

الأولى في هذه الآيات الكريمة ﴿وَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ أي سمات مكافآت الأخلاق من

(١) ذهب الطبري إلى أن معنى ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ أي جمع كثرة. وهذا قول قتادة، وعن الحسن أنه مراد بـ

كثيرون

(٢) التلخيص البيان ص ٢١.

التماس ونحن في مصافنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذ، ويسقط وأخذ، ثم ذكر سبحانه أن ثالث الأمانة تكون عامة بل كانت لأهل الإخلاص، وفي أهل النفاق من خوف وفزع فقال: ﴿يَتَوَكَّلْ عَلَىكَ يَكْفُرْ﴾ أي ينشئ النوم مرفقا منكم وهم المؤمنون المتخلصون ﴿وَمَا يَكْفُرْ﴾ قد آمنتمهم أمشيت أي وجهاة أخرى حمفتهم أنفسهم على الهزيمة فلا رغبة لهم إلا نجاتها وهم المنافقون، وكان السبب في ذلك نوع من سحر كين بالرجوع إلى القتال، فبعد المؤمنون منهضين للحرب فأمر الله جنسهم لأمانة فأناموا: وأما بعد فقول الذين أزعجهم الخوف يأذا يرجع الكفار عليهم فقد طار النوم من أعينهم من لزعج والجزع ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ يأخذون بالحق على أنفسهم أي يفتنون بالله الظنون السيئة مثل طعن أهل الحاملة، قال ابن كثير: وهكذا لا اعتقدوا أن الشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها العيصلة، وأن الإسلام قد باد وأعله، وهذا شأن أهل الفرس، والشك، إذا حصل أمر من الأمور انقطعوا نحصل بهم هذه الظنون الشبهة: ﴿يَقُولُ لَهُ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ليس لنا من الأمر شيء، ولو كان له اختيار ما خرجنا لقتال ﴿قَالَ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي في ما محمد لا أوتيت المتأففين الأمر كله بيد الله بصرفه كتب ذلك ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ أي آمروهم ما لا يفتنون كما في يفتنون في أنفسهم ما لا يفتنوا ذلك، ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ أي كان لنا من الأمر شيء، لا اختيار لنا لم نخرج فلم نقتل ولكن أكرهنا على الخروج، وهذا تفسير لما يظنون: قاله الفرس: أو من طعننا النوم ذلك النوم وبني لأسمع قول معتب بن بشير، والناس يعشاي يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا، ﴿قَالَ لَوْ كُنْتُمْ فِي يَدَيْكُمْ لَرَأَوْهُ لَوْنٌ كَثِيرٌ عَلَيْهِمْ أَتَقُولُونَ﴾ أي فأنهم يا محمد: لو لم نخرج حواسر بيونكم وفيكم من قدر الله عب القتل لخرج أولئك إلى مصارعهم، فقد الله لا ناصر منه ولا منفر ﴿وَلَسْتَ تَتَوَكَّلُ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي لا يختار ما في قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلَسْتَ تَتَوَكَّلُ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي وليمني ما في قلوبكم ويظهره، فعل بكم ذلك ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُ يَدَايُ الْعُسُودِ﴾ أي عالم الأسرار مضاع على الصغار وما فيها من حذر أو شر، لم ذكر سبحانه الذين انهمروا يوم أحد فقال: ﴿إِنْ الْقَوْمُ ثَوَقَا بِكُمْ﴾ أي انهزموا منكم من الصعوبة ﴿يَوْمَ أَتَقَطَعَ لِمُتَّقِي﴾ أي جمع المسلمين وجمع المشركين ﴿لَقَدْ أَتَقَطَعَ الْقَبَضُ يَتَمَنَّى مَا كُنْتُ﴾ أي إنما ألهم لسلطان يوسوسه وأرهم في الخفية بعض ما جعله من الأدب وهو مخالفة أمر الرسول، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُ يَدَايُ الْعُسُودِ﴾ أي أخذوا من عقوبتهم وجمعهم ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ جَسَدٌ﴾ أي واسع الصغرة، حلب لا يعجل العترة لمن عصاه، ثم هي سبحانه عن الاقتداء بالمنافقين في أقوالهم وأفعالهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَكَّلُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ أي لا تكونوا كالسالمين ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُ يَدَايُ الْعُسُودِ﴾ أي وقفاوا لإخوانهم من أهل النفاق إذا خرجوا في الأسفار والحروب ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لو خرجوا غارس في سبيل الله ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ عِدَّةً مَا عَادُوا يُرْجَاوْنَ﴾ أي لو أقاموا عددا ولم

بحرجوا لما ساروا ولا فلقوا، قال تعالى: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي فلقوا ذلك ليجيب ذلك الاستعداد المتأخر في قوله: ﴿وَيَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي فلقوا واعتفادهم أي عز سببها، ثم جري السبب فلا يصح فسرته لعدم ﴿وَأَمَّا يَتَذَكَّرُ﴾ أي مطلع على أعمال العبد وحزبه عليه ﴿وَلَيْسَ يُدْعَىٰ لِكَيْلِ لَيْسَ﴾ أي استشهدتم في الحرب والجهاد ﴿لَوْ لَمْ﴾ أي جاءكم الموت وأنتم ومصدق قتلهم ﴿تُسْفَرُونَ﴾ أي فلقوا فلقوا بغير ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي ذلك غير من الغاء من المايات وجمع حذابة الفاعل ﴿وَلَيْسَ يُدْعَىٰ لِكَيْلِ لَيْسَ﴾ أي رساء متغير فرائدكم أو فلقه في سائر الحرب فلا يرحمكم إلى غلبه فيحكم بأحكامكم، فلقه ما يفرحكم إلى طعه ويوجب لكم رساء من الجهد في سبيل الله والتمس بعده، والله در الخلق حيث يقول:

فإن سبكي الأعداء فليست أشنت فلتل لمرى سلب فر الله أفصل

البلاغ

١- ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي لا يرحمكم من الإساءة إلى الكفر، وهو من باب الاستعداد وقد تقدم.

٢- من لفظ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ و ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي الأية طلاق وحذابة بين ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ و ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾

٣- ﴿وَلَيْسَ يُدْعَىٰ لِكَيْلِ لَيْسَ﴾ أي لم يقل، وليس متواعم بالوضع الظاهر مكن العسير للتأنيط والتشعار بأنهم طالبون برصعهم الشيء في غير موضعه، والمخصوص بالذم محذوف أي من متواعم الفاعل البار، أداة أو السجود.

٤- ﴿لَوْ لَمْ﴾ أي فلقه في سائر الحرب فلا يرحمكم إلى غلبه فيحكم بأحكامكم، فلقه ما يفرحكم إلى طعه ويوجب لكم رساء من الجهد في سبيل الله والتمس بعده، والله در الخلق حيث يقول:

٥- ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي لا يرحمكم من الإساءة إلى الكفر، وهو من باب الاستعداد وقد تقدم.

٦- ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي لا يرحمكم من الإساءة إلى الكفر، وهو من باب الاستعداد وقد تقدم.

٧- ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي لا يرحمكم من الإساءة إلى الكفر، وهو من باب الاستعداد وقد تقدم.

فَلَمَّا دَخَلَ أَشْرَكَ كَثِيرًا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِيهِمْ أَهْلُ خَوَالِدٍ وَسَعْدٍ وَالْجَبَلِ وَمَنْ جَاءَ مِنْهُمْ وَاسْتَرْسَلُوا إِلَى الْعَنْبَرِ لَأُتْرَقُوا فَلَمَّا لَقُوا فِيهِ أَحْمَدَ بْنَ سُوَيْدٍ أَوْ قَالَ سَعْدَ بْنَ إِدْرِيسَ قَالَ لَهُ أَتْزِيلُهُ قَالَ نَحْنُ بِكَ بِرَبِّكَ أَكْثَرُ وَأَنْتَ بِأَمْرِ رَبِّكَ أَكْثَرُ وَلَئِنْ شِئْتَ لَتَجْعَلُ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِ جَهَنَّمَ خَلْقًا مِثْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَوْ يَبْتَلِيهِمْ فَيَقُولَ سِعْيَاءُ جَاهِلُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَبِئَاتُوا زَكَاةً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ فِي سُبُوحٍ مُنِيرَةٍ سَعْيَاءٌ جَاهِلُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَبِئَاتُوا زَكَاةً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ فِي سُبُوحٍ مُنِيرَةٍ لَنَنْصَرِفَنَّ عَنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ إِنَّهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُلُوكُ الَّذِينَ آمَنُوا لَبِيبًا مُنِيرًا

ד ה כ

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَأْسِ ذَلِكُمُ الطَّهَارُ ۚ وَإِنِ اتَّخَذْتُمُ الْغُلَامَ وَالْحَرْثَ وَسَبَوْنَكُمْ وَالْأَسْلَافَ مِمَّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا أَن تُكُونُوا أَمْثَلُ الْكَأْسِ الَّتِي حَقَبْتُمُ الْخَمْرَ فِيهَا كَمْرٌ مُّخْتَلَقٌ وَخَمْرٌ مِّنْ غُلَامٍ ثَيِّبٍ يَخْلُقُ أَهْلَ الْمَضَاهِقِ ۚ ذَلِكُمْ فَسَادٌ فِى الصَّلَاةِ ۚ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّزِجِينَ ۚ﴾ (آية ١٥٩) إلى صلاة آية (١٦٨).

الفتاوية لا تنافي الايات للحدث عن عروة أحد، فقد ذكر محالي فيما سبق انهزام المسلمين
رما أصبوا به من غم و مصطوب، وأرشده إلى موضع الله ووصف لهم الدواعي، وفي هذه
الآيات الكريمة إن الله يوليكم الحكمة، فوجع ما الله به من امر - بية وأوامر الرسول - فقد
وسعهم - عليه السلام - تحلفه الكريم وفله الرجيم، ولم يحاط لهم بالعاطفة والشفقة وإنما
خاطبهم بالعدل واللين، وأما ما اجتمعت الاطوار حول دعونه، وتحدثت بحبه قيادته،
والآيات تحدثت عن أخلاق النبوة، وعن الكفة العظمى بعدة ارسول الرحيم والفتاة الحكيم،
وعن بقية الأحداث الهامة في تلك العروة.

الشفعة: ﴿قُلْنَا الَّذِي أَمَلَيْتُمُ الْإِنْسَانِيَّةَ أَهْلُ الْوَاحِدِيِّ﴾ هو لعليل مفني الحلق، قال الشاعر
أعشى نطاطة عظم أم حمداً أخ
وحنث أحشى عنبها من الذي الكلام
(عظيم القلب) هو الذي لا يأنر فعه ولا ينفذ ومن ذلك قول الشاعر

يُنْكِي عَلَيْهَا وَلَا تُبْكِي عَلَى أَحَدٍ فَمَنْ أَعْلَفُ أَكْبَدُ مِنَ الْإِبِلِ
 ﴿أَسْمُوهُ﴾ تَفَرَّقُوا وَأَصْلُ الْفُعْلِ الْكُسْرُ وَمِنْ ذَلِكَ لَا يَفْصِلُ إِلَهُ مَاكَ ﴿يَهْلُ﴾
 تَقُولُونَ الْخِيَانَةَ وَأَحَدُ أَعْدِ الثَّغِيرِ فِي الْخَيْبَةِ يَقْدَرُ عَلَى فُلَانٍ فِي الْغَيْبَةِ أَيْ أَعَدَّ شَيْئًا
 مِثْلَ الْخِيَانَةِ ﴿يَهْلُ﴾ رَجَعَ ﴿عَجَبٌ﴾ الْعَجَبُ الْمَغْضَبُ لِمَا أَوْدَى مِنْزِلَهُ وَمِثْرَادُ
 ﴿يَكْبِي﴾ يَدَاهُ عَمِ (شَرُّ) الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ ﴿فَلَا تَزُولُوا﴾ الْأَمْرُ الْإِذْفَاجُ وَمِنْهُ ﴿تَزُولُوا﴾
 مِنْ الْقِيَامَةِ .

سبب الخزول فقدت نظيفة جملة ما يرمي به من الخضم فقال بعض السمر: «حلي السمر» الخيا
 «أخوها» وأزل الله هؤلاء على بني كعب... ٤... الآية.

﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي بِكَ لَأَمُوتُ وَلَوْ كُنْتُ غُلًّا طَبَعَ الْقَلْبُ لَأَفْتَضُوا بِي حَتَّى يَأْتِيَ عَنِّي وَأَسْتَغْفِرُكَ وَتَقْبَلُ عَنِّي فِي الْأَمْرِ فَإِنَّ عَزَّتْ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَرَبِّهِ عَزَّ الشُّرُوكُ ۝﴾ إِنْ يُعْزِّزْكَ اللَّهُ فَلَا خَافَ لَكُمْ فِي أَنْ يَخْلُوكُمْ ثُمَّ ذَا أَوَى يُعْزِّزْكُمْ بِي بِتَوَكُّلٍ وَقَالَ اللَّهُ فَيَتَوَكَّلُ الشُّرُوكُ ۝ وَمَا كَانَ بَيْنِي أَنْ يَقُولَ وَمَنْ يَهْدِي بَابَ يَمَانٍ عَلَى بَابِ الْيَمِينِ ثُمَّ لَوْ كُنْتُ قَبِيحًا كَسَبْتُ وَهْمًا لَا يَخْلُوكُونَ ۝ أَنَسِي أَنْتَجِ بِسُوءِ اللَّهِ كَذِبًا بَارِئًا بِسَمْعِ بَرِّ اللَّهِ وَمَا كُنْتُ بِهَيْئَتِهِمْ رَقِشَ التَّبِعِ ۝ هُمْ مَرَجَتْ بَيْنَهُمُ وَاللَّهُ بَعِيدٌ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَقَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَى الشُّرُوكِ لَا يَمَنُ بِهِمْ وَشَوْكًا مِنْ أَشْيِهِمْ يَتَلَوُّوا عَلَيْهِمْ ذَمِّدُوا وَبِعَاجِهِمْ وَبِعَاجِهِمْ الْكَفَّةُ وَالْبُطْقَةُ وَإِنْ كَانُوا مِنْ مَثَلِ أَيْ سَكَنِي فِيهِ ۝ أَوْ لَنَا أَصْحَابُكُمْ شَيْبَةً قَدْ لَمْ نَسْتُمْ يَنْتَفِئُ ثُمَّ أَنْ كُنَّا قُلُوبًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ كُنَّا بِكُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا أَصْبَحْتُ يَوْمَ الْخَيْفِ لِقَامَانِ فَإِنْ لَمْ يَنْتَفِئُ الشُّرُوكُ ۝ وَبِعَاجِهِمْ الْوَيْلُ نَسْتُمْ وَقَدْ كُنَّا ثَلَاثَةً فَيَتَوَكَّلُ سَبِيحُ اللَّهِ أَوْ قَدَمُورًا قَالُوا لَوْ سَلَّمْنَا لَأَنْتَ كُنْتُمْ هُمْ فَكُنْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَكْرَبُ مَتَمَّ لِقَامَانِ يَتَوَكَّلُكَ الْوَيْلُ مِنْهُمْ مَا بَقِيَ فِي كَرِيمٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَكْتُمُونَ ۝ الْوَيْلُ قَالُوا يَوْمَئِذٍ وَرَقَعُوا فِي الْأَعْيُنِ مَا يَتَلَوُّوا قُلْ فَلَا تَزُوا مِنْ أَشْيِخْتِكُمُ التَّوَكُّلُ إِنْ كُنْتُمْ مُتَّقِينَ ۝

التَّوَكُّلُ: ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي بِكَ لَأَمُوتُ﴾ أَي نَسِيبَ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ أَوْ دَعَا اللَّهَ فِي فَيْدِكَ بِأَمْرٍ مُحَمَّدٌ كُنْتُ مِمَّا لَيْسَ الْجَانِبُ مَعَ أَصْحَابِهِ مَعَ نَهْمٍ عَالِفُوا أَسْرَكَ وَعَصُوكَ ﴿وَلَوْ كُنْتُ غُلًّا طَبَعَ الْقَلْبُ لَأَفْتَضُوا بِي حَتَّى يَأْتِيَ عَنِّي﴾ أَي تَوَكَّلْتُ جَانِي الطَّعْنِ فَاسَى الْقَلْبِ، تَمَامُ لَهُمُ بِالْغَاظَةِ وَالْجَفَاءِ، لَفَرَّقُوا عَنْكَ وَغَرَّكَ أَمْرُكَ، وَلَمَّا كَانَتْ الْفُطَاظَةُ فِي الْكَلَامِ نَفَى الْجَفَاءَ عَنْ لِسَانِهِ وَالْفُسُوءَ عَنْ قَلْبِهِ ﴿وَأَسْتَغْفِرُكَ وَتَقْبَلُ عَنِّي فِي الْأَمْرِ﴾ أَي ذَا جَاوَزَ عَمَّا تَأْتِيكَ مِنْ أَفْئِدَةٍ يَا مُحَمَّدُ، وَاطْلُبْ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ وَشَارِبِهِمْ فِي جَمِيعِ أَمْرِكَ لِيَقْبَلُكَ النَّاسُ، قَالَ الْحَسَنُ: «مَنْ شَاوَرَ فَوْرًا قَعَّ إِلَّا خُذِرًا أَلْزَمَهُ أَمُورُهُ» وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرَ الْمَشَاوَرَةِ لِأَصْحَابِهِ ﴿وَلَوْ كُنْتُ قَبِيحًا كَسَبْتُ وَهْمًا﴾ أَي إِذَا عَفِيتَ تَهْلِكُ عَلَى أَسْرِ بَعْدِ الْإِسْتِشْرَافَةِ فَاعْتَصِدْ عَلَى اللَّهِ وَفَرَّصْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ ﴿يَنْ أَمَّا يَحِبُّ الشُّرُوكُ﴾ أَي يَحِبُّ أَنْ يَمْنَحَ مِنْ عَالِيهِ، لِمَغْفِرَتِهِمْ أَمُورُهُمْ إِلَيْهِ ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَا خَافَ لَكُمْ فِي أَنْ يَخْلُوكُمْ ثُمَّ ذَا أَوَى يُعْزِّزْكُمْ بِي بِتَوَكُّلٍ﴾ وَكَانَ بَيْنِي أَنْ يَقُولَ وَمَنْ يَهْدِي بَابَ يَمَانٍ عَلَى بَابِ الْيَمِينِ ثُمَّ لَوْ كُنْتُ قَبِيحًا كَسَبْتُ وَهْمًا لَا يَخْلُوكُونَ ۝ أَنَسِي أَنْتَجِ بِسُوءِ اللَّهِ كَذِبًا بَارِئًا بِسَمْعِ بَرِّ اللَّهِ وَمَا كُنْتُ بِهَيْئَتِهِمْ رَقِشَ التَّبِعِ ۝ هُمْ مَرَجَتْ بَيْنَهُمُ وَاللَّهُ بَعِيدٌ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَقَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَى الشُّرُوكِ لَا يَمَنُ بِهِمْ وَشَوْكًا مِنْ أَشْيِهِمْ يَتَلَوُّوا عَلَيْهِمْ ذَمِّدُوا وَبِعَاجِهِمْ وَبِعَاجِهِمْ الْكَفَّةُ وَالْبُطْقَةُ وَإِنْ كَانُوا مِنْ مَثَلِ أَيْ سَكَنِي فِيهِ ۝ أَوْ لَنَا أَصْحَابُكُمْ شَيْبَةً قَدْ لَمْ نَسْتُمْ يَنْتَفِئُ ثُمَّ أَنْ كُنَّا قُلُوبًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ كُنَّا بِكُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا أَصْبَحْتُ يَوْمَ الْخَيْفِ لِقَامَانِ فَإِنْ لَمْ يَنْتَفِئُ الشُّرُوكُ ۝ وَبِعَاجِهِمْ الْوَيْلُ نَسْتُمْ وَقَدْ كُنَّا ثَلَاثَةً فَيَتَوَكَّلُ سَبِيحُ اللَّهِ أَوْ قَدَمُورًا قَالُوا لَوْ سَلَّمْنَا لَأَنْتَ كُنْتُمْ هُمْ فَكُنْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَكْرَبُ مَتَمَّ لِقَامَانِ يَتَوَكَّلُكَ الْوَيْلُ مِنْهُمْ مَا بَقِيَ فِي كَرِيمٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَكْتُمُونَ ۝ الْوَيْلُ قَالُوا يَوْمَئِذٍ وَرَقَعُوا فِي الْأَعْيُنِ مَا يَتَلَوُّوا قُلْ فَلَا تَزُوا مِنْ أَشْيِخْتِكُمُ التَّوَكُّلُ إِنْ كُنْتُمْ مُتَّقِينَ ۝

فلا يزداد في عذاب العاصي ، ولا ينقص من ثواب المطيع ﴿أَفَبِمَا نُنْزِلُ الْقُرْآنَ أَفَرُّهُ كَثُرًا أَمْ لَا يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ﴾ أي لا يستوي من أفعال الله وطلب رضوانه ، ومن عصي الله فاستحق سخطه وباء بالتعمران ﴿وَمَعَاذُ اللَّهِ لَكُمْ فِيهِ نَبَأٌ كَثِيرٌ﴾ أي مضمير ، ومرجعه جهنم وبشت النار مستترا له ﴿فَمَنْ فَرَّجَتْ يَدُ اللَّهِ عَنْ ذِي الْقُرْبَىٰ فَلَهُ مِنْ يَدِ اللَّهِ وَغِيْرَ ذَلِكَ﴾ قال الطبري : هم مختلفو العنازل عند الله ، تلحق اسبع رضوان الله للكرمة والكرام الحزير ، ولعن بلاء بسخط من الله لجهالة و لعقاب الإلزام ﴿وَيُؤْتِي بِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعَمَلِهِمْ بَصِيرٌ﴾ أي لا تخفى عليه أعماله واليد وسيد حازبه عليه ، ثم ذكر تعالى المؤمنين بالعنة العظمى عليهم بيعة خانم المرسلين فقال : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَكَرَتْ لَهُمْ رِزْقُهُمْ﴾ أي والله لقد أنعم الله على المؤمنين حين أرسل إليهم رسولا عربيا من جنسهم ، عرفوا امره وغيروا شأنه ، وعصى تعالى المؤمنين بالذكر - وإن كان رحمة للعالمين - لا هم هم المؤمنون .. ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ نَزِيلَهُ﴾ أي يقرأ عليهم الرحي المنزل ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهرهم من الذنوب ودرس الأعمال ﴿وَيُؤْتِيهِمْ أَكْثَرَ نَافِئَةٍ﴾ أي يخلصهم الغرأ المجيد والسنة المطهرة ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْ بَاطِلٍ فَفُتِحُوا﴾ أي وزنه النحل والشان كانوا قبل بعثته في ضلال ظاهر ، فتقوا من الطغمان إلى الور ، وصاروا أفضل الأمم ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُكُمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أي حين أصابكم أيها المؤمنون كارثة يوم أحد فقتلكم سبعون ﴿قَدْ أَهْمَمْتُ بِثَلَاثٍ﴾ أي في بدر حيث قتلتم سبعين وأسرت سبعين ﴿فَأَمَّا آتُكُمْ﴾ أي من أين هذا البلاء ؟ ومن أين جاءنا الهزيمة وقد وعدنا بالنصر ؟ وموضع التفريق قولهم : ﴿أَنْزِلْهُ﴾ مع أنهم سبب النكسة والهزيمة ﴿فَلَوْ يَنْزِلُ عَنْهُ الْغَيْثُ﴾ أي من لهم يا محمد : إن سبب النصبة متكم أنتم بعدصبتكم أمر الرسول وحرصكم على الغنيمة ﴿يُنْزِلُ اللَّهُ عَلَى شَيْءٍ قَرِيبٍ﴾ أي يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ﴿وَمَا أَصْحَابُكُمْ يَوْمَ أَتَى الْقَوْمَ لُفْظًا يَلْقَاوُا أَفْوًا﴾ أي وما أصحابكم يوم أحد - يوم التقى جمع المسلمين وجمع المشركين فبفضاء الله وقدره وبإرادته الأولية وتقديره الحكيم : ليصير المؤمنون من المنافقين ﴿وَلَقَدْ عَلِمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يعلم أهل الإيمان الذين صبروا وثبوا ولم يتزلزلوا ﴿وَلَقَدْ عَلِمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي يعلم أولئك الذين قتلوا في سبيل الله أو أذعنوا أي وليس أهل التفاني كعبه الله بين أبي بن سفيان وأصحابه الذين اتخذوا يوم أحد من رسول الله يذروا - وكانوا نجوا من ثلاثمائة رجل فقال بهم المؤمنون : عالموا فأنظروا المشركين معنا أو ادفعوا يشكركم سوادنا ﴿فَلَوْ أَنَّ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي قال المنافقون : لو تعلم أنكم تلبون حربنا نغفلنا معكم ، ولكن لا نعلم أن يكون قتال ﴿فَمَنْ مَقْتَلُهُمْ يَتَرَكُ الْوَرِثَةَ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ يَتَرَكُونَ﴾ أي بإظهارهم هذا القول صاروا أقرب إلى الكفر عنهم إلى الإيمان ﴿يَقُولُونَ﴾ يقولهم ثا لست في قلوبهم ، أي يظهرون خلاف ما يضمون ﴿وَلَقَدْ عَلِمُ مَا يَكْتُمُونَ﴾ أي بما يحفروه من انفاق والشرك ﴿ثَلَاثٌ قُلُوبٌ الْإِخْوَانَةُ وَقَدْ دُخِلَ فِيهَا﴾ أي يعلم الله أيضا المنافقين الذين فشاوا لإخوانهم الذين هم مثلهم ، قد فعدوا عن القتال . ﴿فَلَوْ

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَمِينٌ﴾ أي لو أظعننا العزيمون وسبعرا غصيف درجوا انصار حينا ما قتلوا ذلك ﴿قُلْ تَكُونُوا مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي قل يا محمد لا أولئك المحافين إن كان الله الخروج ينجي من الموت فدموا الموت عن أنفسكم إن كنتم مسلمين في دعواكم وإلا فممن به التريخ والتكيت وأن الموت أتاكم إنكم ولو كنتم في يروح مندة

البلاغة

- ١- ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي يهدلكم ﴿بِهِمَا مَثَلَهُ﴾ يعني من المعادلات الداعية
- ٢- ﴿وَقُلْ أَوْفُوا بِوَعْدِكُمْ﴾ تقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر
- ٣- ﴿وَمَا كَانَ يَتَى لِي بَرٌّ﴾ أي ما صح ولا استفهام، والتنفيس هنا بالبيان وهو أبلغ من تنفي

الحسن.

- ٤- ﴿أَفَنِي تَرَىٰ ذُرِّيَّتِي﴾ كثر لآء يكفون بين أمم ﴿قُلْ أُولَئِكَ﴾ هذا من الاستعارة البديعة
- ٥- ﴿قُلْ مَا شَرَعَنَاهُ إِلَّا خَلْقَ الْبَشَرِ﴾ أي الذي يذبحه من يهودي يهودي وهو دل على أني كالشعر من أدبي أمر بأن ينسج شبة فكمن عن شافع يورج بدونه
- ٥- ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنْكُمْ﴾ أي يسخط عليكم لا يكاد يوصف
- ٦- ﴿هَلْ يَرَوْنَكَ﴾ على حذف مناسف أي قو در سات متفاوتة فالسوسن درسته مرتفعة

- ٧- ﴿يَسْخَرُونَ مِنْكُمْ﴾ و﴿يَسْخَرُونَ مِنْكُمْ﴾ بينهما طباق كذا في بين ﴿يَسْخَرُونَ﴾ و﴿يَسْخَرُونَ﴾
- ٨- ﴿أَفَنِي تَرَىٰ ذُرِّيَّتِي﴾ بينهما طباق الاشتقاق وهو من المحسنات اللفظية
- ٩- ﴿قُلْ فِي هَذِهِ آيَاتِي﴾ أي في هذه الآيات ﴿قُلْ فِي هَذِهِ آيَاتِي﴾ دلافة على اعتدالي سبيل بمكارم الأخلاق، ومن محجرات أمره به أنه كان تجمع الناس له وهي العفة قائم لأن الله لم ينسج التواضع فكان أشرف الناس حبا وأوفرهم مدينا وأوداهم عملا وأسخاهم كرم وأفضعهم بيضا وكلها من ذوي العظمة، ثم كان من راحته - عليه السلام - أنه كان يرفع الثوب، ويخفف الثقل، ويرش الحمار، ويحسن على الأعراس، ويحيي دعوة العبد المسلول، فصول له وسلامه على السراج المرشح المكارم والفضل.

فائدة التواكل على الله من أعلى الدعوات لوجهين

- أولهما: صحة الله للعد ﴿إِنَّ شَيْئًا لَّيْسَ إِلَهُهُ﴾
- والثاني: لشدة في نسب لرحمن ﴿وَمَنْ يَزْكُرْ لِي تَقْوَىٰ فَهُوَ حَتَمًا﴾

٥٦٦

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبُ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُتُولًا... بَلَى... وَاللَّهُ يَمَّا تَقْتُلُونَ خَيْرٌ﴾ من أية (١٦٩) إلى نهاية الآية (١٨٠).

الفاصلة: لا تزال الآيات الكريمة تابع أحد ث أحد، وتكشف عن أسرار المنافقين ومواقفهم المخزية، وتوضح الدروس والعبر من تلك الخزوة المحزنة.

اللقبة: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ يفرحون وأصله من ابشروا: لأن الإنسان إذا فرح مفرح أثر السرور في وجهه، قال ابن عطية: وليست استغن في هذا الموضع بمعنى طلب النشارة وإتعاها بمعنى الفعل المحذوف كقوله تعالى: ﴿وَتَذَكَّرَ اللَّهُ﴾ ﴿الْفَرْحَ﴾ (بالفتح) الفرح (بالضبط) ألم الفرح وقد قدم ﴿مَدِينًا﴾ كهيئة مأخوذة من الإحسان بمعنى الكفاية، فإن الشاعر:

فتملأ بهيئاً أقطاً ونشياً، حبك من غنى شينج ورئ

﴿عَلَّ﴾ الحظ: الحبيب يستعمل في الخير والشر، وإذا لم يقيد، يكون للخير ﴿تَلَّى﴾ الإملاء: فتأخير والإسهال. قال الفرطني: والمراد بالإملاء هنا: طول الهمز ووجد العيش^(١) ﴿تَبَيَّنَ﴾ بَيَّنَّ، بَيَّنَّ، ماز وميز أي فصل الشيء من الشيء ومنه ﴿وَتَشَارَكُوا الْيَوْمَ فَا تَتَبَيَّرُونَ﴾ ﴿تَبَيَّرَ﴾ بخار ﴿تَتَبَيَّرُونَ﴾ من لطوق وهو علامة أي يزعمون أن نروم لطوق في المنق منية مغزول.

أ- عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم أحد جعل الله أرواحهم في جوف طير حضر نرد انهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى فناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أأحياء في الجنة ترزق أم لا؟ فلهذا في الجهاد ولا ينكفوا عند الحرب! فقال الله سبحانه: أنا أنصهم عنهم، فأنزل الله ﴿وَلَا تَحْسَبُ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُتُولًا﴾ الآية.

ب- عن جابر بن عبد الله قال: لقيت رسول الله ﷺ فقال: «يا جابر مالي أراك منكساً نحوك^(٢) قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً وعليه دين؟ فقال: «ألا أشرك بما لقي الله عز وجل به أباك؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «إن الله أحيأه لك وقدمه كذاخا^(٣) وما كنتم أحدًا قط إلا من وراء حجاب - فقال له: يا عبد الله تمنى أعطك! قال: يا رب أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال ثوب ثبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم إليها يرجعون، قال: يا رب فأبلغ سن ورائي^(٤) أنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبُ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُتُولًا﴾ الآية^(٥).

﴿وَلَا تَحْسَبُ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُتُولًا﴾ الآية^(٦) يعني أنهم لم يمتوا بل هم في الجنة يتناولون ثمارها.

(٦) السبب: الموت من ٧٢ والفرطني ٢٦٨/٢

(١) الفرطني ٢٦٦/٤

(٢) كذاخا: أي من جهة بدون حجاب ولا مبرر.

(٣) أسره ابن ماجه والفرطني، كذا في الفرطني ٢٦٨/٤

- عز وجل - وإرسوا به ^{١١٠} ﴿يُؤَيِّنُ قَلْبَهُمْ لَهُمْ وَالْقُوَّةَ أَمْرًا عَظِيمًا﴾ أي أحوط اطاع منه أمر الرسول وأجابه إلى الغزو - على ما به من جراح وشدة - الأبرار العظيم الثواب الجبريل ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ مِنْ أَنْكَبُوا أَنْكُمْ فَأَنكِهُوا فَاتَّخَذُوا لَكُمْ بَشْتًا﴾ أي الذين أرحف لهم المرحومون من أنصار المبشرين فقالوا لهم: إن قريشاً قد جمعت لكم جمعوا لاحتصى فحاربوا على أنفسكم! فما زادهم هذا الشؤم إلا إليه ^{١١١} ﴿وَقَالُوا سَنَسْتَدِينُ اللَّهُ لَنُكَلِّبَهُنَّ الْوَيْحَ﴾ أي قال المؤمنون - الله تافيتنا وحافظنا ومتولي أمرنا وتعم السجد والتصير لمن نركل عليه جن رعلا ﴿وَنَقْلُوهُمْ مِنَّا مَقَرًّا وَلَقَدْ يَمَنُّونَ﴾ أي مرجعوا لنعمة السلام وفصل الأجر والثواب ﴿لَمْ تَنْتَهُنَّ مَوْتًا﴾ أي لم يهلكوا مكره أو أدى ﴿وَنَكَّبُوا بِفُتُوهُمْ أَفُوتًا﴾ أي ذلوا ورضوا الله الذي هو سبيل السعادة في الدنيا ﴿وَنَكَّبُوا بِرُءُوسِهِمْ هَلْ يُصْغَىٰ لَهُ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ أُمُومٍ﴾ أي إمامة ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُخَوِّتُ أَهْلَهُ﴾ أي إله دنكم القاتل: ﴿يَوْمَ الْآيَاتُ فَتُتَوَلَّوْا لَكُمْ﴾ بقصد تنبيل المؤمن هو التنبيل بحرف فكلم أولياء ربه الكفار لترموهم ﴿فَلَا تَحْزَنْهُمْ وَلَا وَغَارُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي فلا تخافوهم ولا ترموهم فإني متكفل لكم بالنصر عليهم، ولكن خافوا إن كنتم مؤمنين حقا أن تعصوا أمري فتهلكوا، والعداد بالشيطان: فعص من مكره الأنجمي الذي أرسله أبو سفيان ليشط المسلمين، قال أبو حيان. وإنسان إلى الشيطان لأنه ناشئ عن وسوسته وأغواته وإغوائه ^{١١٢} ﴿وَلَا يَتَّبِعُكَ الْوَيْحُ إِذَا سَلَّمْتَ بِهَا وَلَكِنَّكَ أَنْتَ الْغَافِلُ﴾ أي لا تحزن ولا تخاف من محمد لأنك لا تلتصق بالمسافق الذي ياتر به نحو الكفر بأمر لهم وأفسادهم، ولا يزال يد يظهر منهم من آثار الكيد للإسلام وأهله ﴿إِنَّهُمْ لَرَبُّوهُمْ أَغْفَىٰ﴾ أي أنهم يكفروهم من بضروا الله شيئا وإنما يخبرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لِكُفْرٍ حَقًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي يريد تعالى بحكمته ومشيئته ألا يجعل لهم نصيبا من الثواب في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي ولهم فوق الحرمان من الثواب عذاب عظيم في نار جهنم ﴿إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أَكْثَرُ أَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ شَيْئًا وَلَهُ شَيْءٌ وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي الذين استلبوا الكفر بالإيمان وهم المتأفكون المذكور. وقد قيل - من بضروا الله بكفرهم وارتدادهم ولهم عذاب مؤلم ﴿وَلَا يَحْتَسِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَتَقَرَّبُوا﴾ أي لا يظن الكافرون أن إيمانهم بهم بدون جوار وعذاب، وإيمانهم لأعدائهم - غير لهم ﴿إِنَّمَا سَلَّىٰ لَهُمْ إِلَٰهَاتُهُمْ﴾ أي يسما جعلهم وتوهم إسمائهم ليكتبوا لعدائهم فترداد أفعالهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي ولهم في الآخرة عذاب يهينهم ﴿سَأَكْفُرُ اللَّهُ إِلَهُ الْكَافِرِينَ عَلَىٰ مَا أَنَّهُ خَيْرٌ مِّنْ نَّبِيِّكَ أَنُلِيبُكَ﴾ هذا وعد من الله لرسوله بأنه ميسر له المؤمنين من الكفار، والمعنى: لن يترك الله المؤمن من مخلطين بالمعنيين حتى يتبليهم ويفصل بين هؤلاء وهؤلاء، كما فعل في غزوة أحد حيث ظهر أهل الإيحاء وأهل البدن، قال ابن كثير: أي لا يذنب أحد من المحبة يظهر فيها ولله ويُصالح بها عدوه، يُعرف بها الأمة من

(١١) مختصر ابن كثير ١٣٨/١١

(١٢) مختصر ابن كثير ١٣٨/١١

انصار من العتاق العاجز كما ميز بينهم يوم أحده^{١١١} ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ عَادَةٍ فَخَرُّوا مُؤْمِنِينَ﴾ قال الطبري: وأولى الأفتان بأوليه: أي وما كان الله ليظلمكم على قلوب عاده فخرروا المؤمنين من الدنيا والآخر. ولكنه بعين بينهم بالنسح والانتلاء كما ميز بينهم يوم أحد بلباسه وجهاد عدوه^{١١٢} ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّ رَبِّهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي يختار من رحله من يشاء فخطبهم على عبيه كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿قَاتِلُوا يُقْتُلُوا وَيُتْرَكُوا﴾ أي آمنوا إيماناً صحيحاً بأن الله وحده المطلع على الخبيث وأن ما يخبر به الرسول من أمور العيب إنما هو سر من الله ﴿رَبِّهِمْ تَزَيُّرًا﴾ رَتَقُوا قُلُوبَهُمْ خِيْبَةً أي وإن تصدقوا وسفي رتقوا قلوبكم بطاعته فتكم ثواب عظمه ﴿وَلَا يَحْشُرُوا الَّذِينَ يُبْغِضُونَ بِمَا آثَرْتُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةٍ قَوْمًا﴾ لما بالغ تعالى في التحريض على بدل النفس في الجهاد شرع لها في التحريض على هذا العمل في سبيل الله، وذكر النوعين تشريعت لئلا يخل بعاله، والمعنى: لا يحسبوا البخل أن جمعه المال وبهذه يضافه بينهم بل هو مضره عليه في دينه ودينه ﴿كَرَّهُوا قَوْلَهُمْ﴾ أي كبر كما يظنون بل ذلك البخل شر لهم ﴿يَتَعَفَّوْا مَا جَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي سجعوا الله ما خلفه له طوعاً في أمانهم يذرون به يوم القيامة كما جاء في (صحيح البخاري). فمن أتاه الله مالاً فلم يوزر كانه مثل له يوم القيامة شجلاً أفرح أي ثباتاً عظمه. له ريدانه فإخذ بلهزمته - يعني شديداً - ثم يقول: أما والله أنا كثر ذلك^{١١٣} ثم تلا: ﴿وَلَا تَحْشُرُوا الَّذِينَ يُبْغِضُونَ بِمَا آثَرْتُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةٍ قَوْمًا﴾ أي جسيم ما في الكون بملك لا يعود إليه بعد فناء خلقه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّ رَبِّهِمْ﴾ أي مطيع على أمانكم.

البلاغه. قال في البحر: بصغت هذه الآيات فتوالت من السلاعة والبدع الإطبات من ﴿يَسْتَشِيرُونَ﴾ وفي ﴿أَنْ يَشْرَبُوا﴾ وفي اسم الجلالة في مواضع، والطباق في ﴿أَمْزَجْنَا لَهُمُ أَمْزَاجًا﴾ وفي ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ بِأُولَئِكَ﴾ والاستمارة في ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ وفي ﴿يَتَّبِعُونَ فِي الْكَلْبِ﴾ وفي ﴿أَنْتَ بَلِّغْ﴾ أي يراجه المؤمن والعاق، وانحذف في مواضع^{١١٤}

فائدة قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ فِتْنَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ﴾ هي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حين اتقى في النار، قال السيوطي في الإكمال: يستحب قول هذه الكلمة عند العلم والأمور العظيمة

□ □ □

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ سَمِعْتَ اللَّهَ تَنَزَّلُ لَوْنًا قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَجَبَّرُ . . . إِلَى . . . وَأَنَّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ من آية (١٨١) إلى آية (١٨٩)

الآيات بعد أن أنزلهم الاستعراض لأمر تنزلهم معركة أحد وما فيها من أحداث جسيمة، وتوالت الآيات ضمن ما تناولات مكابدة المنافقين وهوانهم، وما انطوت عليه نفوسهم من

انكبت ثلاثاً بلام والهمزة والياء والسين والظيف من انجاهم من انجاهم في سبيل الله، اعفوه تعالى يذكر دعائس اليهود وأساليبهم الخفية في محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق التشكيك والبلادة، والكيده والندم، ويجعلهم أمم منسوبة من جعلهم كما جعلهم من المنافقين، والآيات الكريمة تتحدث عن اليهود وموقفهم المخزي من الصفات الإلهية، واتهمهم لله - عز وجل - بأنهم الاتهامات: ١- البخل والعقر، ثم ناقصهم لليهود، وفشلهم للأنبياء، وعيبتهم للامة التي جعلهم الله إيماناً... إلى آخر ما هنالك من عوراتهم وشائع انصب بها هذا الجنس الدلعيون.

تَفْعُطُ ﴿عَهْدَ آبَاءٍ﴾ أَوْ هَانِ ﴿عَهْدَانِ﴾ الْفَرْدَانِ مَا يَدُوحُ مِنَ الْأَذْهَانِ تَقْوِيًّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ﴿تَنْهَيْتُ﴾ لَا يَأْتِ الْمُرَاصِحَاتِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: الْمَجِزَاتِ ﴿تَقْوِيًّا﴾ جَمْعُ رُبُورٍ وَهُوَ الْكُتَابُ مِنَ التَّوْبِيرِ وَهُوَ الْكُتَابِيَّةُ، وَالرُّبُورُ بِمَعْنَى الْأُمُورِ أَيْ أَلْكَتُورُ، كَالْكَتُورِ بِمَعْنَى الْحَرْكَاتِ، قَالَ الرَّجَاجُ: لِلرُّبُورِ: كَتَلِ كِتَابَ فِي حِكْمَةٍ ﴿تَرْسُخُ﴾ التَّرْخُوضُ: التَّسْمِيَةُ وَالْإِيمَانُ، تَكْرِيرُ التَّوْبِيرِ وَهُوَ الْجَذَابُ بِحِجَلَةٍ ﴿تَذَرُ﴾ طَفَرٌ مِمَّا يَزُلُّ وَنَجْدٌ مِمَّا يَخْتَفُ ﴿تَقْوِيًّا﴾ مَصْدَرُ غَرَفَةٍ يَنْزِعُ فَرَوْزًا أَيْ حِدَةً ﴿تَنْتَعُ﴾ التَّنَاعُ: مَا يُتَنَعُّعُ بِهِ وَيُتَنَفَّحُ ثُمَّ يَزُولُ ﴿تَنْتَوَكُّ﴾ تَتَمَتَّعُ، مَنْ بَلَاهُ أَوْ امْتَحَنَهُ ﴿كَتَوَّرَ الْأَثْمَرُ﴾ أَصْلُ انْعَزَمَ: ثَبَاتُ الرَّأْيِ عَلَى شَيْءٍ، وَالْمُرَادُ هُنَا: صِدْقُ التَّوْبِيرِ وَالرَّأْيِ، وَهُوَ مَعَانِيهِ لِكُلِّ عَاقِلٍ أَوْ يَعْرِفُ سَلْبَهُ ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بِمَنْجَلَةٍ، مِنْ قُوَّتِهِمْ: فَارِغَانِ إِذَا نَجَا.

سبب السور

أ- عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر الصديق ذات يوم بيت بلال بن رباح اليهودي، فوجد سناً من اليهود قد احتجوا إلى رجل منهم يقال له: افتحاص من عازة راءه وكان من علمائهم وأحاديثهم فقال أبو بكر لفتحاص: رويك الله وأسلم الله فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسولاً من عند الله قد جاءكم بالحق من عند ربهم، فمكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل: "فقد نحاصر الله بأبنا بكر من سائر بني الله من أحاط من فقر وإنه إلهنا للغير، ما نتضرع إليه كما نتضرع إلىنا وإنه عناغيبنا، ولو كان غيباً ما استغرض عنا كما يزعم صامكم، بتهاكم عن التوراة ويحطينا، ولو كان عاباً ما أنطق التوراة" فتغيب أبو بكر وضمه وجهه ففحصه ضرباً شديداً وقال: والذي نفسي بيده لو أن العهد الذي بيننا وبينك لصيرت عصفك به محذور الله! فتذهب فتخاصم إلى رسول الله فيزعم فقال: يا محمد الطير إلى ما صبح من صاحبك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حبيبك عني ما صنعت يا أبا بكر؟ فقال: يا رسول الله إن عند الله فإن قولاً عظيماً، وعي أن الله فقير وأنهم أغنياء، فغضب لله وصرخ وجهه: "فبعد ذلك فتخاصم إلى رسول الله وقال: على منحن من وتصدفنا لأبي بكر" ﴿تَقْدُ كَيْفَ كَلَّمَ قَوْلَ الْإِبْرَاهِيمَ قَوْلًا بِإِذْنِ اللَّهِ فَقِيحًا﴾ ﴿يَحْنُ أَسْبَابُ﴾ الآية.

ب- عن ابن عباس قال: ساء جماعة من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثعبان الأشرف:

لا نزال نرى رسول الله صلى الله عليه وآله خاصة وهي أن يقرأ نردنا نقرأ ما من اسماء فأكمله ، وهذا
 أمر ، على الله حيث لم يبعده إليهم يأنك ﴿لَقَدْ نَدَّيْنَاكَ بِسْمِ رَبِّكَ﴾ بِالتَّسْبِيحِ وَاللَّيْلَةِ قَسَمَ أَي
 قُلْ عَمَّ يَا مُحَمَّدُ تَوَسَّعًا وَإِظْهَارًا لِكَذِبِهِمْ ، قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ قَوْلِي بِاللَّهِ حَزْرَاتِ الْوَالِدَةِ حَزْرَاتِ
 وَالْحَجَّجِ الْبَاهِرَاتِ الْإِدْنَةِ عَلَى صِدْقِ بَيِّنَتِهِمْ وَيَسْمَعِي الدَّعِيَّةِ ﴿فَإِنْ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ﴾
 أَي فَلَمَّا كَفَرْتُمْهُمْ وَقُلْتُمْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَانِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّسْبِيحِ بِرِسْمِهِ ثُمَّ
 قَالَ نَعْلَى سَلْبًا لِرَسُولِهِ ﴿يَا أَيُّهَا كَذَلِكَ فَتَنَّاكُمْ كَذِبًا سَلْبًا فِي الْكَلْبِ﴾ أَي لَا يَحْرُوكَ يَا مُحَمَّدُ
 كَذِبٌ هَذَا لَكَ ، وَلَهُمْ بِنَ فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ كَذَّبْتَ أَسْلَافَهُمْ مِنْ قَبْلِ رَسُولِ اللَّهِ فَلَا تَحْزَنَ ، فَذَلِكَ
 يَوْمَ أَسْوَأَ سَيِّئَةٍ ﴿فَإِنْ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ﴾ أَي كَذَبْتُمْهُمْ مَعَ تَنَبُّهِمْ بِمَا هُمْ بِالْزَمَانِ الْعُلْمَةِ وَالْمَصْحُوحَاتِ
 لِمَا صَدَقَ ﴿فَإِنْ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ﴾ أَي بِالتَّكْذِبِ الْمَاوِيَةِ الْمَسْلُوبَةِ وَالْحَجَّجِ وَالْمَصْحُوحَاتِ
 وَالْكِتَابِ الْوَاضِحِ لِحَالِي فَاعْلَوْهُ وَإِلَّا تَعْلِيلَ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ مَوْتٍ﴾ أَي مَصِيرُ الْخَلَائِقِ إِلَى الْعَدَمِ
 وَكُلُّ نَفْسٍ مَيِّتَةٌ لَا مَحَالَةَ ، كَقَوْلِهِ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ، ﴿فَإِنْ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ﴾ أَي
 تُجَسَّدُونَ جَرَاءَ أَعْدَائِكُمْ وَإِنَّا يَوْمَ الْغِيَاةِ ﴿فَإِنْ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ﴾ أَي مَعْنَى
 يُخَيَّرُ عَنْ إِسَارٍ وَتُبْعَدَ عَنْهَا وَأَوْفَعَلُ الْحَقِّ فَقَدْ فَتَنَّاكُمْ بِالْعِبَادَةِ السَّمْعِيَّةِ وَالْمَعْنِيَةِ الْمَعْلُومَةِ ﴿وَمَنْ الْكَلْبُ﴾
 الْكَلْبُ الْإِنْسَانُ الْمَشْكُورُ ، أَي لَيْسَتْ الدُّنْيَا إِلَّا دَارُ الْعَنَاءِ يَسْتَعْمِلُهَا الْأَحْمَلُ الْمَعْرُورُ ، قَالَ ابْنُ
 كَثِيرٍ : دَلَالَةُ فِيهَا تَعْنِي لِقَاءَ الدُّنْيَا وَتَحْفِيزَ لَأَمْرٍ وَأَنْهَاةً عَنِ الْفَلَاكَةِ ﴿فَإِنْ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ﴾
 وَتَحْفِيزَ أَي وَاللَّهُ لَيَسْتَحْضِرُ وَتَحْفِيزَ فِي أَمْرِ الْكَلْبِ بِالْقُرْآنِ وَالْمَعْنِيَةِ ، وَفِي الْكَلْبِ وَالْمَعْنِيَةِ
 وَالْأَسْرَارِ ﴿وَلَيْسَتْ الدُّنْيَا إِلَّا دَارُ الْعَنَاءِ يَسْتَعْمِلُهَا الْأَحْمَلُ الْمَعْرُورُ﴾ أَي الْكَلْبُ الْمَشْكُورُ
 أَيِ وَاللَّكَمِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَشْرُوكِينَ ، أَعْدَائِكُمْ - الْأَدَى الْكَثِيرُ ، وَهَذَا إِخْرَاجُهُ مِنْ
 وَعَلَا - لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ مَيِّتَتَهُمْ بِلَايَةِ الْكُفْرَانِ مِنَ الْمَشْرُوكِينَ وَالنَّصَارَى ، وَأَمْرٌ لَهُمْ بِالصَّبْرِ عِنْدَ وَقُوعِ
 ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْعِبَادَةَ حَقٌّ وَالْعِبَادَةَ ، رَأَى مَا قَالَ : ﴿وَأَنْ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ﴾ أَي وَإِنْ نَصَبُوا عَلَى
 التَّكْفَارِ وَتَضَوُّوا إِلَهُ فِي الْأَقْوَانِ وَالْأَعْيَالِ ﴿وَأَنْ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ﴾ أَي الْعَصْرِ وَالْمَقَرِّ مِنَ
 الْأَمْرِ الَّتِي سَبَقِي أَنْ تَعْمُرُوا تَحْرُمُوا عَلَيْهَا ، لِأَنَّهَا مَعْنَى أَمْرِ اللَّهِ بِهِ ﴿وَأَنْ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ﴾
 الْكَلْبُ ، أَي أَفْكَرَ يَا مُحَمَّدُ حِينَ أَخَذَ إِلَهُ الْعَهْدَ الْبَاقِي ، عَلَى الْيَهُودِ فِي التَّوْرَةِ ﴿لَتَلْبِسَنَّ اللَّهُ لَكَ الْكَلْبَ﴾
 فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ أَي لَتَلْبِسَنَّ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ وَلَا تَحْفَرْنَهَا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فِي الْيَهُودِ ،
 وَفِي الْيَهُودِ الْعَهْدِ وَالْحَيْثُ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنَّاكُمْ بِمَعْنَى بَدَلُوا ، فَتَنَّاكُمْ وَأَنَّ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ
 وَتَحْفَرْنَ بِهِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ ، أَي مَرَّ حَوَادِثُ الْعَهْدِ وَرَأَى فَتَنَّاكُمْ وَتَحْفَرْنَ بِهِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ فَتَنَّاكُمْ فِي الْكَلْبِ
 الدُّنْيَا ﴿وَلَيْسَتْ الدُّنْيَا إِلَّا دَارُ الْعَنَاءِ يَسْتَعْمِلُهَا الْأَحْمَلُ الْمَعْرُورُ﴾ أَي بِشَرِّ هَذَا الشَّرِّ وَبَشَرِّ تِلْكَ الْخَصْفَةِ الْخَاسَةِ ﴿لَا تَحْفَرْنَ فِي الْأَنْبِيَاءِ﴾
 بِرَحْمَةٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ ، أَي لَا تَقْلُبَنَّ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْتَ مِنْ إِنْخِلَافِ أَمْرِكَ عَنِ النَّاسِ ﴿وَلَتَلْبِسَنَّ اللَّهُ لَكَ الْكَلْبَ﴾
 أَي لَتَلْبِسَنَّ اللَّهُ لَكَ الْكَلْبَ ، أَي وَتَحْفَرْنَ أَنْ يَحْمَدَنَّ النَّاسَ عَلَى تَعْمَلِكُمْ بِشَرِّكُمْ وَهُمْ عَلَى ضَلَالٍ

﴿لَقَدْ خَلَقْنَاكَ بِعَاقِلٍ مِّنَ الْإِنسَانِ﴾ أي ذكرا عاقلهم بمنحاه من عذاب الله ﴿وَلَقَدْ خَلَقَكَ أَتَمًّا﴾ أي
عذاب هؤلاء، قال ابن عباس: نزلت في أهل الكتاب سألهم النبي ﷺ عن شرب فكتبوا إليه
والأحرار، وبغيره وخرج معاوية من كتابهم إياه ما سألهم عنه ﴿﴿وَلَوْ أَنَّكَ أَشْفَرْتَ وَالْأَنْبِيَاءُ﴾
أي له سبحانه جميع ما هي السموات والأرض، فكيف يكون من له ما هي السموات والأرض
ففيها؟ ولاية ربه على الشئ فانواعاً إن الله غفور ذو فضل ﴿وَإِنَّكَ لَكُلِّ شَيْءٍ مُّخْبِرٌ﴾ أي هو
يحدثني قادر على عظام

الملائكة. نصحت الآيات للكرامة وسوقها من البيان والذبح نوحها فيما يأتي.

١- ﴿إِنِ أَتَىٰ قَوْمٌ قَوْمَهُمْ نَمَسًا﴾ أي: اليهود المحملة ﴿وَأُتُوا مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: على سبيل الاستدانة. فعبث
 نسوا إلى أنهم القوم ثم يذكروا بل أخرحو الجملة مخرج ما لا يحتاج إلى تأكيد كقوله تعالى
 وسف لهم لا يمكن فيه نزاع فيحتاج إلى تأكيد، وهذا دليل على ضرورة فهم الكفر والظلم.

٢ : ﴿سَيَكُنْ فَا قُلُوبًا﴾ فيه مجاز يسمى المجاز العظمي أي سئكتك ملائكتك، ولما كان الله لا يكتب إلا باسمه وبأمر بالكتابة أمست الفعل إليه محلاً.

٣- فَوَيْتَ بِمَا قَاتَلْتَ يُؤَيِّدُكُمُ فِيهِ مَجَازٌ مُرْسَلٌ مِنْ إِطْلَاقِ سَمِّ الْجَبَرِ وَارِدَةِ الْكَلِمِ، وَذِكْرُ الْأَيْدِي، لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَعْمَالِ تُرَارَكُ بِهِيَ.

١- ﴿فَأَنصَلُوا إِلَيْهِ﴾ إسلام الأكل لهم، النار طهرت الاستعارة، في حقيقة الأكل إنما تكون لهم
الاحسان والتعبد.

وكذلك نوحدا استعارة في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ﴾؛ لأن حقيقة الذوق ما يكون محادثة اللسان.

١- ﴿وَلَمَّا دُرِّدُوا إِلَىٰ آلِهِمْ لَمْ يَقُولُوا لِلَّهِ حُكْمٌ ۖ فَتُحْجَبُ عَنْهُمُ الرِّزْقُ وَهُمْ يَمُوتُونَ ۚ﴾ فكذلك شجرة استعمارة في الجسد والاشربة

شبه عدم التمسك والاعتماد على المادي، المعنى خولف عليه الإسلام، وما شئت، فمن قليل ما نعر صوره من الخطاء على فكم آيات الله .

• وفي الآيات الخمسة من السجرات الطيبة الصالحات في ﴿يُحْمَلُونَ﴾ و﴿تَبٰرَكَ﴾ و﴿مُنْقَلَابًا﴾

فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّبَ اللَّهُ شُرَكَاءَهُمْ وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ فَتَنَافَعُوا لَسَاءَ لَكُمْ مَا تَصِفُونَ .

وَيَجَارِ وَيَتَارِ كُلُّهَا لَيْتَ لِلْعَبْدَةِ، وَنَسَا هِيَ لِلْعَبْدِ قَالَ ابْنُ مَالِكٍ:

وَمَعَ نَامَا وَغَطَايَ نَعَمَ هِيَ لَيْتَ الْعَبْدِ مِنْ نَامَا قِيلَ

ثانية: إنَّما وصف تعالى عيش الدنيا ونعيمها بأنَّ متاع الزَّور، لما تحيى لدنيا وشبهاتها من ظواهر البُخاه وأمل الدوام فتخدعهم بصرعها، ولهذا قال حضرة العارف: الدنيا متاع زورك يوشك أن يرمحك زور زور، هذا الجُتاع واعلموا أنَّه بخلافه قائم، استطاعه، والله عالمه.

202

فَاللَّهُ تَعَالَى ﴿يَرْزُقُكَ فِي حُلِيِّ أَسَدِيكَ﴾ (الْمُلْكُ ١٠) وَأَمْسِكْ أَخِي وَأَهْلِيكَ لِيُفْخَرُوا
بِالسُّورَةِ ﴿مِنْ آيَةِ (١٩٠) إِلَى نِهَآئِهَا آيَةِ (٢٠١)﴾.

تأسس على يد أئمة هذه السورة الكريمة. فذكر أدلة التوحيد والآلوية والنسب، وخمسة، يذكر
دلائل توحده، والقدرة، واللائل، والحق، والبرهان، يستدل بها الإنسان على المبدأ والنشور
فكان ختام مسلك، ولما كان المقصود من هذا الكتاب العظيم جذب القلوب والآرواح عن
الافتغال بالخلق إلى معرفة الإله الحق، جاءت الآيات الكريمة تنير القلوب بأدلة التوحيد
وآلوية والكبرياء والجلال، فليس الظاهر إلى الفكر والتدبر في ملكوت السموات والأرض؛
لخص الإنسان إلى الاعتراف بوجود الله وباعترافه وهو شامل في كتاب الله المعطور
بالحق الصريح بعد أن شامل في كتاب الله المعطور القرآن العظيم، وفي الكتاب المعطور
بإشارات عديدة لآيات الكتاب المعطور وهو يدعو إلى معرفة الحقائق باستخدام الحواس
«وَمَا تَنْبَأُ بِغَيْبِ الْغَيْبِ إِلَّا كِتَابٌ مُبِينٌ» ﴿١٠٠﴾

المطعم، والأنتيم، العقول، الخبلا، عسا دون حكمة، شبتكو، زينة لله عن السر
 الحريكة، أولئك وأهله تقرر عنه أسر راسح، الأبرار، جمع بر أو بار وهم المستمكون
 بالشرعية، ذاك الكتاب، بمعنى كتاب، أولاً، الثؤث، ما بهياً للتزويل وهو الصيف من أنواع الأكرام
 فإطاره، اسم لطف، ثم عند العدو من التهور

[illegible][illegible]

لَهُمَا ۝ لَكَ الْوَيْلُ أَنْفَعُوا زُلْمَهُمْ فَمَا جئتكم بآية من عِندِ الْكَافِرِينَ ۝ يَتْلُو تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ عَلَى غُلَامٍ مُّؤْتَمِرٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ أَسْمَاءَهُمَا فِي مِائَةِ أَلْفٍ نَقْلٍ ۝ وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۝

التفسير: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكِينَ وَالْأَنْفُسِ﴾ أي إن في خلق السموات والأرض على ما بهما من أحكام وإبداع ﴿وَالْفُلُجِ وَالْبَلَدِ الرَّحِيمِ﴾ أي وتعاقب الليل والنهار على الدوام ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا الْأَنْبِيَاءَ﴾ أي علامات واضحة على الصانع وباهر حكمته، ولا يظهر ذلك إلا لدوي العقول، الذين ينظرون إلى الكون بطريق التفكير والاستدلال لا كما تنظر البهائم، ثم وصف تعالى أولي الألباب فقال: ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَأُحْضِرُوا فِيهَا مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَلْقِ السَّمَكِينَ وَالْأَنْفُسِ﴾ أي جميع الأحوال في حال القديم والقصور والاضطجاع فلا يفكرون عنه تعالى في عامة أوقاتهم؛ لا يفتنون قلوبهم بذكره واستغراق سرائره في مراقبته ﴿وَيَتْلُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكِينَ وَالْأَنْفُسِ﴾ أي يتدبرون في ملكوت السموات والأرض في خضعهما بهذه الأجرام العظام وما فيها من عجائب المصنوعات وغرائب المستعجمات قائلين: ﴿وَرَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ أي ما خلقت هذا الكون وما فيه شيئاً من غير حكمة ﴿سُبْحَانَكَ قَدَافَتُكَ آتَاهُ﴾ أي مترك يا الله من العبث فأجونا واحنا من عذاب جهنم ﴿وَرَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُخَلِّقُ الْآفَاقَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ أي من أذخلته النار فقد أذللته وأهنته غاية الإهانة، وقضت على رومي الأشهاد ﴿وَمَا يُلْقِيهِمْ مِنْ أَسْكَرٍ﴾ أي ليس لهم من يسحقهم من عذاب الله، والمراد بالظالمين: الكفار كما قال ابن عباس وجمهور المفسرين، وقد مرح به في (المعزة) ﴿وَالْكَافِرِينَ هُمْ الْأَعْيَانُ﴾، ﴿وَرَبَّنَا إِنَّا أَمِينًا مُّؤْتَمِرِينَ بِنَاوِي، بِإِيمَانٍ﴾ أي داعياً يدعو إلى الإيمان وهو محمد بن: ﴿وَلَمْ يَأْمُرُوا بِرَيْبِكُمْ قَدَافَةً﴾ أي يقول هذا الداعي: أيها الناس آمنوا بربكم واشهدوا له بالوحدانية فنهضنا بذلك واتبعناه ﴿وَرَبَّنَا قَاتِلْهُمْ لَئِنْ دُونَهُ﴾ أي اسمر لنا قلوبنا ولا تفضحنا بها، ﴿وَصَحِّفْ لَنَا سِتْرَانِي﴾ أي امح بفضلك ورحمتك ما ارتكبناه من سيئات ﴿وَرَبَّنَا تَعَالَى الْوَكْرَارُ﴾ أي الحقنا بالماحيين، قال ابن عباس: اللذوب هي الكبائر والسيئات هي الصغائر ويؤيده: ﴿إِنَّ تَقْوِيَةً كَثِيرَةً تَأْتِيهِمْ عَنْهُ تَكْفِيرٌ تَكْفِيرٌ تَكْفِيرٌ﴾ فلا تسرروا إذا ﴿وَرَبَّنَا إِنَّا مَا كُنَّا عَلَى رَيْبٍ مِنْكَ﴾ تكرر المنداء للتضرع ولإظهار كمال الخضوع لحي أعطنا ما وعدتنا على السنة وسلك، وهي الجنة لمن أطاع، قال ابن عباس: ﴿وَلَا تُخَيِّبْنَا بِرَيْبِكَ﴾ أي لا نفضحنا كما فضحت الكفار ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلُقُ إِلَّا بِرَبِّكَ﴾ أي لا تخلق وعدك من آمن بالجنة ﴿فَتَشْكُرُ لَهُمْ زُلْمَهُمْ أَيْ لَا تُصِيبُ عَقْلَ غَيْبٍ يُرِيكُمْ بَرِّكَ أَوْ نَقْصٍ﴾ أي أجاب الله دعاءهم بقوله: إني لا أنقض عمل من عمل خيراً ذكراً كان العامل أو أنثى، قال الحسن: أما زوالوا يقولون: ربنا، ربنا، حتى استجاب لهم: ﴿تَشْكُرُ بَرِّكَ بَرِّكَ﴾ أي الذكور من الأنثى، والأنثى من الذكور، فإذا كنتم

مشتري في الأصل فكذلك أنتم مشركون في الإيمان **﴿قَالُوا مَا سِرُّكَ يَا بَرِيقٌ﴾** أي
 مجرباً وطاهراً غارياً مديناً، وأصحابهم المشركون إلى الخروج من الديار **﴿وَأُرْزُقِي كَيْفَ﴾**
 أي كما أريد من قبل من الله **﴿وَقَالُوا وَقُلْهُنَّ﴾** أي وقائلوا أعدائي وقتلوهم في ميادين
﴿أَكْفِرُنَّ فَلَنْجَنِّبَنَّهُنَّ﴾ أي لنصرفهن بما يلزم لأصول دينهن بميلهن ورحمتي **﴿وَلَا نَجْنِبُهُنَّ**
 مَنَعَهُنَّ فَمَنَعِي وَرَأَيْنَهُنَّ أَكْفَرُنَّ فَوَدَّعَيْنَ مَدِينَهُنَّ﴾ أي ولما عاهدناهم عاهدناهم بجزء من هذا ما
 على أعمالهم الصالحة **﴿ثُمَّ عَزَوْنَهُنَّ فَنَحَّسَ الْفُجُورَ﴾** أي عدهن حبي الدمار وهي لعدة أخى لهن ما
 لا عسى رأيت، ولا أدنى سمعت، ولا خطر خطر قوت وشدة ثم نبهتني إلى ما عبيد الكفار في
 هذا الدار من البصيرة والحيلة والتسوية، وبني أنه عجم زائل ففارق **﴿لَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ قَوْلٌ مَّنْ دُونِ الْحَذَرِ﴾** أي
 آتيتهم في لا يبعد عنك أيها السامع أقل التوب كما وافق لبلاد طمأنينة الكسدة لأموال وانجاء
 والانس **﴿فَمَنْ قِيلَ لَهُمْ مَا لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ مِّنْ آلِهَةٍ﴾** أي إنهم يتفهمون بذلك شيئاً ثم يقول هذا
 السعيد وهو مبرر في لأخرة إلى الله وليس الفرائض التي أجاز جهنم **﴿فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِذُنُوبِهِمْ﴾**
 فأنه ما نرى بين قلبه **﴿أَكْفَرُنَّ﴾** أي تكفرون لله لهم السليم أنفسهم في حبات
 انهم معاذين فيها لهذا **﴿فَمَنْ قِيلَ لَهُمْ﴾** أي عباداً وكرامة من عباد الله **﴿وَقَالُوا مَا لَهُمْ**
﴿بِأَلِهَتِهِمْ﴾ أي وما عند الله من الآيات والكرامة ولا غير الأسماء - خبر ما يتقلب فيه الأسماء
 النجاة من السماع القليل الرائي، ثم أخرج تعالى عن إيمان بعض أهل الكتاب فقال **﴿قَوْلِهِمْ﴾** أي
 آتيتهم التي يؤمنون **﴿وَقَالُوا مَا لَهُمْ﴾** أي من اليهود والصناديق التي يؤمنون بالله
 حتى الإيمان، ويؤمنون بما نزل إليكم وهم الكفار وسائر أولادهم وهو السوراء والإنجيل
 كعب الله من سلام وأصحابه، ولا حاشي والله **﴿فَأَتَيْنَاهُ﴾** أي غاضبين متذللين لله **﴿وَلَا**
﴿يَتُوبُونَ عَلَيْهِمْ قَوْلٌ مِّنْ آلِهَةٍ﴾ أي لا يحرفون نعت محمد ولا أحكام شريعة السجدة من
 قلوبهم أعزهم من الدين عيسى كما من الأعيان والهاك **﴿قَوْلُهُنَّ﴾** أي أخضعهم بيد نهم **﴿فَنَحْنُ**
 نواب إيمانهم بصلوة صف عفا كما قال **﴿قَوْلُهُنَّ﴾** أي نوابهم نوابهم **﴿وَمَنْ قِيلَ لَهُمْ﴾**
﴿تَلَكَّيْنِ﴾ أي موبع حذبه لله واهم جميع المعلومات، يعلم ما نزل وأخبر من الثواب
 والعقاب، قال ابن عباس وحسن: أنزلت في النجاشي، ذلك أنه لما مات عنه حين
 لم رسول الله **﴿فَقَالَ لِسِي﴾** أي لأصحابه فقوموا فاصنعوا على أنفسكم النجاشي فقال بعضهم
 لبعض: يا أمراؤنا نصلي على علي من عند ربنا نبيته **﴿قَالُوا أَلَيْسَ اللَّهُ﴾** أي من أقال فكيف نعلم يؤمن
 بالله **﴿وَالَّذِينَ﴾** أي من الذين لا يؤمنون بالقرآن والذين لا يؤمنون بالقرآن والذين لا يؤمنون
 بالقرآن **﴿وَالَّذِينَ﴾** أي من الذين لا يؤمنون بالقرآن والذين لا يؤمنون بالقرآن والذين لا يؤمنون
 بالقرآن **﴿وَالَّذِينَ﴾** أي من الذين لا يؤمنون بالقرآن والذين لا يؤمنون بالقرآن والذين لا يؤمنون

فمن ركن مستعدين لتكفاح والنزول ﴿وَأَقْرَأُوا أَنَّهُ تَشْلَعُظُمْ لِيُحَرِّكَ﴾ أي خافوا الله فلا تخافوا أمره
تصوروا بسعادة الخلق من.

الملافة. فقصت هذه الآيات من ضروب البيان والتبيين ما يلي

- ١- الإطباب في قوله ﴿زَيْدٌ﴾ حيث كرر خمس مرات ، والمرض منه المبالة في التضرع .
- ٢- العقباء في قوله ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْأَرْضِ﴾ و ﴿الْجَبَلِ وَالْأَرْضِ﴾ و ﴿قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ﴾ و ﴿قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ﴾ و ﴿قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ﴾ .

٣- الإيجاز بال حذف ﴿مَا وَدَّعْنَا نَزْلَ رُسُلِهِ﴾ أي على أكلة رسلك

وكذلك في قوله ﴿وَلَقَدْ مَقَرْنَا بِخَلْقِ الْأَرْضِ رَيْبًا﴾ أي قائلين ربنا

- ١- الجاهل المفاير في قوله ﴿يَا بَنِيَّ﴾ . فقامت ربي ﴿عَمَلٌ غَيْرٌ﴾ وفي ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ .
- ٢- ﴿يَا بَنِيَّ﴾ في قوله ﴿يَا بَنِيَّ﴾ . فقامت ربي ﴿عَمَلٌ غَيْرٌ﴾ وفي ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ .
- ٣- الاستعارة في قوله ﴿لَا يَحْكُمُونَكَ إِلَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ استمير التغلب للعرب في الأرض

لطلب المكاسب . والله أعلم .

الفوائد

الأولى : إيسا حصار التفكير بالخلق ، للنبى عن التفكير في الخلق ، ففي الحديث الشريف
«تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخلق فإنكم لا تقدرون الله قدره» وذلك لعدم الوصول إلى
كنهه ذاته وصفاته ، قال بعض العلماء : «التفكير في ذات الله كالساخر في عين الشمس» لأنه
تعالى ليس كمثله شيء .

الثانية : تكرار التذلل بهذا الاسم الجليل ﴿زَيْدٌ﴾ خمس مرات كل ذلك على سبيل
الاستعطاف ، وتغلب رحمة الله بعباده بهذا الاسم الشريف الدال على الشربة والملك
و . (إصلاح)

الثالثة : سميت العمدة عائشة - رضي الله عنها - من أحب ما رآته من رسول الله ﷺ فيك
وقالت : كل أمره كان عجباً ، ثماني في ليلتي حتى مضى جلده جلدي ثم قال آخرى أتبعه لربي عز
وجل ، فقلت : والله إني لأحب قريب وأحب هراك ! فقام إلى قرب من ماء في البيت فتوضأ ولم
يتكبر حسبه ثمة ، ثم قام يهضي فكى حتى بل لعجب ، ثم سجد فكى حتى على الأرض ، ثم اصطحب
على حبه فكى حتى إذا أتى بلالاً يؤذنه بصلاة الصبح فقال : يا رسول الله ما يبكيك وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : «يربك يا بلال» وما بمنيتي إن أبكي وقد
أمر الله علي في هذه الليلة ﴿يَرْكَبُ فِي سَبْعِ الْمَكُونِ وَالْأَرْضِ﴾ . الآيات ثم قال : «ويل لمن
فرأها ولم يتكبر فيها» .

ثم يعونه نعال تفسير سورة آل عمران .

تَفْسِيرُ سُورَةِ النِّسَاءِ

بين يدي العنودة

« سورة النساء - إحدى السور المدنية المطبقة ، وهي سورة مطبقة بالأحكام الشرعية ، التي تنظم الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين ، وهي تُعنى بجانب التشريع كما هو الحال في السور المدنية ، وقد تحدثت السورة الكريمة عن أمور عامة تتعلق بالمرأة ، والبيت ، والأسرة ، والدولة ، والمجتمع ، ولكن معظم الأحكام التي وردت فيها كانت شحت حول موضوع النساء ؛ ولهذا سميت «سورة النساء» .

« تحدثت السورة للكريمة عن حقوق النساء والأيتام ، وبخاصة اليتيمات - في حجب الأولياء والأوصياء ، فقورت حقوقهن في الميراث والكسب والزواج ، واستنفذتهن من عسف الجاهلية ونقلها إلى الظالمة العينة .

« وتمرتت كموضوع المرأة فصانت كرامتها ، وحفظت كيانها ، ودعت إلى إنصافها بإعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى لها كالمهر ، والميراث ، وحسان العشرة .

« كما تعرضت بالتفصيل إلى «أحكام السورث» على الوجه العقيق العادل ، الذي يكفل العدالة وحقوق المساواة ، وتحدثت عن المحرمات من النساء بالتعجب ، والرضاع ، والمصاهرة .

« وتناولت السورة الكريمة تنظيم العلاقات الزوجية وبينت أنها ليست علاقة جسد وإنما علاقة إنسانية ، وأن المهر ليس أجراً ولا ثمناً ، وإنما هو عطاء بوثق المحبة ، ويديم العشرة ، ويربط القلوب .

« ثم تناولت حق الزوج على زوجته ، وحق الزوجة على زوجها ، وأرشدت إلى الخطوات التي ينبغي أن يسلكها كل رجل لإصلاح الحياة الزوجية ، عندما يبدأ الشقاق والخلاف بين الزوجين . وبينت معنى «قراءة الرجل» ، وأنها ليست قراءة استبعاد وتسيير ، وإنما هي قوامة نصيح وتأميم كالتي تكون بين الراعي وبعته .

« ثم انطلت من دائرة الأسرة إلى «دائرة المجتمع» فأمرت بالإحسان في كل شيء ، وبينت أن أساس الإحسان - التكافل والترحام ، والتفصيح والتسامح ، والأمانة والعدل ، حتى يكون المجتمع راسخ البنيان قوي الأركان .

« ومن الإصلاح الداخلي انتقلت الآيات إلى الاستعداد للأمن الخارجي الذي يحفظ على الأمة استقرارها وحدودها ، فأمرت بأخذ العدة كمكافئة الأعداء .

« ثم وضعت بعض قواعد المعاملات الدولية بين المسلمين والدول الأخرى المعاهدة أو

والربيع، ثم ذكر تعالى البيعة فأوصى به حياء، وأمر بالتعاطف على أموالهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ
 تَكْتُمُ كُفْرَهُمْ أَنِي أَعْلَمُ الْبَيْتَ الَّذِي مَاتَ أَبَا هُرَيْرَةَ وَهُمْ مَضَّاءُ أَمْوَالِهِمْ إِذَا بَلَغُوا ﴿١٠٠﴾ نَبَأَهُمْ فَقِيلَ
 بِخَيْرٍ ﴿١٠١﴾ أَيْ لَا تَسْتَبِدُّوا الْحَرَامَ وَهُوَ مَالُ الْبَيْتِ بِمَالِهِمْ بِالْحِلَالِ وَهُوَ مَالُكُمْ ﴿١٠٢﴾ وَكَذَلِكَ قَالُوا لَمْ يَكُنْ
 أَمْرًا لَكُمْ ﴿١٠٣﴾ أَيْ لَا حِلْطُوا أَمْوَالُ الْبَيْتِ بِأَمْوَالِكُمْ فَذَلِكَ إِذَا وَهَدَ حَسْبًا ﴿١٠٤﴾ وَنَافِئًا عَنْ كُفْرٍ كَبِيرٍ ﴿١٠٥﴾ أَيْ ذَنْبٍ
 عَظِيمًا، وَإِنْ أَيْدِيَهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى رِغْبَةٍ وَحَسَابَةٍ لِأَنَّهُ صَغِيرٌ، وَظَلَمَ الضَّعِيفَ وَظَلَمَ
 عَبْدُ اللَّهِ، ثُمَّ أُرْسِدَ تَعَالَى إِنْ تَرَكْنَا الشُّرُوعَ مِنَ الْبَيْعَةِ إِذَا لَمْ نَعْطِهَا مَعَهُ الْعَلَنَ فَقَالَ: ﴿وَأَنْزِلُوا جُنْدَكُمْ أَنَا
 تَقِيصُ فِي الْبَيْتِ ﴿١٠٦﴾ أَيْ إِنْ كَانَتْ تَحْتَ حُجْرٍ أَحَدِكُمْ بَيْعَةً وَغَرَفَ أَلَا بِعَظِيمًا مَعَهُ مَثَلًا لِمَنْ كَرِهَ إِلَى
 مَسْرُوعَةٍ، ثُمَّ قَالَ لِيَسْمَاعِيلُ وَنَمِ بَصِيرٌ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿١٠٧﴾ فَذَكَرَ لَكُمْ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ
 أَيْ الْكُفْرَ مَا شَكَّ مِنْهُ مِنَ الْإِيمَانِ سَوَاءً، إِنْ شَاءَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا، وَإِنْ شَاءَ ثَلَاثًا، وَإِنْ شَاءَ أَرْبَعًا ﴿١٠٨﴾
 فَلَمْ يَأْتِ بِقَوْلٍ مُؤَيَّدٍ ﴿١٠٩﴾ أَيْ إِنْ حُصِمَ مِنْ مَعَمُ الْعَدَلِ مِنَ الْوَرَعِ مَاتَ فَالْوَرَعُ الْإِقْتِسَارُ عَلَى الْوَعْدَةِ ﴿١١٠﴾
 وَتَخْلُفُ الْكُفْرَ ﴿١١١﴾ أَيْ فَصَرُّوا عَلَى تَخْلُفِ الْإِيمَانِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لِيَسْمَاعِيلَ إِذْ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْحَقِوَّةِ كَمَا
 لِلزُّوْجَاتِ ﴿١١٢﴾ ذَلِكُمْ ذَلَا يُقُولُ ﴿١١٣﴾ أَيْ ذَلِكَ الْإِقْتِسَارُ عَلَى الْوَعْدَةِ أَوْ عَلَى مِلْكِ الْبَيْعِ - أَقْرَبُ الْأَقْرَبِ
 نَعْدَةٍ، وَأَنْزِلُوا ﴿١١٤﴾ وَتَكُونُ الْبَيْعَةُ بَيْنَ بَيْنٍ ﴿١١٥﴾ أَيْ أَهْلُهَا أَوْ مَهْرُهَا مِنْ مَالٍ أَوْ مَعْرُوفٍ
 بَيْنَ بَيْنٍ لَكُمْ تَرْتَوِي عَنْهُ سَكَاةً أَيْ هَلَا طَابَتْ بَفَرْسِهِمْ بَيْعَةُ شَيْءٍ مِنَ الْعَصَاكِيِّ ﴿١١٦﴾ فَكَلَّمَ ذَلِكَ بَيْنَهُ
 فَخَدِعُوا ذَلِكَ الشَّيْءَ لِمَنْ مَرَّبَ حِلَالًا طَبِيعًا ﴿١١٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَكُونُوا أَلَى بَيْنِهِمْ أَمْ لَا تَكُونُوا لَكُمْ أَيْ لَا
 تَعْمَلُوا الْعَمَلُ بِهِ مِنَ الْبَيْتِ بِأَمْوَالِهِمْ الَّتِي جَعَلَهَا لَهُ قَبْدًا لِلْإِيمَانِ وَلَمَّا بَشَّرَكُمْ بِبُصْبُورِهَا، قَالَ
 إِبْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ فِيهَا هِيَ الْأَمْوَالُ وَالْإِيمَانُ، وَقَالَ الْفَرُوقِيُّ: أَلَا تَوَدُّ مَعَهَا مَالَهُ، وَهُوَ الَّذِي
 يَصْنَعُهُ بِرَأْسِهِ، حَسْبًا ذَلِكُمْ أَوْ حَسْبًا فَخَرَّكَ كَانَ أَوْ أَشَى ﴿١١٨﴾ وَكَذَلِكَ سَبَّحَ وَتَكَلَّمَ ﴿١١٩﴾ أَيْ
 أَلَمَسْتُمْ مِنْهَا وَتَحْسَبُكُمْ ﴿١٢٠﴾ وَتَكُونُ أَمْرًا لَكُمْ ﴿١٢١﴾ أَيْ قَوْلًا وَتَكُونُ لَكُمْ أَوْ تَكُونُ لَكُمْ سَلَامًا لَكُمْ،
 أَمْ أَلَيْكُمْ ﴿١٢٢﴾ وَتَكُونُ أَلَيْكُمْ عَنْ يَدِ الْكَلْبِ الْبَيْعَةِ ﴿١٢٣﴾ أَيْ اخْتَارُوا الْبَيْتَ حَتَّى يَدْلَعُوا مِنَ الْبَيْتِ وَهُوَ مَالُ
 الْحِلِّ الَّذِي يَصْنَعُونَ عِنْدَهُ لِلْبَيْعَةِ ﴿١٢٤﴾ فَكَلَّمَ فَكَلَّمَ تَكَلَّمَ وَتَكَلَّمَ فَكَلَّمَ فَكَلَّمَ أَيْ إِنْ أَلَمَسْتُمْ مِنْهَا
 سَلَامًا أَيْ دِينَهُ، وَمَالَهُمْ فَادْعُوا إِلَيْهِ، أَمْ أَلَيْكُمْ سَلَامًا نَاجِيًا ﴿١٢٥﴾ وَلَا تَأْكُلُوا إِنْ تَكُونُوا لَكُمْ بَيْنَهُمْ
 أَيْ لَا تَسْمَعُوا فِي تَعْلَمُهَا بِتَعْلَمُهَا فَتَكُونُ لَكُمْ كَمَا يَشْتَهِي قَبْلِ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ بِبَيْتِهِمْ مِنْ
 بَيْنِهِمْ ﴿١٢٦﴾ وَتَكُونُ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ أَيْ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ أَيْ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ أَيْ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ
 بِأَعْدَائِهِمْ عَلَى وَصَايَاهُ ﴿١٢٧﴾ وَتَكُونُ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ أَيْ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ أَيْ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ
 نَاصِرٌ وَرِيَّةٌ وَفَدْرٌ أَجْرًا عَمَلًا ﴿١٢٨﴾ وَتَكُونُ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ أَيْ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ أَيْ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ
 أَمْ أَلَيْكُمْ بَعْدَ مَا تَعْلَمُ الرُّشْدَ فَتَكُونُ عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثًا سَلَامًا ﴿١٢٩﴾ وَتَكُونُ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ أَيْ كَالْبَيْتِ بِبَيْتِهِمْ

١٠٠: حذر الطبري أن المسمى إن حضم لا ينفذوا المسمى معناه أَيْفَ لَا تَكُونُوا بِرَأْسِهِمْ إِذَا تَكَلَّمُوا مِنْ رَأْسِهِمْ
 الشَّيْءَ الْمَعْرُوفَ فَتَكُونُ لَكُمْ أَمْ أَلَيْكُمْ وَهُوَ الْحَرْفُ الَّذِي كَرِهَ

والزواج . . . وغيرها من الأحكام الشرعية .

الثانية . الأهلبي أنه إذا كان الخطاب بـ ﴿بِأَيِّ أَقْسَرٍ﴾ وكان للكافرين فقط أو للكافرين وغيرهم أعقب بدلائل الوجدانية والربوبية مثل : ﴿بِأَيِّ النَّاسِ أَتَعْبُدُونَ رَبَّكُمْ﴾ و ﴿بِأَيِّ أَقْسَرٍ لَهَا رَحْمَةٌ أَوْ مَحَلٌّ﴾ وإذا كان الخطاب للمؤمنين أعقب يذكر نعم كما هنا ، فإذ ، صاحب البحر .

الثالثة : فذكر أنطون مع أن الأكل لا يكون إلا فيها للتأكيد والمبالغة ، مبر كفولك : أبصر ث عيني ، وسعت بأذني ، ومثله قوله تعالى : ﴿بِكَلِمَةٍ قَوْلَكُمْ بِأَيِّكُمْ﴾

الرابعة . أنصاف تعالى أموال اليتامى إلى الأوصياء ، مع أنها أموال اليتامى للتنبيه إلى التكافل بين الأمة والحث على حفظ الأموال وعدم فضييعها ، فإن تذيير السعيه للعالم فيه مضمرة للمجتمع كله .

كلمة حول تعدد الزوجات

مسألة تعدد الزوجات ضرورة افتضتها ظروف الحياة ، وهي ليست تشريعاً جديداً لفرد به للإسلام ، وإنما جاء الإسلام فرجاً ، بلا قيود ولا حدود وبصورة غير إسبانية فطمه وشذبه وجعله علاجاً ودواء لبعض الحالات الاضطرابية التي يعاني منها المجتمع .

وفي الحقيقة فإن تشريع تعدد مفضرة من مفاهيم الإسلام ؛ لأنه استطاع أن يحل مشكلة اجتماعية هي من أهم المشاكل التي تعانيها الأمم والمجتمعات اليوم فلا تجد لها حلاً . إن المجتمع كاسموزان يجب أن تتعادل كفتاه فماذا تصنع حين يخلل التوازن ويصبح عدد النساء أخصاف عند الرجال ؟ أنحر م المرأة من نسمة الزوجية ونسمة الأسرة ؟ وشترتها تسلك طريق الفاحشة والزفيلة ، لم نحل هذه المشكلة بطرق فاضلة نصرون فيها كرامة المرأة وطهارة الأسرة وسلامة المجتمع ؟ وأقرب الأمثلة شاهداً على ما نقول : ما حدث في ألمانيا بعد انحراب العالمية الثانية حيث زاد عدد النساء زيادة فاحشة على عدد الرجال فأصبح مقابل كل شاب ثلاث فتيات ، وهي حالة اختلال اجتماعي فكيفه يواجهها المجتمع ؟ لقد حل الإسلام المشكلة بتشريع الزواجر الإسلامي طرائع ، بينما رقت المسيحية حائرة مكتوفة الأيدي لا تسدي ولا تعيد . . . إن الرجل الأوروبي لا يبيع له دينه المتعدد ، لكنه يبيع لنفسه مصاحبة المئات من الفتيات بطريق الرديلة ، يرى الولاد منهم مثاقع مع عشيقها فيسر ويختبئ بل ويمهد لهما جميع السبل المؤدية لراستهما حتى أصبح ذلك عرفاً سائداً ، اضطرت معه الدول إلى الاعتراف بمشروعية العلاقات الأثمة بين الجنسين ففتحت باب التدور الخلقي على مصراعيه ، ووافقت على قبول مبدأ متعدد الزوجات ؛ ولكن تحت ستار المخادنة ، وهم زواج حقيقي لكنه غير مسجل بمقد ، ويستطيع الرجل أن يطرد ما يشاء دون أن يفقد حياها بأي حق من الحقوق ، والعلاقة بينهما علاقة جسد لا علاقة

أسرها وزوجية، فأعجب من مع تعدد الزوجات بالعلال وباحتها بالعرام حتى نزلوا بالعرمة من مرتبة الإنسانية إلى مرتبة الحيوانية.

يَتَذَكَّرُ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ هَدًى وَبَيَّاناً

030

فقال الله تعالى ﴿يُؤَيِّدُ اللَّهُ الَّذِينَ يُؤْتُوا حُرَّتَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ لِيَنْقُضَ اللَّهُ عَنْهُمْ حُرَّتَهُمْ وَنَجَّى اللَّهُ آلَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٦) سورة البقرة (١٦).

لأنه الله لما وصى تعالى في الآيات السابقة بالأبائهم، وذكر فضيلتها حق الأقارب بالإجماع، أعقبه بذكر حكماء الخرافات بالتفصيل ليكون ذلك ترويحاً لما سبق من الإحصاء، وذكر نصيب الأولاد بين وراثته، ثم ذكر نصيب الأبناء والأمهات، ثم نصيب الأزواج والزوجات، ثم نصيب الأعمام والأخوات.

والله: ﴿يُحْيِيكَ﴾ الوصية: فعهده بالنبي، والأمر به، ولغظ الإيصاء ألغى وأدلى على الاعتماد من لفظ الأمر؛ لأنه طلب الحرص على الشيء، والتسليم به ﴿تَوَكَّلْ﴾ أي: حقاً فريضه الله وأوصيه ﴿مَعْتَلَفٌ﴾ أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد، أي لا أصل له ولا فرع، لأنها مشتقة من لكل بمعنى التصعف يقال: كلُّ امرئٍ إذا ضعف وذعب قوته ﴿تُدْرِكُ الْقُبُورَ﴾ أحكامه وفرائضه المحدودة التي لا تتجاوز مجاوزتها.

سَجِدَ النَّوْزِ. وَرَىٰ نَ امْرَأَةً مِّنْ مَّوَدَّاتِ بَنِي إِسْرَءِيلَ، جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِابْنَتِهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَٰذَا ابْنَتِي سَعْدُ بْنُ الْوَرَبِ قُتِلَ أَبُوهُمُ سَعْدٌ مَعَكَ بِأَحَدِ شُهَدَاءِ، وَإِنَّ عَمَلَهَا أَخَذَ عَالَهَا، فَلَمْ يَدَعْ لَهَا مَالًا، وَلَا شَيْئًا إِلَّا بِعَالًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُبِلَ لَكَ بِفَضْلِ اللَّهِ فِي ذَٰلِكَ، فَتَرَلْتُ آتَةَ الْبَوَارِثِ، **يُؤْتِيكُمْ فِيهَا مِمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**، أَلَيْسَ مَا رَسَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَمَلٍ أَنْ أُعْطِيَ ابْنَتِي سَعْدَ الثَّلَاثِينَ، وَتَمْلِكُ الثَّمَنَ، وَمَا فِي فَوْهِ لَكَ؟

[illegible]

وورثته آثاره فيعملون لعدم وجود الآخر أو الفزع ﴿أَوْ تَمُرُّنَّ﴾ عطف على رجل ، والعس : آلة
لغراء تروى كناية ﴿وَلَهُ﴾ أي أو تَمُرُّنَّ أي وللمعزاة أعز أو أخص من أم ﴿فَتَكُنَّ بِمَنِّكُمْ﴾
المنكح أي فتلحق من الأم السدم ، ولما حلت سلام السدم أيضًا ﴿فَإِنْ مَنَّاوْا أَكْثَرُ مِنْ دَلَّتْ﴾
بهن شريكه في المنكح أي فإن كان الإخوة والأخوات من الأم أكثر من واحد فإِنَّهُنَّ يَتَّخِذْنَ
الثلث بالمرية فذكرهم وراثتهم في المعبرات مضاف ، قال في البحر : لا تجمع على أن امرأة من
هذه الآية (الإخوة) لأنهم ﴿وَمَا تَدْرِي لَكُمْ﴾ أي لا تعلمون ، ﴿أَوْ تَكُنَّ مَكْتُبَةً﴾ أي بقصد أن يكون
الوصية له صلحة لا قصد الإضرار ، قال في حدود المدينة الثالث : قوله عليه السلام :
«الثلث والثلث كبير» ﴿تَصِيَّةٌ مِنْ أَقْرَبٍ﴾ أي أو حاكم الله بذلك وصية ﴿وَأَقْرَبُ نِسْبَةً﴾ أي
مما لم يذكره الشارع حازم لا وجاهل الحقوقه امرء ، قال في حدود الأم : أي فلو أن الأم
أنكحوه شرعاً لم تكن لها شيء من ميراثه ليعسر بها ولا يستدفع ﴿وَكُنَّ يَتِمُّنَّ أَقْرَبُ﴾ أي
يكتسب حصة بغيره من ثلثها ﴿لَا تَمُوتُ﴾ أي من يطلع أمر الأم ، فحكم وأمر رسولها فيها
بين ، مدخله حضانة النعم التي تجوز من تحت أنجارها وإبنتها الأمهات ﴿مَكْتُوبَةٍ﴾ أي
مكتسبة فيها أمراً ﴿وَذَلِكَ أَتَمُّ لِلْعِيَالِ﴾ أي التلخيص العظيم ﴿وَمَنْ﴾ يقتل أمه أو سقته
يؤتيت حذرة ﴿أَوْ يَمْنُ بِعَصِ أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ الرُّسُلِ﴾ ويخالف ما حذره - تعالى - أنه من الطلقات
﴿وَعَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِّنْهَا﴾ أي وعلى كل من لا يرجع م لا يرجع ، ﴿وَالْإِنْسَانُ﴾ قوله تعالى
شبهه ، أي وله عذاب شديد من الإغلال واللاذلال والعباد والظلال .

لجلاعه تضمن الآيات من أهمها: المدع ما سيـ.

(۱) لفظ فی لفظ ﴿تَذَكَّرَ﴾ و ﴿لَا تُفْلِحُ﴾. ﴿وَمَنْ يَنْصُرْ﴾ و ﴿يَنْصُرْ﴾ و ﴿يَنْصُرْ﴾.

[illegible]

٣ - الناس الاشتقاق في «ومينة» .. «بؤنؤ»
٤ - المبالغة في «غدير حبل» .

فائدة: استنبط من قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي السُّبْحَ نَضْرَةً﴾ أنه تعالى أرجح من
أن يكون المراد به: حيث أن صبي الوالد بين يده، ويؤيد ما ورد: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَؤُلَاءِ

تضييق راحة الذكورة في تصديف، حسب الفكر هو احتراجه، كقوة العفة وبجائفة التحارة والنكس، ولتحمل المشاف، حذاته كتم، ولتأمله، أضخم فهو إلى العار أحو.



^١ انهم المؤكدة الشرعية في كليات الشريعة، من الشريعة الإسلامية.

العدالة، حيث في بيت: «فلا تُمكن من الخروج منه إلى أنه يموت» حتى أنزل الله سورة التور
 مسحها بالخلد أو الرجم^(١١٣) «وَأَنذَرْنَا بِهِ حِطْحَيْتًا» أي واللعن باللعن الفاحشة، وأنذر
 به الزاني والزانية بطريق التغليب «فَذَرُونَهَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَالْمَرْجُوعِ وَالضَّرْبِ بِالْخُلْدِ» «فَأَمَّا
 نَأْتِيَا بِأَمَلِكَا فَأَتَرَسَا قَتْلَهُمَا» أي فإن تأتيا من الفاحشة وأصلحا سيرتهما فكنوا عن الإتيان بهما
 «إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَكُّبًا رَّحِيمًا» أي ميلًا في قبول التوبة واسع الرحمة قال المفسر الرزبي: «حسن
 المحبس في الآية: بأمر الله من الإتيان بالرجل» لأن المرأة إذا أتت في الزنا بعد الخروج
 والبروز، فإذا حسنت في السر اقتطعت مادة هذه المعصية، وأما الرجل فإنه لا يمكن حبه في
 البيت؛ لأنه يحتاج إلى الخروج في إصلاح معاشه واكتساب قوت ماله فلا جرم جعلت
 عقوبته «أَمَّا ذُنُوبُهُ» «إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَكُّبًا رَّحِيمًا» أي يسكن الله توبته «إِنِّي إِسْمَا التَّوْبَةِ الَّتِي
 كَتَبَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَبِوَعَا هِيَ تَوْبَةٌ مِنْ فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ سَعَهَا وَجَهَالَةَ مَقَرًّا فَجَبِ الْمَعْصِيَةِ وَسُو،
 عَاقِبَتُهَا شَمٌ بِدَمٍ» «وَأَبَى» «تَرَى بَيْنَكَ مِنْ قَوْمٍ» أي يترقبون سرمان قبل مفاصلة الموت «فَأُولَئِكَ
 يَتُوكَ اللَّهُ عَلَيْهِ» أي يتوبون الله توبتهم «بِذَلِكَ أَنَّهُ خِيبُوا خَمِيمًا» أي خلبت مداهمة كبتا في
 شرعه «وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ هُمْ يَحْتَسِبُونَ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَخِرَ فَأَخَذَهُمُ الْقَوْلُ» «فَأُولَئِكَ
 أَكْثَرُ» أي وليس قبول التوبة ممن ارتكب ما عاصى واستمر عليها حتى إذا فاجأ الموت تاب
 وأتوب، فهدت توبة المفسر وهي غير مقبولة^(١١٤) وفي الحديث: «إِنْ اللَّهُ يَتُبُ تَوْبَةَ الْعَدُوِّ مَا لَمْ
 يَحْرُمْ» «وَأُولَئِكَ يَتُوكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أي يصبون على الكفر فلا يقبلون بها، عند
 الاحتضار «فَأُولَئِكَ أَكْثَرُ» «فَأُولَئِكَ أَكْثَرُ» أي هيأت لأعدائنا لهم عذابًا مؤلفًا «بِأَنَّهُمْ تَوَكَّنْ
 فَاغْتَوَا لَا يَحِثُّ لَكُمْ إِلَهُ دُونَ اللَّهِ» «كُفُّوا» أي لا يحل لكم أن تجعلوا السماء كاستقام يستقل بالآثار
 من السماء، أي آخر أمرهم بعد موت أرواحهم عوقبوا عنهم «فَأُولَئِكَ أَكْثَرُ» «فَأُولَئِكَ أَكْثَرُ»
 إذا مات لرحمن كان أولياؤه أهل بامرته إن شاموا نزل بها أحدهم، وإن شاموا، وجروها غيرهم،
 وإن شاموا متموها الزواج^(١١٥) «وَأُولَئِكَ يَتُوكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» «فَأُولَئِكَ أَكْثَرُ» أي لا يحل لكم أن
 تشتموا من الزواج أو تشتموا على من تشتموا به من غير ما فعلتموه من الضلوك، «فَأُولَئِكَ أَكْثَرُ»
 «فَأُولَئِكَ أَكْثَرُ» أي لا في حال إيمانهم معاشة الزنا، قال ابن عباس: «الفاحشة العبيدة» «الشيء
 والمصيبة» «فَأُولَئِكَ أَكْثَرُ» أي صاحبون بما أركب الله به من طيب القول والمعاملة
 والإحسان «فَأُولَئِكَ أَكْثَرُ» «فَأُولَئِكَ أَكْثَرُ» أي فإن كره: «م

(١١٣) محض من كثير (٣٦١/١)

(١١٤) تفسير الكبير للقراني (٢٣٤/٩)

(١١٥) قال الشهيد سيد قطب في العتال: «فهدت توبة لقطر لبت به العافية وأحاطت به الخطية، توبة الذي يتوب لأنه
 لم يجد لديه متسع لارتكاب الذنوب ولا فرصة لتدبر الخطية، وهذه لا يقبها الله» «أب لا تشتموا منكم»
 ولا صلاحاً في الحياة ولا تد على ليدل في «طلع ولا في: لا يجد»

(١١٦) الفرط في (٩٤/٥)

صحبتهن فاسيروا عابهن، واستمروا في الإحسان إليهن فحس أدبر رؤسكم لهن منهن وزنا صابحا
 تقرب به أحببكنم، وعسى أن يكون في الشيء لكم به الشير الكثير، وفي الحديث انصحيح - فلا
 بفرك - أي لا يفتقر - مؤمن مؤمنة إن تراءى خلفا رضى منها أمره ثم حذر تعالى من أخذ
 شيء من المهر بعد انطلاق فقال: ﴿وَإِنْ أَرَأَيْتُمْ أَتَيْتُكُمْ بِذِكْرٍ كَرِيمٍ أَوْ إِذْ بَلَغُوا أَجَلَ أَيْدِيهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ
 بِالْغَدْرِ وَغَدَرُوا بِيَدِيهِمْ فَزَلُّوا أَعْيُنُهُمْ فَغَدَرُوا فَمِنْ ثَمَرَاتِ مَا كَسَبُوا فَتَرَاهُمْ يَنْتَبِهُونَ ١٠١﴾ أي
 بالعدل أنكم كنتم قد دفعتم مهر كبير أبلغ قطار ﴿فَلَا تَلْعَنُوا أُولَئِكَ﴾ أي فلا تلعنوا راووا
 قليلا من ذلك الشعر ﴿أَلَا تَلْعَنُوا أُولَئِكَ لَمَّا كَانُوا فِي أَعْيُنِنَا﴾ استفهام إنكار أي أنزلوه باطلا وظلما؟
 ﴿وَكَيْفَ تُلْعَنُونَ وَقَدْ أُنْزِلَ أَفْصَحُ مِنْكُمْ لَنْ يَسْمَعُوا ١٠٢﴾ أي كيف يباح لكم لعنهم وقد استمعتم من
 بالمعاشرة الزوجية؟! ﴿وَأَنْتُمْ كَذِبُونَ ١٠٣﴾ أي أخذتم منكم عهدا ونقبا مؤكدا هو
 عقد النكاح، قال سبحانه: «الميثاق لميلط: عقد النكاح» وفي الحديث «تمتوا الله في النساء
 فإكم أحدنوهن مائة الله، واستعملتم فروجهن بكلمة الله»^(١)

اجتماع: فصلت الآيات أنواعا من الذنوب والبدع وهي بإيجاز كما يلي:

- ١- العجار المكلفي في قوله: ﴿تَوَلَّيْتُمْ نَسْوَكُمْ﴾ والعراد: يترفعن الله أو ملائكة
- ٢- الاستعارة في ﴿وَأَعْتَدْتُمْ لِلنَّفْسِ الْكَافِرَةِ﴾ استعارة لفظ العيال لتمعد النفس
- ٣- الجاس المغير في ﴿فَاتَّكَتْ كَاتِبُهَا﴾ أي كَتَبَتْهَا
- ٤- السيلعة في تخيير الأمر وتأكيده ﴿وَرَأَيْتُمْ أَتَيْتُكُمْ بِذِكْرٍ كَرِيمٍ﴾ لتعظيم الأمر والمبالغة فيه
- ٥- فائضة: كشيء أتى تعالى عن الجماعة بنفط لأنفسه ﴿وَقَدْ أُنْزِلَ أَفْصَحُ مِنْكُمْ لَنْ يَسْمَعُوا ١٠٢﴾ كعليه
- ٦- المؤمن: الأدب الرفيع، قال ابن عباس: الإقضاء هي هذه الآية: «الجماع ومكسر الله عريم
 يكتفي»^(٢)

نظمية: خطب عمر - رضى الله عنه - فقال: أيها الناس لا تعانوا في مهود النساء فإنها لو
 كانت مكرمة في الدنيا لم تغري عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ ما أصدق امرأة من
 نساء ولا أمة من بنيته فوالله أنني عشرة أوفية، فصدت إليه امرأة ففالت يا عمر، يعطينا الله
 ونحرمنا؟! يقول تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَذِبُونَ ١٠٣﴾ فلا تأخذوا منه شيئا فقال رضي الله عنه:
 «أصابتم امرأة وأخطأ عمر»^(٣)

□ □ □

قال ابن سعد: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ يَنْتَحِ بِذِكْرِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ إلى ... ولا يخطئوا خلا قرستا
 من الآية (٢٢) إلى نهاية الآية (٣١)

المذكورة كما أوصى تعالى بمن مدبرة الأزواج. وحذر من ذلة الجهل أو الكبر المهور من:

(١) القرطبي ١٠٢/٥

(٢) أخرجه مسلم

(٣) الكشاف ٣٧٩/١

و مع المغفرة عظيم الرحمة ﴿يُؤَيِّدُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يريد الله أن يفضل لكم شرائع دينكم ومصالح أسوكم ﴿وَيُضِلُّكُمْ شَرًّا الْفُتُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي يرشدكم إلى طرائق الانبلاء والصالحين لئلا يفتندوا بهم ﴿وَيُؤَيِّدُ غُلَامَكُمْ﴾ أي يقبل نوبتكم فيما اقرضتموه من الإثم والمعادم ﴿وَأَنَّ غَيْرَ شَيْءٍ﴾ أي عظيم بأحوال العباد حكيم في تشريعهم لهم ﴿وَأَنَّ رَبَّهُ﴾ أي يؤيد غلبكم ﴿كَرَّهَ لِكُلِّ سَعَةٍ رَحْمَتَهُ﴾ تعالى - على العباد أي يجب بما شرع من الأحكام أن يظهركم من الذنوب والآثام، ويريد نوبة العبد ليتوب عليه ﴿وَرَبُّهُ الْكُؤُوبُ يَتَّقِيكُمْ أَفْهَمُونَ أَنْ يُبْلَغُوا تَبْلَغَ عَطِيَّتِهِ﴾ أي ويريد الفجرة اتباع الشيطان أن تعدلوا عن الحق إلى الباطل وتكونوا خسة فجرة مثلهم ﴿يُؤَيِّدُ اللَّهُ أَنْ يُفَقِّدَ صَنَكُمْ﴾ أي يريد تعالى - بما يسر أن يستقل عليكم أحكام الشرع ﴿وَلَيْتُكَ الْإِسْكَانَ مَتَّبِعًا﴾ أي عاجزاً عن مخالفة هواه لا يصبر عن اتباع الشهوات، ثم حذر تعالى من أكل أسوأ الناس بالباطل فقال: ﴿يَأْكُلُ الْكُؤُوبُ مَا نَأْكُلُ لَا فَاضِلَ لَهُمْ مِنْكُمْ يَتَّبِعُكُمْ وَيَتَّبِعُكُمْ﴾ أي يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا يأكل معكم أموال بعض الباطل، وهو عمل صريح لم تبهجه الشريعة كاسرفة والخيانة والغصب والربا والقمار وما شاكل ذلك ﴿لَا أَنْ تَكُونُوا يَتَّبِعُكُمْ مَنْ زَانٍ يَتَّبِعُكُمْ﴾ أي إلا ما كان بطريق شرعي شريف كاستشارة النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن كثير: فالاستشارة مفضحة أي لا تتعلموا الأسباب المسمومة لكن المناجاة المشروعة انتم تكونون من ترائس من الباطل والمشتري فاعلموها^(١) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْكُمْ إِنْ كَانَ كَانَ رَجِيئاً﴾ أي لا يسفك بغيركم دم بعض، والتعبير عنه بقتل النفس للبالغة في الزجر أو هو على ظاهره، بمعنى الانتحار، وذلك من رحمة تعالى بكم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيُغْنِهِ اللَّهُ مِنْ فَتْرِهِ﴾ أي ومن يرتكب ما نهى الله عنه معتدياً ظاهراً لا سهواً ولا خطأ ﴿فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِ الْكَافِرَةِ﴾ أي ندخله فاداً عظيمة يحترق فيها ﴿وَمَنْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى آخِرِ حَيَاتِهِ﴾ أي حيناً يسيراً لا عسفه، لأنه تعالى لا يعجزه شيء ﴿فَإِنْ تَتَّبِعُوا حَقَّكُمْ مَا تَتَّبِعُونَ عَنْهُ تَكْفِيراً عَنْكُمْ سَيُؤَيِّدُكُمْ﴾ أي إن تشركوا أيها المؤمنون الذنوب الكبار التي نهاكم الله - عز وجل - عنها سمع عنكم صفات الذنوب بفضائل ورحمتنا ﴿وَيُؤَيِّدُكُمْ تَدْعَاكُمْ كَرِيماً﴾ أي تدعواكم الجنة دار الكرامة والتعظيم، التي فيها لا عين رأت، ولا إذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!

الغلاغة، تضمنت الآيات أنوارها من البيان والهدى ثم جزها فيما يلي:

١٠٠ المجاز العرسل في ﴿خَوَّسَتْ فَلَيْسَ بَكَمٍّ أَكْمَسَتْ﴾ أي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ نِكَاحَ الْأُمّهَاتِ، فهو

على حذف عضاف.

٢- الطباق هي ﴿مَرْمَقَ... زَائِلٌ﴾ وني ﴿مُجْمِبٌ... رُكْنِيَّةٌ﴾ وني ﴿مُكْتَبَرٌ...

وَمِنْهَا يَكْفِيكَ : لأنه المراد بالسبب : انصافه من الجنوب .

٣- إنكابة في ﴿الَّذِينَ يُخَفِّرُونَ﴾ فهو كناية عن الجماع كفولهم : بنى عليها ، وغرب عليها الحجاب .

٤- الاستعاره في ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ استعاره لفظ الأجور لله ورء لأن المهر يشبه الأجر في الصورة .
 ٥- استعارة المستأجر في ﴿فَكَيْفَ مَا تَنكِحُ﴾ وفي ﴿أَتَعْصِمُكُمْ﴾ . ﴿بَرَكَ الرَّحْمَةُ﴾ وفي ﴿تُعَصِّمُكُمْ﴾ . فإذا أُمِرَ والإطاب في مواضع ، وانحذف في مواضع .
 ٦- قوله الاول : المستيطع العلماء من اية فمحررات القاعدة الآتية وهي : العبد على اسات يحرم الأمهات ، ولقد تحول بالأمهات . يحرم البنات .

الثانية : حمل بمعنى الروافض ، والتسعة قوله تعالى : ﴿لَا تَقْرَبُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ على نكاح المنعة وهو عطف فاعش ، لأن الغرض من الامتناع هذا التمتع بالأزواج عن طريق الجماع لا نكاح لمنعة فقد ثبت حرمة نكاح المنعة بالسنة والإجماع ولا عورة بما عطف ذلك .
 الثالثة : قال ابن عباس : الكبر : كل ذنب ختمه الله سار أو غشيب ، أو لحي ، أو عذاب .
 الرابعة : روى سعيد بن جبير أن رجلاً قال لابن عباس : الكبر سبيح ؟ قال : هي إلى السبعانة أقرب منها إلى السبع ، ولكن لا كبراً مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار . ذكره القرطبي .

□ □ □

قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَا قُضِيَ إِلَيْهِ بِكُمْ حَصْرًا عَنْ بَيْنٍ﴾ . إني . يَا أَيُّهَا كَانَ عَقْلًا عَمْرًا من الآية (٣٢) إلى نهاية الآية (٤٣) .

الذاتية : لما ذكر تعالى المحرمات من النساء وذكر قبلها تفصيل الله الرجال عليهن في العشرات جاءت الآيات تنهى عن تعمي ما عطف الله به كلاً من العاهدين ، لأنه سبب للعهد والعضاء ، ثم ذكر تعالى حقوق كل من الزوجين على الآخر ، وأرشد إلى المحظورات التي ينبغي التدرج بها في حالة انشور والعصيان

للغة ﴿مَوْلًى﴾ المولى : الذي يتولى غيره يقال للعبد : مولى وللسيد مولى ، لأن كلاً منهما يتولى الآخر ، والمراد به هنا : الولة والعصبة ﴿فَوَافُونَ﴾ فواف : صانعة من انعام على الأمر بمعنى حفظه ورعايته أي يقومون بحسبهم قيام الولاية على الرعية ﴿فَوَافُونَ﴾ مطيعات وأصل الفنون دوام الطاعة ﴿تَكْرَهُنَّ﴾ عصيانهن ورفضهن ، وأصله المكان المرتفع ، ومنه : قل نائز وقل : تاززت المرأة إذا تراءت على زوجها وعصته ﴿أَلَمْ تَكْرَهُنَّ﴾ جمع مضجع وهو السرقد ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ الشقاق : الخلاف والعداوة ما حوّه من الشئ بمعنى الجانب ، لأن كلاً من المشافين يكون في شئ غير شئ صاحبه أي في ناحية ﴿أَلَمْ تَكْرَهُنَّ﴾ البعد الذي ليس له قرابة توليه معارء ، وأصل العناية : البعد ﴿مَحْتَالًا﴾ المحتال : ذو الخيلاء والكبر ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ رزن ﴿أَلَمْ تَكْرَهُنَّ﴾ الحدث

الزمتشري. «فأمرنا من الحسد وعن قسبي ما فعل الله بعض الناس على بعض من الجاهل، والجمال؛ لأن ذلك التفضيل قسمه من الله صابرة عن حكمه وتدبيره عليه بأحوال المبدأ» ﴿فَرَجُلًا يَعْبُدُ بَنَاهُ خُضْرًا وَبَنَاهُ نَعِيمًا بَنَاهُ أَكْثَرَ﴾ أي لكل من العريقين في الميراث نصيب معين المقدر. قال الطبري: «كن له جزء على عطفه بحسبه إن حيزا فحيز وإن شرا فشر» ﴿وَتَنَاهَا أَنَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي وسلوا الله من فضله معكم، فإنه كريم وهاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنُوا عِبَادًا لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي ولكل إنسان جعنا عصية يرثون ماله مما تركه الوالدان والأقارب من الميراث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي اللَّهِ حَالٌ غَلِيظٌ﴾ أي والذين حالوا التوراة في الجاهلية حال الصبر والارت فاعطوهم حقتهم من الميراث، وفدا كان هذا في ابتداء الإسلام ثم نسخ، قال الحسن: «كان الرجل يخالع الرجل ليس بينهما نسب ميراث أحدهما الآخر فنبخ الله ذلك بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي اللَّهِ حَالٌ غَلِيظٌ﴾» وقال ابن عباس: «كان المهاجرون حينئذ يسلموا المدينة يرث المهاجرون الأنصاريين دون ذوي رحمة بالأخوة التي أوى رسول الله نفعهم فلما غارت: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي اللَّهِ حَالٌ غَلِيظٌ﴾» أي مطلقة على كل شيء، وسبواكم عليه... ثم بين تعالى أن الرجل ينزلون أمر النساء في المسئولية والتوجه فقال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى الْأُمَمِ﴾ أي قائمون عليهن بالأمر والنهي، والإنفاق والتوجيه لما بقوه الولاء على الرعية ﴿وَمَا فَكَّرَ اللَّهُ سَنَاسُورًا عَلَى تَتْرِبٍ وَوَيْدًا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي سب ما منحهم الله من العقل والتدبير، وخصهم به من التكسب والإنفاق، فهدى بقوموا على النساء بالحفظ وفخر بناية والإنفاق والتأديب. قال أبو السعود: «در التفضيل ندرجل لكماز العقل وحسن التدبير ورزاقه الرأي وحزبه القوة، ولغزلك خصوصاً بالقبول والإمامة والولاية والشهادة والجهاد وغير ذلك» ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي اللَّهِ حَالٌ غَلِيظٌ﴾ هذا تفصيل لحال النساء تحت رئاسة الرجال، وقد ذكر تعالى أنهم فاسقان: نسيم صالحات مطيعات، وقسم عاسيات عسرات، فالتسا، الصالحات مطيعات لله ولأزواجهن، قائمات بما عليهن من حقوق، يحفظن أنفسهن من العاجلة وأموال أزواجهن عن الشخير، كما أنهن صامطات لما يحري بينهن وبين أزواجهن مما يحب كنتم ويحمل صنته، وفي الحديث: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الزوجان يغضي إحداهما وتغضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه» ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي اللَّهِ حَالٌ غَلِيظٌ﴾ هذا القسم الثاني وهو النساء العاصيات المشردات أي واللاتي يتكبرن ويتعاليين عن طاعة الأزواج فعليكم أيها الرجال أن تسلكوا معهم سبيل الإصلاح ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ فِي اللَّهِ حَالٌ غَلِيظٌ﴾ أي يخشون من الله طريق انتصاح والإرشاد، فإن لم ينصح الواعظ والتذكير

فاجبروهن في الفرائض فلا تكلمن من ولا نكحن من، قال ابن عباس: «البحر إلا يجامعها وأن يضامعها علي فرأيتها ويوليها ظهروا»^(١)، من لم يرتد عن فاضلوه من ضرباً ماير مبرح ﴿وَإِنْ أَمْسَكُمْ فَافْتَنِمَ فَلَا تُنْكِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي قد اطمعن أسركم فلا تلتصموا طريفاً لإيذاهم ﴿وَإِنْ أَمْسَكُمْ فَافْتَنِمَ﴾ أي فإن أمة تعالى أعلى منكم وأكبر، وهو وليهن يتقم بمن ظلمهن ويغفر عليهن نصر كيف يعلمنا سبحانه أن توجب لساننا، وانظر إلى ترتيب التعقوبات ووقتها حيث أمرنا بالدعوة ثم بالهجران ثم بالضرب ضرباً غير مبرح ثم ختم الآية بعقبة للعلو والكبر لبينة العبد إلى أن أمرة الله فوق فطرة الزوج عليها وأنه تعالى عون الضعفاء وملاذ المضطومين! ﴿وَإِنْ جَنَحُوا بِغُلَامَيْهِمَا فَلَتَمُوتُوا أَشْكُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَمْ أَفْلَحُوا﴾ أي وإن خشيتن ألبا الحكام مدافعة وعداوة بين الزوجين فوسهوا سكتة عدو من أهل الذبح وحكما عدلاً من أهل الزوجة يستعان فيظن أن في أمرهما ويفعلان ما في المدحمة ﴿إِنْ يَرَوْا إِثْمَكَ يَأْوِي إِلَيْكَ إِنَّهُمْ إِغْلَابُوا﴾ أي إن قصدا إصلاح ذات الدين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله، بورك في وسطاظهما وأوقع الله بين الزوجين الوفاق والألفة والفر في نفوسهما العودة والرحمة ﴿وَإِنْ أَمْسَكَ كَانَ عَلَيْهِمَا جُنُودٌ﴾ أي عليهما بأحوال العباد حكماً في تشريعهم لهم ﴿وَأَنْبِئُوا اللَّهَ وَلَا تُكْرِهُوا إِلَيْهِ شَيْئاً﴾ أي وعدهم ومعهده ولا تشركوا به شيئاً من الأشياء صمماً أو غيره، وأمسوا بالواديين بر، وبلغات واحساناً واكراماً ﴿وَيَنْبِئُ الْفَرَقَ وَيُنَبِّئُ الْغَائِبَ﴾ أي وأمسوا إلى لأفارب عامة وإلى التماس والمساكين خاصة ﴿وَالْفَرَقَ بَيْنَ الْقَرَبِ﴾ أي العار القريب، منه عليك من الحوار وحق القرينة ﴿وَالْحَارَ الْغَائِبَ﴾ أي الجور الأجنبي الذي لا قرينة بك وبه ﴿وَالْفَرَقَ بَيْنَ الْقَرَبِ﴾ قال ابن عباس: «هو الوفيق في السفر»، وقال الزمخشري: «هو الذي سحبت إبه رقيقاً في سفر، أو جازاً ملامعاً، أو شربكاً في تعظم علم، أو فاعلاً إلى جيبك في محطس أو غير ذلك، ممن له أدنى صحبة التامت بينك وبينه فعليت أن ترعى ذلك الحق ولا تنسا، وقيل: هي المرأة»^(٢) ﴿وَإِنْ أَمْسَكَ﴾ أي الممسك من الغريب الذي لا قطع دار له وأهله ﴿وَمَا تَنْكُرُ لَهُمْ﴾ أي التماثل من النيب والإماء ﴿وَإِنْ أَمْسَكَ﴾ أي سكتهم، أي سكتهم في نفسه يألف من آثاره وحيراته فأولوا على الناس متروفاً عليهم يرى أنه خير منهم، وهذه آية جامعة جاءت حثاً على الإحسان واستطرافاً لتكريم الأتلاق، ومن تدبرها حق التدبر أفنته من كثير من مواضع البهلاء، ونصائح الحكماء، ثم بين تعالى مضاف هؤلاء الذين يبدونهم أثناء فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ يَسْمَعُونَ وَبَرَأُونَ لِقَائِهِ﴾ أي يمتعون ما أوجب الله عليهم من الإعتاق في سبيل الله وبأمرون غرهم بترك الإنفاق، والآية في اليهود نزلت في جماعة منهم كانوا يقولون للأتصار: لا نعتقوا أموالكم في الجهاد والصدقات! وهي مع ذلك عامة ﴿وَيَحْشُرُونَ﴾

(١) محصر ابن كثير ١/ ٢٨٩.

(٢) الكشاف ١/ ٣٩٢ وقد رأى ابن الطبري أيضاً.

الثالثة: ختم تعالى الآية بهذين الاسمين * إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ عَلِيمٌ * وبذلك تشهد الأرواح عند التسليم في استكمال الحز فكأن الآية تقول: لا تعصوا ولا تكونوا أعلى من الله وأمر روحه * فهو * فإن الله عليّ قاهر يذم من طاعته وفي عاقبه: فأنه أعلى منكم وأقدر عليكم منكم سبحانه فاحذروا عاقبه

الثالثة: روى البخاري عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله ﷺ: «قرأ علي القرآن» فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك قرآن؟ قال: نعم فإن أحب أن أسمع من غيري إلا فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ يَخْرُجُ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْ هَذِهِ السَّيِّئَاتِ﴾ فقلت: «حبست الآية فظهرت فإذا عبيد» ثم قال:

نعمية * ورد التلميح الكريم * بيت فذكر الله سبحانه عن تعني * وهو قال: بتغيبهم عنهم تكاف أخضر وأمر ويكره التعبير ورد ذلك العبارة لحكمة جليلة، وهي بقية أن المرأة من الرجال بمنزلة عظمي من جسد الإنسان وكذلك انعكس، فأن رجل يعزله الرأس، والمرأة بعزلة القدم، ولا يسمى أن يتكبر وهو على عضو، فالأذن لا يقضي عن العين، واليد لا تعزى عن القدم، ولا عاز على الشخص، أن يكون قلبه أقصى من معدته ورأسه أشرف من صدره، شكل يؤدي دوره بانتظام ولا غش لولا ذلك عن الآخر وهذا هو سر التعبير بقوله: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يظهر أن الآية في نهاية الإيجاز والإسجاز.

كلمة حول تأديب النساء

أهل البيت، ما وضعه أعداء الإصلاح للطمس في الشريعة الإسلامية رعبهم أن الإسلام أمام امرأة حين يسمح للمرأة أن يصريها ويقرضها، كيف يسمح للمرأة بضمير المرأة؟ ﴿وَالْمَرْءُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وأمره؟ ﴿أَتَدْبِرُونَ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ وأمره؟ ﴿وَالْمَرْءُ عَلَى نَفْسِهِ﴾

والجواب: نعم فكأن الحكيم العظيم يخبرها ولكن متى يكون الضرب؟ ومتى يكون؟ إن الضرب - قرآن غير مبرح - كما ورد في الحديث: «لشبهه أحد الطريق في مسألة تشبه تشبه» وعصاها لأمر الزوج، فعلى نساء المرأة عشرة: زوجها وقراب وأهلها وتبنيهاة الشيطان. وتغلب الحياة الزوجية إلى جميع لا يذوقه، يصبح الزوج في مثل هذه الحالة، فقد أوشدنا فقراب الكريم إلى النداء فأمر ماخير والأنا، ثم بالحق والازدواج، ثم بانهم في البغ مع، فإذا لم تسمح من هذه الوسائل فلا بد من سلوك طريق آخر هو الضرب غير المبرح فكسر الخطيئة والكبرياء، وهذا أمر ضمير من يقع لطلال عليها، وإذا قبل الضرر لأحف بالضرر الأكبر كان حراً وجديلاً وما أحسن ما قيل: «وعند ذلك نعمي يا عبيد، انما أنا بالضرر طريق من طريق المبرح يمنع من بعض الحوادث، حتى يستصحب فيه الإصلاح بالتحلف والإحسان والحمل ﴿فَإِنْ هَكَذَا فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾»

بِأَنَّهُمْ خُوِّدُوا بِشَرِّ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْكُمْ قُوَّةٌ يَأْتِيهِمْ مِنَ الْعَدُوِّ أَلَمْ تَكُنْ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ خَوْفٌ مِنْ غَيْرِكَ وَيَأْتِيهِمْ خَوْفٌ مِنَ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي مَعَكُمْ فَقَالُوا يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ لَنْ مُعَاوَدَ لَكَ بِهَذَا بَشَرًا فَنَقَرُوا بِأَيْدِيهِمْ خَشْيَةً مِنْكَ فَقَالَتْ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ فَسَلَوْنَ كَيْدَهُمْ مِنْكُمْ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ خَوْفٌ مِنْ غَيْرِكَ لَأَخَذْنَا بِهِ عَمَلَتِ الْفُجَّارُ لَعْنَةُ اللَّهِ الْفُجَّارُ ۚ

تفسيره: ﴿لَقَدْ تَرَى الْقَوْمَ الْبَاقِينَ أَتَوْا نَبِيَّهُمْ وَقَالُوا بِكَ كُذُوبٌ ۖ﴾ الاستفهام للتعجب من سوء حالهم والتحذير من مزالهم، أي لم تنظر يا محمد إلى الذين أعطوا حقاً من علم التوراة وهم أحبار اليهود ﴿يَذْكُرُونَ الْأَثْقَالَ﴾ أي يختارون التسلية على الهدى ويؤثرون الكفر على الإيمان ﴿وَيُذَكِّرُونَ أَنْ تُبْسِلُوا الْأَثْقَالَ﴾ أي ويبريدون لكم يا معشر المؤمنين أن تسلبوا طريق الحق لتكونوا مثلهم ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُمْ﴾ أي موثقتهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فحذروهم ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ خَوْفٌ مِنْ غَيْرِكَ لَأَخَذْنَا بِهِ عَمَلَتِ الْفُجَّارُ لَعْنَةُ اللَّهِ الْفُجَّارُ ۚ﴾ أي من هؤلاء اليهود فريق يدلون كلام الله في التوراة ويمسونه منير مراد الله قصداً وعمداً، فقد غيروا نصت محمد ﷺ وأحكام الرجم وغير ذلك ﴿وَيُذَكِّرُونَ تَبَعًا وَتَعَصُّيًا﴾ أي ويغترون لك إذا دعوتهم للإيمان سمعنا قولك وعصينا أمرك قال مجاهد، سمعت ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه، وهذا أبلغ في الكفر واعتاده ﴿وَأَتَتْهُ غَيْرُ مُنْجٍ﴾ أي أسمع ما نقول، لاسمعت، والكلام ذو وجهين يحتمل الخبر والشر، وأصله للخبر أي لاسمعت منكروها ونكس اليهود الخباء كانوا يقدسون به الدعاء على الرسول ﷺ أي لا أسمعك الله وهو دعاء بالنصم أو السموت ﴿وَيُذَكِّرُونَ﴾ أي ويقولون في أثناء عذابهم: راعنا وهي كلمة سباً من العرونة وهي الحشيق، فكانوا سخرةً وهزلاً برسول الله ﷺ يكلمونه بكلام محتمل يتنون به لشد بدة والإهانة ويظهرون به التوفير والافتراء، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِمْ نَجَاتٌ مِنْ آلِهِ﴾ أي نقلاً وتحريراً من الحق إلى الباطل وقدحاً في الإسلام. قال ابن عطية: «وهذا موجود حتى الآن في اليهود وقد شاهدناهم يربون أولادهم الصغار على ذلك ويحفظونهم ما يحفظون به المسلمين معاً ظهروا فتوقروا ويريدون به التحقير»^(١) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فُتِنُوا فَوَقَّعُوا فِي الْكُفْرِ﴾ أي موثقتهم من قولهم: سمعنا وعصينا ﴿وَأَتَتْهُ غَيْرُ مُنْجٍ﴾ أي عرفت من قولهم: غير سمع وراعت أي لو أن هؤلاء اليهود قالوا للرسول ﷺ ذلك القول الطريف يدل ذلك القول الشيخ ﴿لَكُنْ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَقْرَبُ﴾ أي لكان ذلك القول غيراً لهم عند الله وأعدل وأحسب ﴿وَلْيُذَكِّرُوا أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِالْكِتَابِ﴾ أي أنهم يأمروهم الله عن الهدى وعن رحمته بسبب كفرهم السابق فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً. قال الزمخشري: أي ضيقاً ركبنا لا يبعث به^(٢) وهو إيمانهم ببعض الكتب والرسول... ثم نوحدهم تعالى بالطمس والذهاب الجوامس فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَمْ تَكُنْ تَكْفُرُونَ بِمَا رَكِبْتُمْ﴾ أي يا معشر اليهود آمروا بالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ ﴿تَكْفُرُونَ لَنَا تَكْفُماً﴾ أي مصداقاً للتوراة ﴿يَبْنَ قَلْبُ

أَنْ تُطْبِشَ (وَحَرْمًا مَرَدًّا عَلَى الْإِبْرَاهِيمَ) أَيِ نَطْمِسَ مِنْهَا الْحَرَسَ مِنْ أَنْفِ أَوْ عَيْنٍ أَوْ حَاجِبٍ حِينَ
تَصِيرُ كَالْأَبْدَانِ، وَهَذَا تَشْوِيهِ عَظِيمٌ لِمَحَامِلِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ خَوْفُ ابْنِ عِيسَى ^{١١٠} ﴿لَا تُقْبَلُكُمْ تِلْكَ الْأُمَّةُ
أَشْحَبُكُمْ أَنْتُمْ﴾ أَيِ نَدَمَتِهِمْ كَمَا مَضَى أَمْرُ حَاجِبِ السَّمَةِ وَهَمَّ الَّذِينَ عَشَقُوا فِي السَّمَةِ
مَسْحُوحَهُمْ أَلَهُ فُرُودَهُ وَخِصَائِرَهُ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ يَقُولُ﴾ أَيِ إِذَا أَمَرَ بِأَمْرٍ مَرَدٍّ مَالِدٍ كَأَنَّ لَا مَحَالَ ﴿إِنْ
لَمْ يَكُنْ لَا يَمُوتُ أَنْ يَشْرُفَ بِهِ وَيَقْرَأَ مَا دُونَ ذَلِكَ بِمَنْ يَشْفَى﴾ أَيِ لَا يَنْفَرُ الْبَشَرُ وَيَنْفَرُ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ
الذُّنُوبِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِأَقْرَبِ قُرْبَى اللَّهِ يَكُنْ عَظِيمًا﴾ أَيِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَقَدْ أَخْلَقَ
إِثْمًا عَظِيمًا. قَالَ الْفَرِيزِيُّ: أَقْدَامَاتُ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ كِبَرَةٍ فِيهِ عَاشِمَةٌ لِلَّهِ إِنْ شَاءَ حَقًّا
حَدَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَاقِبُهُ عَلَيْهِ مَا لَمْ تَكُنْ كِبَرَتُهُ شَرِيكًا بِاللَّهِ ^{١١١} . ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى تَرْكِيَةَ إِيهُودِ أَنْفُسِهِمْ
مَعَ كُفْرِهِمْ وَتَحْرِيفِهِمْ لِكِتَابِ مَقَالٍ: ﴿أَلَمْ نَزَلْ بِالْأَقْبَرِ تَرْكُوكَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أَيِ كَيْفَ يَسْتَكْبِرُ حَرَمُ مَوْلَاهُ
الَّذِينَ يَسُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ رِيسَ مَوَالِيهِ الْعِدَّةِ وَالْقَوِيَّةِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ مِنَ الْمَرْجِيَّةِ مِنْ أَمْرِهِمْ. قَالَ
تَلَاوِي: ذَلِكَ لِمَنْ أَعْدَى إِلَهُ الْيَهُودَ وَقَرَأُوا أَنْفُسَهُمْ فَتَالَمُوا: ﴿عَنْ أَشْفَاءِ اللَّهِ وَيَتَقَوَّلُونَ﴾ وَفَالَمُوا: لَا دُوبَ
لِلْأَقْبَرِ ﴿يَا أَفْئِدَةُ بَرِّكَ مَنْ يَشْفَى﴾ أَيِ لَيْسَ الْأَمْرُ بِتَرْكِيَتِهِمْ بَلْ بِتَرْكِيَةِ اللَّهِ بِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِحَقِّ الْأُمُورِ
وَعَوَانِصِهَا مَرَكِيَّ الْحَرِيقِ مِنْ عِبَادِهِ وَهَمَّ لَا يَهْدِي الْأُمُورَ لَا الْيَهُودَ الْأَشْرَارَ ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ قِيْلًا﴾
أَيِ لَا يَنْصَبُونَ مِنْ عِبَادَتِهِمْ مَقَرَّ الْعَيْلِ، وَهُوَ الْخِطْبُ الَّذِي فِيهِ شَيْءٌ أَثَرٌ وَهُوَ مَثَلُ الْفَقْلَةِ تَقُولُ
﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ يَكْلِمُ مَقْدَقَ دُرٍّ﴾. ﴿فَأَنْفَرُ كَيْفَ يَقْعُدُ عَلَى اللَّهِ أَنْفَعُ﴾ هَذَا تَعْجِيبٌ مِنْ انْتِرَافِهِمْ
كَذَلِكَ لِمَنْ أَنْظَرَ بِمَعْنَى كَيْفَ اخْتَلَفُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ فِي تَرْكِيَتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْدَائِهِمْ ثُمَّ
أَسَاءَ اللَّهُ وَأَحْبَبَ؟ ﴿وَكَلَّمَ بِهِ أَشْفَاءُ﴾ أَيِ كَيْفَ يَهْدِي الْأَقْبَرُ وَزَوَّارًا رَجْمًا عَظِيمًا ﴿أَلَمْ نَزَلْ بِالْأَقْبَرِ
أَقْبَرُ أَرْوَاهُ تَقِيْلًا بَيْنَ الْكَيْفِ وَالْيَقِينِ وَالْقَبُولِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ مِنَ الْمَرْجِيَّةِ وَالْمَوَدَّةِ بِهِمْ وَأَصَابَ
الْيَهُودَ أَعْمَلُوا حَقًّا مِنَ الْفُرْقَانِ، وَهَمَّ مَعَ ذَلِكَ يُؤْمِنُونَ بِالْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَكُلِّ مَا عَدَى مِنْ دُونِ
الْحَرَمِ ﴿وَيَقُولُونَ بِالْأَقْبَرِ كَذْرًا فَتَالَهُ أَفْئِدَةُ بَرِّكَ الْيَقِينُ مَا مَوْجِبُ سَبِيلًا﴾ أَيِ يَقُولُ الْيَهُودُ الْكُفَّارُ قَرِيبُ
أَسْمَ أَعْدَى سَبِيلًا مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فَيَضِلُّونَ لِكُفْرِهِمْ عَلَى الْمَسِيحِيِّ بِحَقِّهِمْ
وَقَوْلُهُ بِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِكَتَابِ اللَّهِ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ ^{١١٢} . قَالَ تَعَالَى إِحْبَابًا عَنْ حِدَاتِهِمْ ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَقْبَرُ
لَهُمْ أَفْئِدَةً﴾ أَيِ مَرَدًّا مِنْ أَمْرِهِمْ عَنْ رَحْمَتِهِ ﴿وَمَنْ يَأْمُرْ أَفْئِدَةً تَنْفَرُ ثُمَّ يَكْبُرُ﴾ أَيِ مَنْ يَأْمُرُهُ مِنْ
رَحْمَتِهِ لِمَنْ بَصَرُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَيَمْنَعُ عَنْهُ أَثَارَ الْعَذَابِ بِهِ الْعَظِيمِ ﴿أَلَمْ تَكُنْ تَهْبِطُ بَيْنَ
أَنْفُسِهِمْ﴾ أَيِ أَمْ لَيْسَ حَقٌّ مِنَ الْبَطْلِ؟ وَهَذَا عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ يَعْنِي لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْمَلِكِ شَيْءٌ ﴿فَبَدَأَ
لَا يُؤْتُونَ أَفْئِدَةً تَنْفَرُ﴾ أَيِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْصَابٌ مِنَ الْعَنْكَةِ فَإِذَا لَا يَزِيدُونَ أَحَدًا مَقْدَرًا نَفِيمًا فَرَطَ

١١٠ وهو إشهار طري حيث دل: أي من قبل أن نطمس أبصارها ونمحو أثرها فوسيا كالأنقاء نتجس أبصارها
في أديارها ليعادوا انقهرى

١١١ الطبري ٨/ ٤٥٢

١١٢ الطبري ٨/ ٤٥٠

١١٣ مختصر ابن كثير ١/ ٤٠٢

بخطهم ، وانغير مثل في النملة كالغنبل والغطير ، وهو النكتة في ظهر النملة . ثم انتقل إلى
 حصيلة دسمة لشدة من اليجل فقال : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا بَنَوْا لَهُمْ مِنْ بُيُوتٍ ﴾ قال ابن
 عباس : حسدوا النبي ﷺ على النبوة وحسدوا أصحابه على الإيمان ، والمعنى : بن أيحسدون
 التي بنى المؤمنين على النبوة التي فصل الله بها محمداً وشرك بها العرب وحسدوا المؤمنين
 على ازديادهم من المؤمنين ؟ ﴿ فَقَدْ أَنْتَبَظْنَا لَهُمْ أَنْ يَكُنَّ أَكْثَرُ وَأَكْثَرُ ﴾ أي لقد
 اعطينا أسلافكم من ذرية إبراهيم النبوة ، أنزل عليهم الكتب وأعطيناهم ليلتك اعظم مع أسوة
 كذاود وسليمان فلاي شيء نخشون محمداً بنى بالعهد دون غيره . معن أنعم الله عليهم ؟
 والمقصود : لرد على اليهود في حسدهم للنبي ﷺ وإبراهيم لهم بما عرفوه من فضل الله على
 إبراهيم ﴿ قَتَلْتُمْ نُوْحًا وَهُوَ رَافِقٌ ﴾ أي من اليهود من آمن بمحمد ﷺ وهم قلة قليلة
 ومنهم من أحرم من وهم مؤمن وهم الكثرة كقولهم : ﴿ قَتَلْتُمْ نُوْحًا وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ قَتَلْتُمْ ﴾ ﴿ وَكَانَ
 مِنْهُمْ شُعَيْبٌ ﴾ أي كفى بالشار العسيرة عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم . ثم أخبر تعالى بما أصده
 المذكورة العجيرة من الزعيد والمذاب الشديد فقال : ﴿ إِنَّ آيَةَ النَّبِيِّينَ لَخُلُوفُ الثَّمَرِ ﴾ أي
 سورة : ﴿ تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَ أَكْمَالَهُ ﴾ ﴿ كُلَّ يَوْمٍ تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَ أَكْمَالَهُ ﴾
 ﴿ لِيُؤْكِلُوا الثَّمَرَ ﴾ أي كلما اشرفت جنودهم واحترفت احترفت تأكل تلكهم جرداً غيراً بلدوم لهم
 لهم العذاب . قال الحسن : فخشعهم النار في اليوم سبعين ألف مرة كلما اكتمهم قبل لهم .
 عودوا فعدوا ، كما كانوا ، وقال الربيع : اجلد أحدكم أربعين ذراً ، رطله لو رضع فيه جبل
 لوسعه ، فإذا أكلت النار جلودهم يبلوا جلوداً غيرها ، وفي الحديث اعظم أهل النار في النار
 حتى إن بين شحمة أحد أحدهم إلى عاقبة مسيرة مائة عام ، وإن علق مائة مائة ذراً وإن
 فريسه من أحد : ﴿ إِنَّكَ لَكُلٌّ عَرِضٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عزيز لا يمتنع عنه شيء ، حكيم لا يمدب
 إلا بعدد ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَسُيُفُوا فَسُيُفُوا سُدُجُهُمْ جُثَّةٌ تُحْرَقُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِينَ مِنْ آثَرِ ﴾ هذا
 إخبار عن مآل السعداء في سجنهم جنات تجري فيها الأنهار في جميع يحاحها وأرجانها حيث
 شاءوا وأمين أرادوا مقببين في الجنة لا يمشون ﴿ لَكُمْ مِنْهَا أَنْزَالٌ مُتَنَفِّذَةٌ ﴾ أي وهو في الجنة
 درجات مظهرات من الأقدار والأدب . قال مجاهد : مظهرات من البر والحيض والنعيم
 والبر والنعيم ، وأم لده ﴿ وَتُزَكِّيهِمْ بِأَنْزَالٍ ﴾ أي خللاً دنساً لا تلسخ الشمس ولا حر به ولا
 برد . قال الحسن : وصف بأنه ظليل ، لأن لا يدخله ما يدخل ظل الدنيا من الحر والسموم ، وفي
 الحديث إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا ي覺ها ^(١) .

والله اعلم بالصواب . فصلت هذه الآيات من الفصاحة والسلاسة والبدع ما يلي بإيجاز :

١- المجزأ المرسل في ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ المراد به محمد ﷺ من باب تسمية الخاص

باسم الحزم إشارة إلى أنه جمعت فيه كلمات الأولين والآخرين .

٢- الاستعارة في ﴿يَشْكُرُونَ أَيْسَرَ﴾ وفي ﴿يَدْعُونَ الْقَدْرَ﴾ ؛ لأن أصل الذوق باللسان جاستعير إلى الألم الذي يوجب الإنسان ، وفي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ؛ لأن أصل التي مثل الجبل فاستعير للكلام الذي قصد به غير ظاهره وفي ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَنْزَلَ فِيهِ الْفُتُوحَ﴾ وهي عبارة عن مسح ظهوره تشبيهاً بالصفحة المطبوعة التي عُقِيت سطورها وأشكلت حروفها .

٣- الاستفهام الذي يراد به التعجب في ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في موضعين .

٤- التعجب بالمفط لأمر في ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَتَذَكَّرُ﴾ وتنبؤين الخطاب في ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ وإذاعة مقام الصافي للدلالة على الدوام والاستمرار .

٥- الاستفهام الذي يراد منه التوبيخ والتفريع في ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ وفي ﴿أَمْ يَحْشُرُونَ﴾

٦- التمرين في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ عرض بشدة بغلهم .

٧- العطايا في ﴿يُجْزَى . . زَادَتْ﴾ وفي ﴿لَسْنَا . . رُكُفَرَاءُ﴾ .

٨- جناس الاشتقاق في ﴿لَقَدْ مَنَّ . . تَمَنَّا﴾ وفي ﴿يُؤْتُونَ . . وَآتَيْنَهُمْ﴾ وفي ﴿يَوْمَ حَبِيبَةٍ﴾ .

٩- الإطناب في موضع ، والسلف في مواضع .



قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَرَوْهُ فَقَدْ تَرَوْهُ بِأَبْصَارِكُمْ﴾ إلى . . . ﴿لَقَدْ رَأَوْهُ هَيْبًا﴾ من آية (٥٨) إلى نهاية آية (٧٠) .

للفأشبية: لما ذكر تعالى حال اليهود وما هم عليه من الحسد والعداء والجهود ، وذكر ما أهداه لهم من العذاب والتكال في الآخرة ، أعقبه بتوجيه المؤمنين إلى طريق السعادة وطاعة الله ورسوله وأداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس ، ثم ذكر صفات المنافقين التي ينبغي الحذر منها والابتعاد عنها .

للفظة ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ أصلها تذكّر ما أي تسمع الشيء ، بعضكم به ﴿تَذَكَّرُوا﴾ مآلاً وعناية ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ الزعم : الاعتقاد الظني ، قال الليث : أهل العربية يقولون : زعم فلان ، إذا شكوا في فلم يعرفوا أكذب أو صدق ، وقال ابن جرير : أكثر ما يقع على الباطل ومنه قولهم : زعموا : مطية المكذب ، ثم قيلاً ناليفاً ، وهو فاق والفرق بين المخالفة ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ مؤنراً ﴿تَذَكَّرَ﴾ المصنف واختلط ، ومنه الشجر فتدخل أغصانه واختلط بعضها في بعض ﴿تَذَكَّرَ﴾ صيغة ومثلاً . قال الواحدي : يفضل للشجر الملقب الذي لا يكذب ويوصل إليه : حرج .

سبب الغزول

١- روي أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان بن طلحة باب الكعبة وصعد المنبر ، وأبى أن يدع المفتاح لرسول الله ﷺ وقال : لو علمت أنه رسول الله ﷺ لم أمتعه ! فلما علم أنه رسول الله ﷺ فتح الباب فدخل رسول الله ﷺ وصلى ركعتين ، فلما خرج أمر علياً

أن يرد المفتاح إلى عثمان بن طلحة ويعتذر إليه فقال له عثمان: أدبته وأكرمتهم حيث تفرقوا!! فقال: لقد أنزل الله في شأنك قرآناً ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِأَعْيُنِنَا إِنْ مَرَّ عَلَيْكُمْ فَدُونِهَا فَاصْطَبْهُوا﴾. وعمرأ عليه الآيات فسلم عثمان فقال النبي ﷺ: اغضوها يا بني طلحة عائلة تالدة لا ياعلمها منكم إلا ظلم!!^(١١)

ب- عن ابن عباس أن رجلاً من المنافقين يقال له : ابشر، كان بينه وبين يهودي خصومة فقال لليهودي : تعال نتحاكم إلى محمد فقال المنافق : بل نتحاكم إلى كعب بن الأشرف - وهو الذي سماه الله : الطاغوت - فأبى اليهودي أن يتخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ فأتى رسول الله لليهودي على المنطق، فلما خرج من عنده لم يرض المنافق وقال : تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب فأبى عمر فقال اليهودي : كان بيني وبين هذا خصومة فتحاكنا إلى محمد فأتى لي عليه فلم يرض يقضاه وزعم أنه يتخاصمني إليك ! فقال عمر للمنافق : أكذلك هو ؟ فقال : نعم ! فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشمل عليه سيفه ثم خرج لضرب به المنافق حتى يرد - أي مات - وقال : هكذا أخصى فيمن لم يرض بقضاء الله ورسوله ! فذلت الآية ﴿إِنَّ إِلَى اللَّهِ مَصِيرَهُ﴾ ^(٢٤) الآية.

١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١
 ٤٧٢
 ٤٧٣
 ٤٧٤
 ٤٧٥
 ٤٧٦
 ٤٧٧
 ٤٧٨
 ٤٧٩
 ٤٨٠
 ٤٨١
 ٤٨٢
 ٤٨٣
 ٤٨٤
 ٤٨٥
 ٤٨٦
 ٤٨٧
 ٤٨٨
 ٤٨٩
 ٤٩٠
 ٤٩١
 ٤٩٢
 ٤٩٣
 ٤٩٤
 ٤٩٥
 ٤٩٦
 ٤٩٧
 ٤٩٨
 ٤٩٩
 ٥٠٠
 ٥٠١
 ٥٠٢
 ٥٠٣
 ٥٠٤
 ٥٠٥
 ٥٠٦
 ٥٠٧
 ٥٠٨
 ٥٠٩
 ٥١٠
 ٥١١
 ٥١٢
 ٥١٣
 ٥١٤
 ٥١٥
 ٥١٦
 ٥١٧
 ٥١٨
 ٥١٩
 ٥٢٠
 ٥٢١

التفسير: (وَإِنَّ اللَّهَ بِأَعْيُنِنَا إِنْ تَوَلَّوْا لَا يَخْفَىٰ لَكَ أُنْفُكَ) الخطاب عام لجميع المكلفين كما أن

(١١) المصدر: د.م. غزوي، ١٣٨٨م وأساسه التزوي، ص: ٩٠.

(٢) الكشاف ١/ ١٠٦ وفتح طبرستان ٧٦١/ ٥.

أَيُّهُمْ مِنَ الْكَفَرِ وَالْمَعَاصِي يُقْتُلُونَ أَنْ يَدْعُوا عَنْهُمْ الْمُذَابِقَ؟ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ هُوَ إِنْ أَرَدْنَا بِكَ إِشْكًا وَإِنْصَافًا ﴿٢٦﴾ أَيُّ شَيْءٍ هَؤُلَاءِ السَّافِقُونَ لِمَا حَذَّرَ عَمَّا اقْتَفَوْهُ مِنَ الْأَوَازِ يَعْسُونَ
بَالَهُ مَا أَرَدْنَا بِالنَّحْرِكُمْ إِنْ غَيْرَكَ إِلَّا تَصْلُحُ وَالتَّائِيْفُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ، وَمَا أَرَدْنَا، فَضْ حَكَمَكَ .
قَالَ تَعَالَى تَكْذِبُ لَهُمْ: ﴿أَرَأَيْتَ لِقَائِهِمْ يَوْمَ أَتَاهُمْ أَتَاهُ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أَيُّ هَؤُلَاءِ السَّافِقُونَ يَكْذِبُونَ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ التَّفَاقُقِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَخْدَعُوكَ بِهَذَا الْكَلَامِ
الْمُجْسُولِ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أَيُّ فَأَعْرِضْ عَنْ مَذَائِبِهِمْ لِلْمُصْلَحَةِ وَلَا تَأْخُذْ بِهِمْ عِلْمْتَ بِمَا فِي
يُؤَاطِفِهِمْ وَلَا تَهْنِكْ مِنْهُمْ حَتَّى يَهْمُوا عَلَى وَجْهِ وَجْهِ وَرَدُّهُ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أَيُّ أَوْ جَوْعَهُمْ عَنِ الْكَيْدِ
وَالنَّفَاقِ يَصْرَاحُ الْآيَاتِ ﴿وَقُلْ لَهُمْ قِتْ أَنْفُسُهُمْ قَوْلًا نَصِيحًا﴾ أَيُّ أَنْصَحَهُمْ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ
بِكَلَامٍ نَصِيحٍ مَوْفَرٍ يَصِلُ إِلَى سَوَادِ قُلُوبِهِمْ بِكُرْبٍ لَهُمْ وَادْعًا وَلِقَائِهِمْ رَاسِمًا . ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ
بَيَانِ رَاطِمَةِ الرِّسِّ فَقَالَ: ﴿يَوْمَ أَرْسَلْنَا مِنْ قُرْشُولٍ وَلَا يُعْصَفُ يُدْرِكُ أَفْئِدَةً﴾ أَيُّ لَمْ تُرْسَلْ رَسُولًا مِنْ
الرَّسَالِ إِلَّا لِيَطْلُعَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَطَعَنَهُ حَافَةً لَكُ وَمَعْصِيَتُ مَعْصِيَةٍ لَهُ ﴿وَأَتَتْهُمْ بِذَاسْمَةٍ﴾
أَتَتْهُمْ بِحَسْرَةٍ وَكَلَفَتْهُمْ قُرْشُولًا ﴿أَيُّ لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّافِقِينَ حِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ يَدْعُونَ قَبْرًا حَكَمَكَ
عَادَتِكَ نَاقِبِينَ مِنَ الْغَفَاقِ سِنْدَحِينَ مَالَهُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ مُعْتَفِينَ بِأُنْفُسِهِمْ﴾ وَتَسْتَفْتِيهِمْ أَلَيْسَ الْأَرْسُولُ
أَيُّ وَاسْتَعْفَرْتَ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَيُّ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ ﴿وَجَاءَ وَأَتَاهُ أَتَاهُ رُؤُوسًا﴾ أَيُّ
لَعْنُوا كَثْرَةَ نُبُوَّةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَسَعَةً رَحْمَتِهِ لَهُ . ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى طَرِيقَ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ فَقَالَ:
﴿قُلْ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُكَ حَتَّى يَتَّبِعُوكَ بِمَا شَكَرْتَ مِنْهُ﴾ الْإِيمَانُ لِنَاكِدِ الْقِسْمِ أَيُّ قَوْلِكَ بِمَا مَدَّ
لَا يَكُونُونَ مُؤْمِنِينَ حَتَّى يَجْعَلُوكَ حَكَمًا بَيْنَهُمْ وَيَرْضَوْا بِحَكَمِكَ لِيَعْمَلُوا تَارَهِمْ وَأَخْتَلَعُوا فِيهِ مِنَ
الْأُمُورِ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُكَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجٌ لِيَا أَتَفَتَّ وَكُنَّا قَلِيلًا﴾ أَيُّ شَيْءٍ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
ضَيْقًا مِنْ حَكَمِكَ وَيَتَقَادُوا انْقِبَادًا تَامًا كَامِلًا لِقَضَائِكَ مِنْ عِوَضِ مَعَارِضَةٍ وَلَا مِدَابَعَةٍ وَلَا مَنَاقِعَةٍ،
فَحَقَّقَ الْإِيمَانَ الْخُضُوعَ وَالْإِذْعَانَ ﴿وَلَوْ أَنَّ كُنَّا عَنْهُمْ غَنِيَةً لَأَمْنُوا بِأَنْفُسِنَا لَمْ نَعْمَحْ بِرَبِّنَا﴾
أَيُّ لَوْ فَضَّلْنَا عَلَى هَؤُلَاءِ السَّافِقِينَ مَا فَرَّغْنَا عَلَى مَنْ لِيَهُمْ مِنَ الْغَنَاتِ وَشَلَّوْنَا التَّكْلِيفَ عَلَيْهِمْ
فَأَمَرَهُمْ بِقِتْلِ النَّفْسِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْأَوَاطِنِ فَمَا قَرِصَ ذَلِكَ عَلَى سِي إِسْرَائِيلَ ﴿ثُمَّ مَثَلُوا إِلَّا قَلِيلٌ
مِنْهُمْ﴾ أَيُّ مَا اسْتَجَابَ وَلَا اتَّقَا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ لضعف إيمانهم ﴿وَوَرَّى الْجِبَّ مَقْلُوبًا يَرْعُونَ﴾ لَكُلِّ
حَرٍّ كَلْبٍ وَأَلْفٌ نَقِيصًا أَيُّ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ لَكَانَ خَيْرًا
لَهُمْ فِي عَاجِلِهِمْ وَأَجَلِهِمْ وَأَمَّا تَشَبُّهُ الْإِيمَانِمْ، وَأَمَّا نَعْمَ مِنْ الْأَصْلَالِ وَالنَّفَاقِ ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُكُمْ
لَكُمُ الْبَرْقُ نَقِيصًا﴾ أَيُّ الْمَدِينَةِ هُمْ أَمْرَةُ الطَّاعَةِ نَوَابًا كَثِيرًا ﴿وَلَهُمْ أَتَاهُ جَزَاءُ شُكْرِكُمْ﴾ أَيُّ أَرْضَدْنَاهُمْ
إِلَى الطَّرِيقِ لِمُسْتَفِيمٍ لِمَوْصِلٍ إِلَى جَنَاتِ الْمَعِيشِ، ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى لَعْنَةَ الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَالَ:
﴿وَلَوْ يُعْلِمُ اللَّهُ أَتَاهُ رُؤُوسًا وَأَتَاهُ نِعْمَ الْيَوْمَ لَعَمْرُكَ﴾ أَيُّ وَمَنْ يَحْمِلُ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ،
وَيَجِبُ مَا مَنَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْكُنُهُ دَارُ كَرَامَتِهِ فِي دَارِ الْخُلُقِ مَعَ الْعَمَلِ بَيْنَ
﴿يَوْمَ أَتَاهُمْ رُسُلُهُمْ وَالنَّارُ تَلْفُظُهُمْ﴾ أَيُّ مَعَ أَصْحَابِ الْمَنَارِلِ التَّعَالِيَةِ فِي الْأَخْرَةِ وَهُمْ لَا يَبْجَاءُ

الاعتقاد والصدقون الأبرار، وهم أفضل أصحاب الأنبياء والشهداء الأخيار، وهم الذين استشهدوا في سبيل الله ثم مع بقية عباد الله الصالحين ﴿وَيُخَشِنُ آلُوتِيكَ وَيُيَقِّظُ﴾ أي ونعمت ردة هؤلاء وحسينهم، ويخشن رفق آلوتك الأبرار، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ في شكواه التي فُرض فيها يقول: ﴿لَمَعَ الْوَرْدُ لَمْعًا فَهُوَ عَلَيْهِمُ بْنُ أَبِييُنُسَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُطَهَّرِينَ﴾ فعدت له غير^(١٠) ﴿ذَلِكَ الْقَفْصُ بَرَكِ اللَّهُ﴾ أي ما أعطيه المصطفى من الآخر العظيم إنما هو ما حظي فضله لغفر^(١١) ﴿وَكُنْزُ الْيَمِّ يَبْسُكُ﴾ أي وكفى به ما أفاضل وجزائل ما أطلع الله به من يستحق الفضل والإحسان

هناك، يصيب الآيات الكريمة من صروب الفصاحة والبدع ما يلي باختصار

- ١- الاستعارة الترادفية المنجبة في ﴿الَّذِي تَرَى إِلَى الْخُرُوبِ يَتسَنَّ﴾
- ٢- الالتفات في ﴿تَسْتَفْتِيَهُمْ فَمَا أَزْنَى﴾ تفخيلاً لشأن الرسول، وتعظيماً لاستغفاره ولو جرى على الأصل لقال: واستفتيتهم
- ٣- إيراد الأمر بصورة الإحسان وتعظيمه به إذ: العفيدة والمتحفظ في قوله: ﴿إِنْ تَدْرِكُهُمْ﴾ لتضخيم وتأکید وجوب العفد والاحتشال
- ٤- الجناس المتمايز في ﴿يُخَلِّمُ كَذِبًا﴾ وفي ﴿وَقُلْ كَذِبًا﴾ وفي ﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾ وفي ﴿يَقْتُلُونَ﴾ متشددًا وفي ﴿مَاتُوا قَوْلًا﴾
- ٥- الاستعارة في قوله: ﴿يَسْأَلُكَ كَذِبًا﴾ استعارة بالاشتراك بصفة من الشعر لاشتراك لادني يدخل به بعض الكلام في بعض، استعارة لمعقول بالمدحوس
- ٦- تكرير الاسم المجدول ﴿إِنْ تَدْرِكُهُمْ﴾ ﴿إِنْ تَدْرِكُهُمْ﴾ ﴿إِنْ تَدْرِكُهُمْ﴾ لتربية المهابة في المعوس

- ٧- الإغراب في مواضع، والتخلف في مواضع.

هذذة عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ وأرسل الله إليك لأحب إلي من نفسي وأحب إلي من أهلي، وإني لأكون من نبيك فأذكرك هذا أصبر حتى أتيتك وأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا عرفت الحجة وقعت مع السبي، وإذا عرفت الحجة عشتي أن لا أراك أفسد يرد عليه النبي ﷺ حتى أقول الله ﴿وَقُلْ لِيُحْيِيَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ إِذْ دُئِنْتَ مِثَّ الْوَرْدِ لَمِيعًا﴾



قال محمد بن علي ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (٧٧) إلى نهاية آية (٨٧)

والنصف الثاني خبر نعلي من النذرة، والمنافسي، وأرضى بعبادة الله وعبادة رسوله، أمر هنا

المؤمنون لا يقاتلون في سبيل الله وفي سبيل خلاص المستضعفين من إخوانكم الذين صدّهم المشركون عن الهجرة فيقولوا مستضعفين يلمون أنواع الأذى الشديد؟ وقوله ﴿يَرْبِئُونَ وَأَيْتَنَكَ وَاللَّيْلُ﴾ بيان للمستضعفين، قال ابن عباس: «كنت أنا وأمي من المستضعفين، وهم الذين كان يدعو لهم الرسول ﷺ فيقول: «اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلعة بن هشام... إلخ كما في الصحيح» ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْزِلْ لَنَا الْقُرْآنَ﴾ أي الذين يدعون ربهم لكشف الغم عنهم قالين: ربنا أنزلنا من هذه القرية وهي مكة؛ إذ إنها كانت موطن الكفر، ولذا هاجر الرسول ﷺ منها ﴿أَفَأَنْتُمْ أَهْلُهَا﴾ بالكفر وهم صناديد فريش الذين منعوا المؤمنين من الهجرة ومنعوا من ظهور الإسلام فيها ﴿وَتَقُولُ لَنَا يَنْ لَكُنَّا وَكَهْنُ لَنَا يَنْ لَكُنَّا قَبْلَ﴾ أي احمل لنا من هذا الفين فرسخا ومفرجا وسخر لنا من عندك ولنا وانصرا. وقد استجاب الله دعاءهم فجعل لهم خير ولي وانصر وهو محمد ﷺ حين فتح مكة ولما خرج منها وفي عليهم عقاب بن أسيد فأدصف مظهرهم من فأسهم، ثم شجع تعالى المعاهدين ورضيهم في الجهاد فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُونَ رَبِّ سُبْحَانَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنُونَ يَفْعَلُونَ لِهَذَا سَامَ وَغَايَةَ سَبِيلَهُ، وَهِيَ بَعْدَ دِينِ اللَّهِ وَأَعْلَى كَلِمَةٍ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ فَهُوَ تَعَالَى وَلَهُمْ وَنَاصِرُهُمْ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقُولُونَ لِي سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي وأما الكافرون فيقاتلون في سبيل الشيطان الداهي إلى الكفر والطغيان ﴿فَقَاتِلُوا كُفْرًا﴾ أي قاتلوا يا أولياء الله أنصار وأعداء الشيطان فإنكم تغلبونهم، فستان بين من يقاتل لإعلاء كلمة الله وبين من يقاتل في سبيل الشيطان، فمن قاتل في سبيل الله فهو الذي يُغْلِبُ؛ لأن الله وبيته وانصروا ومن قاتل في سبيل الطاغوت فهو المخدول المغلوب؛ وهذا قال: ﴿إِنْ كُنَّ قُلُوبُكُمْ مَلَأَتْ سَفَهًا﴾ أي سعى الشيطان في حد فقه ضعيف فكيف بالغياض إلى قدرة الله؟ قال الزمخشري: «كيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضرب شي، وأوهه» ﴿إِنْ تَرَوْا بِلَ الْوَدَّ بِدَلْ قَدْ كَفَرُوا بِرَبِّكُمْ وَأَقْبَسُوا الْفِتْنَةَ وَكَلُوا الْكُفْرَ﴾ أي ألا تعجب يا محمد من قوم طلبة الفتنال وهم بسكة فضيل لهم. أمسكوا عن قتال الكفار فلم يحسن وقته وأعدوا نفوسكم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿فَمَا كُنْ جَهَنَّمَ الْقِتَالُ إِذَا قَدْ وَجَّهْتُمْ بِلَاسَ كُفْرٍ أَمْ لَوْ أَنَّ خَشْيَةَ﴾ أي فلما فرض عليهم قتال المشركين إذا جماعة منهم يخافونه ويجتنبون ويغرون من الصوت كخشيتهم من عذاب الله أو أشد من ذلك، قال ابن كثير: «كان للمؤمنين في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأورين بالصلاة والزكاة والصبر على أذى المشركين، وكانوا يشعرون لو أمروا بالقتال ليشعروا من أسيأتهم، فلما أمروا بها كانوا يوتونه جزع بعضهم وخاف من مواجهة الناس خروفا شديدا» ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ لَنَا جُنُودًا﴾ أي وقالوا خروفا من الصوت: ربنا لم فرست علينا جنودا؟ ﴿قَالُوا أَلَمْ نَقُلْ إِنَّ الْكُفْرَ﴾ أي لا للتضييق بمعنى (هلا) أي هلا خروفا

تقول القائل : اسمًا وطاعة فإذا مر جوارح حدثك رجلٌ جماعة منهم غير الذي نقر له لهم ، وهو الخلاف والعصيان لأمرك ﴿وَالَّذِي يَكْتُمُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي بأسر المحفوظة بكنائسهم ، فمـ : محتاج أحد إليهم كجوازٍ عليه ﴿وَأَقْرَبُ عَيْنَهُ زَوْجِي عَلَى اللَّهِ﴾ أي أصدق عنهم ونواضع أمرك إلى الله ، وثق به ﴿وَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ﴾ أي فهو سبحانه ينظم لك منهم : وكفى به باصرًا رصينًا لمن توكل عليه ، لم عاب نعماني المنافقين بالإعراض عن الدين في القرآن في فهم معانيه محكمة وكفاؤه انبينة ، فني تدبره يظهر برهانه وسطح نوره وبيانه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ لَمَنِعْنَا عَنْهُ خَبِيرًا﴾ أي لو كان هذا القرآن مختلفًا كما يزعم المشركون والمنافقون أو يبدوا فيه تناقضًا كبيرًا في أخباره ونظمه ومعانيه ، ولكنه مترد عن ذلك فإخباره صدق ، ونظمه بليغ ، ومعانيه محكمة ، فدل على أنه تنويل الحكيم الحميد ﴿وَلَا يَجِدُكُمْ إِلَّا يَكْفُرُ بِأَلْسِنِكُمْ الْأَلْسِنُ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ قُلُوبٌ فَكُنْ يَدْعُو يَدْعُو﴾ أي إذا حال المنافقين خبر من الأخبار عن المؤمنين بالظفر والغبسة أو الشكبة والهزيمة أذا هم إليه أي أقتروا وأخبروا وتحدثوا به قبل أن يغفروا على حقيقته : وكان في إذاعتهم له معصية على المسلمين ﴿وَلَوْ رَأَوْهُ عَلَى الْأَرَامِ لَوَلَّى دُورًا﴾ أي الأمر بينهم لئيبه ألقوا بغيرهم منهم ﴿يُذِيعُ بَيْنَهُمْ الْأَمْرَ﴾ أي تروك هؤلاء الكلام بذلك الأمر الذي يلغهم ورواه إلى رسول الله ﷺ وإلى كبار الصحابة وأهل بيئاتهم منهم لعلهم الذين يستخرجونه منهم أي من الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوْ لَا قَوْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَمَنْعُوا عَنْكُمْ الْأَمْرَ﴾ أي لو لا فصل الله عليكم أي المؤمنين بأمر رسول الله ﷺ ، ورحمته بإنزال القرآن لأتبعتم الشيطان فيما يأمركم به من المباحات إلا قليلاً منكم ، ثم أمر الرسول بالجهاد فقال ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُنْ مِنَ الْخَائِلِينَ﴾ أي قاتل بـ محمد لإعلاء كلمة الله ولو وحيداً ، فإنك موعود بالمر ولا تهزم بخلافه ، فمحققين عنك ﴿وَتَزَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي شجعهم على القتال ورحمهم فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ لَكُمْ الْيُسْرَى كَثْرًا﴾ هذا وعد من الله بكنفهم ر ﴿عَسَى﴾ من الماء بعد التحقيق أي بتحريضك المؤمنين بكف الله شر الكفرة الفجار ، وقد كفهم الله بهزجهم في بدر وبفتح مكة ﴿وَالَّذِي أَطَاعُوا أَمْرًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي هو سبحانه أشد قوة وسعة ، وأعظم عقوبة وعذاباً ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا﴾ أي من يشفع بين الناس شعاعه موافقه للشرع يكن له نصيب من أجر ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً رَجِيمَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِمَّا﴾ أي ومن يشفع شعاعه مخالفة للشرع يكن له نصيب من الوزر بسببها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَبِيلًا﴾ أي مشدود فيجازي كل أحد بعمله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّ رَبِّهِمْ إِذْ دَعَا إِلَى الْوَدْعَةِ﴾ أي إذا سلم عليكم أسلم فردا عليه بأفضل مما سلم أو ردوا عنه بعمل ما سلم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَبِيرًا﴾ أي يحاسب العباد على كل شيء من أعمالهم الصغيرة والكبيرة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّ رَبِّهِمْ إِذْ دَعَا إِلَى الْوَدْعَةِ لَا يُؤْمِنُوا﴾ هذا قسم من الله يصح لخلائق يوم المدة أي الله الواحد الذي لا يعبد سواه ليحشرهم من قبوركم إلى حساب يوم القيامة الذي لا شك فيه ، وسيجمع الأولين والأخريين في صعيد واحد لاجراء والحبب ﴿وَمَنْ آمَنُوا بِحَقِّ رَبِّهِمْ إِذْ دَعَا إِلَى الْوَدْعَةِ لَا يُؤْمِنُوا﴾ فخطه استفهام ومعناه الذي أي لا أحد أصلي

في الحديث والوعد من الله وبالمؤمنين .

البيان ، تضمنت هذه الآيات أنواعاً من الفصاحة والبيان واشدع نوحها فيما يلي .

- ١ - الاستعارة في قوله : ﴿ يَذُرُونَكَ الْمَنَورَةُ الْكُفْرُ وَالْأَيْخَرَةُ ﴾ أي يبيعون الغاية بالبيان ، واستعار لفظ الشراء للعبادة ، وهو من لطيف الاستعارة
- ٢ - الاعتراض في ﴿ كَذَلِكَ يَكْفُرُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾
- ٣ - التثنية العرصة المجمل في ﴿ يَحْتَرِقُونَ النَّاسَ كَقَشِيرَةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾
- ٤ - الضماني بين ﴿ الْكَاذِبُ أَوْ الْغَوَّابُ ﴾
- ٥ - جناس الاشتقاق في ﴿ احْبِسْكُمْ عُيُوبَهُ ﴾ وفي ﴿ حُبَيْبٌ .. حَبِيبٌ ﴾ وفي ﴿ يَشْمَعُ شَمْعَةً ﴾ وفي ﴿ يَبُتُّ وَبُتُّونَ ﴾
- ٦ - الاستعهام الذي برأيه الإنكار في ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَةُ فِي ؟ ﴾

- ٧ - المقابلة في قوله : ﴿ تَقْبَلُونَ أَنْتُمُ الْمُتَّقِينَ فِي تِلْكَ آيَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكْثُرُونَ فِي تِلْكَ آيَةِ الْفُلُوحَةِ ﴾ وكذلك في قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ يُفْصَلُ شَمْعَةٌ كَسَّةٌ يَكْفُرُ لَمْ تَكُنْ يَتَبَّأُ وَمَنْ يَفْصَلُ شَمْعَةً مِثْلَهُ يَكْفُرُ لَهُ يَكْفُرُ يَتَبَّأُ ﴾ وهذه من المعجزة اللغوية ، وهي أن يؤتى معنيين أو أكثر لهم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب .
- ٨ - ما عطف بين قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلُّ مَنْ عِندَهُ ﴾ أي كل من الحسنه والسبيته وبين قول : ﴿ وَبِئْسَ أَهْلُكَ يَزِيدُونَ فِي تِلْكَ آيَةِ ﴾ إذا لا إلى عسى الحقيقه أي حلقاً لا ينداداً والثابت نسباً وسبب اندروب ﴿ وَبِئْسَ أَهْلُكُمْ يَزِيدُكُمْ يَتَبَّأُ كَسَّةً يَكْفُرُ لَمْ تَكُنْ يَتَبَّأُ وَمَنْ يَفْصَلُ شَمْعَةً مِثْلَهُ يَكْفُرُ لَهُ يَكْفُرُ يَتَبَّأُ ﴾ النسبة إلى الله ، والسبيته إلى العبد هو من باب الأدب مع الله في التكلام ، وإن كان كل شيء مع في الحقيقة كقولهم : ﴿ لا يحبر كل ما يحدث ﴾ والشرا ليس إليك ، والله اعلم .



قال الله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ فِي الْكُفْرَيْنِ بِتِلْكَ آيَةِ .. إِنْ .. وَتَقُولُوا وَرَبَّنَا زَكَرْنَا أَنْفُسَنَا بِهَذَا مِنْ آيَةِ ﴾ (٩٨) إلى نهاية آية (٩٦) .

العنسة : لما ذكر تعالى مواقف ضمافين العنصرية ، عطف بذكر روح آخر من أحوال الضمافين الشنيعة ، ثم ذكر حكم القتل المخطئ والقتل العمد ، وأمر بالقتل قبل الإقدام على قتل إنسان لئلا يُنقض إنى قتل أحد من المسلمين ؛ ثم ذكر تعالى مراتب المحامدين ومنازلهم الرقيقة في الآخرة

اللعنة ﴿ أَرْكَنُهُمْ ﴾ دأبهم إلى الكفر أو تكفيرهم ، وأحسن لهم . وذأبهم مقلوباً قال الشاعر

فأركسوا في حبيبهم النار إنهم كانوا عصاةً رفاهاً إلاكث والفروراً

وَالْمُحْسِنِينَ إِلَى عِبَادِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٧﴾ وَكَفَىٰ لَكُمْ نَارُ اللَّهِ فَكَفَىٰ لَكُم مِّنْهُ نَارٌ كَاظِمَةٌ ﴿١٠٨﴾ وَكَفَىٰ لَكُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمُ الْيَوْمَ أَدَّبْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يَخِفُونَ ﴿١٠٩﴾

[illegible]

١٠١ آخر تعقيب حكم القاتل بعد ما أقر البدر ٣٣٩: ٣٣٩ وأقر البدر ٣٣٩: ٣٣٩ من البدر ٣٣٩: ٣٣٩

[illegible]

فوالله لو أستطيع الجهاد لجاهدت؟ وكان أعمى فأقول الله: ﴿عَبْدَ لَئِي الْقَتِيلِ﴾ ﴿فَقُتِلَ اللَّهُ الْكَلْبِيُّ﴾ بِأَنَّهُمْ وَأَقْرَبُهُمْ قَتَلَهُ قَتْلًا قَتِيلًا ﴿أَيَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمَجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَعْدَارِ دَرَجَةً لَأَسْتَوِيهِمْ فِي قِتْيَةٍ، كَذَلِكَ يَفْهَمُ:﴾ «بِهِ بِالْعِدَّةِ أَنْوَاعًا مَا سَرَّ مِنْ مَكِيرٍ وَلَا قَطْعٍ مِنْ وَاقٍ إِلَّا وَحْمٌ بِكُمْ فِيهِ» قَالُوا: وَحْمٌ بِالْعِدَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ حَسْبُ الْعِدَّةِ» ﴿وَكَلَّا نَقُتِلَ اللَّهُ لَنُقْتِلَ﴾ أَيِ وَكَلَّا مِنَ الْمَجَاهِدِينَ وَالْقَاعِدِينَ بِسَبَبِ ضَرْبِ لَحْنِهِمْ وَغَدَمِ اللَّهِ الْحَزَاءِ الْحَسَنَ فِي الْأَعْرَةِ ﴿وَقُتِلَ اللَّهُ الْكَلْبِيُّ عَلَى الْقَتِيلِ قَتْلًا قَتِيلًا﴾ أَيِ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمَجَاهِدِينَ فِي مَبِيلِ اللَّهِ عَلَى الْقَاعِدِينَ بِغَيْرِ عَذْرِ بِالتَّوَابِ الْمُرَافِقِ الْعَظِيمِ ﴿وَرَجَيْتَ بِهِ وَمُتَرَا وَرَجَعْتَ وَكَانَ اللَّهُ مُرَوِّدًا لَكُمْ﴾ أَيِ مَزَيْنَ بِحَسْبِهَا أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ مَعَ الْخُفْرَةِ وَالرَّحْمَةِ رَحْمَةِ الْعِدَّةِ إِنْ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أُعْطَاهَا ذَلِكَ لِلْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١).

استأخف: تضمنت هذه الآيات من التبليغ والبيان والبدیع نوانا موحده فيما يلي

- ١- الاستفهام بمعنى الإنكار في ﴿قَتَلَهُ لَكُلٌّ لَنُقْتِلَ﴾؟ وفي ﴿تُرِيدُونَ أَن تَقْتُلُوا؟﴾.
 - ٢- إعطال في ﴿إِن أَمَدًا مَرَّ حَقُّ اللَّهِ﴾ وكذلك ﴿أَنْتُمْ يَوْمًا﴾ و﴿لَنُقْتِلَ﴾.
 - ٣- استحسان المعاني في ﴿تُكْفَرُونَ كَمَا كُفِرُوا﴾ وفي المغفرة: «وَعَفْوًا».
 - ٤- الإطسااب في ﴿فَقُتِلَ اللَّهُ الْكَلْبِيُّ بِأَقْرَبِهِمْ وَأَقْرَبِهِ﴾ ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْكَلْبِيَّ عَلَى الْقَتِيلِ﴾.
 - ٥- التذكير في ﴿أَن يَكْفُلَ مَوْتٌ إِلَّا سَكَنًا﴾ ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَوْتًا سَكَنًا﴾.
 - ٦- الاستعارة في ﴿إِنَّا مَرَّةً تَرَى سَيْبِي اللَّهِ﴾ استعارة الضرب المسمي في قتال الأعداء واستعارة السبيل للمعبد، واستعارة السبيل للمعبد.
 - ٧- استعارة الضرب المسمي في ﴿مَنْ قَتَلَ مَوْتًا سَكَنًا﴾ فلفظ الجرح وفرد لكل، أي عتق، مملوك.
- العقوبة: القتل لعدم من أعظم الجرائم في نظر الإسلام، ولهذا كانت عقابته في غاية التعذيب والتشديد، وقد قال النبي: «مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْنُوتٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ» أي من رحمة الله^(٢) وفي الحديث أيضًا: «لَنْزَوَالِ الدُّنْيَا أَحْوَدُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ»^(٣) ولهذا أنشأ بن عباس بعد قبول نوبة القاتل، إعانة الله من ذلك.

ثنية: أمر تعالى في القتل بخطأ باعتقاي دعيو مؤمنة، والحكمة في هذا والله أعلم أنه لما أخرج نكاح مؤمنة من حكمة الأحياء لزم أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار: إذ إن إطلاقها من قيد الرق إحياء لها، والعبد الرقيق في الإسلام به من الحقوق ما ليس للأحرار في الأمم الأخرى، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿لَا تُكْرِهُوا فَسَادًا يَأْتِي بِهَا بَعْضُهُمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُوَ سُوءٌ﴾ وقوله يَفْهَمُ في مرضه الذي مات فيه: «الصلوة الصلوة» وما ملكك أيما حكم

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) أخرجه البخاري.

(٥) أخرجه البخاري.

(٦) أخرجه البخاري.

لا تكلموهم ما لا يظلمون» ومن يطلع على معاملة الرقيق في أمريكا يتضيق له حلقاً صحتة ما يقول
«وما هي الأمم الغربية تحرم استرقاق العبيد في حين أنها تصارق الأحرار»، وتحرم استرقاق
الأفراد، وتسترق الجساعات والأمم والشعوب باسم الاستعمار والاستبداد، فإن هذا الحضارة
المزعومة والمدنية الرافضة من حضارة الإسلام، ومذنبه الصادقة التي حررت الشعوب والأمم
والأفراد! ١٩

□ □ □

فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ قُلُوبَهُمْ ثَوَابُتٌ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ فُهِمَ لَهُمْ قَلِيلًا فَعَبَثُوا﴾ من آية (٤٧) إلى نهاية آية (١١٣).

للتعبئة لما ذكر تعالى ثواب المجاهدين الأبرار، أتبعه بذكر عقاب القاعدتين من الكافرين
لتبين صحتهم في بلاد الكفر، ثم رعب تعالى في نهجهم من دار الكفر إلى دار الإيمان، وذكر ما
يرثب عليها من السعة والأجر والثواب... ثم بدأ في الجهاد والهجرة مبكراً لحادث الخوف بين
تعالى صلاء السامر وطريقة صلاة الحروف، ثم أتمعت ذلك بذكر أروع مثل في الاستعداد استعداد
سجله التاريخ ألا وهو إحصاف رجل يهودي ثم طفت بالسرفة وإدانة الدهر قائموا عليه وهم أهل
بيت من الأصناف الممنوعة.

للفئة ﴿ثَوَابُتٌ﴾ معنوا، مشتق من الرغام وهو القراب. قال ابن قتيبة: «المرغم
والمنهاجر واحد، وأصله أن الرجل كان إذا نزل خرج من ثوبه ما راعاهم أي مذهبهم فغلب
للمذهب: ثم ارتقا وسمي مصيره إلى الذي يفتي محبة»^(١) ﴿ثَوَابُتٌ﴾ استعارة من الرقبة ﴿ثَوَابُتٌ﴾
القصور المنصورة، يقال: قصر صلاته إذا حلى الرقبة وكعبتين. قال أبو عبد الله: «فيها ثلاث
لغات: قصرت الصلاة وقصرتها وأقصرتها»^(٢) ﴿ثَوَابُتٌ﴾ الغفلة، وهو الذي يغفل الإنسان
من فئة النحيط والنفقة ﴿ثَوَابُتٌ﴾ محدود الأوقات لا يجوز إخراجها من وقتها ﴿ثَوَابُتٌ﴾ تضمعوا
﴿ثَوَابُتٌ﴾ الخصيم يسمى المحاصم، أي المارح والمذفع ﴿ثَوَابُتٌ﴾ مبالغة في الخيانة.

سبب النزول

أ- عن ابن عباس قال: «كان قوم من المسلمين أقاموا مكة وقاموا يستغفرون بالإسلام»
فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم فقتل مشركون: كان أصحاب هؤلاء
مسلمين وأكرهوا على الخروج فزمت ﴿إِنَّ قُلُوبَهُمْ ثَوَابُتٌ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(١) الآية
ب- كان جماعة من النصارى من المسيحيين بمكة، وكانوا مريضاً فلما سمع ما أمروا أنه في
الحج، قال لأولاده: «احملوني فربي لست من المسيحيين والي لأهتي العربي، والله لا أبيت
الجنة بمكة» فحملوه على سرير ثم خرجوا به فحدث في الطريق بالتعميم فأتوا الله ﴿وَتَرَى بِرُءُوسِهِمْ

(١) خرطبي ٢/٢٦٠.

(٢) تفسير ابن جرير، ١٢/٢٢٢.

(٣) مختصر بر كثير ١/٢١٧.

يُحْيِي الْمَيِّتَ إِلَى آخِرِ دَوْرِهِ. ثُمَّ يَرْجِعُ الْآلُوفَ فَقَدْ رَفَعَ الْقُرْآنُ عَلَى الْأُمَمِ ﴿١١٠﴾

ج- روي أن رجلاً من الأمصار يقال له: طعمة بن أيرق، من بني ظفر سرق درهما من جارية فتأذت من النعمان، هي جراب دقيق فجعل الشقيق يشتر من عوفي فيه ذهباً عند يزيد بن السمين اليهودي، فالتفتت الذراع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم، فتركها وانعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخفوها فقال: فقها إلى طعمة: وشهد له ناس من اليهود فقالت بئر ظفر: اطلقوا بها إلى رسول الله ﷺ مسائله أن يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببرائته وسرق اليهودي. فهذه رسول الله ﷺ أن يفعل فزلت الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِلْكَ الْكَتِفَ فَأْتُوا بِكُمْ سَبْعَ مِائَةِ مَنَ الْآيَةِ وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا آيَةً وَمَهْرٌ مُطْعَمٌ إِلَى مَكَّةَ وَرَدُّهُ. وَنَضِبَ حَائِطًا مَكَّةَ لِيَسْرِقَ إِلَيْهِ مَسْطَطُ الْحَائِطِ عَلَيْهِ فَفَعَلَهُ ﴿١١١﴾

﴿إِنْ أَرَادْتُمْ الْحَسَنَاتُ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا يُعَذِّبَكُمْ بِمَا عَصَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١٢﴾

وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١١٣﴾

﴿إِنْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١٤﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١١٥﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١١٦﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١١٧﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١١٨﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١١٩﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٢٠﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٢١﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٢٢﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٢٣﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٢٤﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٢٥﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٢٦﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٢٧﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٢٨﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٢٩﴾

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٣٠﴾

حَصِيَّةٌ ۚ أَى لَا تَكُن مَدَافِقًا وَمَدَافِقًا عَنِ الْخَاسِئِينَ جَدَّالٌ وَيَدَّاعٍ عَنْهُمْ وَاسْمُ الرَّحْمَةِ
 طَعْمَةٌ مِنْ أُبْرُقٍ ۚ وَجَمَاعَتُهُ ۚ وَتُسْتَفِيرُ أَثَرَهُ ۚ أَى اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مَعًا جَمَعَتْ بِهِ مِنَ الْمَدْفَاحِ عَنِ
 الْمَغْنَمَةِ اَطْمَعْنَانَا لَشَهَادَةِ فَوْزِهِ بِعَصَا حِهِ ۚ إِذْ كُنَّ أَثَرَهُ حَمَلًا عَمُورًا رَجِيمًا ۚ أَى مَالًا فِي الْمَغْفَرَةِ
 وَالرَّحْمَةِ لِمَنْ يَسْتَغْفِرُهُ ۚ وَلَا يَحْتَوِلُ عَنِ الْوَيْلِ ۚ يَتَنَاقِضُونَ أَنْفُسَهُمْ ۚ أَى لَا تَخَاصِمُ وَتَدَافِعُ عَنِ الْبَرِّ
 يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمَعَاصِي ۚ وَإِنْ أَثَرَهُ لَا يَحْتَمِلُ شَيْءٌ كَانَ حَرَمًا رَجِيمًا ۚ أَى لَا يَحِبُّ مَنْ كَانَ مَغْرُوفًا فِي
 الْحَيَاةِ مَهْنُوكًا فِي الْمَعَاصِي وَالْأَنَامِ ۚ يَسْتَعْلِفُونَ مِنَ الْبَرِّ وَلَا يَحْتَمِلُونَ مِنْ أَثَرِهِ ۚ أَى يَسْتَفِرُّونَ مِنْ
 النَّاسِ خَوْفًا وَحَيَاةً وَلَا يَحْتَمِلُونَ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً أَوْ بَأْسًا بِأَنْ يَسْتَحِيصَهُ وَيَحَابُّ مِنْ عِقَابِهِ ۚ وَهُوَ مَهْنُوكٌ
 بِدَيْفَتِهِ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ الْقُرْبَى ۚ أَى رَمَى مَعَهُمْ - جَلَّ وَعَلَا - عَالِمَهُ بِهِمْ وَيَأْخُذُ اللَّهُ بِهِمْ بِمَدَامِ
 يَذَرُونَهُ فِي الْخَفَاءِ وَيَضْمُرُونَهُ فِي السَّرِّ مِنَ رَمَى الْبَرِّ ۚ وَشَهَادَةُ الزُّبُرِ وَالْحَلْفُ الْكَاذِبُ ۚ وَكَانَ أَثَرُهُ
 هَتَا ۚ يَسْتَمُورُ حَيْثُ ۚ أَى لَا يَعْزُبُ عَنْ شَيْءٍ مَعَهَا وَلَا يَقُوتُ ۚ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى تَوَسَّعًا لِقَوْمٍ طَعْمَةٌ ۚ
 ۚ هَذَا أَثَرُهُ مَقُولًا ۚ حَدَّثَهُ عَنْهُمْ فِي الْحَرِيِّ وَالْأَنْفِ ۚ أَى هَا أَنْتُمْ بِأَمْعُورٍ الْقَوْمِ دَافِعْتُمْ عَنْ انْصَارِقِ
 وَالْحَاسِئِينَ فِي الْعَمِي ۚ فَكُنْ يَحْتَمِلُ اللَّهُ عَنْهُمْ قَاتَرًا خَبِيرًا ۚ أَى فَمَنْ يَدَافِعُ عَنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَ
 أَخَذَ مِنْ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ ۚ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِ زَكِيًّا ۚ أَى مَنْ يَتَوَلَّى الْمَدْفَاحَ عَنْهُمْ وَيَصْرِفُهُمْ مِنْ
 بَأْسِ اللَّهِ وَاسْتَعْمَاهُ ۚ ثُمَّ دَعَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْإِنَانَةِ وَالنُّورَةِ فَقَالَ ۚ وَتَرَى بَقِيَّةَ نُورٍ أَوْ بَقِيَّةَ
 نَسَمٍ ۚ أَى مَنْ يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ بِسُورَةٍ غَيْرِهِ كَاتِبُهُمْ بِرِي ۚ أَوْ يَرْكَبُ جَرِيمَةً يَطْلُمُ بِهَا عَمَهُ
 كَالسَّرِقَةِ ۚ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِيَجْعَلَ اللَّهُ عَمُورًا رَجِيمًا ۚ أَى ثُمَّ يَتَوَلَّى مِنْ ذَنْبِهِ بِحَدِّ اللَّهِ عَظِيمِ الْمَغْفَرَةِ
 وَاسْمُ الرَّحْمَةِ قَالَ تَرَى عِبَاسَ ۚ عَرَضَ لَهُ التَّوْبَةُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى بَنِي أُبْرُقٍ ۚ وَتَرَى يَكُونُ أَثَرُهُ
 وَتَرَى بِكَيْفِهِ عَلَى قَبْرِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمًا ۚ أَى مَنْ يَتَوَلَّى لَنَا مَعْمُودًا لَنَا بِأَعْدَاءِ دَلَّتْ عَلَى
 نَسَمٍ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذَنْبُهُ حَكِيمًا فِي عِقَابِهِ ۚ وَتَرَى يَكُونُ خَبِيرَةً أَوْ بَرًّا ۚ أَى مَنْ يَفْعَلُ شَيْئًا صَغِيرًا
 أَوْ بَرًّا كَبِيرًا ۚ وَتَرَى بِهِ تَرَى فَدَى أَخْضَلَ لَنَا وَنَا رَجِيمًا ۚ أَى لَمْ نَسِبْ ذَلِكَ بَلَى رِي ۚ وَيَتَهَمُّ بِهِ
 فَقَدْ تَحَدَّثَ حَرَمًا وَعَلِيًا وَافْرَحًا ۚ ثُمَّ يَبْنِي تَعَالَى لِفَضْلِهِ عَمَى رَسُولَهُ فَدَا ۚ ۚ وَوَلَا تَقُولُ اللَّهُ عَلَيْكَ
 وَتَحْتَمِلُ فَكُنْتَ عَلَيْهِ ۚ ثُمَّ يَسْأَلُكَ ۚ أَى تَوَلَّى فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ بِالْإِيمَةِ وَرَحْمَتِهِ بِالْعَمِيَّةِ
 لِهَيْمَتِ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ أَنْ يَضْلُوكَ عَنِ الْحَقِّ ۚ وَذَلِكَ حِينَ سَأَلُوا الرُّسُولَ بِحَيْثُ أَوْ يَبْرَأُ صَاحِبِهِمْ
 طَعْمَةً مِنَ الشُّمَةِ وَيُلْحِقُهَا بِالْهَرْدِيِّ فَتُغْضَلُ إِلَهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى رَسُولِهِ بِأَنْ أَطْلَعَهُ عَلَى
 الْحَقِيقَةِ ۚ وَتَرَى بِحُلِيِّكَ ۚ لَا أَثَرَهُ ۚ أَى وَيَالِ إِسْلَامِهِمْ رَاجِعٍ عَلَيْهِمْ ۚ وَتَرَى بِفَرْدِيَّتِكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ أَى
 وَمَا يَفْضَرُوكَ بِأَمْعُورٍ ۚ لَنْ اللَّهُ عَاصِمُكَ مِنْ ذَلِكَ ۚ وَتَرَى اللَّهُ تَعَالَى تَعَالَى ۚ وَتَرَى رَاجِعًا ۚ أَى
 أَتَى اللَّهُ عَلَيْكَ الْغَرَمَ وَالْمَنَةَ فَكَيْفَ يَضْمُرُونَكَ وَمَا تَعَالَى يَتَوَلَّى حَذِيكَ الْكُتَابِ وَبُوحَى الْإِيمَةِ
 بِالْأَحْيَامِ ۚ ۚ وَتَرَى عَلَيْكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَسْمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَلَيْهِ ۚ أَى عَمَسَتْ مَا تَمُ تَكُنْ طَعْمَةً
 مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَمُورِ الْحَبِيبَةِ وَكَانَ فَضْلُهُ تَعَالَى عَلَيْكَ تَحْسِبُ مَا لَوْ حَمَى وَالرَّسَالَةَ وَمَا أَثَرُ الْعَمَى
 الْحَبِيبَةِ

المنفعة. نقصت الآيات الكريمة من البلاغة والبيان والديع أنواعاً نوحها جميعاً بالي
١. الاستفهام الذي يراد به التوبيخ والتفريع في ﴿قُلُوا يَوْمَ كُفُّمْ﴾ * وفي ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

- يُفْصِلُ﴾ *
٢. إطلاق النعام وإرادة الحاصل ﴿فَمَا تَصِفُوهُ كَقَوْلِهِ﴾ أريد بها صلاة الخوف.
٣. الجنس المعابر في ﴿يُفَعِّرُ... عَفْوُهُ﴾ وفي ﴿يُجَابِرُ... مُجَابِرُهُ﴾ وفي ﴿يُعْزِلُونَ... عَزْلُهُ﴾
وفي ﴿يَسْتَفِيرُ... عَفْوُهُ﴾.
٤. إطلاق الجمع على الواحد في ﴿وَقَدْ هَمَّتْ كَتِيبَتُهُ﴾ يراد به ملك الموت، وذكر بصيغة
الجمع تفخيماً له وتعظيماً لشأنه.
٥. صان السلب ﴿يَسْتَفْعُونَ بَيْنَ الْيَدَيْنِ وَلَا يَتَخَفُونَ فِيهِ أَفَمِ﴾
٦. الإطناب يتكرر اللفظ الصلاة تسبيحاً على فعلها ﴿فَأَتَمُّوا الصَّلَاةَ﴾ إن كُتِبَتْ كَتَبَتْ عَلَى
الْقُرْآنِ كَمَا تَقُولُونَ ﴿﴾

□ □ □

فَلَمْ يَكُنْ لَهُ تَعْلَى ﴿لَا يَخْذِي فِي خَطِيئَتِهِمْ﴾ . إلى قَوْلِهِ قَوْمًا ثَمَانِيَةً وَأُولَئِكَ هُمُ
أَكْثَرُ كَيْفًا تَبِيرُهُ﴾ . من آية (١١٤) إلى آية آية (١٣١)
فداسة لما ذكر تعالى قصة طعنه وحادثة السرقة التي اتهم بها لليهودي الذي دفع
قومه عنه وأنهم في السر لا ينزع السرى بها، ذكر تعالى هنا أن موضوع الجور لا ينفع
عنى الله وأن كل تدبير من الله يعلمه الله، وأنه لا خير في الساجي إلا ما كان بقصد الخير
والإصلاح، ثم ذكر تعالى أن مخالفة أمر الرسول - - حرة عظماء : وحفر عن الشيطان وطرف
إفراقه، ثم جاء الحديث إلى التحذير من ظلم النساء في ميراثهن ومهورهن، وأكد على وجوب
الإحسان إليهن، وأعمه بذكر التمييز والطريق إلى الإصلاح بين الزوجين إما بالوفاء أو بالعرفاء .
اللغة ﴿تُجِبُّنَهُنَّ﴾ : جوى - استرسي اللثام . قال الواحدي : هو لا تكون . انتهى إلا بين
الشيء . ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ : يتألف والتذكير . الخلاف مع العداء : لأن كلاً من المتخالفين يكون في شيء
غير شئ الآخر ﴿قُرْبَاهُ﴾ : حميد . تعاني . المعتود : من مرد إذا عا وسج . قال الأزهري : مرد
الرجل إذا عا وخرج عن الطاعة فهو مرد ومريد . ﴿عَشِيْعَتُهُ﴾ : العت : المنع ، ومنه سبقت بانك
أمر فاعه ﴿يَجْعَلُ﴾ : مهراً من حاص : إذا هرب ونهر ، وفي البطل : توغروا في حصر بعض أي
فيما لا يفر على التخلص منه ﴿تَجْلِيْهُ﴾ : من العلة وهي سقاء المودة . قال ثعلب : سقى الخليل
خليلاً : لأن سقيه تخلل القلب ، فلا تمنع فيه خللاً إلا ملائكة نازل بشار .
قد تحللت مملك الروح مني . ومنه سمي الخليل .

﴿الْبَيْتُ﴾ شدة الجمل «استغفوا» هي التي ليست ذات فعل ولا مطلق.

سبب النزول

أ. نساء من أهل مكة من أسرى، وحكم النبي ﷺ عليه بالقطع هرب إلى مكة وارتد عن الإسلام فأمر الله ﷻ «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِمَّا ظَنَّنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَّجَهُ» ﴿١٠٠﴾ الآية.

ب. قال قتادة: غامر المؤمنون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: «إنا في نبيكم، وبنا على كتابكم ونحن أحرار بالله منكم»، وقال المؤمنون: «بيتنا حاتم النسي وكتابنا يقضي على حاتم الكتب فترت ﴿لَنْ يَنْصُرَكُمْ وَلَا أَعْيُنٌ أُغْمِضُ﴾» ﴿١٠١﴾ الآية.

﴿وَأَحْزَنَ لِي﴾ «لنكم» من كجوتهم، لأن ما أثر بعددوا أو أغروا أو مضجع بترك الذير ومن يغفل ذلك أيقظا منصات آخر فتوقوا عليه أحر غيبا ﴿وَمَنْ كَفَرَ بِالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُهُ الْهُدَى﴾ وشيع من بني النضير الذين ما كثر وأحزني جوتهم وشانت غيبا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ما دور ما هتف يفر يركبوا ومن يترك الله فلا حيل شالوا فيه ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُمَا وَكُلٌّ مِنَ الْأَوَّلِينَ مُدْخَلُونَ فِي ذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ الآية.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ أَلَسُوا بِالْآخِثِينَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾ الآية.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ أَلَسُوا بِالْآخِثِينَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ الآية.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ أَلَسُوا بِالْآخِثِينَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ الآية.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ أَلَسُوا بِالْآخِثِينَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ الآية.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ أَلَسُوا بِالْآخِثِينَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ الآية.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ أَلَسُوا بِالْآخِثِينَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ الآية.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ أَلَسُوا بِالْآخِثِينَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ الآية.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ أَلَسُوا بِالْآخِثِينَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ الآية.

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَأَنْتُمْ مُبْعَدُونَ ﴿١٠٠﴾

فَلْيَقْضُوا الْفِتْنَةَ بَيْنَ عِبَادِي ﴿١٠١﴾ أَي لا غير من كثير مما يسره العوام ويتأخرون به من الخفاء، ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى بِمُكْرَمَةٍ أَوْ مَقْرُونٍ﴾ أي إلا نحو من أمر بصدقة يعطيهما سراً أو أمر بطاعة لله، قال الفخري: «المعروف هو كل ما أمر الله به أو نهي عنه من أعمال الخير والحيرو، والإصلاح هو الإصلاح بين الناس - مخرج: ١٠١» ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي يمن بعمله ما أمر به من الخير والمعروف والإصلاح طلباً لرغبت الله تعالى لا لشيء من أغراض الدنيا ﴿مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي قسم يعطيه نوناً جزيلاً هو الجنة، قال الماوردي: «هو التعبير بـسوف، إشارة إلى أن جراه الأعمال نفعاً صالحة هي الآخرة لأهل الدنيا؛ لأنها ليست دار جزاء» ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي يثيب أمر الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - به عن الله ما ظهر له الحق بالمنعجات ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي يثيبكم صريفاً غير فرق بين المؤمنين وبين غيرهم منها ما غير منها جهم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي يثيبكم مع اختياره المقام ويدخله جهنم معرفة به ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي رسالت جهنم مرجعاً لهم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي لا يغير ذنب الشريك ويغير ما دونه من العترة من يريد ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي فقد جحد عن طريق الحق والسعادة بعداً كبيراً ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي ما دونه هؤلاء المشركون، عاصدون من دون الله ولا شأنهم سمعوا بأسماء الإنات الثلاث والتمسوا وعنده قال في التسهيل: «كانت العرب تسمى الأصنام بأسماء مؤنثة» ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي وما يعبدون إلا شيطانياً متمرداً دافع العادة في العترة والمنجور، وهو زبائس الذي فسق عن أمر ربه ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي لا يثيبكم أنبياء ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي ليعده الله عن رحمة فاقسم الشهود غائلاً، لا تعبد من عبادك الذين أبعدني من أعلمهم نصيباً أي حقاً مقدر، معلوم أدعوه إلى شاعني من الكفرة والعصاة، وفي صحيح مسلم، يقول الله تعالى: «لَا يَمُوتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَبْدُ بَعْدَ أَنْ يَفْعَلَ» وما بعد النار؟ فيقول من كان ألف تسعة وتسعة وتسعون ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي لأمر الله عن طريق الهدى وأبعدهم الآتية الكاذبة والقي في قلوبهم طون الحيات وان لا يبعث ولا حساب، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي لأمرهم ينقطع أوان الأنعام، قال قتادة: يعني تشقيها وحملها علامة للحيرة والسنة كما كانوا يعملون في الجاهلية ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَكُمْ زَكَاةً﴾ أي ولأمرهم تنغير خلق الله كخضراء العبد والأحرار والوث - وغيره - وأقبل للمراء به تعبير

١٠١ الفخري ٩/ ٢٠٠

١٠٢ وهذا خبر الفخري وغيره أن أفراد الإنات الثلاثة كفولة تعالى ﴿يَسْئَلُ الشَّيْطَانُ النَّبِيَّ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ بَرٌّ﴾

كثير ^{١١٠} فإنه انتهى إلى درجة الحلة التي هي أرفع مقامات المحبة، وما ذاك إلا لكونه طائفة أربعة ^{١١١} ﴿وَقَدْ تَدْرَى السُّكُوتُ زَمَنَ فِي الْأَرْبَعِ﴾ أي جميع ما في الكائنات منك وعبيد وخلقه وهو المتصرف في جميع ذلك، لا رأياً له فهو ولا عقب لما حكم ﴿وَمَدَدَتْ أُمَّهُ يَدَهَا عَنْ وَجْهِهِ﴾ أي علمه نافذ في جميع ذلك لا تحصى عليه خافية ﴿وَسَلَّطَتْهُ وَابْنَتَهُ﴾ أي بساطته عما يحب عليهم في أمر النساء ﴿فَوَلَّاهُ أَنْ يَجْبَحَكُمْ بِهِمْ زَمَنَ سَلَّطَ عَلَيْكُمْ فِي التَّكْوِينِ﴾ أي قل لهم يا محمد: يس لله لكم ما سألني شأنهم ويس لكم ما ينزل في القرآن من أمر غير الله ﴿وَلَمْ يَنْسَ الْكَلَامَ الَّذِي لَا يُؤَدُّهُ إِلَّا كَلِيمٌ بِهِمْ أَتَقُولُونَ أَنْ تَكْفُوهُمْ﴾ أي ويعتدكم أيضاً من الولاية ما لا تأتي توفيق في تكسبهم لجمالهم أو نعالهم ولا تدفعون لهم مهورهم كاملة، فمهام الله عز وجل - هي ذلك، قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يكره عده البيعة بقلبي عليها ثوبه، فإذا فعل ذلك لم يقدر أحد أن ينزع منها أثراً، وإن كانت جميلة وأحبها زوجها وأكره مالها، وإن كانت دسيسة متعها على جلال حتى تهرق، فإذا ماتت ورثها: فحرام ملك ذلك، ونهى عنه ﴿وَالْقِسْمُ بِرُحْمِ الْوَلَدِ﴾ والبرحمة ما لا يترك من شيء ولا يحمل إلا ما لا يقدر على دفعه عنه، فلهذا نهى الله عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم نصيبهم من ميراث ﴿وَمَا تَقُولُوا مِنْ شَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي وما تقولوا من شيء، بل في أمر النساء، البيعة فإن الله يجزيكم عليه، قال ابن كثير: وهذا نهى على فعل الخيرات واعتزال الأولاد، وأن الله يجزي عليه أمره أجزائه ^{١١٢} ثم ذكر تعالى حكمه في الرجل يخلع أهله ﴿وَإِنْ أَرَادَا خُلُقًا بَيْنَ يَمَافٍ شَرًّا أَوْ يَفْرَاقًا﴾ أي إذا علمت امرأة أو سمعت من زوجها الفرقة عليها أو الزهر نزع عنها يوحهه سب النكاح لئلا يفسدها أو لئلا يفسدها طسوح عيه إلى من هي أشبه وأجمل منها ﴿فَلَا حُكْمَ لَهَا فِي شَيْءٍ يَتَّبِعُ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ﴾ أي ولا حرج ولا إثم على كل واحد من الزوجين من المصالحة والتريق بينهما أو سقاط المرأة بعض حقوقها من نفقة أو غيره، وأمره بغير الله طلقه بذلك واستدبره مؤدته ومحبته، وروى ابن جرير عن عائشة أنها قالت: هذا الرجل يكره من امرأته إبداءها لدهن عذرات أو هي دسيسة وهو لا يحبها فنفره. لا تطلقني وأنت في حن من شأنه ^{١١٣} ﴿وَالْفَرْقُ خَيْرٌ﴾ أي والأصابع خير من الأدهاق ﴿وَالْمُحَرِّقُ أَوْ الْقَتْلُ شَرٌّ﴾ أي جئت الأدهاق على الشح، وهو شدة البخل والعمى لا تكاد تسمحح بخلها من التفة والاستمتاع، والرجل لا تكاد نفسه تسمحح بأن يقسم بها وأن يمسكها إن فارقت عنه، وأحد خيرها ﴿وَإِنْ تَخَوَّفْتَ زَوْجَكَ﴾ أي وإن تعدد ما في مودة النساء، وتغفوا الله وترك

^{١١٠} مختصر ابن كثير ١/ ٢١٢.

^{١١١} مختصر ابن كثير ١/ ٢١٢.

^{١١٢} المحرر ١/ ٢٧١.

المحور عنيهن ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ كَانتَ بِمَا تُشْكُرُونَ خَيْرًا﴾ أي فإن الله عالم بما تعملون وسيجزيك به عليه أوفر الجزاء... ثم ذكر تعالى أن العدول المطلق بين النساء بالغ من الصعوبة مطلقاً لا يكاد يطلق، وهو كالمخارج من حد لا استطاعة فقال: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي لن تستطيعوا أيها الرجال أن تحفظوا العدل التام الكامل بين النساء وتموّد بهن في المحبة والأُنس والاستمتاع ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَهُنَّ﴾ أي ولو بدلتكم كل جسدكم، لأن النسوة في المحبة وميل القلب ليست بمقدور الإنسان ﴿فَكُلًّا تَسْبِيحًا﴾ كقولهم تَسْبِيحًا كالتسليط ﴿أَوْ لَا تَسْبِيحًا﴾ أي لا تسميها من المرغوب عنها مطلقاً كاملاً فتجعلوها كالمعلقة التي ليس لها روح ولا مطلقه، شبهت بأشياء المعلق بين السماء والأرض، فلا هي مستقرة على الأرض ولا هي في السماء، وهذا من أبلغ التشبيه ﴿وَلَنْ تَشْبِيحُوا وَتَشْكُرُوا﴾ أي وإن تشبهوا ما مضى من الجور وتنفوا الله بالتسليم بالعدل ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ كَانَتْ عَنُورًا زَيْبَةً﴾ أي بغير ما رط منكم وبعركم ﴿فَوَيْلٌ لِلْعَمْرَةِ إِذْ يَسْتَعْرِضُهَا وَهِيَ عَمْرَةٌ﴾ أي وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه، فإن الله يقبض بعضه وتفضعه، بأن يرزقه زوجها خيراً من زوجه، ويعيش أحداً من عيشه ﴿وَكَانَ أَنتَ زَيْبَةً عَمْرَةً﴾ أي واسع الفضل على العباد حكمياً في نفسه لهم ﴿وَقَدْ كَانُوا يَكْفُرُونَ وَمَا فِي الْأَرْزَاقِ﴾ أي ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَلَقَدْ رَسَدْنَا الْأَنْبِيَاءَ أَوْلِياءَ الْمَلَائِكَةِ بِي نَبِيِّكُمْ﴾ أي وصينا الأولين والأخريين وأمرناكم بما أمرناكم به من مثله الأمر وانطاعة ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ﴾ أي وصيتكم جميعاً بتقوى الله وطاعته ﴿وَلَنْ تَكْفُرُوا وَلَنْ تَتُوبُوا﴾ أي وإن تكفروا فلا بضره تعالى كفركم، لأنه مستغن عن العباد وهو مالك لما في السموات والأرض ﴿وَكُنْ أَنتَ عَيْنًا حَافِيَةً﴾ أي عينا من خلقه، محمودة في ذاته، لا تضيق طاعة الخائمين، ولا تضيق معصية المعاصرين ﴿وَقَدْ كَانُوا يَكْفُرُونَ وَمَا فِي الْأَرْزَاقِ وَكَفَرُوا بِكَ رَبِّكَ﴾ أي كفى به حذفاً لأعمال عباده ﴿إِنْ يَنْتَ بِذُنُوبِكُمْ لَيْسَ بِكَ تَوَّابٌ﴾ أي لو أراد الله لأهنتكم وأنكم وأنس بأعرب غيركم ﴿وَكُنْ أَنتَ عَلَى ذِكْرِ عَاقِبَةٍ﴾ أي فادراً على ذلك ﴿كُنْ يُرِيدُ ثَوَابَ اللَّهِ فَكَيْفَ أَنتَ ثَوَابُ اللَّهِ وَالْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ أي من كان يريد بعمله أجر الدنيا فعند الله ما هو أسمى وأسمى وهو أجر الدنيا والآخرة فلم يطلب الآخر ولا يطلب الأسمى؟ فلبأن العبد به خيرى للدين والآخرة فهو تعالى سميع لأقوال العباد بصير بأعمالهم.

التبلاغة: تضمنت الآيات ثمراتاً من الفصاحة والبديع توجهاً بها بيني:

١- الاستعارة في ﴿أَنْتَ رَبُّهُنَّ يَتَكْفُرُونَ﴾ استعارة الوجه للتقصيد والجدّة، وكذلك في قوله: ﴿وَأَعْيُوزُهُنَّ الْيَتَامَى تَتَحَنَّنُ﴾، لأن الشبح لما كان غير مغاير للأفئدة ولا متباعد عنها كان كأنه أحضرها وحمل على ملازمتها، فاستعار الإحصار للملازمة^(١).

ثم يقدم به الصبر وسحاب النفع، وهم من عظماء ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ﴾ أي لا تقرأ لفظة
تتصل مع هذه صيغة يعظم على العمل لتلخيص التواتر الجزل

فلا يخطئ نفعك الآيات أما أعلاه بعد حذف والتدريج فوجدها فيما يلي

- ١- التداوية في الصفة في ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ﴾ أي يعظم من العمل
- ٢- التلخيص بين الصبر... وقراءة ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ﴾
- ٣- الجدس القصر في ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ﴾ تميز الشكل
- ٤- جناس الاستفهام في ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ﴾ وهو ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ﴾ وهو ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ﴾

- ٥- الأسلوب التكملي في ﴿يُنِيرُ الْكَلْبَ﴾ حيث... عمل فقط الإشارة مكان الإنداء نهكاً
- ٦- الاستعارة في ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ﴾ استعار اسم الحذف للصحو على العمل، والله تعالى

منزه عن العباد

- ٧- الاستفهام الإنكاري في ﴿يُنِيرُ الْكَلْبَ﴾ بتقديم الرفع^١ والمرض منه التوبيخ

نقواعد

أول قول تعالى ﴿يُنِيرُ الْكَلْبَ﴾ من التلخيص، وسامعها الشيوع على الإبداء
ودومو عليه فنور المؤمن ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ﴾ أي شاع على الصلة المستقيمة
لأنه... من تعلى من المزمع وحسب علينا قلب إليه ﴿تَحْتَ يَدِ الْوَلَدِ﴾ ونحو الكافيين
صلى ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ﴾ ولم يلب إليه، وذلك لتعظيم شأن المسلمين، ونحسب هذا
الكاثيرين

الثاني: قال المفسرون: الخار مع حرمة، لم يصبها جهل، ثم نظروا له الحظمة، ثم استعبروا
ثم صغروا ثم الجوع، ثم أم الهاربة، وقد تسمى بعض المرافقات، واستمعوا لأن أمهات الناس
بجميعها، فلما في الحر

ثالثاً: قال المفسرون: الخار مع حرمة، لم يصبها جهل، ثم نظروا له الحظمة، ثم استعبروا
ثم صغروا ثم الجوع، ثم أم الهاربة، وقد تسمى بعض المرافقات، واستمعوا لأن أمهات الناس
بجميعها، فلما في الحر
رابعاً: قال المفسرون: الخار مع حرمة، لم يصبها جهل، ثم نظروا له الحظمة، ثم استعبروا
ثم صغروا ثم الجوع، ثم أم الهاربة، وقد تسمى بعض المرافقات، واستمعوا لأن أمهات الناس
بجميعها، فلما في الحر
خامساً: قال المفسرون: الخار مع حرمة، لم يصبها جهل، ثم نظروا له الحظمة، ثم استعبروا
ثم صغروا ثم الجوع، ثم أم الهاربة، وقد تسمى بعض المرافقات، واستمعوا لأن أمهات الناس
بجميعها، فلما في الحر
سادساً: قال المفسرون: الخار مع حرمة، لم يصبها جهل، ثم نظروا له الحظمة، ثم استعبروا
ثم صغروا ثم الجوع، ثم أم الهاربة، وقد تسمى بعض المرافقات، واستمعوا لأن أمهات الناس
بجميعها، فلما في الحر
سابعاً: قال المفسرون: الخار مع حرمة، لم يصبها جهل، ثم نظروا له الحظمة، ثم استعبروا
ثم صغروا ثم الجوع، ثم أم الهاربة، وقد تسمى بعض المرافقات، واستمعوا لأن أمهات الناس
بجميعها، فلما في الحر
ثامناً: قال المفسرون: الخار مع حرمة، لم يصبها جهل، ثم نظروا له الحظمة، ثم استعبروا
ثم صغروا ثم الجوع، ثم أم الهاربة، وقد تسمى بعض المرافقات، واستمعوا لأن أمهات الناس
بجميعها، فلما في الحر
تاسعاً: قال المفسرون: الخار مع حرمة، لم يصبها جهل، ثم نظروا له الحظمة، ثم استعبروا
ثم صغروا ثم الجوع، ثم أم الهاربة، وقد تسمى بعض المرافقات، واستمعوا لأن أمهات الناس
بجميعها، فلما في الحر
عاشراً: قال المفسرون: الخار مع حرمة، لم يصبها جهل، ثم نظروا له الحظمة، ثم استعبروا
ثم صغروا ثم الجوع، ثم أم الهاربة، وقد تسمى بعض المرافقات، واستمعوا لأن أمهات الناس
بجميعها، فلما في الحر

فَسَأَلَ اِلَهَ مَعَالٍ ﴿١٤٨﴾ اَلَا يَجْعَلُ اَللّٰهُ اَلْجَهَنَّمَ يَنْفُورًا مِّنَ الْقَوْمِ اِلَّا مَن مَّكُرَ اِلَيْهِ اُولٰٓئِكَ سَنَجْزِيْهِمْ عَذَابًا ﴿١٤٩﴾

الخاصية لما ذكره تعالى السابقين ونصهم في الآيات السابقة، ذكر هنا أنه لا يجب إظهار الفضيحة والفضائح، إلا في حق من زاد ضرره وعظم خطيئته، فلا يجب أن يكشف الله عن السابقين إلا من زاد من سوءه، ثم احتج على هؤلاء وعاد بهم إلى الشبهة من ضيقهم لروية الله، وعيادتهم للعجل، وادعائهم صلب المسيح، وادعائهم مريم البتول بالاحتجاب، أو غير ما هلك من قباح وجرائم شعبة.

ثُمَّ ﴿١٥٠﴾ جَهَنَّمَ عَيْنٌ ﴿١٥١﴾ تَهْتَكَ اَلْبَهْتَ اَلْكَلْبَ الَّذِي سَجِرَ فِيهِ مَن سَدَّ عَظْمُهُ ﴿١٥٢﴾ رَفَعَ اَلشَّيْءَ بَيْنَ عَيْسَى وَتَعْقِلَ الَّذِي حَلَبَهُ ﴿١٥٣﴾ وَكَلَّمَ اَللّٰهُ هَامَانَ اَنۡ يَّبْنِيَ لَهٗ سِدْرًا مِّنۡ نَّحَسٍ اَلْمُؤَلَّاتِ رَوَى اَوْ كَلَّمَ بَنِي اَلْاَسْرَفِ وَجَمَاعَةً مِّنَ الْيَهُودِ مَلِكًا اِلَّا بِاِذْنِىَّ اَلَّذِي كَذَّبَ عَنْهُ اَنۡ يُنۡزِلَ عَلَيْهِمْ مِّمَّا يَكُونُ لَدُنَّ اَللّٰهِ ﴿١٥٤﴾

﴿١٤٨﴾ اَلَا يَجْعَلُ اَللّٰهُ اَلْجَهَنَّمَ يَنْفُورًا مِّنَ الْقَوْمِ اِلَّا مَن مَّكُرَ اِلَيْهِ اُولٰٓئِكَ سَنَجْزِيْهِمْ عَذَابًا ﴿١٤٩﴾ ثُمَّ ﴿١٥٠﴾ جَهَنَّمَ عَيْنٌ ﴿١٥١﴾ تَهْتَكَ اَلْبَهْتَ اَلْكَلْبَ الَّذِي سَجِرَ فِيهِ مَن سَدَّ عَظْمُهُ ﴿١٥٢﴾ رَفَعَ اَلشَّيْءَ بَيْنَ عَيْسَى وَتَعْقِلَ الَّذِي حَلَبَهُ ﴿١٥٣﴾ وَكَلَّمَ اَللّٰهُ هَامَانَ اَنۡ يَّبْنِيَ لَهٗ سِدْرًا مِّنۡ نَّحَسٍ اَلْمُؤَلَّاتِ رَوَى اَوْ كَلَّمَ بَنِي اَلْاَسْرَفِ وَجَمَاعَةً مِّنَ الْيَهُودِ مَلِكًا اِلَّا بِاِذْنِىَّ اَلَّذِي كَذَّبَ عَنْهُ اَنۡ يُنۡزِلَ عَلَيْهِمْ مِّمَّا يَكُونُ لَدُنَّ اَللّٰهِ ﴿١٥٤﴾

﴿١٤٨﴾ اَلَا يَجْعَلُ اَللّٰهُ اَلْجَهَنَّمَ يَنْفُورًا مِّنَ الْقَوْمِ اِلَّا مَن مَّكُرَ اِلَيْهِ اُولٰٓئِكَ سَنَجْزِيْهِمْ عَذَابًا ﴿١٤٩﴾ ثُمَّ ﴿١٥٠﴾ جَهَنَّمَ عَيْنٌ ﴿١٥١﴾ تَهْتَكَ اَلْبَهْتَ اَلْكَلْبَ الَّذِي سَجِرَ فِيهِ مَن سَدَّ عَظْمُهُ ﴿١٥٢﴾ رَفَعَ اَلشَّيْءَ بَيْنَ عَيْسَى وَتَعْقِلَ الَّذِي حَلَبَهُ ﴿١٥٣﴾ وَكَلَّمَ اَللّٰهُ هَامَانَ اَنۡ يَّبْنِيَ لَهٗ سِدْرًا مِّنۡ نَّحَسٍ اَلْمُؤَلَّاتِ رَوَى اَوْ كَلَّمَ بَنِي اَلْاَسْرَفِ وَجَمَاعَةً مِّنَ الْيَهُودِ مَلِكًا اِلَّا بِاِذْنِىَّ اَلَّذِي كَذَّبَ عَنْهُ اَنۡ يُنۡزِلَ عَلَيْهِمْ مِّمَّا يَكُونُ لَدُنَّ اَللّٰهِ ﴿١٥٤﴾

﴿١٤٨﴾ اَلَا يَجْعَلُ اَللّٰهُ اَلْجَهَنَّمَ يَنْفُورًا مِّنَ الْقَوْمِ اِلَّا مَن مَّكُرَ اِلَيْهِ اُولٰٓئِكَ سَنَجْزِيْهِمْ عَذَابًا ﴿١٤٩﴾ ثُمَّ ﴿١٥٠﴾ جَهَنَّمَ عَيْنٌ ﴿١٥١﴾ تَهْتَكَ اَلْبَهْتَ اَلْكَلْبَ الَّذِي سَجِرَ فِيهِ مَن سَدَّ عَظْمُهُ ﴿١٥٢﴾ رَفَعَ اَلشَّيْءَ بَيْنَ عَيْسَى وَتَعْقِلَ الَّذِي حَلَبَهُ ﴿١٥٣﴾ وَكَلَّمَ اَللّٰهُ هَامَانَ اَنۡ يَّبْنِيَ لَهٗ سِدْرًا مِّنۡ نَّحَسٍ اَلْمُؤَلَّاتِ رَوَى اَوْ كَلَّمَ بَنِي اَلْاَسْرَفِ وَجَمَاعَةً مِّنَ الْيَهُودِ مَلِكًا اِلَّا بِاِذْنِىَّ اَلَّذِي كَذَّبَ عَنْهُ اَنۡ يُنۡزِلَ عَلَيْهِمْ مِّمَّا يَكُونُ لَدُنَّ اَللّٰهِ ﴿١٥٤﴾

﴿١٤٨﴾ اَلَا يَجْعَلُ اَللّٰهُ اَلْجَهَنَّمَ يَنْفُورًا مِّنَ الْقَوْمِ اِلَّا مَن مَّكُرَ اِلَيْهِ اُولٰٓئِكَ سَنَجْزِيْهِمْ عَذَابًا ﴿١٤٩﴾ ثُمَّ ﴿١٥٠﴾ جَهَنَّمَ عَيْنٌ ﴿١٥١﴾ تَهْتَكَ اَلْبَهْتَ اَلْكَلْبَ الَّذِي سَجِرَ فِيهِ مَن سَدَّ عَظْمُهُ ﴿١٥٢﴾ رَفَعَ اَلشَّيْءَ بَيْنَ عَيْسَى وَتَعْقِلَ الَّذِي حَلَبَهُ ﴿١٥٣﴾ وَكَلَّمَ اَللّٰهُ هَامَانَ اَنۡ يَّبْنِيَ لَهٗ سِدْرًا مِّنۡ نَّحَسٍ اَلْمُؤَلَّاتِ رَوَى اَوْ كَلَّمَ بَنِي اَلْاَسْرَفِ وَجَمَاعَةً مِّنَ الْيَهُودِ مَلِكًا اِلَّا بِاِذْنِىَّ اَلَّذِي كَذَّبَ عَنْهُ اَنۡ يُنۡزِلَ عَلَيْهِمْ مِّمَّا يَكُونُ لَدُنَّ اَللّٰهِ ﴿١٥٤﴾

عَلَامَةٌ رَافِعَةً - وَكَانَ صَدْرُكَ مِنْ أَسْلَافِهِمْ أَكْثَرَهُمْ لَمَّا كَانُوا مُقْبِلِينَ بِكُمْ فِي كُلِّ مَا يَأْتُونَهُ وَمِمَّنْ
 اسْتَدَتْ بِإِيهِمْ ^{١١١} ﴿تَقُولُوا عَنْ ذَلِكَ﴾ أَي عَمَّا عَدَا رَيْكُوهُ مَعَ عَشْمِ جَرِيئَتِهِمْ وَخِيَانَتِهِمْ ﴿وَقَالُوا
 سَمِعْنَا سَلَامًا لَيْسَ﴾ أَي حِجَّةَ قَاهِرَةٍ تَطْهَرُ صِدْقَهُ وَصِدْقَ نَبِيِّهِ - قَالِ الطَّبْرِيُّ - أَوَّلُ ذَلِكَ الْحِجَّةُ هِيَ
 الْإِبْرَاهِيمِيَّةُ لَنَبِيِّ قَاهِرٍ لَمْ يَأْتِ ^{١١٢} ﴿وَقَالُوا كَذِبُهُمُ الْغُفْرَانُ﴾ أَي رَفَعُوا الْحَبْلَ مَوْفُورًا أَمَا
 اعْتَصَمُوا عَنْ قَوْلِ شَرْعِ التَّوْرَةِ سَبَّ الْمَثَقِ لِقَسْفِهِمْ ﴿وَقَالُوا لِمَ لَا تُفْقِدُونَ خُطْبَاؤَهُ﴾ أَي دَخَلُوا دَارَ
 بَيْتِ الْمَسْلُوسِ مَخَاطِئِينَ وَوَدَّكُمْ حَفِظُوا غَايَةَ فَدَخَلُوا مَا أَمْرَاهُ وَدَخَلُوا بِرَحْمَتِهِ عَلَى أَسْطَانِهِمْ
 وَمِمَّنْ يَقُولُونَ - حَتُّعَةُ فِي شِعْرَةِ السَّهْمِ ^{١١٣} ﴿وَقَالُوا لَهُ لَا تَقُولُوا لَهُ لَنَسْتُمْ﴾ أَي لَا تَعْتَدُوا بِأَسْطَانِهِ
 الْعَيْنَانِ بِهِمَا الْبَتَّ فَدَخَلُوا وَاصْطَادُوا ﴿وَالَّذِينَ فِيهِمْ يَبْتَذِرُونَ﴾ أَي عَهْدًا وَثِيقًا مَوْعِدًا ﴿فَمَا
 تَقْبَلُهُمْ فِي مَنَافِقِهِ﴾ أَي نَسَبَ غَضَبِهِ الْبَيْنَانِ لِعِثَابِهِمْ وَأَوْدَانِهِمْ ﴿وَمَا لَنَا لَا نُكْفِرُ
 بِبَلَايَةِ اللَّهِ﴾ أَي وَيَحْجُودُ دَعْمُ بِالْفَرَادِ الْعَظِيمِ ﴿وَلَقَبْنَاهُمُ الْأَثِيَّةَ﴾ بِزَمْنٍ هُنَّ كَزُكْرِيَّا وَبَحِيرَى عَلَيْهِمَا
 السَّلَامُ ﴿وَلَقَبْنَاهُمْ مَثَرًا عَمَّا﴾ أَي قَوْلِهِمْ لِلنَّبِيِّ بِمَثَرٍ فَلَوْ بِنَا مَعَايِشَ بِأَعْيُنِهِ لَا تَعْمَى مَا تَقُولُونَ بِنَا
 مَعَايِشَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَأَاهُمْ ^{١١٤} ﴿وَلَوْ طَلَعَ اللَّهُ عَلَيْنَا لَفَقَدَ رَبَّنَا كَفَرْتُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ وَلَا يُؤْتُونَ﴾ أَي بِلَا عَمَلٍ -
 تَعَالَى - عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْكُفْرِ وَالْفَسَادِ فَلَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا لِقَابِلٍ كَعَمَلِ اللَّهِ مِنْ سَلَامٍ وَصَلَابَةٍ
 ﴿وَلَقَبْنَاهُمْ وَلَقَبْنَاهُ كُلَّ مَثَرَةٍ يَبْتَذِرُونَ﴾ أَي يَكْفُرُونَ بِبَحِيرَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَيْضًا وَرَبِّهِمْ مَرِيضٍ
 سَالِمًا وَقَدْ فَضَّلَهَا اللَّهُ عَنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿وَلَقَبْنَاهُ بِأَفْئِدَةِ السَّيْحِ يَتَوَلَّى مَرَّةً وَتَوَلَّى لَنَا﴾ أَي فَنَسَا
 هَذَا الَّذِي يَرْغَبُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَهَذَا إِنَّمَا قَالُوهُ عَلَى سَبِيلِ الْبُهْكَامِ وَالْإِسْهَوِّ ^{١١٥} يَقُولُ قَرْمُونُ :
 ﴿إِنْ سَوَّيْتُكُمْ الْوَفْقَ لَوَلَّى يَتَنَزَّلُ خُتْرُكُمْ﴾ وَإِلَّا بَعْدُ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَيْسَى ابْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا يَنْتَفِدُونَ
 أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ - قَالِ تَعَالَى : ﴿وَمَا تَقُولُوا إِلَّا مَكِيدٌ وَكَيْدٌ كَيْدُكُمْ﴾ أَي رَمَاتُكُمْ عَيْسَى وَلَا صَالِحِيكُمْ
 وَلَكِنْ قَالُوا وَصَلُوا مِنْ أُنْثَى عَلَيْهِ سُبْحَهُ - قَالَ الْبُيْهَارِيُّ : رَوَى أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَتَفَقَّحَ نَبِيَّ مَصْرَاجٍ
 يُبَدِّلُ عَلَيْهِ فَأَتَى إِلَهُ عَدِيَّةَ شَيْبَةٍ فَأَحْزَنَ رَضَابَ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ ثُمَّ عَيْسَى ^{١١٦} ﴿وَلَوْ لَمْ يَخْتَلَفُوا لَوَلَّى لَوَلَّى
 شَيْبَةً يَتَقَى﴾ أَي إِذَا الْخَبِيرَ اخْتَلَفُوا فِي شَأْنِ عَيْسَى لَقِيَ شَكَّ مِنْ قَتْلِهِ - رَوَى أَنَّهُ حَذَفَ عَيْسَى وَأَتَى
 شَيْبَةً عَنْهُ غَيْرَهُ فَنَقِلُوهُ فَلَا يَدْرِي إِنْ كَانَ هَذَا الْمَقُولُ حَقًّا أَمْ قَائِلٌ صَاحِبًا وَإِنْ كَانَ هَذَا صَاحِبًا
 فَكَيْفَ عَيْسَى ؟ فَاسْتَظَنُّوا قَتْلَ بَعْضِهِمْ - هُوَ عَيْسَى - فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هُوَ عَيْسَى بَلْ هُوَ غَيْرُهُ
 فَاجْتَمَعُوا أَنْ شَخْصًا لَمْ يَفْقَهُوا مَعْنَى كَلَامِهِمْ وَبَنَى عَلَى إِنْ لَمْ يَخْتَلَفُوا خُتْرُكُمْ أَي مَا لَهُمْ
 بِعَمَلِهِ عَامٍ حَقِيقِيٍّ وَكَانَهُمْ يَتَوَلَّوْنَ فِيهِ أَمْرًا لَيْسَ بِمَعْنِيٍّ ﴿وَلَوْ قَالُوا يَبْنِي﴾ لَوْ رَفَعَتْهُ أَنْ يَبْنِي أَي
 وَمَا قَتَلُوهُ مُتَبَيِّنِينَ لَهُ هُوَ بَلْ شَكَّيْنِ مَتَرَعَمِينَ وَشَكَّاهُ اللَّهُ مِنْ شَرِّهِمْ فَرَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَيْثُ حَسَدُهُ
 رَوَاهُ كِبَارُ الْعُلَمَاءِ عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ بِأَنَّ السَّحَابَةَ ^{١١٧} ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مَرْيَمَ بِكَلِمَاتٍ﴾ أَي مَرَّيْنِ نَزَلَ بِهِ

۱: آیه و آیه [۲۶] -

W. L. Felt, Jr. and J. T. ...

١٤١٦ هـ

[illegible]

«... منها ما رواه القائلان في الذي ضمنه ربه من شكرنا في ذلك فكم ايم من به حكمة عاداً وكبر الصبي - عفاً

٧- السجاء المرسل في ﴿وَقُلُوبُهُمْ أَزْيَاءٌ﴾ حيث أخلق الكل وأريد البعض، وكذلك في ﴿وَقُلُوبُهُمْ يَتَرَبَّعُ مَلَوٌ﴾؛ لأنهم كفروا بالقرآن والإنجيل ولم يكفروا بغيرهما.

لنفترض: قال في التسهيل: إن قيل: كيف قالوا فيه رسول الله وهم يكفرون به ويسبونونه؟
الجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء.

والثاني: أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه كأنهم قالوا: رسول الله عندكم أو يزعمكم. والثالث: أنه من قول الله لا من قلوبهم؛ فيوقف قبله، وفائدته نه قيم ذنوبهم وتضييع قولهم: إنا نكلمه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قُلُوهُ وَمَا سَكَبُوهُ﴾ رد على اليهود وتكذيب لهم ورد على النصارى في قولهم: إنه صلب حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك، ولعمدتي كل المعجب من تناقضهم في قولهم: إنه إله أو ابن إله ثم يقولون إنه صلب^١

شبهة: دل قوله تعالى: ﴿وَمَا قُلُوهُ وَمَا سَكَبُوهُ وَكَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُمْ إِذِ انبَعَثَ إِلَهُهُمْ فَوَلَّوْا بِهِ مُخِيبَتِ الْغُيُوبِ﴾ على أن الله تعالى نهي رسوله عيسى من شر اليهود الخباء فلم يقتل ولم يصلب، وإنما صلبوا شخصاً غيره ظنوه عيسى، وهو الذي ألقى الله شبه عليه فقتلوه، وهم يحسبونهم عيسى، وهذا هو الاعتقاد الحق الذي يتفق مع العقل والمنطق. ولما النصارى يعتقدون أنه صلب وأن اليهود أهانبه ووزعموا الشوك على رأسه وأنه تضرع ويكن مع زعمهم أنه هو الله أو ابن الله وأنه جاء ليخلص البشرية من أولادها إلى غير ما هنالك من تناقض عجيب الغريب، ونقد أحسن من قال:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| عجبتا لم تصحح بين النصارى | والى آي والى نسبوا |
| أسلموه إلى اليهود وهالوا | إسهم بعد قسره صلبوه |
| فإذا كان ما يقولون حقا | صحبنا فإين كان أبوه؟ |
| حين على ابنه رهين الأعادي | أترامهم أوعوه أم اغضبوه؟ |
| خلشن كان راميا بأذاهم | فاحمدوهم: لأنهم عذبوه |
| ولئن كان ساهموا فاشركوه | وام: «وهم» لا: «ه» ١: «و» |



قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ الآية (١٧٦) آخر السورة فكيف؟
من آية (١٧٣) إلى نهاية آية (١٧٦) آخر السورة فكيف؟

مفسرنا: لما حكى تعالى جرائم اليهود التي من صنعا كفرهم عيسى ومحمد ورمعهم أنهم صلبوا المسيح، ذكر تعالى هنا أن الإيمان بجميع الرسل شرط لصحة الإيمان، وأنه أرسل سائر المرسلين مبشرين ومنذرين، ثم دعا النصارى إلى عدم الغلو في شأن المسيح باعتقادهم فيه أنه

[illegible]

الكفر والطغيان محللين فيها أبدًا، ﴿وَكَوْنُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ﴾ أي تخليصهم في جهنم لا يصيب عليه ولا يستغفره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَذَكَّرُوا﴾ اذكروا ﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ﴾ أي يا أيها الناس قد جاءكم محمد بالهدى والحق والشرعة السمعة من عند ربكم ﴿فَقَابِلُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ أي صدقوا ما جاءكم من عند ربكم يمكن الإحصاء غير لكم ﴿وَيَوْمَ تَحْكُمُ فِيَّ بِمَا فِي الصُّحُفِ وَالْأَنْبِيَاءِ﴾ أي وإن تشبهوا وعلو الكفر فإن الله عني عنكم لا يصير كغيركم، إذ له ما في الكون ملكًا وخلقًا وعبادًا ﴿وَكَوْنُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمًا﴾ أي علمنا بأحوال العباد حكمًا بما هم لهم، ولما ود تعال على نبيه ليهود قدامًا أخذ في الرد على ضلالات النصارى في إفراطهم في تعظيم المسيح حيث عبدوه من دون الله فقال - ﴿يَتَأَمَّلُ الْحَكِيمُ لَا تَخْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ أي يا مسيحي النصارى لا تتجوزوا الحد في أمر الدين بإفراطكم في شأن المسيح ودعاءكم عنه ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي لا تصدقوا الله بما لا بين من الحلول والاتحاد واتخاذ الصفة والولد ﴿وَمَا أَتَّبِعُ بَشَرًا مِمَّنْ يَمُوتُ تَرْتَبِطُ أَرْبَعُ أَيَّامٍ مَّا عَيْسَى إِلَّا رَسُولٌ مِّن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَيْسَ ابْنُ اللَّهِ كَمَا زَعَمْتُمْ﴾ ﴿وَصَلِّتُمْ أَتَقْنَهُ إِلَهَ مَرَّةٍ﴾ أي وقد حقق بكلسته تعالى - ﴿كُنْ﴾ من غير واسطة أب ولا نطفة ﴿وَأَرْجُحُ مَعَهُ﴾ أي دم روح مستأجر من الله، وهو أقر لخلق جبريل في صدر مريم حيث حملت تلك النطفة بعيسى، وإنما أضيف إلى الله تشريفًا وتكريمًا ﴿فَقَابِلُوا بِأَفْوَ وَتَنَبَّهُوا﴾ أي أنصتوا بحدايت وصدقوا أمره أحسن ﴿وَلَا تَقُولُوا نَحْنُ﴾ أي لا نقولوا الآية ثلاثة: الله، والمسيح، ومريم، أو الله ثلاثة: الآب والابن، وروح القدس، فبهم تدعى عن التثليث وأمرهم بالتحديد، لأن إله منزوع عن التركيب وعن نسبة التركيب إليه ﴿لَا تَقُولُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي اتقوا من المنايا بكى ذلك غيركم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي منكم أي منكم في ألوهيته ليس كما زعمون أنه ثلث ثلاثة ﴿مُتَّحِدِينَ فِي كُنُوتِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي نزه الله عن أن يكون له ولد ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا وعبادًا، وهو تعالى لا يشاء شيء حتى يشاءه ولدًا ﴿وَكَوْنُ يَوْمَ وَمَعَهُ﴾ تنبى على عباد من الولد أي كفى الله أن ينوم بتدبير مخلوقاته وحفظها فلا حاجة له إلى ذلك أو معي، لأنه مالك كل شيء، ثم ود تعالى على النصارى مزاحمهم ليعانة قدام - ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَنُنَزِّلَ الْفَيْصَالُ﴾ أي لن يأنف ويتكبر المسيح الذي زعم أن إله عن أن يكون معه الله ﴿وَلَا الْفَيْصَالُ أَتَمُّ لَوْ﴾ أي لا يستكفون أيضًا أن يكونوا عبيدًا لله ﴿وَمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ أي لا يكون قسرة ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي ومن يأنف ويتكبر عن عبادة الله سبحانه فيسبغهم يوم القيمة للحساب والجزاء ﴿وَلَمَّا أَمَرَ بِانْقِلَابِ الْأَقْيَانِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي يومهم ثواب أعمالهم ﴿أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ﴾ أي يومهم ثواب أعمالهم ما لا عين، أم لا أن سمعت ولا حفر على قلب بشر ﴿وَأَنَّ الْأَوَّلَ لَشَيْءٍ لَّكُمْ﴾ أي لا تستكفون أيضًا عن عبادة الله ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْبِرَّ﴾ أي وما الذين أقوا وتطعموا عن عبادة نبيهم عذابًا موجعًا شديدًا ﴿وَلَا يَنْفَعُ لَهُمْ يَوْمَ ذَلِكَ أَلْفُ أَلْفٍ﴾ أي ليس لهم من يتولاهم أو يصبرهم من عذاب الله ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْبِرَّ﴾ أي ماكم حجة من الله وهو محمد رسول الله المزيه بالمعجزات

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْكَافِ

بين يدي سورة

١٠ سورة العنكبوت من السور العنكبوتية الطويلة، وقد تناولت كذاثر السور العنكبوتية جانب التشريع بإصهاب مثل عبادة تنقية، والنسب، والأعمال، إلى جانب موضوع العقيدة وتفصيل العمل الكتاب، قال أبو ميسرة: «تتألف من آخر ما رز من القرآن ليس فيها منسوخ وفيها ثمان عتة وريضة».

١١ نزلت هذه السورة منصرف رسول الله ﷺ من الحبشية، وجميعها يتناول الأحكام الشرعية، لأن الدولة الإسلامية كانت في بداية تكوينها وهي بحاجة إلى المسجع الرباني الذي يعصمها من الزلل، ويرس لها طريق البناء والاستقرار.

١٢ أم الأحكام التي تناولتها السورة: المحرمات، إلى: الأحكام العرفية، الديني، العرفي، لإصرام، نزع الكندييات، الردة، أحكام الصلابة، حد السرقة، حد الشن، الإساءة في لأرض، أحكام الخمر والمسكر، كفارة البمين، قتل العتيد في الإحرام، الوسة عند الموت، لحدود والسياسة، الحكم على من حرك العمل شريعة الله، إلى غير ما فالتك من الأحكام لشرع.

١٣ إلى جانب التشريع قصر تعالى عليها في هذه السورة بعض القصص لنتيجة ولعبرة، يذكر قصة بني إسرائيل مع موسى، وهي قصة ترمز إلى التمرد والفتيان مسئلة في هذه الشريعة السابعة من «اليهود» حين قالوا لرسولهم: ﴿مَا نَفْعُ لَنَا رَبِّكَ قَدْ أَقْبَلْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا عَنِ الْيَهُودِ﴾ وهم من الشارذ والضياع؛ إذ وقعوا في أرض الله أوبق منة.

١٤ ثم قصة بني آدم وهي قصة ترمز إلى الفسوق الخبيث بين قوتي الخير، الشر، مماثلة في قصة الخليل ومالك حيث قيل لآدم: «أعداء عابدين»، وكاتب آتون بديلة ذكر، تعدت من الأرض إلى ربها فيها الداء اليه الظاهر، والخبيث تعرض لشرخين من ندام الشريعة: سؤذخ العن القنمرة الأثيمة، وسؤذخ عيسى لحيمة الذكرحة ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ قُلَّتْ أَفَئِنَّ الْبَشَرَةَ لَأُفْلِحُنَّ بِكُلِّ غُلَامٍ﴾ كما ذكرت السورة قصة «الحداد» التي كانت معجزة لعيسى ابن مريم ظهرت على يديه أمام أنصاره.

١٥ سورة النحرية تعرض لآية العنكبوتية «يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْكَ كُنُوزُكَ وَلَا ظُلْمُكَ» في غفلة الرافعة، حيث سبر إلى الله ما لا سبيل من العارية والسبيل، ونقصوا اليهود والمولدين، وحرفوا النور.

والإنجين، وكفروا برسالة محمد - عليه السلام - إلى آخر ما هنالك من ضلالات وأباطيل، وقد ختمت النبوة الكريمة بالموقف المهيب يوم الحشر الأكبر حيث يُدعى السيد للمسيح عيسى ابن مريم حتى يروى الأشهداء ويسأله ربه تباركاً لتنتصاري فلهم عيد، من دون الله: ﴿أَأَنْتَ فَتَنَّا لِلنَّاسِ مُجْدُو؟ زَكَايَا أَتَقُولُ لِلَّذِينَ لَا يُغْنُونَ عَنْهُمُ الْمَالُ وَالْأَوْلَادُ أَنْ لَوْ أَنَّهُمْ إِلَّا بِرِئَاسَةِ رَبِّهِمْ أَكْبَرُ﴾. فموقف مخيف لأعداء الله، شيب لهول الروي، وتضطر من فزعه الغوصي!!

فصلها. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن نحمله فنزل عنها»^(١).

القسمية، سميت سورة المائدة لورود ذكر المائدة فيها حيث طلب الجواريون من عيسى عليه السلام آية تدل على صدق نبوته وتكون لهم عيداً وقصتها أحجبت ما ذكر فيها لاشتمالها على آيات كثيرة ولطف عظيم من الله جلجل الكبير.

□ □ □

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ... إِلَى... أَذِنَ لَكَ أَتُحِبُّكَ لِقَائِهِمْ﴾ من آية (١) إلى نهاية آية (١٠).

فَقَدْ: «المعز»، أصل العقد في اللغة: أن يوطئ شئ. فحدث العجل بالعجل ثم استعير للمعاني قال الزمخشري: «المعز المعز الموقى شبه بعدد العجل قال المعطية».

قَوْمٌ إِذَا عَمِدُوا عَقْدًا كَجَلَّاهِمَ شَقُوا العجاج وشقوا قوتها، الكزبا^(٢)
﴿هَيْبَةُ الْإِيمَانِ﴾ الهيبة ما لا تعلق له لما في صوته من الإيهام، والأنعام جمع نسم وهي الإبل والبقر والغنم ﴿الْفَتْنَةُ﴾ جمع فتنة، وهي ما يفقد به الهدى من لحداء الشجر ليعلم أنه هدى ﴿يَجْرُسُكُمْ﴾ يكتسبكم يقال: جرم فنية أي كسبه وأجرم اكتسب الإثم ﴿كُتِبَ﴾ الشان: البغض ﴿وَالْمُؤَرَّةُ﴾ الخولقة: ضرب الشئ، حتى يسترخي ويشرف على الثمر ﴿الْأَشْبَ﴾ صنم وحجر كانت الجاهلية تكتسبه وتذبح عنده، وجمعه أفعاب كل في البدن ﴿وَالْأَذْنُ﴾ القباح جمع زلم كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة ضرب بالقضاح وهو الاستفهام بالأزلام^(٣). ﴿عَتَقَتْ﴾ مجاعة؛ لأن الطون فيها تكتسب أي تفسر، ولخصص ضمور البطن ﴿الْجُرُجُ﴾ النكراسية من سباع البهائم الطير كالكلب والفهد والعصر والشاءين.

سبب الغزول. عن ابن عباس أن المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعطون الشعائر وينحرون، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا هَذِهِ الْأُمُ...﴾ الآية.

(٢) الكشاف ١/ ٤٦٠.

(٣) الطبري ٩/ ٤٦٣.

(١) أخرجه أحمد.

(٢) البحر ٢/ ٤١٠.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ أي وأصبح لكم أيها المؤمنون زواج الحرائر المعفيات من الذمومات
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَكُنَّ مِنْكُمْ﴾ أي وزواج الحرائر من الكتابيات: يهوديات أو
 نصرانيات، وهذا رأي المفسر - وقال عطاء: أفد أكثر الله المسلمات، وإنما رخص لهم
 يوسف: ﴿إِنَّ تَابِعْتُمْهُمْ تَكُونُوا مِنْهُمْ﴾ أي إذا دعتم لهم مهروا من (تخصيص غير مكففين) أي حال
 كونكم أعفاهم بالنكاح غير مجاهرين بالزنا ﴿وَلَا تُجْبَدُوا لَهُمْ﴾ أي وغير متخذين عشيقات
 وعديقات تزنون من وراء ظن الطبري: المعنى ولا منفردا ببغية قد خادما وخادته واقضها
 لنفسه صديقة يفرج بها^(١) ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخاسِرِينَ﴾ أي ومن
 يرد عن الدين ويكفر بشرع الإيمان فقد بطل عمله وهو من الخاسرين.

ثم أمر تعالى بإسباغ الوضوء عند الصلاة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾
 أي إذا أدبتم القيسم إلى الصلاة وأنتم محدثون ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أي
 اغسلوا الوجوه والأيدي مع المرافق ﴿وَأَمْسِكُوا إِزْرَكُمْ﴾ أي امسكوا
 رءوسكم واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين أي معصا. قال الزمخشري: «رفادة المعصا» بالفتح
 ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ لدفع ظن من يحسبها معسجة لأن المسح لم يصب له غلبة في الشريعة،
 وفي الحديث قول للأعقاب من النار^(٢) وهذا الحديث يروى على الإسمية الذين يقولون بأن
 الرجلين فرضهما المسح لا الغسل، والآفة صريحة: لأنها جاءت بالنصب ﴿وَأَرْسَلَكُمْ﴾ فهي
 معطوفة على المنسول وجيء بالمسح بين المنسولات لإفادة الترتيب ﴿وَمَنْ كُنْتُمْ حُلُمًا﴾
 قائلين ﴿أَيَّ إِن كُنْتُمْ فِي حَالَةِ جُنَابَةٍ فَلَاغْسِلُوا جَمِيعَ الْجَسَدِ﴾ أي إن كنتم مرضى ويضربكم الماء، أو كنتم مسافرين ولم تجدوا ماء، ﴿أَوْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ﴾
 التقيط، أي من مكان البراز ﴿أَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْغَائِلِ﴾ أي حاضمتوهن ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَفَسَّحُوا﴾
 صيدا: ﴿فَلْيَا﴾ أي ولم تجدوا الماء بعد طلبه فافقدوا التراب لاصاهر للشمس به ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْكُمْ﴾
 وأيديكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي امسحوا ووجوهكم وأيديكم بالتراب يضرين كما وضعت السنة النبوية ﴿مَنْ﴾
 يريد الله أن يجتمع عليكم من حرج، أي ما يريد بها فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم
 تفصيلا عليكم ﴿وَلَيْكُمُ بَرَاءٌ﴾ أي براءة منكم ﴿فَمَنْ كُنْتُمْ حُلُمًا فَلْيَسْأَلُوا﴾ أي يظهرهم من
 الذنوب وأدناس الخطايا بالوضوء والتيمم، وليس نعمه عليكم بيان شرائع الإسلام واشتراكه
 على نعمه التي لا تحصى ﴿وَلْيَسْأَلُوا﴾ أي يسألوا الله عنكم ﴿وَلْيَسْأَلُوا﴾ أي يسألوا الله عنكم
 ﴿وَالْمَلَأَ﴾ الخطاب للمؤمنين بالنعمة هنا الإسلام وما صاروا إليه من اجتماع الكلمة والعمرة أي
 أذكروا يا أيها المؤمنون نعمة الله العظمى عليكم بالإسلام وعهده الذي عاهدكم عليه رسول
 حين بايعكم من الصبح والطاعة في المعسر وأيسر، والنشاط والسكون ﴿وَلْيَسْأَلُوا﴾ أي يسألوا الله عنكم
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي اتقوا الله فإنه عالم بغفائكم نفوسكم فيجازيكم عليها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

وَالْإِعْلَاقَ ﴿فَكَانَ أَيْوَاهُنَّ غَبَابًا﴾ أَي عَصَصَكُمْ مِنْ شَرِّهِمْ وَرَدَّ أَفْأَهُمْ عَنْكُمْ ﴿وَنَبِّئُوا اللَّهَ﴾ بِأَمَانَتِكُمْ وَأَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَنَكْتِفِي بِالَّذِينَ يُوْثِقُونَ﴾ أَي نَكْتِفِي الْمَوْثُوقِينَ بِاللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُؤْتِيهِمْ مَا نَحْنُ فِيهِ ﴿لَمْ يَذْكُرْ تَعَالَى أَحْوَاجَ الْيَهُودِ وَمَا تَتَوَدَّى عَلَيْهِ نَفْسُهُمْ مِنَ الْخُفَاةِ وَنَفْضِ الْمِيثَاقِ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أَكْفَأُ أَنَّهُ يَسْتَنْ تَوْتٍ يَمْزُقُوه﴾ أَي عَهْدَهُمْ لِمَوْكَدِ الْبَالِسِمْ ﴿وَبَشِّرْتُ بِلَهْمُ أَتَقَى بَشِّرْتُ نَبِيَّكَ﴾ أَي وَأَمَرْنَا مُوسَى بِأَنْ يَأْخُذَ أَنْتَ عَشْرَ نَفْيَا - وَالنَّفْيُ كَبِيرُ الْقَوْمِ الْفَانِمِ بِأَمْرِهِمْ - مِنْ كُلِّ سَبِيلٍ نَبِيٌّ يَكُونُ كَقَبْلٍ عَلَى قَوْمِهِ بِأَوْفَاءِ بَاتِعِيهِ تَوَافُقًا عَلَيْهِمْ، قَالَ الْفَرَحْهَرِيُّ: فَتَعَا سَنَفَرُّ بِنُو إِسْرَائِيلَ مَعَهُمْ بَعْدَ هَلَاكِ نَوْعُونِ أَمْرَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِالسَّيْرِ إِلَى دَارِ بَيْتِهِ بِأَرْضِ الشَّامِ وَكَانَ يَسْكُنُهَا الْكِنَعَانِيُّونَ الْحَبَابِيرَةُ وَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي كُنْتُهَا لَكُمْ دَارًا وَفِرَارًا فَجَاءُوا دُونَهَا مِنْ فِيهَا فَوَنَزَحُوا بِأَمْرِهِمْ، وَأَمْرُ مُوسَى بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ سَبِيلٍ نَفْيَا عَشْرَ نَفْيَا وَنَحْنُ أَشْقَاهُ وَسَارَ بِهِمْ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ أَرْضِ كَعْلَانَ بَعَثَهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْأَخْيَارِ فَرَأَوْا قَوْمًا أَهْلَهُمْ مَغِيْبَةً وَأَهُمْ قُوَّةٌ وَشَوْكَةٌ فَهَابُوهُمْ وَرَجَعُوا وَحَدَّثُوا قَوْمَهُمْ، وَكَانَ مُوسَى عَدُوَّهُمْ أَنْ يَتَحَدَّثُوا بِهَا يَرُونَ فَتَنَكَّرُوا الْمِيثَاقَ وَنَحَدَّثُوا إِلَّا أَنْتَهُمْ سَنَهُمْ ^(١١) ﴿وَمَكَالَ اللَّهُ إِيَّيْكُمْ﴾ أَي نَامَرَكُمْ وَمَعَكُمْ ﴿لَيْزَ أَقْسَمُ السَّكَاةَ وَاتَّقِمْ زَكَاةَ﴾ الْإِلَامِ لِلْفَقْرِ أَي وَاتَّقِمْ لَكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَنْ أَهْلَهُمْ مَافَرَضْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَاتَّقِمْ الزَّكَاةَ ﴿وَمَا نَسَمُ رُسُلِي مَنَزَّلَتْهُمْ﴾ أَي وَصَدَقْتُمْ بِرُسُلِي وَنَصَرْتُمُوهُمْ وَمَعْتَمِدُوهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ ﴿وَأَقْرَبْتُمْ لَهُمْ قَرْمًا مَكَا﴾ أَي الْإِتِّفَاقَ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴿أَلَمْ تَكُونُوا تَسْكُنُ سَيَاكِنَهُمْ﴾ أَي لِأَسْحُونِ عَنْكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَا أَجَوَابُ الْقَسَمِ، قَالَ الْبَيْهَقَاوِيُّ: وَقَدْ سَأَلَ مِنْ جَوَابِ الشَّرْطِ ^(١٢) ﴿وَلَا تَجْلِسُ جُلُوسَ عَرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْفُسُ﴾ أَي تَجْرِي مِنْ تَحْتِ عَرَفِهَا وَتَجْلِسُهَا أَنْهَارُ الْمَاءِ وَالنَّارِ وَالْخَمْرِ وَالْعَسَلِ ﴿فَتَنْ حَكَمَ ضِدَّ مَا لَكَ بِنَهْمِكُمْ فَنَدَّ عَدْلَ مَوَاةٍ أَتَسْبِيلُ﴾ أَي مِنْ كَفَرٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَلَمْ يَذْهَبْ، فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ الْحَقِيقِيَّ وَعَسَلَ ضَلَالًا لَا شَبِيحَةَ فِيهِ ﴿قَوْمًا تَتَّبِعُهُمْ يَتَّبِعُهُمْ لَسْتُمْ﴾ أَي بِسَبَبِ نَفْضِهِمِ الْمِيثَاقَ طَرَدْنَاهُمْ مِنْ دَرَجَاتِنَا ﴿وَتَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ قَبِيحَةً﴾ أَي جَانَةً جَانِيَةً لَا تَقْبَلُ لِقَوْلِ الْإِيمَانِ ^(١٣) ﴿يُخْرِجُونَ الْكُفْرَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فَتَأَوَّلُوا تَتْلَاهُ - الشُّرَاةَ - عَنِ هَيْبِ مَا أَنْزَلَهُ وَحَمَلُوهُ عَلَى غَيْرِ مَوَادِّهِ، وَقَالُوا: عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْ ^(١٤)، وَلَا جَرَمَ أَهْلِهِمْ مِنَ الْإِحْتِرَافِ عَلَى تَغْيِيرِ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا تَكُونُوا حَقًّا وَمَا ذُكِّرُوا بِدِّ﴾ أَي تَكُونُوا نَصِيحًا وَابْتِغَاءَ أَمْرٍ وَابِهِ فِي الشُّرَاةِ ﴿وَلَا تَزَالْ تَخْلُجُ عَنْ خَائِفَتِهِمْ إِلَّا نَبِيَّهُمْ﴾ أَي لَا تَزَالُ يَا مُحَمَّدُ تَطْهَرُ عَنْ حِيَاةٍ مِنْهُمْ بِنَفْضِ الْمِيثَاقِ وَتُدَبِّرُ الْمَكَايِدَ فَتُذَلِّغُوا وَأَتَابَعُوا عَدْلَانَهُمْ وَبَعْدَ أَسْلَافِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ مَنِ اسْلَمَ ﴿فَتَقَفَ عَنِّي وَتَقَفْتُ رَدَّ اللَّهُ حَيْثُ اتَّخَذْتُمْ﴾ أَي

(4) 100% (100%)

(۱۱) ایضاً وی هم ۱۴۷، خان ابن هاشم:

و حلف على اجتماع شرط وغيره

(٣) هذا قول ابن عباس كما في البحر

تَشْفِيئُوا غَنِيْمَةً ﴿١٠﴾ أي ولا ترجعوا مدبرين خوفًا من العبادة . قال في التسهيل . روي أنه لما أمرهم موسى بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبابرة الذين فيها وهموا أن يرجعوا إلى مصر ^{١١} ﴿قَالُوا يَبْنَؤُنَا فِي هَٰذَا بَلَدٍ خَيْرٌ لَّنَا مِنْ هَٰذَا﴾ أي مقام الأحسام طوال الغاية لا فائدة لنا على قتالهم ومع العداوة من بغايا عاد ﴿إِنْ لَرَّ كُنْهَ لَهَا عَنَّا يَجْرَحُوا مِنَّا﴾ أي إن تدخلها حنر يسلموها لنا من غير قتال ﴿وَإِنْ يَفْرَعُوا مِنَّا قَتَلُوا وَكَيْفَ يُقَاتِلُونَا﴾ أي لا يمكننا المدعون ما داموا فيها فإن خرجوا منها دخلناها ﴿قَالَ زَكَرِيَّا مِنَ الَّذِينَ يَخْلُفُونَكَ أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي فما جئناهم وأرضعهم رجلاً من النساء ممن يخاف أمر الله ويحش عفايه وفيهما الصلاح والنفس ﴿أَتَسْكُنُوا عَلَيْهِمْ أَقَامَتْ وَأَمَّا تَحْكُمْتُمُوهُ فَكَيْفَ يُقَاتِلُونَا﴾ أي قال لهم . لا يبرلكنم عظم أجسامهم ، فأجسامهم عظيمة . ولهم فديعة . فإذا دخلتم عليهم يات المدينة غنيمتهم يذل الله ﴿وَوَعَدُكَ قَوْمٌ لَّكَ فِي كُفْرِهِمْ أَتَقْتُلُونَهُمْ﴾ أي اعتمدوا على الله وإله ناصركم إن كنتم حقاً مؤمنين ﴿قَالُوا كُفُّوا عَنَّا قَدْ دَأَّيْنَا جَهَنَّمَ فَاَتَمَّتْ أَشْرُؤُنَا وَرَبَّنَا قَسِّبْنَا يَدًا فِيهِمْ تُكِيدُكَ﴾ وهذا إيراد في الخصم مع سوء الأدب بعبارة تفتش النفس الضعف والاستهانة بالله ورسوله ، ولين هؤلاء من الصحابة الأبرار الذين قالوا لرسول الله ﷺ : لست نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ولكم نكسر قولك : اذهب أنت ورسلك فقتلنا إنا معكم مقاتلون ^{١٢} ﴿قَالَ بَلْ إِنْ لَا كَيْفَ إِلَّا تَقِي وَأَجْبَأَ أَفْرَقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي قال موسى حينئذ معذراً إلى الله متبرعاً من قتلة السوء : يارب لا أملك دمي . لا أملك إلا نفسي وأخي هارون وأهله الذين بيني وبين المخرجين عن طاعتك بحكمك العدل ﴿قَالَ فَإِنَّكَ عُتْرَةٌ خَيْرٌ لِّأَنْبِيَاءَ سَبَّحْتَ بِكُمُوكَ فِي الْأَرْضِ﴾ استجاب الله دعاءه وعافاه . من تشبه أوسيين ساء ، والضحى قال الله لموسى . إن الأرض المقدسة محررة عليهم دخولها مدة أربعين سنة يظهرون في الأرض ولا يهدون إلى الخروج منها ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي لا تحزن عليهم فإنهم ملعونون مستحقون للعقاب . قال في التسهيل . روي أنهم كانوا يسرون الليل كله فإذا أصبحوا وحده أنفسهم في السورح الذي كانوا فيه ^{١٣} .

الملاحفة .

- ١ - ﴿أَنْ يَسْكُنُوا فِيكُمْ بَتُّهُمْ﴾ بطل الأيدي كناية عن التخلي عن الغنم ، وكف الأيدي كناية عن السمع والحسب .
- ٢ - ﴿وَنَسَّكَ بَهْشَةً﴾ فيه التثنية عن الغنم (نسى التثكلت ومقتضى الظاهر . وبعد وإسا التثنية استعمالاً بهشاً .
- ٣ - ﴿وَوَعَدَهُمْ بَلَّغَ الْكُفْرَ﴾ فيه استعمال ، استعمالاً لتخالفات للكفر ، السور للإيمان .
- ٤ - ﴿وَيَسْكُنُكُمْ مُلُوكًا﴾ فيه تشبيه بلع أي كالمالوك في وقت مدبش وراحة انبال ، وحذف أداة

الشبه ووجه الشبه فأصبح بايماً .

٥ - الطلاق بين ﴿تَبَيَّرَ﴾ .. ﴿وَيَمُوتُ﴾ .

٦ - ﴿أَنْتُمْ أَكْثَرُ عِلْمًا﴾ جملة اعتراضية لبيان فضل الله على عباده الصالحين .

البواقي .

الأولى : إنما سميت الأرض المقدسة أي المعطرة لسكنى الأنبياء المطهرين فيها ، تشرفت وظهرت بهم ، فالتطرف طاب بالمطروق .

الثانية : قال بعض العارفين لبعض الفقهاء : أين تعد في القرآن أن الحب لا يعذب محبوبه ؟ فسكت ولم يرده عليه مثلاً عليه هذه الآية ﴿كُلَّ ظِلٍّ يَمُوتُ يَكُونُ لَكُمْ يَوْمَهُ كَالشَّاهِدِ عَلَى أَنْ كَذَبَ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ لَكَ يَوْمَ ذَلِكَ ثَمَرٌ كَثِيرٌ﴾ ذكره ابن كثير



قال الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ أَتَمَّ بِالْحَقِّ .. إلى . وَتَبَيَّرَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَكَلَّمَ عَلَى صُحُفٍ ثُنَى فَبَيَّرَ﴾ من آية (٢٧) إلى نهاية آية (٤٠) .

الغامضية لما ذكر تعالى شرد بني إسرائيل وعصيانهم لأمر الله في قتال الجبارين ، ذكر قصة ابي آدم وعصيان قنبل أمر الله واقدامه على قتل لنفسه البونية التي حرمها الله ، فاليهود اقتنوا في العصيان أول حامي لله في الأرض ، قطيعة الشر فيهم مستغاة من ولد آدم الأول ، فالتبوت القعتان من حيث التمرود والعصيان ، ثم ذكر تعالى عقوبة قَطَاعِ الطريق والشراف والخارجين على أمن الدولة والمنفسدين في الأرض

النفقة ﴿لُرَّكَانًا﴾ القربان ما يُغفَر به إلى الله ﴿يَتَوَرَّأَ﴾ ترجع يقال : بآء إذا رجع إلى العباد . وهي المنزل ﴿فَلَوَعَتْ﴾ سؤلت وسئلت يقال : طاع الشيء إذا سهل وانقاد . وطوعه له أي سهله ﴿يَتَبَعَتْ﴾ ينش وينقب ﴿سُوءَةَ﴾ السوءة : العورة ﴿يَتَوَلَّى﴾ كلمة تحمر وتلهف ، قال سيبويه : الكلمة تنال عند الهلكة ﴿يَتَفَرَّأَ﴾ تفاء : طرده ، وأصله الإهلاك ، ومنه النفاية لردى الصانع ﴿يُخْرِئُ﴾ الخزي : الغضبينة والذل يقال : أخزاه الله أي فضحه وأذله ﴿الْوَسِيلَةَ﴾ كل ما يتوسل به إلى الله ﴿تَكْفَرُ﴾ حقبة .

سجف العزول . عن أنبي أن رجلاً من غريبة قدموا على رسول الله ﷺ فاجنوا إليه بنة - استرخعوا - فبعثهم رسول الله ﷺ إلى إبل الصدقة وأمرهم أن يتربوا من أبنائها وأبوالها . فلما صَحُّوا قتلوا داعي النبي ﷺ واستاقوا النعم فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم فحبى بهم فأمر بهم ففطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم والقوا في الحرة حتى ماتوا امتزلت ﴿إِنَّمَا خِرَافَةٌ إِلَيْنِ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية .

له من قبل قومه فأحلله بأنت أبيه من قبل نفسك ترك الفتوى لاسم قسلي، وفيه إشارة إلى أن
 الجماعة لا تدخل إلا بموجب مؤذن مدني، **﴿لَمَّا أَتَاهَا ذَاتُ الْبُيُوتِ﴾** أي دخلت إلى بيوت بني هارث
﴿فَأُتِفِقُوا﴾ أي اتفقوا على ذلك طلباً لأجل قسلي ما كملت لأخبارات الحاملين قال ابن عباس
 والمعنى ما ألتزموا بمقتضى المضي **﴿وَأَنَّ الْغَايَةَ﴾** الله ورسوله **﴿وَأَنَّهُمْ﴾** أي لا تعد يدي إليك، أي لا تحلف
 رب العالمين قال الرمضاني: قيل: كان هارث أقوى من النذول ولكنه تخرج عن قتل أبي
 حذافه من الله **﴿وَأَنَّ أَيْدِي شَرِّا يَهْدِي رُؤْيَا﴾** فتكون بين أصحابك **﴿أَيُّ ذُنُوبِي﴾** وذلك أحب
 إلي من أن أقتل، قال أبو حيان: والمعنى إن سبق يهلكك فقد فاضحني أن أكون مظلوماً
 ينتصر الله بي لا ماله **﴿وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ﴾** والمعنى لا أريد أن أقتل لمخرج يهلك قسلي إن
 قتلتني، وإنما لم يرد كان منك قتل قسلي فتصير من أهل النار **﴿وَأَمَّا حُرَّتَا الْعِيَالِ﴾** أي عفتان
 من عتدي وعصى أمر الله **﴿فَعَزَّزْتُ لِرُفْقَتِي﴾** قل ليبيعتن **﴿فَأُتِفِقُوا﴾** أي زياد
 نفسه وسهلت له قتل أخيه فقتله تحسراً ولحمي، قال ابن عباس: فخرته بالفاقر فم يفتقه ولم يخرجه
﴿وَأَمَّا شَرُّ غَرَّاءَ تَخَذَ﴾ في الأرض يبرئ كذا، يروي مؤلفه **﴿أَيُّ ذُنُوبِي﴾** أي لو لم يسل الله غراباً، جاءه و
 يستأذنه ويرجئه الأرض يبرئ القائل كيف يستعده أخيه، قال محمد بن سعد: بعث منه غرابين فالتفت
 أحدهما صاحبه ثم حفر له نذراً، وكان ابن آدم هذه أول من قتل، وروي أنه قد قتله
 تركه للموت، ولم يرد كيف بدفته حتى رأى الغراب يدهن صاحبه، فلما رآه **﴿فَأَرَادَ يَتَوَلَّاهُ﴾** ففزع
﴿أَكْرَهَ﴾ مثل هذا الغريب فأزرق مؤلفه **﴿أَيُّ ذُنُوبِي﴾** أي ذنوبي فاقبل مجرمي، أي ذنوبي وبها هذا كي أضعت أن
 أكون من هذا لطيف فاسترجع أخيه في الشرب كما فعل هذ الغراب؟ **﴿فَأُتِفِقُوا﴾** أي التفتين
 أي جاز نادى عنهم عدم الاعتداء إلى ذن أخيه لا علم بقتله، قال ابن عباس: فوجدت كانت حامت
 على قتله الكثرة فاعتاده توبه له **﴿وَمِنْ لَيْلٍ أَيْمًا﴾** كذا يعني بين يدي إن يبرئ لأمر من قاتل قسلاً، وير
 يقبل أو كذا في الأرض **﴿أَيُّ ذُنُوبِي﴾** أي من أهل حادثة القائل وهذا، وسب قتله لأخيه فقتله فرضا
 وحكمنا على بني إسرائيل أن من قتل منهم نفساً طلباً بغير أد بشل نفساً يستحق لقباص ويغير
 فساد يومئذ بعد ذلك كالتوبة وقطع الطريق **﴿فَعَزَّزْتُ لِرُفْقَتِي﴾** أي فكتله قتل جميع
 الناس، قال أبو بصير: من جحد أنه هلك حرمة الدماء وسبب القتل وجزاً الناس عليه،
 والمقصود منه تعظيم قتل النفس وإحياها في القلوب توبه عن التعرض لها وتوبه من التعصبات
 عليها **﴿وَمِنْ لَيْلٍ أَيْمًا﴾** كذا يعني بين يدي إن يبرئ لأمر من قاتل قسلاً، وير
 يهلكه فكتله أخيه جميع الناس، قال ابن عباس: من تفسير الآية: من قتل نفساً واحدة
 حرموا الدماء، فهو مثل من قتل الناس جميعاً، ومن أذبح عن قتل نفس حرمها الله وحرمها

تَحْكُم بَيْنَهُمْ؛ لَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بَحَائِلَهُمْ؛ فَلَيْتَ أَشَاعَ الْحَقُّ مِنْ مَا يَرْتَفِقُ أُمُورَهُمْ^{١١١} ﴿١١٠﴾
 لَمْ يَرَوْا عَنْهُمْ فَكَيْفَ يُعْزَمُونَ فَبَيَّنَّا ﴿١١١﴾ أَيُّ لَدُنَّ إِلَهِهِمْ حَصْبَتُكُمْ وَحَافِظُكُمْ مِنَ الْبَدَنِ ﴿١١٢﴾ تَحْكُمُونَ
 بِأَحْكَامِهِمْ أَنْتُمْ بِالْإِسْطِ بِإِذْنِ اللَّهِ بَشَرُ الْفَرِيسِيِّنَ ﴿١١٣﴾ أَيُّ فَا حَكْمُ بَيْنَهُمْ بِمَعْدِلٍ وَالْحَقُّ وَزِنْ كَانُوا صُلَحًا
 خَارِجِينَ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْدِلِ لَأَنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْعَادِلِينَ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مَنَظَرًا عَلَيْهِمْ مَعَ غَنَمِهِمْ
 وَأَحْكَامِ التَّوْرَةِ ﴿١١٤﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَ وَيَذْهَبُ التَّوْرَةُ فِي حَكْمِ اللَّهِ أَيُّ كَيْفَ حَكْمُكَ بِمَعْدِلٍ هَؤُلَاءِ
 لِيَهُودَ رِبْرِضُونَ حَكْمُكَ وَعَدَهُمْ سُورَةُ فِيهَا حَكْمُ اللَّهِ بِرُؤُوسِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ بِهِ؟ قَالَ الرَّازِي^{١١٥} هَذَا
 تَعْيِيبٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ بِتَحْكِيمِ الْيَهُودِ إِيَّاهُ بِعَدْلِ عَلَيْهِمْ بِمَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ حُدِّ الرِّائِسِ ثُمَّ
 تَرْتَهُمْ قَوْلُ ذَلِكَ الْحَكِيمِ، فَمَدَّ لَهُمَا عَمَّا يَعْتَمِدُونَهُ حَكْمًا حَقًّا إِنْ مَا يَعْتَمِدُونَهُ بِاطِّلًا لَمْ يَخَفْ
 فَعَلِمَ بِدَلَالِكَ سَهْلِهِمْ وَعَدَّهُمْ^{١١٦} ثُمَّ بَيَّنَّ تَوْرَتَهُ وَبَيَّنَّ ذَلِكَ أَيُّ يَحْكُمُونَ عَنْ حَكْمِكَ
 لِمَوْفِقِ لِكُنْهِمْ بَعْدَ أَنْ وَضَحَ لَهُمُ الْحَقُّ وَإِنْ ﴿١١٧﴾ وَأَنْتَ أَوْجِزُ بِالْمُؤْمِنِينَ أَيُّ لِيُؤْمِنُوا بِمُؤْمِنِينَ لَأَنَّهُمْ
 لَا يَوْمَنُونَ بِكُتَابِهِمْ التَّوْرَةَ لِأَعْرَاضِهِمْ عَنْهُ وَعَنْ حَكْمِكَ الْمَوَاقِفَ لِعَامِيهِ، قَالَ فِي التَّحْقِيقِ:
 فَرَدَّ الْإِسْلَامُ لَهُمْ؛ لَأَنَّ مِنْ خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ وَدَلَّ فِدَعَوَاهُ الْإِيمَانُ بِأَدْنَى^{١١٨}؟ مِمَّا حَقَّ تَعَالَى
 التَّوْرَةَ سَأَلَهَا نَزْرُ وَبَعِيَاهُ فَقَالَ ﴿١١٩﴾ تَرَى أَرْكَبُ الْقَرْيَةَ فِيهَا هَذِي وَتَوْرَةُ أَيُّ نَزَلَتْ التَّوْرَةَ عَلَى مَرْسِي
 فِيهَا يَدَا وَاضِعٌ وَنُورٌ سَاطِعٌ يَكْشِفُ مَا اسْتَعَا مِنْ الْأَحْكَامِ ﴿١٢٠﴾ تَرَى فِيهَا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ اسْتَسْمَا أَيُّ
 بِحَكْمِهَا ﴿١٢١﴾ سُورَةُ أَنْبَاءِ بَنِي إِسْرَافِيلَ الَّذِينَ اتَّقَادُوا الْحَكْمَ اللَّهِ ﴿١٢٢﴾ لِيُؤْمِنُوا هَؤُلَاءِ أَيُّ يَحْكُمُونَ بِالتَّوْرَةِ
 لِلْيَهُودِ وَلَا يَحْرَمُونَ عَنْ حَكْمِهَا وَلَا يَسْلُطُونَهَا وَلَا يَحْرَمُونَهَا ﴿١٢٣﴾ وَتَرَى فِيهَا الْبَيْتُ الْآخِرُ أَيُّ الْعِلْمَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْفَقَهَاءِ ﴿١٢٤﴾ بَيَّنَّا تَحْقِيقًا مِنْ كَيْفَ لِيُؤْمِنُوا أَيُّ أَمْرُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ بِحِفْظِ كِتَابِهِ مِنَ التَّحْرِيفِ وَ
 التَّعْيِيبِ ﴿١٢٥﴾ وَكَانُوا عَلَيْهِمْ شُهُدَاءُ أَيُّ رِقَابِهِمْ أَتَلَا بِعَدْلِ وَغَيْرِ ﴿١٢٦﴾ فَكَلَّا تَحْكُمُوا أَنْتُمْ وَالنَّاسُ وَالنَّاسُ أَيُّ
 لَا تَخَافُوا يَا عِلْمَاءَ الْيَهُودِ النَّاسَ فِي إِظْهَارِ مَا عِنْدَكُمْ مِنْ نِعَتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلِجَسْمِ بِلِ خَافُوا مِنْ
 فِي كِتَابِهِ ذَلِكَ ﴿١٢٧﴾ وَلَا تَخْشَوْا بَعْثِي شَيْئًا شَيْئًا أَيُّ وَلَا تَسْتَعِظُوا يَا بَنِي حَطَامِ الدُّنْيَا الْقَدَاسِي مِنْ
 الرُّسُلَةِ وَالْجَدَّ وَتَعْرِضُ الْخَالِيسَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَى تَرَى حَكْمَ بَيَّنَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَوْرَةً لَهُ هُمْ أَنْكَرُوا أَيُّ مِنْ أَمْرٍ
 بِحَكْمِ بَشَرِ اللَّهِ كَائِنْ مَنْ كَانَ فَتَدَكَّرْهُ وَقَالَ الرَّمْثُورِيُّ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مُسْتَهْيًا
 بِهِ فَأَوَلَيْتَ هُمُ الْكَافِرُونَ وَالظَّالِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَصَفَّ لَهُمْ بِالْعَوْنِ كُفْرَهُمْ حِينَ ظَلَعُوا
 آيَاتِ اللَّهِ بِالْإِسْتِهْزَاءِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ وَتَعَرَّبُوا بِأَذَى حَكْمِهِمْ بِعِيرِهَا^{١٢٩} قَالَ أَبُو حَيْثَانَ، وَالْآيَةُ أَرْكَبُ كَانَ
 الظَّاهِرُ مِنْ بَيَانِهَا أَنَّ الْخُطَابَ فِيهَا لِلْيَهُودِ إِلَّا أَنَّهَا عَامَةٌ فِي الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ^{١٣٠} وَكَانَ آيَةُ وَرَدَتْ فِي
 الْكُفْرَةِ نَجْرَ بِأَيُّهَا عَلَى هَذِهِ الْجَمْعَيْنِ ﴿١٣١﴾ وَكَيْفَ عَنَيْتُمْ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْمَرْءِ أَيُّ مَرَصَدًا عَلَى
 الْيَهُودِ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ النَّفْسَ تَقْلُ بِالنَّفْسِ ﴿١٣٢﴾ أَيُّ تَقْلُ بِالْعَيْنِ وَدَقِظَتْ بِدُونِ حَقِّ

^{١١١} يحسن تفسير ابن كثير ٥١٩/١ .

^{١١٢} تسهيل لعلوم تشريل ١٧٨/١ .

^{١١٣} البحر ١٩٢/٢

^{١١٤} البحر الرازي ٢٣٦/١

^{١١٥} تكملة ١٩١/١

الخطيب من النعاصي ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرًا نَبِيًّا﴾ أي مسدودا إلى ما هو خير لكم من طاعة الله رابع شريعته ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ أي معصية ومعيبة ثم أيها الناس إلى الله يوم القيامة ليعبركم به واختلفتم فيه من أمر الدين ومجدركم بأعمالكم ﴿وَأَن تَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ بَاطِلٌ﴾ أي تحكم بين أهل الكتاب بعد الفرائض ولا تتبعوا وهم المرافعة ﴿وَتَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ أي الحظر هؤلاء الأعداء أن يصرموا عن شريعة الله فإنهم كذبة كفرية عتوة ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ أي دين أعمر صواعن الحكم بما نزل الله وأرادوا غيره فاعلموا يا محمد أن الله أن يعاقبهم ببعض إصرارهم ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ أي أكثر الناس خدعون عن طاعة وهم مخذونون بالمال ومعهم كون في العلم والدين ﴿تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ لاستهزام الإنكار والنويخ. والسمس أنزلون عن حكمتهم ويستعملون غير حكم الله وهو حكم الله حلاله ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ أي ومن العدل من الله في حكمه وأصدق في بيانه، وأحكم في شريعته غرض يصدقون بالعلم الحكم.

النافذة

- ١- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ الخطاب بلفظ النافذة على كل من يعصيه.
- ٢- ﴿تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ أي على كلمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أي يستفرون في الكفر لا يرحونه، وإنما ينقلون بالمسارعة عن بعض فتونه إلى بعض آخر.
- ٣- ﴿تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ صيغة معال تنبأ على أي جاثلون في صياح الكذب.
- ٤- ﴿لَا تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ تكبير الخيري المنع من ذكرهم أوهم ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ التوبيخ والرواية.
- ٥- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ بين كلمتي اللب والآخره طائفي.
- ٦- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ تعجب من تعجبهم لرمول الله بحد- وهم لا يؤمنون به ولا يكذبون.
- ٧- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ الإشارة بالجميع للإيمان بحد حذرهم في الشر والسكوت.
- ٨- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُدْعَاكُمْ بِهِ كَذِبًا﴾ خطاب لهم ومنه اليهود وعلمائهم بقرينة الآيات، ولا أصل.

نوعا يحشر

- ٨- ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرًا نَبِيًّا﴾ أي يادوا وعمل الخيرات، وفيه استعارة حيث شبهه بالنعاصي على ظهور الخيل، إذ كل واحد ينافس صاحبه في التسلح لطلب الغلبة لغيره.
- القوائد قال الفخر الرازي: سخط الله محبة النبي بقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ في مواضع كثيرة وما عداه بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ إلا في موضعين أحدهما ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا تَحْزَنْ أَذْهَبَ الْبَاطِلُ يُبْقِيكَ﴾ والثاني في هذه السورة أيضا وهو قوله ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرِيدَ﴾ وهذا الخطاب لا لك أنه خطاب تشرية وتعليق.

يعنى فتح مكة ^(١) وهذه بشارة للنبي ﷺ والمؤمنين بوعده تعالى بالفتح والنصرة ﴿أَوَ أَمْرٌ مِنْ بَدْرٍ﴾ أي يهلكهم بأمر من عده لا يكون فيه تسبب لمخلوق كإلقاء الرعب في قلوبهم كما فعل بيني النظر ﴿تَسْبِيحًا عَلَى مَا أَنْتُمْ فِي أَيْدِيهِمْ فَتُبَوِّدَهُ﴾ أي يصير السائقون ناديس على ما كان منهم من موالات أعداء الله من اليهود والنصارى ﴿وَيُتَوَلَّى أَوَّلِينَ مَأْتَرًا﴾ أي يقول المؤمنون شعبيًا من حال المناقشين إذا هلك الله شرهم : ﴿أَفَلَا يَأْتِيهِمْ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ لِيُخْبِرَهُمْ إِنَّهُمْ فَتَعَلُّكُمْ﴾ أي حلفوا لكم بما معشر اليهود بأغلظ الأيمان إنهم لمعكم بالنصرة والمعونة كما حكى تعالى عنهم ﴿وَلَنْ يُوَفَّىٰ لَهُمْ وَعْدُهُمْ﴾ ﴿عَبَسَ أَفْجَكُكُمْ مَا تُسْأَلُونَ خَيْرًا﴾ أي بطلت أعمالهم بتأخيرهم فصادوا خاسرين في الدنيا والآخرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ بَيْتِهِ﴾ عطف على وجه التحديد والوعيد، والمعنى : يا معشر المؤمنين من يرجع منكم من دين الحق ويبدله بدين آخر ويرجع عن الإيمان إلى الكفر ^(٢) ﴿فَتَرَفَّ اللَّهُ فَكَوَّ تَوْبَهُ نَجْمُهُ وَنَجْوَاهُ﴾ أي فسوف يأتي الله مكانهم بأمر من المؤمنين يحرمهم الله ويحزن الله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى الْكُفْرَانِ﴾ أي رجاء متواضعين للمؤمنين أشده متحززين على الكافرين، قال ابن كثير : «وهذه صفات المؤمنين المكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه متحزرا على عده» ^(٣) كقوله تعالى : ﴿أَيُّدَا عَلَى الْكُفْرَانِ وَكَانَ بَيْنَهُمْ﴾ ومن علامة حب الله تعالى للمؤمن أن يكون لذين الجانب متواضعا لإخوانه المؤمنين تسريلا بلعزة حبال الكافرين والمناقشين ﴿فَتَجَدَّكَ فَ تَبِيلَ قَوْمٍ وَلَا يَمْلِكُ تَوْبَةً لَهُمُ﴾ أي يجددون لإعلاء كلمة الله ولا يباليون بمن لا مهم، فهم صلاب في دين الله لا يخافون في ذات الله أعداء ﴿فَتَجَدَّ قَوْمٌ لَمْ يَلْمِزْ مِنْ يَدِهِ﴾ أي من اندصف بهذه الأوصاف الجليلة فإنما هو من فضل الله عليه وتوفيقه له ﴿فَوَاقَهُ رِيعٌ كَلِيلُهُ﴾ أي وسع الإنضال والإحسان، عليه بمن يستحق ذلك، ثم لما نهاهم تعالى عن موالات الكفرة ذكر هنا من هم حقيقون بالموالات فقال : ﴿إِنَّمَا وَلَكُمْ مَعَهُ دِينُكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي ليس اليهود والنصارى بأوليائكم إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْتُمْ وَالْأَنْفَالُ﴾ و﴿مَنْ يَكْفُرْ﴾ أي المؤمنون المتصنفون بهذه الأوصاف الجليلة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهم حاشعون متواضعون لله عز وجل، قال في التسهيل : ذكر تعالى الولين بلفظ المفرد إفرادا لله تعالى بهما، لم عطف على اسمه تعالى الرسول ﷺ والمؤمنين على سبيل الجمع، ولو قال : «إنما

(١) هذا قول السدي، وقال ابن عباس : هو ظهور النبي ﷺ والعلمين من جميع الخلق بالتصديق عليهم .

(٢) في الآية إعلام بارتداد بعض المسلمين، فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه وقد ائتمروا بالإسلام فترى كثيرا منهم من ارتد في عهد رسول الله ﷺ ومنهم من عهد أبي بكر، وقد ارتد بنو حنيفة فوج سبيلة الكلاب، وكتب سبيلة إلى رسول الله ﷺ : من سبيلة رسول الله ﷺ إلى عهد رسول الله ﷺ : فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأبى عليه السلام : من عهد رسول الله ﷺ إلى سبيلة الكلاب أما بعد : فإن الأرض لله بوزنها من بناء من عباده والعادة للمؤمنين .

(٣) مختصر ابن كثير ٢٨٨/١

أولياؤكم لم يكن في الكلام أصل ونسج (١) ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي من يتولى الله ورسوله والمؤمنين فإنه من حزب الله وهم الغالبون المقامرون لأن ما بينهم ﴿يَعْلَمُ الْغَيْبُ مَا تُمْكِنُونَ لَا تُخِذُوا بِالَّذِينَ آمَنُوا حَتَّى تُنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ﴾ أي لا تتخذوا أعداء الذين آمنوا يستخفون من دينكم ويستمزون ﴿يُنِزُّ الرِّيحُ أَمْثَلُ تَكِيمَةٍ مِنْ تَكِيمَةِ الْغَمْكَارِ لِيُنْزِلَ﴾ أي من هؤلاء المستهزئين اليهود والنصارى ومثلهم الكفرة أولياءكم ثودونهم وتحبونهم وهم أعداء لكم، فمن اتخذ دينكم سخرية لا يصح لكم أن تصادقوه أو توالوا، بل يجب أن تبغضوه وتعادوه ﴿وَتَتَوَلَّوْا اللَّهَ يَنْزِلْ كَلِمَ تَقْبَلُهَا مِنْ رَبِّهِمْ فِي الْحَرْبِ﴾ أي انصرفوا إلى الله في مزالاة الكفار والفجار إن كنتم مؤمنين حقاً، ثم بين تعالى جانباً من استهزائهم فقال: ﴿قُلْ كَذِبْتُمْ إِلَهُ الضُّلُوفِ فَخَذَعَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي وإذا أنتم إلى الصلاة ودمونتم إليها سخرتم منكم ومن صلاتكم، قال في المحرر: «حسد اليهود الرسول يتجزأ حين سمعوا الآيات وقالوا: ابتدعتم شيئاً لم يكن للأنبياء، فمن أين لك الصياح كصياح السبع فصاحوا فبعثهم من صوته؟» فأنزل الله هذه الآية (٢) تبه تعالى على أن من استهزأ بالصلاة ينبغي أن لا يتخذ ولياً بل يهجر ويفرده، وهذه الآية جاءت كالتركيد للآية قبلها ﴿فَذَيْكُم مَّا تَقُولُ﴾ أي ذلك الفعل منهم بسبب أنهم فجرة لا يسلطون حكمه الصلاة ولا يدركون عايتها في تطهير النفوس، ونهى العقل عنهم لكونهم لم يتفقهوا به في أمر الدين، وإن كان لهم عقول يدركون بها مصالح الدنيا ﴿قُلْ يَاعَدُوهُنَّ عَدَّةَ غُفْرَتِكُمْ يَوْمَ الَّذِي يَخْلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالُ وَالْأَنْهَارَ وَالنَّجْمَ وَالشَّجَرَ وَالْطَّيْرَ وَالْبَهِيمَةَ كُلًّا مِثْلَ مَا تَصْنَعُونَ﴾ أي قل يا محمد: يا معشر اليهود والنصارى هل تعبدون علينا وتذكرون منا ﴿بَلَىٰ أَتَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ مَا أَنزَلَ بَنِي آدَمَ وَلَا نُوْحًا وَلَا هَارُونَ وَلَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أي هل كنتم علينا مطعون أو عيباً إلا هذا؟ وهذا ليس بحسب ولا مدية ويكرن الامتنان مطلقاً (٣) ﴿وَلَقَدْ أَخَذَكُم مَّبْعُوثًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي خارجون عن الطريق المستقيمة ﴿فَقُرْ خَلَّ أُنُفُسُكُمْ﴾ أي من أنفوسكم بما هو شر من هذا الذي تعبدونه علينا؟ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا مِنْ دُونِهَا﴾ أي توالوا وجرة ثابتة عند الله، دل في التسهيل: أو وضع الكتاب موضع العقاب تهكمًا بهم نحو قوله: ﴿لَقَدْ يَمَنُّوا بِكَ كَتَابَهُمْ﴾ (٤) ﴿فَرَفَعْنَا آتَاءَهُمْ﴾ أي رفاه من رحمتهم ﴿وَنُفِصَتْ عَنْهُمْ﴾ أي مخطط على مكفره وانهمك في المعاصي بعد وضح الآيات ﴿وَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ أَفْرَدَةً وَتَقَبَّلَ﴾ أي ومسخ بعضهم فردة وخنازير ﴿وَتَقَبَّلَ الْقُرْآنُ﴾ أي وجعل منهم من قبله الشيطان بطاعته ﴿وَالْقُرْآنُ شَرُّ نَجَسٍ﴾ أي شؤم أقبيح، أي هؤلاء السامعون الموصوفون بتلك القبايح والغضاب شر مكالاً في الآخرة وأكثر ضلالاً عن الطريق المستقيم، قال ابن كثير: «والسحني يا أهل الكتاب الطامعين في ديننا

(١) التسهيل ١/ ١٨٨.

(٢) البحر ٥/ ٥١٥ وقال أبو السموء عند هذه الآية: «وي كنعانياً بالمدينة كان إذا سمع الرؤس يقول: أشهد أن محمداً رسول الله يقول: أعرف الله الكتاب! فدخل خادمه ذات ليلة ياتي وأهله نائم فطابت له شربة في هيت فأمر قند وأهله جيثاً أبو السموء ١/ ٤٠١.

(٣) مختصر ابن كثير ١/ ٣٥٠.

(٤) التسهيل ١/ ١٨٢.

الذي هو توحيد الله والبراءة بالعبادة دون ما سواه كيف يستلزم منك هذا وأنتم قد وجدتمكم جميع ما ذكر^(١٠٢) قال القرطبي: «ولما نزلت هذه الآية قال المسلمون لعلنا يا إخوة النردة والمجنون فنكسوا رؤسهم اندفاعاً وفيهم يقول الشاعر:

فله حنة الله عنس اليهود
إذ اليهود إخوة انقرود^(١٠٣)

﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ﴾ الصبيح يقول من الماشقين من اليهود أي يا جنودكم أظهروا للإسلام ﴿وَلَمْ تَقْلُوا بِالْكَفَرِ زَوْجًا مَرْتًا﴾ أي والحاد قد دخلوا إليك كذراً وخرجوا كذراً لم يسفحوا دمًا سمحوا منك يا محمد من العلم، ولا نجعت فيهم المراعظ والرواجر ﴿وَلَقَدْ أَقْرَبَهُ كَانُوا يَنْكُرُونَ﴾ أي من كفرهم ونفاههم وفيه وعيد شديد لهم ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى الْبَشَرِ﴾ أي من اليهود يستبقون في المعاصي والطعن ﴿وَأَعْيَبُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي أكنههم الحرام ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي نفس أفعالهم النجسة تلك الأخلاق الشنيعة ﴿يَتَوَكَّلُونَ عَلَى الْبَشَرِ﴾ أي هذا ير جرهم علماؤهم وأجارتهم ﴿يُرَوِّفُهُمُ الْإِنَّمَا وَاعْتَمِدُوا كَتَمَهُ﴾ أي من المعاصي والآثام وأكل الحرام ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي بشرى صبيحهم ذلك تركهم الشهي عن الكتاب محارم الله، فأول من عباس: «ما هي القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية» يعني عن العلماء - وقال أبو حيان: «تضمنت هذه الآية توبيخ العلماء واعتقاد على سكونهم عن النهي عن معاصي الله وأنداء المديار»:

وهل أحمده كذابين إلا أفسادوا
ك وأحبوا نوء يومهاها^(١٠٤)

﴿وَتَرَى الْقَوْمَ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي قال اليهود العلماء، إن الله يحيل بغر الرزق على الجهاد، قال ابن عباس: «معلنة أي بخيلة أمك ما عنده مغلاً ليس يمتد أن يد الله موافقة ولكنهم يتوكلون. إنه يحيل^(١٠٥)» ﴿سَتَ لَا يَرْجُو﴾ دعاء عليهم بالحل المذموم والغفر والسك ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي أبغضهم الله من رحمة سبب تلك العقاب الشنيعة ﴿قُلْ تَعَالَوْا فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ﴾ أي بل هو جواد كريم صانع الإعام يرزق ويعطي كما يشاء، قال أبو الأسود: «ونصفين أثروا ليس نقصور في فيه بل لأن إغاثته تابع تمسكت الحسنة على الحكم، وقد انقضت الحكمة سبب ما فيها من شوم المعاصي أن يصفين عليهم^(١٠٦)» ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي وليزيتهم هذا القرآن الذي أثروا عيبك يا محمد كفر فوق كفرهم واعتقاد فوق عقابهم إذ كلما نزلت آية كفروا بها فزادوا عقابهم وكفرهم كما أن الطعام للأصحاء يزيد العرض مرضاً، قال القرطبي: «أعلم كمالاً فيه أنهم أهل عثر وتورد على رهبهم وأهلهم لا يذعنون الحق وإن عاينوا صحتهم ونكثهم يعاندونه بسأى بذلك سببه سببه في ذهابهم عن الله وتكذيبهم إياه^(١٠٧)» ﴿وَلَقَدْ أَقْرَبَهُ﴾ أي القبايل اليهود المداواة بالخصاء فكلمتهم منغلطة وقلوبهم

(١٠٢) القرطبي ٦/٢٣٦.

(١٠٣) العمري ١٠/٤٥٢.

(١٠٤) القرطبي ١٠/٢٥٢.

(١٠٥) من كتاب ١/٥٢١.

(١٠٦) بحر المحيط ٣/٤٢٢.

(١٠٧) أبو السعود ١/١٣.

شئى لا يزالون متباحضين متعادين إلى قيام الساعة ﴿لَمَّا تَوَفَّوْنَا نَا لِتَرْبِ لَنَا نَحْمًا﴾ أي كلما أو دوا إشغال حرب على رسول الله يبيح أعضاها الله ﴿وَيَكْتُمُونَ فِي الْأَرْضِ سَكْرًا﴾ أي يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله ويسمون لإثارة الفتن بين المسلمين، قال ابن كثير: أي من سجنهم أنهم دائماً يسعون في الإفساد في الأرض ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَكْفُرُوا﴾ أي لا يجب من كانت هذه صفته
﴿وَلَوْ أَنَّهُ أَهْلُ الْحَيَاةِ﴾ أي توارى اليهود والنصارى آمنوا بالله وبورسوله حتى لإيمان وانقرا معلوم الله فاجتبرها ﴿فَكَفَرُوا عَنْهُمْ حِينَ آمَنُوا﴾ أي محوما معهم فموبهم لشي افتروهم
﴿وَلَا ظَهَرَ حَسَنُ النِّيَّةِ﴾ أي ولا دخلناهم مع ذلك في جنان التسم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ لَفَقَرُوا لَكُنُّهُمْ وَأَلْفَ بَيْتٍ﴾
﴿وَمَا أَقُولُ إِلَيْهِمْ يَنْزِيلُهُمْ﴾ أي ولو أنهم استفهموا على أمر الله وعملوا بما في الشريعة والإتحيل وساء أنزل إليهم في هذا الكتاب الجليل الذي نزل على حاتم الرسل يبيح ﴿لَا تَكْفُرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ويرغب
أشبهه، أي لم مع الله عليهم الأرزاق وأغنى عليهم الحيرات بإفاضة بركات السماء والأرض عليهم
﴿يَنْتَهُمُ أَنَّهُ مُتَّفِقٌ﴾ أي منهم جماعة متفقلة مستفيدة غير عالية ولا مقصرة، وهم الذين آمنوا بمحمد يبيح كعب الله بن سلام والنجاشي وسلمان ﴿وَكَيْفَ يَنْتَهُمُ مَتَى يَنْتَهُونَ﴾ أي وكثير منهم أشرار يبيح ما يعملون من فيجج الأقوال وسوء العمال.

البلاغة.

- ١- ﴿لَوْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَمُنُّونَ بِالْغَيْبِ﴾ بين لفظ ﴿أَعَزُّ﴾ و﴿لَوْ أَنَّ﴾ طباق. وهو من المحسنات السيمية، وكذلك بين لفظ ﴿بَيْنَ قَوْمِهِ﴾... ﴿وَبَيْنَ نَحْبِ قَوْمِهِ﴾.
- ٢- ﴿قَوْمٌ لَا يَمُنُّونَ بِالْغَيْبِ﴾ في تفكير (لومة) و(لاشم) مبالغة لا تخفى: لأن اللومة البرة من اللوم.
- ٣- ﴿بَيْنَ كُنْهُمْ ثَوْنٌ مِّنْكُمْ﴾ هذا على ميل التهيج.
- ٤- ﴿مَنْ يَفْضَحْ يَفْضَحْ لَئِنْ لَّمْ يَكُنْ﴾ يسمى مثل هذا عند علماء البيان تأكيد المدح بما يشبه الذم وبالعكس فقد حملوا التمسك بالإيمان موعباً للإتكاف وتنفعة مع أن الأمر بالعكس.
- ٥- ﴿قَوْمٌ يَفْضَحُونَ﴾ أي من يات التهم حيث استعملت العتوبة في العقوبة.
- ٦- ﴿مَنْ يَفْضَحْ يَفْضَحْ﴾ نسيب البشر للمكان وهو في الحقيقة لأهله. وذلك مبالغة في الذم.
- ٧- ﴿يَفْضَحُونَ﴾ أي اليد كتابة عن فيخل، وبسطها كتابة عن الجود.
- ٨- ﴿لَوْ أَنَّ نَاكَ لَكُنَّ تَرْبِ﴾ إيفاد النوا في الحرب استعارة: لأن انحراب لا نارا لها وإنما شبه بالنار، لأنها تأكل أهلها كما تأكل النار حطبها.
- ٩- ﴿لَا تَكْفُرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ويرغب أشبهه استعارة أيضاً عن سبوغ النعم وتوسعة الرزق عليهم كما يقال: عفا الرزق من مرقه إلى قدمه.

المؤلفات الأولى: روى أن عمر مله أن كاتباً نصرانياً قد استعمله أبو موسى الأشعري مكتوب إلى

أبى موسى لا تكرموهم إذ أنتم لله، ولا تملوهم إذ خوهم الله، ولا تدنوهم إذ أقسامهم الله، فقال له أبو موسى: لا أقوام تلتصرون إلا به عدنان عمر، مات انصراس فمداً تفعل^١؟

الثانية: أنزل مدينة الكذاب في عهد أبي بكر على يد أبو حشيشة فقتل حمزة وكان بمراء، قتلت حشر الناس من الجاهلية = يريد حمزة = وشو الناس في الإسلام يريد = سلعة الكذاب^٢، الثالثة: هذا المعصرون (عسى) من الله واجب، لأن تكريمه إن أطلع في حير نعمه فهو بمنزلة الوعد فتملأ بنفسه^٣

الرابعة: قال ليصاوي في موله تعالى: ﴿لَوْلَا يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ فيها تفضيل لخصائص النبي عن ذلك، فإن ﴿لَوْلَا﴾ إذا دخل على تعاصي أحد التوسع وإذا دخل على التسلل أثناء التعصيف^٤.

□ □ □

قال له فقال ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أسرى، ولكنك يخبرنا بهم شيفوك^٥ من آية (١٦٧ إلى نهاية آية ٨١٦)

الطاسفة: لما حذر تعالى المؤمنين من مخالاة الكافرين، وكانت رسالة إلى تعصبي لخص في أسواق الزمرة والمخالفين، وهذا يستدعي من صيته العدا له ولا تأسعه أمره تعالى في هذه الآيات بتفنيح الحرة، ووعده بالحفظ وانصرة، ثم ذكر تعالى طرفاً من محبة أهل الكفر، الفسدة وبخاصة النصارى الذين يعتقدون بألوهية عيسى وأنه ثالث ثلاثة، ورد عليهم بالدليل القاطع والمرفان الساطع،

الزاعقة: ﴿يَتَّبِعُكَ﴾ المعصية: العطف والعدوى ﴿فَتَقْتُلُ﴾ الطغيان: تجاوز الحد من الظلم والخلق فيه ﴿تَأْمُرُ﴾ تحزن يقال: أسى بأسى، والأسرى: الحرب قال: وسجلت عبيداً من فرط الأسى^٦

﴿فَتَقْتُلُ﴾ مضى ﴿يَتَّبِعُكَ﴾ التعصيب: السيلع في الصدق وقيل من أنية المبالغة كما قال: رجعت سكبت أي ساءت في السمكوت وبكبر أي أكره السمكوت ﴿يَتَّبِعُكَ﴾ يعبرون عن الحق بقول أمك إذا عبره ومنه ﴿فَتَقْتُلُ﴾ قاله: ﴿تَقْتُلُ﴾ المعلوم: لتجاوز في الحد والشد في الأمر يقال: سلا في دونه عاراً تشبه به حتى تجاوز الحد،

سبب دخول

عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: قالوا لعيسى الله يرسله صلباً ذراعاً وعرف أن

١: محاسن لايفري ٢٠٤٤/١

٢: المعاصي ص ١٤٩

٣: البحر ٢٠٧/٣

٤: غزالي ١٦، ١٧

٥: المعطوي ٢٤٥/١

وعا من الله بالحرف والكلام، والاعتراف. والله يضمن لك ان يحسنه من عندك فسا عذرني في
مراقبتهم^(١٢٠) ذوق أن رسول الله ﷺ كان يحكم من حشر نزلت فأخرج رأسه من قبة آدم وقال:
انصرفوا أيها الناس فقد عصيتمني الله عز وجل^(١٢١). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَعْلَمَ
عَلَيْكُمُ الْبَلَغُ﴾ والله هو الذي يهدي من يشاء فمن قصص له بالكفر لا يهتدي أبداً ﴿مَنْ يَأْمُرْ بِالْكَفْرِ
لَنُشْرِكَ عَلَى مَرْوَةٍ نَحْنُ مُنْصِفُونَ﴾ أي قل يا محمد هؤلاء اليهود والنصارى ليسوا علماء
شيء من الدين أصلاً حتى نعلموا بما في الشريعة والإنجيل ونفسيوا أحكامهما على الوجه
الأكمل، ومن إقامته الإجماع بمحمد ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْكُمْ رَجُلًا وَرَكُومًا﴾ قال من عباس: يعنى
القرآن العظيم ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ كَوْنًا وَبَرًّا وَمَكْرَئِيًّا﴾ أي أرسلناك كلاً من ذلك وكلاً من ذلك واللام للنفس أي وأفسد ليريد
هذا القرآن المنزل عليك يا محمد الكثير منهم غلوا في التكذيب وبحقوق أسوتك^(١٢٢) وإصراراً
على الكفر والضلال ﴿فَلَا تَأْخُذْ بِهِ﴾ أي لا تحزن عليهم هذا تكذيب الأنبياء عذابهم
وإلهم، وهذه سبب الخساسة ونسب منهي عن الحزن^(١٢٣) ثم قال تعالى: ﴿إِنْ أَدْرَأْتُمْ أَنْ
صَدَقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي من آمن من هؤلاء المذكورين إيماناً صحيحاً خالصاً لا يشوبه ارتياب بالله وباليوم
الآخر وعسر حالها بقرينة من الله ﴿فَلَا حُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي فلا خوف عليهم فيما
قاموا عليه من أهوال يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا بعد ما بينهم
جزيل ثواب الله^(١٢٤) قال ابن كثير: والمقصود أن كل فرقة آمنت بالله واليوم الآخر وحسب
معلاً صليحاً - ولا يكون ذلك كذلك حتى يوافق الشريعة الهامة مدينة بعد إرسال صاحبها
المبعوث إلى جميع القلوب - فمن انصف بذلك فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون
على ما تركوه وراء ظهورهم^(١٢٥) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيشُونَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي أخذنا من اليهود
لعمركم على الإيمان بالله ورسوله قال في البحر: هذا إخبار بما صدر من أسلاف اليهود من نفس
الميثاق الذي أخذته الله تعالى عنهم وما أخرجهم من العجم ثم لعظام من تكذيب الأنبياء، ونزل
بعضهم وهؤلاء أخلاف أولئك فغير بدع ما يصدر منهم برسول من الأئمة والعصيان إذ ذلك
يشتبه من أسلافهم^(١٢٦) ﴿وَأَرْسَلْنَا قَاهِلًا مِنْهُمْ﴾ أي أرسلنا لهم الرمال ليرشدوهم ويبينوا لهم أمور
الدين ﴿حَفَظَ بَيَاتَهُمْ رَسُولٌ مِمَّا تَقُولُونَ﴾ أي كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما
يخالف أمراءهم: شهودانهم ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ﴾ أي كدوا عطفة من الرسل يقتلوا
فأخافه أخرى منهم، قال الربيعوني: وإسماهم، يدفعونهم موضع نقله على حكاية الحجاز

(١٢٠) نظري ١٤٤/١٠

(١٢١) نظري ١٤٤/١٠

(١٢٢) نظري ١٤٤/١٠

(١٢٣) نظري ١٤٤/١٠

(١٢٤) نظري ١٤٤/١٠

(١٢٥) نظري ١٤٤/١٠

(١٢٦) نظري ١٤٤/١٠

الحامية المستحضرة لها واستطاعت لقتل رئيسها على أن ذلك من دينهم مريض، وقد تقبلت
 وحافظت على دوس الأي^(١١٠) ﴿وَتَقِيحُوا أَفْأَ شَكْرًا﴾ أي بؤس بني إسرائيل أن لا يصيهم
 ملاء وعذاب يقتل الأنبياء وتكذب الرسل بعد ما آمنهم، ولما وجل بهم ﴿فَتَنَّا رُسُلَهُمْ﴾ أي
 لعداؤنا في الأخرى، وقد ساد فسموا عن الهدى وسمو عن سماع الحق وهذا عن التشبيه بالأعمى
 والأصم، لأنه لا يهتدي نور حريق فلو أنه في الذين لإعراضه عن النظر ﴿ثُمَّ تَأْتَسُ كَذَّابِينَ﴾
 فإن القرطبي في الكلام إسماعيل أي أوتعت بهم الفتنة فتدبروا كتاب الله عليهم^(١١١) ﴿ثُمَّ قُلُوا
 وَمَنَّا مَكْفُورِينَ﴾ أي عسى كثير منهم وهم بعد ليس الحق ﴿وَلَمَّا بَيَّنَّنَا مَنَّا مَكْفُورِينَ﴾ أي
 عليهم بعد علمنا، وهذا وعيدهم وتهديد، ثم تأتي بحاشي عفاك العسارى النذالة في الوهم
 فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ كَفَرُوا غَيْرَ مَقْبُولٍ﴾ قال أبو السعد: هذا شروع في
 تفصيل قبائح النصارى وإبطال أفعالهم الفاسدة بعد تفصيل نذات اليهود وهؤلاء الذين قتلوا، وبنا
 مريم وولدت الله هم الموقوية، وأما أن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحاد به، تعالى لأنه
 من الملأ، عليا كبيرا^(١١٢) ﴿وَقَالَ النَّبِيُّ يُسْمُوهُ يُسْمُوهُ تَسْمَاةَ اللَّهِ رَبِّ، وَرَزَقْنَاهُ﴾ أي لم عبد مشكهم
 فاعندوا خالفوا وخالفكم الذي يقول كل شيء، ويخص له كل مرحوم، قال ابن كثير: كان أول
 كسمة تلقى بها وهم من غير أن قال: ﴿يُنَادِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِلِقَاءِ اللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَرَأَى
 اللَّهُ لِقَاءَ رَبِّهِمْ كَأَنَّهُ يَمْشِي يُصِيفُ يَدَيْهِ﴾ وقال القرطبي: رآه الله عليهم ذلت بحجة فطعة من يفرق
 به، فقال: ﴿وَقَالَ النَّبِيُّ يُسْمُوهُ يُسْمُوهُ تَسْمَاةَ اللَّهِ رَبِّ، وَرَزَقْنَاهُ﴾ فأنما كان المسيح يقول يا رب، وبنا
 لله وكيف به عن نفسه ثم كيف يسألها؟ هذا محال^(١١٣) ﴿يُسْمُوهُ مَرْيَمَ وَكُنَّا نَحْنُ الْغَنَّةَ﴾
 أي من يستند بالله غير الله فمن يدخل الجنة أبدًا، لأنهم أدارهم جدين ﴿وَمَرْيَمُ الْقَدْرُ﴾ أي
 مفسير، فاعدهم ﴿وَمَا يَكْفُرُونَ بِرُسُلِهِمْ﴾ أي فلا تدبر، لا سند له من عذاب الله ﴿لَقَدْ
 كَفَرْنَا أُولَئِكَ يَوْمَئِذٍ كَفَرُوا﴾ أي أحد ثلاثة أئمة، وهذا هو فرقة من النصارى يسمون
 المسيطورية، والملكنية، القاسمين بالثبوت وهم يقررون، إن الأئمة مشرقة من الله وعسى
 من يوم، ومن واحد من هؤلاء إله ولهم شهر فونهم، الأت وافر وروح القدس^(١١٤) ﴿وَمَنَا
 يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ﴾ أي والجدل له ليس في الوجود إلا إله واحد موصوف بالرحمة والبر
 عن النفس والمظيم ﴿وَمَنْ لَّا يُنْفِقْهُمَا مَنَّا يَفُوتُ﴾ أي من لم يكمع عن الحق بمقتضى ﴿يَقْتُلُوا

(١١٠) القرطبي (٢١٩/٦)

(١١١) البيهقي ص ١٤٧

(١١٢) أبو السعد (٢٩١/٢)

(١١٣) ابن كثير (٢٧١/١)

(١١٤) ابن كثير (٢٩٩/٦)

(١١٥) قال القرطبي: عزت من دينهم الملاح وأعداهم مع الله فمفسر، لأنه ثلاث ثلاثة وهذا لا خلاف، قال ابن حجر
 بقول ابن حجر واحد ثلاثة أقسام: الأول روح القدس أو هذه الثلاثة، وهو واحد لما أن القدس تدل المرحى
 واختلاف واختلافه وروحه أن لا شيء إلا بالأمم إلى روح به وتكون الواحدة، وقد أورد ابن حجر في هذا المقام
 الثلاثة لا يكون واحدًا وإن لم يوجد لا يكون ثلاثة.

أَشْرِكُ كَقَوْلِهِمْ هَذَا رَبُّنَا أَيُّ لَيْسَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ إِنَّهُ
 أَفْعَرُ رَتْنِيَّةً ﴿الْإِسْتِغْنَاءُ لِلنَّبِيِّ أَيُّ أَعْلَى يَسْتَعِينُ مِنْ تِلْكَ الْمَقَائِدِ الزَّائِفَةِ وَالْأَعْوَابِ الْبَاطِلَةِ
 وَيَسْتَعِينُونَ اللَّهَ مَعًا سُبُوهُ إِلَهُ مِنَ الْإِتِّحَادِ وَالْحُلُولِ؟ ﴿وَأَلَمْ يَكُونُوا يَدَّبُّوا﴾ أَيُّ يَغْفِرُ لَهُمْ
 وَيَرْحَمُهُمْ إِنْ نَادَوْا قَالَ الْيَهُودِيُّونَ: وَفِي هَذَا الْإِسْتِغْنَاءِ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ تَعْجِيبٌ مِنْ إِصْرَارِهِمْ
 عَلَى الْكُفْرِ ﴿فَمَا تَلْبَسُ﴾ مَرَّةً تَرْتَبِعُ وَلَا رُتْبَةً قَدْ حَسَتْ مِنْ قَبْلِهِ فَوُضِّلَ ﴿أَيُّ مَا الْمَسِيحُ إِلَّا رَسُولٌ
 كَالرُّسُلِ الْحَالِيَةِ الَّذِينَ تَقْدِمُهُمْ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى بِبَعْضِ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ إِظْهَارًا لِهَدَفِهِ كَمَا حَصَّنَ
 بَعْضُ الرُّسُلِ، فَإِنَّ أَحْيَا السُّرْنَى عَلَى يَدِهِ مَقْدُ أَحْيَا الْعَصَا فِي يَدِ مُوسَى، وَجَعَلَتْ حَبَّةُ نَعْلِ وَهُوَ
 أَعْجَبُ، وَإِنْ خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبِي فَقَدْ خُلِقَ آدَمُ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمُّ وَهِيَ أَغْرَبُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ جَنَابِهِ
 عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّامُوسَى وَعِيسَى مَظَاهِرُ شَرَّتِهِ وَأَفْعَالِهِ ﴿وَأَلَمْ يَكُنْ يَفْقَهُ﴾ أَيُّ مَسَالِقَةٍ فِي لُصُقِ
 ﴿صَفَا﴾ تَصْلَاحٍ تَلَفُّظٍ ﴿أَيُّ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ كَسَائِرِ الْمَخْلُوقِينَ مَرْكَبٌ مِنْ عَظْمٍ وَلَحْمٍ وَهَرُوفٍ
 وَأَعْصَابٍ وَهِيَ إِشَارَةٌ لُطْفَةٍ إِلَى أَنَّهُ مِنْ بَأْكُلِ الطُّعْمِ لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ فِي حَاجَةٍ إِلَى إِعْرَاجِهِ وَمَنْ
 يَكُنْ هَذَا حَالَهُ فَكَيْفَ يُعْبَدُ، فَوَكَيْفَ يُتْرَكُ أَنَّهُ إِلَهٌ ﴿أَنْظُرْ صَفَاتِ يَتَبَيَّنُ لَهُنَّ الْآيَاتُ﴾ تَعْجِيبٌ
 مِنْ حَالِ الْكَلْبِ يَذْهَبُ أَنْزَمِيَّتُهُ هُوَ رَأَاهُ أَيُّ انْظُرْ كَيْفَ تَوْضِيعُ لَهُمُ الْآيَاتِ مُشَاهِدَةً عَلَى مَطْلَبٍ مَا
 يَعْتَقِدُونَ ﴿وَأَلَمْ يَنْظُرْ أَنَّهُ يَوْمُكُوكُ﴾ أَيُّ كَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْحَقِّ وَتَأْمَلُهُ يَدُ هَذَا الْيَبْدِ
 مَعَ أَنَّهُ أَوْصَحَ مِنَ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ ﴿قَدْ أَشْذَرْتُ بِهِ﴾ دَرَبٌ قَوْلًا لَا يَتَّبِعُ لِقَوْلِهِمْ شَرًّا وَلَا
 نَعْمًا ﴿أَيُّ ذَلِكَ بِمَا مَحَدًا تَوَجَّهُوا إِلَيْكُمْ بِأَيِّ مِنْ لَا يَغْفِرُ لَكُمْ عَلَى الْفِعْلِ وَالضَّرْفِ؟ ﴿وَأَلَمْ يَكُنْ
 أَكْثَمَ أَكْثَرًا﴾ أَيُّ السَّمِيعِ لَا قَوْلَ لَكُمْ الْعَلِيمِ بِأَعْوَالِكُمْ وَتَعَصَّيْتُ الْآيَةَ الْإِنْكَارَ عَلَيْهِمْ حَيْثُ عَصَوْا
 مِنْ هُوَ مُتَصِفٌ بِالْمَجْزُوعِ عَنْ دَفْعِ غَيْرِهِ أَوْ جَلْبِ نَعْمٍ ﴿قُلْ تَأْمَلْ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَكُنْ لَكُمْ
 أَكْثَرُ﴾ أَيُّ بِمَا مَعَرَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا تَجَاوِزُوا الْحَدَّ فِي دِيْنِكُمْ وَتَغْرَبُوا كَمَا أَفْرَطَ أَسْلَافُكُمْ
 فَتَقْتُلُوا عَنْ عِيسَى: إِنَّهُ إِلَهُ أَوْ ابْنُ إِلَهٍ، قَالَ الْفَرَطِيُّ، وَغَلَوِ الْيَهُودُ قَوْلَهُمْ فِي عِيسَى: إِنَّهُ لَيْسَ وَلَدٌ
 بِشَيْءٍ - أَيُّ هُوَ ابْنُ ذُنَا - وَغَلَوِ النَّصَارَى قَوْلَهُمْ: إِنَّهُ إِلَهٌ ﴿وَلَا تُقِيمُوا الْقُوَّةَ قَوْمٌ قَدْ هَكَّوْا مِنْ
 قَبْلُ﴾ أَيُّ لَا تَسْبَحُوا أَسْلَافَكُمْ وَأَسْتَعْمَكُمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى الصَّلَاةِ قَبْلَ بَعْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَأَكْثَلُوا
 حَكْمًا﴾ أَيُّ أَضْلُوا كَثِيرًا مِنَ الْحَقِّ بِأَعْوَالِهِمْ لَهُمْ ﴿وَمَسَّوْا مِنْ مَسَّوَا السَّكِينِ﴾ أَيُّ غَضَبُوا مِنْ
 الضَّرِيقِ الْوَاضِحِ لِمَسْتَقِيمٍ قَالَ الْقُرْصِيُّ: وَتَكْرِيرُ غَلَوِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنَّهُمْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلِ وَضَلُّوا مِنْ
 بَعْدِ، وَالْعَرَادُ الْأَسْلَابُ الْمَدِينُ مَسَّوَا الصَّلَاةَ وَحَمَلُوا بِهَا مِنْ رِزَايَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿لَيْسَ
 أَكْثَرُ صَحْفَرًا مِنْ بَيْتٍ بِشَرِّهِ عَلَى لَيْسَ كَانَ دَلِيلًا وَجِيسَى بَيْتٍ تَرْتَبِعُ أَيُّ لَيْسَ لَهُمْ إِلَهٌ عَزَّ وَجَلَّ فِي

(١) قَالَ فِي الْبَحْرِ: لَا يَبْرُزُ تَمَاقُ دَلِيلُ الْخَلْقِ وَالْعَقْلِ لِدَعَا الْأَرْمِيَةِ عَنْ عِيسَى وَدَعَا مَعَهُ لِلنَّبِيَّةِ وَجَلْبِ فَعْلُوهُ، أُنْكَرَ
 هَامُهُمْ وَوَجَّهَهُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ وَهُوَ عِزُّ عِيسَى، عَلَى دَفْعِ غَيْرِهِ وَجَلْبِ طَعْنٍ وَأَنْ مِنْ كَالِ لَا يَدْعُ مِنْ نَفْسٍ حَرِيٍّ أَنْ لَا
 يَدْعُ حَكْمًا. الْبَحْرُ ٥٢٨، ٥٢٩.

(٢) الْفَرَطِيُّ ٦/ ٢٥٢.

(٣) الْفَرَطِيُّ ٦/ ٢٥٢.

الزبور، والإنجيل، قال لهم عيسى: أكلوا بكل لسان، فمضى على ما عهد موسى في التوراة، وحسب عهد عيسى في الإنجيل وعلى عهد محمد في القرآن^١، والصفرون. إن اليهود لما اعتدوا في السبت دما عليهم داود فمضاه الله فرده، وأصحاب المائدة لما كفرو، بعصى دما عليهم عيسى فمضوا بخداير^٢ ﴿يَهْدِيكُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي ذلك الصراط سبب عصيانهم وأعدائهم، ثم بين ما كان حالهم الشنيع فقال ﴿صَلُّوا لَا يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ صُلَاكُمْ وَقَوْلِكُمْ آمِينَ﴾ أي لا يفرق بينكم في الصلاة بين قولكم آمين مع ما يقولون بقولكم ﴿يُحْيِيكُمْ﴾ أي يحييهم من الموت، ثم أعز قلوبهم بآية داود ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ دَاوُدَ إِذْ كَانَ ضَالًّا فَدَعَاؤُهُ﴾ أي دعاه من الضلال فاستجاب له، فمضاه الله فمضاههم من سوء فعلهم مؤكداً بالقسم في حسناته على المستطير في إعرابهم عن الفناء عن انسكر قاتله ليس من الإسلام في شيء مع ما يملكون من كتاب الله من المساحات في هذا الباب^٣، وقال في البحر: وذلك أنه جاءه ما بين أهل البحر، وكثير من عدم انتهى عنه والمصيبة إذا فعلت ينبغي أن يست بها لحديث (من أنكر منكم شيئا من هذه الغافورات فليس بمتبر) وإذا فعلت جهداً وتوطأ الناس على عدم الإنكار كان ذلك تحريفاً على فعلها وسبباً شديداً لإفنائها وكثيرتها^٤ ﴿تَشْرَبُ مَسْكُونًا﴾ أي تشرب من المشركين يغتفر لهم من الله بغير المؤمنين وأفرادهم (عبد بن الأبرار) وأصحابه ﴿لَيْسَ مَا فَعَلْتُمْ أَفْسَئُهُمْ﴾ أي ليس ما قدموا من العمل لبعدهم في الآخرة ﴿أَنْ سَجَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا هو المخصوص منهم أي بشر ما قدموا، فأنت تهم سخط الله وغضب عليه ﴿فِي الْكَذَابِ مِمَّنْ كَذَبُوا﴾ أي وفي كتابهم مملوون من الكذب والافتراء ﴿صَلُّوا بِرُكُوعٍ خَاشِعَةٍ وَأَنْتُمْ وَأَبْصَارُكُمْ تُلَاقُونَ﴾ أي أنزلوا هؤلاء اليهود يحدقون بالك وبنيهم وما جاءهم من الكتاب ما نزلوا المشركين أولياء ﴿وَلِكُلِّ حَتَّىٰ يَنْتَفِعُوا بِهَا﴾ أي ولكن أكثرهم خارجون عن الإيمان وحاجة الله عز وجل.

تجلافة

- ١ ﴿لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ صُلَاكُمْ﴾ أي هذا التعبير من التحفير والتصغير ما لا غاية له.
- ٢ ﴿يَهْدِيكُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي الهدى - الاسم الجليل إليهم لطلبهم في الدعوة.
- ٣ ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ دَاوُدَ إِذْ كَانَ ضَالًّا فَدَعَاؤُهُ﴾ أي دعاه من الضلال فاستجاب له بغير عيبه ورسد وضع الضمير مكان التصغير للتسجيل عليهم بالرسوخ في الغضب.
- ٤ ﴿تَشْرَبُ مَسْكُونًا﴾ أي تشرب من المشركين يغتفر لهم من الله بغير المؤمنين وأفرادهم.
- ٥ ﴿صَلُّوا بِرُكُوعٍ خَاشِعَةٍ وَأَنْتُمْ وَأَبْصَارُكُمْ تُلَاقُونَ﴾ أي أنزلوا هؤلاء اليهود يحدقون بالك وبنيهم وما جاءهم من الكتاب ما نزلوا المشركين أولياء.

وتربية النهاية .

- ٦- الاستعارة ﴿فَقَتَحُوا وَصَنَعُوا﴾ استعار العصى والعصم للإعراض عن الهداية والإيمان .
- ٧- ﴿وَنُفِثَ حَظِيَّتُكُم مِّنْهُ﴾ ، ﴿كَمْ أَتَكَلَّمْتُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّا يَكُونُونَ لِي بِأَنْعَامٍ حَافِيَةً﴾ ، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا ذُكِّرَتْ بِمَا كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ لاظهار ما بين العجيبين من التفاوت أي إن بياناً للآيات أمر بديع بالغ أقصى الغايات من الخروج والتحقيق وإعراضهم عنها أحب وأبدع^(١٢) .
- ٨- ﴿لَيْسَ مَا حَقَّقُوا بِمُؤْمِنٍ﴾ تبيح لسهو أعمالهم وتعجب من بالنوكيد مع القسم .
- القوائد : قال بعض المحققين في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا ذُكِّرَتْ بِمَا كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ : ﴿لَمَّا أَتَاهَا ذُكِّرَتْ بِمَا كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ .
- فَقَدْ كَانَ هَذَا فِي حَقِّ عِيسَى النَّبِيِّ لَمَّا تَلَّكَ بُولِي مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى بَيْتِكَ لَمَّا نَهَمَ نَفْعًا أَوْ غَيْرَ؟!
- شبهة : قال ابن كثير : دلت الآية ﴿وَأَنَّهُمْ جِبْرِئَةُ﴾ على أن مريم ليست بنته كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نسوة (سارة) ونسوة (أم موسى) استدلالاً لأنهم يحطاب الملائكة لسارة ومريم والذي عليه الجمهور أن الله لن يبعث نبياً إلا من الرجال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا مِّنْهُمْ﴾ وحكى الأشعري الإجماع على ذلك^(١٣) .



قال الله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أُمَّهُمَا تُؤْمِنُ بِكَلِمَاتِي وَلَئِنْ أَسْأَلْتَهُمَا لَنَنصُرَنَّكَ﴾ . إلى . . . وَأَسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَىٰ لِيُثَبِّتَ قُلُوبَهُمْ﴾ من آية (٨٢) إلى نهاية آية (٩٦)

للقاسفة : لما ذكر تعالى أحوال اليهود والنصارى وما هم عليه من الزيف والضلال ، ذكر هنا أن اليهود في غاية العداوة للمسلمين ، ولذلك جعلهم فرقة للمشركين في شدة العداوة ، وذكر أن النصراني ألين حريكة من اليهود وأقرب إلى المسلمين منهم ، ثم لما استقصى المناظرة مع أهل الكتاب عاد إلى بيان الأحكام الشرعية فذكر منها كفارة المبعين ، وتحريم الخمر والميسر ، وجراه قتل الصيد في حالة الإحرام .

الصيد ﴿بَنِيصِيدٍ﴾ النفس والفسس اسم لربيس النصارى ، ومعناه العالم ﴿بَنِيصِيدٍ﴾ جمع راعب وأصله من الرعبة بمعنى السخافة ، والرهانية والفرح : التمدد في الصومعة^(١٤) . ﴿بَنِيصِيدٍ﴾ التفيض أن يمتلئ الإناء وسيل من شدة الامتلاء يقال : قاضي الماء وفاضي الدمع قال الشاعر :

فَضَّضْتُ دَمْعِي مَتَى ضَبَابُهُ عَلَى السَّحَرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي وَجَعَلَنِي
﴿بَنِيصِيدٍ﴾ قال الزجاج : فلو جئنا اسم لكل ما استغفر من عمل ، ويقال للمغفرة والأقذار : وجس ، لأنها قذرة ونجاسة ﴿بَنِيصِيدٍ﴾ النار الشديدة الاحتراق ﴿بَنِيصِيدٍ﴾ كل ما يصطاد من حيوان وطير وغيره ، فالصيد يطلق على الصيد قال الشاعر :

صَيْدُ الْمَلِكِ رَبِّ وَمَالُهُ وَإِذَا دَمَعْتُ فَمَصِيدِي الْإِسْقَالُ

سبب النزول

١- عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: لما نزل الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا وِثْرَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ) أخذوا في شهودي، وروي جرير عن علي بن النعمان قال: لما نزلت الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا وِثْرَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ) أخذوا في شهودي.

٢- عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: لما نزلت الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا وِثْرَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ) أخذوا في شهودي، وروي جرير عن علي بن النعمان قال: لما نزلت الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا وِثْرَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ) أخذوا في شهودي.

٣- عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: لما نزلت الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا وِثْرَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ) أخذوا في شهودي، وروي جرير عن علي بن النعمان قال: لما نزلت الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا وِثْرَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ) أخذوا في شهودي.

٤- عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: لما نزلت الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا وِثْرَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ) أخذوا في شهودي، وروي جرير عن علي بن النعمان قال: لما نزلت الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا وِثْرَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ) أخذوا في شهودي.

(١) أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: لما نزلت الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا وِثْرَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ) أخذوا في شهودي.

(٢) أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: لما نزلت الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا وِثْرَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ) أخذوا في شهودي.

ثُمَّ أَنفَجِدْ بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ السَّيِّدِ وَالْمَشْرُوفِ كَيْفَ تُدَلِّسُ الْبَاسَ عِدَاؤُهُ لِمُؤْمِنِي ﴿وَالْمُحْسِنُونَ الْفُتُوحَةَ نَزَّاهُ﴾ وَأَمَّا الْوَيْلُ فَالْوَيْلُ إِنَّمَا يُكْرَهُ ﴿نَزَّاهُ فِي الشَّيْءِ مَا نَزَّاهُ بِشَرِّهِ وَأَنْ عَادَهُ قَالَ الْوَيْلُ خَطَرِي﴾ وَمَنْ أَفَلَا شَدَّ شَكِيمَةَ الْيَهُودِ وَصَعْبَةَ إِيَّاهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَنَزَّاهُ عَرِيكَتَهُ انْصَارَ إِلَى دِينِهِ مَبْلُغُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَجَعَلَ الْيَهُودَ قُرْبَاءَ الْمَشْرُوفِ فِي شِدَّةِ لِعِدَاؤِهِ لِمُؤْمِنِي بِنِ بِنِ عَلَى رِيَادَةِ عِدَاؤِهِمْ بِتَعْدِيهِمْ عَلَى الَّذِينَ اشْرَكُوا ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ فِيهِمْ جِبْرِيلَ الْكَافِرَ﴾ نَدْبِلُ الْفَرَسَ مَوَدَّتِهِمْ أَيْ كَوْنَهُمْ أَفْرَسَ مِنْ دَرَجَاتِ أَنْ مَدَّ يَدَهُمْ عَلَيْهِمْ وَغَرَبُوا ﴿وَالْهُمُ لَا تَنْتَهِيهِمْ﴾ أَيْ يَتَوَصَّوْنَ لِرُؤْيِهِمْ وَلَا يَتَكَبَّرُونَ فَالْيَهُودُ قَالَ الْفَيْضَاوِيُّ: وَبِغَيْرِ مَنْ أَيْ الْفَرَسُ وَالْإِنْفَاجُ عَلَى رَأْسِهِ وَالْمَوَاضِعُ مِنَ الشَّهَوَاتِ مَحْمُودٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ تَعْلُوهَا ﴿وَالْهُمُ سَبَّحُوا مَا نَزَّاهُ بِرُؤْيُهِمْ﴾ أَيْ إِذَا سَمِعُوا الْفَرَسَ الْمُنْزَلُ عَلَى سِدْرَةِ بُولِ لَمْ يَزَلْ ﴿وَالْهُمُ أَتَيْتُهُمْ بِغَيْرِ مَنْ الْفَرَسُ﴾ أَيْ قَاصَتْ أَعْيُنُهُمْ بِالْمَدِّحِ مِنْ حَلِيقَةِ اللَّهِ لِرَفْعِهِ بِهِمْ وَنَزَّاهُ بِكَلَامِ اللَّهِ الْعَدْلُ ﴿وَالْهُمُ نَزَّاهُ بِرُؤْيُهِمْ﴾ أَيْ مِنْ أَعْيُنِهِمْ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَابِ حَقِّ ﴿يُقُولُونَ إِنَّهُ نَزَّاهُ﴾ أَيْ يَقُولُونَ مَا بِنَا صَدَقَ سِرُّهُ وَكُتَابُهُ ﴿فَاكْتَبْنَا نَحْنُ الْفَتَى﴾ أَيْ مَعَ أُمَّةٍ مَحْمُودَةٍ بِخِلَافَةِ الْإِسْلَامِ لِدِينِ يَشْهَدُونَ عَلَى الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَّاهُ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي شِعَارِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنَا عَلَيْهِ (مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) بِالْحَسَنِ الْفَرَسَ بِكَلَامِ حَسَنِ أَخَذُوا بِهِمْ ﴿وَالْهُمُ لَا تَنْتَهِيهِمْ بِرُؤْيُهِمْ﴾ أَيْ مَا لَمْ يَزَلْ يَنْتَهِيهِمْ بِرُؤْيُهِمْ بِمَنْزِلَتِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَبَعْدًا عَنْ إِيَّاهِ وَقَدْ لَاحَظْنَا الصُّوَابَ وَطَهَرَ حَقَّ الْمُنِيرِ ﴿قَالُوا أَذَلَّتْ فِي حَوَائِجِهِمْ بِالْإِسْلَامِ مِنْ لَيْلِهِمْ قَالَ فِي التَّحْرِيرِ هَذَا يَكْتَارُ وَحَسْبُهُ لَا لَنْفَاءَ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ بِغَيْرِ مَوْجِبٍ رَهُوَ فَرَادِ الْحَقِّ ﴿وَيَنْقُصُ أَنْ يَدْلِكَ نَبِيَّاتُ الْفَقْرِ الْفُتُوحَةَ﴾ أَيْ وَالْحَالُ إِنَّمَا تَطْعَمُ أَنْ يَدْعَاهُ أَوْ مَا أَلْجَمَ بِصَحْبَةِ أَهْلِ الْحَقِّ مِنْ حَيَاةِ الْأَيَّامِ ﴿وَالْهُمُ نَزَّاهُ بِرُؤْيُهِمْ﴾ أَيْ حَالَهُمْ عَلَى رِيَادَتِهِمْ وَتَعْدِيهِمْ بِأَعْيُنِهِمْ بِأَعْيُنِهِمْ بِأَعْيُنِهِمْ بِرُؤْيُهِمْ نَزَّاهُ بِرُؤْيُهِمْ ﴿وَالْهُمُ نَزَّاهُ بِرُؤْيُهِمْ﴾ أَيْ مَا نَقُصَّ فِيهَا أَيْ لَا حَوَائِجَ لَهَا وَلَا يَرْوَاهُ ﴿وَالْهُمُ نَزَّاهُ بِرُؤْيُهِمْ﴾ أَيْ ذَلِكَ الْأَجْرُ وَالْإِدَارَةُ مِنْ أَعْيُنِهِمْ عِدَّةً وَأَصْحَابَ يَدِهِ ثُمَّ أُخْبِرَ نَعْلَانِي عَنْ حَالِ الْأَخْفَاءِ فَقَالَ ﴿وَالْهُمُ نَزَّاهُ بِرُؤْيُهِمْ﴾ بِأَعْيُنِهِمْ لَأَتَيْتُكَ أَمَّا هَذَا فَالْهُمُ أَيْ جَعَلُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْكُرُوا دِينَهُ وَحَسْبُهُ تَزَّاهُ بِرُؤْيُهِمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِالدَّهْدِيَّةِ فِيهَا قَالَ أَبُو السَّعْدِ: وَذَكَرَهُمْ بِحَقَائِقِ الْمَعْدِنِ بِأَعْيُنِهِمْ أَنَّهُ جَمْعٌ بَيْنَ الرَّغْبِ وَالرَّهْبِ ﴿وَالْهُمُ نَزَّاهُ بِرُؤْيُهِمْ﴾ أَيْ تَحَرُّوا حَقِيقَتِي مَا قُلْتُ أَنَّهُ حَقٌّ بِرُؤْيُهِمْ الطَّيْبِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنْتُ قَائِلَةً مِنْ أَصْحَابِ الْخَيْبِ هُمْ هَؤُلَاءِ الْخَصَّةُ وَتَمَّ الْخَيْبُ وَالنِّسَاءُ فَتَرَكْتُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَيْ لَا تَتَّبِعُوا أَعْيُنَكُمْ لَكُمْ لِلَّذِي تَقُولُوا حَرَمًا عَلَى نَفْسٍ مَسَاعِدَ مِنْ تَرْتِبَاهَا وَتَعْدِيهَا وَفَرَعَهَا ﴿وَالْهُمُ نَزَّاهُ بِرُؤْيُهِمْ﴾ أَيْ لَا تَتَّبِعُوا حَقِيقَتَهُ مَا أَهْلُ اللَّهِ لَكُمْ بِتَجَاوِزِ الْحَالِ

إلى الحرام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُوا الْفَحْشَاءَ﴾ أي يخضروا المشجاة من الحسد، والإسلام يدعو إلى التقصد دون إراط أو تعريض؛ ولهذا قال ﴿وَلَا تَجِدُوا أَيْدِيَكُمْ تَحْتَ أَنْفِكُمْ﴾ أي كلوا ما حلت لكم وغاب عما ذكركم الله، قال في التسهيل: أي تمنعوا بالماكل الحلال والتسام وغير ذلك، وإيضا خص الأكل بالذكر؛ لأن أعظم حاجات الإنسان ^(١) ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُخْسِ﴾ ما فاد اللهه إلى التقوى بالطف بالوجوه، كأن يقول: لا تصيغوا إيمانكم بالتقصير في ساعة فله عز وجل فتكون عليكم الحسرة العظمى فإن الإيمان بالله تعالى يوجب إعفائه في تقوى الله ﴿لَا يُؤْتِيكُمْ اللَّهُ﴾ وتلقوا في الشئكم أي لا يؤاخذكم بما يسبق إليه اللسان من غير قصد الخلق كقولكم: لا والله، وبلى والله ﴿وَلَا تَكُنْ كَالْعَصَا﴾ أي وتكن يؤاخذكم بما وقسم بالإيمان عليه بالتقصير والية إذا حتمت ﴿فَكُلُّكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي ثمة عشرة سنين يؤاخذ ما تقصرون فيكم أي كفارة اليمين عند الحنث أن تصوموا عشرة مساكين من الطعام الوسط الذي يلهون منه أهلهم، قال ابن عباس: أي من أهل ما نظمتم أهلكم، وقال ابن عمر الأوسط الحميز والتمرا، والخبز والزبيب، وخبر ما نظم أهلنا الحميز واللحم ^(٢) ﴿أَوْ كَتُونَهُمْ﴾ أي كسوا المساكين لكن مكى ثوب بستر البدن، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا زَوْجَكُمْ﴾ أي إعتاق عبد مملوك لوجه الله، قال في البحر: واجمع العلماء على أن سحلت محرم بين الإماء والكسوة والعتق ^(٣) ﴿مَنْ لَمْ يَجِدْ فَسَبَّحْتَ ثَلَاثِينَ﴾ أي فسر لم بعد شيئا من الأمور المذكورة تكفاره من أيام ثلاثة أيام ^(٤) ﴿وَلَا تَكُنْ كَالْعَصَا﴾ أي هذه كفارة اليمين لشريعة عند الحنث ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي احفظوها عن الابتدال ولا تحلفوا إلا بالضرورة، قال ابن عباس: أي لا تحلفوا، وقال ابن جرير: أي لا تتركوه بخير تكفير ﴿كَتَبَ﴾ يعني الله لكم بآية فأكفركم أي قال ذلك للبين بين الله لكم لأحكام الشريعة وبوضعها لتشكروا على هدائه وتربطه لكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا فَعَلْنَا لَكُمْ خَيْرًا﴾ قال ابن عباس: الخير جميع الأثمة التي تسكن، والخير القصد كانوا يفسرون به في الجاهلية ﴿وَالْأَكْثَرُ وَالْأَكْثَرُ﴾ أي الأسماء المنصوبة للعبادة والأفداح التي كانت عند سادة البيت وسددام الأصم قال ابن عباس ومجاهد: الأصباب حجارة كانوا يذبحون قربانهم عندها، والأزلام: قدام كانوا يستقسمون بها ^(٥) ﴿يَسْتَفْتُونَ عَزَّازَ الشَّجَرِ﴾ أي قدر ونحس تعافه العقول، وحديث مستفتر من نوزيل الشيطان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا زَوْجَكُمْ﴾ أي تتركوه وتكونوا في جانب آخر بعيدين عن هذه العافيات لتغفروا بدنسوبات العظمى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَفْعَلْ لَكُمْ زَوْجُكُمْ شَيْئًا﴾ أي ما يريد الشيطان هذه الرافق إلا ابتغى العداوة واستغضا بين الزوجين في شربهم الخمر ولعبهم بالغمار

(١) ان كبير: ٥٤٢.

(٢) التسهيل ع: ١٨٦.

وج البحر: ١١/٤.

(٣) شرح الأسماء والمناجاة التابع في الأهم، وقال الشافعي ومالك: لا يجب الختم، واعتذر الطبري أنه كما صاهن مفرقا أو متابعة آخره. كذا في العبري: ٥٦٢/١١.

(٤) البحر المحيط: ١٤/٤.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا لُغُومٌ مِّنْ ذِكْرِ آلِهِمْ أَنَسَرُوا﴾ أي وبمسكك بالخير واليسر من ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وأخبركم وعن الصلاة التي هي عماد دينكم، قال أبو حنيفة: ذكر تعالى في الحجر والعنبر مسددين، إحداهما دنيوية، والأخرى دينية، فاما الدنيوية فإن العنبر خير ضرور والاستفاد وتكون شربها إلى التذخيرة، واما العنبر فإن الرجل لا يزال يذوقه حتى يبقى سائلاً لا شيء له يستعمله إلى أن يفسد حتى على أهله والخدم، واما الدنيا فالحجر عليه السرور والفرح بها انتهى عن ذكر الله وعن الصلاة والعنبر - سورة كان ثانياً أو مغايراً - يأتي من ذكر الله: ﴿فَقِيلَ لَهُ تُكَلِّمُنَا فِي الصَّبَةِ تَصْطَفِيهِمْ﴾ ومعناه الأمر أي تنهوا، وكذلك قال عمر: انتهت ربايتكم، قال في البحر: وهذا الاستفهام من أنفع ما يجر به، وقد قيل: قد تبار عليكم ما فيهم من معاملة التي ترحب الاستفهام، قيل أنت مستهزئ ثم بقوله عنى حالكم؟ ﴿فَالْقَائِلُونَ يَا لَيْسَ لَكَ بِشَيْءٍ﴾ أي أظنوا أمر الله وأمر رسوله وأحذرهم مخالفتها ﴿يَقُولُ وَيُتَقَبَّلُ﴾ أي أخرجهم منه فنعزوا أمر الله ورسوله ﴿وَتَقُولُوا إِنَّا تَرَىٰ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي ليس عليه من استكم وإنما عليه تليكمكم الرسالة وما أؤمكم ما بنا، قال الطبري: وهذه من الله وبها على أولى من أمره ونهيه، يقول تعالى: ﴿يَرْجُوهُمْ﴾ فإن توبتهم عن أخرى يهين فتمنوا عقابي وحذر، محضى: "وقال أبو حنيفة: وهي هد من المؤمنين، فالغ ما لا حياء به إذ تضمن أن عقابكم إنما ينزل بعرض لا بسوء" ﴿يَقُولُ تَرَىٰ الْقَائِلُونَ إِنَّا تَرَىٰ رَسُولَ اللَّهِ﴾ قال من عدمي - لما نزل تحريم الخمر قال قوم: كيف نحن مات وما به بشر به وبأكل العسر؟ فقلت لأحد تعالى: أله الإله والذم بعد يتعلق بعمل السامعي، والذين ما فارقوا قبل التحريم إلا والله أمين ﴿يَقُولُ الْقَوْمُ يَا لَيْسَ لَكَ بِشَيْءٍ﴾ أي ليس عليهم جناح لما حالوا من العجز والمشورة إذا التقوا المحرم وشكوا عن إحصاء الأعمال الصالحة، ثم التقوا وقالوا: أي انظر المحرم وأمر بتحريمه سمي حشواً ما حرمه لك وما تفقد من حرمته ﴿يَقُولُ الْقَوْمُ وَالْقَوْمُ﴾ أي مستعد على تقوى الله واجتناب المحارم وما ملوا الأعمال الصالحة التي تفرهم من الله ﴿وَأَقْبَلُ إِلَيْكُمْ آمَنِينَ﴾ أي يعبب المتقربين إليه والأعمال الصالحة، قال في التفسير: ذكر التقوى صالحة، والميل: الميل لأمر: إلقاء الشكر، والزيادة: إلقاء التعاضد، والالتفات: إلقاء ما لا بأس به حفر ما عاب الشكر: ﴿يَقُولُ الْقَوْمُ إِنَّا تَرَىٰ رَسُولَ اللَّهِ﴾ يقولون نحن نرى، فقال: ألهكم وأمرهم، أي ليخبركم الله في حال إحصاءكم ما نصح أو معصية شئ من الصلوات، فقال صغارهم الأيدي وكبر: التراجع، قال السجدي: قول في عدم أحقية ابتلائهم لما سبحانه وتعالى بالصيد، وكانت له حوش ففشاها في رجاله بحيث ضحك من حينها أخذت ألبسهم وما كانوا رماحهم، وقد مر من أن قال في البحر: ومن أسبغ - ما ذكر في العرب

(١) البحر المحمود (٢/١٤)

(٢) البحر المحمود (٢/١٤)

(٣) البحر (٢/١٥)

(٤) الطبري (٢/١٤)

(٥) البحر (٢/١٥)

(٦) تفسير البحر المحمود (٢/١٤)

تلتد بفتحها واهم فيه الاستعارة والأوصاف المحسنة ^(١) ﴿يَعْلَمُ غُتُّهُ فِي زُلْفَةٍ بِكَفِّهِ﴾ أي ليتبين الاحتجاب من الله طريق العيب لقوة إيمانه من لا يحجب الله ضعف إيمانه ﴿فَنُفِثَ فَنُفِثَ فَنُفِثَ﴾ أي ففُتَّ ففُتَّ ففُتَّ أي ففُتَّ ففُتَّ ففُتَّ أي لا اعتزلوا الصيد ولستم محرمون بحج أو عمرة ﴿وَتَوَقَّ فَنُفِثَ بِكُمْ شَيْئًا فَتَوَقَّ بِكُمْ مَا فَتَّرَ بِهِ اللَّهُ﴾ أي من نفل الصيد في حلة الإحرام فعليه حرام يعاثر ما قتل من النعم وهي الإبل والقر والنعم ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذِكَاؤُكُمْ﴾ أي يحكم بالمثل حكام عدلان من المسلمين ﴿هَذِهِ بِلَاحُ الْفَقْدِ﴾ أي حال كونه حديثا يُنحر ويُصدق به على مذكبه : فإن له يكرز نصيب من من النعم كالعضف : ولجاء فعله ببعثه ﴿لَوْ تَقَفْنَا فَعَفَا عَنْكُمْ﴾ أي وإذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من النعم فيقوم الصيد المقتول لم يشتري به طعام فيصير له لكن يسكن منه ﴿لَوْ قَتَلَ نِكَاحًا قَاتِلًا وَكَانَ الزَّهْرُ﴾ أي عليه مثل ذلك الطعام مبيحا يصومه من كان من يورث ليدرك سره عاقبة متكه لحرمة الإحرام : قال في التسهيل : عذرتي ما يجب في قتل النحره نفسيه : فذكر أولا الجراء من النعم : ثم الصياد ومذهب مالك والجمهور أنه على التخيير : وهو الذي يقتضيه المصنف بالأمر وعن ابن عباس أنها على الترتيب ^(٢) ﴿هَذَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ أي من قتل الصيد قبل الحرب ﴿وَنُفِثَ عَدَا فَنُفِثَ تَوَقَّ بِكُمْ﴾ أي ومن عاد إلى قتل الصيد وهو محرم ينضم إليه من في الأخيرة ﴿وَالَّذِي تَرَى فِي الْقَتْلِ﴾ أي غالب على أمره مستغف من عشاء ﴿أَلَيْسَ الْكُفْرُ كَيْدًا أَفَرَى﴾ أي اعمل لكم فيها الذم من أبحر سواه كذا : محرمين أو غير محرمين ﴿وَلَمَّا نَسُوا مَا كُنْتُمْ فِي حَيْثُ عَادْتُمْ﴾ أي وما ينضم من صيده كالسكك وغيره متفعة وفوتوا لكم وورثوا لحياتهم بين يديهم في أصداءهم ﴿وَوَدَّعَاكُمْ مَيْتَةً تَرَى مَا تَكُونُ هَرَّةً﴾ أي وحرم عليكم صيدها لير ما دمتم محرمين ﴿وَأَنْصَرُوا إِلَهُ الْأَلَمَةِ إِلَيْهِ تُقْسَمُونَ﴾ أي دعوا الله الذي يعقوب إليه يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم وهو وحيد ونهيد .

البلاغه

- ١- بين نفاذ ﴿عَدَاكُمْ﴾ و ﴿تَرَى﴾ فلياق وعو من المحسنات اللفظية .
- ٢- ﴿يُسْمِعُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي تطلق بالدمع واستعير له البعض الذي هو الانصباب عن املاء مبالغة أو جعلت أمرهم من دونه فتبصر بانفسها ^(٣)
- ٣- ﴿فَعَفَا عَنْكُمْ﴾ مجاز مرسل أطلق العرب : وزاد الكل في حق إسماعيل
- ٤- ﴿مَنْ تَرَى مَا تَكُونُ هَرَّةً﴾ الاستعظام بزيادة الأمر أي استهوا وهو من استأخ من يهوي به : قال أبو السمر : ولله الله تحريم النحر وأحيسر في هذه الآية الكريمة بفتوى التاكيد : حيث صدرت الجملة بـ ﴿تَعَادَا﴾ قرأ بالأصم والأزلام : وشعبان حث من عمل الشيطان : وأمر بالاحتساب عن عبيد

وحسن ذلك مسبقاً للملاح، ثم ذكر ما فيه من المعاصد الدينية والدنيوية ثم أعيد البحث على الاستهـ
بصفة الاستهـام ﴿هَٰذَا لَمْ يَلْمُوهَا﴾ إيداً تاماً، الأمر في الأمر والتعديـر قد بلغ الغاية القصوى .

فائدة التعبير بقوله تعالى: ﴿تَأْتِيَنَّ﴾ نفس في التحريم ولكنه أبلغ في النهي والتحريم من
لفظ الحريم، لأن معنى الحريم ما يكتسبه فهو مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا زَوْجَكُمْ﴾ لأن القرب منه
إذا كان محرماً فيكون الفعل محرماً، من باب أولى وكذلك هذا.

فمنهـ ثم يذكر في القرآن الكريم تعليل الأحكام الشرعية إلا بالإيجار، أمّا هنا فقد ذكرت
المسبب بالتفصيل فذكر تحريم منها إلقاء العداوة والبغضاء بين المؤمنين، والعبد من سبب الله
وذكره، وشغل المؤمنين من العداوة، ووصف الحمر والخمر بالمهملات وحسن وأنهم من عمل
الشيطان وأن الشيطان يريد بغوـ الإنسان، وكل ذلك ليشير إلى ضرر وخطأ عاثرين المؤمنين
«الضار والخمر» فذكر أسرار القرآن العظيم^{١١}

٦٦٦

فمن الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا تَحْتَ الْكَيْفِ اتَّعَزَّ عَنْ كَيْفِ الْإِلَهِ فَوَيْلٌ لِلَّذِي لَا يَتُوبُ﴾
أخيراً من آية (٩٧) من نهاية سورة (١٠٨).

المتنفة لما ذكر تعالى في الآية العطفة أن العطف على الحريم حرام، ونهى عن قتل الظير
والوحش في حالة الإحرام، ذكر تعالى في هذه الآية أنه جعل الكعبة قبلاً للمناس، وذكر في سورة
الطه ما يبيـه لا يقع فيها أي لأمره، فذكر أن الحريم سبب لأمر المؤمنين والعقود فكانت له سبب
لأمن الناس من الآفات والمخاضات وسبب لحصول الخير والتمتع في الدنيا والآخرة.

فمنهـ الحيرة من بحر وهو الشق، قال أبو عبد، وهي الساحة إذا انتحوت حجارة أهل بي
أمرها ذكر شيئا منها وغلبوا سببها فلا تركب ولا تحلب^{١٢} الساحة الحيرة سبب سدر ونحوه
﴿وَيُحَلِّزُ﴾ الوديعه من الدم، وهو إذا وادى الشاة عبيده أقر، وكان السبع ذكره وأمره فلو أقر
وصلت أختها فلم تلجج^{١٣} ﴿وَحَرُّ﴾ الفصح إذا نتج من صلبه عشرة أهل يقال: قد حمى ظهره
ولا يركب ولا يجمع من كلا ولا ده، ﴿لَيْزٌ﴾ ظهر يقال: عثر به على عيانة أي اضطرب وذهب
في الآخرة نتيجة أولى حمى حتى.

سبب النزول

١- عن ابن عباس قال: كان قوم يمسكون السيـ في استهزاء فيفترق الرحمن من أمي؟ ويقولون
أرجل تعس: الله لو أن الناس لا يدرى الله ﴿وَيُنَالُ كَذِبُكَ﴾ أمّا لا تختلف من الشاة برشد ثم
تسبح^{١٤} الآية ١٠٨.

١٠٨ ليل السعد ٥١/٣.

١٠٩ ليل السعد ٤٥/٣.

١١٠ أسباب النزول ص ٦٦.

١١١ ربيع الثاني ١٤١١ هـ.

١١٢ غريب المحرم ص ١٤٧.

والأرض ريعاً مصلحكم، فذلك جعل الحرم آمناً يسكن فيه كل شيء، فالنظر والاطلاع بالعباد مع كفرهم وضلالهم ﴿اعْتَصِمُوا أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي احملوا أُنْهَى الأساس أن الله شديد العقاب لمن عصاه وأنه غفور رحيم لمن تاب وأطاع وأذات فلا تيسركم نعمته ولا عامدكم رحمته ﴿إِنَّمَا عَلَى أَرْسُولِي الْبَلَاغُ﴾ أي ليس على الرسول إلا أداء الرسالة وتبليغ الشريعة وقد بلغ ما وجب عليه فلا عذر لأحد في التفریط ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكْفُرُونَ﴾ أي لا يخفي عليه شيء من أحوالكم وأعمالكم وسيحازيكم عليها قال أبو حيان: الجملة فيها تهديد إذا أصر تعالى أنه مطلع على حال الصبد ظاهراً وباطناً فهو مجازيه على ذلك ثواباً أو عقاباً^(١) ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ أي من يا محمد لا يساوي الخبيث والطيب ولو أعجبك أنه السامع أكثر الخبيث وهو مثل ضرره، والله للتمييز بين الحلال والحرام، والطغيان والعماس، والردي، والجيد، قال القرطبي: اللفظ عام في جميع الأمور ينصور في التكاسف، والأعمال والناس، والمعروف من العلوم وغيرها، فأنجبت من هذا كله لا يرفع ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة وإن كثر، والطيب - وإن قل - نافع حميد جميل العاقبة^(٢) وقال أبو حيان: الظاهر أن الخبيث والطيب عامان فيندرج تحتها المال وحرامه، ومصالح العيش وقامسه، وجيد الناس ورديهم، ومصحح العقائد وفاسدها، ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ وَالطَّيِّبُ يَنْفَخُ فِيهِ رُوحَهُ﴾ أي لا ينفخ فيه روحاً إلا الطيب^(٣) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكْفُرُونَ﴾ أي فافقروا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه بذكر العقول لتفقدوا ونفوسوا برضوان الله والتميم المقيم ﴿يَتْلُو الْوَرُوحُ مَا تَقُولُونَ خَشِيعَةً إِنَّ تِلْكَ لَكُمْ تَسْوِئَةٌ﴾ أي لا تسألوا المرسل عن أمور لا حاجة لكم بها إن ظهرت لكم ما فكم، قال الرسخشي: أي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم إن أنتمكم بها وكلمكم إياها بكمكم وتنشق عليكم وتندسوا على السؤالات عنها^(٤) ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا مِنْ بَعْدِ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا تَقُولُ كَقَوْلِهِمْ﴾ أي وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان نزول الوحي تظهر لكم تلك التكاليف التي تسوكم فلا تسألوا عنها^(٥) ﴿فَمَا تَعْلَمُونَ﴾ أي عما الله عن مسائلكم المألوفة التي لا ضرورة لها وتجاوز عن عقوبتكم الأخذ بآية فلا توردوا إلى مله ﴿وَالَّذِي عَقَبْتُمْ يَرْجُءُ﴾ أي واسع المغفرة عظيم الغضل والإحسان؛ ولذلك عنا عنكم ولم يعاجلكم بالمعصية ﴿فَمَنْ مَعَهَا قَدْ يَنْفَعُكُمْ﴾ أي سأل الله ما في المسائل نوع فبلكم منها أعطوه وفرضت عليهم كفروا بها؛ ولهذا قال ﴿تِلْكَ أَمْتُهُمْ بِمَا كَفَرُوا بِهِ﴾

(١) القرطبي ٦/٣٦٧

(٢) البحر ١/٢٧٧

(٣) الكشاف ١/٥٣٢

(٤) البحر ١/٢٧٧

(٥) وقال من عجز عن تفسير الآية لا تسألوا عن أشياء في نفس الإخبار عنها معادة لكم إما التكاليف شرعية يترجمكم، وإما خبر يسوكم من الله قال: أين ير؟ ولكن إذا ترك القرآن يني، وإيتاكم ربك ما من فحيتوا إن سألتم عن بيانه بين لكم وأبدي، فعلا من البحر الحميد ٢/٢٩١

المسلمين (١) ثم تجسوا شاهدين منكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ حَرَضْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَشْكِبْتُمْ شَيْعَةً تَكْفُرُ﴾ أي إن أنتم
 سامعون قضايتكم لأجل ذلك بكم الدعوة ﴿فَتَجَسَّوْا بَيْنَ يَدَيْ الشَّاهِدِ﴾ أي توفقوا بينهما من
 صلاة العصر إلى وقت اجتماع الناس وكذا فعل رسول الله ﷺ واستخلف عدلاً ونعيماً بعد
 العصر عند العصر ﴿فَتَقْسِدَنَّ بَيْنَهُ إِنْ أَرَادْتُمْ﴾ أي يحذف باله إن شككتهم وأرقتهم في شهادتهما فإن
 أبو السعد، أي إن أرتب بهم ثمرات منك بحياته وأخذ شيء من الثروة فاحسبوهما
 وحقوقهما باله (٢) ﴿لَا تَشْغُرْ بِهِ شَاوِرٌ كَذَّابٌ قُرْ﴾ أي يحذف باله قاضين لا يحاربين بشهادتهما
 ثم لا استبدل بأقسم باله عرضاً من الدنيا أي لا تحلف باله قاضيين من أهل العلم ولو كان
 من قسّم به قريباً لك ﴿وَلَا تَكُنَّ شَهَادَةُ اللَّهِ بِأَقْدَارٍ تَكْفِي﴾ أي ولا تكتم الشهادة التي
 أمرها الله تعالى بأقسامها إنما إن قسمنا ذلك كما من الآتين ﴿فَإِنْ يُزَيِّنْ عَنْهُمَا شَيْءٌ﴾ أي إن
 أطاع بعد حلفهما على عاهد أو كذبهما في الشهادة ﴿فَقَامَرَيْنِ فَوَرُّنَ غَافِلَيْنِ يَرَى تَوَلَّى تَوَلَّى﴾
 ﴿عَلَيْهِمُ الْأُولَى﴾ أي مرجع لأن آخر من فاورقة للمعتصمين لثروة يقومون مقام شاهدين العائين
 وليتكموا من أولى من استحق الثمرات ﴿فَيُقْبِلَانِ بَيْنَهُ شَهَادَتَا حَقٍّ﴾ أي يعلمان
 باله لشهادتهما صدق وأولى بالسامع والاعتبار من شهادتهما لأنهما حاد ﴿وَرَنَ غَافِلَيْنِ يَتَا وَكُنَّ
 غَافِلَيْنِ﴾ أي وما اعتصبتا فيما قلنا فيهما من الحياة إنما إذا كذبا عليهما تكون من العائين ﴿فَإِنْ
 أَتَى أَنْ يَأْتِيَ بِالْهَيْدَةِ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي ذلك أحكم أقرب أن وكراً بالشهادة على حاشية قوتها من غير
 تغيير ولا تبدل ﴿إِنْ تَخَافُوا أَنْ تَزِيدَ بَازُؤُكُمْ﴾ أي يخافوا أن يحلف غيره بعدد فينصروا
 ﴿وَتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي عدائكم وأولادكم وأهملوا الأمر ﴿وَأَلْفَ لَا يَبْدُو الْقَوْلَ قَتِيلَيْنِ﴾ أي والله لا يهدى
 الخارجين عن طاعته إلى حسنة ورحمته.

الصلوة

١ ﴿وَالْمَدَى وَالْقَلْبُ﴾ عطفت لثلاثة على المدى من عطفت الخامس خمس النعام، خصت
 بالذكر لأن الشرب فيها أكثر وبهذه الحج بها أشهر

٢ ﴿وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْفَعُ﴾ أطلق فمصدر البلاغ وأراد به شيلع والصلوة.

٣ ﴿وَالْحَبِيبُ وَالْقَلْبُ﴾ بينهما طريقان وبين ﴿وَالْقَلْبُ﴾ ثمة لثمة جواس الاتفاق وكلاهما من
 الحسنات الطبيعية.

٤ ﴿شَهَادَةُ شَيْئِكُمْ﴾ جملة خبرية لفظاً بشتية معنى بالامتناع الأمر أي لشهادتكم

الدور قال الإمام الشافعي: الإلزام من الأسئلة مدموم وله مواضع يذكر منها عشرة:

أولها السؤال عما لا ينفع في الدين كسؤال حضرم من أي؟

ثانيها أن يسأل ما يزيد عن الحاجة كسؤال الرجل عن الحج: أكل عام؟

ثالثها السؤال من غير احتياج إليه في الوقت وذلك عليه: «دروا ما نوحكم؟»

رأيتهم في أسواق عن مصائب العائل وشراها كما جاء في النبي عن الأعطوفات
جاءتهم. أن يترك عن علة الحركم في التبعيدات كالزال من قضاء النور المحاضر دونا
الصالح

سأجيبها: إن مبلغ المال جد الزكف، والتعمق في سؤال بني إسرائيل عن البقرة والحاهي ومالها؟ سأجيبها: إن يظهر من السؤال، معارضة الكتاب والسنة بالقرآن. ولذلك ف... سعيد: أصابي؟

ثالثاً: السعي إلى عين العاشق، حيث ومن خلال ما نقله ابن مالك من الاستحسان والاعتناء بالاعتناء به.

• **البرق**

نامعہا الزمان عما حصل ہیں اکتف، وقد قال عمر بن عبد العزیز: ثلث دماء کف اللہ
عنہا یذی دلاً نطقہا جمالی،

عاشروا سوا الله البعد والإفحام وطيب غفلة في الخدم في الحديث: أنقض امرجاني
بشيء الله إلا الحميم^(١).

070

فقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَخْلَعُ عَنْهُ إِكْرَامُكَ يُعْقَلُ فَإِنَّ الْبُغْيَاءَ لَمَكُنَّةٌ﴾^١ إلى... آخر سورة الكريمة.^٢

فالمسألة، لما ذكر الله تعالى أهمية عند ذكر الأجل وأمر بتقوى الله والسمع والطاعة، أعني يذكر الحرم المكي الشريف وهو يوم القيمة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين للحج والعبادة، ثم ذكر المعجزات التي أبدىها عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها البقاء من السماء، وبنت النور الكريمة براءة سيد المسيح من دهي الألفية.

الْيُفْخَفُ ﴿مَكْنُفٌ﴾ مُنْعَفٌ وَصَرَفٌ، وَمِنْهُ الْفُخْفُفُ، وَهُوَ مَعَ الْفُزْيَةِ ﴿الْمُفْزِزَةُ﴾ فُوزٌ
مَأْخُذٌ مِنَ الْأَمَدِ وَهُوَ الْقُوَّةُ ﴿فُزْعَةٌ﴾ الرُّوحُ: إِنْ لَقِيَ الْمَعْنَى إِلَى الْفُخْ حَفِيَّةٌ وَهُوَ مَعْنَى انْقِصَابِ
رُوحٍ بِمَعْنَى الْإِنْخَامِ، وَوَحْيٌ بِمَعْنَى الْإِعْلَامِ فِي الْيُفْخَفِ وَالْإِنْخَامِ، وَوَحْيٌ بِمَعْنَى إِسْرَافِ حَبِيرٍ إِلَى
الرَّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ^{١١١} ﴿مَأْهَذَةٌ﴾ تَنْدِيَةٌ: الْخُرَافَةُ الَّتِي عَنِ الطَّعَامِ فِي الصَّغَرِ، فَإِنَّ لَهُ بَكْنَ
عَلَيْهِ طَعَامٌ فَالْيُسُوفُ ^{١١٢} ﴿الْأُفُوفُ﴾ الْهَرَفُ الَّذِي الشَّاهِدُ عَلَى الْأَعْمَالِ ﴿أُفَاةٌ﴾ أَيْ بِلَا النُّظَامِ

﴿يَوْمَ يَخْرُجُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ فَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿وَلَا يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ بِمَا كَفَرَ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن لَّا يُدْرِكُهُمْ فِيهَا غَلَابٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن لَّا يُدْرِكُهُمْ فِيهَا غَلَابٌ﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن لَّا يُدْرِكُهُمْ فِيهَا غَلَابٌ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن لَّا يُدْرِكُهُمْ فِيهَا غَلَابٌ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن لَّا يُدْرِكُهُمْ فِيهَا غَلَابٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن لَّا يُدْرِكُهُمْ فِيهَا غَلَابٌ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن لَّا يُدْرِكُهُمْ فِيهَا غَلَابٌ﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن لَّا يُدْرِكُهُمْ فِيهَا غَلَابٌ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن لَّا يُدْرِكُهُمْ فِيهَا غَلَابٌ﴾ ﴿١١٠﴾

[illegible]

٢٠٠٠

١١٠٠ الفقه الزيدية

تَصْحَفُ وَيُكَلِّمُكَ وَالْزُّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ^(١) أي واذكر نعمتي عليك حين علمتك الكتاب والحكمة وهي العلم النافع مع التوراة والإنجيل ﴿وَرَبُّهُ خَلَقَ مِنْ الْهَلْهِلِ كَهَيْئَةِ الْغُلِيِّ يَأْذِي﴾ أي واذكر أيضاً حين كنت تصور الطين كهصورة الطير يتسبيري وأمرني ﴿فَتَسْلُخُ مِنْهَا تَتَكَلَّمُ طَعْمًا يَأْذِي﴾ أي فتتفخ في تلك الصورة والهيئة فتصبح طيراً بأمر الله ومشيئته ﴿وَوَتَرَهُ الْأَسْخَةُ وَالْأَكْرَمُ يَأْذِي﴾ أي تشفي الأعمى الذي لا يبصر والأبرص الذي استعصى لشفائه بأمرى ومشيئتي ﴿وَرَبُّهُ خَشَرُ الْمَوْتِ يَأْذِي﴾ أي نعمي الموتى بأمرى ومشيئتي وكرر لفظ ﴿يَأْذِي﴾ مع كل معجزة رداً على من نسب الربوبية إلى عيسى، وليبان أن تلك الخوارق من جهته سبحانه أظهرها على يديه معجزة له ﴿وَرَبُّهُ صَحْفَتُ بَيْتٍ يُسْرِبُ مِنْكَ إِذْ يَشْتَقِدُ بِالْبَيْتَيْنِ﴾ أي واذكر حين سمعت اليهود من قتلك لما هموا وهزموا على منك بك حين جنتهم بالحجج والمعجزات ﴿فَتَقَالَ الْيَوْمَ كَفَرْنَا بِهِمْ مِنْ هَذَا إِلَّا بِمَنْ هُمْ عَلَيْ﴾ أي قال الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك ما هذه الخوارق إلا سحر ظاهري واضح ﴿وَرَبُّهُ كَرِهَتْ إِيَّاهُ الْكَلْبَرِيَّةُ أَنْ يَمْسُوْرَ رُبُّوْرُشَوِي﴾ وهذا أيضاً من الامتنان على عيسى أي واذكر حين أمرت الحواريين وفدخت في قلوبهم أن يصدقوا بي ومرسولي عيسى ابن مريم ﴿فَقَالُوا مَاذَا أَفْتَدَيْتُمْ بِأَنَّا شَيْكُوْرُ﴾ أي قال الحواريون صدقنا يا رب بما أمرنا واشهد بأننا مخلصون في هذا الإيمان خاضعون لأمر الرحمن ﴿إِذْ قَالَ الْكَلْبَرِيُّونَ يَكُونُ لَكَ عَزِيْرٌ حَلٌّ يَسْلُخُ وَتَكُنْ أَنْ تَبْرَكَ عَلَيْكَ مِنْ السَّمَاءِ﴾ أي واذكر حين قال الحواريون يا عيسى هل يقدر ربك على إنزال مائدة من السماء علينا؟ قال افترطي: وكان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استعظام معرفتهم بالله عز وجل، ويجوز أن يكون ذلك صدر ممن كان معهم من الجهال كما قال بعض نوم موسى ﴿كَيْفَ نَأْتِيهَا كَمَا هُمْ يَأْتِيهَا^(٢)﴾ وقال أبو حيان: وهذا اللفظ يقتضي ظاهراً، الشك في قدرة الله تعالى على أن ينزل مائدة من السماء وهذا إلى ما ذهب إليه الزمخشري^(٣) وأما غيره من أهل التفسير فألفوا على أن الحواريين كانوا مؤمنين وهم خواص عيسى وأنهم لم يشكوا لي ذلك حتى قال الحسن: لم يشكوا في قدرة الله وإنما سألوه سؤال استخبر هل ينزل أم لا؟ فإن كان ينزل فاسأله لنا^(٤) نسألهم كان للأطمئنان والتثبت ﴿فَقَالَ أَتَشْكُرُونِ إِنْ سَخَّطْنَا لِقَابِي﴾ أي انفروا الله في أمثال هذه الأسئلة إن كنتم مصدقين بكمال قدرته تعالى ﴿فَقَالُوا رَبُّهُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَكَلِّمَ قُلُوبَنَا﴾ أي قال الحواريون نريد يسألك المائدة أن تأكل منها نبركاً ونسكن نفوسنا بزيادة اليقين ﴿وَتَقُلُّمَ أَنْ تَقَالَ سَبِّحْنَا﴾ أي وتعلم علماً يقيناً لا يحوم حوله شائبة من الشك بعد ذلك في دعوى النبوة ﴿وَتَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ﴾ أي تشهد بها عند من لم يحضرها من الناس ﴿فَقَالَ يَبْنِي لَكُمْ سِتْرًا أَفْهَمُ رَبَّنَا أَوْ لَوْ

(١) افترطي ٣٦٤/١.

(٢) قال الزمخشري: فإن قلت: كيف قالوا: هل يستطيع ربك، بعد إيمانهم وإخلاصهم؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص وإنما حكى أفعالهم لهما فدفعوا لهم كانت باطلة وأنهم شاكرون وهذا كلام لا يرد مثله من مؤمنين مطمئنين لربهم! التكملة ٥٢٠/١.

(٣) البحر ٥٢/٤.

﴿ثُمَّ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ نَجْوَىٰ إِلَهِهِمْ﴾ أي فلما قبضت في رايك بالرفع إلى السماء كنت يا الله تحيط لأعمالهم. والى هذه على أعمالهم ﴿وَأَنذَرْنَا كُلَّ فَتْرَةٍ شَيْئًا﴾ أي وأنت على كل فترة شئ. لا بدعي عليك شي. ﴿إِن سَأَلْتَهُم لَّنَنَّا رَبَّنَا أَلَمْ نَكُنْ بِآيَاتِكَ مِنزِيلًا﴾ أي إن سألهم: أليس ربنا الذي أنزل علينا آياتك؟ فليس كذلك. لا بدعي عليك شي. ﴿وَأَنذَرْنَا لَهُمْ لَئِنَّ آيَاتُنَا لَكُنَّ مُجِيبَةً﴾ أي وإن نذرنا نحن ما بين أيديهم من آياتنا فليس كذلك. أنت الغالب على أمره. الحكمة في صمعه ﴿فَإِنَّ لَّهُ فِتْنَةً يُفْتِنُ الَّذِينَ آمَنُوا بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ أي يوم القيامة يفتن الصادقين في الدين صدقهم: لأنه يوم الحزاء ﴿فَتَمَنَّوْا أَن تَكُونَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي لهم جنات تجري من تحتها الأنهار وأشجارها الأدهار عاكفين فيها لا يخرجون منها أبدًا ﴿رَبُّهُمْ اللَّهُ وَبِأَنبِيَائِهِمْ نَزَّلْنَا الْكُتُبَ الْمُنِيرَةَ﴾ أي نزلوا رسول الله ليعلمهم ورسول من الله فيما أتاهم وحازاهم ذلك هو العلم والغيور الكبير جنات العجب ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَجَّاهُ﴾ والآخرى وما جهزنا وما غفرنا كل نوزلنا ﴿إِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ﴾ أي إذا رآهم وهو الغادر على كل شي.

تفسيره: روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال الله عز وجل في إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلٌكَ فِيهَا نَبِيًّا﴾ أي أني سأجعل في مكة نبيًا وأنت غافل عن ذلك. فغضب إبراهيم. وقال عبد الله بن مسعود: ﴿إِن نَزَّلْنَاهُ فَنَجَّاهُ﴾ أي نزلنا نبيًا في مكة فنجَّاه. وقال: ﴿إِن سَأَلْتَهُمْ لَّنَنَّا رَبَّنَا أَلَمْ نَكُنْ بِآيَاتِكَ مِنزِيلًا﴾ أي إذا سألهم: أليس ربنا الذي أنزل علينا آياتك؟ فليس كذلك. أنت الغالب على أمره. الحكمة في صمعه ﴿فَإِنَّ لَّهُ فِتْنَةً يُفْتِنُ الَّذِينَ آمَنُوا بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ أي يوم القيامة يفتن الصادقين في الدين صدقهم: لأنه يوم الحزاء ﴿فَتَمَنَّوْا أَن تَكُونَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي لهم جنات تجري من تحتها الأنهار وأشجارها الأدهار عاكفين فيها لا يخرجون منها أبدًا ﴿رَبُّهُمْ اللَّهُ وَبِأَنبِيَائِهِمْ نَزَّلْنَا الْكُتُبَ الْمُنِيرَةَ﴾ أي نزلوا رسول الله ليعلمهم ورسول من الله فيما أتاهم وحازاهم ذلك هو العلم والغيور الكبير جنات العجب ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَجَّاهُ﴾ والآخرى وما جهزنا وما غفرنا كل نوزلنا ﴿إِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ﴾ أي إذا رآهم وهو الغادر على كل شي.

ثم بعونه تعالى نفس سورة المائدة

والأرض بما فيها من أنواع النبات وأصناف الحيوانات، وبما تشتمل عليه من عجائب الصنعة وديع الحكمة، بما يدهش العقول ولا تكون صورة زكريا لأولي الأبصار (فرض القليل والتوهم أي إنشاء نظمته والأموار وحسن الليل والنهار بتعاقبها في التوراة لفائدة العلم بها لا بدخل أحد، حصراً أو فكراً، وجميع التفانيات لأن تمتع الخلق متعددة، وبما لا يمكن إدراكه، روحاً، ولزوم التنوير لأن مصدره واحد هو الرحمن مسرور لا يكون، قال في التسهيل، وفي الآية رذعوس المنجوس في عبادتهم للثوار وغيره من الأوثان، وقولهم إن الخير من الثور والشر من الظلمة، فإن المخلوق لا يتبرأ منها ولا فاعلاً للشر من أنفسه^(١)

[illegible]

﴿فَعَلَّمَهُمُ الْاَرْضَ مَا لَهَا مَكْنٌ كَرِيمٌ﴾ أي منحاهم من أسباب السعة والعيش والتمكين في الأرض ما لم تعطكم يا أهل مكة ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْكُتُبَ بَيِّنَاتٍ﴾ أي أنزلنا المطر غزيراً مثلاً بما قدر عليهم أولاً ﴿وَوَحَّيْنَا إِلَى الْمُكَلَّمِ تَجْوِيداً مِنْ غَيْرِهِمُ﴾ أي من تحت أشجاره ومنافذه من حشر عاشق في المصعب والريف بين الأنهار والشار ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّقِيكُمْ بِيُوفِيِّهِ﴾ أي فكلوا وأصعوا فأهلكناهم بسبب ذنوبهم وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم في الأرض ﴿وَأَنذَرْنَا بِهِ عِصْيَانَهُمْ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي أهدننا من بعد إهلاك المكذبين قوماً آخرين غيرهم قتل أبو حيان وفيه تعرض للمخاطبين بإهلاكهم إذا عصوا كما أهلك من قبلهم ﴿وَأَنذَرْنَا بِهِ عِصْيَانَهُمْ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي لو أنزلنا عليك يا محمد كتاباً مكتوباً على ورق كما افترحوا ﴿فَتَسْمُرُ بِالْجُودِ﴾ أي فعابوا ذلك وسوءه منادى ليرفع عنهم كل شكاك ويحول كل أوتابهم ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ نُفُورٌ مِنْهُمْ﴾ أي فغاد الكافرون عند رؤية تلك الآية الباهرة تعثروا عند ما هذا إلا سحر واضمح والفرح لهم لا يؤمنون ولم جانتهم أوضح الآيات وأظهر الدلائل ﴿وَأَنذَرْنَا بِهِ عِصْيَانَهُمْ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي لا أنزل على محمد ملكاً يشهد ببشواته وسلطه ﴿تَوَلَّى﴾ بمعنى هلا لتعريضه قال أبو السمرة : أي هلا أنزل عليه ملك بحيث نراه ويكلمنا أنه نبي وهذا من أباطيلهم المحققة وغيراتهم الملققة التي يفعلون بها كما ضافت عليهم التحيل وعبت بهم العمل ^(١) ﴿وَأَنذَرْنَا بِهِ عِصْيَانَهُمْ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي لو أنزلنا عليك كما افترحوا وعابوه ثم كفروا الحق إهلاكهم ^(٢) كما جرت عادة الله بأن من طلب فيه ثم لم يؤمن أهلك الله حالاً ﴿فَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ فِي سُلُوكِهِمْ لَأَنَّهُمْ يُؤْفَكُونَ﴾ والآية كانت دليل لعدم إجابة قلوبهم فإنهم - في ذلك الاتراح - كانوا يحثون عن حثفه بطلعه ﴿وَتَرَى جَهَنَّمَ تَخَاطَبَ السُّجُنَ﴾ أي لو جعلت الرسول ملكاً لكان في صورة رجل لأنهم لا طاعة لهم على رؤية الملك في صورته ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَعُدُّونَ﴾ أي لخلقنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم فإنهم لو رأوا الملك في صورة إنسان قالوا : هذا إنسان وليس بملك قال ابن عباس : لو أنهم ملك ما أمامهم إلا في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون المطر بالي . أملاكة من التور ^(٣) ثم قال تعالى : تسلياً للنبي ﷺ ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَرْتَابُونَ﴾ أي والله لقد استهزأ الكافرون من كل لأهم بأنبيائهم الذين بعثوا إليهم ﴿فَتَكْفُرُ بِالرُّسُلِ﴾ سجدوا بهتة كما صفتوا به ﴿فَتَسْتَبِشُّونَ﴾ أي أحاط أنزل بهؤلاء المستهزئين بالرسول عافية استهزائهم : وفي هذا الإخبار تهديد للكفار ﴿قُلْ يَبْرَأُ مِنَ الْآثِمِينَ كَثِيرٌ مِنْكُمْ كَسِبُوا ذُنُوبَهُمْ كَذِبُكُمْ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين الساخرين : سافروا في الأرض فماظفروا وتاملوا ماذا حل بالكفار فليكم

(١) أبو السمرة ٨٣/٢ .

(٢) بحر المحيط ٧٧/٤ .

(٣) وقال : يعني : لو أنزلنا ملكاً من هؤلاء لا يطقون ذنوبه وهو مفترق عن ابن عباس كذا في القرطبي

٧٧/٤ .

(٤) ابن كثير ٥٦٩/١ المختصر

من الدنيا والآية العذاب لتعتبروا يا أيها من خلا من الأمم كيف أخذكم الله وأصبحوا حيرة
 للمعتبرين ﴿قُلْ يَسِّرْ لِي دِينِي وَآثَارِي﴾ أي قل يا محمد لمن استكثرت حقيقاً حقيقاً وفلحناً
 وتصرفاً والسؤال لإقامة الحجة على استكثارهم من الآيات ﴿قُلْ بَدَّ﴾ أي قل لهم نفوساً
 وتبيناً من الله لأن الكفار يواظبون على ذلك بالضمير وروى أنه خلق الفلك إما بغيرهم أو بغير
 الحجة عليهم ﴿كُنْكُمْ﴾ أي كنتم على قلبه بالضمير وروى أنه خلق الفلك إما بغيرهم أو بغير
 المتطوع في دعائهم إلى الإيمان وإنايتهم إلى الرحمن ﴿لَيْسَ لَكُمْ﴾ أي ليس لكم في الدنيا وهم لا
 أي احسنكم من في يوم القيامة الذي لا شك فيه ليحسنكم بأعمالكم ﴿الَّذِينَ﴾
 خَيْرٌ أَنْفُسُهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي أحسنهم ما يكفرهم وأعمالهم فسيف في الدنيا وهم لا
 يؤمنون ولهذا لا يقام لهم وزن في الآخرة وليس لهم نصيب فيها سوى المحيم والعذاب الأليم
 ﴿وَلَمْ يُمْسِكُوا فِي الْجَنَّةِ وَالْجَهَنَّمَ﴾ أي لم يمسكوا في الجنة والجهنم جميع عباده
 وحلقه ونحت جهنم وتصرفها والمراد عموم ملكه تعالى لكل شيء ﴿وَمَنْ أَسْلَمَ﴾ أي
 أسلم لأمر الله العباد العليم بأحوالهم ﴿قُلْ أَتَى الْقَوْمُ أَتَى الْقَوْمُ﴾ أي استغفهم للمسيح أي قد يا محمد
 لهؤلاء المشركين أقصر الله أخذ مدية قومه ﴿قُلْ أَتَى الْقَوْمُ أَتَى الْقَوْمُ﴾ أي خذلهم ومدعهم على
 غير مثال سابق ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ﴾ أي من كلف وحلا لروى ولا يروق قال ابن كثير أي هو
 المرافق لمخلفه من غير ما يوجب الإيهام ﴿قُلْ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَنْفُسُ﴾ أي قل لهم يا
 محمد إن ربي أمرني أن تكون أول من أسلم الله من هذه الأمة ﴿وَلَا تُكْفِرُ بِنَافِلَتِكُمْ﴾ أي
 وقيل لي: لا تكون من أشركين، قال طاهر حشوي ومعناه: أمرت بالإسلام ونهيت عن
 الشرك ﴿قُلْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ﴾ أي عند يوم القيامة ﴿قُلْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ﴾ أي من
 عند ربي عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة ﴿قُلْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ﴾ أي من
 يهرف عنه أعلامه فقد رحمه الله ﴿وَلَا تُكْفِرُ بِنَافِلَتِكُمْ﴾ أي عند يوم القيامة ﴿قُلْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ﴾
 فلا يخاف لكم إلا هو ﴿قُلْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ﴾ أي إن تنزل بك يا محمد شأن من أمر أو مرض فلا رافع ولا سارعه
 إلا هو ولا يملك كشفه سواه ﴿قُلْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ﴾ أي إن تنزل بك يا محمد شأن من أمر أو مرض فلا رافع ولا سارعه
 صحة وبهجة فلا راد له؛ لأنه وحده القادر على إيصال الخير والنصر دل في التسهيل والآية
 برهان على الواحدية لا أفراد الله تعالى بالنصر والخير، وكذلك ما روي هذا من الأوصاف براحة
 ورد على المشركين ﴿قُلْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ﴾ أي من كلف وحلا لروى ولا يروق قال ابن كثير أي هو الذي
 خففت له أرقاباً وذلك له الجارية وحسن له لوجهه وفهر كل شيء وهو المحكي في جميع

(١) قال أبو السعود: هذا حرف فسم محذوف وجملة متطرفة صرفي لم يرد على إثر الكيم واغناهم الأثر أي:

والله ليجمعكم في القيوم

(٢) انكشاف ٢/٢٧

(٣) مختصر ابن كثير ١/٥٧١

(٤) التبيين ٢/٢٧

أهل آفة توب ولم تكن مشركين ، فيحتم على الفواحش وتسلق آياتهم وتشهد أن حليم بها كانوا يكسبون^(١) ﴿لَنْ تَكُونَ كَلِمَةً عَلَى شَيْءٍ﴾ أي انظر يا محمد كيف كذبوا عني أنفسهم بنفي الإشرار عنها أمام عظام العيوب ، وهذا المنعجب من كذبهم الصريح ﴿يَسْأَلُ عَنْ مَا كُنَّا بِقَوْلِهِ﴾ أي بلاشيء وظل ما كانوا يظنون من شعاعة آلهتهم وعذب عنهم ما كانوا يفترونه على الله من الله كما ، ثم وصف تعالى حال المشركين حين استماع القرآن فقال ﴿يَنْتَهِزُونَ إِلَيْكَ﴾ أي ومن هؤلاء المشركين من يصغي إليك يا محمد = ي : لا تلو الأمر أن ﴿يَضَعُ عَلَى أُذُنِهِ الْإِصْبَغَ﴾ أي جعلنا على قلوبهم أغطية تلاً يفهموا القرآن ﴿يَوْمَ نَأْتِيهِمْ دُرُؤًا﴾ أي ثقلًا وحملاً يسحق من السمع ، قال ابن حزمي ، والمعنى أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه وغير بالأكف والأوتار مباحة^(٢) ﴿يَوْمَ نَبْزُوا كُلَّ نَفْسٍ إِلَى مَا كَانَ عَلَى الْبُذُنِ﴾ أي مهمل أو من الآيات والحجج البينات لا يؤمنوا بها لغرط العدد ﴿فَتَكْفُرُ إِذْ تَخْلَعُ خِزْيًا تَلَوْتُمُوهَا كُفْرًا فِي قُلُوبِكُمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ أي انفوا عن التكذيب والمكابرة إلى أنهم إذا جاءوك مجادلين يقولون عن الله ما عد ، لا عرفات وأباضيل الأولي ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِمَّا وَنُذِرَتْ عَنْهُمْ﴾ أي هؤلاء المشركون المتكذبون ينهون لسانهم عن القرآن وعن اتباع محمد عليه السلام ويصدقون به عنه ﴿يَوْمَ يَنْفُخُونَ لَأَ أُنْفُثُهَا﴾ أي يوم يهلكون بهذا الصنيع إلا أنفسهم وما يشعرون بذلك ، قال ابن كثير فهم قد حمىوا بين العللين الغيبين لا يسمعون ولا يذوقون أحدًا ينفع ولا يعود وبأنه إلا عليهم وما يشعرون^(٣) ﴿وَكَمْ تَرَكُوا فِئَافًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي لو نرى يا محمد هؤلاء المشركين إذ عرضوا على الله لرأيت أمرًا عظيمًا تشيب لهوه المردوس ، قال الفيضاني : وجواب ﴿تَرَكُوا﴾ محذوف تقديره تركت أمرك شيئاً^(٤) ونعنا حذف ليكون أبلغ ما بقدره السامع ﴿فَلَا تَزِدْهُمْ مِلًّا وَلَا تَكُنْ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي تسبوا الرجوع إلى الدنيا ليعملوا عملًا صالحًا ولا يكذبوا آيات الله ﴿تَرْكِبُونَ﴾ أي إذا رجعنا إلى الدنيا مطلق ونؤمن بالله إيمانًا حقيقيًا فدسوا العروة ليصلحوا العمل ويتركونه ، قال تعالى ولما أتاك النسي ﴿قُلْ مَا أَكُنَّا بِقَوْلِهِ كَاذِبِينَ﴾ أي طهر لهم يوم القضاة ما كانوا يظنون من الدنيا من عيوبهم وقبائحهم فدمسوا ذلك ﴿إِنَّا نَزَّلْنَا آيَاتِنَا فِي قُرْآنٍ مَجِيدٍ لِّتُبَيِّنَ لِيَوْمَ يُرْجَعُونَ﴾ أي لو ردوا - على سبيل الغرض - لأنه لا رحمة إلى الدنيا بعد الموت - لعادوا إلى التكبر والفساد وأنه الكاذبون في وعدهم بالجنة ﴿يَوْمَ لَا يَخْلُفُ أَعْدَاءُكُمْ﴾ أي قال أولئك الصغبر ما هي إلا هذه الحياة الدنيا ولا بعد ولا تدوم ﴿وَكَمْ تَرَكُوا فِئَافًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي لو نرى حالهم إذ غلبوا الحساد - أعم رب الأرباب كما يوقف عند العبد العاني بين مدى سدة الخائب ، وجواب ﴿تَرَكُوا﴾ محذوف للتعميل من فضاة التوبيخ ﴿قُلْ أَتَيْتُكُمْ بِقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ أي أنيس هذا السداد حق والبهمة المنفرجة على التكذيب ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ فِي عَذَابٍ﴾ أي قالوا على والله إنه لحق ﴿قُلْ نَذَرْنَا

(١) تنوير ١٢٩

(٢) القرطبي ١٠١٧

(٣) سيبويهي ص ١٢٩

(٤) ابن كثير ٥٣٨

الَّذِينَ هُمْ يَكْفُرُونَ» أي ذوقوا لعذاب بسبب كفركم في الدنيا وتكذيبكم رسول الله ثم أحير تعالى عن هؤلاء الكفار فقال: «فَلَمْ يَخَيْرَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِذَلِكَ تَقَىٰ» أي لقد خسر هؤلاء المتكذبون بالبعث «وَعَنْ يَدِ اللَّهِ تَكُونُ الْفِتْنَةُ» أي حتى إذا جاءتهم القيامة فجأة من غير أن يحرروا، ونهاها قال ابن طبري: سميت الفتنمة والساعة لسرعة الحساب فيها^{١١١} «فَالَّذِينَ يُخَسِّرُ اللَّهُ تَقَىٰ» أي ما أوفوا بآدماء على ما أفصروا وصعدوا في الدنيا من صالح الأعمال «وَلَمْ يَخْلُفُوا أُولَٰئِكَ عَنْ مَأْهُمْ» أي ولم يخلفوا عنهم بحملون أفعال ذنوبهم على ظهورهم، قال البيضاوي: وهذا تمثيل لاستعفاءهم أصلاً الآدم^{١١٢}. وقال «وَلَمْ يَكْفُرْهُمْ» لأن العادة حمل الأثقال على الظهور: قال ابن جزي: وهذا كناية عن تحمل الذنوب، وقيل: إنهم يحملونها على ظهورهم حينئذ فقد روي أن الكفار يركبوا عملهم بعد أن يتمثل له في قبح صورة، وأن العزم يركب عمله بعد أن يتمثل له في أحسن صورة^{١١٣} «الْأَكْثَرُ مَا يُرِيدُونَ» أي ينس ما يحملونه من الأوزار «وَمَا يُعْمِدُ اللَّهُ إِلَّا لِبَتِّ ذُنُوبِهِمْ» أي ماثل وغرور لقصر مدتها وفناء ثمنها «وَالَّذِينَ أَكْبَرُوا خَيْرٌ لَّذُنُوبِهِمْ» أي الآخرة وما فيها من أنواع النعيم خير لعباد الله المتقين من دار الفناء: لأنها دائمة لا يزول عنهم نعيمها ولا يذهب عنهم سرورهم «أَفَلَا تَتَّقُونَ» أي أفلا تعلمون أن الآخرة خير من الدنيا ثم سأل تعالى نبيه لتكذيب قومه له فقال: «فَلَمْ تَلَمْ يَأْتِ الْبُرْهَانَ الَّذِي يَقُولُونَ» أي قد أحضنا علماً بتكذيبهم لك وحزبك وناسبت عليهم، قال الحسبي: كانوا يقولون: به ساحر وشاعر وكاهن ومجنون «فَاتَّبَعَهُمْ يَكْفُرُونَ» أي فإنيهم في دغيلة غيوسهم لا يكذبوك بل يعفون صدقك ولكهم يجعلون عن عتد فلا تحزن لتكذيبهم، قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يسمى الأمين لعرفوه أنه لا يكذب في شيء، ولكنهم كانوا يحسدون فكان أبو جهل يقول: ما تكذب يا محمد ولك عندنا لمصدق وإساءة كذب ما جتاه^{١١٤} «وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلُكُمْ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا» أي صبروا على ما نالهم من قومهم من التكذيب والاستهزاء «وَأَرْسَلْنَا عَنْهُمْ غُلَامًا مَرْسُومًا» أي وأرسلنا الله حتى نصرهم الله، وفي الآية إرشاد إلى الصبر، ووعد له بالتصبر «وَلَا تُبْذَلْ لَكُمُ الْكَيْدَاتُ» قال ابن عباس: أي لصبر عبد الله، وفي هذه توبة لرسوله «وَلَقَدْ سَدَدْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ الْفُرُجَاتِ» أي ولقد سدنا بعض أخبار المرسلين الذين كانوا أولوا كيد، أنبيائهم ونصرناهم على قومهم فتمثل ولا تحزن فإن الله ماسرك كما نصرهم «وَلَوْ كُنَّا كُنَّا عَنْكَ بِإِقْرَارِهِمْ» أي إن كان باعهم عن الإسلام قد عظم دس عنك يا محمد «وَلَوْ أَسْكَنْتُ أَنْ تَتَلَفَّيَ فِي دَارِكُنْ» أي إن قدر أن تطلب سرباً ومكاناً في جوف الأرض «وَأَوْسَلُ بِي فَتَنَّا» أي معصنا تصعدنا إلى السماء فتأنيهم بأية مما أشرجه فاعمل «وَلَوْ كُنَّا كُنَّا لَنَصْنَعَهُمْ عَلَىٰ آلِهَةٍ مِمَّا دُكُّوا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ» أي لو أراد الله أهلهم إلى الإيدين فلا تكونين يا محمد

١١١- البيضاوي ص ١٦٩

١- غرضي ٢٤/٢

١١٢- البحر المحيط ١/٢٤٤

١٣- التيسير ٢/٧

من الذين يجهلون حكم الله ومشيئته الربية.

حلیۃ:

- ١ - ﴿كُنَّا بِرَبِّكَ أَتَقَمُّ﴾ فيه تشبيه يسمى (المرساة المعجزة).
٢ - ﴿وَالَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فيه إيجاز بالحذف أي: تزعمونهم شركاء.
٣ - ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الصيغة للمصيب من كذبهم الذي ي.
٤ - ﴿وَرَبِّهِ أَتَىٰ﴾ عسر الالفة في القلوب والتوقف في الأذن وهو تمثيل بطريق الاستعارة لإعراضهم عن القرآن.
٥ - ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ كُفْرَكُمْ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير لتسجيل الكفر عليهم.
٦ - ﴿تَبَيَّنَ﴾ و ﴿وَيَتَوَكَّلْ﴾ بينهما من الاستحسان البديعية للندس الناقص.
٧ - ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ وردت الصيغة مؤكدة بمؤكدتين وإن، واللام للتنبيه على أن الكتاب طيبهم.
٨ - ﴿وَمَا كُنَّا بِأَعْيُنِنَا إِيَّاهُ﴾ تشبيه صحيح حيث جعلت الدنيا نفس اللعب واللعبة سائفة كقول الخديعة: إيمانها في إفساد وإبهار.
٩ - ﴿أَنزَلْنَا سُبْحَانَكَ﴾ الاستفهام للتوبيخ.
١٠ - ﴿كَيْدَهُمْ﴾ مؤنن وسيل التضخيم والتكثير.
تفصيلاً: قال الإمام النخعي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّفْنَا إِذْ دُفِعُوا إِلَى الْأَنْفَارِ﴾ يقتضي له جواباً وقد حذف تفصيلاً للامور ومثلاً لنشأن، وأشبهه بحجر في القرآن والشعر. وحذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في السمع من إظهاره ألا ترى أنك لم قلت لعلمك: والله لنس فعت إنيك -وسكت عن الجواب- ذهب فكره إلى أنواع المكروه من الضرب، والقتل، والكسر، وحطم خوفه؛ لأنه لم ينز أي الأقسام تبني، ولو قلت: والله لنس فعت إنيك لأشربنيك فأنبت بالجواب لعدم أنك لنس فعت تبني غير الضرب، فنتن أن حذف الجواب أقوى تأكيداً من حصول الخوف.



قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالصَّالِحِينَ مِنْكُمْ وَالْقَوْلُ بَيْنَهُمْ﴾ ... إلى ... ﴿وَمَا لَهُمْ أَعْلَامُ بِالْغَيْبِ﴾ من آية (٣٦) إلى نهاية آية (٥٨)

المُخَلَّصِينَ كما ذكر الله تعالى: «مُخَرِّجِينَ عَنِ الْقُبُورِ» وعن القرآن: «وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْعِيسَىٰ أَنْ يَأْتِيَ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ» (سورة المائدة: 117). وذكر في هذه الآيات السبب في ذلك وهو أن القرآن أورد وصفًا ليدل على ما هو الموت، واما الكافرون فهم مسترلثة الموت الذي لا يسعون ولا يستحيون، ثم ذكر افتراح المشركين بعض الآيات وشبههم بالصم البكم، فبين لا يعقلون.

اللغة: ﴿مَرْغُومٌ﴾: تنزع من الضراعة وهي الدلة يقال: سرع فهو صارح ﴿أَنْتَ كَابٍ﴾: من ليدس وهو انفرق ﴿الْمَرْغُومُ﴾: من نصر وهو البلاء قال الفرطبي: المبالاة في الأموال، والنصر: من لا، إن: هنا قول الأكثر ^(١) ﴿يَلِيكُورُ﴾: ليليس: اليأس من تخير من أبلس الويل إذا شئ منه فليس، لأنه أبلس من واحة الله عز وجل ^(٢) ﴿نَزَرَ﴾: انذار الأحرار وادب القوم: حلفهم من نسلهم قال قطب: يعني استنزلوا وأهلكوا قال الشاعر:

وأهلكوا بمذاب حصن دهرهم فما استطعوا له صرفاً ولا اتصروا ^(٣)
﴿يَعْبُدُونَ﴾: صدف من انطىء أعرض عنه ﴿تَلَوُوا﴾: اخروا: الإجماع مع الإهانة ﴿الْقَتِيلِينَ﴾: الحاكيز.

سبب النزول: عن ابن مسعود قال: مر العلاء من قريش على رسول الله نوحاً وعنده أصهيب، وعياض، وبلاء، وجماعة وغيرهم من ضعماء المسلمين فقلوا يا محمد: أرفيت هؤلاء من قومك! أفتحن يكون ثبأ لهم! أحولاء الذين من الله عنهم! اخروهم منك جعلك في طرقتهم! فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ يُدْعُونَكَ بِالْمَدَنَةِ وَالْقَبْرِ يُدْعُونَ وَبِهِمَا﴾ الآية ^(١)
﴿إِنَّمَا يَنْتَهِبُ الْقُرْآنُ بِسْمِ اللَّهِ وَالنَّوَى يَنْتَهِبُ اللَّهُ ثُمَّ يَتَوَكَّلُ﴾: وقالوا: لا تقرأ القرآن في كبرك! قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَرْكُوبُ مَاءً وَتَكُونُ لَكُمُ الْغَنَمُ لَا يَسْقُونَ﴾: تارة من التوفي الأذن ولا تظلم بغير إجماعهم إلا أنتم تتألمون! ثم كان في الكتاب من مؤثر ثم إلى زعيم بشرتك ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سُلُّوا فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَدَيْ اللَّهِ مُخْلِطِينَ مَنْ تَبَا يَجْمَعُهُ عَلَى مَرْوٍ مُتَكَبِّرٍ﴾: كل من تكلم في أنتم ضحك الله لو أنكم أنكم الله تبارك وتعالى ككفر متدينين ﴿لَقَدْ يَدْعُونَ بِكَيْفِكَ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنْ شَأْنٍ وَأَسْتَوْدُ مَا تَدْعُونَ﴾: ولقد أرسنا إلى أمر من قبلهم فكذبهم بآياتنا وأمرناهم بشرتهم ﴿قَوْلًا إِذَا كَانَهُمْ تَأْتِي تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الْقَيَظُ﴾: ما كانوا مستؤمنين ﴿فَمَا شَاءَ مَا مَحْكُومُونَ﴾: فمما عجبهم أنزل على منبرهم ﴿يَا فُحْشًا يَا أَوْفًا لَقَدْهُمْ بَعْدُ وَإِنَّمَا قُلُوبُهُمْ تَلْعَلُ كَابٍ الْقَوْمِ الْيَوْمَ ظَنُّوا وَأَقْبَعَهُ رَبُّ الْقَبْرِ﴾: كل ما ينظر إلى الله الله مستمك والصورة وتسم على قلوبكم من يله غير الله بآياتكم في أنظر حلفت أفرقت الأوبت ثم هم يتدعون ﴿لَقَدْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى أَنْتُمْ عَذَابٍ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ جَهَنَّمَ قُلُوبَكُمْ إِلَّا أَقْرَبَ الْكَلْبُورِ﴾: ولا تتركوا القرآن ولا تنصرون فمما عجبهم أنزل على منبرهم ﴿وَلَقَدْ يَدْعُونَ كَذِبًا بِسْمِ اللَّهِ بِمَا كَانُوا يَتَفَرَّقُونَ﴾: على لا تتركوا القرآن فمما عجبهم أنزل على منبرهم ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ يُدْعُونَكَ بِالْمَدَنَةِ وَالْقَبْرِ يُدْعُونَ وَبِهِمَا﴾: لا تقرأ القرآن يدعونهم بالمدينة والقبر يردون وبهية ما عليك من جعليهم من مؤثر وإن

(١) خرط القرآن لاس قبة من ٢٢

(٢) الفرطبي ١/ ٢٦٦

(٣) البيت لأبي بن أبي الصلت كذا في الفرطبي ١/ ٢٦٧

(٤) سبب النزول من ١٦٤

بعضهما روي أنه يأخذ للحمام من القرب **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَاءَ مَا يَكُونُ لَكُمْ﴾** أي والذين كذبوا بالآيات صم لا يسمعون كلام الله سبحانه فيردون بكم، لا ينطقون بالحق خاطرون من غلطات المكفر قبل حين كثير، وهذا مثل أي مثل قري جهلهم وافتقار علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم وهو الذي لا يسمع، لكنه وهو الذي لا يتكلم، وهو مع هذا في طاعت لا يصبر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق أو يخرج معاهقه **﴿فَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُذِلَ لِمَنْ يُشَاءُ﴾** أي من يشأ الله يضلله ومن يشأ هدايته يرشده إلى الهدى ويرفع ندين الإسلام **﴿مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَهِمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَدْلًا فَمِنْ أَزْوَاجِ الْمَرْءِ﴾** استعارة ما ته جارت أي أحسن روي إن آدم كرم عذاب الله كما أنه من قبلكم أو أنكم انقباض بعته من تدوير **﴿أَعْبَادَ اللَّهِ تَتَّبِعُونَ﴾** أي أتدعون غير الله فكشف الضر عنكم؟ إن كنتم هانئين في أن الأوامر تنعكم **﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ فِرْعَوْنُ﴾** أي من تخصصه تعاليم يدهلكم في الشقاق فيكشف الضر الذي تدعونه إلى كشفه إن شاء الله **﴿وَيَكْفُرُوا مَا يَفْعَلُونَ﴾** أي تمكون الآية فلا تدعو ولا يعتقدكم أن الله تعالى هو الذي تدعون على كشفه الصدور وحده دون سواء **﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ تَبْرَأُونَ﴾** هذه نسبة لرسول الله يبع أي والله لنفد أرسن رسلاً إلى أمم كثيرين من قبلت وكذبهم **﴿كَذَّبْتُمْ بِالْآيَاتِ وَالْقُرْآنِ﴾** أي بالعقر والسنن والأسفار والأوصاف **﴿قَدْ كُنْتُمْ يَشْكُرُونَ﴾** أي أنتم شكرتموا إلى الله بالنداني ولأنه **﴿فَتَرَى الْمَاءَ نَزْلاً ثُمَّ تَجْعَلُهُ غُثًى﴾** أي نهلاً تغمر عوا حين حادهم العذاب، وهذا عذاب عن ترك الدعاء وإعجاب بهم أنهم لم يشعروا مع قيام ما يدعونه إلى التضرع **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا قَوْلَهُمْ﴾** أي من طهر منهم تنفس حيث تست قلوبهم فلم تكن للإيمان **﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ كَيْدَهُمْ أَتُكَلِّمُ مَا يَكْفُرُونَ﴾** أي زين لهم المحاسن والإصرار عن الفضل **﴿فَلَمَّا دُلُّوا أَصْحَابُ بَيْتٍ﴾** أي لما تركوا ما وعظما به **﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْقُرْآنُ فَكُفِّرُوا﴾** أي من العلم والخبرات استجابوا به **﴿عَلَىٰ ذَا قُرْبَىٰ أَوْتُوا﴾** أي وهو بذلك العيب وادعوا بطراً **﴿فَلَمَّا كُنْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ قَبْلُ﴾** أي أمداهم بعداً من جهة وإذا ما باتسون فاطنون من كل مبر **﴿فَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾** أي استوقلوا وعلكم عن آخرهم **﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾** أي عن نصر لمرس وإهلاك الكافرين، قال الحسن: حكم بالقرآن ورب الكعبة، أعطوا ما حقهم ثم أخذوا **﴿وَمِنَ الْمُحَدِّثِ﴾** الإذاعات لله يعطي العبد من الذي على معاصيه ما يعجب فتعاهو **﴿وَمِنَ الْمُزَاجِ﴾** أي فرأى **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا وَعُضُّوا بِؤسُوفٍ﴾** فنعنا عليهم كقوت كقوت قوت وقولاً بما أوتوا **﴿فَلَمَّا كُنْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾** أي قبل ما محمد الله لا المحاكين المحاكين من أعين مكة أبو روي نو أذهب الله سواكم فأصمكم وأعمكم **﴿وَوَسَّوْا عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾** أي طبع على قلوبكم حتى زال عهد العقل والفهم **﴿فَرَأَوْهُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾** أي من

أحد غير الله يتبدل على ذلك اليك إذا سلمه الله منكم؟ ﴿تَقُولُ لَا يَنْصَرِفُ أَيُّ شَيْءٍ مِّنْ دُونِ اللَّهِ يَنْصَرِفُ﴾ أي نظر كيف ينصير ويوصح الآيات الدالة على وحدانيته ثم هم بعد ذلك يعرضون عنها فلا يعتبرون ﴿لَا أَرَىٰ لَكُمْ بَعْدَ اللَّهِ مَوْجِدًا لَهُ مَقَرٌّ أَوْ مَنَازِلَةٌ﴾ أي في الآخرة لا يمكنين الخير ولا العاقبة عذاب الله العاجل عذابه أو غيرك بالليل أو بالنهار ﴿فَرَأَيْنَاهُ إِذْ نَفَخَ فِي السُّمُومِ الْمَقْتُولِينَ﴾ الاستفهام إنك ترى معني نفس أي ما بهتت بالعذاب لا ألتئم لأنكم كبرتم وعصيتم ﴿وَرَأَيْنَا الْمُرْسَلِينَ كَذِبِينَ وَأُولَئِينَ يَكْفُرُونَ﴾ أي ما رسل المرسل إلا لفتنة المؤمنين بالكفر والوثاق الكافرين بالعبادة ونسب إرسلهم ليثابروا بفكرهم في الآخرة من الآيات ﴿وَلَقَدْ كَذَّبُوا وَلَمْ يَقُولُوا خُوفٌ مِّنْهُمُ إِلَّا هُمْ يَخْشَوْنَ﴾ أي فمن آمن يوم وأصلح عمله فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يخشون ولا يهابون ولا يحزنون لأن الآخرة دار العزاء للنعيمين ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُسْأَلُونَ عَنْهَا كَذِبًا﴾ أي وأما المكلفون بآيات الله يسبهم عذاب الأنهم سب مسفهم وخروجه من طاعة الله قال ابن عباس: ينسفون أي يكفرون ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُعَذِّبُكَ عَذَابُهُ أَيُّ عَذَابٍ هُوَ إِلَّا يَعَذِّبُكَ﴾ أي قل يا معذبة هؤلاء الكفرة الذين يخشون عذابي والآيات وخوارق المعجزات نسك ادعي أن عزني الله مفرجة إلي حتى تفسدوا علي ثم بي الآيات ولا ادعي أيضا أني أعطي الغيب حتى تسألوني عن وقت نزول ما نسب ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُعَذِّبُكَ عَذَابُهُ أَيُّ عَذَابٍ هُوَ إِلَّا يَعَذِّبُكَ﴾ أي والسؤال ادعي أني من الملائكة حتى تكلفوني لصعود إلى سمعاه وعدم العشي في الأسوق وما الأكل والشرب، قال الصاوي وهذه الآية نزلات حين قالوا له إن كنت رسولا فاصب من ربك أن يوسع علينا ويغني همنا وأخيرا بعد الحنا ومصاينا وأحرار ذلك بعد ما سبحانه لا يبدى واسمعي من لا ادعي شيئا من معذلة لأشياء ثلاثة حين تجمعوا على إجابتي في ذلك وفيه على ما ورد في رسالتي ﴿إِنْ أَتَيْتَ بِدَلِيلٍ مُّطْمَئِنِّ بِإِنِّي أَنَا أَنبِئُكُمْ فِيمَا تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ وَلَا دُخِيَ لَكَ لَدُنِّي بِرُوحِهِ إِنِّي فَخَرْتُ بِمَا يَدْعُونَ إِلَيْكَ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي ها يسأرون الكفر والعصيان والفساد واجتهدوا ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فخرج ونوح أي أنتمون فلا تتعذرون؟ ﴿وَلَقَدْ يَدْعُونَ إِلَىٰ تَحْتِهَا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي عذوف ما محمد بها القرآن الله مدين المصدقين بعد الله ورسوله الذين يوفون عذاب العشر قال أبو حنيفة وقاله قبل: أنذر القراء من يروى إبعثه وأنا الخفرة المعصرون وعندهم ردهم ﴿لَقَدْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ سَمْعًا وَلَا يَظُنُّهُمْ إِلَهًا يَنْصَرِفُ بِهِ إِلَهُكُمْ﴾ أي المعزهم لكن يفتروا الكفر والسحاسي ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُعَذِّبُكُمْ عَذَابُهُ إِنَّمَا هُوَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي لا تطردوا هؤلاء المؤمنين المصدقين من معذلة ما وعدوا أن يوفونهم يوم ذواتي ما يروا ولا يصدقون بصدقهم من الله والذين من ربه قد الطيري: نزلت الآية لي سب جماعة من معذلة المسلمين، قالوا المشركون لم يول الله إلا أن لو طردت هؤلاء عنك

من شريعة تلك التي أوحيها إلي ﴿وَصَفَّيْنَاهُ بِيَدِهِ﴾ أي وكفينا بالحق الذي جاءني من عند الله ﴿مَا يَدْعُوا مَا تَسْتَعْبِدُونَ بِهِ﴾ أي ليس عندي ما يأمركم به من العذاب، قال الزمخشري: يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم ﴿تَسْتَعْبِدُونَ عَلَيْنَا جِسْمَكَ بِمَا آتَيْنَاكَ﴾ ^(١) ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ﴾ أي ما الحكم في أمر العذاب وغيره، إلا لله وحده ﴿يُنْزِلُ السَّمَاءَ وَهُوَ خَيْرُ الْكَافِرِينَ﴾ أي يخبر الخبير الحق وبينه البيان الثاني وهو غير الحاكمين بين عباده ﴿قُلْ لَوْ أَنِّي مِثْلُ مَا تَسْتَعْبِدُونَ بِهِ﴾ أي لو أنا بيدي أمر العذاب الذي تستعجلونه ﴿لَفَقِينَ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي لمجئته لكم لأستريح منكم ولكنه بيد الله، قال ابن عباس: ألم أمهلكم ساعة ولا أمهلكم ^(٢) ﴿وَأَنزَلْنَاكُمْ فِي غُلَابٍ﴾ أي هو تعالى أنزلهم بهم إن شاء عاجلهم وإن شاء أخر عقربتهم، وفيه وعيد ونهيد.

التبليغ

- ١- ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْفِتْنَةَ﴾ فيه استعارة، لأن المعنى عبارة عن الكفر لموت قلوبهم.
- ٢- ﴿يَبْتَغُونَ الْفِتْنَةَ﴾ تأكيد لدفع توهم المجاز؛ لأن الطائر قد يستعمل مجازاً للعمل كقوله: ﴿أَزَلَّتْ عَيْنُهُ فِي مَقْبَرَةٍ﴾
- ٣- ﴿سُوءَ رُفْقِهِمْ﴾ تشبيه بليغ أي كالمسم أنيكم في عدم السماع وعدم الكلام فعدفت منه الألفة ووجد الشبه.

- ٤- ﴿يَكْفُرُ بِالْعُرْوَةِ﴾ فيه نصير أي لا تدعون غيره لكشفه الضمير، فهو قصر صفة على موصوف.
- ٥- ﴿تَفْطِنُ نَارُ﴾ كتابة عن إهلاكهم بعذاب الاستئصال.
- ٦- ﴿الْأَشْقَى وَالْكَفِيرُ﴾ استعارة عن الكافر والمؤمن.
- ٧- ﴿مَا كَلِمَتِكَ مِنْ جُكَاوِمٍ مِنْ قَوْلٍ وَمَا مِنْ حَسْبِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْلٍ﴾ في ما بين الجاء والذين من أنواع البديع ما يسمى رد العسير على العجز.

فاثباتاً. قال الزمخشري في قوله تعالى ﴿تَفْطِنُ نَارُ تَقْوَرُ أَلْوَنًا وَلَقَدْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ هذا إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الطعمة وأنه من أجل النعم وأجزل النعم ^(٣).
 فاثباتاً. قال بعض المفسرين: إن الواجب في الدعاء الإخلاص به لأنه تعالى قال ﴿يُؤْتِيهِمُ رِزْقَهُمْ﴾ وهكذا جميع الطاعات لا يتبني أن تكون شيء من أغراض الدنيا.

□ □ □

قال الله تعالى: ﴿وَبَصُرْتُ مَقَاتِلَ الْقَبْرِ لَا يَشْفَعُ إِلَّا مَنْ أَمَرَ...﴾ إلى... ﴿عَلَيْكُمْ قَتِيلٌ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ لَأَكْبَرُكُمْ أَكْبَرُ﴾ من آية (٥٩) إلى نهاية آية (٧٣).

الغاشية له أقام تعالى الأدلة والبراهين على وجود روحانيته، أعقب بذكر الأدلة على صفاته القدسية: علمه، وقدرته، وعظمته، وجلاله، وسائر صفات الجلال والجمال، ثم

ذكر معجزة على الماء منجستهم من الشوائب، وقدرته على الانتقام من مخالفت أمره وعصى رسوله.

١٠- ﴿تَرْبِ﴾ الكرب - لا فم الذي يأخذ بالعسر ﴿يَبَا﴾ الشيعة: العرفاء تتبع الأخرى
 ١١- مع على سبع وأربع: أي قوة، الإيصال تسليم الإنسان بنفسه للهلاك ﴿قَدْ﴾ مذبة ﴿خَيْرِ﴾
 الحميم: الماء الحار. ﴿تَرْبِ﴾ الخفة: الشدة في الأمر لا يهني إني معجزة من ﴿الْقَبِ﴾ ما
 مات من الحواس. ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ ما كان من عند ظاهرها للبيان ﴿تُسْتَوُونَ﴾ مسمون.

﴿وَمِنْهُ مَعْلَكٌ كَتَبَ لَا تَسْكُنُوا إِلَّا مَرَّةً وَتَمُوتُوا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ نَسَقَهُ مِنْ رَأْفَتِي إِذَا بَقِيَتْهَا
 لَا حَيَاتٍ فِي عِلْسِي الْأَمْرِ وَلَا تَحِبُّ وَلَا يَأْسِي إِلَّا فِي كِتَابِي مِيرَ﴾ وهو الذي يؤمنكم بالبر، وممن من
 برزخه. ﴿يَكُونُ﴾ ثم تستخرجهم منه ليضربوا أجل ما في ذلك بارؤ مرجعكم ثم يأتكم بها كنتم تفتنون بها وهو
 القدر حوله بسببه ويؤمِّل ليحكم مملكة خلقه بما شاء أهدم الموت قوته وقتلهم لا يخرطون ﴿ثُمَّ﴾
 إلى الله مؤمنين ثم لا اله الا الله لكم ومم تسبح الميرين ﴿عَلَى مَنْ كَتَبْتُمْ مِنْ مَلَائِكَةِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَلَائِكَةُ خَيْرٍ
 وَصَالَةٍ أَمَّا الْفَتَى مِنْ مِيرَ تَكُونُ مِنْ أَتْلُوكُونَ﴾ هو الله يحكمكم بها وير على كثر لم الله تتركوا ﴿مَا مَرَّ
 الْقَلْبُ مَرَّ لَمْ يَسْتَقِمْ عَلَيْكُمْ عَدَاوَتِي وَتَوَكَّلُوا لِي بِرَحْمَةِ رَبِّكُمْ ثُمَّ لَيْسَ بَيْنَكُمْ بَيْنَ اللَّهِ شَيْءٌ كُنْ
 تُعْرِفُ الْآلَتِ لَهَا قُلُوبُكَ قُلُوبُكُمْ﴾ وذلك من قوله: ﴿وَقُلُوبُكُمْ عَلَى أَشْدَّ مِنْكُمْ وَكَلِمَةٍ﴾ بكل ثم تستقر
 وتكون مملكتهم ﴿لَا رَأْيَ الْبَرِّ تَعْرِفُونَ﴾ ان الله لا يفر عنهم على الجحيم في عيبه قتلهم ولا يترك الشيطان
 ولا الله بعد ان يصحروا مع القوم الظالمين ﴿وَأَمَّا عَلَى الْقَبِ يَتَوَكَّلُ مِنْ جَبَلِهِمْ ثُمَّ غَرَمَ وَجَعَكَ وَحَقَّ
 لَمَعْنُهُ يَتَوَكَّلُ﴾ وذلك القوم انكسروا بينهم كما زلوا وزلهم انجبتوا الدنيا وذهبت بهم في السيل
 ناس بها كسفت ليس لها من دواب الله ولا شوح زيد تناول حقل على لا يؤمن بها لو كانت البر
 أيسر بها كسفت الله عز وجل من حليم رعدك أيسر بها كذا يكذبون ﴿فَرَأَى الْقَوْمُ مِنْ دَابِئِ اللَّهِ مَا لَا
 تَعْلَمُ وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا عَلَى الْغُلَابِ ثُمَّ إِذْ خَلَّتْ أَلْفُ كَاتِبِي السَّجُودِ الضَّيِّقِينَ﴾ في القدر حوله ان الله المحسب
 بمؤمنه إلى الله المحسب الحقا فل ركة هذه الله هو الذي أوتينا يسلم برز القليلين ﴿وَلَا يَسْلَمُ الْقَوْمُ
 وَتَأْتِيَهُمْ وَهُوَ الْقَرَى﴾ فهو عشتريت ﴿وَمِنْ الْقَوْمِ خَلَّتْ أَسْبَابُ وَالْأَرْكَانِ بِالْحَقِّ يَوْمَ يَكُونُ حَقُّ
 يَحْكُمُونَ قَوْلَهُ كَقَوْلِ رَأْيِ الشَّيْءِ بِرَمِّهِمْ فِي أَطْلَافِ عَمَلِ الْقَبِ وَالْشُّكْمِ وَهُوَ التَّحْكِيمُ الْعَاقِبُ﴾

﴿وَمِنْهُ مَعْلَكٌ كَتَبَ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِحُكْمِي﴾ في عدد الله عز وجل الغيب وهو الأمور
 المعجزة الخفية لا يعلمها ولا يحيط بها الا هو ﴿يَسْتَعِزُّ مَا فِي الْقَرَى وَالْقَرَى﴾ أي ويعلم ما في البحر
 راسخ من الحيات ذات جباله ونفوسه في كل حواله ومعجزة، ومعها علمه وقدرته ﴿وَمَا فَتَقَدَّ
 مِنْ قُوَّةٍ إِلَّا بِأَمْرِي﴾ بالعظمة في حكمة علمه بالمرئيات أي لا تسقط ورقة من الشجر الا بعلم
 رقب سفلها والارض التي تسقط عليها ﴿وَلَا حَيَاةٌ كَذَلِكَ تَعْلَمُ﴾ أي ولا حدة صغيرة في
 باطن الارض الا بعلمه مكانها وهل نبت أو لا لكم نبت ومن ياكلها ﴿وَلَا حَيَاةٌ وَلَا يَأْسِي إِلَّا فِي
 كِتَابِي خَيْرِ﴾ أي ولا شيء فيه رهوبة أو جفاف الا وهو معلوم عند الله ومسجل في المدح

المحفوظ ^۱ قال أبو حيان ^۲ وانظر إلى حسن ترتيب هذه المعلومات : بدأ أولاً بأمر معمول لا ندره نحن بالشمس وهو ﴿مَتَابِعُ أَقْنَبٍ﴾ ثم ثانياً بأمر ندره كثيراً منه بالبحر وهو ﴿الزُّرَّ وَالْأَبْحَرُ﴾ ثم ثالثاً بحزبان لطيفين أحدهما علوي وهو سقوط ابورقة من علو والثاني سفلي وهو احتفاء حبة في بطن الأرض قال ذلك على أنه تعالى عالم بالكلبيات والجزئيات ^۳ ﴿وَمَرَّ الْمَوْتُ بِنَزَائِكُمْ وَأَكْبَلْ دَيْخَكُمْ وَأَجْرَحَكُمْ بِخَنَازِيرٍ﴾ أي يسمعكم بالليل ويعلم ما كنستم من العمل بالنهار قال الفرطني : وليس هذا مرئاً حقيقه بل هو عتس الأرواح ، ولأبي حنيس : بقبض أرواحكم في منامكم ^۴ ، وهو هذا اعتبار واستدلال على البحث لأعمري ﴿ثُمَّ يَنْتَهِسُكُمْ فِيهِ يَنْفَسُ أَبَدٌ شَسْرٌ﴾ أي ثم يوقظكم في النهار لينبئوا الأجل المسمى لانقطاع حياتكم ، والضمير حائد على النهار : لأن غالب البقعة فيه وغالب اليوم بالليل ﴿ثُمَّ إِنَّهُ سَمِعَ مِنْكُمْ﴾ أي ثم مر حرككم إليه يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي يخبركم بأعمالكم ويحيزكم عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، ثم ذكر تعالى جلال عظمته وكبريائه فقال ﴿وَمَرَّ الْقَابُورُ فَوْدٌ حَبِيدٌ﴾ أي هو الذي قهر كل شيء وحضغ لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء ﴿وَتَرَىٰ فِيهَا عِصْيَكُمْ حَكَكَةً﴾ أي ملائكة تحفظ أعمالكم ومعكم الكرام الكاتبون قال أبو السموذ ^۵ وفي ذلك حكمة حيلة ونعمة جليلة لأن المكلف إذا علم أن أعماله تحفظ عنه وتعرض على ربه من الأشهاد كان ذلك أحرره عن تعادلي المعاصي والقبائح ^۶ ﴿عَوْرَ بِلْدَانَةٍ أُنْشِئْتُمْ تُوقَفُكُمْ بِهَا﴾ أي حتى إذا انتهى أجل الإنسان شرفته الملائكة لموتوا بقبض الأرواح : والمعنى أن حفظ الملائكة للأشخاص ينتهي عند نهاية الأجل فهم مأمورون بحفظ من آدم حياً فإذا انتهى أجله فقد انتهى حفظهم له ﴿وَقَفُّهُ لَا يُمْكِنُونَ﴾ أي لا يقصرون في شيء مما أمر به من الحفظ والتوقي ^۷ ﴿ثُمَّ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ يَوْمِ مَوْتِهِمُ الْحَيَّ﴾ أي ثم يرد العباد بعد البحث

١- البحر المحيط ١/٤٤٦.

٢- كتب شهيد الإسلام (سيد قطب) في تفسير الطول حوله هذه الآية كلاماً رائعاً يحتذى به بعض هفوات ، قال عليه السلام : هو هذه الآية صوره لعلم الله ، شامل المحيط الذي لا يدعه شيء ، في الزمان ولا في المكان ، في الأرض ولا في السماء ، في البر ولا في البحر ، في حوب الأرض ولا في طبقات الجوى ، من غير وجه ، وبها في ورط ، وإباحتها البشرى ليطلق وراء النص القصير مراداً من المعلوم والجهول ، وراء حدود هذا الكون ، مشهور ، وإن الوجدان لترشي وهو يراد أسطر القلوب المختلفة في الماضي والحاضر والمستقبل ، العبد الآدمي والآخرى والأعول ، معانها كلها عند الله لا يعلمها إلا هو ، ويحول في مجاز الرد ، وفي حياتها البحر ، المكتسبة كلها احكم الله ، وراح الأرواح السائفة من أشجار الأرض لا يصرها حدة وعين الله على كل روافد تحيط بها وهناك ، ويحفظ تنج حبة غيرة في غلمات الأرض لا تنسب عن عين الله ، ويرقب كل رطب ، كن ناس في هذا الكون العريض لا يندم شيء من علم الله المحيط ، إنها جولة تدبر الرءوس وتدخل فيقول : حوله في أعوار من الشقوق والمجاو ، والمعلوم والمجهول ، وهي ترسم هكذا عتقة كاملة شائعة في بضع كلمات . . . ألقاها في عجايب في طلال الغرار ٢/ ٢٥٤ .

٣- الفرطني ٤/٤ .

٤- زاد المعير ٥٥/٢ .

٥- أبو السعود ٢/ ١٠٧ .

إلى الله خائفهم ومذنبهم الذي له الحكم والسرور والذي لا يفضى إلا بالعدل ﴿أَلَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ مَعَكُمْ
 نَسْرًا لِّلْقَيْظِ﴾ أي له جبل وعلا الحكم راحة يوم القيامة وله الفصل والفضاء لا يشغله حساب من
 حساب ولا شأن عن شأن، بحسب الخلائق كلهم في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا كما ورد به
 الحديث وروى أنه يعاصب الناس في مقدار حناب شاء ﴿قُلْ لَّيْسَ بِجَبِينِكُمْ مِّنْ مَّلَكِي قُلْ وَأَنْتُمْ فِي أَيْ
 قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهْؤَلَاءِ الْكُفْرَةِ مَن يَفْذِكُمْ وَيُخْلَصُكُمْ فِي أَسْأَارِكُمْ مَن شِئْتُمْ وَأَهْوَالِ الْبِرِّ وَالْبَحْرِ
 ﴿تَقُولُونَ نَحْنُ نَصْرُهُ وَنَحْنُ نَصْرُهُ﴾ أي تدعون ربكم عند معاينة هذه الأحوال محللين له الدعاء مطهرين له
 المصراغة نصرته بالمستكم وخفية في أنفسكم، قال ابن عباس المعنى: تدعون ربكم معالية
 وسوا قانتين ﴿أَلَيْسَ أَهْلًا مِّنْ قَدِيرٍ كَثِيرٍ مِّنْ كَثِيرٍ﴾ أي لست خلعتنا من هذه الطلعات والشدائد
 لتكون من المؤمنين الشكرين والفرحان زفا خفتهم انهمك دعوتهم فإذ شجاعتكم كفرتموه. قال
 القرطبي: ويخبر الله في دعائهم بآية عند الشدة وهم يدعون معه في حالة الرخاء غيره ^(١) ﴿قُلْ
 أَنَّهُ يَجْعَلُ لِّكُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي الله وحده ينجيكم من هذه الشدائد ومن كل كرب وعصم ^(٢) ﴿لَمْ يَكُنْ لَّكُمْ
 نَاصِرٌ كَثِيرٌ﴾ يخرج وتوضح أي ثم أنتم بعد معرفتكم بهذا كله ونحفظه تشركون به ولا تؤمنون ﴿قُلْ هُوَ
 أَقْدَرُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْكُمْ قَدْ أَتَىٰ قَوْلُكَ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء الكفرة إنه الذي قادروا على
 إهلاككم بأمران أصوات من السماء وما نالهم البراكين من الأحجار والحشم والخراب
 بالمسيرة والطوفان والاصحاح والريح كما فعل بمن قبلكم ﴿قُلْ مَن نَّصْرَتِكُمْ﴾ بالنص
 والزال والرجفة كما فعل بفارون وأصحاب منس ^(٣) ﴿قُلْ لِّكُلِّ عِزٍّ عِزٌّ وَبِئْسَ بِمَن يَجْعَلُ
 يَجْعَلُكُمْ مَرْفُوعًا مِّنْ مَّحْزُونٍ بِمِثَالٍ بِعَضْبِكُمْ بَعْضًا قَالِ الْبَيْضَارِيُّ أَيْ يَخْلُصُكُمْ فَرَقًا مَّحْزُونٍ
 أَعْوَادُ شَيْءٍ لِّمَنْ شَاءَ الْقَتْلَ بَيْنَكُمْ ^(٤) وقال ابن عباس: أي يبيت فيكم لأعداء المختلفة تصبرون
 فرقا ^(٥) والكل متفاوت وانخرص منه لوعيد ^(٦) ﴿أَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُونَ قَوْلًا مِّنْ
 كَيْفَ لِيْنٍ وَنَوْحٍ نَّهْمُ الْأَيَّامِ بوجوه العير والعظائم ليضموا ويتصروا عن الله بآياته وبرأيه
 وحججه، عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ أَقْدَرُ عَلَىٰ مَن تَشَاءُ فَتَنَكُّ عَنَّا بَيْنَ
 قَوْلِكَ﴾ قال رسول الله ﷺ: أوعز بوجهك ^(٧) ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَّكُم مِّنْ قَبْلِهِ عِزٌّ
 بَيْنًا وَبَيْنًا فَتَنَكُّ بَيْنَ شَيْءٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: هذه أفسد أو أيسر ^(٨) ﴿وَلَقَدْ جَاءَ قَوْمًا
 مِّنْكُمْ أَنذَارٌ﴾ أي وكذب بهذا القرآن فومئذ يا محمد حوهم قريش وهو الكتاب فتمنوا بالحق ﴿قُلْ
 أَنذَارُكُمْ بَكِيرٌ﴾ أي نمت عليكم بحفيظ ومتسلط إنما أنا منذر ^(٩) ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَفِرُوا فِي
 مَن أَنْصَارِ اللَّهِ عَمَّ وَجَل رَأْيُ بَقْعٍ مِّنْ غَيْرِ خَلْقٍ وَلَا تَأْخِيرٍ﴾ ^(١٠) ﴿وَمَنْ تَكُونُ مَبْلَعُهُ فِي الرَّعْدِ
 وَالْهَيْدِ فِي سَوَاءٍ تَمَاسُفٍ مَا يَجْلِي بَكْمَ مِ الْعَذَابِ ﴿قَوْلًا وَكَانَ الْكَلِمُ الْيَوْمَ لِيَدِ نَارِيَّةٍ﴾ أي إذا رأيت
 هؤلاء الكفار يخوضون في القرآن بالعلم والتكذيب والاستهزاء ^(١١) ﴿وَأَتْرَفْتُمُوهَا فَيَوْمَئِذٍ عَذَابٌ

(١) البيضاوي ص ١٧٢.

(٢) انوار المحذون

(٣) القرطبي ٨/٧.

(٤) زاد المعاد ٥٩/٢٢.

عَبَّادٌ ۚ أَي لَا تَحَالِسُهُمْ وَتَمِمْ عَنْهُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا بِهَا أَيْ يَلْغُوا فِيهَا وَيَدْعُوا إِلَى الْخُرُوجِ وَالْإِسْرَافِ بِإِذْنِ اللَّهِ
 قُلِ الْفَسَادُ كَانَ مَعَكُمْ كَوْنًا جَانِسًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلُوا فِي النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ فَسَادُ رِيَاسَتِهِمْ وَمَا
 بِهِ فَاعْتَرَاهُم أَلَلَهُ لَا يَفْعَلُوا مَعَهُ حَتَّى يَحْمِلُوا فِيهِ مَعِيَّتَ غَيْرِهِ ١٠ ﴿وَلَيْتُمْ أَصْنَانٌ ذَاتَ آلِهَةٍ ۚ أَي إِنْ
 أَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ النَّهْيَ عَنْ مَحَالِسَتِهِمْ فَحَالِسْتَهُمْ ثُمَّ تَذَكَّرْتَ ﴿فَلَا تَعْتَدْ تِلْكَ الْفِتْنَةَ تَعْتَبْ﴾ تَعْتَبُ
 الْفِتْنَةَ ۚ أَي لَا تَجْلِسْ بَعْدَ تَذَكُّرِ النَّهْيِ مَعَ الْكَافِرَةِ وَالْعَاصِيَةِ الَّذِينَ يَهْزُونَ بِالْقُرْآنِ وَالَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
 عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَدْ كُنْتُ الْفَتْنَةَ وَلَا تَتَّبِعْهُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ جَنَاحِهِمْ أَنْ
 يُقَاتِلُوا ۚ أَي لَيْسَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ شَيْءٌ مِنْ حِسَابِ الْكُفَّارِ عَمَّا اسْتَهْزَأُوا بِهِمْ وَأَصْلَابُهُمْ إِذَا تَجَبَّوهُمْ
 دَعِمَ بِجُلُوسِهِمْ مَعَهُمْ ۚ وَتَحَرَّكَ دَحْشَتَهُ لِقَائِهِمْ بِتَقَرُّكِ ۚ أَي وَلَكِنْ عَمِيهِمْ تَدُّ يَذْكُرُوهُ وَيَحْتَمِرُّهُمْ
 عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقِتَالِ بِمَا أَمَكُنَ مِنَ الْعِصَةِ وَالْإِذْكَارِ ١١ ﴿وَيُظَاهِرُوا لَهُمْ الْكَرَاهَةَ لِعَمَلِهِمْ يَجْتَبُونَ
 الْخُرُوفَ فِي الْقُرْآنِ حَيْثُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَوْحَاهُمْ فَدَرَكُوا مَحَالِسَتَهُمْ ۚ قَالَ إِنْ عَطِيَّةٌ بَنِيْعِي
 لِلْمُرْسَلِ أَنْ يَمْتَلِئَ حَكَمُ هَذِهِ آيَةٍ مَعَ الْمُطَّحِّدِينَ وَأَعْلَ الْجِدَلِ وَالْخَوْصِ قِيَّةٌ ١٢ ﴿وَلَيْتُمْ أَصْنَانٌ
 ذَاتَ آلِهَةٍ ۚ أَي تَدْرِكُ هَؤُلَاءِ لِمَجْرَةِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الدِّينَ الَّذِي كَانَ يَتَّبِعُهُ احْتِرَامًا
 وَتَحْلِيْمَةً نَبِيًّا وَلِهَذَا يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ۚ ﴿وَلَقَدْ نَهَرْتُمْ تَحِيَّوُا الَّذِي ۚ أَي خَدَعْتَهُمْ هَذِهِ الْحَيَاةُ النَّاصِيَةُ حَتَّى
 رُغِمُوا أَنْ لَا حَيَاةَ بَعْدَهَا أَبَدًا ۚ ﴿وَلَقَدْ نَهَرْتُمْ يَوْمَ أَنْ تَبْسُقَ تَقْدِيرُكُمْ ۚ أَي وَذَكَرَ بِمُتَقَدِّمَاتِ النَّاسِ
 مَخَافَةَ أَنْ تَسْلَمَ نَفْسُ أَحَدٍ وَأَنْ يَفْرَهُنَّ بِسُوءِ عَمَلِهِمَا ۚ ﴿قُلْ قَدْ بَرَأَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ وَأَلْوَابَ الشَّيْءِ ۚ أَي لَيْسَ
 لَهَا تَأْخِيرٌ يَنْجِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَلَا تَضَعُ يَضَعُهَا عَذَابُ اللَّهِ ۚ ﴿وَلَقَدْ نَهَرْتُمْ يَوْمَ أَنْ تَبْسُقَ تَقْدِيرُكُمْ ۚ أَي
 وَإِنْ تَغْلِبُ تِلْكَ النَّفْسُ كُلَّ فِدْيَةٍ لَا يَقْبَلُ مِنْهَا قَاتِلُهَا لِمُحَامَاتِ سُلَى الْأَرْضِ نَعْبَانِ بِقَلْبِ
 مِنْهَا ١٣ ﴿أَتُفَكِّكُمُ الْيَوْمَ أَنْ تَحْمِلُوا أَسْمَاءُ كُتُبًا ۚ أَي أَسْلَمُوا لِعَذَابِ اللَّهِ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمْ انْتِقَابًا
 وَمَقَامًا مِمَّنْ الشَّيْئَةِ ۚ ﴿لَقَدْ نَهَرْتُمْ يَوْمَ أَنْ تَبْسُقَ تَقْدِيرُكُمْ ۚ أَي لَقَدْ نَهَرْتُمْ يَوْمَ أَنْ تَبْسُقَ تَقْدِيرُكُمْ ۚ أَي لَقَدْ نَهَرْتُمْ
 شَرَابٍ مِنْ مَاءٍ مَحَلِّيٍّ يَنْجَرُجِرُ فِي بَطْنِهِمْ وَتَضَعُ بِهِ أَسْمَاءَهُمْ ۚ وَنَهَرْتُمْ يَوْمَ أَنْ تَبْسُقَ تَقْدِيرُكُمْ ۚ أَي لَقَدْ نَهَرْتُمْ
 أَسْمَاءَهُمْ مَعَهُمْ مَعَ أَشْرَانِ الْحَدِيثِ ۚ الْأَسْمَاءُ وَالْهَوَانِ الْحَقِيقِ ۚ ﴿قُلْ أَسْمَاءُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
 يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ ۚ فَالْأَسْمَاءُ الْإِسْكَارُ وَتَوَيْجِجُ أَي قُلْ لِمَنْ يَأْمُرُ بِالسُّجُودِ مَا لَا يَنْفَعُ إِنْ دَعَاكَ وَلَا
 يَضُرُّ إِنْ رُكِنَ ۚ وَأَمْرًا بِهِ الْأَصْنَافُ ۚ ﴿وَلَقَدْ نَهَرْتُمْ يَوْمَ أَنْ تَبْسُقَ تَقْدِيرُكُمْ ۚ أَي تَرْجِعْ إِلَى الْفَضْلَةِ بَعْدَ الْهَدْيِ ۚ ﴿لَقَدْ
 نَهَرْتُمْ يَوْمَ أَنْ تَبْسُقَ تَقْدِيرُكُمْ ۚ أَي بَعْدَ أَنْ هَدَاكَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ۚ ﴿لَقَدْ نَهَرْتُمْ يَوْمَ أَنْ تَبْسُقَ تَقْدِيرُكُمْ ۚ أَي يَكُونُ مَا لَنَا
 كُنْزٌ لَدَى اخْتِطَفَةِ الشَّيَاطِينِ وَأَفْسَادِهِ وَمَا رَدَّ بِهِ فِي الْأَمْوَازِ وَالْأَمْوَالِ فَالْقَدَرُ فِي حَرْفِ حَقِيقَةٍ
 ۚ ﴿لَقَدْ نَهَرْتُمْ يَوْمَ أَنْ تَبْسُقَ تَقْدِيرُكُمْ ۚ أَي لَقَدْ نَهَرْتُمْ يَوْمَ أَنْ تَبْسُقَ تَقْدِيرُكُمْ ۚ أَي لَقَدْ نَهَرْتُمْ
 التَّوَاصِعَ يَقُولُونَ ۚ التَّوَاصِعَ بِقَبْلِ جَنَاحِهِمْ وَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ ۚ ﴿قُلْ يَكْفُرُ الْفِتْنَةُ ۚ أَي قُلْ
 لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ إِنْ مَنَعْنِ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ مِنَ الْهَدْيِ وَحَدِّهِ وَمَا عَدَاهُ ضَلَالٌ ۚ ﴿وَلَقَدْ نَهَرْتُمْ يَوْمَ أَنْ تَبْسُقَ تَقْدِيرُكُمْ ۚ

(١) الطبري ١٠/١٧٧.

(٢) ذهب الطبري إلى معنى الآية: ولكن يُعْرِضُوا عَنْهُمْ حِينَ ذَكَرُوا لِأَمْرِ اللَّهِ لِيَتُوبَ اللَّهُ.

(٣) الطبري ١٠/١٧٧.

(٤) الطبري ١٠/١٧٧.

فَلْتُنْذِرْهُمْ أَي أَمْرًا بَأَن نَسْتَسْلِمَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنَخْتَصِرَ لَهُ الْعِبَادَةَ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا وَأَحْوَالِنَا
وَهَذَا تَسْمِيلٌ لِمَنْ شِئِلَ عَنْ الْهَدْيِ وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَا يَجِيبُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا مَثَلٌ
غَرِبَ إِلَيْهِ لِلْأَلِهَةِ وَمَنْ يَدْعُو إِلَيْهَا وَلِلدُّعَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ ضَلَّ عَنْ الطَّرِيقِ
تَائِهًا مَيَّالًا إِذْ نَادَاهُ صَاحِبُ الْفُلَانِ بِنِ الْفُلَانِ هَذَا إِلَى الطَّرِيقِ وَلَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَ بِإِقْلَانِ حُلُمٍ إِلَى
الطَّرِيقِ، فَلَمَّا اتَّبَعَ الدَّاعِيَ الْأَوَّلَ انْطَلَقَ حَتَّى يَلْقَاهُ فِي الْمَهْلَكَةِ وَإِنْ أَجَابَ مَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْهَدْيِ
أَهْدَى إِلَى الطَّرِيقِ يَقُولُ: مَثَلُ مَنْ يَهْدِي مَوْلَاهُ إِلَى اللَّهِ مِنَ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَرَى أَنَّهُ فِي شَيْءٍ حَتَّى يَأْتِيَهُ
الْمَحْرَمُ فَيَقْبَلُ الْمَهْلَكَةَ وَالتَّدَامَةَ ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أَي وَأَمْرُنَا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ
وَيَقُولُ اللَّهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْنَا الْكِتَابَ﴾ أَي تَحْمِلُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَحَازِي
كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ﴾ أَي مَوْسِمَاتِهِ الْخَالِقُ الْمَالِكُ
السَّابِقُ لِلْمُسْمَرَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا حَقَّقَهَا بِالْحَقِّ وَلَمْ يَحْطِ بِهَا بِاطِّلًا وَلَا عَقًّا ﴿يَوْمَ يَقُولُ
حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أَي وَاتَّقُوا عِقَابَهُ وَالشَّدَائِدَ يَوْمَ يَقُولُ كَيْفَ كُنْتُمْ، قَالَ أَبُو حَيَّانٍ: رَمَدَا
نَعْمِيلٌ لِإِخْرَاجِ الشَّيْءِ مِنَ الْعَذَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَسُرْعَتِ لَا أَدْنَى لَنَا بِمَوْسِمٍ ﴿قَوْلُهُ الْعَقُّ وَنَا
أَلْقَسْتُ﴾ أَي قَوْلُهُ انْتِصَادُ الْوَقْعِ لَا سَحَابَةٍ وَهُوَ يَمْلِكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّبُوحِ﴾ أَي يَوْمَ
يَفْجَعُ إِبْرَاهِيمُ فِي الصُّورِ النَّمْعَةَ الثَّانِيَةَ وَهِيَ نَفْعَةُ الْإِحْيَاءِ ﴿فَكَيْفَ الْكَافِرُ وَالْمُكْذِبُ﴾ أَي يَنْصَرُّ مَا
خَفِيَ وَمَا ظَهَرَ وَمَا يَغِيبُ مِنَ الْحُوسِ وَالْأَصْدَارِ وَمَا تَشَاهَدُونَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴿وَهُوَ لَكُمْ الْمُنِيرُ﴾
أَي الْحَكِيمُ فِي أَعْمَالِهِ الْخَيْرِ شَتَّى عِبَادِهِ.

١٠٧٤

﴿وَيَسِّرْ لَكَ ذِكْرَهُ الْقَبِّ﴾ اسْتَعَارَ الْمَفَاتِيحَ لِلْأُمُورِ الْغَيْبِيَةِ كَأَنَّهَا مَخْزُونٌ خَزِنَتْ فِيهَا الْعُنْيَاتِ
قَالَ الزُّمَيْشَرِيُّ: جَعَلَ لِلْغَيْبِ مِفْتَاحَ عَلَى حُرُوفِ الاسْتِعَارَةِ، لِأَنَّ الْمَفَاتِيحَ يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَا فِي
الْمَخَازِنِ الْمُنْفَعَةِ بِالْأَفْصَالِ، فَهُوَ سِيحَانُهُ الْعَالَمِ بِالْمَعْيَاتِ وَحَدِّهِ
﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ شَتَّى التَّرَفِّي مِنْ شِدَّةِ النَّوْمِ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَشَارَكَةِ فِي
رَوَانِ الْإِحْسَاسِ وَتَشْيِيرِهِ.

﴿فَلَا تَقْطَعْ بَقْدَ الْفَيْحُورِ تَحْ تَقْوَرُ الْقَطْرِينَ﴾ وَصَحَّ الظَّاهِرُ مَوْضِعُ الْقُصْمِيرِ (مَعْمُومٌ) لِمَسْجِدِ
عَنْهُمْ بِشَنَاعَةِ مَا لَزِمُوا حَيْثُ وَضَعُوا التَّكْفِيرَ وَالْإِسْتِغْنَاءَ مَكَانَ اتِّصَادِ الْوَقْفِ وَتَعْظِيمِهِ
﴿وَمَرَّةً عَلَى قَمَقَانَا﴾ عَرِبَ بِالرَّدِّ عَلَى الْأَعْقَابِ عَنِ الشَّرِكِ تَرْبُوءَةً تَنْجِيحِ الْأَمْرِ تَنْجِيحُهُ
﴿فَيَنْبِذُ حَكْرًا عَدْلًا﴾ بَيْنَهُمَا يَدْمُ الْإِسْتِغْنَاءِ.

مِنْ أَلَمْ حَسَنَاتِ الْبَدِيعَةِ لِعَبَاقٍ فِي كُلِّ مِنْ ﴿رُكْبٍ دَائِبٍ﴾ وَ﴿أَنْبِيٍّ وَالْقَهْرِ﴾ وَ﴿مَرْقٍ
وَلَهْجَةٍ﴾ وَ﴿يَنْمَعْنَا وَبَعْرُنَا﴾ وَ﴿أَنْبِيٍّ وَالْمُكْذِبِ﴾ وَالْمَرْجُوحِ فِي ﴿شَرَاتٍ بَيْنَ حَيْرٍ وَكَفَاتٍ أَيْتَةٍ﴾
وَأَنَّهُ أَعْلَمُ.

... قال الحاكم : دل قوله تعالى ﴿رَبُّهُمُ مُتَّقِيهِ الْغَيْبِ﴾ على بطلان قول الإمام. إن الإمام يعلم شيئاً من الغيب ، انتهى . أقول : هذا كذب وبهتان ، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله

من قوله: ﴿فَإِذَا نَالُوا بِرَيْحِ الرَّبِّ بِأَنْفِهِمْ﴾ إلى: ﴿وَمَكَدَ عَصَاهُمْ فَاخْلُتُمْ﴾ من آية (٧٤) إلى نهاية آية (٩٤).

لما ذكر تعالى المصحيح انما امة الدالة على التوحيد وبطلان عبادة الأوثان . ذكر هنا قصة أب الأنبياء إبراهيم . إقامة الحجة على مشركي العرب في نفيهم للأصنام فإنه جاء بالتوحيد الخالص الذي يتنافى مع الإشتراك بالله ، وجميع قطراته والعلل معترفة بفصل إبراهيم بعبادة قدره . ثم ذكر فيه الرسل من أبناء إبراهيم ، وأمر رسول الله بالاعتقاد به ، بهم الكريم .

١٠٠ ﴿عَنْكَوَتْ﴾ مَذَكَّ وَالْوَاوُ وَالْثَاءُ لِلْمِثَالَةِ فِي الرَّصْفِ كَالرَّغِيْبِ وَالرَّهْبِ مِنَ الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ﴿حَرَّ﴾ مَرَّةً بِظُلُمَتِهِ. قَالَ الْوَاحِدِيُّ: حَرَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَأَيُّهُ اللَّيْلُ وَيُقَالُ لِكُلِّ مَا سَمُوهُ جَنُّ وَأَجَنُّ وَمَتَّ الْجَنَّةُ. وَانْجَرُّ وَالْجَنُّونُ. وَالْجَنِّيُّ وَكُلُّ هَذَا يُعْرَدُ أَصْلُهُ إِلَى الْمَسْرِ وَالْإِسْتِثْرَةِ ﴿كَرَمًا﴾ طَالَمَا يُقَالُ: بَرَزَ الْقَمَرُ إِذَا اسْتَدْرَأَ لِي تَطْلُوعُ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: كَأَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنَ الْبَرَزِ وَهُوَ الشَّرُّ لِأَنَّهُ بَنُوهُ بِشَقِّ الظُّلُمَةِ شَقًّا ﴿أَفَّ﴾ غَابَ بِقَالَ: أَفَلَ أَمْلًا إِذَا غَابَ ﴿سَحَنَتُ﴾ سَحَبَةٌ ﴿يَسْرُوْا﴾ يَخْلَعُوْنَ بِقَالَ: ابْسِ الْأَمْرَ خَلَعَهُ وَابْسِ الثَّوبَ اكْتَسَى بِهِ ﴿وَأَخْبَتُ﴾ اصْغَفَيْتُ بِهِمْ ﴿قَرَأَ طَسْرًا﴾ جَمَعَ قَرَأَ طَسْرًا وَهُوَ الْوَرَقُ قَالِ الشَّاعِرُ:

استودع العلم قرطاساً نصيبه فليس مستودع العلم القراطيس
﴿غَرَبْنَا﴾ الغرة: الشدة المذهلة وأصله من غمرة الماء وهي ما يغطي الشيء ﴿يُؤَلِّمُكُمْ﴾
أعطيناكم وملكناكم والنخوس: المنح والإعطاء ﴿وَنُفِّلْ عَنْكُمْ﴾ ضاع وفضل.

سبب الخزول : عن سعيد بن جبير أن ثعلب بن العيص من اليهود جاء بمخاصم النبي فقال له النبي : أنشدك بالله أي أنزل القرآن علي موسى أما تجد في القرآن أن الله ينظر العبد السمين ؟ وكان حمرًا سمينًا - فغضب وقال : والله ما أنزل الله علي بشر من شيء فقال له أصحابه الغريق معه ويحك ولا علي موسى ؟ فقال : والله ما أنزل الله علي بشر من شيء. فأنزل الله ﴿وَمَا مَنَعَكَ إِذْ قَالَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ إِلَهُهُ أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ الآية

﴿وَإِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ كَانَ اتَّخَذَ لَهْوَ: يَا أَبَتِ إِنَّكَ أَمْتٌ لِّمَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ فِي كِبَارٍ ۖ فَاتَّقِ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَقْوَاهُ يَفْعَلُ لَكَ إِزِيدًا ۚ عَلَّمَهُ الْكُتُبَ وَالْحِسَابَ ۖ وَكَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝﴾ هَذَا جَزْءٌ مِّنَ الْقُرْآنِ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ ۝

أن ينههم على شلالتهم ويوشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال. ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى ألا يكون شيء منها إلهًا وأن وراءها محدثًا أحدثها، ومديرًا جبر طوعها وأتولها وانضالها ومسيرها وقوله ﴿فَتَنَّا زَيْنًا﴾ قول من يتصف خصمه مع علمه بأنه بطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه. لأن ذلك أدعى إلى الحق ثم يكرر عليه فيبطله بالحجة^{١١٢} ﴿فَتَنَّا لُوطًا لَا يَخِيءُ آلَ يُونُسَ﴾ أي فلما غاب الكوكب قال لا أحب عبادة من كان كذا، لأن اترب لا يجوز عليه التغير والانتقال، لأن ذلك من صفات الأجرام ﴿فَتَنَّا زَيْنًا أَنْ يَحْكُمَ فِي قَوْمِهِ﴾ أي فلما غاب القمر قال هذا ربي على الأسلوب، مستخدم لثأ لأتظار قومه إلى فساد ما يبدونه وتضيها لأحلامهم ﴿فَتَنَّا لُقَانَ لَيْدًا لَمَّا يَبُذَرُ مِنْ أَشْجَارٍ يَسْتَلْقَى﴾ أي فلما غاب القمر قال إبراهيم لنن لم يمشي ربي على الهدى لأكرن من القوم الضالين وجه تعرض لقومه بأنهم على ضلال ﴿فَتَنَّا نَاجَانَ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ مُوََدَّةً فَلَانَ هَذَا رَبي هَذَا أَكْبَرُ مِنْ الكوكب والقمر ﴿فَتَنَّا فُتَحًا قَالَ يَقُولُ بَلَى رَبِّي يَنَّا فُتِحُوا﴾ أي فلما غابت الشمس قال: أنا بريء من إشرانكم وإستامكم قال أبو حيان: لما أوضح لهم أن هذا الكوكب الذي رأ لا يصلح أن يكون ربا أدتق ما هو أنور منه وألموا فرأى القمر أول طلوعه، ثم لما غاب ارتقب الشمس إذ كانت أنور من القمر وألموا وأكبر جرما وأعم نفعا، فقال ذلك على سبيل الاحتجاج عليهم وبين أنها حارة للنجم في صفة الحدوث^{١١٣} وقال ابن كثير: والحق أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا استقام منظر لقومه ميكا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الأصنام والكواكب السيارة وأشدهن إضاءة الشمس ثم القمر ثم الزهرة فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع على الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع ﴿ثُمَّ يَفْقَهُوا إِلَى رَبِّهِمْ يَنَّا فَتُحَرِّكُونَ﴾^{١١٤} ﴿إِنْ يَنْهَ عَنْهُ النَّاسُ وَهُمْ يَخِفُّونَ﴾ أي فبعدت عبادتي وتوحيدي ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُنَّا وَذَكَرَكُنَا﴾ أي الله الذي اندفع لعالم وحلق السموات والأرض ﴿خَبِيرًا﴾ أي مائلا عن الأدباني الباطلة إلى الدين الحق ﴿وَمَا أَتَىكَ الْفُتُوحُ﴾ أي لست بمن معبد مع الله غيره ﴿وَمَا تَكُنْ قَوْمًا﴾^{١١٥} أي جادلوهم

(١١٢) نكتات ٣١/٢ .

(١١٣) البحر المحيط ١/ ١٦٦ .

(١١٤) مختصر ابن كثير ٥٩٢/١ .

١٤٦ ذهب بعض المفسرين إلى أن قوله إبراهيم عن الكوكب ﴿هَذَا رَبِّي﴾ بما كان في حال الطفولة قبل استعديم النظر في معرفة الله جل وعلا، والصحيح: ما ذهب إليه المفسرون من أن هذا القول كان في مقام تشاؤمة لقومه لإفانة الحجة عليهم في بطلان عبادة الكواكب والشمس والقمر. وأن الموافقة في العبادة على طريق الأوامر هل المنصم من أبلغ المصيح وأوضح البراهين. وما بدل عليه قوله تعالى: ﴿وَتَكُنْ قَوْمًا﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُنَّا وَذَكَرَكُنَّا﴾ بينهما تقييد على فاعلهم مقام ساطرة كما قال الحافظ ابن كثير لأفهام نظر، وسأنا دليل أن يشك في الرب الجليل وهو أب الأنبياء وأمام المنعاه، وقد سأن القدر الرأى التي عشرة حجة في تأييد مذهب المفسرون في تفسير الكبير ج ١ ص ٦٣ وهذا اختيار الساطين المفسرين كالمر طي والزغفر في رأي الصغره وابن كثير وصاحب البحر المحيط، والله أعلم

وناشروه في شأن ابنه جدد قال ابن عباس جادلوه في انهمم وخوفوه بها فأجابه مكرراً عليهم
 ﴿قُلْ أَتُحْشَرُونَ فِي آيَةٍ﴾ أي العبدونوني في وجود الله ووجدانيته ﴿أَفَلَا هُمْ يُعْذَرُونَ﴾ أي وقد يصبري
 وهذا إلى الحق ﴿وَكَلَّا حَتَّىٰ مَا شَرُّكُمْ بِبُيُوتِكُمْ﴾ أي لا أخوف هذه الآفة المزعومة التي تعدونها
 من دون الله لأنه لا تقصر ولا تنجح ولا نصير ولا تسبح ربيست فادرة على شيء مما تزعرون
 ﴿إِلَّا فَخْشٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي إلا إذا أودعني أن يصيبني شيء من المكروه فيكون ﴿وَيُوعِ رَبِّي
 سَعْدٌ شَرْيَ بَيْنَكُمْ﴾ أي أحاط علمه بجميع الأشياء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ استمعاهم للتوبيخ أي أفلا
 تعسرون وتعتظرون؟ وفي هذا نصيبه لهم على عقلهم السامع حيث عبدوا ما لا يبرر ولا يمنع
 وأفسدوا مع ظهور الدلائل الساطعة على وحدانيته سبحانه ﴿وَصَلَّيْتُ أَنَا فِي مَثَلِ هَذِهِ﴾ أي
 كيف أحب اليحكم التي أشركتهم مع الله في عبادة ﴿وَلَا تَقُولُوا لَكُم مَّا أَنتُمْ بِنَافِلَةٍ﴾
 ر. ب. نأيد بكم شئكم أي وأنتم لا تشاؤون الله الفاد عن كل شيء الذي أشرتكم به بدون حجة
 ولا برهان ﴿عَالِي السَّمِيفِ أَخَىٰ يَأْتِيهِ يَدُكُمْ تَقْلُوبُ﴾ أي أينما أذن بالامن أن نحن وقد عرفنا الله
 يأكده وعصمناه بالعبادة أم كنتم رقد أشرتكم مع الأصا وكفرتهم بلوحد الديان؟ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُ
 أُولُو بَإْسٍ إِسْنَهُمْ يَكْفُرُ﴾ أي لم يخلطوا بعبادتهم بشرى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُ أُولُو بَإْسٍ﴾ أي فهم
 الأمن من العذاب وعده على ما به ووشاد روي أن هذه الآية لما نزلت اشغل منها أصحاب
 النبي فعلموا: وأين لم يظلم منه؟ فقال: ليس كما تظنون وإنه هو كما قال لقمان لأنه
 ﴿يَكْفُرُ لَا تَشْرِكُ بِاللَّهِ بِكُمُ الْإِثْمُ ظَلَمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿وَقَدْ جَاءَتْكَ الْبَيِّنَاتُ بِالْحَقِّ﴾
 (الإشارة إلى ما تقدم من الحجج، بياضه التي أهد الله بها خليفه عليه السلام أي: هذا الذي احتج
 به إبراهيم على وحدانية الله من أقوال الأنبياء والتسمي والفهم من آيات الله التي أرسلناه بها
 نتكرد له العبدية الدامعة على قومه ﴿وَرُبُّكَ يُخَفِّضُ مَنَ شَاءَ﴾ أي بالعلم والفهم والنبوة ﴿إِنَّ رَبَّكَ
 يَكْفُرُ عِلْمًا﴾ أي حكم يصح الشيء في محله علم لا يحصى علمه شيء ﴿وَقَدْ جَاءَتْكَ الْبَيِّنَاتُ
 بِالْحَقِّ﴾ أي ربهنا لإبراهيم وما أورل، وقد لغت عنه بعضه الضمب ﴿حُكْمًا مَّهْدً﴾ أي كذا
 معها أوشدناه إلى مسيل السعادة وأقيانه النبوة والحكمة، قال ابن كثير: يذكر تعالى أنه ربه
 لإبراهيم سبحانه بعد أن طعن في السن وأبلى من الولد، ويشتر شيوته وبأنه سلاً وعفاً وهذا
 أكمل في الشارة وأعظم في النعمة وكان هذا مجازاة لإبراهيم حين اعتزل قومه وحاجهم من
 بلاهم لعبادة الله، فعرضه الله من قومه وحشيره بأولاد صالحين من صلبه لغفر بهم عنه
 ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي من قبل إبراهيم وذكر تعالى نوحاً، لأنه أب، أشر الثاني فذكر نوحاً،
 أئناه إبراهيم ثم ذكر اسرف آتاه ﴿وَبَيْنَ ذَٰلِكُمْ﴾ أي ومن ذرية إبراهيم هؤلاء

الحدث أصاه في الصحيحين

مختصر من كثير ١٩٦/١

تصريح في الآية: أنه قولان: قيل إنه يرجع إلى نوح، واستشهد الفراء وابن جرير - وفي الآية يرجع إلى إبراهيم
 وهو قول عطاء واختاره أبو السعد لأن سابق الآية بيان شرف إبراهيم المعبود

الأنبياء الكرام، وما نفعني بذكر داود وسليمان، لأنهما جميعا تحدث مع النبوة وسليمان بن داود
فذكر الآب والابن ﴿وَالزُّبَيْرُ وَيُوْسُفُ﴾ فربما لا اشتراكهما في الامتحان والبلاء ﴿وَمُوسَى وَهَارُونُ﴾
فربما لا اشتراكهما في الآخرة وقدم موسى لأنه كسبه ﴿وَعَادَةُ قُبْرِى الثَّغِينِ﴾ أي مثل ذلك
الجزء الكريم لإبراهيم نجرى من كان محصنا في عمله صادقا في إيمانه ﴿وَنُوحٌ وَيُونُسُ﴾
﴿وَالْكَافُرِينَ﴾ فربما لا اشتراكهم في الرعد الشديد والإعراض من الدنيا ﴿عَلَى تِلْكَ الْفَلَكِينَ﴾ أي
الكامنين في الصلاح ﴿وَالْمُتَنَبِّلِ وَالْبَاقِ وَرُفُوسُ الْقَوْمِ﴾ إسماعيل هو ابن إبراهيم ويونس بن متى
ونوح بن هاران وهو ابن أخ إبراهيم ﴿وَصَلَّى فَتَنَّا عَنْ التَّائِبِينَ﴾ أي كلأ من هؤلاء المذكورين
في هذه الآية فضلهاء بالنبوة على عالمي عصرهم ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي راحته من
إيمانهم وفريتهم وأخواتهم جماعات كثيرة ﴿وَالْمُتَنَبِّلِ وَقَدِيحُهُمْ وَنَجَّاسُ قُتَيْبِهِ﴾ أي صطيفهم
وعديهم إلى الطريق الحق الذي لا خروج فيه قال ابن عباس: هؤلاء الأنبياء تلتهم
مصاصون إلى قرية إبراهيم وإن كان فيهم من لا يلحقه بولادة من قبل أم ولا أب ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ
يَهْدِي بِهِ قَوْمٌ يَسْتَأْذِنُ بِيَسْأَلُوهُ﴾ أي ذلك الذي يهدي إلى الطريق المستقيم هو هدى الله يهدي به من أراد
من خلقه ﴿وَالَّذِي أَتَىكَ لَتْلُفٌ عَشِيرٌ﴾ أي لو أنك تفتن هؤلاء الأنبياء مع فضلهم وعلمهم
قدومهم ليطعن عليهم فكيف بعيرهم ﴿أَوَلَيْكَ أَلْفٌ مِّنْ ذُنُوبٍ كُتِبَتْ إِلَيْكَ﴾ أي أنعمنا عليه
بإزول الكتب السماوية والحكمة الربانية والنبوة والرسالة ﴿إِنَّكَ تَكْفُرُ بِمَا هُوَ لَا يَفْعَلُ مَا تُلْفُفُ﴾
﴿وَالَّذِي يَكْفُرُ﴾ أي ذنوب يكفر ما يذنب كاذب عاصرك يا محمد فقد استعظمتنا واسترحتنا رسل
وأنبياء ﴿أَتُنْفِثُ تَفْرِيقَهُنَّ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُنَّ أَقْدَرُ﴾ أي هؤلاء الرسل المتقدم ذكرهم هم الهداة
المهديون فتش واقف بسيرتهم العطرة ﴿أَمْ لَآ تَشَاءُ لَكَ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَى﴾ أي قل يا محمد لقومك لا
أسألكم عن تطبيع القرآن شيئا من الأمر واحدا ﴿إِنْ مَرَّ إِلَّا يُكْرِى قَسِيرٌ﴾ أي ما هذا القرآن
إلا علة وتذكير لجميع الخلق ﴿وَمَا تَقْرَأُ اللَّهُ عَنْ تَدْوِيرِهِ﴾ أي ما عرّفوا الله حتى مرّفته ولا عظموه
حق تعظيمه ﴿إِلَّا قَالُوا مَا أَفْلَحَ عَلَّ يَفْرَ بَرِّ شَيْءٍ﴾ أي حين أنكروا لومى وبعته الرسل، والفاضلون
هم البهرة الملعنة فغير هو بهذه العظيمة الشبهة مبالغة في إنكار نزول القرآن على محمد عليه
السلام ﴿قُلْ مَنْ نَزَّلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ﴾ مؤمن بربّه وعقلى فائز ﴿يُيْلُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُعَذِّبِينَ
مَنْ نَزَّلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى نَوْرًا مُسْتَضِيًّا بِهِ وَهَدَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ؟ ﴿يَجْتَنِبُونَ وَالطَّبِيسَ تَدْوِيرًا وَتَحْتَوْنَ
كَيْدًا﴾ أي تكذيبه في قرطيس مقطوعة وورقات معرفة شيدود حبثها ما شئتوا، ولحقوا ما
شئتوا من قال الطبري: وما كانوا يكتسبون إياهم ما فيها من أمر محمد . وتونه ﴿وَيُظْهِرُونَ

الم

قيل: إن الرادهم: أهل المدينة من الأصغر وهم قول ابن عباس ومثل: هم السبيون القصاب حشر المذكورين في هذه الآية وهم قول قتادة وأسماء الربيع وأبو جابر
العمري ١٦١/٥٧.

وَرَبُّنَا أَتَى زَكَرِيَّا فَذَكَرَ فِيهَا أَيُّ عَالَمِينَ بِهِ حَسْبُ الْيَهُودِ مِنْ دِينِ الْمَلِكِ وَهَدَايَتِهِ فِي هَذَا الْمَقَرِّافِ مَا نَسَمِ
 تَحْمِلُوا مِنْهُ مِنْ فِئَلٍ لَا نَسَمِ وَلَا أَسَانِكُمْ ﴿فِي مَقَرِّ نَفْسٍ دَرَكَمَ فِي حَرَمِهِمْ يَتَبَوَّأُونَ﴾ أَيُّ قَبْلِ لِهَمْ فِي
 الْبُيُوتِ وَاللَّهُ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ ثُمَّ تَرَكَهُمْ فِي بَاطِلِهِمْ الَّذِي يَحْمِلُونَ فِيهِ يَهْزُونَ وَيَلْعَبُونَ ، وَهَذَا
 وَغَدَ لِهَمْ وَتَهْدِيدَ عَلَى إِجْرَائِهِمْ ﴿وَقَدْ كُنْتَ تَرْجُوهُ مُلَاقًا﴾ أَيُّ وَهَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى
 مُحَمَّدٍ ﷺ مَبْرُوكٌ كَثِيرٌ النِّعَمِ وَالْفَائِدَةِ ﴿تُسَبِّحُكَ كُلُّ نَفْسٍ بِحَمْدِكَ﴾ أَيُّ يَصْدَقُ قَلْبُ اللَّهِ تَعَالَى كَالْبُيُوتِ
 وَالْأَنْدَادِ ﴿وَرَبُّكَ أَرَادَ الْفَرْنَ وَتَمَّ حَقُّكَ﴾ أَيُّ لِنَفْسِهِ بِمَا مُحَمَّدٌ أَهْلُ عَمَلَةٍ وَمِنْ حَوَالِهَا وَهَمْ سَائِرُ أَهْلِ
 الْأَرْضِ قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿وَأَتَيْنَ بِمُوسَى وَآلِيزَارَ بِمُوسَى بِرَبِّهِ﴾ أَيُّ وَاللَّهِ يَحْمِلُونَ بِالْحَسْبِ وَالْخَيْرِ
 يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْكِتَابِ لِمَا تَعْلَى عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ الْوَعْدِ وَالْوَعْدِ وَالشَّعْرِ وَالتَّهْدِيدِ ﴿وَهُمْ عَلَى صَبَاحِهِ
 مُتَأَنِّفُونَ﴾ أَيُّ يُلْزَمُونَ الْفَصْلَةَ عَلَى الرُّوحِ الْأَكْمَلِ فِي أَرْغَافِهَا ، قَالَ الْبَصَامِيُّ : خُصَّ أَصْلُهُ بِالذِّكْرِ ،
 لِأَنَّهَا أَشْرَفُ الْعِبَادَاتِ ^(١) ﴿وَمَنْ أَكْفَرُ مِنِّي أَكْفَرُ عَلَى قَوْلِهِ كَذِبًا﴾ لِسَفْهَائِهِمْ ، الْأَنْفِي أَيُّ لَا أَحَدَ أَكْفَرُ
 مِنْ كَذِبِهِ ، عَلَى اللَّهِ دَجُوعُ لَهُ شُرَكَاءُ وَأَسَدَاءُ ﴿أَوْ قَالَ تَحْمِلُ عَلَى وَتَمَّ شَرُّهُ إِلَى شَرِّهِ﴾ أَيُّ دَعَمَ اللَّهُ
 بَعْدَ تَبَيُّنِ كَعْدِ بَيْعَةِ الْكِتَابِ وَالْأَسْوَدِ الْعَسِيِّ مَعَ أَنَّ اللَّهَ بِهِ يَرْسَنُ ﴿أَنْفِي قُلِّ سَلُّوْا بَشَرًا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾
 أَيُّ رَحِمَ ادْعَى أَنَّهُ مَبْتَغَمٌ كَلَامًا بِمَالٍ مَا قَرَّلَهُ اللَّهُ كَثُورَ الْفَخَارِ ﴿وَوَسَّكَ تَقَاتُ بِمَقَرِّ عَدَاكَ﴾ قَالَ
 أَبُو حِيَّانٍ : نَزَلَتْ فِي النَّصْرِ بَيْنَ الْحَزَنَةِ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ؛ لِأَنَّهُ عَارِضُ الْقُرْآنِ كَلَامُ
 مَخْذُومٍ لَا يَدْرُسُ كَسَفْهَةٍ ^(٢) ﴿أَوْ تَقَرَّرَ إِلَى الْفَاطِمَةِ بِمُوسَى بِرَبِّهِ﴾ أَيُّ وَلَوْ تَرَى بِمَا مُحَمَّدٌ مَوْلَا
 الْعَلَمَةِ وَهَمْ فِي سَكْرَتِ الْمَوْتِ وَشِدَائِهِ ، وَجَوَابُ ﴿لَوْ﴾ مَحْذُومٌ لِلشَّهْرِ بِلِ أَيْ تَرَأَيْتَ أَمْرًا
 عَذَابِيًّا ﴿وَأَتَيْنَكَ بِكُلِّ نَبِيٍّ أَخْبَرُوا بِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ أَيُّ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ يَصْرَبُونَ وَجُوهَهُمْ
 وَأَوْبَارُهُمْ ، فَخَرَجَ أَوْرَاحَهُمْ مِنْ أَحْسَادِهِمْ قَائِلِينَ لَهُمْ : حَامِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ ، قَالَ
 الرَّمَحُورِيُّ : الْمَعْنَى يَقُولُونَ هَاتُوا أَرْوَاحَكُمْ أَخْبَرُوا بِكُلِّ نَبِيٍّ أَخْبَرُوا بِكُلِّ نَبِيٍّ ، وَهَذَا عِبَارَةٌ عَنْ
 الْمَعْنَى فِي السِّيَاقِ وَالْإِلْحَاحِ الشَّدِيدِ فِي الْإِرْهَاقِ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيصٍ وَامْتِنَانٍ ^(٣) ﴿الَّذِينَ تَعَزَّوْنَ عِدَّةَ
 الْقُرُونِ﴾ أَيُّ تَعَزَّوْنَ الْعِدَّةَ ، الَّذِي يَقَعُ فِي الْهَوَانِ لَا يَدْبُرُ مَعَ الطَّوْفِ الْأَكْبَرِ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعَزَّوْنَ عَلَى قَوْلِهِ
 عَمَّ تَقُولُ﴾ أَيُّ بِأَمْرِ تَكْتُمُ عَنْهُ الْمَلِكُ وَسُكْرُهُمُ إِلَيْهِ الشَّرِيكُ وَالْمَلِكُ ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى أَيْسَرَةٍ تَكْتُمُونَ﴾ أَيُّ
 تَكْتُمُونَ عَنِ الْإِذْعَانِ بِأَيَّامِ اللَّهِ فَلَا تَدْرُسُونَ فِيهَا وَلَا تُوْمِنُونَ ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ مَعَكُمْ فَخْرًا﴾ كَمَا فَخَرْتُمْ بِأَنَّ
 مَرْزُوقَ أَيُّ جَسْمَانَا لِحَسَابِ مُتَفَرِّدِينَ عَنِ الْأَهْلِ وَالْعَارِ ، وَتَوَلَّى حَفَاةَ عَرَاءِ غَرَّ لَا كَمَا وَرَدَ فِي
 الْحَدِيثِ (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حَفَاةَ عَرَاءِ غَرَّ لَا كَمَا بَدَأَ أَوَّلَ خَلْقٍ سَبْعَةً) ^(٤)
 ﴿وَرَبُّكُمْ مَا حَوَّكُمُ رَبُّكُمْ حَوَّكُمُ﴾ أَيُّ تَرَكْتُمْ مَا أَعْطَاكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي الدُّنْيَا أَنْ تَعْمَلَكُمْ فِي هَذَا
 الْيَوْمِ الْعَصِيبِ ﴿وَمَا تَرَى تَعْمَلَكُمْ شُعْدَادُكُمْ الْيَوْمَ وَتَعْمَلُنَّ أَنْتُمْ بِمَعَكُمْ شُرَكَاءُ﴾ أَيُّ وَمَا تَرَى تَعْمَلَكُمْ أَنْفُسُكُمْ

(١) التاج: مبحث ١/ ١٨٠

(٢) حاشية البصامي: عن الملايين ٣١١٢

(٣) التاج: ١/ ٣٦

(٤) الحديث: سير رواية الشرحين ومعه: فخر لا أي: خير مخلوقين

الحيّة ^١ ﴿يَخْرُجُ الْكَلْبُ مِنَ النَّارِ تَوَجُّعًا شَدِيدًا﴾ أي يخرج الثيات المصن الطيري من الحب البابس. ويخرج الحب البابس من الثيات الحي البابس وعن ابن عباس: يخرج المؤمن من الكفر. وقاله من المؤمن وعبد هذا فالأحد والحيث استعاره عن المؤمن والكفر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكَلَّمُوا فِي آيَاتِهِ﴾ أي ذلكم الله الخالق المبدع فكيف تصرفون عن الحق بهذا البيان! ﴿وَلَا تُولُوا الصُّلُوحَ﴾ أي شاقوا أنفسهم عن الظلام وكشفه فالطيري: شق عمود السبع عن طائفة الليل رسوا. ^٢ ﴿وَتَقُولُ قَلِيلٌ حَسْبُنَا﴾ أي يسكن البابس به عن الحركات ويسري حركته ﴿وَتَقُولُ قَلِيلٌ حَسْبُنَا﴾ أي بعدات قليل يتعلق به مصالح العباد ويعرف به حساب الأزمان والأيام والليالي والنهار ﴿فَذِكْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا فِي ذَلِكَ﴾ أي ذلك التفسير بالحدس المعموم بتقدير الغائب الظاهر الذي لا يستقصي عليه شيء التعليم بمصالح خلقه وتبديدهم ﴿وَقُلْ لِّوَلِيِّكُمْ أَنَدَّبُوا فِي بَيْنِهِمْ لَعَلَّكُمْ أَتَقْرَبُونَ﴾ أي حلى لكم المصوم انتم دعوا بها في أسفاركم في غلمات الليل في البر والبحر وإنما اعز عليهم بالحدس لأن سالكون القفار وراكني البحار إنما يهتدون في الليل لمقاصدهم بها ﴿قَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي بين الدلائل على قد تاتى قوم بتدبرون عظمت خالقه ﴿وَقُلْ لِّوَلِيِّكُمْ أَنَدَّبُوا فِي بَيْنِهِمْ لَعَلَّكُمْ أَتَقْرَبُونَ﴾ أي خففكم وأبدهكم من أنفس واحدة هي آدم عليه السلام ﴿فَتَنَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال ابن عباس: المستقر في الأوجام والمصنوع في الأصلاب أي الكمال المستقر في أوجام أمهاتكم وأصلاب آلائكم. وقال ابن مسعود: مستقر في الرحم ومصنوع في الأرض التي سموت فيها ^٣ ﴿قَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي بينا الحجاج لهم بمقتضون الأسرار والدلائل قال الصاوي: عر حمار ﴿يَتَّقُونَ﴾ إشارة إلى أن أطوار الإنسان وما انتهى عليه أمره من تعبير فيه اللباب بخلاف النجوم وعاصرها منظر مشاهد ولذا عر فيها ﴿يَتَّقُونَ﴾ ﴿وَقُلْ لِّوَلِيِّكُمْ أَنَدَّبُوا فِي بَيْنِهِمْ لَعَلَّكُمْ أَتَقْرَبُونَ﴾ أي أمرل من السحاب المطر فأخرج به كل ما رتب من العيون والمواد والثمار والبقول والحب والشجر فالطيري: أي أخرجنا به ما يبين به كل شيء وصبر عليه وصلاح ^٤ ﴿يَتَّقُونَ﴾ أي أخرجنا من الخضر حياء متراكبا به في فروع من غشا الخضر ﴿يَتَّقُونَ﴾ أي أخرجنا من الخضر حياء متراكبا به في فروع من غشا الخضر كسائل الحقة واستمر قال ابن عباس: يريد القمح والشعير والذرة والأرز ﴿وَقُلْ لِّوَلِيِّكُمْ أَنَدَّبُوا فِي بَيْنِهِمْ لَعَلَّكُمْ أَتَقْرَبُونَ﴾ أي وأخرجنا من طين السخل والطين أول ما يخرج من التمر في أكماله - عن زيد نورية سهلة السائل قال ابن عباس: يريد العراجين لئلا قد نذت من الطلع دانية نحن بعاصمها ﴿وَقُلْ لِّوَلِيِّكُمْ أَنَدَّبُوا فِي بَيْنِهِمْ لَعَلَّكُمْ أَتَقْرَبُونَ﴾ أي وأخرجنا بالعلم بالليل وحدائق من أعصاب ﴿وَقُلْ لِّوَلِيِّكُمْ أَنَدَّبُوا فِي بَيْنِهِمْ لَعَلَّكُمْ أَتَقْرَبُونَ﴾ أي وأخرجنا به أيضا شجر الزيتون وشجر الزمان مشتمه في الحظوظ وغير متشابه في

الطيري ٢٨/١١

الطيري ٢٨/١١

١ - ونسب المستقر أيضا بالاستقرار فوق الأرض والمستودع تحت الأرض، واعتبر الطيري المعموم.

٢ - حادثة العبد في حاله

٣ - حادثة العبد في حاله

٤ - حادثة العبد في حاله

اعطى قال قتادة: مشتبهاً برفه مختللاً لعمد، وفي ذلك دليل قاطع على التصانيع المختار لعلم
 القدير ﴿تَهْتَرَأُ إِلَى تَهْتَرَأٍ﴾ أي التهروا أيها الناس نظرا باعتبار واستنبطاً إلى خروج
 هذه التمار من ابتداء خروجها إلى انتهاء ظهورها وضججها كيف تنتش من حال إلى حال في اللون
 والرائحة والصغر والكبر، وتأملوا ابتداء التمر حيث يكون بحضرة من، وبخضه دائماً لا يتغير بشيء
 منه. ثم إذا انتهى ونصبح فوته يعود حلواً خبيثاً فافهموا مستباح المذاق! سبحان القدير الخلاق! ﴿إِنْ يَافِكْهُ لَا يَشْفِي يَفْقَهُمْ كَيْفَ﴾ أي إن في خلق هذه الأجزاء والأجزاء
 والأشكال والأنون للدلائل باهرة على قدرة الله ووحديته غير مصدقون بوجود الله قال ابن
 عباس: يصدقون أن الذي أخرج هذه النبات قادر على أن يجرى السموم^(١١) ﴿وَيَقُولُوا يَوْمَ تَرْجَا
 أُنْجَى﴾ أي وجعلوا الجحش شركاء لله حيث أضاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَيَقْتَتِلُ﴾ أي وقد مذهبوا
 تعالى هو الذي خلقهم وانفرد بإيجادهم فكيف يجعلونهم شركاء له؟ وهذه غاية الجحش ﴿وَيَقُولُوا
 لَمْ يَكُنْ رَحْمَتُهُمْ بِهَيْبَةٍ بِهَيْبَةٍ﴾ أي لا تخفقوا ونسبوا إليه تعالى العنين والبائس حيث قالوا: عزير ابن الله
 والملككة بنات الله سمعنا رجالة ﴿سَمِعَكُمْ وَتَعْلَمُ قَدْ يَهْمُوتُ﴾ أي نزل الله ونفاس عن
 هذه السموات التي نسبها إليه انتقاماً، وتعالى علواً كبيراً ﴿يَبْعَثُ الْفَلَسُوفَ وَالْأَرْجَى﴾ أي مذهبها
 من غير مثلاً سبق ﴿فَأَمْ يَكُنْ لَهُ وَهْمٌ ذِكْرُكُمْ فَلَمْ يَتَذَكَّرْ﴾ أي كيف يكون له ولد وأولاد ووجهة
 والولد لا يكون إلا من زوجة ﴿وَيَكُنْ كُلُّ فَرْقٍ وَفَرْقٍ فَرْقٍ شَيْءٍ﴾ أي وما من شيء إلا هو عاقله
 والعالم به ومن كان كذلك كان غنياً عن كل شيء قال في التفسير: والعرض المراد عن من ---
 لله الولد من وجهين: أحدهما أن الولد لا يكون إلا من جسد ولده والله تعالى متعال عن
 الأجناس؛ لأنه سبحانه فلا يصح أن يكون له ولد والثاني: أن الله خلق السموات والأرض
 ومن كان هكذا فهو غني عن الولد وعن كل شيء^(١٢) ثم أكد تعالى على وحدانيته ونفردته بتعلق
 بالإنبياء فقال ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي فليعلم الله عاقلكم ومالككم وسدير
 أمورك لا معبود بحق سواه ﴿عَلَيْكُمْ حَكْمٌ شَرٌّ وَمَعْلُومٌ﴾ أي من الخلق لجميع الموجودات
 ومن شأن حكماً فهو المستحق للمادة وحده ﴿وَلَهُ عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ أي وهو الحافظ
 والسدير لكل شيء، ففهموا أمورك بآية وقدره وإله وبهيدته ﴿وَلَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَفَرَدُكُ
 الْأَبْصَرُ﴾ أي لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به وهو برأها وبخيط بها مشهور عليه تعالى
 للمخفيات ﴿وَلَهُ الْكَلِمُوتُ الْقِيمَةُ﴾ أي اللطيف بعباده الحبير بمصالحهم ذل ابن كثير: ونصبي
 لا يملك الشخص لا ينفي الرؤية يوم القيامة إذ يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء، فأما حلاله
 ومخضته على ما هو عليه تعالى وتقدس فلا تدركه الأبصار، وأما كالات عائشة رضي الله عنها في
 لأخرة وتذللها في الدنيا وتحتج بهذه الآية^(١٣) ﴿قَدْ جَلَدْتُ كَيْزِينَ بِئْسَ كَرَمٌ﴾ أي قد جلدكم الميت

والصالحين الذين يصرون بها فلهي من الصلوات وتخيرها وبها بين الحق والباطل قال الزجاج
 المسمى قد جاءكم القرآن الذي فيه إيمان والمصابرة^(١) ﴿ثُمَّ أَصْرَفْنَا عَنْهَا غَوَاةً﴾ قال
 الزمخشري: المعنى من أبصر الحق وأمر فلنصف أبصر وأبصاراً فمع ومن عني عنه فعلني نفسه
 عني وبها ما ضرب بالمعنى^(٢) ﴿وَمَا قَدْ خَلَقْنَاكُمْ بِحُسْنٍ﴾ أي لست بعبثكم بحفظ ولا رقيب وبما أن
 منذر الله عز الحفيظ عليكم ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَكُمْ فَغَوَاةً أَكْذَرِي﴾ أي وكما بين ما ذكر بين الآيات تبعثرو
 ﴿وَيَقُولُوا زَنْهَتْ﴾ أي وليقول المشركون درست يا محمد في الكتب ولمأت فيها وجلت بهذا
 القرآن، واللام العائدة ﴿وَيَقِينَةُ يَقُولُ يَتَكُونُ﴾ أي ولنوضحه كنوم يعمعون نوحه فتموت
 ﴿أَتَيْتُ مَا أَوْصَىٰ بِإِلَهٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي أتبع يا محمد القرآن الذي أوصاه الله إليك قال القرطبي: أي لا
 تداخل قلبك وخاطر لك بهم بل أمتن بعبادة الله^(٣) ﴿لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِمَعْرُوفٍ﴾ أي لا
 تأمرهم بما لا يشركون أي لا تحض بهم ولا تلتفت إلى آرائهم ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا كُفِّرُوا﴾ أي لو
 ت، فله هدايتهم لهداه فلم يتركوا ولكن سحابة بغض ما يشاء ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾
 ﴿وَمَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ أي وما جعتك دعي على أعمالهم نجارتهم عابها ﴿وَمَا
 أَتَىٰ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي لست بسوكل عسى أروا لهم والمورث قبل الصاوي. وهذا تكلم لما قد أي
 لست حفيظاً من قائلهم فتجبرهم على الإيمان وهذا كان قبل الأمر بالإيمان^(٤) ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾
 بقول بن عمر لله: أي لا شفع الله لغيرك وأنت مهم ﴿فَيُشْفِئُ اللَّهُ عَذَابًا يَقْبَلُ بِهِ﴾ أي
 فيؤا الله بهلاً واعتناء لمدح مدحهم بفضة الله قال ابن عباس: قال المشركون: لننتهي عن
 سبب آياتنا أن لنهين ربك فنهاده الله ثم بسروا ربانهم^(٥) ﴿كَذَلِكَ إِنَّا لَتَكْفُرُ عَنْهُمْ﴾ أي
 كما رأينا هؤلاء أعمالهم كذلاً، رب لكل أمة عصبهم قبل ابن عباس: ربنا لأهل الطاعة الطاعة
 ولأهل الشكركم لكفر ﴿ثُمَّ إِنْ أَتَاهُمْ نُرْسُلُهُمْ مِّنْهُمُ بِنَا كَأَنَّا بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي ثم بعدهم ومصيرهم
 إلى الله يحاربهم بأعمالهم، وهو وعيد بالحزن والعذاب ﴿وَلَنَسْأَلَنَّهُمْ أَفَلَا يَشْعُرُونَ﴾ أي حالف
 كفار مكة بأخطأ الأبدن وشدها ﴿لَوْ أَنَّ عَالَمِينَ لَّمْ يَجْعَلْهُمُ إِنَّا﴾ أي نحن جاعلهم محزنة أو أمر حرة.
 مما اقترحوا يقولون بها ﴿قُلْ إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي قل لهم يا محمد أمر هذه الآيات عند الله
 لا عندي هو القادر على الإيمان بها دوني ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وما يدريكم
 أيها المؤمنون عليها إذا جاءتهم لا يصدقوها^(٦) ﴿وَنَبْلُغُهُمْ آيَاتِنَا وَيُصْغِرُهُمْ كَذِبُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي
 مكرهم أي وسنحول قلوبهم من الإيمان كتب لم يؤمنوا بعد أن آمن من القرآن أول مرة فإن
 الصامعي وهو مشاكك مسوق لسان أن غاف الهدى والضلالة هو الله لا غيره فمن أولاده الهدى
 حول قلبه له. ومن أولاده الله ضلالتهم حول فيه لها^(٧) ﴿وَنَسْأَلُهُمْ فِي هَآؤُنَا يَوْمَئِذٍ عَنْهُمْ﴾ أي ونتركهم

(١) المصدر من الجوري ٦٢/٣.

(٢) (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧).

(٨) حاشية الصاوي على الجلال ٢٧/٢.

(٩) حاشية الصاوي على الجلال ٢٩/٢.

(١٠) القرطبي ٦٠/٢.

(١١) الجليلي ٦٠/٢.

في صلاتهم يتسبفون ويترددون متحيرين .

﴿يَجْعَلُ الْكَاذِبَ تَلْبِيًّا﴾ من لفظ التلبي وهو من المحسنات السبعة وهي الآية أيضا من المحسنات ، يسمى رد المعجز على المتعجب في قوله ﴿يَجْعَلُ الْكَاذِبَ تَلْبِيًّا﴾ .
 ١ - ﴿وَأَنْ تَكُونُوا﴾ استفهام إنكاري بمعنى اني لا ارجو تصرفكم عن الايمان بعد قيام البرهان .
 ٢ - ﴿فَالْمُحْسِنُ بِهِ﴾ فيه نعتان عن العبة والاصل فأخرج به والذكمة هي الاعتناء بشأن المعجز والابتداء إلى ان صفة عظيمة

١ - ﴿وَأَنْ تَكُونُوا تَلْبِيًّا﴾ من عطف الضام على انعام المزيد اشرف لأنهما من أعظم النعم .
 ٢ - ﴿تَسْبِيحًا مِنْ رَبِّكَ﴾ مجاز مرسل من باب تسمية المصعب باسم التسيب أي صمغ وبراكين ترمزون بها آفاقها

١ - بين لفظ أبصر وعي طلاق بين لفظ بصائر وأبصر ، بناس الانشاق
 ٢ - قوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ الآية نعت الإحاطة ولم تلب الرؤية فسمي يشهد تعالى : لا تراه لأبصار ممن ذهب إلى عدم رؤية الله في الآخرة كالمسئلة فلهذا سبب الحق وقيل السبل مخالفة ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله المعجزة أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿وَهُدًى يَوْمَ أُوتِيَ الْكُرْسِيُّ﴾ وأما السنة فما أخرجه البخاري في كتابه منقول عنكم عن سرون هذا القصر لا تصادق في رؤيته . . . الحديث وكفى بالكتاب والسنة دليلاً وقادراً

﴿وَأَنْ تَكُونُوا تَلْبِيًّا﴾ إلى أيهم تلتجئتم وتفتقدون . إلى . . . ﴿وَأَنْ تَكُونُوا تَلْبِيًّا﴾
 يتلوه من آية (١١٠) إلى نهاية آية (١١٧)

١ - بما ذكره من غلات الخرج والنبوءة والسمعة ، وقدر الخسائر من بعض الآيات على يد الشبه . ذكر هنا أن رؤية المعجزات ليس تعبد من عيب بصيرته وأنه لا داعي بالآيات التي انقضى عنها من إزاله الملازمة ، وإحياء التوحيات حتى يكلموهم ، وحشر السباع والحيوانات والطيور وشهادتهم بصدق الرسول ما آمنوا به محمد والقرآن المناهض في الخلافة . . . ﴿فَلَا﴾ حافلة ومواسية ومنه قولهم أتيقت قبلاً لا أدرا أي من بين وجهك ﴿وَتَقْبِيَّةٌ﴾ العشر : الجمع مع سوق وكل جمع حشر ومنه ﴿تَقْبِيَّةٌ فَإِنَّهُ﴾ ﴿تَقْبِيَّةٌ﴾ ذل الزجاج المعروف الرية وقال أبو عبيدة : كل ما حسنت وزينه وهو أصل يورث خوف ﴿وَتَقْبِيَّةٌ﴾ صدى إلى المشي . مال إليه ومنه أصغى وفي الحديث فاصحى إليها الآن . وأصله التميل ﴿تَقْبِيَّةٌ﴾ اقصر فاكس وكثر ما يكون في الشرب بفار . عرف النبي واقترعه أي اكتسب ﴿تَقْبِيَّةٌ﴾ يكفون قال الأزهري : أصله الضرب فيما لا يستيقن . ﴿صَدَّ﴾ ذلة وهوان ﴿يَتَرَجَّ﴾ بوسع والشرح . البسط

من الخلائق عياناً ومباشرة ﴿فَمَا كَانُوا يَلْقَوْنَهُ﴾ أي لو أعطيتهم هذه الآيات التي قترحوها وكل أية - يؤمنوا إلا أن يشاء الله، وانفرض تنبؤهم من إيمانهم ﴿وَلَكِنْ أَخَذْنَاهُمْ بِقَبْضَتِنَا﴾ أي ولكن أكثر هؤلاء المشركين وجعلوا ذلك قال الطبري: أي بوجه من أن الأمر به شريعته العامة - يسيرون أن الإيمان إليهم والكفر بأبديهم متى شاءوا أنشأوا. ومتى شاءوا كفروا، ونيس الأمر كذلك، ذلك يعني لا يؤمن منهم إلا من هبته له فرقة، ولا يكفر إلا من جدته فاضلته^(١) ﴿وَكُنْتُمْ خَشَافَةً عَلَىٰ أَعْيُنِنَا﴾ أي كما ابتليكم بالأعداء ابتلينا من أعداءكم بعد موتكم وبعثناهم كذلك جدنا الذين قتلكم من الانتباه أعداء من شياطين الإنس والجن فاصبر على الأدنى كما صبروا، قال ابن الجوزي: أي كما ابتليكم بالأعداء ابتلينا من قبلت من الأبياء بعبادة الثواب عند الصبر على الأدنى^(٢) ﴿يُوحَىٰ تَعَطُّبُهُمْ﴾ أي يوحى لهم من بعضهم إلى بعض بالفرح والسرور ﴿وَيُخَفِّقُ لِقَاءَ عَذَابِهِ﴾ أي يورسون بالخلاص للذين والباطل المبسوحة ليهربوا من الناس ويخدعهم من مخالفة: وقال ابن أبي عمير: يوحى لهم من بعض شياطينهم فأنشأ شيطان الإنس وشيطان الجن قال أحمد بن محمد: أي أقنعتهم بما هم فيكم وكما فاضل أنت مما هم فيكم وكما أخذتكم من بعض^(٣) ﴿فَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَفَعَلْنَا بِنَارِكُمُ يَوْمَ تَبْعَثُونَ﴾ أي لو شاء الله ما عدى هؤلاء أجيالهم ولكن حكمته هذه اختصت هذا الأبناء قال ابن كثير: وذلك كنه يشير الله وقصاته وبراته ومشيته أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء^(٤) ﴿فَلَوْلَا نَذْرُنَا﴾ أي إنهم وما يذمونه من الحكايات فإن الله كافك وناصرت عليهم ﴿وَيُخَفِّقُ لِقَاءَ آثَابِهِمْ﴾ أي يؤخرهم بالآخرة^(٥) أي ويحيل إلى هذا القول من عرفه طوبى الكفرة الذين لا يصدقون بالآخرة ﴿وَلَوْلَا نَذْرُنَا مَا كُنْتُمْ مَلَائِكَةً﴾ أي وأبرصوا هذا الباطل وتكسروا ما قد مكسروا من الآثام ﴿فَقَبِلْ أَكْثَرُ النَّاسِ حَتَّىٰ﴾ أي قل له يا محمد الأمير لك أظن فاصحابي وبكم^(٦) فإن أمر حاد قاله الله عز وجل لرسول الله عز وجل ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِّقْ﴾ أي وعلماء اليهود والنصارى يفسدون حتى اتعد أن القرآن يكتب بآياتهم ثم عزّلهم عنه ﴿وَلَوْ﴾ أي وعلماء اليهود والنصارى يفسدون حتى اتعد أن القرآن حتى تصدقته ما عهدهم ﴿فَلَا تَكُونُ مِنَ الْخَافِينَ﴾ أي فلا تكون من الخائفين فإن أبو السعود: وهذا من باب التوبيخ والإعجاب وفيه: الخفاف لرسول والمعاداة لأمة^(٧) ﴿وَقَسَتْ كَيْفَ تَكُونُ يَوْمَ تَعْلَمُونَ﴾ أي ثم كلام الله الصريح صدقاً فيما أخبر، وعدلاً فيما قصي وقدر ﴿وَلَا تَزِرُ كَيْفَتُهُ﴾ أي لا تعير حكمه ولا راد لفصاحته ﴿وَوَعَدُ الْكَاذِبِينَ﴾ أي السعي لأحوال

(١) الطبري ١٧/١٩٠.

(٢) ابن الجوزي ١٧/١٩٠.

(٣) ابن الجوزي ١٧/١٩٠.

(٤) ابن الجوزي ١٧/١٩٠.

(٥) ابن الجوزي ١٧/١٩٠.

(٦) ابن الجوزي ١٧/١٩٠.

(٧) ابن الجوزي ١٧/١٩٠.

في استحقاق الحرام وبعدمه من أبي طيلىم بنكم إذا ما لهم قال الزمخشري : لأن من اتبع
غير الله تعالى في دينه فقد أشرك به . ومن حق ذي البصيرة في دينه ألا يأكل مما لم يذكر
سما لله عليه كيما كان التشديد العظيم **﴿أَوْ كُنْ كَذَّابًا فَكَذِّبْهُ﴾** فإن أبر حيان لما تقدم
ذكر المؤمنين والخافين مثل عدلى بأن شبه المؤمنين بداحي الذي له نور يتصرف به كيما سلكه .
والكفر بالمنطق في لطلعات المستقر فيها ليفهم الفرق بين العريقين **﴿وَالْحَمْدُ أََوْ مِنْ كَادِ
بِصْلَةِ السَّيِّئَةِ أَحْمَى الْبَصِيرَةِ تَادِيًا غَالًا﴾** فأما الله فله بالإيمان ، وألفظه من الصلاة بالعرفان
﴿وَحَقَّكَ نَوْزًا يَمُزُّ بِهِ﴾ أي كذا **﴿أَيَّ وَجَدْنَا مَعَ تِلْكَ الْهَدْيَانِ تَسْوِرَ امْتَقَانِ الرِّضَاءِ الَّذِي
يَسْأَلُ بِهِ الْأَشْيَاءَ فَيَمُزُّهُ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ﴾** كُنْ فَتَمُزُّهُ **﴿فَيُنْزِلُ بِحَيْثُ يَنْزِلُ﴾** أي نفس هو
منحبط في ظلمات الكفر وللصلاة لا يعرف المنع ولا الصلح **﴿قَالَ الْبَهَاءِيُّ﴾** وهو مثل لمن
يفي في الصلاة لا ينافيها بحال **﴿كَذَّبَكَ رَبُّنَا فَكَيْفَ نَزَّلْنَا كَوْنًا يَنْتَوِي﴾** أي وكما في هذا
في المظلمات تنحبط فيه . كذلك حسنا لتكفير ديننا لهم ما كانوا يحسبون من لشرك والنعاصي
﴿وَقَدْ نَزَّلْنَا حَقًّا﴾ أي **﴿وَنَزَّلْنَا أَنْصَارًا مَخْرُجًا لِنَحْكُمَ بِهِ﴾** أي وكما جعدنا في مكة ستديها
ليمكروا فيها كذلك جعل في كل بلدة محرميها من الأثام والمظالم ليقصدوا فيها . قال ابن
الجوزي : وإنما جعل لأثام مصادق كمن تربة : لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرضاة
والسعة **﴿وَلَوْ يَشْكُرُونَ﴾** أي وما يدرون أن بيان هذا المكر محض منهم
﴿إِنَّ إِلَهَهُمْ إِلَهٌ ذَرَأَ الرَّطْبَ الَّذِي تَرَى وَشَقَّ مَا أَوَّلُ تَشْكُرُونَ﴾ أي وإذا جاءت هؤلاء الشركيين
حجة قاطعة وبرهان ساطع على ما فيهم من عدم **﴿فَأَسْأَلُ إِلَى بَصَدِّكَ يَرْسَلَنَّهُ حَتَّى يَحْطَى مِنَ
الْمَحْضَرَاتِ مِثْلَ مَا أَعْطَى رَسُولَ اللَّهِ﴾** قال في البحر : وإنما قالوا ذلك على سبيل المذموم
والاستهزاء ولم كانوا موقنين غير مدافعين لأنهم رسول الله تعالى . رؤوي أنه أبا جهل قال
راجعا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا سرى كفرنس رهاها قتلوا ما تبى يوحى إليه والله لا
يخفى به ولا تشعه أبدا إلا أن يأتي وحى كما يأتيه فنزلت الآية **﴿ثُمَّ أُنْزِلَتْ سُورَةُ مَكَّةَ
وَكُنْتُمْ﴾** أي الله أعلم من هو لمن سرىة فنصمها فيه وقد وضعها فيس احبارة لها وهو
محمد دون أيبر مكة كأي جهل والوليد بن العمية **﴿تَكْفِيحَاتُ الْأَوَّلِ أَشْرَافًا صَفَاءً بَدَأُوا
وَعَدَاةً شَدِيدَةً بِمَا كَوْنًا يَنْتَوِي﴾** أي مستحيب هؤلاء المنجربين من الدن والهوان ، والعداب الشديد
يوم العدة بسبب استكبارهم ومكرهم المستعمر قال في البحر : وقدم الضغار على العداة :
لأنهم سمروا عن اتباع الرسول وشكروا طلبا للمعز والكرامة فقوموا بالهداية والذل أولاً ثم
بالمعاب الشديد نابجا **﴿فَكَذَّبُوا إِلَهَ كُنْ تَهْدِيهِمْ فَتَرَى كَيْفَ كُنُفُهُمْ بِلَاغَةً﴾** أي من شاء الله هداه

فقد، في قلبه نورًا فيفسح له ويشرح وذلك علامة الهداية للإسلام قال ابن عباس: معناه يوسع قلبه للتوحيد والإيمان، رحمن مثل رسول الله ﷺ من هذه الآية قال: إذا دخل النور القلب انفتح وانشرح، قالوا: فهل لذلك من آية يعرف بها؟ قال: «الآية إلى دار الخلود، واحتجاني عن دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله» ﴿وَمَنْ يُؤْمَرْ أَنْ يُجَاهِدْ﴾ أي ومن يرد شفافته وأصله ﴿يُجَاهِدْ مَكْرَهُ مَكْرًا حَرِيًّا﴾ أي يجعل صدره صفيقًا شديد الضيق لا ينسج شيء من الهدي، ولا يخلص إليه شيء من الإيمان قال عطاء: ليس للجهر فيه مفد ﴿كَفَلْنَا بِمَقْعَدِ﴾ أي كأننا نحاول الدعوى إلى السماء ونزول أمرًا غير ممكن قال ابن جرير: وهذا مثل ضربه الله لقب هذا الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه، مثل استناده عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه، لأنه ليس في وسعه ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الْإِيمَانَ شَيْئًا﴾ أي مثل جعل صدر الكافر شديد الضيق كذلك يلقى الله العذاب والخلدان على الذين لا يؤمنون بآياته قال مجاهد: الرجز كل ما لا خير فيه، وقال الزجاج: الرجز للعتي في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿وَمَنْ يَزِدْ زَكَاةً فَسَيُزِدْهُ اللَّهُ أَثَرًا﴾ أي: وهذا الدين الذي أمت عليه يا محمد هو الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه فاستممك به ﴿لَقَدْ فَضَّلْنَا الْإِيمَانَ عَلَى الْكُفْرِ﴾ أي: بينا ووضحنا الآيات والبراهين لقوم يتدبرون يعقلونهم ﴿لَهُمْ دَرَكٌ أَكْثَرُ مِنْهُمْ﴾ أي لهؤلاء الذين يؤمنون ويعتبرون وينتبهون بالآيات، الإسلام أي السلامة من المأكلة وهي الجنة في نزل الله وهيباته ﴿وَقَوْلاً رَبُّهُمْ﴾ أي كانوا يفتنون أي هو تعالى حافظهم وناصرهم ومؤيدهم جزاء لأعمالهم الصالحة قال ابن كثير: وإنما وصف تعالى الجنة عبادار السلام، لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم، الممتني اثر الأنبياء وطرائقهم، فكما سلموا من أذات الأوجاج أفضوا إلى دار السلام.

453

﴿وَلَا تَقْرَأُ﴾ النمرض لوصف الربوبية والإنعاشة إلى ضمير، عليه السلام ﴿وَلَيْتَ﴾

لتشريف مقامه واللباقة في العطف في التلبية

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مِمَّنْ تَنْهَوْنَ عَنْهَا فَقَدْ فُتِنَ اللَّهُ بِمَا عَمِلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُجْتَلِبًا﴾

وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنَةِ وَأَرْأَادُ الْكُفْرِ ۚ فَهُمْ مُحَازِرُونَ ۚ

وَرَوَوْا عَنْهُمْ الْأَشْيَاءَ وَنَجَّيْنَاهُ بَيْنَ لَفْظِ (ظَهَرَ) وَ (بَاطَنٍ) طَبَاقِ.

﴿أَوْ مِنْ شَجَرٍ فَخَصَّتَهُ﴾ السموات والحياة والنور والظلمة كلها من يامه الاستعلاء، فقد

استعاض الموت للكفر، وإنجاء للأمين، كفلك الله، والظلمات للهدى، والضلال

﴿يَسْتَرْحِمُهُمُ اللَّهُ﴾ الله - سبحانه وتعالى - يرحمهم، يشفعهم، يسترهم، يسترهم عن النار، والهدى الذي جاء به

الشيخ الكبير ٦١٧ هـ .

١٠٠

مجلس فقہاء اہل بیت علیہم السلام

$\gamma = \frac{1}{\sqrt{1 - \beta^2}}$

ملتمس العفو والصفح

آثار آیه طه

معدن أشد وقتر من ذلك يفتنهم بها إذ ترأفهم وأنهم حزنوا ظهورها ونشأوا يفتنهم بها
 الله غلبها لقوة عليه سبحانه بها حقائقها بذكر ﴿إِنَّمَا هِيَ زُنجَارٌ مَّعْدُودَةٌ﴾ لا تقوى هذه الآفات ما يشتهى
 الله غلبها وقهرها ﴿وَلَا يَخَافُ أَنَّ إِلَهُهَ مُبْدِي شُرَكَائِهِمْ فِيهِمْ﴾ ومنهم ﴿إِنَّهُ خَافَ حَبْطُ
 الْحَبِّ﴾ لا غير أولئك ﴿أَلَمْ يَأْتِ الْفُلَّانَةَ سَفِينًا مِّمَّنْ عَمِلُوا وَأَمَّا الْبُلُوكُ عَلَى الْفُلِّ فَاكْتَفَى
 بِذَلِكَ حَقْلًا مَّهْمُورًا﴾

الخشيسين ﴿وَمَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا الْيَوْمَ﴾ أي ذلك يوم وجميع هذه التفتين لا تسر والجن حبسها
 للسماء قدراً ﴿وَيَنْتَظِرُ أَيُّهَا الشَّكْرُ لَهُ تِلْكَ الْيَوْمِ﴾ أي ساكنة من إيمانهم وإيمانهم فإما
 أس سائر أنباء من منهم كإبراهيم وهود وطريق النوح والتبريع ﴿وَقَالَ أُولَئِكَ مَنَ الْإِبْرَاهِيمَ
 انْتَبَاحَ تِلْكَ تَعْمُرُ﴾ أي وقال الذين آمنوا من الإبراهيم أن شمع بعضاً ببعض قال
 اليعاقبة أي انتفع الإبراهيم بالجبريل فأودعهم على مشهورات وما ينحصر به إيمانهم وانتفع الذين
 بالإيمان بأن أطاعهم وحسنوا مرادهم ﴿وَنَشَأَ كَمَا أَفَادَ تِلْكَ﴾ أي إيمانهم في السموات
 والقبور مؤدباً الحاصل : وهذا منهم عذرنا واعتداف به كان منهم من طاعة الشيطان والقيام
 المهرى ونحوهم على حلقهم ﴿فَالَمْ يَكُنْ مَوْثِقًا﴾ أي قال تعالى رزاً عليهم النار موصوم مفاسدكم وهي
 منكم ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَهْدِ إِلَّا مَا شَاءَ النَّارُ﴾ أي ما كتب في كتابه في حال حطوطه والتمس لا التزام الذي
 شاءه لا ما يشاءوا فيها فذل الطيرى من الله التي بين حشرهم إني دحركهم النار وقال
 الزمخشري : بخله وإن في عذاب النار إلا ما شاء الله أي إلا لأودت التي يقتلون فيها
 من عذاب النار إلى عذاب الزمخشري ففقد دوى أنهم يدخلون وأدب من الزمخشري ولعلهم
 الرزق في الجحيم ﴿إِنْ ذَلِكُمْ شَكْرُكُمْ﴾ أي شكرهم في أعمالهم عادم أمثال عباد ﴿وَلَكِنَّكَ تُولِي
 الْغُلَامَ الظَّالِمَ نَفَقًا لِّمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي إنما استعاضوا الإبراهيم والذين معهم بعض ما يظن بعض
 الظالمين على بعض سبب كسبه للدم من رزق رب قال الفخراني : وهذا نهدي للظالم إن لم
 يمتنع من دمه ما ط لك عليه طلق آخر قال ابن عباس : رد رضى الله عن قوم ذنب أسره
 عذابهم ، وإذا سخط الله على قوم رزق اللههم شرهم ^١ وعن مالك بن أنس : قال : إذا دعي
 بعض من الحكمة إن الله تعالى يقول ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ بَالِكُ الْعَرْشِ﴾ فلو لم يخلو الجسد في
 الظاهر جلالته عيب وحسن ، ومن عصاني جعته عيبه فلا تشبهوا نفسك سبب تملوك
 ولكن ذموا لئلا تفتنهم عليكم ^٢ ﴿يَنْتَظِرُ أَيُّهَا الْإِبْرَاهِيمَ﴾ أي يفتنكم بفتنكم بفتنكم بفتنكم
 فأنتم هذا الله يفتنهم بفتنهم والآن يفتنهم بالذي يفتنهم بالذي يفتنهم بالذي يفتنهم
 عليكم آيات ربكم ^٣ ﴿لَا يَكُنْ يَهْدِ إِلَهُكُمْ هَذَا﴾ أي يفتنكم من عذاب هذا اليوم الشديد ^٤ ﴿وَلَا

^١ : لظري ١١٩: ٢٢

^٢ : القوطي ١١٩

^٣ : صانوي من ١١٩

^٤ : الكشاف ١١٩

^٥ : الفخراني من ١١٩

فَمَنْ قَامَ أَفْئِدَةً ۖ أَيُّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا الاعتراف فقالوا: لم يشهدنا على أنفسنا بأن وسلك قد أنقذنا
 وأثرونا لقاء يومنا هذا. قال ابن عطية: وهذا يقرر منهم بالكفر واعتراضهم على أنفسهم بالتقصير
 كقولهم: ﴿فَلَا يَنْفَعُ تَدَابُّرَهُمْ تُكْذِبُ عَنْهُمْ تُكْذِبُ عَنْهُمْ تُكْذِبُ عَنْهُمْ﴾ أي حذرتهم الدنيا من عيبها
 وبهرتها الكاذب ﴿وَكَيْفَ يُدْرِكُ أَفْئِدَةً كَوْنًا كَثِيرًا﴾ أي اعترفوا بكفرهم هم حال البضاي:
 وهما آتاهم على سوء طهرهم وخطأ رأيهم، فزعمهم اعترفوا بالحياة الدنيا ولذاتها الغانية،
 واعرضوا عن الآخرة بالكنية حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا بالدعوة على أنفسهم بالكفر
 والاستسلام للعذاب المحلح تحذيرًا للمسلمين من مثل حالهم ﴿وَكَيْفَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْهَكَةً
 الْفَرَى يَكْفُرُ وَكَانَ كَقَوْلِهِمْ ۖ أَيُّ لَمَّا فَعَلْنَا هَذَا بِهِمْ مِنْ لِرَسُولِ الرَّسْلِ إِلَيْهِمْ لِإِدَاوِهِمْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ ۖ
 لَأَنَّ رَيْكَ عَادِلٌ لَمْ يَكُنْ لِيَهْلِكْ قَوْمًا حَتَّى يَهْتَمُّ رَسُولًا ۖ قَالَ الطَّبْرِي: أَيُّ لَمَّا أَرْسَلْنَا الرَّسَلَ
 بِأَمْرِهِمْ يَقْصِرُونَ عَنْهُمْ آيَاتِي وَيَذَرُونَهُمْ لِقَاءِ مَعَادِهِمْ مِنْ أَمَلٍ أَنْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لِيَهْلِكْهُمْ دُونَ
 التَّشْيِيعِ وَالْتِجَابِ بِالرَّسْلِ وَالْآيَاتِ وَالْعَبْرَةِ ۖ ﴿وَكَيْفَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْهَكَةً ۖ أَيُّ وَلِكُلِّ عَامِلٍ
 بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ مَعْصِيَتِهِ، مَنَازِلُهُ وَمَرَاتِبُهُ مِنْ عَمَلِهِ لِقَاءِ تَحْرِيقِهِ إِنْ كَانَ حَبِيرًا مُخْبِرًا، وَإِنْ كَانَ
 شَرًّا فَتَشْرِيقًا، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَلَمَّا سَمِعْتُ دَرَجَاتٍ لِنَفَاذِهَا فِي الِارْتِفَاعِ وَالْإِحْطَاءِ كَمَا تَصِلُ
 الدَّرَجُ ۖ ﴿وَكَيْفَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْهَكَةً ۖ أَيُّ لَيْسَ اللَّهُ بِلَاؤٍ أَوْ سَاءٍ عَنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ، وَفِي
 ذَلِكَ تَهْدِيدٌ وَوَعْدٌ ۖ ﴿وَكَيْفَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْهَكَةً ۖ أَيُّ هُوَ جَلٌّ وَعِلَا الْمُسْتَفْنَى عَنِ الْخَلْقِ وَعِبَادَتِهِ، لَا تَنْفَعُهُ
 الْفَطَاةُ وَلَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ ۖ ﴿وَكَيْفَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْهَكَةً ۖ أَيُّ ذُو الْفَضْلِ الْغَامِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذُو الرَّحْمَةِ بِأَوْبَانِهِ
 وَأَعْلَى طَاعَتِهِ، وَقَالَ تَبَرُّهُ: بِجَمِيعِ الْخَلْقِ وَمِنْ رَحْمَتِهِ تَأْخِيرُ الْإِسْتِغَامِ مِنَ الْمُخَالَفِينَ قَالَ ابْنُ
 السَّمُودِ: وَفِيهِ مَتْنٌ عَلَى أَنْ مَا سَلَفَ ذَكَرَهُ مِنْ لِرَسُولِ لَيْسَ لِنَفْسِهِ بَلْ لِرَحْمَةِ عَلَى الْعَبْدِ ۖ ﴿أَيُّ
 بِنَاءً بِهَيْئَتِهِ ۖ أَيُّ لَوْ شَاءَ لَهْلَكَكُمْ أَيُّهَا الْعَصَا وَهَذَا الِاسْتِنْفَالُ ۖ ﴿وَكَيْفَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْهَكَةً ۖ
 بِنَاءً ۖ أَيُّ وَأَنْ يَحْتَقِرَ أَمْرُ الْمَكْمُومِ وَأَطْرَحَ ۖ ﴿كَيْفَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْهَكَةً ۖ أَيُّ كَمَا
 خَلَقَكُمْ وَابْتَدَأَكُمْ مِنْ بَعْدِ خَلْقِ آخَرِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ قَالَ ابْنُ حَيَّانَ: رُصِمَتْ الْآيَةُ التَّحْذِيرُ مِنْ
 بَطْشِ اللَّهِ فِي التَّجَبُّلِ بِالْإِعْلَاقِ ۖ ﴿إِنَّ كَيْفَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْهَكَةً ۖ أَيُّ مَا نَرَى عَمْدَهُ مِنْ سَعْيِ السَّاعَةِ
 وَالْحَشَرِ لَوَاقِعَ لَا مَحَالَةَ ۖ ﴿وَكَيْفَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْهَكَةً ۖ أَيُّ لَا تَخْرُجُوا عَنْ فُلُوتِهِ وَعَقَابِنَا وَإِنْ وَكَيْفَهُ فِي
 الْحَرْبِ مِنْ كُلِّ صَعْبٍ وَدَلُولٍ ۖ ﴿كَيْفَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْهَكَةً ۖ أَيُّ فُلٍ لَيْسَ بِأَمْرٍ بِمُحَمَّدٍ بِقَوْمِ الْبُشْرَا
 عَلَى كَرَمِهِ وَمَعَادَاتِهِمْ نِيَّ وَاعْتَدَا مَا أَنْتُمْ عَامِلُونَ، وَالْأَمْرُ هُنَا لِيَهْدِيَهُمْ كَقَوْلِهِ: ﴿أَتَشْكُرُونَا بِذُنُوبِنَا ۖ
 ۖ إِنِّي كَارِهُنَّ ۖ أَيُّ عَامِلٍ مَا أَمْرُنِي بِهِ رَبِّي مِنْ التَّجَلُّدِ عَلَى دِينِهِ ۖ ﴿كَيْفَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْهَكَةً ۖ
 عَاقِبَةُ لَدُنِّي ۖ أَيُّ خُصُوفٍ تَعْدُونَ أَيْهَا لَكُنْ لِهَ الْعَاقِبَةُ الْمَعْمُودَةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَيْسَ لِهَ أَنْتُمْ؟

الطبري ١٦١/١٣٤

ابن السمرود ١٣٨/٢

البضاي من ١٦٢

ابن السمرود ١٣٦/٣

بسر ٢٩٤/١

﴿يَنْتَهِ لَا يَبْعُخُ الْقَرْيُوتَ﴾ أي: لا يبيع ولا يقوز مطبوخة من كان ظالمًا قال الربيعي: أي: الأداة طريق من الإبداء لطيفة المسالك، فلهذا قصد في العناء وأدب حسنة مع نفس شدة الوفاء، ولا يبيع لأن الله عز وجل خلقه، والمنتفع من مصله^(١) ﴿وَعَمَلًا فِيهِ دُفَاءُ بِرَحْمَةِ الْكَلْبِ وَالْأَنْثَى بِرَحْمَةِ الْبَيْتِ﴾ أي: عمل مشركو قريش لله مما خلق من الروح والأهلام نصيب يتصرفونه على انفراد، وإشراكهم عيبًا يصرفونه إلى ساداتها حال أن كثيرا دعاهم، فربح من الله للمشاركين الذين دعوا بدعاهم وشركاء، وجميع الله شركاء، هو خالق كل شيء سبحانه ﴿وَرَبُّكُمْ يَوْمَ تَبَايَعْتُمْ أَيُّكُمْ خَلَقَ رُبَّ الرُّوحِ وَالْأَهْلَامِ جَزَاءً وَتَمَسَّا^(٢)﴾ ﴿فَقَالُوا كَذَّبُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أي: قاموا هذا نصيب الله بزعيمهم أي: بدعاهم وقيلهم من غير دليل ولا شرع في السهل: وأكثر ما يقال الزعم في تكذيب^(٣) ﴿وَقَدْ أَتَيْنَاهُمْ﴾ أي: وهذا النصيب لآلهته وأصحابها قال ابن عباس: إن أعداء الله كانوا إذا حوثوا حوثًا، وكانت لهم شرقة جدار الله من جرة وأموال حوثا، حدثت من حوث أو شرارة شيء من نصيب لأولئك حفظه وأحسنه، ولم ينطق به شيء، فله سمي الله ربه، أي: ما جعله للوثن، فخلو الله من الأضداد لأحوج^(٤) ولهذا قول: ﴿وَكُنَّا كَذَّبَتْ لِقَاءَهُمْ كَلَّا يَصِلُ إِلَيْكَ الْقَوْلُ﴾ أي: ما كان لأصحابهم ولا يصل إلى اسمه الله شيء، ﴿وَمَا كُنَّا كَلَّا يَصِلُ إِلَيْكَ شَيْئُهُمْ﴾ وما كان من عيب الله فهو يصل إلى أصحابهم قال مجاهد: كانوا يسجدون جزء من أعمدة الله وجزء من شركائهم وأولئك فقد ذهبت به الطريق من عيب الله إلى أولئكهم شريرة وما ذهب من نصيب أولئكهم المروية، وكانوا إذا أصابهم شيء فاحتلوا أكثر ما نصيب الله وأنعامهم نصيب شركائهم ﴿كَذَّبُوا مَا تَكْفُرُونَ﴾ أي: ينس هذا الحكم لحائز ملكهم ﴿وَكُنَّا كَذَّبَتْ لِقَاءَهُمْ لِمَكْتَبِهِمْ كَلَّا يَصِلُ إِلَيْكَ الْقَوْلُ﴾ أي: ومن الأعداء الذين في نسخة القرطبي: بين الله وبين أولئكهم زين شيئا من أولئكهم بالواد أو بنحوهم لآلهته قال ابن جرير: أي: من في نسخة يصفون الله كذا فلا يسمون أحدهم كذا حلف الله المطالب ﴿يَبْرُؤُونَكَ﴾ أي: يبرأكم من بالإتواء ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ رَيْبٌ﴾ أي: ولعلنا عنهم ما كانوا عليه من دين، سبحانه عليه السلام ﴿زَلْزَلَتْ أَسْفَلَ سَكُوتًا﴾ أي: وشاء الله ما فعلوا ذلك انقيح ﴿فَقَرَعْنَا أَسْفَلَ سَكُوتًا﴾ أي: دعاهم وإضا، اقترنه من الإضاح على الله وهو نصيبه ووعبه ﴿زَلْزَلُوا فَزَلُّوا أَسْفَلَ سَكُوتًا جَنَّةً﴾ هذه حكاية عن بعض قائلهم: جنة لهم أيضا أي: قال المشركون هذه أنعام وزروع أولادها، لا والله حرام محتوية على غيرهم ﴿وَأَيُّكُمْ يَصْطَلِبُ وَأَيُّكُمْ يَنْتَهِ﴾ أي: من خدمة الأولاد وغيرهم ﴿وَرَبُّهُمْ﴾ أي: بزعيمهم انما من غير حجة ولا برهان ﴿وَأَنَّهُمْ كَلَّمُوا كَلْمًا﴾ أي: لأنك كالمبالغة والسبيل، وأحرارهم ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَتَّقُونَ أَنَّهُمْ

مختصر ابن كثير ١٢٢/١

مختصر ابن كثير ١٢٢/١

الكتاب ١٢٢/١

الكتاب ١٢٢/١

الكتاب ١٢٢/١

هـ: قَالِمِ قَلْبِي وَنَظَرِ مَنْعِيْبِ .

الثانية: الجهاد على أن الرسل من الإنس ولم يكن من الجن رسول وقوله تعالى ﴿أَنذَرْتُكُمْ﴾ و﴿رُسُلُكُمْ﴾ هو من باب التعليل كقوله: ﴿نَعَزَّيْتُمَا أَهْلَكَا وَأَلْتَرَكَا﴾ وإنما يخرجان من انحصار المأثم دون المذهب

الثالثة ذكر القسطنطين في تفسيره أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كان لا يزال مفتشاً بين يدي رسول الله ﷺ فقال له الرسول: «ما لك تكون معزماً؟» فقال يا رسول الله: «إني أقنيت في الجاهلية ثلثاً فأخاف ألا يغمروا الله لي وإن أسلمت؟ فقال له: «أخبرني عن ذنبك؟» فقال يا رسول الله: «إني كنت من الذين يقتلون بناتهم فولدت لي بنت فتخضعت لي وأمرني أن أتركها فتركها حتى كبرت وأتروك ودارت من أجداد الله فحطبوها بدخلي الحمية ولم يحصل قبي أن أزوجه أو أقرنها في التبيت بغير زوج فقلت لعمري: إني أريد أن أذهب لأزوجه أقرباني فاستبها معي فمرت بذلك وزيتها بالحنى والساب، وأخذت عليّ الموتين بألا أحرقها فدعيت بها إليّ وأسر ففطرت في البئر ففطنت الجارية بأنني أريد أن ألعياها في البئر فالنزعسي وعلقت ذنبي فوق حنيتها، ثم نظرت في السرف فدخلت عليّ الحمية حتى غلبني الشيطان فألقيتها في البئر منكوسة ومكنت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت فكني رسول الله ﷺ وأصحابه وقال: «لو لمثل أن أعاقب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك»¹³

700

قَالَ لَهُ نَعْلَى. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوفَاتٍ وَجَعَلَ فِيهَا سُرُجًا مَّوقُودَةً ۖ إِلَىٰ ذِي الْحِجَّةِ ۚ ثُمَّ يَبْرِئُ مُدَّتَيْهِمْ فَرَاحًا ۚ﴾ (١٥٠)

الْقَائِمَةُ: لما أخبر تعالى عن المشركين أنهم سحرُوا أشياء مما رزقهم الله وحكى طرقاً من لغف لغفهم وجراتهم، ذكر تعالى هنا ما امتنع به عليهم من الرزق الذي تصرفوا فيه بقبر. فنه تعالى افتراء منهم عليه وختلاف، ثم أعقبه بإنجاسهم حتى الشرك وعدم الإيمان بالقضاء والقدر، وهذا أيضاً من جملة الكذب والافتراء على الله.

اللغة: **عُثْرُو شَيْءٍ** مرفوعات على ما يحصلها من العبدان **عَصَايَا** الحصاد: جمع اشعر
 في الجذاذ **سُكُونَةٍ** انحناءة: لإبل لشي تم حل أو انقضاء على ظهورها **عُرْشًا** العرش: الصفار
 التي لا تصمد للمحل **يَا عَصِيلَانِ** والعاجيل قال الزجاج **عُفْرَسُ** صفار الإبل قال الشاعر

أوردتني حمولة وفرشا أمضتها في كل يوم مشا ﴿أَنْتَوَكَا﴾ ؕ قال الأرحم بن: هي الأعباء والمصاريف وأخذها حاوية وحوية وليس: الحوايا الأسماء التي عليها التحويم سميت حوايا، لأن أبطر يحويها ﴿هَلَمْ﴾ هاتوا ﴿نَزَلَيْتَ﴾ ينزلون به.

[illegible]

[illegible]

١٠٠. **﴿وَقَدْ أَخَذْنَا آلَ لُوطٍ قَوْمَهُمْ وَقَوْمَهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾** أي هو الذي أقام عليكم ما أوج
أنتم تعدونه وحده، فخلق لكم بعضهم من الكورم منهم مفرقات على عيونا، ومنها مقرولات
على وجه الأرض له عرش **﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلِيمًا مُخْتَصِمًا﴾** أي وكذا لكم ما هو التحليل التام
بما هو عليه وفوت، وأتباع الرب السحاصل لأمر الفوت حشفاً لهم، ووجه في اللون والصب
والعقد والزراعة **﴿وَالزُّبُرُ وَالْمُزْنُ وَالْمُزْنُ وَالْمُزْنُ﴾** أي متشابهة في اللون والشكل، عبر
مقتاب في الطعام **﴿حُفَّاءَ مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾** أي ثمرها من شمر كل واحد منها، وكذا إذا
أثرك من وجهه ومنه **﴿وَأَن تَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾** أي أعطوا الثمر والسكر من ثمره يوم
الحساب، ما تجوده في نفوسكم، فكل ابن عباس، يعني الحركة الثمرة وجهه هو يتبدل ويضم كفه

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِكُمْ فِي تَعْبِكُمْ شَيْئًا﴾ أي ولا تصرفوا في الأكل لغيره من مضرة العقل والبدن قال الضحى السجستاني قول غطفان: «يهر عن الإسراف في كل شيء» ﴿وَمِنَ الْأَشْيَاءِ حَقُولُهُمْ﴾ ﴿وَقُلْ﴾ أي وحقق لكم من الاعتماد ما يحصل الأثقال وما يغرش فندبح أي بصحيفة قال ابن أبي عمير: «الحكومة ما لا يكون» والعرش ما لا يحلوه وتعالى ﴿وَمَنْ خَلَقَ بِكُمْ رِزْقَكُمْ إِنَّهُ﴾ أي ما وامن الله وأمر دوج والأعمام فقد جعله الله لكم رونقاً ﴿وَلَا تُلْهِكُمْ فِتْنَتُهُ﴾ أي طريقه وأمره في التحليل والتجريب كعصا من الجدلية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أي الذين آمنوا طاهر العقيدة

لِلْإِنْسَانِ فَاحْذَرُوا كَيْدَهُ ﴿١٠٦﴾ تَتَجَافَىٰ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ فَانْهَئُوا عَنْ أَيْدِيكُمْ وَأَنشَأْ لَكُمْ مِنَ
الْأَعْمَالِ تِسْماً يُرْسِلُكُمْ فِيهَا فُجُوراً مِّنَ الْفُجُورِ ۖ وَمِنَ الْعَمَلِ ذِكْرٌ وَلَئِن لَّمْ يَكُنِ
يَعْنِي تِلْكَ آيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۖ وَكُلُّ فَرْدٍ عِنْدَ الْعَرَبِ يَحْتَاجُ إِلَىٰ آخِرِ يَمْسٍ زَرْحاً لِّقِيَالِ لِّمَذْكُورٍ ۖ زَوْجٌ وَلِلْأُنثَىٰ
زَوْجٌ ۚ وَيُرَادُّ بِالنِّسَابِ مِنَ الْفَصَالِ ۖ الْكَيْشُ وَالْمُتَمَحَّةُ ۖ وَمِنَ الْفُجُورِ ۖ الْفُجُورُ وَالْعَمَلُ ۖ ﴿١٠٧﴾ تَلَاكَ كَرِيحٌ
عَاصِفٌ أَوْ الْآفَاقِيَّةُ ۖ هَذَا إِتْكَارٌ لِّمَا كَانُوا يَقَعُونَ مِنْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ ۖ قِيلَ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ
هِيَ وَجْهٌ الْتَوْبِخُ وَالزَّجَرُ ۖ التَّذَكُّرُ مِنَ الْفَصَالِ وَالْعَمَلُ حَرَمٌ ۖ تِلْكَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْعَمَلُ كُونَ أَمْ الْآفَاقِيَّةُ
مِنْهَا ۖ ﴿١٠٨﴾ أَفَلَمْ تَكُنْ عَلَىٰ لَهْمًا الْآفَاقِيَّةُ ۖ أَي ۖ أَرَأَيْتُمْ إِمَامَاتِ الْجَنَسِينَ ذُكِّرُوا إِنْ أَوْ نَتَّى ۖ
﴿١٠٩﴾ تَقُولُ يَهْلِي إِنْ حَكَمْتُمْ مَتَبَرِّقِينَ ۖ تَحْذِيرٌ وَتَوْسِيخٌ أَي ۖ أَشِيرٌ وَلِي عَنْ اللَّهِ بِأَمْرٍ مَّعْلُومٍ لَا يَلْقَاهُ وَلَا
يُحَرِّصُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي نَسْبِهِ ذَلِكَ التَّحْرِيمِ إِلَى اللَّهِ ۖ ﴿١١٠﴾ ذَرِ الْإِبِلَ تَتَّبِعُكُمْ وَيَكُنْ الْفُجُورُ أَي ۖ
وَأَنشَأْ لَكُمْ مِنَ الْإِبِلِ ثَلَاثِينَ هَذَا لِجَمَلِ الْإِبِلِ وَمِنَ الْبَقَرِ ثَلَاثِينَ هَذَا لِجَمَلِ الْبَقَرِ ۖ ﴿١١١﴾ تَلَاكَ كَرِيحٌ
عَاصِفٌ أَوْ الْآفَاقِيَّةُ ۖ تِلْكَ تِلْكَ عَاصِفٌ أَوْ الْآفَاقِيَّةُ ۖ كَوْنُهُ هُنَا مَبَالِغَةٌ فِي التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِخِ قِيلَ أَبُو
السَّمُودِ ۖ وَالتَّصْفُودُ إِتْكَارٌ أَنَّ اللَّهَ مَحَلُّهُ حَرَمٌ عَلَيْهِمْ شَيْئاً مِنَ الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ وَإِظْهَارٌ كَذِبِهِمْ فِي
ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَحْرَمُونَ ذِكُورَ الْأَنْعَامِ ثَلَاثَةً وَإِنَاثَهَا ثَلَاثَةً ۖ وَأُولَٰئِكَ ثَلَاثَةٌ أُخْرَى ۖ ﴿١١٢﴾ تِلْكَ
تِلْكَ ذَاتُ الْإِبِلِ وَتِلْكَ ذَاتُ الْبَقَرِ ۖ رِبَادَةٌ فِي التَّوْبِخِ أَي ۖ هَلْ كُنْتُمْ حَاضِرِينَ حِينَ وَصَلْتُمْ إِلَيْهِ ۖ
التَّحْرِيمِ ۖ وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّهْكِيمِ ۖ ﴿١١٣﴾ أَفَلَمْ تَكُنْ عَلَىٰ لَهْمًا الْآفَاقِيَّةُ ۖ تِلْكَ تِلْكَ عَاصِفٌ أَوْ الْآفَاقِيَّةُ ۖ
لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِنْ كَذِبِ عَلَى اللَّهِ فَتَنْسِبُ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يَحْرَمْ بِهِمْ دَلِيلٌ وَلَا بُرْهَانٌ ۖ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَّى لَا
يَكُونُ الْقَوْلُ الْقَلِيلُ ۖ عَمُومٌ فِي كُلِّ ظَالِمٍ ۖ ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ ۖ بِأَنْ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ فَقَالَ ۖ ﴿١١٥﴾ لَا يَكُنْ لَكُمْ فِتْنَةٌ أَوْ فِتْنَةٌ لَّكُمْ أَوْ تَسْتَكْفِرُوا ۖ أَوْ تَكْفُرُوا ۖ أَوْ تَكْفُرُوا ۖ أَوْ تَكْفُرُوا ۖ
أَوْ تَكْفُرُوا ۖ أَوْ تَكْفُرُوا ۖ أَوْ تَكْفُرُوا ۖ أَوْ تَكْفُرُوا ۖ أَوْ تَكْفُرُوا ۖ أَوْ تَكْفُرُوا ۖ أَوْ تَكْفُرُوا ۖ أَوْ تَكْفُرُوا ۖ
شَيْئاً سَحَرْتُمْ عَلَىٰ أَيِّ إِنْسَانٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِقَطْعِ مِثْقَلٍ أَوْ نَحْوِ سَائِلٍ مَّعْصِيَةٍ أَوْ يَكُونَ لِحَرَمِ
مَنْزِعَةٍ فَإِنَّهُ قَدْ رَجَسَ أَعْرَافَهُمْ أَكْلَ النِّجَاسَاتِ ۖ ﴿١١٦﴾ تِلْكَ تِلْكَ أَوَّلُ الْآيَةِ ۖ أَي ۖ أَوْ يَكُونَ مُعْصِيَةٍ
فَسَقَا ذُبَحٌ عَلَى اسْمِ غَيْرِ اللَّهِ كَالْمَذْبُوحِ عَلَى النَّصَبِ ۖ سَمِي سَقَاً بِأَنَّهُ كَذِبٌ نَفْسُ الْعَمَلِ ۖ وَهُوَ
ذُبَحٌ عَلَى اسْمِ الْأَصْنَامِ ۖ قِيلَ أَمَّا كَرِيحٌ ۖ يَبَاحٌ وَلَا غَيْرُهَا ۖ تِلْكَ تِلْكَ عَاصِفٌ أَوْ الْآفَاقِيَّةُ ۖ أَي ۖ مِنْ أَصَابَتِهِ
الضَّرُورَةُ وَاصْطَرَّتْهُ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِنَ السَّحَرَاتِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ بَاحٍ أَي ۖ غَيْرَ قَاصِدٍ لِّلْخُلُقِ
بِأَكْلِهَا بِدَرَنْ غَرُورٍ ۖ وَلَا عَادَ أَي ۖ مَبَالِغَةٌ فِي الضَّرُورَةِ الَّتِي تَدْفَعُ عَنْهُ الْهَلَاكَ ۖ فَالَّذِي غَفَرُوا رَحِيمٌ
بِالْعِبَادِ ۖ ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ مَا حَرَّمَ عَلَى الْيَهُودِ إِذَا كَانَ بِسَبَبِ بَقِيهِمْ وَعَهْبِيَّتِهِمْ فَقَالَ ۖ ﴿١١٧﴾
تِلْكَ تِلْكَ عَاصِفٌ أَوْ الْآفَاقِيَّةُ ۖ أَي ۖ عَلَى الْيَهُودِ حَاصَةٌ حَرَمَاتٌ عَلَيْهِمْ كُلُّ دِي طَعْنٍ فَإِنَّ
مِثْقَالَ ۖ هِيَ ذَوَاتُ الْخُلُقِ كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ وَمَا لَيْسَ بِذِي أَصَابِعٍ مَّنْفَرَّةٍ كَالْبَقَرِ وَالْأَرَضِ ۖ ﴿١١٨﴾
تِلْكَ تِلْكَ عَاصِفٌ أَوْ الْآفَاقِيَّةُ ۖ أَي ۖ وَحَرَمَاتٌ عَلَيْهِمْ أَكْلُ شَحْمِ الْبَقَرِ وَشَحْمِ الْفَتَمِ ۖ ﴿١١٩﴾

حَكَمْتُمْ مِثْلَهُ لَقَدْ رُفِعَتْ أَيْ إِلَّا الشَّحْمَ الَّذِي عَلِقَ بِالظَّهْرِ مِنْهُمَا ﴿١٠﴾ أَوْ كَتُمُونَهَا ﴿١١﴾ أَيْ الْأَمْعَاءَ وَالْمَصَارِينَ
 ﴿١٢﴾ وَأَنْ تَنْتَقِلُوا بِكُمْ ﴿١٣﴾ كَتُمُوا الْأَلْبَةَ وَالْمَعْنَى أَنَّ الشَّحْمَ الَّذِي تَعْلَقُ بِالنَّظِيرِ أَوْ يَصْطَرِّفُ عَلَيْهِ
 أَلَمْ يَمَارِسْ أَوْ اخْتَلَطَ بِعَظْمِ كَتُمُوا الْأَلْبَةَ جَانِزُوا لَهُمْ ﴿١٤﴾ وَأَنْ تَحْتَمِلُوا بِكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ تَعْتَبِلُوا ﴿١٥﴾ أَيْ ذَلِكَ
 انْتِهَارِهِمْ بِسَبَبِ ظَلَمِهِمْ وَهَوَاتِهِمْ الَّذِي سَبَّ مِنْ فَعْلِ الْأَنْبَاءِ وَأَكَلَ الرِّبَا وَاسْتَحْلَالَ أَمْوَالَ النَّاسِ
 بِالْبَاطِلِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ وَمَا نَقُصُّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ وَفِي ذَلِكَ تَعْرِيفٌ بِكُذُوبٍ مِنْ حُرْمٍ مَا لَمْ
 يَحُرِّمْهُ اللَّهُ وَالتَّعْرِيفُ بِكُذُوبِ الْيَهُودِ ﴿١٦﴾ وَإِنْ حَكَمْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَأَنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا
 مُحَمَّدٌ هُوَ لَا الْيَهُودَ لَيْسَ جِلَّتْ بِهِ مِنْ بَيَانِ التَّحْرِيمِ فَقَدْ شَجَّحْنَا مِنْ حَالِهِمْ وَبَيْنَكُمْ دُونَ رَحْمَةِ وَاسْمَةٍ
 حَيْثُ لَمْ يَحْلِكْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ مَعَ شِدَّةِ إِحْرَامِكُمْ قَالَ فِي الْحَرْفِ : وَهَذَا كَمَا تَقُولُ عِنْدَ رُؤْيَا مَعْصِيَةٍ
 عَظِيمَةٍ : مَا أَحْلَبَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْتَ تَرِيدُ مَا أَحْلَعَهُ لِإِمْلَاءِهِ الْمَعْصِيَةِ ثُمَّ أَغْضَبَ وَصَدَّ بِالرَّحْمَةِ
 الْوَاسِعَةِ بِالْوَحِيدِ الشَّدِيدِ فَقَالَ ﴿وَلَا يَزِيدُ بَاسُكَ فِي الْقُلُوبِ الْغُفْرِينَ﴾ أَيْ لَا تَعْمُرُوا بِسَمَةِ وَرَحْمَتِهِ فَإِنَّهُ
 لَا يَرُدُّ عَذَابَهُ وَمَطْوُونَهُ عَمَّا أَكْتَسَبُوا الدُّنُوبَ وَاجْتَرَسُوا السَّيِّئَاتِ هُوَ مَعَ رِسْمَتِهِ ذُو بَأْسٍ شَدِيدٍ
 وَقَدْ جُمِعَتْ الْأَمَةُ بَيْنَ التَّعْرِيفِ وَالتَّعْرِيبِ حَتَّى لَا يَبْقَى الْمُنْذَرُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَلَا يَفْتَرِ الْعَامِي
 بِحِلْمِ اللَّهِ ﴿سَيُفْزِقُ الَّذِينَ اقْتَبَلُوا مِنْكُمْ أَنْ يَضُرَّوْا وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْتَفَعُونَ مِنْكُمْ وَلَا يَحْتَمِلُونَ قَوْلَهُمْ﴾ أَيْ سَيَقُولُونَ
 مُشْرِكُوا انْتَرَبُوا : لَوْ أَرَادَ اللَّهُ مَا كَفَرْنَا وَلَا أَشْرَكْنَا لَا سَمْعَ وَلَا أَبْصَارًا يَرِيدُونَ أَنْ يَشْرِكُوا بِتَحْرِيمِهِمْ
 لِمَا حَرَّمَ اللَّهُ كَانِ يَعْشِيئُهُ اللَّهُ وَلَوْ شَاءَ أَلَّا يَفْعَلُوا ذَلِكَ مَا فَعَلُوا فَاحْتَشَرُوا عَلَى ذَلِكَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ كَمَا
 يَقُولُ الْوَائِعُ فِي مَعْصِيَةٍ إِذَا طَلَبَ مِنْهُ الْإِفْلَاحُ عَنْهَا : هَذَا فَعَلَ اللَّهُ لَا مَهْرَبَ وَلَا مَعْرَمَةَ وَلَا حِجَةَ
 فِي هَذَا لَهُمْ مَكْلُومُونَ مَأْمُورُونَ بِفَعْلِ الْخَيْرِ وَتَرْكِ الْقَبِيحِ وَلَكِنَّهَا نَوْعَةٌ جَبَرِيَّةٌ يَحْتَاجُ بِهَا السَّفَهُاءُ
 حِينَئِذٍ تَدْمِغُهُمُ الرَّحْمَةُ قَالَ تَعَالَى فِي لُوحِ عَلَيْهِمْ ﴿حَكَمَاتٌ كُنَّتْ أَنْبِيَاكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَانُوا
 نَاسِكًا﴾ أَيْ كَذَلِكَ كَذَبَ مِنْ سَيِّئِهِمْ مِنَ الْأَمْرِ حَتَّى أَتَيْنَا عَلَيْهِمْ عَذَابٌ ﴿فَرَحَقَ بَيْنَهُمْ بَيْنَ يَمِينٍ
 فَتَفَرَّقُوا لَنَا﴾ اسْتَفْهَامٌ يُكْذِرُ بِمَقْصِدِهِ أَنْهُمْ أَيْ قُلُوبُهُمْ حَلَّ هُنَاكَ حِجَّةٌ أَوْ بَرَهَانٌ مِنْ صِدْقِ
 قَوْلِهِمْ مَتْلُوهٌ لَنَا ﴿إِنْ يُبَيِّنُوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ يَنْفَرُوا إِلَّا عَرْمَكُومٌ﴾ أَيْ مَا تَسْمَعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَّا الظُّنُونُ
 وَالْأَوَاهَامُ وَمَا أَنْتُمْ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا تَكْذِبُونَ عَلَى أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُلْ يَقُولُ الْحَقِيقَةُ كَلْبَةً قُلْ شَاءَ
 لَهَذَا نَكْرًا أَتَمِينُ﴾ أَيْ قُلْ لَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ حِجَّةٌ قُلُّهُ الرَّحْمَةُ بَيِّنَةُ الْوَاسِعَةِ الَّتِي سَلَّطَتْ قِيَادَةَ
 الظُّهُورِ وَالْإِفْتِخَارِ : مَلُوشَ لَهْدَاكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ أَجْمَعِينَ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى تَوَكَّلْ لِلْمَخْلُوقِ أَمْرُ الْإِخْتِيَارِ فِي
 الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ بِحَسْمِ تَضَكُّبِهِمْ ﴿قُلْ الْخَلْقُ بَيْنَ يَدَيْكَ شَاءَ قَبْلَهُمْ وَمَنْ شَاءَ فَعَلَهُمْ﴾ قُلْ هَلْ
 شَاءَ اللَّهُ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَقْبَلَ سَرَّوُكُمْ هَذَا ﴿أَيْ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ احْفَظُوا لِي مَنْ يَشْهَدُ لَكُمْ عَلَى
 صَحَّةِ مَا تَزْعُمُونَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنَ الْبُحْبُورَةِ وَالسَّائِيَةِ وَغَيْرِهَا فَجَنِّ
 نَهْيُكُمْ فَلَا تَكْتُمُوا تَعْتَدُوا﴾ أَيْ فَإِنْ حَسَبُوا وَالْمُؤْمِنِينَ فِي تَعَادُلِهِمْ وَزُورُوا وَلَا تَشْهَدُوا بِحُلِّ شَهَادَتِهِمْ
 وَلَا تَصْدَقُهُمْ فَإِنَّهُ كَذَبٌ بِحَسْمِ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ الْغَائِبِ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ

[illegible]

٢٥٤/٤

٣: الفم على ٧: ١٣٢

٤٥١/٤ العدد

١٤٣١ هـ

184 卷一百一十五

۱: احسنہ ام کے ۶/۶

٢٣٨ / ١٧٧

كُلُّهُ أَي جِزَائِهِمْ وَعَقَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ هُوَ يَدُولِي جِزَائِهِمْ ﴿ثُمَّ يُخَيِّطُهُمْ بِمَا كَانُوا يُسَلِّتُونَ﴾ أَي يَجْبِرُهُمْ بِشَفِيعٍ مَعَالِهِمْ قَاتِلِ الطَّيْرِ ، أَي أَحْبَبَهُمْ فِي الْأَجْرَةِ بِمَا كَانُوا يَفْتَنُونَ وَأَجَازِي كُلَّ مَنَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿فَإِنْ سَأَلْتَهُ لِمَ خُفِّرْتُ قَتْلَهُمْ خُفِّرْتُ قَتْلَهُمْ﴾ أَي مِنْ حَذَرِهِمْ لِقِيَامَةِ بِحَسْبَةِ وَاحِدَةٍ جَرَّوْا عَنْهَا حَشَرَ حَسَنَاتٍ مِثْلَانِهَا فَضْلًا مِنْ ذَلِكَ وَكَرَمًا وَهُوَ أَقْلُ الْمَضَاعِفَةِ لِلْحَسَنَاتِ فَفَدَّ شَهْرِي إِنِّي سَجَّادَةٌ أَوْ أَرِيدُ ﴿وَمَنْ عَدَا بِالْحَقِيقَةِ فَلَا يَحْزَنُكَ إِلَّا يَحْزَنُكَ﴾ أَي وَمَنْ جَاءَ بِالْحَسْبَةِ عَوْنًا بِحَسْبِهَا دُونَ مَضَاعِفِهَا ﴿وَكَمْ لَا يَحْزَنُكَ﴾ أَي لَا يَخْشَوْنَ مِنْ حَزَانِهِمْ شَيْئًا بِإِذْنِ الْحَدِيثِ أَنْفَدَسِي يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسْبَةِ فَهُوَ عَشْرَ مِثْلَانِهَا أَوْ أَرِيدُ وَمَنْ جَاءَ بِالْحَسْبَةِ فَجَزَاءُ سِتِّ مِثْلَيْهَا وَأُغْنِي عَنْهُ ذِكْرُ زِيَادَةِ فِي الْحَدِيثِ مِنْ بَابِ النَّفْسِ ، وَالْمَعَامِلَةُ بِالْمَثَلِ فِي السِّبَابِ مِنْ بَابِ الْعَدَلِ ﴿فَقَدْ بَيَّنَّا فَهَدَى رَبِّي يَنْ يَعْزِزُ مُتَّبِعِيهِ﴾ أَي قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمَكْدُبِينَ إِنْ رَبِّي هَدَانِي إِلَى الطَّرِيقِ الْغَوِيِّ وَتَوَشَّدَنِي إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ دِينَ إِبْرَاهِيمَ ﴿وَبَايَعْتُ رَبِّي بِرَبِّهِمْ خَيْرًا﴾ أَي دِينًا مُسْتَقِيمًا لَا مَوَاجِزَ فِيهِ هُوَ دِينُ الْحَقِيقَةِ الْمُسَوِّغَةِ الَّذِي جَاءَ بِهِ إِمَامُ الْحَقِّ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ ﴿وَمَا كَانَ مِنْ تَنْشِيرِكُونَ﴾ أَي رَدَّ كَذَابَ إِبْرَاهِيمَ مُشْرِكًا ، وَبِهِ تَرِيضُ مُشْرِكًا مِنْ خَالَفَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِخُرُوجِهِ عَنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ ﴿قَدْ إِنْ صَلَّاهُ﴾ أَي قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنْ صَلَّاهُ النَّبِيُّ أَحَبَّدَهَا رَسُلٌ ﴿وَلَيْسَ﴾ أَي فَبِحَقِّهِ ﴿رَبِّيَ﴾ وَتَمَدُّدُ ﴿أَي حَبْرِي وَوَقَفْتِي وَمَا أَعْدَمْتِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَاتٍ وَمَضَاعِفَاتٍ ﴿فَبِمَ رَبِّ الْقَسْبِ﴾ أَي ذَلِكَ كَلَامُهُ خَالِصًا لَهُ دُونَ مَا اشْرَكْتُمْ بِهِ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ أَي لَا أَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ ﴿وَلَيْدَكَ بُرْهَانَ﴾ أَي بِإِحْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ أَمَرْتُ ﴿وَمَا قَدْ فَتْلَيْتُ﴾ أَي أَمَرْتُ مِنْ أَمْرٍ وَذَهَبَ وَخَضَعَ لَهُ جِلَّ وَعِلًا ﴿قَدْ أَفْتَرْتُمْ لِي رُبَّ﴾ تَقْوِيرٌ وَتَوَيْخٌ لِمَكْفُورٍ ، وَبِهَا أَنَّهُمْ دَعَوْهُ إِلَى عِبَادَةِ الْجَهَنَّمَ وَلِسَعْنَى : قُلْ يَا مُحَمَّدُ أَلَطِيبَ رِبَا غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ ﴿وَقَدْ رُبَّ كَلْبٍ خَوْفٍ﴾ أَي وَالْعَالِ هُوَ عَالِقٌ وَمَالِكٌ كَلِّ شَيْءٍ مَكْبُوفٌ يَلْبِثُ أَنْ تَنْجُوَ إِلَيْهَا غَيْرَ شَيْءٍ ؟ ﴿وَلَا تَكُنْ حَقْلًا خَيْرٌ إِلَّا غَلِيظًا﴾ أَي لَا تَكُنْ جَنَابَةً نَفْسٍ مِنَ السُّنُونِ إِلَّا مَلِيحًا ﴿وَلَا تَزِرْ وَزِرَةٌ وَزِرَتَهَا﴾ وَذَلِكَ أَعْرَفِي أَي لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحَدٍ وَلَا يَزِيدُ أَحَدٌ إِنْسَانًا مَعْرُوبَةً غَيْرَهُ ﴿ثُمَّ إِنْ رُبَّكَ تَرَبَّيْتُكَ تَرَبَّيْتُكَ بِمَا كُنْتُمْ بِمَوَاقِفِهِمْ﴾ وَمَعَادِي عِيدٍ وَتَهْدِيدٍ أَي مَرَجَعِكُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَجْزِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَيُعْزِزُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالسَّيِّئِ ﴿وَقَدْ أَلْفَى خَلْقَكُمْ كَلْبًا أَلْوَحِيثُ﴾ أَي جَعَلَكُمْ خَلْقًا لِلْأَسَمِ الْمَاعِضَةِ وَتَقْوُونَ تِلَافَةً بِخِلَافٍ بِعَدُوكُمْ وَمَعُضًا قَاتِلِ الطَّيْرِ ، أَي اسْتَخَفَّكُمْ بَعْدَ أَنْ أَمَلَكُمْ مِنْ كَانَتْ قُبُلَكُمْ مِنَ الضُّرُوفِ وَالْأَسَمِ الْخَالِيَةِ فَجَعَلَكُمْ خِلَافَتَ مِنْهُمْ فِي الْأَرْضِ تَخْلَعُونَ عَنْهُمْ فِيهَا ﴿وَقَدْ تَخَلَّفَكُمْ قَوْلُ سَتِي وَكَوَسَتْ﴾ أَي خَالَفَ بَيْنَ أَحْوَالِكُمْ فِي الْغَنِيِّ وَالْفَقْرِ وَالْعَدَمِ وَالْجَهْلِ وَالْأَوْرَةِ وَالْفَضْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَعَادٍ فِيهِ التَّخْفِيلُ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿لَيَنْبُذَنَّ فِي سَاءٍ بَاقِيَتَكُمْ﴾ أَي لَيُخَيِّرُ شَرَّكُمْ عَلَى مَا أَعْلَمْتُكُمْ فَإِنَّ ابْنَ الْحَوَازِيِّ : أَي لَيُخَيِّرُكُمْ

(٢١) : رواه مسلم .

٢٧٤ / ١٦ : الطبري

(٢٢) : هذا قول ابن عباس ومجاهد واختاره الطبري ، وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالسك : التصادم والاولى أرجح .

٢٨٧ / ١٦ : الطبري

فيظهر منكم ما يكون به الثواب والعقاب : ﴿إِنَّ يَكُ سَرِيعَ الْبِقَابِ ذَاكَ لَقَوْلُ رَبِّهِمْ﴾ أي إن ذلك سرير العقاب لمن عصاه وعمود رحيم لمن أطاعه ، قال في الزل : جمع بين الخوف والفرحاء ، وسرعة العقاب إذ في الدنيا يتمتعيل الأخذ أو في الآخرة لأن كل ما هو آت قريب .
البيان .

١... ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْحُرُفَ﴾ السيل منارة عن اليدع والصلوات ولما أعجب لسخرة

٢... ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْحُرُفَ﴾ التنكير لإفادة العموم والمشمول

٣... ﴿وَرَبِّهِمْ أَحَدٌ﴾ الإضافة لتعريف والتعظيم

٤... ﴿يَسْتَدِينُونَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ وضع الظاهر مكان التفسير ﴿عَنْهَا﴾ نجيب شناعة وفجاعة طعدهم .

٥... ﴿فَلْيَسْتَدِينُوا﴾ الأمر المنهيد ووجهه .

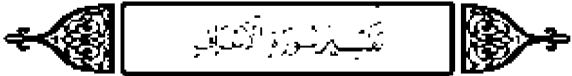
٦... ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْحُرُفَ﴾ الآية . اشتمل هذا الكلام على النوع المعروف من علم البيان باللفظ واشتمل الكلام يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسك لم يكن مؤمنة قبل إيمانها بعد ، ولا نفسها لم تنكسب في إيمانها غيراً قبل ما تنكسب من الخير بعد ، إلا أنه لفظ الكلام فجمعها كلاماً و حداً بلاغة واحدة : ماراً وإعجازاً ، أفاده صاحب الانتصاف .

٧... ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ و ﴿تُسَبِّحُ﴾ طابق وبين ﴿الْحُرُفَ﴾ و ﴿الْآيَاتِ﴾ طابق كذلك وهو من المحسات البديعة

٨... ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْحُرُفَ﴾ قال الشريف الرضي : ليس هناك على الاحتشام أحواله على الظهور وإنما هي القائل الأوامر والدنوب فهو من الاستمارة الملقطة .
فائدة : وقد تعالى في سبيله لأن الحق واحد وجمع التيسر ، لأن طرق الصلاة كثيرة ومنشعة .

نعمه قال حافظ ابن كثير : كثيراً ما يقرأ تبارك وتعالى في القرآن بين عائش الصفتين ﴿يَا ذَاكَ سَرِيعَ الْبِقَابِ ذَاكَ لَقَوْلُ رَبِّهِمْ﴾ كشو له تعالى : ﴿وَقَدْ بَعَثْنَا لِمِثْلِكَ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب ، فتارة يدعو عبده إلى ما رغبه ومرتبة الجنة والترغيب ، فيما لذيه ، وتارة يدعوهم إلى ما رهبه وذكر النار ونكاتها وعذابها والنجاة وأمراتها وتارة يجمع في كل واحدة .

مع تفسير سورة الانعام آية قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّسْلِمُونَ﴾



بين يدي السورة

• سورة الأعراف من أطول السور المكية، وهي أول سورة عرضت للتبصير في قصص الأنبياء ومهمتها كمهمة السور المكية تقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله جل وعلا، وتقرير البعث والنزاه، وتقرير الوحي والرسالة.

• تعرضت السورة للكرامة في بدء قباتها بالقرآن العظيم دهجزة، محمد الخالدة، وثروت، أن هذا القرآن نعمة من الرحمن على الإنسانية جمعاء، فعلمهم أن يستمكوا بترجيته وإرشاده ليؤمنوا بعبادة الخالقين.

• ولغنت الأنظار إلى نعمة خلقهم من آب واحد، وإلى تكريم تلك لهذا النوع الإنساني مثلاً في أب البشر آدم عليه السلام الذي أمر الله الملائكة بالسجود له، ثم حذرت من كيد الشيطان ذلك العدو المتربص الذي تعد على طريق الناس ليصلهم عن الهدى ويصلهم عن حالهم.

• وقد ذكر تعالى قصة آدم مع إبليس ومخرجه من الجنة، وهو طه إلى الأرض كنموذج للعصيان بين الخير والشر، والنعم واليباس، وبين لكيد إبليس لآدم وفريته، ولهذا وجه الله إلى أبناء آدم - بعد أن بين لهم عداوة إبليس لأبيهم - أربعة نداءات متتالية بوصف النبوة لآدم ﴿يَنْتَه﴾ ونداء واحد لخاص بهذه السورة يحذرهم بها من عدوه الذي نشأ على عداوتهم من ندم الزمن حين رسوس لأبيهم آدم حتى أوقعه في نرته وتخالفة لأمر الله ﴿يَنْتَه﴾ نادم لا يقنعكم التفتيح كما شرح أولئك من القصة بغير فهمها وفهمها سوتهما . . .

• كما تعرضت السورة الكريمه لشهد من كشاهد الواقعة يوم القيامة، مشهد لفرق الثلاثة وما يدور بينهم من محاولة ومناصرة: فرقة المؤمنين أصحاب الجنة، وفرقة الكافرين أصحاب النار، وفرقة ثالثة لم يتحدث عنها القرآن إلا في هذه السورة، وهي الفرقة التي سبقت بأصحاب الأعراف وسبقت بسورها (سورة الأعراف) مشهد سوف يشهده العالم يوم البعث والجزاء على الحقيقة دون تشبيل ولا تخيل. تشبيل ما يكون فيه من شناعة أهل الحق وأصحاب الجنة، بالشميطيين وأصحاب النار، وتنطلق صرخت علوي يسجل عليهم الجنة والظرد والحرمان، وقد صرب بين القرنيين بحجاب ووقفه عليه رجال يعرفون كلأ سبيلهم، يعرفون أهل الجنة بياض الوجه ونصرتها، ويعرفون أهل النار بسواد الوجوه وفرتها.

• تناولت السورة قصص الأنبياء بإسهاب «نوح - هود - صالح - لوط - شعيب - موسى» وقد ابتدأت بشيخ لأتينا (نوح) عليه السلام وما لاقاه من قومه من جحود وعناد، وتكذيب وإعراض، وقد ذكرت بالتبصير قصة الكليم موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية، وتحدثت

عما ماله يـ، إسرائيل من بلاء وشدة لم من أمن ورجاء، وكيف بما بدلوا نعمة الله وخالفوا أمره
 هاقيبه الله تعالى بالمسخ إلى فردة وخنازير

• وثناؤك للسورة كذلك العقل المحزى لعنماء السوء، وصورتهم بأشبح وأقيح ما يمكن
 للتخيال أن تصوره، «سورة الكلاب الملامت الذي لا يكف عن اللهث، ولا يفلح عن التعرغ في
 الطيس والأرحال» ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَظَفْنَا بِهِ وَلِكُنْهَ خَلْدَ آبِ الْأَرْضِ وَنَجَّ حُرَّةً فَتَكَّرَ كَتَلُ لَحْثٍ بِإِنْ
 تُصِيبَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَنَزَّكُهُ بِأَهْثُ﴾ وذلك لعمر الحق أنيج صورة موروية أمن وروية الله أمام
 الانعقاد استمدها أجمع العظام ثنائيه وكان عزيماً ورباً عليه، لأنه لم ينفع بهذا العلم، ولم
 يستقم على طريق الإيمان وانسلخ من النعمة، وأتبعه الشيطان فكان من العارفين.

• وقد خشت السورة الكريهه زائيات التوحيد، والتهكم بمن عدوا ما لا ينسر ولا ينفع، ولا
 يصر ولا يسمع، من أحجار وأصنام اتخذوها شركاء مع الله، وهو جل وعلا وحده الذي
 خلقتهم وصورهم ويعلم تقلبهم ومشايرهم، وهكذا اختصت السورة التكرمة بالتوحيد كما بدأت
 بالتوحيد فكانت الدعوة إلى الإيمان بوحدة كرب المعبود في البدء والختام.

القسمة: سميت هذه السورة بالأعراف لورود ذكر اسم الأعراف فيها، وهو سور
 مفرووب بين الجنة والنار يحول بين أهلها، روى ابن جرير عن حذيفة أنه مثل عن أصحاب
 الأعراف: قال: هم قوم أمشوت حسنتهم وسيناتهم ففقدت بهم سيناتهم عن دخول الجنة،
 وتشتت بهم حسنتهم عن دخول النار، فرفقوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم.

□ □ □

قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ كَيْفَ تَمْلِكُ الْأُولُ يَدَكَ فَأَنْتَ لَا يَمْلِكُ فِي شَيْءٍ حَرْجٌ فَتَهُ... إِلَى... وَكَمْ مَكْرُومَاتٍ لَّهُمْ
 ثَمَرَاتُكَ﴾ من آية (١) إلى نهاية آية (٣٠).

اللقية: ﴿حَرْجٌ﴾ ضيق، يقال: خرج المكان أو لصدر إذا ضاق ﴿يَبْتَأ﴾ قال الراغب: الليات
 والبيت: قصد العدو ليلاً^(١) ﴿تَقْلُوبُكَ﴾ من القبوله وهي الترم وسط النهار، والقدلة: الطغية
 ﴿تَقْدُورُكَ﴾ مدعوماً يقال: ذمه أي ذمه رجفه ﴿تَقْوَرُكَ﴾ مطرودة يقال: دحره أي طرده، وأمدد
 ﴿تَنْزِيلُكَ﴾ اسنواء: العودة سمعت بذلك لأن الإنسان يسوء ظهورها ﴿وَلَقَدْ﴾ شرحها، أخذها
 يقال: طلق يلقن إذا ابتدأ وأخذ ﴿تَحْيَلُكَ﴾ يرفعان ويقرآن ﴿وَرَبَّنَا﴾ نبأنا نتحملون به وأصل
 الترش: المال والجمال ومنه ترش ظهير لأنه زينة له وجمال ﴿وَرَبَّنَا﴾ جنوده وأهل الفيل:
 الجماعة سواء كانوا من أهل أو أمموني شئى ﴿وَرَبَّنَا﴾ الفاحشة هي الشئى، الذي تنلنى فبجده
 والممراد بها هنا العواف حول البيت عرة وكل أمر قبيح يسى فحشة، والصحشاء ما أشد سمعه
 من الذنوب كالفاحشة

(١): المفردات لراغب مادة بيت .

مجلس الوزراء

[illegible][illegible]

﴿لَسِيرَ بِهِ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي أخذوا بالقرآن من بخاف الرخص، وتذاكر وتعد به المؤمنين
 لأنه من المستعجلين به ﴿كَلِمَةً ثَوِيَّةً يَنْتَمِ بِهَا نَسَبٌ﴾ أي السيرة بهذا الثماني القرآن الذي به انتهى
 والنور والحيات السمر واليكم من رسكم ﴿بَلَا شَيْءَ مِنْ أَمْرِ الْوَيْلِ﴾ أي ولا شيء من أمره من
 دون الله تعالى ولا شيء من الكيد ترواونه في أموركم وتعلمونهم بها وبشرعهم لكم ﴿وَلَا تَأْتِي
 تَكْوِينُ﴾ أي تتدبرون تدبر، فبلا، قال الحازن أي ما تنحصر إلا قليلاً ﴿وَتَكُونُ مَتْنٌ
 فَتَكُونُ﴾ أي وتكون من القرآن أمركم والنسب بالقرينة أهلها ﴿فَتَكُونُ مَتْنٌ بِهَا﴾ أي سادها
 عدتها قليلاً ﴿وَكَلِمَةً ثَوِيَّةً﴾ أي كلمة تعذب في وقت القبول وفي اليوم في وسط النهار
 قال أبو حيان ويخص معنى الراس بهذين الوصفين لأنه ما وفاته استكون والعدة والامتناع
 به من ما دام به ما أشق وأضيق لأنه يكون على عفة من المحلوسين ﴿فَكَلِمَةً ثَوِيَّةً يَنْتَمِ
 بِهَا نَسَبٌ﴾ أي ما كان دعاؤه واستدعائهم حين شاعروا العذاب ورأوا أسرارهم ﴿وَلَا تَأْتِي تَكْوِينُ
 كَلِمَةً ثَوِيَّةً﴾ أي لا حشر لهم بظلمهم تحسروا وبدمعة، وهيهات أن تدع عدم ﴿وَلَسْتَ تَكُونُ
 تَكْوِينُ﴾ أي تسكن الأمر قطرة من طغتك السيل، وماذا أجرب؟ ونقصود من هذا
 لئلا التفرغ والتمرجح للكفار ﴿وَلَسْتَ تَكُونُ تَكْوِينُ﴾ أي وتساكن الرسل نصاً على سيرة الرسالة
 وأهوا أمانة؟ قال في البحر: وسؤال الأسم بغيره، ويصح بعقب التخيير والعبرة بكلاً رعداً،
 وسؤال الرسل قد يوجب، بعقب، الآية كرامة وتوابعاً ﴿وَلَسْتَ تَكُونُ تَكْوِينُ﴾ أي فتسحبهم بعد فعوا
 عن عظم من قال ابن عباس: يوضع الكتاب يوم القيامة في كتابهم بعد كتابهم معانين ﴿وَلَسْتَ
 تَكُونُ تَكْوِينُ﴾ أي ما كان غايتهم حتى يحضر عليك شيء من أحوالهم، قال ابن كثير: يحضر تعالى
 عبده يوم القيامة بما قالوا وما عملوا من قليل وكثير، وجليل وخفي، وأنه تعالى الشاهد على
 كل شيء، ولا يغيب عنه شيء، بل هو العالم بما في الأعين وما تحضر الصدور ﴿وَلَسْتَ تَكُونُ تَكْوِينُ
 تَكْوِينُ﴾ أي والوزن للأعمال يوم القيامة قائم بالعدل ولا يضل بك أحدًا ﴿فَكَلِمَةً ثَوِيَّةً يَنْتَمِ
 بِهَا نَسَبٌ﴾ أي فها هو رخص مؤيد أعداله بالإيمان والوزارة الحسنات ﴿وَلَسْتَ تَكُونُ تَكْوِينُ﴾ أي لا يكون
 عدل من العذاب والفرق، بحر في القواب ﴿وَلَسْتَ تَكُونُ تَكْوِينُ﴾ أي ومن خفت مؤازرين أعماله
 أكثر وأحرج السبلات ﴿وَلَسْتَ تَكُونُ تَكْوِينُ﴾ أي لا يروا أنفسهم وما فعلتهم ﴿وَلَسْتَ تَكُونُ
 تَكْوِينُ﴾ أي يحسب كفرهم ومحوهم بآيات الله، قال ابن كثير: والذي يرمع في
 الحيز يوم القيامة قيل: الأعمام وإن كانت أعرافاً إلا أن الله تعالى يقبض يوم القيامة أجسادهم
 يروى هذا عن ابن عباس، وقيل: يروى عن النبي الأفعال كدحاهي، حديث أبيه، وقيل: يروى
 من حديث أبيه، أي الحيات، فيؤتى يوم القيامة بالرحل السير في يده، عبد الله حاج بعدد

والنكر صحيح إشارة لتوزن الأفعال، وثارة محليها، وثارة يورن فاعليها والله أعلم^{١١}، يقول: لا غرابة في وزن الأعمال، ووردت الحسبات والسيئات بالذات، فإذا كان الختم الحديث قد كشف لنا عن موازين كل خير والرد، وانجاء شربح والأمطار، ألعجز القادر على كل شيء من صنع موازين الأعمال البشري^{١٢}؟ ﴿وَلَقَدْ ذَكَّرْتُمُوهَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي جعنا لكم أيها الناس في الأرض مكاناً وقرباً، قال البيهقي: أي مكانكم من سكنائها وزوجها والتصرف فيها^{١٣}، ﴿وَجَعَلْتُ لَكُمْ فِيهَا نَعِيمًا﴾ أي ما تعيشون به وتعيون من المطاعم والمشرب وسائر ما تكون به الحياة ﴿وَلَقَدْ ذَكَّرْتُمُوهَا﴾ أي روح هذا عالم صل والثناء أم فذل من شكر ربه كمروءة^{١٤}، ﴿وَلَقَدْ ذَكَّرْتُمُوهَا﴾ ﴿وَلَقَدْ عَنَّا أَبَاكُمْ أَوْمَ مَيْمَنًا غَيْرَ مَعْبُورَةٍ﴾ صورته أبلغ تصوير وأحسن مقوم، وإنما ذكر ملطف الجميع تعظيماً له لأنه أبو البشر ﴿لَقَدْ ذَكَّرْنَا النَّاسَ لَنْبَاهُ﴾ أي ثم أمرنا الملائكة بالسجود لكم تكريماً له والذرية ﴿ذَكَّرْنَا إِيَّاهُ بِتَكْوِينِهِ﴾ أي سجود الملائكة كنهم أجمعون إلا إبليس امتنع من السجود فكبّر وعتد^{١٥} والاستعلاء، ما فاع له من غير اعتد وقا تمام قول الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة خرفة عين^{١٦}، ﴿قَالَ مَا تَفْعَلُونَ أَتَقْتُلُونَنِي﴾ أي قال تعالى لإبليس: أي شيء منعك أن تسجد السجود لأدم؟ والاستغناء للتفريع والتوبيخ ﴿قَالَ أَأَنَا مَرْتَلَةٌ﴾ أي قال إبليس للعين: أنا أهمل من آدم وأشرف منه فكيف يسجد القاضل لله مفضل^{١٧} ثم ذكر العنة في الامتناع فقال: ﴿خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَ مِن طِينٍ﴾ أي أنا أشرف منه لشرف عنصرى على عنصره: لأنني مخلوق من نار وأشار أشرف من الطين، ولم ينظر المصنفين لأمر من أمره بالسجود وهو الله تعالى فإن بين كثير، نظر العين إلى أصل العنصر ولم ينظر إلى الشرف والتعظيم، هو أن الله خلق آدم بياد، وتضع له من روحه، فإس قياشاً فاسقاً فأخطأ فيه الله في قياسه في دعواه أنه النار أشرف من الطين، فإن الطين من شأنه الفزاة والحلم، وأشار من شأنها الإحراق والطيش، الطين محل البعث والنمو والزيادة والإصلاح وأشار محل العذاب ولهذا كان إبليس عصوه فأورثه الهلاك والشرارة والدمار^{١٨}، قال ابن سيرين: أول من قال إبليس وأخطأهم، فامر الدين برأيه فونه الله مع إبليس^{١٩}، ﴿قَالَ قَاتِلْهُ إِنَّمَا يَتَّبِعُ الْفِتْنَةَ﴾ أي أخطأ من الجنة فماد يصح ولا يستقيم ولا ينبغي أن تستكبر عن طاعتي وأمرى وتمكن من قدسي ﴿تَقَرَّبْ إِلَيَّ﴾ أي اقترب

١١- مختصر ابن كثير ٧/٦٠.

١٢- نظر المصنف الذي كتبه حول إبليس والأدلة التي ذكرها على أنه من الجن وليس من الملائكة في صفحة ٤٨ من كتابه (البيان والأحكام).

١٣- مختصر ابن كثير ٨/٢٢.

١٤- البحر ١/٢٧٥.

المؤمنين ، قال الزمخشري - . وذلك لما أظهر الاستكثار أنه الله الذي والصالحون فمن تو شبع
 به . ومع تركيز على الله وضعه " **﴿قَالَ الْمَلَكُ إِنَّ يَوْمَ تَتُوبُونَ﴾** استمرت الدعوى فطلب من الله
 الإمهال إلى يوم السبت لينجو من الموت لأن يوم السبت لا موت به ، فأجابته تعالى بعبارة **﴿قَالَ**
إِنَّكَ يَوْمَ تَتُوبُونَ﴾ قال ابن عباس : انظره إلى الصفحة الأولى حيث يموت الخلق ذنبه وقد طلب
 الإمهال إلى الصفحة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين فأبى الله ذلك عليه " . ويؤيده الآية
 الأخيرة **﴿قَالَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَتَيْنُوا﴾** **﴿إِنَّ يَوْمَ الْوَعْدِ الْمَعْلُومِ﴾** **﴿هَؤُلَاءِ هِيَ الْفِتْنَةُ أَنتُمْ فِيهَا**
تَلْتَضَعُونَ﴾ أي نسيب إغرائك وإغلائك في لأعداء آدم وذريت على طريق الحق وسبيل انجاء
 يحصل شحنة كما يقعد القاطع لمسألة **﴿إِنَّ تَزِينَهُمْ نَارُ تَوْحِيدِهِمْ وَمِنْ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَيْرِهِمْ﴾**
 أي أي عباد من كل جهة من الجهات الأربع لأصدهم عن دينهم ، قال الطبري معناه لا ينهيه
 من جميع وجه الحق والباطل ، وأصدهم عن الحق وأحسن لهم الباطل قال ابن عباس : ولا
 يستطيع أن يأتي من فوقهم شيئا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى " **﴿وَلَا يَدُ أَكْرَمَ**
تَعْمُرُهُ﴾ أي مؤمنين مطيعين شاكرين بتسلك **﴿قَالَ أَتَى يَوْمَ تَتُوبُونَ﴾** أي يخرج من شحنة
 مدبراً معيناً مطروداً من رحمتي **﴿تَرَى يَوْمَ الْآفَافِ جُثُوجًا أَكْبَدَ مِنْ ثِيَابِهِمْ﴾** الأيام موطنة ملة أي
 بعد الطاعت من الإصرار والجرم لأنهم من الأنواع القلوب أجمعين ، وهو وعيد والعدايات
 لكل من الشاة للشيطان وترك أمر الرحمن **﴿وَيَوْمَ تَكُونُ الْكُفُوفُ كُفًّا﴾** أي وقتاً يا قوم اسكن
 مع ربك حواء الجنة بعد أن أعيط منها إبليس وأخرج وطرد **﴿تَكُونُ يَوْمَ تَكُونُ﴾** أي فلا من
 لحارب من أي مكان شئت **﴿وَلَا تَقْرَأُ يَوْمَ الْكُفُوفِ كُفًّا﴾** **﴿وَلَا تَقْرَأُ يَوْمَ الْكُفُوفِ كُفًّا﴾** **﴿وَلَا تَقْرَأُ يَوْمَ الْكُفُوفِ كُفًّا﴾**
 ثيابها إلا شجرة واحدة عليها فهما ونهاهما عن الأكل منها سواء ، وسجناً عند ذلك حسدهما
 انشيطان وسعى في الوسوسة والحق والخنيفة **﴿وَيَوْمَ تَكُونُ الْكُفُوفُ كُفًّا﴾** أي التمر فهما بصوت خصي
 لاخر فهما بالأكل من الشجرة **﴿يَوْمَ تَكُونُ الْكُفُوفُ كُفًّا﴾** أي يظهر لهما ما كد مستورا
 من الضرورات التي يفتح كشفها **﴿وَقَالَ تَكُونُ الْكُفُوفُ كُفًّا﴾** **﴿وَقَالَ تَكُونُ الْكُفُوفُ كُفًّا﴾**
 أفقيين ، وهذا توضيح بوسوسة اللعين أي قال في وسوسته لهما ما نهاهما ربكما عن الأكل من
 هذه الشجرة إلا كراهية أن تكونا ملكين أو تعسبا من المؤمنين في الجنة **﴿وَأَسْهَلُ إِلَيْكَ الْيَمِينَ﴾**
 أفضحك أي حلف لهما يأنه على ذلك حتى خدعهما وقد خدع الأول من الله قال **﴿وَأَسْهَلُ إِلَيْكَ الْيَمِينَ﴾**
 ومع عبر بصيغة الجماعة للمبالغة لأن من يباري أحداً في فعل يجد فيه " **﴿وَأَسْهَلُ إِلَيْكَ الْيَمِينَ﴾** أي
 خدعهما بما خدعهما به من القسم بالله قال ابن عباس : غرهم بأنهم إذا لم يظروا أنه لا يحلف

٦- ﴿تَنْتَظِرُكَ مُوَيْبِقَةٌ﴾ بين ﴿تَنْتَظِرُكَ﴾ و ﴿مُوَيْبِقَةٌ﴾ طباق وكفكفك بين ﴿تَنْتَظِرُكَ﴾ و ﴿مُوَيْبِقَةٌ﴾ لأن «البيات» معناه ليلاً و «الموَيْبِقَةُ» معناه يهاوذا وقت الظهيرة .

٧- ﴿لَقَدْ تَنَبَّأْتُمْ ثُمَّ مَوَّرْتُمْ﴾ هو على حذف ضفاف أي علقنا أباكم وصورنا أباكم .

٨- ﴿لَا تَقْنَدُوا لَهُمْ يَرْغَبُوا﴾ استعار الصراط المستقيم لطريق الهداية الموصل إلى جنتان التعيم .

٩- ﴿زَيْفَةً﴾ فيه إيهاز بالحلف أي وعلنا يا آدم .

١٠- ﴿وَلَا تَخْرُجُوا خِيَرَةً﴾ عبر عن الأكل بالغرب مبالغة في النهي عن الأكل منها .

١١- ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا لَهُمْ تَمَنَّاؤَ كِبَارٍ﴾ أكد الخبر بالنسب ويان واللام للذبح شبهة الكذب وهو من الضرب الذي يسمى «إنكارياً» لأن السامع متردد .

١٢- ﴿بَيْنَا نَحْوُهُمْ وَبَيْنَا شُورُونَ﴾ بين المحملين طباق وهو من المحسنات البديعية .

فصية: سميت المورة سواة لأن كسبها يسوء صاحبها قال العلماء : في الآية دليل على أن كشف المورة من عظام الأمور وأنه مستهجن في الطباع ولذلك سميت سواة . أقول : إن الآية قد أوضحت هدف إبليس الدمين ﴿بَيْنَ عَيْنَيْهِمَا﴾ أي بين عينيها ﴿يُرِيدُهَا سَوْغَهَا﴾ فمن دعا إلي نمرى المرأة وشجع على ذلك كما هو حال من يزعم التضدية ويدعو المرأة إلى نزع الحجاب بدعوى الحرية والمساواة فإنما هو عدو للمرأة ومن أنهار وأعوان إبليس لأن الهدف واحد ، وهي دعوة مكشولة غابها التضيغ والانحلال المغلفي ، وليست التضدية بالكشف والنمرى وإنما هي بصفانة الشرف والمغاف والله هو القائل :

يا إبني إن أردت أية حسن
فأبني عدة الشرج بذا
وجمالاً يزين جسمها وعقلا
فجمال الشمس أسمر وأهلي
يصنع الصائمون ورداً ولكن
وردة الروع لا تضلر شكلا



قال الله تعالى : ﴿يَنْتَظِرُكَ مُوَيْبِقَةٌ مُكَلِّدًا رِيَقًا﴾ . إلى . ﴿وَمَا حَقَّاقُوا بِبَيْنِكَ يَخْتَارُ﴾ من آية (٣١) إلى نهاية آية (٥١) .

المُتَمَسِّبَةُ لما ذكر تعالى قصة آدم عليه السلام ، وذكر ما اعتن به على نبيه وما أكرم به عندهم من اللباس الذي يستر العورات ، أمر هنا بأخذ الزينة والتجميل في المناسبات وعند زيادة الصلاة ثم ذكر أحوال الآخرة وانقسام الناس إلى طوائف أهل الجنة ، وأهل النار ، وأهل الأعراف ، ومأل فريق من مساعدة أو شقاء في دار العدل والجزاء .

الزينة : ﴿يَنْتَظِرُكَ﴾ الزينة : ما يزين به المرء وتجعل من ثياب وغيرها ﴿الزَيْنَةُ﴾ جمع فاحشة وهي ما تنافي نبيعه من المعاصي ﴿الزَيْنَةُ﴾ الظلم والاستطالة على الناس ﴿سَوَّغَتْهَا﴾ حجة ويرهاناً ﴿تَنْتَظِرُكَ﴾ ثوب الإبرة ﴿يَهَادُ﴾ فراش يمتدده الإنسان ﴿غَوَائِرُ﴾ أعطية جمع غاشية

حَافِيَةً عَلَى الْكِبَرِ ۚ وَالَّذِينَ انْتَقَبُوا بِهَنَاءٍ لَّنَا وَلَئِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّاهُمْ لَأَذِلَّةٌ لَّهُمْ فَوَارِسًا لِّمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ

النفسيون: ﴿فَهَؤُلَاءِ عَذَابٌ وَسَّيْتُمْ بِهِ نَسِيحٌ﴾ أي البسوا أفسر ثيابكم وأظهر ما عندكم من حيلة أو خواف: ﴿وَسَقَطُوا وَفَرُّوا وَلَا تُقْرَبُوا﴾ أي لا تسرفوا في الزينة والأكل والشرب بما جهر بالنفس والماله: ﴿إِن كُنْتُمْ لَا تَحِبُّونَ النَّسِيحَ﴾ أي المتعدين حدود الله فيما أحل وحرم: ﴿قُلْ تَنَزَّاهُ عَنْهُ أَلَيْسَ الَّذِي فُتِنَ بِالْأَنْفِ وَالْأَفْئِدَةِ مِنَ الْحَرَمِ الَّذِي أَحْطَبْتُمْ فِيهِ عَفْوَ﴾ أي قل يا محمد نهضوا، اتجهلوا من الحرب الذين يظنونك بالبيت حرة، ويحرمون على أنفسهم ما أحلت لهم من الطيبات، من حرم عليكم التجميل بالثياب التي خلقها الله لضعفكم من الثياب، والمستلزمات من السائل والمشروب، والاستغفار للإنكار والتوبيع: ﴿قُلْ مَنْ يَلْبِسْ كَذِبًا فِي الْحَقِّ أَكْثَرُ خَالِفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي هذه الزينة والطيبات في الدنيا مغفورة للمؤمنين وإن شذوهم فيها الكفار، وستكون خالصة لهم يوم القيامة لا يشرهم فيها أحد لأن الله حرم الجنة على الكافرين: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي نبين ونوضح الآيات التشريعية لقوم يتدبرون حكمه الله ويفهمون تشريعه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ﴾ أي قل لهم يا سيد: ما حرم الله إلا الفواحش من الأشياء التي فاحت فبجها ونجاس ضررها، سواء ما كان منها في السر أو في العلن: ﴿وَالْأَنفُسَ الَّتِي أُبْطِلَتْ فِيهَا الْحَيَاةُ﴾ أي وحرم المعاصي كلها والمدون على الناس: ﴿وَمَنْ تَشَاوَرُوا فِي أَمْرٍ فَلَا ضَرَرَ وَلَا نَفْعَ لَهُ﴾ أي تجمعون، له شركاء في عبادته بدون حجة أو برهان: ﴿وَمَنْ قَرَأَ عَلَى اللَّهِ مَاءً فَكَفَّ نَارَهُ﴾ أي تغشوا وعلى الله الكذب في التحليل والتحرير: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ كَيْدُهُمْ أَكْثَرُ ۖ أَلَيْسَ الَّذِي فُتِنَ بِالْأَنْفِ وَالْأَفْئِدَةِ مِنَ الْحَرَمِ الَّذِي أَحْطَبْتُمْ فِيهِ عَفْوَ﴾ أي فإذا جاء وقت هلاكهم المقدر لهم لا يتأخر عنهم برهة من الزمن ولا يتقدم كقولهم: ﴿وَلَقَدْ أَقْرَبْتُمْ أَفْئِدَتَكُمْ لِمَا تُكْفَرُونَ﴾ أي تفتنونهم فزعموا: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْآيَةَ مِنْكُمْ وَلَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي الذين يبتغون منكم بغير الحق بغيركم لكم الأحكام والشروع: ﴿مَنْ يَلْبَسْ كَذِبًا يَلْبَسْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي من لبس كذب واستكبر عن الإيمان بما جاء به الرسل فأورثك في ما وجهته ما كسبت لا يخرجون منها أبدًا: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ كَيْدُهُمْ أَكْثَرُ ۖ أَلَيْسَ الَّذِي فُتِنَ بِالْأَنْفِ وَالْأَفْئِدَةِ مِنَ الْحَرَمِ الَّذِي أَحْطَبْتُمْ فِيهِ عَفْوَ﴾

(١) البصر فحيط ٢٢٢/١

(٢) هذا المراجع في تفسير الآية أن المراد به أجل الأمم الكاذبين للرسل وهو اختيار الغيري وابن كثير وأبي اسعد وقيل: المراد أن كل إنسان له عمر ينتهي إليه لا يزيد ولا ينقص، والاول أرجح لأن اللفظ ورد (وكل أمم) والله اعلم

العيم والكرامة حقاً، فهل وحدهم ما وعدكم ربكم من الخزي والهوان والعذاب حقاً؟ قال أهل النار مجيبين: نعم وحدهم حقاً قال الرءوسى: ^{١٠٩} «وإذا قالوا أنهم ذلك اغتباطاً بحالهم، وشهادة بأن النار، وزيادة في عذابهم لمحردة الإحسان والاستخبار» ^{١١٠} «فإنه لو لم يثبت لهم أن النار حقاً، لم يكن لهم أن يلقوا بها، ثم ينادى مناد بين الفريقين بأن الجنة، قلته على كل حال، ثم بالله ثم وصفه بقوله: ﴿ثَلَاثِينَ مِائَةً﴾ ثم قيل: ﴿ثَلَاثِينَ مِائَةً﴾ أي الذين كانوا في الدنيا يسمعون الناس من اتباع دين الله ويؤمنون أن تكون السبل معوجة غير مستقيمة حتى لا يبعثوا أحد، ﴿وَيَوْمَ يَأْتِيَهُمْ كَرْسُورٌ﴾ أي وهم يبعثون، الله في النار الأخيرة، كما يكون جبالدون، ﴿وَيَسْتَبَاطُ بِهَا﴾ وفي القرآن: ﴿يَقَالُ يَرْفُؤُنَا﴾ يعنيهم، أي بين الفريقين صحاب وهو السر الذي ذكره بقوله: ﴿فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ﴾ يعنيهم من أصل أهل النار لجنه، وعلى هذا السر وجان يعرفون كل من أهل الجنة وأهل النار بسميهم أي بعلامتهم التي يبرعون الله بها دل قناعة، يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة سواهم وجوههم، ^{١١١} «وإذا قالوا: ﴿ثَلَاثِينَ مِائَةً﴾ أي وصادى أصحاب الأعراف أهل الجنة حين رأوه أن ساء عليكم أي قالوا، لهم: سلام عليكم قال تعالى: ﴿لَا يَرْفَعُ رَجُلٌ يَدَهُ بِطُغْيَانٍ﴾ أي لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة وهم يعلمون في دعوتها ﴿وَرَأَى شَرْفَ شَرَفِهِمْ﴾ أي رأوا شرفاً لا تخفى مع القوم الكافرين، قال المفسرون: أصحاب الأعراف قوم استوت حسنهم وسيئتهم، ادبوا من أهل الجنة ولا من أهل النار، يحسبون هذا على السر حتى يقضى الله فيهم فإذا نظروا إلى أهل الجنة سلموا عليهم، وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا: ربنا لا تجعل مع القوم الظالمين، ساءوا لك ألا يجعلهم معهم قال أبو حنيفة: وفي التميمي بقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ دليل على أن أكثر أسوالهم شعر إلى أهل الجنة وأن ظهورهم إلى أصحاب النار ليس من قبله بل هم محصورون عليه والسمعى أنهم إذا جتمعوا على شرف أو صراحة ورأوا ما عليه أهل النار من العذاب استعانوا برأيهم من أن يجعلهم معهم» ^{١١٢} «وإذا أخذوا الكثرة، ﴿يَقَالُ يَرْفُؤُنَا﴾ يعنيهم، أي من أهل النار وهم رؤساء الكفرة» ^{١١٣} «قالوا: ﴿ثَلَاثِينَ مِائَةً﴾ أي أي شيء، شعركم جسمكم للعدا واستكباركم عن الإيمان؟ والاستفهام للشويع، ﴿أَمْ لَكُمْ أَلْفٌ أَلْفٌ أَلْفٌ﴾ أي أم لاكم ألف ألف أم لاكم ألف ألف؟ أي يقولون الذين كذبوا في الدنيا تسخرون منهم وتعلقون أن الله لا يدخلهم الجنة، والاستفهام استفهام تقرير وتوبيخ، وشهادة بوجوبهم بذلك، ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ كَذَبُوا﴾ أي يقولون أن الله لا يدخلهم الجنة، أي يقولون أن المؤمنين لا يخلوا الجنة، وهم ينفون الكافرين قال الأئمة: «هذا من كلام أصحاب الأعراف يقولون لأهل الجنة المشركين بهم: ادعوا في الجنة غير خائفين ولا محزونين على أكمل سرور وأنتم كرملة» ^{١١٤} «وإذا كان ذلك، فليسكن الله أن أيسر خلقاً من الدنيا، ثم ينادى ربكم الله، يسير تعالى عن المحاورة بين أهل النار وأهل الجنة بعد أن استقر بكنول من

^{١٠٩} القضي ١/١٦٦.

^{١١٠} المكشاف ١/٦١٢.

^{١١١} روح البصائر ١/١٢٦.

^{١١٢} البحر المحيط ١/٢٠٢.

الغريقين: الفرار والطمع! به الدار، وعز استغاثتهم بهم عند نزول: عظيم البلاء من شدة لعنهم والجنح والمعصي ينادونهم يوم القيامة أغثونا بنبي من السماء لنسكن به حرارة النار ولنعش أو معاً رزقكم الله من غيره من الأشربة فقد قلنا: لعنهم ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا نَعْلَمُ﴾ أي منع الكافرين شراب الجنة ونعيمها قال: ابن عباس: يتأذى الرجل أخاه وأباه ويقول: قد احترقت نأذه من عاقبة من السماء! فيقال لهم: أجيئهم فيقولون: إن الله سرحهم على اتكافهمين^(١) ثم وصف تعالى الكافرين بقوله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمْ قُلُوبُهُمْ قَدْ غُلِبَتْ فِي رُءُوسِهِمْ﴾ أي هزوا من دين الله وجعلوا الدين مستغربة ولعباً ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَنَجْزِيَنَّهٗ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي حدعتهم بزخارفها العاجلة وشهوها الفائلة وهذا شأنها مع أهلها تغر وتضمر، ونجدع ثم نصرع ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي قديم هذا كفرهم في النار وتسامهم مثل نصبتهم لهذا هذا اليوم لعظيم الذي ينفي ألا ينسى^(٢) وقال ابن كثير: أي بدلهم معاملة من لبهم لأنه تعالى لا يشك من عنده شيء ولا ينساه^(٣) ﴿وَمَا سَخَّرْنَا لِبَنِي إِدْرِيسَ أَهْلًا وَلَا لَمُوسَىٰ أَهْلًا﴾ أي وكما كانوا متكررين لأيات الله في الدنيا، يكذبوا بها ويستعززون، تسام في العذاب.

لبنائهم

١- ﴿وَبَرِّكَتٌ كَتَبْنَا﴾ مجاز مرسل علاقته المحزنة لأهل البحراء بالمحمد هنا الصلاة والطواف، ولما كان المسجد مكان الصلاة أطلق ذلك عليه.

٢- ﴿لَا تَنْفَعُكُمْ ثَمَرُ شَيْءٍ﴾ كناية عن عدم قبول العمل، فلا ينفع لهم دعاء أو عمل.

٣- ﴿مَنْ يَنْفَعُ أَهْلَ النَّارِ﴾ من نفعه من أي لا يدخلون الجنة بعدا من الأحرار إلا إذا تمكن دخول الجحيم في نهب لإبرء، وهو تعجيل للاستعجال.

٤- ﴿مَنْ يَنْفَعُ بَنِي إِدْرِيسَ أَهْلًا وَلَا لَمُوسَىٰ أَهْلًا﴾ قال صاحب البحر: هذه استعارة لما يحيط بهم من النار من كل جانب يقول ﴿مَنْ يَنْفَعُ بَنِي إِدْرِيسَ أَهْلًا وَلَا لَمُوسَىٰ أَهْلًا﴾^(٤).

٥- ﴿مَنْ يَنْفَعُ بَنِي إِدْرِيسَ أَهْلًا وَلَا لَمُوسَىٰ أَهْلًا﴾ طوق وهو من المعصيات البدنية، فائدة يروي أن لموسى كان له طبيب نصراني حاذق فقال ذلك الطبيب لأحد العلماء: ليس من كتابكم من علم الطب شيء، وإنما علم عجمي، علم الألبان وعلم الأديان! فقال له العالم: قد جمع الله تعالى الطب كله في نصف آية من كتابه اآل رماهي؟ قال: قولا تعالى: ﴿وَدَعَا رَبُّهُ لَوْلَا شَرُّهُ﴾ فقال النصراني: ولا يؤثر من رسولكم شيء، في الطب! فقال العالم: قد جمع رسولك الطب في ألفاظ بسيرة اآل رماهي؟ قال: قولا: ﴿مَا عَلَّمْنِي يَتِيمًا﴾ من بطنه بحسب ابن آدم لفيما يتيم صلبه... الحديث فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجائنين من فناء^(٥).

(١) روح المعاني ١٢٧/٨.

(٢) البحر المحيط ٢٩٨/٤.

(٣) الطبري ٤٧٣/١٢.

(٤) مختصر ابن كثير ٢٤/٢.

(٥) هاشم فاضل ١٧/١٦٦١.

قال عبد فعول ﴿ زَلَّكَ جَنَّتُمْ بِكَتَبِ حَمَلَتْهُ عَى ... يَلَى إِلَى ... وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ من آية (٥٢) إلى نهاية آية (٧٦) .

الفاصلة. ثم ذكر تعالى حال التكفير الاثمية، وخبرناهم العادسة في الآخرة، ذكر هنا أنه لا حجة لأحد فقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لهداية البشرية، ثم ذكر قصص بعض الأنبياء فبدأ بنوح عليه السلام شيخ الأنبياء، ثم أعقبه يذكر هود عليه السلام وموقف المسترربين من دعوة الرسل الكرام.

ملفحة - ﴿تَأْتِيَهُ﴾ عاقبة أسره وما يقول إليه من أن يقول إذا حصل إليه ﴿أَسْتَوَى﴾ الاستواء :
 العلم والاستقرار قال الجوهري : استوى على ظهر القبة استقر واستوى إلى السماء قصد ،
 واستوى الشيء إذا اعتدل ﴿يَتَنَبَّأُ﴾ ينطق ﴿تَنَبَّأُ﴾ سريعاً والحدث : الإعجاز والسرعة ﴿تَنَزَّلُ﴾
 تناعل من هبة وهي الكثرة والانتعاش قال الأزهرى : تنزلني تعالى وتدعظم وارفع ﴿تَنَزَّلُ﴾
 تنزلت ولمسكاته وهو إظهار الفضل الذي في النفس مع الخشوع ﴿وَتَقْبَلُهُ﴾ سرّاً ﴿يُنْزِلُ﴾ مبشرة
 بالمطر ﴿أَنزَلْتُ﴾ سمعت ﴿يُنْزِلُ﴾ النسر الغليل ﴿بَنَاءُ﴾ الآلاء نعم واحدها إلى كوفي .

[illegible]

حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْمُدُنَ فَإِنَّا بِهَا نَسِيرٌ ﴿١٠﴾ كُنْتَ مِنَ الْمَكِينِ ﴿١١﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بَعْثٌ
وَعَسَىٰ أَنْ تَبْلُغُوا فِيهِ لِمَسَلَتْ أَيْمَانُكُمْ أَفْعَادًا وَأَنبَاءَكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَا تَصْنَعُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٢﴾ فَأَنبَأَتْهُمْ نَارُ الْجَهَنَّمَ دَخَلُوا فِيهَا وَكَانَتْ أَبْوَابُهَا زَاغِيَةً ﴿١٣﴾ وَمَا كَانُوا
مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾

الْمَكِينُ: ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ يَحْتَمِلُهُمْ بِكَافِرٍ ﴿١١﴾ أي ولقد جئنا أهل مكة بكتاب هو القرآن العظيم ﴿فَقَالَتْ عَنْ
يَاقُوتَ﴾ أي بينا معانيه ووضحنا أحكامه على علم منا حتى جاء قبلاً غير ذي عرج ﴿مَذَى زَيْفًا
لَقَدْ يَوْمَكُمُ﴾ أي هداية ورحمة وسعادة لمن آمن به ﴿فَعَلَّ يَنْظُرُونَ إِلَّا ظُهُورَهُ﴾ أي ما ينظر أهل مكة
إلا هاتية ما وعدوا به من المذاب والنكال قال قتادة: تاريخ: عاقبه ﴿يَوْمَ يَأْتِيَنَّ أَهْلَهُمْ﴾ هو يوم
القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْلَعُ سُوْرًا مِنْ قُرْآنٍ﴾ أي يقول الذين صيغوا وتركوا العمل به في الدنيا: ﴿قَدْ جَاءَتْ
رُسُلٌ زَيْنًا بِالْحَقِّ﴾ أي جاءتنا الرسل بالأنباء الصادقة وتحقق لنا صدقتهم فلم نؤمن منهم ولم نسمعهم
قال الطبري: أقسم المساكين حين حل بهم العقاب أن رسل الله قد بلغتهم الرسالة ونصحت لهم
وصدقتهم حين لا ينفعهم ولا ينجيهم من سطط الله كثرة النبل والقال: ﴿فَعَلَّ لَنَا مِنْ شُعْمَةٍ
فَنُشْفَرُ لَهَا﴾ أي مل لنا اليوم شفيح يخلصنا من هذا العذاب؟ استنهم فيه معنى النسي ﴿أَلَمْ نَرَا
فَعَلَّ قَدِ الْوَيْ كُنَّا نَحْمِلُ﴾ أو هل لنا من عودة إلى الدنيا لنعمل صالحاً غير ما كنا نعمله من
السماعسي وقبيح الأعمال؟ قال تعالى رذا عليهم: ﴿قَدْ خَيْرًا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّيْنَاهُمْ مَا كَانُوا
يَعْتَكِفُونَ﴾ أي خسروا أنفسهم حيث اهتموا بالخصيس القاني من الدنيا بالنفيس الباقي من الأعره
ويطلق عنهم ما كانوا يزعمونه من شفاعة الأنفة والأصنام ثم ذكر تعالى دلائل لقنوة والوحداية
فقال ﴿يَكُنْ تَكُنْ أَفْءُ الْوَيْ عَقْلُ أَشْكَرَكَ وَالْأَرْضُ فِي وَسْطِ لَهَا﴾ أي إن معبردكم وخالفكم الذي
تعبدونه هو المفرد بقدره الإيجاد الذي خلق السموات والأرض في مفاو سنة أيام من أيام الدنيا
قال القرطبي: لو أراد لخلقها في لحظة ولكنه أراد أن يعلم العباد تثبت في الأمور: ﴿فَمَنْ أَسْتَوْزَى
عَلَىٰ أَتَمَرِي﴾ أي استوله بلبين بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف كما هو مذهب
السلف وكما قال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب
والسؤال عنه بدعة وقال الإمام أحمد رحمه الله: أخبار الصفات تمر كذا جاءت بلا تشبيه ولا
تعطيل فلا يقال: كيف؟ ولم؟ نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة
يلعبها واصف أو بعدها حاد، نقرأ الآية والخير ونؤمن بما فيها ونكل الكيفية في الصفات إلى
علم الله عز وجل: وقال القرطبي: لم ينكر أحد من السلف الصالح أنه مستوي على مرشد
حقيقة وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته: ﴿يَنْشِئُ الْبَيْتَ الْبَيْتَ بَطْنُهُ نَبِيَّهُ﴾ أي
يفضي الليل على النهار فيذهب بغضه ويطلبه سريراً حتى يدركه ﴿وَالْقَسْرَ وَالْقَسْرَ وَالْقَسْرَ

نبي بعثه الله بعد إدريس، ولم يلق نبي من الأذى مثل نوح^(١) ﴿فَقَالَ يَتَوَلَّوْا إِنِّي مَأْكُومٌ﴾^(٢) أي وحدوا الله ولا تشركوا به فما لكم إيه مدد حتى للعبادة غيره ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي إن أشركتم به ولم تؤمنوا بأنا أعباد ما ربكم عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة ﴿قَالَ أَتَقْلَبُونَ قُلُوبَكُمْ﴾ أي فلو كنتم في شك من نبيي فقلوبكم من قومه: إنا لنفرك يا نوح في ذهب عن طريق الحق والصواب وأصبح جلي قال أبو حيان: ولم يجه من قومه إلا أشراهم ومساكنهم وهم الذين يخاصمون على الرسل لأنهم من عقولهم بالذبا وطلب الرئاسة^(٣) وهكذا حال النصارى الذين يرون الأبرار في صلاة ﴿فَقَالَ يَتَوَلَّوْا إِنِّي مَأْكُومٌ﴾^(٤) ولكني رسول من ربكم ﴿أَتُنْكِرُونَ﴾ أي ما أن يضاف وتكون أن مرسل إليكم من عند ربكم إمامك لأمرهم الشاغل لكم لا مصلحة ﴿أَتُنْكِرُونَ بَشَافَتِي وَالصُّحُفَ الَّتِي أُعْطِيَ وَأَعْلَمُ بِرَبِّكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي أنا أبلغكم ما أرسلني الله به إليكم وأتعدد صلاحكم وخيركم وأعلم من الأمور غيبية أشياء لا علم بكم بها قال ابن كثير: وهذا شأن الرسول أن يكون مبشرا نصيحا عالما بالله لا يدركه أحد من خلق الله في هذه الصفات^(٥) ﴿أَوَلَمْ يَحْشُرُوا أَن يُبْعَثُوا﴾ أي لا تعجزوا من هذا فإن هذا ليس بمعجيب أن يرسل الله إلي ربي منكم رحمة لكم وأهدى وإحسانا إليكم ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لَمُبَشِّرُونَ﴾ أي ليعرفكم هذا الرسول من العذاب إن لم تؤمنوا وتنفقوا ربكم وتسلمكم الرهمة بغيره ﴿تَكْفُرُونَ بِالْحَيَّةِ وَالْقُرْآنِ الَّتِي سَمِعْتُمْ فِي الْقُلُوبِ﴾ أي كذبوا مع حوام مدة بدمه بهم وأنجاه الله والمؤمنين معه في السفينة ﴿وَأَقْرَبْنَا قُلُوبَكَ عَلَى الْفُلَيْنَا﴾ أي جعلت المؤمنين منهم بالفرق ﴿إِنِّي أَخَذْتُ عَهْدَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي جعلت قلوبهم على الحق فهم لا يصرون ولا يهتدون له قال ابن عباس: جعلت قلوبهم من معرفة النوحين والنبوة والمعاد^(٦) ﴿فَأَن يَكُونَ لَكُمْ هُدًى﴾ أي وأرسلنا إلي قوم عاد آدم هو دا وكانت مددكم بالآحاد، باليسر ﴿فَأَن يَتَوَلَّوْا تُعَذِّبُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِلْمٌ﴾ أي قال لهم رسولهم: وحدوا الله ليس لكم من إله غيره ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي أَخَذْتُ عَهْدَ قُلُوبِهِمْ؟﴾ قال قتادة: كفوا عن قلوبهم، أي قال السادة والسادة منهم: إنا نرى أنك في مقامه ﴿إِنَّا نَعْلَمُكَ بِرَبِّكَ الْكَلِيمِ﴾ أي ترك لي خصا حلم وسخوة عقل وإننا نعلمك من المدبرين في أحوال الرسل ﴿قَالَ يَتَوَلَّوْا إِنِّي مَأْكُومٌ﴾ ولكني رسول من ربكم أبلغكم في نبيي كما توسعون نفس في العقل ولكني مرسل إليكم بأهداية من رب إمامين ﴿أَلَيْسَ بَيْنَكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ﴾

(١) انظر ترجمة نوح مفصلة في كتابنا (النبوة والآيات).

(٢) السجدة ٢١/٢٠.

(٣) لم يأت التركيب (نفس في فلال من) بل جاء في غاية الحسن ﴿يَتَوَلَّوْا إِنِّي مَأْكُومٌ﴾ ليعلم أن بلقيس أو عذراة صلاة لها وقد أبلغ من الانثناء من الضلال بل يتعلق به ولا خلافة راحته أقاد صلات البحر.

(٤) مختصر ابن كثير ٢٨٢٢. (٥) السجدة ٢٢/٢٢.

فَأَمَّا رَأْسُ الْإِبْرَاهِيمَ الْأَوْسَى عَزَّ وَفَوْزَهُ تَعَالَى ﴿فَذَقُوا رِزْقَكُمْ تَعْبُثًا وَنَعْبُثًا﴾ من الحاحس
لنصرته ثم قال: لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء به بسبع نهم حوت إن كان إلا عسا
منهم وبين ربهم وذلك أنه تعالى يقول ﴿ذُقُوا رِزْقَكُمْ تَعْبُثًا وَنَعْبُثًا﴾ وأنه سبحانه ذكر عبدا صالحا
يقال ﴿إِنْ مَاتَ أَمْ بَاءَ عَيْتٌ﴾ ثم قال: وذكره للدعاء بأربع كثيرة منها: أن يكون على طهارة،
وأن يستل القلفة، ويحلب القلح من الشراخيل، وإفصاحه وإخضامه بالصلاة على النبي ﷺ ورفع
يدين حجر السماء، وإشراك المؤمنين فيه، ونحوى سمعت الإجابة كثلث الليل الأخير، وفيه
فطار الأرواح. ويوم الجمعة وهو ذلك.

777

فَلَمَّا زَاغَ الْيَوْمُ قَالَ: هَؤُلَاءِ نَسْوَةٌ الْفُجُورِ ۖ فَلَمَّا هَمَّ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ نَارُ السَّمَاءِ فَتُلَاقِيَهُمْ بِالسَّحَابِ فَسَوَّاهُمْ حَرًّا ۖ فَلَمَّا فَسَّوْنَهُمْ قَالَ أَوْ لَعَنَ اللَّهُ الْفُجُورَ ۖ (سورة النور: ٢٥)۔

المفاضلة لما ذكر تعالى في آية النور: قصة آدم، وما انفصل به من آثار قدوته، ونعم أب
بنيته، الدالة على توحيد مربيته، وأقام الحجة لادامته على صفة السمكة بعد السموت، أي
ذلك بتعمير الأب، وما جرد لهم مع أسهم، فذكر نوحاً، هوذا وعُقبه ما يدرك فحة صالح
وشعيب، وموقف المائدة للرسول الكريم.

[illegible][illegible]

﴿أَفَلَمْ تَكُنْ مِنْكُمْ مَكِيفًا مِمَّا سَأَلَكَ الرَّسُولُ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي أن الله أرسله إليكم، وهذا لما هو على سبيل السفرية ولا استهزاء ﴿فَأَمَّا إِنَّا بِمَا أُرْسِلُوا بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ أي أسألوهم بالأسلوب الحكيم المألوف إلا برسالة قال أبو حيان: ومع ذلك هم عن قولهم (هو رسول) أي قولهم: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلُوا بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ في غيبة الحسن إذ أمر رسالته معلوم واضح مسلم لا يدخله ريب لما أتى به من هذا المعجز المخارق لعطية فلا يحتاج أن يسأل عن رسالته^(١١) ﴿قَالَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ بَنِي إِدْرِيسَ أَنْبِيَاءَ﴾ أي قال المشككون نحن فامرونا بما صدقتم به من نبوة صالح وإنسانه يقولوا. إننا يا أرسى لا كفرون إظهارا لمخالفتهم إياهم ورفضًا لقتالهم ﴿تَتَّبِعُوا آلَئِنَّهٗ وَكُنْتُمْ أَغْرَابًا بِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي اتبعوا آلئ�ه واستكبروا عن امتثال أمر الله ﴿وَقَالُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءَ سَآءَ مَا يَدْعُونَ بِكُم كُفًّا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي دعنا يا صالح بما تدعنا من العذاب الذي نخوفنا به إن كنت يا صالح حادًّا راسلًا، دعنا ذلك استهزاء به وتحمييزًا ﴿فَأَمَّا لَهُمْهُمُ الرُّسُلُ أَفَلَمْ يَكُنُوا مِنْهَا يَذَّابِقِينَ﴾ أي أخذت الرسل الشدة فصاروا في منازلهم هامدين موسى لا حراك لهم قال في البحر: أخذتهم صبرة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء - له صوت في الأرض قطعت لغروبهم وهنكوا^(١٢) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُمُ الْغُلَّةَ فِي الْوَادِعِ﴾ رسالة ربي ونصحت لكم ولعلكم لا تجنون أنبياءكم ﴿أَيُّ دِينِهِمْ صَلَاحٌ يَعْدِلُهُمْ وَأَخْلَكَهُمْ مَا جَرَىٰ عَلَيْهِمْ وَقَالَ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّجَمُّعِ وَاشْتَعَرِ عَلَيْهِمْ لَقَدْ بَلَغَكُمْ الرِّسَالَةُ وَهَدَيْتُكُمْ عَذَابَ اللَّهِ وَبَذَلْتُ وَمَعِيَ فِي صَبِيحَتِكُمْ وَلَكِنْ شَأْنُكُمْ الْأَسْتِرَارُ عَلَىٰ بَغْضِ النَّاصِحِينَ وَعَدَاوَتِهِمْ قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ: ﴿وَلَكِنْ لَا تَجْعَلُوا تَتَّبِعِيكُمْ﴾ حكاية حال ضافية قد يقول المرء على نصاحته وهو ميت - وكان قد صعبه شيء فلم يسمع منه حتى القي بنفسه في التهلكة - يا أيي كنه نصحتك ولم قلت لك فلم تقبل، حيي^(١٣) ﴿وَنُوحًا إِذْ قَامَ يُقْوِمُهُ الْاِنۡشَاءَ الْاَوَّلَىٰ وَاسْتَفْتَىٰكُمْ بِأَمْرِ آلِهِمُ نَزَحَ الْقَتَنِينَ﴾ أي وأذكر وقت أن قال لوط لغيره أهل سدوم على سبيل الإثارة والتوبيخ: أفعلوا تلك الفعلة الشنيعة العنصرية في الفجيع التي ما عملها أحد قبلكم لي: من من الأزمان! والفاحشة من إتيان المذكور في الأدبار أنكر عليهم أولًا فسيهاه وبخههم بأنهم أول من فعلها قال أبو حيان: ولما كان هذا الفعل معهم ذاك فبجده - ومرتدًا في العنول فحدثهم أنه به معمر بالآلف واللام ﴿فَلَتَجِدَنَّ بَخْلَافَ الزَّوْجِ فَإِنَّهُ قَالَ نَبِي: ﴿هَٰؤُلَاءِ حَقَّاقُ فِتْنَةٍ﴾ فأتى به حكرًا، ولجعله اعنفية ﴿فَمَا سَتَفَكُّمُ﴾ يدل على أنهم أول من فعل هذه الفعلة القبيحة وأنهم مبتكروها، ولجملالة في ﴿مَنْ أَمَرُوا﴾ حيث زهدت (من) تأكيد نفى الجنس، ومن الإيذان بعموم ﴿أَنَّهُ لَيُبَيِّنُ﴾ جدهما قال عمرو بن دينار: ما يؤمن بكره على ذكر قبل قوم لوط^(١٤) ﴿يُنۡصِتُونَ هَٰؤُلَاءِ لِقَوْلِ الرَّسُولِ إِذْ يَدْعُوهمُ إِلَىٰ تَرْكِ الْفَاحِشَةِ وَهُمْ تَرِيخُ أَعْرَافِهِمْ مَعَا سَبَقَ لَتَأْكِبَهُ بَنَ وَمَالَهُمْ أَيُّ يَكُمُ أَيُّهَا الْقَوْمُ لَنَأْتِيَنَّ الرَّجَالَ مِنْ دُبَارِهِمْ شَهْرَةٌ مِنْكُمْ لَدَلِكِ الْفَعْلِ

(١١) البحر ٢٢٠/٢٤

(١٢) البحر ٢٢٢/٢٤

(١٣) البحر ٢٢٠/٢٤

(١٤) البحر ٢٢٢/٢٤

الغيث المكروه دون ما أحله الله لكم من النساء؟ ثم أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم
 بالحال التي توجب تركاب الفواحش وتباع الشهوات فقال: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُشِيرُونَ﴾ أي لا عذر
 لكم بل أنتم عادتكم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء قال: أبو السمرة: وفي التفسير
 يقول: ﴿تُشِيرُونَ﴾ وصف لهم باليهودية العسرة وتنبه أن العاقل ينبغي على أن يكون الداعي له إلى
 العبادة طلب الولد وبقاء النسل لا قضاء الشهوة^١ ﴿وَرَبُّكَ مَنَّكَ بِكَ قَوْمٌ قَرِيبٌ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا
 أَكْثَرُكُمْ تَبْنِي وَتَبْنِيَكُمْ بِهَهُمْ فَكُنْ يَتْلُوهُمْ﴾ أي ما كان جرابهم للوط إذ وبخهم على فعلهم القبيح
 إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً وأتباعه المؤمنين من بلدكم لأنهم أناس يتنزهون عما
 فعله نحن من إتيان الرجال في الأديار، قال ابن عباس ومجاهد: ﴿بِهَهُمْ أَنَّهُمْ أَنَّهُمْ يَتْلُوهُمْ﴾ أي
 يتفقدون عن إتيان أهبار الرجال والنساء، قالوا ذلك سخرياً واستهزاءً بلوط وقومه وما بهم بما
 يمدح به الإنسان ﴿فَأَنبِئْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ بِإِذْنِكُمْ إِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا فِي دُورٍ مِّنْكُمْ يَتْلُوهُمْ﴾ أي أنبئهم
 بقومهم وأهل المؤمنين إلا أمراته فلم تنج وكانت من البائسين في ديارهم الهالكين قال الطبري: أي
 أنجبنا لوطاً وأهله المؤمنين به إلا أمراته فإنها كانت للوط غاشية وبالله كافرة فهلكت مع من هلك
 من قوم لوط حين جاءهم العذاب^٢ ﴿وَأَنبِئْهُمْ عَنْهُمْ تَكُونُوا﴾ أي أرسلنا عليهم نوعاً من المطر
 عجيباً هو حجارة من سجيل كما في الآية الأخرى ﴿وَأَنبِئْهُمْ عَنْهُمْ تَكُونُوا﴾ أي أرسلنا عليهم نوعاً من المطر
 العذاب بالمطر العذراو لكثرته حيث أرسل المطر ﴿وَأَنبِئْهُمْ عَنْهُمْ تَكُونُوا﴾ أي أنظر أيها السامع إلى عاقبة هؤلاء المجرمين كيف كانت؟ وإلى أي شيء صارت؟ هل كانت
 إلا البرار والهلاك؟ ﴿وَأَنبِئْهُمْ عَنْهُمْ تَكُونُوا﴾ أي أنظر أيها السامع إلى عاقبة هؤلاء المجرمين كيف كانت؟ وإلى أي شيء صارت؟ هل كانت
 أي وأرسلنا إلى أهل مدين شعيباً داعياً لهم إلى توحيد الله وعبادته قال ابن كثير: ومدين تطلق
 على الضيلة وعلى المدينة وهي التي بقره (مغان) من طريق الحجاز وهم أصحاب الأيكة كما
 سندهم^٣ ﴿فَقَدْ بَايَعْتُمْ بَيْعَةً يَنُفِذُكُمْ﴾ أي معجزة نزل على صدقي ﴿فَقَدْ بَايَعْتُمْ بَيْعَةً يَنُفِذُكُمْ﴾ أي
 وألبسكم أي ألبسوا الناس حقوقهم بالكيل الذي تكيلون به والوزن الذي توزنون به ﴿وَلَا تَحْسَبُوا
 أَنَّكُم مِّنْ أَتْلُكُمْ﴾ أي لا تظنوا الناس حقوقهم ولا تنتصروهم إياها ﴿وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّكُم مِّنْ أَتْلُكُمْ﴾ أي لا
 تظنوا أنكم من أتلىكم أي لا تعملوا بالمعاصي في الأرض بعد إصلاحها بيعة الرسل ﴿وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّكُم مِّنْ أَتْلُكُمْ﴾ أي لا
 تظنوا أنكم من أتلىكم أي ما أمرتكم به من إخلاص العبادة لله وإيقاد الناس حقوقهم وترك الفساد
 في الأرض خير لكم إن كنتم مصدقين لي في قلبي ﴿وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّكُم مِّنْ أَتْلُكُمْ﴾ أي لا تظنوا أنكم من أتلىكم
 من سجيلكم أي لا تظنوا أنكم من أتلىكم أي لا تظنوا أنكم من أتلىكم أي لا تظنوا أنكم من أتلىكم
 كانوا يقدون على الظرفات المنفضية إلى شعيب فيترعدون من أوداء المحيي إليه ويصدونه
 ويقولون: إنه كذاب فلا تذهب إليه على نحو ما كانت تفعله قريش مع رسول الله ﷺ

١ الطبري ١٢/٢٠٦

٢ الطبري ١٢/٢٣٨

أبو السمرة ٢/١٧٨

مختصر ابن كثير ٢/٥٣

فَأَعَدَّتْهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠﴾ أَي وَلَكِنْ كَلِمَةً أَرْسَلَ فَأَعْقَبَتْهُمْ بِالْهَلَاكِ بِسَوْءِ كَسْبِهِمْ ﴿أَقَامُونَ أَهْلُ
 الْقَرْيَةِ أَنْ يَرْجِعَهُ تِلْكَ لَيْتَا وَهَمْ يَقُولُونَ﴾ الهمة للإنكار أي هل آمن هؤلاء المكذوبون أن يأتيهم
 عذابنا ليلاً وهم نائمون غافلون عنه؟ ﴿أَوَ لَيْسَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ لَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّا يَقُولُونَ؟﴾ أم
 هل آمنوا أن يأتيهم عذابنا ونكاسنا نهاراً جهاراً وهم يلهون ويستخفون بما لا يجدي كأنهم يظنون؟
 ﴿فَلْيَسْأَلُوا اللَّهَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أَي أَتَقَرَّبُ إِلَهُ إِلَّا أَنْقَرُوا الْكَلْبَ؟ أَي أَتَأْمِنُوا اسْتِدْرَاجَهُ إِيَّاهُمْ بِالْهَمَةِ
 حَتَّى يَهْلِكُوا فِي غَفْلَتِهِمْ؟ فَإِنَّهُ لَا يَأْمَنُ ذَلِكَ إِلَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ حَسَرُوا عَقْلَهُمْ وَزَانِسَاتِهِمْ فَعَارُوا
 أَخْرَجَ مِنْ إِيَّاهُمْ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ. الْمُؤْمِنُ بِحُجْلِ الطَّاعَاتِ وَهُوَ مُشْفِقٌ خَائِفٌ وَجَلِيلٌ
 وَالْفَاجِرُ يَحْمِلُ بِالْعَمَاسِي وَهُوَ مُطْمَئِنٌّ آمِنٌ ﴿يُؤَلِّمُ تِلْكَ لَيْلِيَّ زُفُورًا﴾ الْأَرْضُ مِنْ سَبَدِ أَهْلِهَا
 أَي أَوْ لَمْ يَنْصَحْ وَيَتَنَبَّهْ لِلَّذِينَ يَخْلِفُونَ الْأَرْضَ بَعْدَ هَلَاكِ أَهْلِهَا الَّذِينَ كَانُوا يَحْمِلُونَهَا قَبْلَهُمْ
 وَلِأَمْرِهِ بِهَا كِفَارٌ مَكَّةُ وَمِنْ حَوْلِهَا ﴿فَأَنْ كُنَّا نَكْفُرُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أَي لَوْ أَرَدْنَا لَأَهْلَكْنَاكُمْ بِسَبَبِ
 ذُنُوبِكُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ قَالَ فِي الْبَحْرِ: أَي قَدْ هَلَعْتُمْ مَا حَلَّ بِهِمْ أَنْفَ تَحْتَلُونَ أَنْ يَحْلَ بِكُمْ
 مَحَلٌّ بِهِمْ فَذَلِكَ لَيْسَ بِمَنْتَعٍ عَلَيْنَا لَوْ شِئْنَا ﴿وَنُفْلِتُ عَنْ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ أَي وَخَسِمَ
 عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يَقِيلُونَ مَوْعِظَةً وَلَا تَذَكِيرًا سَمِعَ مُنْتَفِعٌ بِهِمَا ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ الْآيَاتِ﴾
 أَي تِلْكَ الْقَرْيَةُ الْمَذْكُورَةُ تَقْصِي عَلَيْكَ بِأَسْخَدِ بَعْضِ أَهْلِهَا وَمَا حَصَلَ لِأَهْلِهَا مِنَ الْخَسَفِ
 وَلِزَجْفَةِ وَالرَّجْمِ بِالْحِجَارَةِ لِيَعْتَبِرَ بِذَلِكَ مَنْ يَسْمَعُ وَمَا حَدَّثَ أَعْمَلُ وَأَنْفَعُ ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الْمَثَلِينَ
 الْيَتِيمَ﴾ أَي جَاءَتْهُمْ بِالْمَعْجَزَاتِ وَالْمُجِيبِ انْقِطَاعَاتِ ﴿وَمَا كَانُوا يَنْتَظِرُونَ﴾ كَمَا كَانُوا يَنْتَظِرُونَ بِمَا كَانُوا
 قَدْ كَانُوا الْيَقِينُ بِمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ لَتَكُنِّيَهُمْ إِيَّاهُمْ فَلَمَّ حُجَّتْهُمْ بِالْمَعْجَزَاتِ وَبَعْدَ
 سَبِيحَتِهِمْ مِمَّا لَحَالَهُمْ وَحَدَّثَ فِي الْقُرْآنِ وَالْعِلَالِ قَالَ الرَّمَضَانِيُّ: أَيُ اسْتَمَرُوا عَلَى التَّكْذِيبِ مِنْ
 لَدُنْ مَجِيءِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ مَصْرُفِينَ لَا يَرْعَوْنَ مَعَ تَكَرُّرِ الْخَوَافِقِ عَلَيْهِمْ وَتَنَاسُخِ
 الْآيَاتِ ﴿كَذَلِكَ يَنْصَبُّ أَفْئَةً عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ أَي مِثْلَ ذَلِكَ أَنْفَعُ الشَّدِيدِ الْمَحْكَمِ بَطِيحٍ عَلَى
 قُلُوبِهِ الْكَافِرِينَ فَلَا يَكَادُ يُولِّرُ فِيهِمْ النَّفَرُ وَالْآيَاتُ وَفِي تَحْدِيدِ الْمَسَامِيرِ: ﴿وَمَا زِينَةً يُذَخِّرُونَ بَيْنَ
 عَيْنَيْهِمْ فَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ الْآيَاتِ﴾ أَيُ مَا وَجَدْنَا لَأَكْثَرِ النَّاسِ مِنْ رِفَاءٍ بِالْعَهْدِ بَلَّ وَجَدْتُمْ
 خَرَجْتُمْ مِنَ الْبَطْلَةِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ فَالْإِنْ كَثِيرٌ. وَالْعَهْدُ الَّذِي أَخَذَهُ: هُوَ مَا فَطَرَهُمْ عَلَيْهِ وَأَخَذَهُ
 عَلَيْهِمْ فِي الْأَسْلَابِ أَنَّهُ رُبُّهُمْ وَمَلِكُهُمْ فَخَانَهُ وَعَدُوا بِاللهِ غَيْرَهُ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ مِنْ حُضْرِ
 وَلَا شَرَعٍ ﴿ثُمَّ يَفْتَنُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ لَوْفًا وَيَكِيدُوا﴾ أَي ثُمَّ يَفْتَنَانَا مِنْ عَدَا الرَّسْلِ الْعَقْدَةِ ذَكَرَهُمْ مَوْسَى
 بْنِ عِمْرَانَ بِالْمَعْجَزَاتِ الْيَافِرَاتِ وَالْحُجَجِ السَّاعِغَاتِ ﴿إِنِّي رَافِعُونَ وَمَكِيدُونَ﴾ أَي أَوْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ
 مَلِكِ مِصْرَ فِي زَمَنِ مَوْسَى - وَفَرَمَهُ ﴿فَلَقَلْنَا بِهَا﴾ أَي كَفَرُوا وَجَحَدُوا بِهَا طَلَبًا وَعَصَاةً ﴿فَلَطَمَ
 كَيْفَ كَامَرَهُ عَيْنُهُ الْكَلْبِيُّونَ﴾ أَي انْظُرْ أَبْهَى السَّامِعِ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ الْمُفْسِدِينَ الْعَالَمِينَ كَيْفَ

(١) البحر: ٢٥٠/١

(٢) ابن كثير ٢٨/٢ المختصر .

(٣) مختصر ابن كثير ٢٩/١ .

(٤) الكتاب ١٢٥/٢

أغرفناهم عن آخرهم يسرى من موسى وقومه ، وهذا أبلغ في التكامل لأعداء الله ، وأشد في القلوب
 أولياء الله ﴿وَقَالَ ثَوَمَسُ يَمْرُوتُؤُا يَا رَسُولَ رَبِّ كَلْتَلِيئُ﴾ أي إني رسول إليك من الخالق
 العظيم رب كل شيء ، وخالقه ومليكه ﴿عَبِيئُ عَزَّ أَلْ أَقُولُ عَزَّ أَقُولُ يَا الْحَزَّ﴾ أي حدير بي وحز
 علمي أن لا أجزر عن الله إلا بما هو حق وصدق لما أعلم من جلاله وعظيم شأنه ﴿وَلَمْ يَسْتَحْكَمْ
 يَنْتَهَرُ بِكُمْ فَأَرْبَلُ نَبِيَّ يَبْرُكُ﴾ أي حثتكم بحجة قاطعة من الله تشهد على صدقي فحق
 والثرك مسيل بني إسرائيل حتى يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم^(١٠١) قال أبو
 حيان : ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية فدفعه موسى مقول : ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ كَلْتَلِيئُ﴾ بيده
 على الرعدة ، الذي أدهاه وأده فيه مبطلا لا محذور ، ولما كاد قوله : ﴿عَبِيئُ عَزَّ أَلْ أَقُولُ عَزَّ أَقُولُ﴾
 إلا أنقذ ﴿وَدَفْعًا بِمَا بَدَلُ عَلَى صَحَّتْهَا وَهُوَ قَوْلُ﴾ ﴿وَلَمْ يَسْتَحْكَمْ يَنْتَهَرُ بِكُمْ﴾ ولما قرأ
 رسالته فرغ عليها بتلخيص الحكم وهو قوله ﴿فَأَرْبَلُ نَبِيَّ يَبْرُكُ﴾^(١٠٢) ﴿وَلَمْ يَسْتَحْكَمْ يَنْتَهَرُ بِكُمْ﴾
 فَبَيَّ بَأْ يَ كَلْتُ يَبْرُكُ يَنْتَهَرُ بِكُمْ﴾ أي قال فرعون لموسى : إن كنت جئت بأية من ربك كما تدعي
 فأحضرها عندي لينبت بها صدفك في دعواك ، قال ذلك على سبيل التمجيد لموسى ﴿فَالْعَزَّ
 عَزَّ فَيَا بِنِ كَلْتُ يَبْرُكُ﴾ أي فؤاد بها حية ضخمة طويلة قال ابن عباس : تحولت إلى حية عظيمة
 فأنزله فاهد مسرعة نحو فرعون و﴿يَبْرُكُ﴾ أي ظاهر لا متخيل ﴿يَبْرُكُ عَزَّ فَيَا بِنِ كَلْتُ يَبْرُكُ﴾ أي
 أحرجها من حبه فإذ هي بيضاء بياضا نورانيا معينا مغيب نورها نور الشمس قال ابن عباس :
 كان ليد ، نور سطع يصير ما بين السماء والأرض ﴿فَالْأَقْلَ بِنِ قَوْمِ فَرْعَوْنَ يَكُ هَذَا لَسَبْرُ عِلْمُ﴾
 أي قال : لأشرف منهم وهم أصحاب مشورته : إن هذا عالم بالسحر ماهر في وفولهم . ﴿فَالْعَزَّ
 أَيِ بِالْعِ الْغَايَةِ فِي عِلْمِ السَّحْرِ وَخُدْعِهِ وَقُوَّةِ﴾ ﴿يَبْرُكُ لِي يَبْرُكُ بِنِ كَلْتُ يَبْرُكُ﴾ أي يحذر حثكم من أرض
 مصر بمصره ﴿فَكَذَّ تَأْمُرُوكَ﴾ أي ما يشرع تأمررون أن تفعل في أمرك ، وبأي شيء تشيرون فيه ؟
 قال القرطبي : قال فرعون : فماد تأمررون ؟ وفل - هو من قول المصلا أي قالوا المصرون وحده :
 ﴿فَكَذَّ تَأْمُرُوكَ﴾ كما يخاطب الحبارون وليرؤساء . ما ترون في كذا^(١٠٣) ﴿فَالْأَقْلَ بِنِ قَوْمِ فَرْعَوْنَ يَكُ هَذَا لَسَبْرُ عِلْمُ﴾
 في كذا كبر سببه ، في أقر أمرك ما حدى ترى وإليك فيه ، وأمر في هذه البلاد من جماع
 السحرة ﴿فَالْأَقْلَ بِنِ كَلْتُ يَبْرُكُ﴾ أي يأنون بكل ساحر مثله ما هو في السحر ، وكان رؤساء
 السحرة ياتنص صعيد مصر ﴿وَكَلْتُ الْفَتَرُؤُا يَنْتَهَرُ بِكُمْ فَيَا بِنِ كَلْتُ يَبْرُكُ﴾ أي حثتكم عن التلبيز ، في
 الكلام محذوف يدل عليه السياق وهو أنه بعث إلى السحرة وطلب أن يحضروا له فمما جموا
 فرعون قائلا : إن لنا لأجرا عظيما إن نحن غلبنا موسى وهنأه وأهله سحرة ؟ ﴿فَالْأَقْلَ بِنِ كَلْتُ يَبْرُكُ﴾

(١٠١) قال المصرون : كان سبب مكس بني إسرائيل حذرهم أن لا يعلم كان بالأرض المقدسة أن الأسباط أولاد
 صوب - جاءوا مصر إلى أجيهم يوسف فمكثوا وناسوا في مصر فلما ظهر فرعون اسمهم واستعملهم من
 الأعمال الشاقة تأنى موسى أن يخلصهم من هذا الأمر ويدعهم إلى الأرض المقدسة وطن آبائهم .

لَيْسَ تَلْعَنُوا ۚ أَيُّ قَالَ فَرَعُونَ: نَعَمْ نَكْفُرُ الْآخِرَ وَلَمْ نَكْفُرْ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ أَحْمِلَكُمْ مِنَ الْقُرْبَىٰ أَيُّ مِنْ أَمْرٍ خَاصٍّ وَأَمِنْ مُشْتَرَكٍ، قَالَ الْفَرِطِيُّ: وَهَذَا عَلَى مَا طَابُوا ۚ ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ قَالَ لَنْ نَكْفُرَ عَنْ تِلْكَ الْكُفْرَةِ﴾ أَيُّ قَالَ السَّحَرَةُ لِمُوسَى: اخْرُجْ إِنَّ نَافِثِيَّ عَصَاكَ أَوْ مِثْلِي نَحْنُ عَصِيَّا قَالَ لَمْ يَخْشَرْهُ تَحْيِيرُهُ إِيَّاهُ أَوْ حَسَنَ كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْبُصَائِرِ إِذَا التَّلَوُّ كَانَتْ ظَهْرِي فَبَلَ أَنْ يَخْرُجُوا فِي الْجِدَالِ ۚ هَذَا مَا قَالَهُ الْفَرِطِيُّ: وَالْأَطْهَرُ أَنَّهُمْ قَالُوا: دَلَّتْ مِنْ بَابِ الْاِعْتِرَافِ الْبُغْيُ وَتَوَهُمُ الْعُقُوبَةُ وَعَذَابُ الْكَافِرَاتِ بِأَمْرِ مُوسَى كَمَا يَقُولُ الْفَعْدُ: نَعَصَهُ: أَلْدَأُ أَوْ دَعَا ۚ ﴿قَالَ تَلْعَنُوا فَلَمَّا أَلْعَنُوا سَكَنُوا مُوسَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مُوسَى: كَلِمَاتُ مَا أَنْتُمْ مَبْغُوتُونَ فَلَمَّا كَلِمَاتُ الْعَصِيِّ وَالْحَدِّ مَحْرُوبًا أَعْنِ الْإِنْسَانُ عِبْرَتُ الْإِلَهِيَّةِ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتْلُو بَيْنَ يَدَيْهِمْ ثُمَّ يُلْقَى الْأُحْصَى وَهُمْ لَا يُحْصَوْنَ﴾ أَيُّ أَفْرَعُوهُمْ وَأَرْهَبُوهُمْ زَهَابًا شَدِيدًا مَبْثُوحًا حِيلُوهَا حَبِثَاتٌ تَسْمَى رِجَالُوهَا بِسَحَرٍ مُقَرَّبٍ بِهَيْبَةٍ مِنْ وَهٍّ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: جَدَّ عَصَا سَحَرُ كَدَّ، سَحَرٌ مَعَ كُلِّ سَاحِرٍ حَالُهُ وَعَصِيَّةُ وَفَرَعُونَ فِي مَجْهُدِهِ مَعَ أَشْرَافِ مَمْلَكَتِهِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا اخْتَلَفُوا سَحَرَهُمْ يَهُدَى مُوسَى وَخَصَرُ فَرَعُونَ، ثُمَّ أَبْصَارُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ شَمِّ الْقُرْصِ وَرَجُلٌ مَسَّاهُ مَا لَمْ يَدَّ مِنْ الْعَصِيِّ وَنَحْنُ إِذَا هِيَ حَبِثَاتٌ كَمَا قَالَ الْعِيَالُ قَدْ مَلَأَتْ الْوَادِي بِرُكَبٍ بَعْضُهَا بَعْضًا ۚ ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّ إِلَهِكَ أَلَيْسَ بِغَضَّافٍ مُؤَذِّمٍ ۚ فَلَمَّا تَلْعَنُوا مَا يُكْفَرُونَ﴾ أَيُّ أَرَحَا إِنَّهُ دَانَ الْقَوْمُ عَصَاكَ فَالْقَافَا مَوْذَا هِيَ: تَبْلُغُ بِسَرْعَةٍ مَا يَزِيدُ وَرَوْنَهُ مِنَ الْكَدِّ قُلْ ابْنُ عَمَامٍ: ﴿تَلْعَنُوا مَا يُكْفَرُونَ﴾ لَا تَحْرُسُهُ مِنْ حَبْلِهِمْ وَجَسَدِهِ الَّتِي أَفْرَعُوا إِلَّا الْإِنْفِثَةَ ﴿وَقَالَ تَلْعَنُوا تَلْعَنُوا مَا كَانُوا يَتَلْعَنُونَ﴾ أَيُّ ثَبَّتَ وَظَهَرَ أَيْضًا لِمَنْ شَهِدَهُ وَخَصَرَهُ. وَيَطْلُقُ ذَلِكَ السَّحَرُ وَكَلْبُهُ وَمَحْبِسُهُ ﴿تَدِيرُ مَا يَكُونُ﴾ أَيُّ غَلَبَ فَرَعُونَ وَغَرَبَهُ مِنْ ذَلِكَ السَّجْبِ الْعَظِيمِ وَصَارُوا قَلِيلِينَ ﴿وَقُلْ أَسْكَنُكُمْ وَسَيِّدُونَ﴾ قَالُوا: إِنَّمَا بَرَكْتَ أَنْتُمْ ۚ رُبُّهُمُ يُغْنِيهِمْ أَيُّ خَرُّوا سَاحِدِينَ مَعْلُومِينَ يُبَاهِيهِمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ لِأَنَّ الْحَقَّ يَهْرُمُ قَالَ: فَتَنَاهُ: كَانُوا أَوَّلَ إِبْهَادٍ كَيْفَ زَا سَحَرَةٍ وَفِي آخِرِهِ شَهَادَةُ بَرَّةٍ ۚ ﴿قَالَ فَرَعُونَ: أَسْمُوحٌ قُلْ لَنْ أَمُنَ نَكْرًا﴾ أَيُّ قَالَ فَرَعُونَ لِجَارِ لَدَحَرَةٍ: أَفَتَهُدَى بِمُوسَى فَبَلَ أَنْ تَمُنَ أَتُونِي؟ وَتَقْصُودُ الْحَمْلَةَ التَّوْبَةَ ۚ ﴿إِنَّ خِيَا تَكْفُرُ تَكْفُرًا فِي الْبِدَاةِ يَخْرُجُ شَيْءٌ أَفْلَهُ﴾ أَيُّ صَبِيحَكُمْ هَذَا حِينَ اخْتَلَعْتُمُوهَا أَيْضًا بِمُوسَى فِي مَصْرٍ فَلَمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْعِمَادِ لِخُرُوجِهَا مِنْهَا الْغَيْطُ وَنَسَكْتُمَا بِي بِمِثْلِهِ، قَالَ هَذَا تَسْوِيحًا مِنْ الْإِنْسَانِ نَدَا بِسُوءِ السَّحَرَةِ فِي الْإِيمَانِ ﴿فَتَوَكَّلْ تَكْفُرُكَ﴾ أَيُّ فُتُوفَ تَعْمُرُونَ مَا يَحِلُّ بِكُمْ وَهَذَا وَجْهٌ وَتَوَهُمُ سَاقَةَ وَطَرَيْنِ الْمَاجِدِ أَلَا تَهْتَدُونَ أَمْ عَذَابُهُ بِالْعَذَابِ فَقَالَ: ﴿لَا تُفَكِّرُنَّ لِي بِكُمْ وَأَنْتُمْ كَمَا تَكْفُرُونَ﴾ أَيُّ لَا تَفْتَحُنَّ مِنْ كُلِّ رَاغِدٍ مِنْكُمْ يَدَهُ وَرَحْلَهُ مِنْ حِلَالِ دَارِ الْفُطُورِيِّ. وَمَعْنَى ﴿يَنْزِلُ جُنُودًا﴾ هَذَا أَنْ يَقْطَعَ مِنْ أَحَدِهِمْ يَدَهُ الْيَمْنَى وَرَجْلَهُ الْيُسْرَى. أَوْ يَقْطَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى وَرَجْلَهُ الْيَمْنَى فَيُحَاوِلُ بَيْنَ الْعُقُوبِينَ فِي الْخَطِّ ۚ ﴿ثُمَّ لَا تُفَكِّرُنَّ لِي بِكُمْ﴾ أَيُّ ثُمَّ أَسْلَمَكُمْ حَمِيمًا تَنْكِيلًا

لكم ، لأعمالكم ، وانصاب الذليل على الخشب حتى الموت ﴿ذُلُّوا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إن
 راحلون إلى الله بالموت لا مساعدة فلا تخدم مما تخدم عباده ولا تشي بالموت وحيد الموت في
 حبس الله ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ يَوْمَئِذٍ الْكَلْبُ﴾ أي الكلب ما كان ينادي بالنداء لا ينجيهم ولا
 يستأجر الله وأما الكلب الذي كان ينادي بالنداء ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُدْعُوا لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ قال
 ابن كثير: أراد، أو ما منع ما لا ما هم أهل الذنوب والعباد كذب وهو الإيمان ﴿وَمَا
 كُنْتُمْ عَلَيْهَا قَوْمًا﴾ أي كُنْتُمْ عَلَيْهَا قَوْمًا تَعْلَمُونَ فَرَحُّوا بِمَا وَتَوْفَى عَلَى مَا
 الْإِسْلَامُ غَرَّ مَعْرُوفِينَ ﴿وَقَالَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا نَفْسًا يَوْمَئِذٍ الْكَلْبُ وَهُوَ يُعْطَى﴾
 أي قال الأعراف لهم عون: أنتون موسى وجماعته ليغيبوا في الأرض بالخروج عن بيت ورك
 عبادة الله تعالى وفي هذا امر، لم يعرفوا موسى وقومه وتعرفوا على أنفسهم ولعلهم
 لا يفلحون في ذلك ﴿يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ يَوْمَئِذٍ نَفْسُهُمْ﴾ أي قال فرعون محبنا لهم: ستمتد أبهم
 لمذكور وسنبني ما هم نعتهم كما كذبوا فعل بهم ذات وإن عاينوا فيهم باخبروا وعلقت
 ﴿كَانَ مُوسَى إِقْرَبَهُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ﴾ أي قال موسى لقومه بعلية لهم حين نزلوا
 سمعوا: استمعوا بالله على فرعون وقومه فيما بينهم من أنهم راحوا على حكم الله ﴿يَوْمَئِذٍ
 الْأَرْضُ لِلَّهِ يُدْعَى بِهَا يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ﴾ أي الأرض كلها لله يعطيها من أراد من عباده وأطعمهم
 في أنه يورثهم الله من مصر ﴿وَالْحَقُّ يَنْفَعُكُمْ﴾ أي سبحانه للحمودة لمن اتقى الله ﴿وَلَوْ
 أَرَادُوا بِزَكَاةٍ أَنْ زَكَاةً أَوْ بَعِيثًا﴾ أي أوديا من قبل أن تأتيهم بالمرسالة ومن بعد ما
 بها يمدون أن الجنة لهم فدارهم فهم في العذاب والنبأ، قبل بعثه، قال غفر
 ﴿وَلَوْ أَنَّ لَكُمْ كَلْبٌ يُفْهَمُ كَلِمَاتُكُمْ وَأَنَّ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ لَكَلْبٌ﴾ أي لعل زكركم أو يمان
 فرعون وقومه ويحكمكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم وسطر كتب تعلمون بعد استخلافكم
 من الإصلاح والإفناء، وأمرهم لهم من الله، وقد حقق الله رجاء موسى وأمرهم
 فرعون ومالك بني إسرائيل أرض مصر قال، في البحر: سلك موسى صراط الأدب مع الله وساق
 الكلام ساق الرجاء.

البيان

﴿ثَلَاثِينَ أَلْفًا نَفْسًا يَوْمَئِذٍ الْكَلْبُ﴾ بين أفعالهم وطريقهم إلى الله بين أنفهم ﴿أَمْرًا
 وَآخَرًا﴾

﴿ثَلَاثِينَ أَلْفًا نَفْسًا يَوْمَئِذٍ الْكَلْبُ﴾ شبههم بالكل، ففتح لأمرهم في سموات
 الشاؤون فهو من باب الاستدراك، وصفا عليهم الخير من جميع الأعراف

﴿ثَلَاثِينَ أَلْفًا نَفْسًا يَوْمَئِذٍ الْكَلْبُ﴾ تكررت الجنة والغرض منها الإنذار ويصغر هذا في علم الملاحة
 الإنساب ومنها ﴿أَمْرًا وَآخَرًا﴾ أي أمرهم بأنهم يحفظونهم، قال أبو السعود: تكرير للتذكير لزيادة

كَلِمَاتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ قَالَ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْكُمْ رَسُولًا بَعَثَ فِيهِ طَائِفَتًا مِّنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ ۖ فَيُؤْتِيَهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْوَيْسُوكَ ۚ وَنُفِثَ فِي قُلُوبِهِمُ الْمَنُورَ ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرُوا لَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَلَتَوَلَّوْا الْغَايِبَ ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْحَقِّ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرُوا لَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَلَتَوَلَّوْا الْغَايِبَ ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْحَقِّ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرُوا لَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَلَتَوَلَّوْا الْغَايِبَ ۚ

التغيب^١ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ آلَ إِبْرَاهِيمَ بِالتَّيْمِيمِ﴾ السلام موطئة لقصص محذوف أي وإذله لعد ابتليته
واخترهم ما قرعون وأتباعه بالجذب والقبض ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا الْفِرْعَوْنَ﴾ أي وابتليهم بما ذهاب الثمار من
كثرة الأثاث ذلة المحضرون كانت المصلحة لا تحل إلا لغير واحد^٢ ﴿لَتَهْلِكُنَّ بِكُرُوءٍ﴾ أي
لعلهم يتعطون ونرى قلوبهم فزاد الشدة تحلب الإنابة والخشية ورقة القلب ثم بين تعالى أنهم
مع تلك المحن والشدة لم يردوا ولا تمردوا وكفروا فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هُمْ أَكْفَرُوا لَنَا هَبْ
أَيُّ إِذَا جَاءَهُمُ الْغَصْبُ الْإِسْرَارَ قَالُوا هَذِهِ لَنَا بَعْدَئِذَا وَنَحْنُ فَاسْتَعِينُونَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ
خَيْفَةً يَخِفُّونَ بِمَوْسَى رَبِّي تَعَالَى﴾ أي وإذا جاءهم الجذب والشدة تشاموا موسى من معه من
المؤمنين أي قالوا هذه بشركهم قال تعالى رد حنينهم ﴿وَأَنذَرْنَا عَلَيْهِمْ لَبِئْسَ مَا
يَصْبِيهِمْ مِنْ غَرٍّ أَوْ شَرٍّ يَغْشِيهِمْ فَنَلَهُ وَلَيْسَ يَشْعُرُ مَوْسَى قَالَ إِنْ مِنْ عِبَادِي الْأَمْرِ مِنْ يَقُولُ اللَّهُ لَيْسَ
شَرُّهُمْ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِ وَحَكَمَهُ^٣ ﴿وَلَنَكْرَهُ أَخْرَجَهُمْ لَا يُتْلُونَ﴾ أي لا يعملون أن ما لحقهم من
القبض والتبديد من عند الله بسبب معاصيهم لا من عند موسى ﴿وَقَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِيَوْمِ يَوْمِ الْآخِرَةِ
إِنَّمَا أَنتُمْ بِمَقَادِرٍ مِمَّا تَفْتَرُونَ﴾ أي قال قوم فرعون لموسى أي شره نأيناب ما موسى من
المعجزات نصرفنا ما نحن عليه فإن نؤمن لك قال الزمخشري من طفت ثبقت معها آية
ثم قالوا ﴿يَخْتَرُونَ بِهَا﴾ قلب ما سمعوا آية لا اعتقادهم أنها آية وإنما قصروا أدلت الاستهزاء
والتهلي^٤ قال تعالى ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغُلُوفَ﴾ أي أرسلنا عليهم المطر الشديد حتى غامر^٥ به
يرادوا بهلكون قال ابن عباس الطوفان كثيرة الأمطار المجرقة المختلفة لغزير ودم والشار^٦

4717, 4718

١٩٨٠م. الحادي عشر / ٦٣.

(b) مختلفہ ایسے کتبے 15

(c) انجنت ۱۹۶/۴

لن إليها عذره بالعبادة ﴿قَالَ إِنَّكُمْ تُؤَمِّرُونَ لِيُخَالَفُوا قَوْلَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَظِيمٌ﴾ وما يجب أن يطره عنه من الشريك والتفسير قال الزمخشري: تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى، والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل البطون والعماء لأن لا جهل أعظم من دأى منهم ولا اشتع ﴿وَإِنْ مَرْوَىٰ مَرْوَىٰ مَرْوَىٰ مَرْوَىٰ﴾ أي هالك مدغم ما هم فيه من الدين الباطل وهو عبادة الأصنام ﴿وَيَقُولُ مَا كُنَّا بِمُتَّبِعِينَ﴾ أي باطل عملهم مفسحل بالكلية لأنهم عبدوا ما لا يستحق العبادة ﴿وَلَا أَسْأَلُكُمْ لِيُخَالَفُوا قَوْلَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَظِيمٌ﴾ أي أطلب لكم معبوداً غير الله المستحق للعبادة والحال أن الله مفضلكم على غيركم بالنعم العظيمة!! قال الضري: ففضلكم على عالمي دهركم وزمانكم ﴿وَإِنْ أَفْتِنَتْكُمْ مِنْ آلِ يَرْغُوتَ يَسُوءُ كَيْدَ الْفِتْنَةِ﴾ أي وذكروا يا بني إسماعيل لنعم لغتي سلقت مني إليكم حين أحييتكم من قوم فرعون يذمرونكم أنقطع أنواع العذاب أسوأ ثم فرء بقوام: ﴿يَقُولُونَ لَوْلَا أَلَمَتْ لِقَاءَ رَبِّكَ أَنَّكَ لَتَكُونُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي يذمعون الذكور ويستفنون الإناث لامتثالهن في الخدمة ﴿وَلَوْ دَلَّكُمْ بِلَدِّكُمْ بِرَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي وفي هذا العذاب اختبار وإبتلاء من الله لكم عظيم فنجاكم منه أفلا تشكرونه؟ ﴿وَوَعَدَا مُوسَىٰ لَقِيكَ ثَلَاثَةً وَلَقَسْنَاهَا مِنْ أَلْفِ نَارٍ بَيْنَمَا هُمْ سَامِعُونَ﴾ أي وعدنا موسى لمناجاته بعد ممسى ثلاثين ليلة وأكسناها بعشر ليالٍ فتمت الساجدة بعد أربعين ليلة قال الزمخشري: روي أن موسى وعد بني إسرائيل وهو مصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما عينك فرعون سأل موسى ربه المكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوماً وهو شهر ذي القعدة فلما أتم ثلاثين أنكر خلوف معه تغير رائحته ففسدك فأوحى الله تعالى إليه: أما علمت أن عدوهم في العتائم أطيب عندي من ريح المسك! فأمره تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة ﴿وَوَعَدَا مُوسَىٰ لَقِيكَ ثَلَاثَةً وَلَقَسْنَاهَا مِنْ أَلْفِ نَارٍ بَيْنَمَا هُمْ سَامِعُونَ﴾ أي كان عظيمي فيهم إلى أن أوجع ﴿وَأَصْلَحَ وَلَا تَتْلُجْ سَكِينُ الْفُتُورِ﴾ أي وأصلح أمرهم ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض بمعصرتهم لله ﴿وَوَعَدَا مُوسَىٰ لَقِيكَ ثَلَاثَةً وَلَقَسْنَاهَا مِنْ أَلْفِ نَارٍ بَيْنَمَا هُمْ سَامِعُونَ﴾ أي وما جاء موسى للوقت الذي وعدناه فيه وتاجاه ربه وكلمه من غير واسطة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي ذَاتَ الْعَرْشِ﴾ أي أرني ذلك القدسة أنظر إليها، قال الفرطبي: اشتاق إلى رؤية ربه لما أسمعه كلامه فقال المنظر إليه ﴿قَالَ لِي رَّبِّي وَلَقَدْ أَتَيْتُكَ إِلَى الْعَرْشِ فَهِيَ أَسْفَرُ مَعَكَ فَتَوَقَّ رُبِّي﴾ أي أجابه ربه أن تستطيع رؤيتي في الدنيا فإن هذه البنية البشرية لا طاقه لها بذلك ولكن سأجعل كما هو أقوى منك وهو الجبل فإن ثبت الجبل مكانه ولم يزلزله فسوف تراني أي ثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقه لك ﴿وَعَلَّا تَقُولُ لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ رَبِّي لَكُنَّ مِنَ الْمُنَاقِقِينَ﴾ أي فلما ظهر من نور ذلك قدر نصف أنصف لتخسر تلك الجبل وتفت وسقط موسى مشدداً عليه من

هو. ما رأى قال ابن عباس: ما تعجز به سبحانه لتجليل إلا فعد الخضر نصار ثم ما وجر موسى
 معتباً عليه^{١١٠} وفي الحديث: «فدع الخضر»^{١١١} قلنا قال: شئت لك إن شئت. وأنا أرا
 التوبيخ^{١١٢} أي علم صحاباً من غشيقه قال: منيها لك يارب ونسرة أن يرالك أحد في ادب تبت
 رأيت من سنة لي. وزيك في الدين وأنا أول المؤمنين بعقمت وجدك^{١١٣} قلنا يفسر في تطهيرات
 على أنس برئفتي وبكفي^{١١٤} أي اختزنك على أهل زمانك فمرسالة الإلهية وبكتلبي إنك تدور
 وساعة^{١١٥} قلنا لا تأتيت^{١١٦} أي حذما أعطيت من شرف النبوة والحكمة^{١١٧} ذكر رأيت التذكير^{١١٨}
 وتذكر ديك على ما أعطاك من خلال اسمك قال أبو اسود: والآية مسوقة لتطهيه عليه السلام
 من عدم الإجابة إلى سؤال الرؤية كانه قيل: إن من ذلك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظم ما لم
 أعط أحدًا من السابقين فاعتنهم وشير على شكرها^{١١٩} وقد غلبت في الأنواع من حفظ الخبر^{١٢٠}
 أي كنهه كل شيء كان أبو اسود يحتاج إلى في دينهم من المعاط وتفسير الأنصاف مبنية
 للحلال والحرام كل ذلك في أنواع الشجرة^{١٢١} توبت وأصبحت بكل شيء^{١٢٢} أي ليستغفر بها
 ويرجعوا وتفصيلاً لتحليل الشريعة^{١٢٣} قلنا ما يؤول^{١٢٤} أي حذم الزاد وحذ واجتماع شأن
 لوني العزم^{١٢٥} وأنت ترمك تأخذوا^{١٢٦} أي وأمر بني إسرائيل بالبحث على الخيار الأفضل
 كالأخذ بالمراتب دون الرخص والمغفر أفضل من النقصان. والبصر نقص من الاعتناء كما قال
 تعالى: «وحي من رمت إن كان لي خير الأمر»^{١٢٧} قال ابن عباس: أمر موسى أن يأخذها بأشد ما
 أمر به فبه^{١٢٨} «تأويك إلى الفسيف» أي مشروحة منازل العاشقين طرقت وقوفه. كيف أقرب
 منهم ودمروا عسقم فغضروا فلا تكونوا منهم. فإن رؤيتها وهي حالية عن أهلها موجبة الاعتناء
 والأمرجد^{١٢٩} «تسهر عن فاني» أي تتركه في الأرض بغير التقي^{١٣٠} أي سامع المتكبرين عن مهم
 أيكي فلا يتذكرون ولا يتدبرون بها فيها. وأطمس على قلوبهم عذوبة لهم على تكريمهم قال
 الزمخشري: وفيه تذكير للمحاطين من عافية الذين يحدون عن آيات الله فكبرهم وكفرهم بها
 فلا يكونوا مطلقاً منهم سباهم^{١٣١} «ولم يزلوا لا يمشوا بها» أي ورد يشاهدوا غير آية
 نراتية من الآيات المنزلة عليهم أو برأى كل معجزة ومآلة لا يصدقوا بها^{١٣٢} «وإن شأنا سبأ لا تشد»
 يتجأوا سبباً^{١٣٣} أي ورد يروا غريب الهدى والصلاح لا يسلكوه^{١٣٤} «إنهم يكرهوا سبب التقي يتجأوا
 سبباً^{١٣٥} أي يروا طريق الضلال والفساد يسلكوه كفرته^{١٣٦} «فهم لهم وأشتبوا الفتي غز أكل»
 «ذاتة بأشدة كآلوا رباها» أي ذلة لا حرافة عن مدى الله وشرحه بسبب تكذيبهم بآيات الله
 «وشتأوا فبا عيول» أي وغضبهم عن الآيات التي بها سعادتهم حيث لا يتذكرونها سبب ولا
 يعتبرون^{١٣٧} «ولم يزلوا يكرهوا سبباً» أي جحدوا سبب قول الله «ولكنه لا يجزي» أي وكذب
 مدعه الله في الآخرة أي لم يؤمنوا بالبحث بعد الموت^{١٣٨} «سبب أشتبوا» أي بطلت أشتبوا

١١٠. أبو اسود (٣٩٠).

١١١. الألف (١٤٩).

١١٢. الخضر (٩٥).

١١٣. الخضر (٩٥).

الغبراء التي يحملها من الدنيا من اجساد وصدرهم وحده وأمثالها وهذه ثوابهم لعدم الايمان
 ﴿عَلَىٰ يَمْرُوكَ إِلَّا كَمَا كُنتُمْ يَسْأَلُونَ﴾ أي هل يثابون أو يعاقبون إلا بما عملوا في الدنيا ﴿وَالْقُلُوبُ
 قَوْرٌ مُّوْتَةٌ يَنْزِلُ مِنْ عُثْيِهِمْ مَخْلَافًا كَلَّا خَبِرُوا﴾ قال المحافظ ابن كثير: يخبر تعالى عن صلال
 من قبل من أبي اسرائيل في عبادة الله العجل الذي تحفه بهم السماوي من العدل، فشك أنهم
 مع عجلًا جدًا لا روح فيه وقد احتال بالداخل الروح حتى صار يسمع له في عوار صوت كهوت
 البقر ومعنى ﴿مَنْ تَعْبُدُ﴾ أي من بعد ذهاب موسى إلى الطور لعذابه ربه ﴿لَنْ يَنْزِلَ إِلَيْكُمْ لَكَلِمَةٍ
 وَلَا يَهْتَمُّ بِكُمْ﴾ الاستفهام للتفريع، التبريع أي كيف عذرا العجل واحده وإنما مع أنه سر
 معه شيء من صفات المخلوق الرزاق، فونه لا يملك قهورة الكلام ولا قهورة هه ينهب إلى سبيل
 السعادة فكيف يتخذ إليها؟ ﴿تَنَكَّبُوا﴾ تَنَكَّبُوا تَنَكَّبْتُ أي عذو العجل والجنود إليها فكأنوا
 فلانهم لا يفتقدون حياء وصعبا الأشياء في غير مذهبها، وتكرر لفظ ﴿تَنَكَّبُوا﴾ أمرين، الشيع
 عليهم ﴿وَلَا تُبْعِدُوا﴾ أي تزيههم أي تزيههم على جثثهم واشده ندهم وحسنهم على عاده
 المحلل ﴿وَرَأَوْا نُهُومًا﴾ أي نهبوا غنمهم نهبًا كأنهم انصرفوا بجوعهم ﴿فَالَّذِينَ لَمْ
 يَنْتَهِرُوا زَيْعُورًا﴾ أي الذين لم يتدبروا الله برحمته ومنعونه ﴿لَيَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي
 ليعكون من الهالكين قال ابن كثير: وهذا اعتراف منهم بأنهم واسخاه إلى الله عز وجل .

نصًا عامًا .

- ١- ﴿وَرَأَوْا غَنَمَهُمْ نُهْنَةً﴾ بين لفظ النحاسة والسيدة عربان كما أن بين لفظ ﴿طَلَبَهُمْ﴾
- ﴿يَحْبَرُوا﴾ حس لا شقاق وكذا ما من المحسنات البيعية .
- ٢- ﴿وَرَأَوْا زَيْعًا﴾ قد صح عذل عن العارض إلى تعذراج الاستحسان الصورة في ذهن
 المحاطب ومثله ﴿وَرَأَوْا حَكَاؤًا يَمْشِي﴾ والأصل ما صهروا ما عرسوا .
- ٣- ﴿إِنَّا كُنَّا قَوْمٌ ضَالُّونَ﴾ أي يلفظ (تجهلون) وتم يقل (حياتكم) يشعلوا بأن ذات منهم
 فاعلم والفرقة لا يفتقون عنه في حاضر ولا مستقبل .
- ٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي الْبَيْتِ﴾ فيه اللغات من انجية إلى العصب لتبالة في التحض على بيع
 سبل المتصلين . والأصل أديان حارهم .
- ٥- ﴿وَرَأَوْا لُغَطًا﴾ أي تزيههم هذا من باب المكافئة فهو كناية عن تبعة التمدد لأن لسانهم بعض
 على يده غشا .
- ٦- من لفظ ﴿تَنَكَّبُوا﴾ ﴿وَمَنْ تَعْبُدُ﴾ طاق .

١- ديبية مذهب أهل السنة فاطبة على أن المؤمنين يرون ربيع في الآخرة وأنكرت المعتزلة
 ذلك واستدلوا بالآية الكرسية ﴿لَنْ يَزِيَنَ﴾ وليس لهم في عده آية مشكك بل هي دليل لأهل
 السنة والجماعة على إمكان الرزق، لأنه لو كانت محالاً لم يملكها موسى فإن الأشياء عليهم

تسليم يضمنون ما يجوز على الله وما يستحيل ، ولو كانت الرؤية مستحيلة لكان في الجواب
 زجر وإلا لما تم ما قاله في النوح ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى تَأَنَّى تَوَكَّلْ بِرَبِّكَ إِنَّ أَفْعَادَ النَّاسِ مِنْ أَلْفِهِمْ﴾
 فعلا تمنع من رؤية الله بعد موته ، لكانا نضعف البنية العشرية عن ذلك قال محمد بن
 الحسن بن تميم : لا شك لا يفتق ذلك ، ولكن ما يحل للرجل الذي هو أن يرى الله وأشد من
 استغفر وأطلق الفرس لحيثي أركض أن يرى الله ، وإن لم يظفر الحمار فأنرى ألا عين أنت تعالى
 هذا جعل الله الجبل مثلاً ، موسى رآه بوجه رؤيته مستحيلة عن الإدراك ، وقد صرح بوضع
 الرؤية في الآية كتاب الله ﴿وَمَا زَايِرُكُمْ إِلَهُكُمْ﴾ ولا ينكرها إلا من صرع
 لم يصح التكليم موسى كلام الله الثاني إلى : ﴿وَمَا أَتَاكَ مِنْ شَيْءٍ فَأَخَذُ مِنْهُ كَلَامَ الْحِكْمِ
 بَرِيدٌ مِمَّنْ لَّشَوْقٌ إِلَيْهِ وَاتَّخِذْ وَدَّعَ احْسِنَ مِنْ ذَلِكَ﴾

وأخرج ما يكون الشوق بوجه الله من القرآن ﴿فَإِذَا دُعِيَ لِلْحَمْدِ لَرَفَعَهُ اللَّهُ وَبَدَأَ يَذَرُ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾
 ﴿فَإِذَا دُعِيَ لِلْحَمْدِ لَرَفَعَهُ اللَّهُ وَبَدَأَ يَذَرُ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ فذكرنا مؤلفه وموسى
 العاصمي ، ربه حرس وكان كافراً ، فلم يعم مرة لأمر لموسى لدمري ، ولم يصر قرية الكعبين
 موسى الخليم عليه السلام ، وقد أشد بعضهم أي هذا يصح

إلى أنهم هم بخلق سبحانه من الأزل فقد خلد من ربي وحده الموقر
 موسى الذي ربه عز وجل كافراً وموسى الذي ربه عز وجل موسى

:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذْ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَتَوْا بِالنُّبِيِّ أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾
 إلى ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَّا سَحَابٌ مُمِيزٌ﴾ من آية (١٥٠)

إلى نهاية (١٧٧)

لا يزال الآيات الذبحة تحدث عن صفات موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ، من
 أنفق الله عليهم من النعم ، وما قائلوها من الحماة والمصداق ، وقد ذكرت الآيات معه
 وأصحاب القرية ، وأعداءهم يوم السبت ، وأصحابه يوم السبت ، أن الله تعالى استخفهم فزادهم
 ذلك عزة للمعيرين .

﴿ثُمَّ قَالَ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾
 أي وهي استعفاف وإليه ﴿ثُمَّ قَالَ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾
 التحديد ، وهو ملك من شملته الأبداء ﴿ثُمَّ قَالَ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾
 به : ﴿ثُمَّ قَالَ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾
 وأمر إلى الإمبراطور الذي يأمر من بعده عن الخلق الأجمعين وهو ما يوضع من العو
 أو الله من العبد ﴿ثُمَّ قَالَ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾
 ثم أخذ على غيبة من بني إسرائيل ﴿ثُمَّ قَالَ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾
 منهم ﴿ثُمَّ قَالَ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾

تَحْيَ رَأْسَهُ مَا يَبُوءُ وَالَّذِي الْأَخْبَرُ نَحْوَ لِزِيَرَةٍ يَشْفُو أَمَّا تَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِي يَمُكِّرُ بِالْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْشِئَ لَهُ الْأُصْبُعُ لَمْ يَكُنْ تَعْلَمِينَ ﴿٥١﴾

الغفسي: ﴿٥٠﴾ وَنَحْوُ رَأْسِهِ مَنْزِلُ مَنْزِلِ قَبِيضٍ غَفَرْتُ أَمَّا ﴿٥١﴾ أَيُّ وَلَعَارِجِ مُوسَى مِنَ الْعِجَابِ ﴿٥٢﴾ غَفَرْتُ عَنْهُمَا مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ ﴿٥٣﴾ أَيُّ شِدَّةِ الْحَزَنِ ﴿٥٤﴾ قَالَ يَسْكَ حَقَّقُونَ بِرَأْسِهِ ﴿٥٥﴾ أَيُّ وَتَسْ مَا قَرَأْتَهُ مَعَهُ عِيسَى حَيْثُ عِيدُهُ الْعَجَلِ ﴿٥٦﴾ الْمُنْطَلَقُ أَمْرُ زَيْنِكُمْ ﴿٥٧﴾ أَيُّ أَحْجَلْتُمْ عَنْ أَمْرِ رَيْحَمٍ وَهُوَ أَنْتَقِظَ مَوْجِسٌ حَتَّى يَرْجِعَ مِنَ الظُّلُومِ؟ وَالْأَسْتِمْهَامُ لِلزَّكَاةِ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِي كَلَّاحُ وَلَا يُرَى أَيْدِي بَعْدَ الْيَدِ ﴿٥٩﴾ أَيُّ طَرَحِ الْأُلُوحِ سَاعِرَاهُ مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ؟ وَهَرَمَ أَنْشَحَرَ عَصْبًا لَهُ مِنْ عِبَادِ الْعَجَلِ، وَأَخَذَ بِشَعْرِ رَأْسِ أَخِيهِ هَارُونَ بِرَأْسِ أَخِيهِ بِعَرَّةٍ إِلَيْهِ فَتَأَمَّهْ أَنَّهُ لَقَرَّ فِي كَفِّهِ عَنْ ذَلِكَ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَدِيدَ الْغَضَبِ لَهُ مِجَانُهُ قَالَ بَنِي عِبَّاسٍ: لَمَّا عَرَسَ قَوْمَهُ وَهَذَا عَكْرًا عَلَى أَنْعَجِلِ الْفَسْ الْأُلُوحِ وَكَاسَرَهُ نَصِيبٌ لَهُ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ بِعَرَّةٍ إِلَيْهِ ^١ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَنْ لَمْ يَزَلْ الْقَدَةُ تَنْفَعُهُمْ وَأَقْدَامُ بَشَوْنِ ﴿٦١﴾ أَيُّ قَالَ هَارُونَ: يَا أَبَا أُمَيٍّ: هُوَ تَدَاهِ اسْتِغْلَافٌ وَشَرٌّ فِي ^٢ إِنْ تَدْرِمُ أَنْ تَحْلُوسَ وَبِهِرُوسَ وَقَارِمُ قَلْبٍ حِينَ نَهَبْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَتَأَمَّهْ أَمْرٌ فِي نَصْحِهِ ﴿٦٢﴾ فَلَا تَقْبَلُ بَنِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْمَعُ مَعَ الْفُجَرِ الْمُخْلَسِينَ ﴿٦٣﴾ أَيُّ لَا تَسْ: إِنْ حَتَّى يُعْزِ الْأَعْدَاءُ فِي وَشَعْنُوا بِهَذَاكَ لِي وَلَا تَعْلَمُ فِي عَدَدِ الظَّالِمِينَ بِالْمُزَاخَذَةِ أَوْ النِّسْبَةِ إِلَى التَّصْغِيرِ قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿٦٤﴾ أَيُّ الْفَتَنِ عِبْدُوا الْعَجَلِ ﴿٦٥﴾ قَالَ زَيْدُ الْخَمُورِ: يَا زَيْدُي وَأَرْبَابُكَ وَبَنِيكَ: زَيْدُكَ زَيْدُكُمْ الرَّحِيمُ ﴿٦٦﴾ أَيْ: مَا تَحْقِيقُ لِمَوْسَى بِرَأْسِهِ سَاعِرَةُ هَارُونَ: عَرَّةُ السَّلَامِ مِنْ التَّصْغِيرِ ظَلَمَ عَنْهُ ذَلِكَ اسْتَغْفَرَهُ لَهُ وَلَا حِيَةَ فَقَالَ: ﴿٦٧﴾ نَحْيُ لِي وَيُلَاحِظُ ﴿٦٨﴾ لَآيَةُ قَالَ التَّوْمُخَشَرِيُّ: اسْتَغْفَرَ لَعْنَهُ مَا فَرَطَ بِهِ بَنِي أَخِيهِ، وَلَا أَخِيهِ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فَرَطَ بِهِ فِي حِينِ الْحَلَاةِ، وَطَلَبَ لَا يَنْفَرُ مَا عَنِ وَجْهَتِهِ: وَلَا تَزَالُ تَسْطَلِمُهُنَّهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ^٣ ﴿٦٩﴾ الْفَتَنِ: الْخَمُورُ الْأَيْسَلُ مِمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ زَيْنِكُمْ وَزَيْلَةُ فِي الْفَتَنِ الْفَتَنِ ﴿٧٠﴾ أَيُّ إِنْ لَدُنْ عَدُوِّ الْعَجَلِ دَخَرَ الْبَقَرِ وَاسْتَخَذَهُ الْإِيْمَا بِهَيْبِهِمْ فَغَدَا: شَيْدٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، وَيَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا لَعْنًا وَآلِهَوَانًا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَمَّا الْعَصْبُ الَّذِي نَالَهُ فِي إِسْرَائِيلَ فَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْلُغْ لَهُمْ نَوْبَهُ حَتَّى قَتَلَ مَعْشَرَهُمْ بَعْدَهُ، وَأَمَّا الْقَدَةُ بِأَعْيُنِهِمْ ذَلِكَ دَلَالًا وَصِفَانًا فِي النِّجَاةِ الدُّنْيَا ^٤ ﴿٧١﴾ وَكَذَلِكَ تَجْمَعُ الْفُجَرِيُّ ﴿٧٢﴾ أَيُّ كَمَا جَازَيْنَا هَؤُلَاءَ بِإِحْلَالِ الْعَصْبِ وَالْإِذْلَالِ كَذَلِكَ تَجْزِي كُلُّ مَنْ أَفْرَى بِالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ قَالَ سَلْبَانُ بْنُ عُبَيْدٍ: كُنْ صَاحِبَ بِلْدَةِ دَالِي ^٥ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِي: غَلُّوا الشُّجَابَ لَمْ يَأْخُذُوا بِمَا يَخُوفُ دَاخَمُوا ﴿٧٤﴾ أَيُّ عَمِلُوا الْفَاحِشَ وَالْعَدْوِيَّ ثُمَّ تَابُوا وَرَجَعُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مَعَدِّ اقْتِرَافِهَا وَدَامُوا عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَأَخْلَصُوا فِيهِ ﴿٧٥﴾ يَا زَيْدُكَ مِنْ خِيَرَتِكَ لَقَمُورُ زَيْدُكَ ﴿٧٦﴾ أَيُّ إِنْ رَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ مَعَدِّ ذَلِكَ التَّوْبَةِ لَخَمُورُ لَعْنَتِهِمْ

(١) الطبري ١٦٣/١٤

(٢) قال ابن كثير: وإنما قال: ابن كمي ليكون لطفًا وأجمع هذه الآية فهو شقيقه لأبيه وأمه.

(٣) تفسير ٥٢/٢٢

(٤) كشف ١٦٦/١٤

(٥) الطبري ١٦٣/١٥

رحيم بهم فان الألوسي : وفي الآية [إعلام بأن القنوز وإن جلت وعظمت فإن عفو الله تعالى وكرمه أعظم وأجل ، وما أضف قول أبي موسى فخر الله تعالى له .

بارب إن عظمت ذنوبي كثيرة خلفد علمت بأن عفوكم أعظم
 إن كان لا يرجوكم إلا محسن فمن يلوذ يستجير المجرم؟^(١)
 ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْكَلْبُ﴾ أي سكن غضبه ، موسى على أنبيه وقومه ﴿أَتَقَدَّرُ الْاَلْوَاخَ﴾ أي
 ألواح التوراة التي كان أنقادها ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ هُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَزِيدُونَ﴾ أي وفيما نسمع فيها ونكتب هداية للحق
 ورحمة للمخلق بل زادهم إلى ما فيه معادة الدارين ﴿يُزِيدُونَ هُمْ لِرَبِّهِمْ بُرْهَانَ﴾ أي هذه الرحمة
 للذين يخافون الله ويخشون عقابه على معاصيه ﴿وَالَّذِينَ أَوْفَوْا بِعَهْدِي وَهُمْ لَا يُمِيقُونَ﴾ أي اختار
 موسى من قومه سبعين رجلاً ممن لم يعبدوا العجل للوقت الذي وعده به إتيان فيه للاعتذار
 عن عبادة العجل ﴿وَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ أَكْرَعُوا﴾ أي فلما رجع بهم الجبل وصبقوا ﴿وَلَمَّا رَجَعُوا﴾
 أفتنكهم من قبل رؤسهم ؟ أي قال موسى علي وجه التضرع والاستسلام لأمر الله لمؤشست بارب
 أن تهلكنا قبل ذلك لعدايتنا إليك وتعدت قهرك وأنت تدخل ما تشاء ﴿فَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ آلِهَتُنَا﴾
 يا ؟ أي الهلكنا وسائر بني إسرائيل بما فعل هؤلاء السفهاء السبعون في قولهم : ﴿أَلَمْ نَكُنْ
 جُنُودًا لِّكُلِّ قبيلة مِّن قَبْلُ نَقُودُهُمْ خُفَرَاءُ﴾ لا تعذب يا الله بقوم غيرنا ؟ قال
 الطبري في رواية انسدي . إن الله أمر موسى عمية السلام أن ياتي في ناس من بني إسرائيل
 يعتقدون إليه من عبادة العجل ووعدهم موعداً فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً على عينه ثم
 ذهب بهم ليعتصروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا : لن تؤمن لك يا موسى حتى ترى الله جهره ،
 فإنيك قد كنت تارنا فأخذناهم بالصاغة فصاوا ، فقام موسى يكي ويدعونه ويقول : رب ماذا
 أعول لبني إسرائيل إذا اتينهم وقد أهلكك شيطانهم لو شئت أهلكتهم من قبل وإني^(٢) أقول : إذا
 كان هذا قول الأعراف من بني إسرائيل فكيف حال الأشرار منهم ؟ بعد ما كان من حيث اليهود ﴿يَا
 هٰؤُلَاءِ لَا يَنْفَعُكُمْ أَيُّ مَاعِزَةٍ اتَّخَذْتُمْ حُدَّتْ لَهُمْ وَلَا مِثْلُكُمْ إِلَّا مِثْلُكُمْ﴾ أي ما هذه العزة التي
 من قلة وتجب من قلة ؟ أي نفس بهذه المسحة من نشاء بخلاصه ونهضي من نشاء هدايته ﴿لَمَّا وَلَّتْ
 مَا جِئْتُم بِهَا وَتَرْتُم﴾ أي أنت بارب متوني أمورنا وناسوتنا وحافظنا فافقر لنا ما قارمنا من المعاصي
 وأرحنا برحمتك الواسعة الشاملة ﴿وَلَمَّا سَكَتَ الْكَلْبُ﴾ أي أنت خير من صعب وسر ، تنهر السيف
 وتبلسها بالحسنة ﴿وَأَمَّا لَدُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَيُزْجَمُونَ فِي سَوَاءٍ مُّجْتَمِعِينَ﴾ هذا من جملة دعاء موسى عليه
 السلام أي حقق وأنت لنا في هذه الدن حنة وفي الآخرة حسنة ﴿يَا هٰؤُلَاءِ لَا يَنْفَعُكُمْ أَيُّ مَاعِزَةٍ
 وَرَجَعُوا إِلَيْهِ مِنْ جَمْعٍ مَّوَدَّةَ بَيْنِهِمْ﴾ أي أنكنا رزقناهم وجئت كل قريظة ؟ أي قال
 تعالى . أما عذابي فأعصم به من أشاء من عبادي وأما رحمتي فأمد عمت شراعي كلهم قال
 أبو السعود : وفي نسبة الإصانة إلى العذاب صيغة المضارع ونسبة السعة إلى الرحمة بضميمة

السامي إيمان بأن الرحمة متضمنة الذنوب، وأما العذاب فيمتنع من معاصي العباد ﴿فَلَا تَحْزَنْهُمْ عَلَيْهِمْ دُفْعَةٌ﴾ ﴿وَيُؤْتِيهِمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ بِلَا حِسَابٍ﴾ أي ساجعل هذه الرحمة خاصة في الآخرة بالذين يتقون الكفر والمعاصي ويعطون زكاة أموالهم ويصدقون بجميع الكتب والأنبياء ﴿أَلَيْسَ بِتَجَرَّبَةٍ زُلْفَىٰ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي هؤلاء الذين نالهم الرحمة هم الذين يصدقون محمداً النبي العربي الأسدي الذي لا يقرأ ولا يكتب قال البيضاوي: وإنما سماه رسولاً بالإضافة إلى الله تعالى، ونبيّاً بالإضافة إلى العباد ﴿أَلَيْسَ يَتَذَكَّرُ فِيهَا مَنُ ارْتَدَّ﴾ أي الذي يجدون نعمة وصفته في التوبة والإنجيل قال ابن كثير: هذه صفة محمد في كتب الأنبياء، يشروا أمهم ببعثته وأمرهم بمثلبعثته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماءهم وأخبارهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ﴾ أي لا تأمر إلا بكل شيء مستحسن ولا ينهى إلا عن كل شيء فبيح ﴿وَيُؤْتِيهِمُ اللَّهُ أَجْرَهُ بِلَا حِسَابٍ﴾ أي يحل لهم ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة بشرط ظلمهم وبحرم عليهم ما يستحب من نحو قدم والنسبة ولحم الخنزير ﴿وَيُؤْتِيهِمُ اللَّهُ أَجْرَهُ بِلَا حِسَابٍ﴾ أي يخفف عنهم ما كفروه من التكليف الشدة التي تشبه الأغلال كقتل النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة من الثوب والقصاص من القاتل محمداً كإحسان القاتل أو عطا وشبه ذلك ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبُّنَا يُعَذِّبُهُمْ وَأَسَدُّهُمُ﴾ أي والذين صدقوا بمحمد وعظموه ورفروه ونصروا دينه ﴿وَأَسَدُّهُمُ اللَّهُ أَجْلَهُمْ كُلَّهُ﴾ أي وانبعوا آخرات المسير وشرعه المسجد ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي هم الفاسقون بالسعادة السرمدية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَلِأُنذِرَكُمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّحَابُ مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطَةٌ ذُرِّيَّةٌ مِّنْهُمُ فَاصْبِرُوا إِلَىٰهَا أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّابِرُونَ﴾ أي صمدوا بأبواب الله وصدقوا برسوله المبعوث إلى جميع خلقه ﴿أَلَيْسَ الْآخِرُ الْكَرْبُ بُرْهَانٌ﴾ أي أبنوا بالنبي الأسدي صاحب المعجزات الذي لا يقرأ ولا يكتب المصدق بالكتب التي أقر لها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء ﴿وَأَنبِئُوهُمْ أَنَّكُمْ كَنَزَةٌ﴾ أي سلوكوا طريقه وانفردوا أمره رجاء اعتدائكم إلى المطلوب ﴿وَمِنْ قَوْمٍ أُوتِيَ سُورَةُ مَكَّةَ يَهُودُكَ﴾ أي يقولون: أي ومن بني إسرائيل جماعة مستقيمون على شريعة الله يهدون للناس بكلمة الحق ولا يجوزون قال الزمخشري: لما ذكر تعالى الذين تزلزلوا منهم في الدين ولوثوا به حتى أقدموا على العظيمين: عبادة العجل - وطلب رؤية الله، ذكر أن منهم أمة موافقين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدعونهم ويرشدونهم على الاستقامة ﴿وَقَالَتْهُمْ أَفَنُفٍّ عَشْرَةٌ تَبْلُغُ أَشْأَهُ﴾ أي وفرقاً بين إسرائيل فجعلناهم قبائل اثني عشرة قبيلة

من النسي عشر ولداً من أولاد يعقوب قال أبو حيان أي عرفهم وميزهم أسماءهم جميع أمر كل
 سبط أي القبيلة إلى رئيسه ليخلف أمرهم على موسى وإشلا يتحاسنوا فيقع الأهرج، وهذا الأهرج
 لهم شتي عشرة عيناً إشلا يبايعوا ويقتلوا على الأعداء، وجس نكل سبط نفياً ليرجعوا في أمومه
 رابعه ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَقْبَلَتُهُ رَبُّهُ﴾ أي حين استولى عليهم اقططن في لثيه ﴿أَرَأَيْتَ
 أَصْرِبَ إِلَيْكَ أَنفُكَ﴾ أي أوحينا إليه أن يصرب الحجر حصه فضربه ﴿فَاتَّخَذَتْ بِهِ قَبْطُورًا
 مَنَظَرًا﴾ أي انجذرت من الحجر لنا عشرة عينا من الماء بعد الأسماء ﴿فَلَمَّا سَفَرْنَا لَعَنَّا
 قَبْلُ نَهْمًا﴾ أي قد عرف كل سبط وجماعة منهم عيبه الخاصة بهم قال الطبري لا تدخل سبط
 عنز غيره في شربه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ أَلْزَمُوا﴾ أي جعلنا الغمام بينهم من حر الشمس وفيهم من
 نأه حال الألويسي: وكان الظل يسير مسرهم ويسكن ياقشهم ﴿وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الشَّجَرَ يَجْمَعُونَهُ
 أَي دَاكِرَ مِنْهَا بِمَدَامَ تَسْبِيهِ هُوَ ﴿أَشْجَرٌ﴾ وهو شجرة حلوا يسزل عن الشجر يجمعونه ويأكلونه
 ﴿وَأَنزَلْنَا لَهُمُ الْغَمَامَ يَلْعَبُونَ﴾ كل ذلك من إفضال الله ورعايته عليهم دون
 جهل منهم ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ أي وكلوا من هذا شيء الطيب اللذيذ الذي
 رزقناكم به ﴿وَلَمَّا حُلَّتْ الْأَشْجَارُ أَغْلُظَ﴾ أي الغمام سحزوف تغديره فحضروا بهذه
 العم العجيلة وما ظلمونا بذلك ولكن ظلموا أنفسهم حيث عزموا على كبر لعذاب الله ﴿وَلَمَّا قِيلَ
 لَهُمْ اسْكُرُوا لِرَبِّكُمُ الْفَوَاحِشَ وَمَكَاةَ رَيْثِهِمْ﴾ أي رادكر بهم حين نسا لأصلافهم: استكروا
 بت العفدس وكلوا من مطامعها ولعابها من أي جهة ومن أي مكان شنتهم منها ﴿وَلَمَّا قِيلَ لِيُفْرِغُوا
 مِنْهَا﴾ أي ففروا حين دخولكم يا الله اخذ عا دسنا ﴿فَنَقَّبُوا لَكُمُ الصَّخْرَ﴾ أي نزع عنكم جميع
 اندر ب التي سلفت منكم ﴿مَدِينَةُ الْكُنُوزِ﴾ أي سز بد من أحسن عيشه بامثال أمر الله
 ورجاعه فوق العدم من دخول الجنان ﴿بِذَلِكَ الْفَوْزِ ظَنَنُوا قَوْلًا هُفَاً أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَاطِنُ
 أَفْئَاتِهِمْ مِنْهُمْ أَمْ يَلَهُمْ بِرَبِّهِمْ فَلَمَّا لَا يُلَاقِيهِمْ عَذَابٌ يُغْنِي عَنْهُمْ وَرِزْقٌ يَأْتِيهِمْ يَغْلِبُوا
 يَدْخُلُوا سَاجِدِينَ خَشِعُوا لَهُ دَخَلُوا يَرْجِفُونَ عَلَىٰ أَسْنَانِهِمْ أَلَمْ يَسْخَرُوا مِنْهُمْ فَأَمَرَ اللَّهُ
 بِهَبْ طَلْعَهُمْ وَعَدْوَهُمْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ سَابِقًا لِأَحْقَابِهِمْ هَوَّاهُ وَجَمَادٍ بَالِغَةً فِي الظُّلُمَاتِ لَنُظَاهِرَ
 فِي رَأْيِهِ مَنَاسِكَ فِي سَاعَةِ وَاحِدَةٍ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرُونَ لَنَظَاهِرَ فِي الْفَوْزِ إِلَىٰ مَكَاتٍ
 مُبِينَةٍ الْخَبَرِ﴾ أي واسأل يا محمد اليهود عن أخبار أصلافهم ومن أمر القردة التي كانت تفر
 البحر وعلى شاطئه ماذا حل بهم لما عصوا أمر الله واصطفوا يوم السبت؟ ألم يسخرنهم الله
 فرداً وعذارياً؟ قال من كثير وهذه القردة هي (أيلة) وهي على شاطئ بحر الحلاليم ﴿فَإِذَا

يَوْمَ تَكُونُ فِي أَنْشُبٍ ﴿١٠٠﴾ أَي يَوْمَ يَرْزُقُونَ حَلَالَهُ فَيَعْرِضُونَ لَهُمْ أَمْطَارَهُمْ يَوْمَ تَكُونُ فِي أَنْشُبٍ
يَجْتَمِعُهُمْ يَوْمَ تَكُونُ فِي أَنْشُبٍ ﴿١٠١﴾ أَي حِينَ كَانَتْ الْحَيَاتُ (الأسماك) تَأْتِيهِمْ يَوْمَ احْبَثَ حَرَقَهُ حَرَمَ
عَلَيْهِمْ انْعِدَادَ فَيَعْرِضُونَ لَهُمْ كَثِيرَةً ظَاهِرَةً عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ﴿وَيَوْمَ لَا يَنْبُتُونَ إِلَّا أَنْبُتُهُمْ﴾ أَي وَفِي غَيْرِ يَوْمِ
الْبَثِّ وَهِيَ سَائِرُ الْأَيَّامِ لَا تَأْتِيهِمْ بَلَى نَتِيبَ عَنْهُمْ وَتَخْفِضُ ﴿حُكَّائِلُهُمْ تَقْلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَسِرُونَ﴾
أَي مِثْلَ ذَلِكَ قَبْلَهُ الْعَجِيبُ نَحْبِرُهُمْ وَنَمْنَحُهُمْ بِإِقْفَارِ السَّلَكِ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ فِي الْيَوْمِ
الْمَحْرَمِ عَلَيْهِمْ مِثْلَهُ وَإِعْظَامُهَا عَنْهُمْ فِي الْيَوْمِ الْحَلَالِ بِسَبَبِ فُسْخِهِمْ وَاعْتِهَاتِهِمْ حَرَمَاتِ ذَلِكَ قَالَ
الْقُرْطُبِيُّ : رَوَى أَنَّهُ كَانَتْ فِي زَمَنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ يَلِيسَ أَوْحَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ : إِنَّمَا تَهَيَّئُمْ
عَنْ أَخْذِهَا يَوْمَ انْتَبَهَتْ فَاتَّخَذُوا الْحَبَاضُ فَكَانُوا يَسُوقُونَ الْحَيَاتُ إِلَيْهَا يَوْمَ لَجَمْعَةٍ فَبُخِضَ فِيهَا فَلَا
يُمْكِنُ أَنْ يَمُوتَ وَجْهٌ مِنْهَا أَقْلَةً لَمَّا دَخَلُوا يَوْمَ الْأَحَدِ وَخَتَانُونَ فِي مِثْلِهَا ١١١ ﴿وَيَوْمَ ذُقُوا ذُقُوا ذُقُوا﴾
يَوْمَ يُطْرَقُونَ تَوَاتُرًا فَهُوَ مُنْجِبُهُمْ عَنْكَ حَذِيرًا ﴿١١٢﴾ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : يَخْبِرُ نَعَالِي عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الْغُرَبِ
أَنَّهُمْ صَارُوا إِلَى ثَلَاثِ فُرُقٍ : فَرَقَةٌ اتَّكَيْتِ الْمَحْظُورَ وَاحْتَنَوْا عَلَى اصْطِيَادِ السَّلَكِ حَرَمَ الْبَثِّ
وَفَرَقَةٌ نَهَتْ عَنْ ذَلِكَ رَأَتْهُمْ وَفَرَقَةٌ سَكَنَتْ فَلَمْ تَعْمَلْ وَبِمِثْلِهِ وَلَكِنَّهَا قَالَتْ لِلْعَنْكُرَةِ : ﴿يَوْمَ
يُطْرَقُونَ تَوَاتُرًا فَهُوَ مُنْجِبُهُمْ﴾ أَي لَمْ تَنْهَوْا هَؤُلَاءِ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا وَامْتَحَنُوا الْعَفْوَ مِنْ أَمْرِ
فَلَا قَائِدَ فِي نَهْيِكُمْ إِيَّاهُمْ ١١٣ ﴿فَالْوَا سَيُورَةُ إِلَى رَبِّكَ﴾ أَي قَالَ الْفَاهُونَ : إِنَّمَا نَعْتَظُهُمْ لِنَعْتَزَ عَنْهُ أَمَّا
مَقَامُ مَا جَبَّ الصَّحَّحَ وَالتَّعْذِيرَ ﴿وَلَقَدْ تَنَبَّرْنَا﴾ أَي يَتَرَعُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْإِحْرَامِ قَالَ الطَّبْرِي :
أَي نَعْلَمُ أَنْ يَشْفُوا اللَّهَ فَيَنْبِذَ إِلَى طَاعَتِهِ وَيَتَوَبَّأَ مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ وَتَعْدِيَتِهِمْ لِعَهْدِهِ فِي
السَّبِيحِ ١١٤ ﴿فَمَا تَسَاءَلُ دُحُورًا بِهٍ﴾ أَي فَمَا تَوَكَّلُوا مَا ذَكَرْتُمْ بِهِ صَلَاحًا هُمْ يَرْكَبُ النَّاسِي لِنَفْسِهِ
وَأَعْرَضُوا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَتَجِدَا إِلَيْكَ يَتَوَكَّلُ عَنِ الشَّرِّ﴾ أَي نَجِبَا سَامِعِينَ عَنِ
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴿وَالَّذِينَ اتَّكَبُوا لَهُمْ يَسْكَرُ بَيْنَهُمْ﴾ أَي وَأَعْدَا أَعْدَائِهِنَّ الْعَصَا بِعَذَابٍ شَدِيدٍ
وَهُمْ الدَّيْرُ أَرْتَكِبُوا الْمُنْكَرَ ﴿بِهِمْ كَانُوا يَفْتَسِرُونَ﴾ أَي بِسَبَبِ فُسْخِهِمْ وَعَصِيَانِهِمْ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا
فِرْعَانَ عَمَلًا﴾ أَي فَمَا اسْتَمْعَرُوا وَتَكَبَّرُوا عَنْ تَرْكِ مَا نَهَوْا عَنْهُ ﴿فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْا غَيْبَهُمْ﴾ أَي
مُسَخَّخًا بِلَى قُرْدَةٍ وَخَنَازِيرٍ ، وَاعْتَبَرُوا أَنَّهُمْ عَذَّبُوا أَوَّلًا بِعَذَابٍ شَدِيدٍ فَلَمَّا آمَنُوا دُعُوا وَتَدَاوَعُوا
الطَّبَائِبَ مَسَحُوا قُرْدَهُ وَخَنَازِيرَهُ ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ أَصْحَابَ الْغُرَبِ انْتَصَرُوا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : فَرَفَعَتْ
فَحَلَّ بِهَا الْعَذَابُ ، وَفَرَقَةٌ مَاتَتْ وَوَعِظَتْ فَجَاءَهَا اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ ، وَفَرَقَةٌ امْتَرَلَتْ فَلَمْ تَهْزَلْ وَلَمْ
تُغَارَفِ السَّعْيُ وَفَرَقَةٌ مَاتَتْ عَنْهَا الْقُرْآنُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَا دَرَى مَا فَعَلَ بِالْفَرَقَةِ السَّاكِنَةِ تَجَوَّأَ أَمَّ
هَلَكُوا أَوْ قَالَ حَكَمَتْهُ فَلَمْ يُزَلَّ بِهِ حَتَّى مَرَّتْهُ لَوْ أَنَّ نَجِيًّا لَأَنَّهُ كَرِهَ مَا فَعَلَ لَوْ لَكُنَّ ، فَكَانَ
حَلَّةً ١١٥ ﴿وَيَوْمَ تَدْعُكَ دَعْوَةً يَنْفَعُ فِيهِمْ ذِكْرُ الْيَكُونِ يَسُومُهُمْ مَوْتَ الْيَكُونِ﴾ أَي وَادَّكَرَ بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ
حِينَ أَعَامَ دِيَارَهُ أَسْلَطَهُ عَلَى الْيَهُودِ لِيُقَامَ لِسَاعَةِ مَنْ يَفْتَنُهُمْ نَسُوا الْعَذَابَ بِسَبَبِ عَصِيَانِهِمْ

١٠٠: المختصر ٥٩/٢٧

١٠١: القرطبي ٦٧/٣٠

١٠٢: المختصر ٥٩/٢٨

١٠٣: الطبري ١٣/١٨٥

ومخاضهم أمر الله واحتياهم على المحارم، وقد سلط الله عليهم يختصم مقتلهم وسلبهم، وسلط عليهم التصاري فأذلهم وضمروا عليهم الجزية، وسلط عليهم محمداً يتيظهم الأرض من رجهم وأجلهم عن الجزيرة الحرية، وسلط عليهم أخيراً (هتلر) فاستباح جسامهم وكان أن ييدهم ويقتلهم بالغلل والتشريد في الأرض، ولا يزال وعد الله بتسليم العذاب عليهم سارياً إلى أن يقتلهم المسلمون في المعرفة العاصلة إن شاء الله وبوعد يفرح المزمنون بنصر الله ﴿إِنَّكَ لَسَمِيعٌ أَعْيَانٌ زُكُّهُ لَقَوْلُهُ رَبِّهِ﴾ أي سريع العقاب لمن عصاه وغشور رحيم لمن أطاعه ﴿وَقُلْتُمْ لِمَ الْأَجْرُ مُسْتَعْتَبٌ﴾ أي عرفناهم في البلاد طوائف وفرقا فني كل بئدة فرقة منهم؛ وليس لهم قليم يملكونه؛ حتى لا تكون لهم شوكة، وما اجتمعوا في الأرض المقدسة في هذه الأيام إلا لينبشوا بأبدي المزمنين إن شاء الله كما وعد بذلك رسول الله ﷺ حيث قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود» الحديث أخرجه مسلم - ثم بين تعالى أنهم ليسوا حبيبا فجاءوا بل فيهم الأعياء وفيهم الأشرار فقال: ﴿يَمُتُهُمُ اللَّهُ لِيُزَيِّنَ لَهُمْ دَلِيلًا﴾ أي منهم من آمن وهم قلة قليلة منهم من انحط عن درجة الإصلاح بالكفر والفسوق وهم الكثرة الغالب ﴿وَيَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظُهُورُهمُ يَرُجُونُ﴾ أي اختبرناهم بالنعم والنعمة والشدّة والقرابة لعلهم يرجعون عن الكفر والمعاصي ﴿مَتَلَفٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال ابن كثير: أي خلف من عند ذلك الحيل الذي خبهم الصالح والطالح خلف آخر لا خبر فيهم وورثوا الكشاكش وهو الثوراء عن أيانهم ﴿يَأْمُرُونَ خِزْفًا وَقَدُ الْأُتْرَاقَ وَيَتَوَلَّوْنَ سِتْرًا﴾ أي يأخذون ذلك الشيء الذي من حطام الدنيا من حلال وحرام ويقولون متجحين: سيغفر الله لنا ما فعلناه، وهذا اغترار منهم وكذب على الله ﴿وَلَا يَأْتِيهِمْ خَيْرٌ يَنْفَرُ بَأْتُوهُ﴾ أي يرجون المغفرة وهم يصرون على الذنب كلما لاح لهم شيء من حطام الدنيا أخذوه لا يبالون من حلال كان أو حرام ﴿أَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْآفَاتِ﴾ أي يقولوا قل الله لا تقبل إلا التقي، الاستفهام للتوبيخ والفتوح أي ألم يؤخذ عليهم أنهم هم المأمرون في الثوراء أن يقولوا الحق ولا يكذبوا على الله؟ فكيف يزعمون أنه سيغفر لهم مع إصرارهم على المعاصي وأكل الحرام؟ ﴿وَأَمَّا مَا يَبْتَغِي﴾ أي هذا أعطكم التوبيخ لهم أي والصل أنهم درسوا ما في الكشاكش وعرفوا ما به السمرة الثامة من الوعيد على قول الباطل والافتراء على الله ﴿وَأَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْآفَاتِ﴾ أي ألا يترجون ويغفلون؟ والسراد أنهم لو كانوا عقلاء لسا أكرروا الخاتمة على السافة ﴿وَأَلَمْ يَكُنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي يمشكون في أمور دينهم بما أنزاه الله ويحافظون على أداء الصلاة وأوقاتها ﴿إِنَّ لَا تَخْبِي أَمْرًا لِلرَّاسِخِينَ﴾ أي لا تضيع لهم بل تجريهم على تمسكهم بصلاحهم الفضل وأكرم العزاد.

من آياتنا المعجزة بعد آيات سماهم على جهل من يظنون؟ ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّرُ الْقُرْآنَ وَلَقَدْهُمْ
 يَرْجِعُونَ﴾ أي تركهم بينا الميثاق بين الآيات ليتدبرها الناس وليبرحوا عما هم عليه من الإصرار
 على الباطل وتقليد الآباء ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهِمُ لَمَّا آتَيْنَاهُ قَاصِلًا مِّنْهُمَا﴾ أي وأنزل يا محمد على
 اليهود خبر وقصة ذلك العالم الذي علمناه عنه بعض كتب الله فنسلك من الآيات كما تنسج
 الحجة من حشد ما برأى كفر بها وأعرض عنها ﴿فَنَشَقُّهُ لِنُظَلِّقَهُ فَكَانَ مِنَ الْقَائِمِينَ﴾ أي فلدفعه
 الشيطان واستحوذ عليه حتى جعله في زمرة النصارى المستعدين على الغواية بعد أن كان من
 المجهدين قال ابن عباس: هو (يعلم من يهوداء) كان عنده اسم الله الأعظم وقال ابن مسعود:
 هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى إلى ملك قديمين داعيًا إلى الله فرشاه الملك وأعطاه الملك
 على أن يترك دين موسى ويذبح الملك عسى دته ففعل وأقبل إلى الله بذلك ^١ ﴿وَوُضِعَ لَكَ الْقُرْآنُ
 فِيهِ لَكُنْكَ لَعْنًا إِنَّا كُنَّا نَعْمُوهُ﴾ أي لو شئنا لم فنعاه إمرأ منزهة العناء الأبرار ولكم مال
 إلى الدنيا وسكن إليها وأمر لذنها وشهواتها على الآخرة واتبع ما نهوه نفسه ونهض لمخل سامعين
 ﴿ثُمَّ كَتَبْنَا الْقُرْآنَ عَلَى قَلْبِكَ لِئَلَّا تَكُنْ مِنَ الْخَالِفِينَ﴾ أي فكتبناه في قلبك من النصيحة والنداء
 كمثل الكلام إن طردت ورجوت ففعل أيها وإن تركته على حاله تهت، وهو تعين يادى لمروءة
 ظاهر البلاغة ﴿ذَلِكَ مِثْلُ الْقُرْآنِ الْقُرْآنُ كَذُومٌ بَلَّغْنَا﴾ أي هذا مثل السين هو مثل لكل من كان
 بأيات الله، وفيه تعريف ما يهود فقد أوتوا القوراة وعرفوا صفة النبي عليه الصلاة والسلام فلما
 حاصم ما عرفوا كفره وأنه ينسلكوا من حكمه استمروا ^٢ ﴿فَنَقُصُّ الْقُرْآنَ أَفْصَحَ قُلُوبَهُمْ يَقْنَطُونَ﴾ أي
 فنعصر على أمكنة أو عين إليك لعلمهم يتدبرون فيها وينصرفون ^٣ ﴿لَكُنْ تَقُولُ الْقُرْآنُ كَذُومٌ
 بَلَّغْنَا﴾ أي وإن مثل أفوم المكذوبين بآيات الله ^٤ ﴿وَالْقَسْبُ كُنْ يَحْيُونَ﴾ أي وما تلاموا
 بالكذب إلا لتسمهم فإن دباه لا استعدادها ^٥ ﴿فَنَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَهُوَ الْقُرْآنُ وَأَنزَلْنَا قُلُوبَهُمْ
 الْقُرْآنُ﴾ أي من هذه الله فهو السعيد الموفق ومن أضله فهو الخائب الخاسر لا محالة
 وفرض من الآية أن كهداية والإضلال بيد الله ^٦ ﴿وَلَقَدْ مَزَنَّا جَهَنَّمَ لَنُكَلِّبَنَّ النَّارَ وَالْإِنْسَ﴾
 أي خلقنا لهم ليكونوا حصة لها خلقا كثيرا كانوا من الجن والإنس، والمراد بهم الذين حفظ
 عليهم الكلمة الأثرية بالشقارة ^٧ ﴿فَمَنْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِمَا﴾ أي لهم فرب لا يفهمون به الحق ^٨ ﴿وَلَقَدْ
 أَنزَلْنَا الْقُرْآنَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي لا يفهمون به ^٩ ﴿وَلَقَدْ مَزَنَّا جَهَنَّمَ لَنُكَلِّبَنَّ النَّارَ
 وَالْإِنْسَ﴾ أي لا يفهمون به ^{١٠} ﴿وَلَقَدْ مَزَنَّا جَهَنَّمَ لَنُكَلِّبَنَّ النَّارَ وَالْإِنْسَ﴾ أي لا يفهمون به
 بسمون بها. والآيات والمواضع سماع لغو ونعاط، وبمس المراد نفي للمنع والتبصر بالكتابة وإيما
 المعرفة فيها مما ينفعها من الدين ^{١١} ﴿وَلَقَدْ مَزَنَّا جَهَنَّمَ لَنُكَلِّبَنَّ النَّارَ وَالْإِنْسَ﴾ أي هم كالحيوثات في عدم الفقه
 والبصر والاستماع بل هم أسوأ حالاً من الحيوانات لأنها يدرك منافعتها ومفترها وهؤلاء لا
 يدركون من المشافهة والمصاهر ولهذا يمدحون من النار ^{١٢} ﴿وَلَقَدْ مَزَنَّا جَهَنَّمَ لَنُكَلِّبَنَّ النَّارَ وَالْإِنْسَ﴾
 لعنفه ^{١٣} ﴿وَلَقَدْ مَزَنَّا جَهَنَّمَ لَنُكَلِّبَنَّ النَّارَ وَالْإِنْسَ﴾ أي أنه الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها لإيمانها عن

أحسن المعاني وشرفها فسقوه تلك الأسماء ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ خَبِرْتُمْ فِي أَهْلِكُمْ﴾ أي أنكم الذين يعملون في أسمائهم تعالى عن الحق كما فعل المشركون حيث شقروا لأهليهم أسماءها منها كذالات من الله والعزى من العزيز وموت من الله فإن ﴿مُذِبِّهِمْ﴾ أي مذبذبون أي يذبذبون جزاء ما عملوا في الآخرة ﴿وَنَحْنُ خَلْقًا آخَرًا يَتَّبِعُونَ آخِرَ رَبِّهِمْ﴾ أي ومن بعض الأسماء التي خلقتنا أمم مستسكة بشرع الله تعالى وعملًا يدعون الناس إلى الحق فيه يعملون وبعضون قال ابن كثير والمراد في الآية هذه الأمة المحمدية لحدث الأئمة طائفة من أممي قدومهم على الحق لا بغيرهم من مدلوله ولا من مخالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك^(١) وهذه لطائفة لا تتغير بزمان دون زمان بل هم في كل زمان وفي كل مكان فالإسلام ثابت يدعو ولا يعنى عليه وإن كثرت المساق وأرض لشر ولا عبرة فيهم ولا عبوة لهم، وفي الحديث شارة عطفة لهذه الأمة المحمدية بأن الإسلام في عتو شرف وأهنة كذلت إلى قرب الساعة ﴿وَالْيَوْمَ كَذِبُنا يُكَذِّبُنا كَذِبُنامْ يَمُنُّونَ﴾ أي والذين كانوا آمنوا من قبل مكة وبشرهم من بعدهم قليلًا ونسبهم من أهلها من حيث لا يشعرون قال البيضاوي^(٢) وذلك بأن نوتر عليهم التعميم فيظنوا أنها تعطف من الله تعالى بهم فيردواوا بطرا وأهانة في الظن حتى تحقق عليهم كثرة العذاب^(٣) ﴿وَنَأْتِيَهُمْ﴾ أي وأصلهم ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر كما في الحديث الشريف: إن الله ليعمى لما ظالم حتى إذا أنشأه الله فيهم ﴿يَوْمَ كَذِبُنا يُبَيِّنُ﴾ أي أخذي وعظامي قوي شديد واسمها كذا لأن طاهره إسمان وباطنه جلالان ﴿وَنُؤْمِنُ بِتَفْصِيْلِهِمْ﴾ أي أؤتم بصدق هؤلاء المكذوبين بآيات الله فيعلموا أنه ليس بمحمد^(٤) عنون بل هو رسول الله جده أرسله الله لأهليهم، وهذا نفي لاسم الله العرش كون من العرش في قولهم ﴿يَوْمَ تَأْتِي سُورَةُ الْاَنْكُرِ بِذِكْرٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي يوم هو ألا يورث شيء^(٥) أي ليس بمحمد إلا رسول منزه أمره بين وضوح لمن كان له لب أو قلب يعقل به يعني ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ اَشْكُوْتِ وَالْاَزْوَاجِ﴾ أي أؤتم ينظروا منظر استدلال في ملك الله الواسع ما يدل على عظم الملك وكبر القدرة، والاستدلال بالإنكار والتعجب والتوبيخ ﴿وَنُحَاطُّ أَفْهَى نُؤْمِرُ﴾ وفي صحيح مسلموفت الله الجليل فيها والدقيق فيستدسوا ذلك على كتمان قدرة صانعتها وعظم شأنها وتأثيرها ووحدة عبادها وبيدها؟ ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُوْرَ قَبْرُ النَّبِ اَبْنِيْكُمْ﴾ أي وأد يفكر والعلمهم يعرفوا عن قرب فيسمي لهم أن ياروعوا إلى النظر والتدبر فيما يخالفهم عنه، وأنه قبل حلول الأجل ﴿يَوْمَ تَأْتِي سُورَةُ الْاَنْكُرِ بِذِكْرٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي فيأتي حديث بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في الظهور والبيان ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ أَفْهَى كَفْرًا﴾ أي من كذب الله عليه الصلاله واله عليه بعد ﴿وَنُؤْمِرُ فِي مَلَكُوتِهِ﴾ يمتلئون^(٦) أي ومنكرهم في كفرهم ونمرهم بتردد وبتحديق.

السابعة ﴿وَيَوْمَ نُفِخُ فِي اَنْبُوتٍ﴾ فيه انقفاة من المنكفم إلى المحاطب والأمر ولا اعتناء والمنكفة في ذلك تعقيب شأن الرسول من وجه الخطاب له، ولا يخفى أخصا ما في الإضافة إلى ضميره عليه

(١) المختصر ٢/١٠٩ حديث في التسمين

(٢) البيضاوي ص ٢١٤

السلام ﴿وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ﴾ من الشكر والثناء بعد روي الأثرين أن عدد الإيهام والتفصيل بعد الإحسان
 ﴿مَنْ شَرَحَ مِنْهَا بِالْكَلْبِ لَمْ يَخْلُجْ الْخَلْدَ مِنَ الشَّيْءِ﴾ قال أبو السعود: القصر عن الخرج
 منه، بالانفصال، لا بالانضمام، كما قال في بيته الأولى: «مَنْ لَمْ يَخْلُجْ الْخَلْدَ مِنَ الشَّيْءِ لَمْ يَخْلُجْ الْخَلْدَ مِنَ الشَّيْءِ»
 فكذلك في قوله: «مَنْ شَرَحَ مِنْهَا بِالْكَلْبِ لَمْ يَخْلُجْ الْخَلْدَ مِنَ الشَّيْءِ» أي حاله التي هي مثل في الشراء
 كحال أحد الحيات التي وأرضها وهي حالة الكلب في دواء لهته في حالتي الشفاء والمراد هنا التسوية
 من غير عفا من متعدد ولهذا يسمى أشبه الثعلبي ﴿أُولَئِكَ كَانُوا فِي أَعْيُنِنَا﴾ تشبيهه بما يرسل من قبل

روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ رِزْقُكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أنه قال: لو فاقنا قوم
 لكفر (أو صفة أن نعم) فصاروا رزقهم في أو بعبارة فكأنهم أقروا أنه ليس رزقهم بخلاف
 (أي) فليها حرف جواب وتحقق باقي ولعمري إطلاعه فالسبب في ذلك رما ولو قالوا نعم فنصار
 المعنى كنت رزقا فيها ربه يقول ابن عباس فتنبه له فإنه دقيق

في الحديث الشريف: «إِنَّ اللَّهَ تَسْمَعُ وَتَسْمَعُ مِنْهُ» من إعطائه دخل الجنة، و
 الله ولي قال العلماء: معناه من حفظه وتذكر في مسئوليها دخل الجنة وليس المراد حشر أسمائه
 تعالى في هذا التسعة والتسعين دليل ما جاء في الحديث أن ذلك بكل اسم سميت به نعت،
 أو استأثر به في علم الغيب عندك أو قد ذكر ابن العربي عن بعضهم أن ذلك يعني ألف اسم.

﴿تَقُومُوا لِي فَتَقُومُوا لِرَبِّكُمْ﴾ إلى . ﴿وَتُحْيَوْنَهُمْ وَتُمْ حَيَاتُهُمْ﴾ من توبة
 (١٩٦) إلى الآية (٢٠٦) نهاية السورة الكريمة.

هذا ذكر شعائر موقف المصنفين من دعوة الرسول . ذكرها طرفاً من حادهم
 واستمر انهم سواها الرسول . عن وقت قيام الساعة، ثم ذكر الصريح والبراهين على بطلان
 عقيدة المشركين في عبادة الأوثان والأصنام، وحثه السورة الكريمة ببيان عقيدة شأن القرآن
 ووجوب الاستماع والإصغاء عند تلاوته

﴿تَرْجُوهُ﴾ استفراها وخصولها، من أوساء إذا تفتت وأقره منه رست السبعة إذا تفتت
 ووقفت ﴿يَحْيَا﴾ يقوهم، وانجوساً: الكاشف والذاهب ﴿عَلَى﴾ أحصى المستقصى: الشيء
 المعنى بأمره قال الأعشى

قَالَ تَسْأَلُنِي عَمِّي فَمَا رَجَبُ سَائِلٍ عَمِّي عَنِ الْأَعْمَى بِهِ حَيْثُ أَصْدَا
 وَالْإِعْمَاءُ الْأَسْتَفْسَاءُ وَمَنْ إِحْدَهُ الْفُشُولُ بِرَحْمِي عَنِ ابْنِي إِذَا يَحْتَمِلُ يَتَعَرَفُ مِنْ سَائِلِهِ
 المعروف وهو نزل خبنة حيدة برصية العفو... ونظمت في هذا الشفوي والأمثال حسب
 أصيل قال الجوهري والأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب

[illegible]

١١١ : القرآن الكريم

٧٤ / ت المصنف

١٠ قال الحافظ ابن كثير: لمسلم معاذ بن جبل، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا شابين نكاحاً، وما كان في الجاهلية أحد من بني كعب بن لؤي يكسرهما ويشقهما حقاً، وكانا لعمرو بن الجموح - وهو سيد قومه - صديقين، وطيفاً فكانا يمشيان في الليل في كسائهما من أدم، ويخطونه بالحدود الجبلية، فيسبي - عمرو بن الجموح - فيرى ما أصبح به فيفسده، ويخطي ويهجع منه شيئاً ويقول له: «عصم» ثم يعودان لئلا يفتل ذلك ويبدو إلى منيعه حتى أخذهما من قعر ناه، ثم كلب ميت، وليثاء في بئر هناك، فلما جاء عمرو بن الجموح وروى ذلك حصر أن ما عليه من الفلين داخل فأنشأ يقول:

المجلس الأعلى للدراسات الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٢٤.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُقَالُ لَهُ الْفَرْدُ الْوَاحِدُ

الملائكة الأظهار ﴿لَا يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ أي لا يتكبرون عن عبادة ربه ﴿وَيُضِیُّوْنَ﴾ أي يضيئون عما لا يليق به ﴿وَيُؤْتُونَ سُبْحَانَ﴾ أي لا يسجدون إلا لله .

المؤلف

- ١ ﴿كَانَ خَيْرًا لَّكَ﴾ التوبيخ مرحلة محسنة لذكر الذلة التوبيخ وحذف وجه الشبه.
٢ ﴿مُنْكَ تَلَقَّيْنَاهُ﴾ التخطي هنا كناية عن الجماع وهو من الكنايات اللطيفة.
٣ ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَّيْلٌ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ إلخ هذا الأسلوب يسمى «الإنشائي» وفائدته زيادة التفرع والتوبيخ.

وهو إدخال الإبرة وما شابهها في الجلد قرب استئصال الصفة

د. «هَكَذَا يَقْضَىٰ بَيْنَ رَأْيَيْكَ» فيه تشبيه بليغ وأمله: هذا كالبصائر حذفت أداة التشبيه ووجه التشبيه فهو بليغ، ويرى بعض العلماء أنه من قبيل المجاز، ثم رسل حيث أطلق المصعب على السبب لأن القرآن لما كان مبكاً لتأويل المعلوم أطلق عليه نطق الصيغة.

السيد حكى عن بعض السلف أنه قال للسيف: ما تضع يائسطين إذا رول لك الخطي؟
قال: أجاهد، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهد، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهد، قال: إن هذا يطول،
أرأيت لو مررت بغيره فبحثت كلها ومنعت من الصور ما تضع؟ قال: أكابده وأرده جهدي
قال: هذا يطول عليك ولكن استعث بصاحب الغنم كيف عث، فهذه فائدة الاستعاذه.

دود و به این معانی با هم می آمیزند

سورة النور

بين هدي السورة

٧ سورة النور إحدى السور المدنية التي نزلت بحسب التشريع ، وحامية فيما يتعلق بالقرآن والجهاد في سبيل الله ، فقد عالجت بعض السور هي الحرية التي ظهرت عند بعض النجرات ونصحت كثيرا من التشريعات الدينية ، والإشارات الإلهية التي يصح على المؤمنين الأخذ بها في قناتهم لأعداء الله ، وشاولت جانب العلم والحرب ، وأحكام الأسرة المسلمة .

٨ نزلت هذه السورة للكرامة في أعقابها (غزوة بدر) التي كانت فاتحة الغزوات في تاريخ الإسلام المجيد ، وبداية النصر لجند الرحمن حتى سلبها بعض الفسدة (سورة نور) لأنها تناولت أحداث هذه الواقعة بأسباب ، ووصفت المنطقة الواقعة بينة للقتال ، وبينت ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من أخلاقه والشهادة ، وأوقفت في وجهه الناطق بكل شجاعة وعزيمة حرم بصمود .

٩ ومن المعلوم من تاريخ معزوات التي خاضها المسلمون أن غزوة بدر كانت في رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، وكانت هي الجولة الأولى من جولات الحق مع الباطل ، ورد البغي والفساد ، وشهد مستضعفين من الرجال والنساء ، وولد ، الذين فقدتهم الصعف في مكة ، وأخذت في الضراعة إلى الله أن يخذلهم من القرية الظالم أهلها ، وقد أجاز الله أمرهم فعيا لهم في وقت تلك المعركة ، التي لم يبق النصر للمؤمنين على فقه من مددده ، وضعف من خذله ، وعلى عدم نهبتهم لسفارة ، ولما عرف أصحاب الباطل أنه يهاجمهم بأسلحة ، وقوت شدة ، وشد مسدده ، فلا بد له من يوم يخسر فيه سريعاً أمام حلال الحق وقوة الإيمان ، وهكذا قامت غزوة بدر نصراً للمؤمنين ، وهزيمة للمشركين .

١٠ وفي ثلثاء من أحداث در حديث الداعات ، لإلهية المؤمنين من مرات بوصف الإيمان ﴿يُكَفِّرُ الْبُيُوتَ الْمُؤْتَى﴾ كخاف لهم على النصر والشان في محادتهم لأعداء الله ، وكذلك لهم باله وه التكاليف التي تم واجباً من مقتضيات الإيمان الذي تحلوا به ، وأن النصر الذي حازوا عليه كان بسبب الإيمان لا بكثرة السلاح والرجال .

١١ أما الله الأور فقد جاء فيه تحجب من الضرر من أعداءه ﴿يُكَفِّرُ الْبُيُوتَ الْمُؤْتَى﴾ ليقدر تزيين كفوياً رغباً فلا تزلزلهم الأوقات وقد توعدت الآيات المحرمين أمام الأعداء بأشد العقاب .

١٢ ولما نزلت آياتي فقد جاء فيه الأمر بالسمع والطاعة لأمر الله وأمر رسوله ﴿يُكَفِّرُ الْبُيُوتَ الْمُؤْتَى﴾ الله ورسوله فلا تزلزلوا خلقه وأمنه فستكون كما صيرت الآيات الكرامين بالأنعام لسمو حقه التي لا تسمع ولا تضي ولا تستجاب للمرة الحق .

«وَأَمَّا ثَلَاثُ النَّاسِ: فَقَدْ بَيَّنَّ فِيهِ أَنَّ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ الرُّسُولُ فِيهِ حَيَاتُهُمْ وَعَرْلُهُمْ وَمَعَادُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ فِي سَبِيلِكُمْ﴾ . . . الآية .

«وَأَمَّا ثَلَاثُ الرَّابِعِ: فَقَدْ لَبَّيْهُم فِيهِ إِلَى أَنْ يَفْشَاءَ سِرُّ الْأَمَّةِ لِلْأَعْدَاءِ خِيَانَةً لَهُ وَلِرُّسُولِهِ، وَحَيَانَةً لِلْأَمَّةِ أَيْضًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْلُتُونَ﴾ .

«وَأَمَّا ثَلَاثُ الْخَامِسِ: فَقَدْ لَقَّبَتْ قَطْرَهُمْ فِيهِ بِسُوءِ شَعْرَةِ النَّفْثَى، وَذَكَرَهُمْ بِأَنَّهَا أَسَدُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَأَنَّ مِنْ أَهْظَمِ سُوءَاتِ النَّفْثَى ذَلِكَ النُّورُ الْوَرِيعِيُّ، الَّذِي يَهْدِيهِ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَبِهِ يَخْرُقُ بَيْنَ الْإِشْرَافِ وَالْغِي، وَالْمَهْدَى وَالْفَضْلَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا إِلَّا مَا تَنصَحُوا اللَّهُ يَتِمَّلْ لَكُمْ رِزْقًا وَسَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَجْزِيَكُمْ أَجْرَهُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُقَاتِلُونَ﴾ .

«وَأَمَّا ثَلَاثُ السَّادِسِ: وَهُوَ ثَلَاثُ الْآخِرِ فَقَدْ وَفَّحَ لَهُمْ فِيهِ طَرِيقَ الْعِزَّةِ، وَأَسَّسَ النُّصْرَةَ وَذَلَّتْ بِالْثَبَاتِ أَمَامَ الْأَعْدَاءِ، وَالْعَبْرَ عِنْدَ الْإِنْفَاءِ، وَتَحَصَّنَ عِظَمُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَحُدُ، وَقُوَّةِ الَّتِي لَا تَقْهَرُ، وَالْإِعْصَامَ بِالْمَدَدِ الْوَحِيدِ، الَّذِي يَعْصِيهِمْ عَنِ الشَّدَائِ لَا وَهُوَ ذَكَرَ أَنََّّهُ كَثِيرٌ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَحَرَّيْتُمْ أَنْ تُفَنِّدُوا نَفْسًا فَافْتَرُوا بِهَا كَذِبًا وَأَعْتَدُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ .

«وَقَدْ خَتَمَتْ السُّورَةُ الْكَرِيمَةَ بَيَانِ الْإِثْرَةِ الْكَامِلَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ مَهَّمَا تَامَتْ دِيَارُهُمْ وَاخْتَفَلَتْ أَجْنَاسُهُمْ فَهَمُّ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَهَلَبُهُمْ نَصْرُ الَّذِينَ يَسْتَنْصِرُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا، كَمَا أَنَّ مَلَّةَ الْكُفْرِ أَيْضًا وَاحِدَةٌ، وَبَيْنَ الْكَافِرِينَ وَلايَةُ قَائِمَةٌ إِلَى أَسَاسِ الْبَقْيِ وَالْفَضْلِ، وَأَنَّهُ لَا وَلايَةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ وَلَا تَقْصُرُوا نَفْسًا فِي دَارِكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَتَكْفُرُوا بِهِمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ .

«هَذِهِ خُلَاصَةُ مَا أَتَاوَتْ إِلَيْهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَهْدَافٍ، وَمَا أَرَشَدَتْ إِلَيْهِ مِنْ دُرُوسٍ وَجَبَرَتْ، نَسَّأَهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَعْمَلِ الْفَهْمِ وَالْبَصَرِ .

□ □ □

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَذَكَّرُ فِي الْأَنْفَالِ فِي الْأَنْفَالِ . . . إِلَى . . . تَوَلَّوْا لَهُمْ مُنْجُسَاتُكُمْ﴾ مِنْ آيَةِ (١) إِلَى آيَةِ (٢٣) .

قَوْلُهُ: ﴿الْأَنْفَالُ﴾ لِمَتَانِمْ جَمْعُ نَفْسٍ بِالْفَتْحِ وَهُوَ الزِّيَادَةُ وَسَمِيَتْ الضَّرَائِمُ بِهِ لِأَنَّهَا زِيَادَةُ عَلَى الشِّيَامِ بِحِسَابِ الدِّينِ وَالْأَوْطَانِ، وَتَسَمَّى صَلَاةً لِأَنَّهَا طَرُوعُ تَغْلَا، وَوُلْدَ الْوَلَدِ نَاقِلَةٌ لِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ لَبِيدُ:

إِنْ شَفَوِي رُسْنَا خَبِرَ نَفْسِي وَبِلَدَانِ اللَّهِ وَبِشِي وَالْمَجْلِ
﴿بَلَّغْتُ﴾ لَوْ سَلَّ: الْخَوْفُ وَالْقَرَعُ ﴿ذَاتِ أَنْوَالٍ كَوْنُ﴾ لِلشُّرْكَ: السَّلَاحُ وَأَصْلُهَا مِنْ اشْتَرَكَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَمَجَازُ الشُّرْكَ الْخَدِيقُ قَالَ: مَا أَشَدَّ شُرْكَهُ بَنِي فَلَانِ أَيْ حُدُومِ^(١) ﴿تُتَّبِعُونَ﴾

[illegible]

التفسير ﴿يَتَّقُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ أي بآلك أصبحنا يا محمد من العباد التي غشها من بدر
 لمن هي؟ وكيف تسم؟ ﴿فَلْيُؤْتُوا ذِكْرًا نَدْوَىٰ﴾ أي غل لهم الحكم بها لله والمرسول لا لكم
 ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي اتقوا الله طاعته واجتنب معاصيه ﴿وَأَسْبِغْهُمُ الْغُيُوثَ﴾ أي أسكبوا الحلال
 التي بينكم بالاختلاف وعدم الاختلاف ﴿وَأَنْتُمْ أَعْيُنُ اللَّهِ رِيشَتُهُ﴾ أي أطيحوا أمر الله وأمر رسوله في
 الحكم في الغنائم فالإعادة من عصامت - نزلت فيها أصبحت بدر حرب احتلها وساء أخلاقها
 فخرج الله الأنفاق من أيدينا وجعلها لرسول الله يبرئ قسمها على السواء فكان في ذلك
 تقوى الله، وطاعة رسوله، وإصلاح ذات البين^{١١} ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾ شرط حذف جونه أي
 إن كنتم حقا مؤمنين كالمسلمين في الإيمان فأتبعوا الله ورسوله ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي إنما التكاليف
 في الإيمان التمسكون به ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُ اللَّهُ رَسُولَهُمْ﴾ أي يذكرون اسم الله فرعون قلوبهم
 لمجرد ذكره استعطفوا لشداه، وتبها منه جن وعلا ﴿وَلَا تَنْتِفِعْ بِكَفِّهِمْ﴾ أي إذا
 ثبثت عليهم آيات القرآن لرداء تصديقهم وبقيتهم بالله ﴿وَلَا تَنْتِفِعْ بِكَفِّهِمْ﴾ أي لا يبرون
 غير الله ولا يبرجون سواه قال في البحر: فحصر عنهم بأحد شمول ثلاث مفاهيم عظيمة
 هي: مقام الخوف ومقام الإيثار في الإنسان، وعدم التوكل على الرحمن^{١٢} ﴿تَنْتِفِعْ بِكَفِّهِمْ﴾
 التفتت أي يزدون الصلابة على الوجه الأكمل بخشوعها وفرورها وآدابها^{١٣} ودعا رزقهم

$$y = f(x) = \frac{1}{2}x^2 + 2x + 1$$

١٢٢) قال ابن الخطيب: انقرأ هذه الآية ولنفسه على رأسه، ولغيره معها، انفسه، ما، وادعها تطابقاً على شرفاته
عليها ثباتاً لله من فضل، وسارجه من غير، وإن وجدتها في واحد مني أو في واحد، فالتمس إلى التوسيم الواردة، التجار
إلى الألفاظ الحرة، وأن جني قلبه خير به، وإبداً وإكلاً، ويوقفه لإفهامه أصالة وإثباته فركاً، فتمم نظريته وحسم
الجب. والتمس هذا بوجه خاص، فك وصفت طوبى.

يُؤْتِرُكَ» أي وينفقون في طاعة الله مما أعطاهم الله ، وهو عام في الزكاة ونوافل الصدقات
 ﴿أَلَيْسَ لَهُمُ الْآيَاتُ حَقًّا﴾ أي المستصفون بما ذكر من الصفات العبيدية هم المؤمنون إيماناً حقيقياً
 لأنهم جمعوا بين الإيمان وصلاح الأعمال ﴿لَمْ تَرْجُ وَتَرْهَبْ﴾ أي لهم مازلة ربيعة في الجنة
 ﴿وَتَتَّقُ﴾ أي تكفير لما فرط منهم من الذنوب ﴿وَيُؤْتِرُكَ سَكِينَةً﴾ أي رزق دائم مستمر مفرون
 بالإكرام والتعظيم ﴿كَمَا أَخْبَرَكَ رَبُّكَ بِآيَاتِهِ بِالْحَقِّ﴾ الكاف لنفسه مشبهاً قال ابن عطية : شبهت
 هذه القصة التي هي إخراجهم من بيته بالقصة التي هي سؤالهم عن الأنفال وكراهتهم لما وقع^{١٠٠}
 لديها والمعنى : حالهم في كراهة تنفيل العناتم كحالهم في حالة خروجك للحرب ، وقال
 الطبري : المعنى : كما أخرجك وبك بالحق على كره من مريد من المؤمنين : كذلك يجادلونك
 في الحق بمعلمانين ، والحق الذي كاترا يجادلون فيه الشيء باز بعد ما نبيته هو القتال^{١٠١} ﴿وَرَبُّكَ
 قَرِيبٌ مِّنَ الْمُتَزَيِّعِينَ لِكُفْرِهِمْ﴾ أي والحال أن فريقاً منهم كارهون للشرع لقتال العدو خوفاً من
 القتل أو لعدم الاستعداد ﴿فَيُجَادِلُوكَ فِي آيَاتِهِ يَتَكَا تَبَّ﴾ أي يجادلونك يا محمد في شأن الخروج
 للقتال بعد أن وضع لهم الحق وبان ، وكان جدالهم هو قولهم : ما كان خروجنا إلا للغير ولو
 عرفنا لاستعدنا للقتال ﴿كَأَنَّا بِمَا نُرِيدُ إِلَى الْغَوِيِّ وَهَمَّ يَتَّبِعُونَ﴾ قال البيضاوي : أي يكرهون القتال
 كراهة من يتساق إلى السوت وهو يتشدد أسبابه ، وذلك لقلة عددهم وعدم ثلعبهم ، وفيه إسماء
 إلي أن مجادلهم إنما كانت لغرض موعهم ووعهم^{١٠٢} ﴿فَبَدَّلَ اللَّهُ إِلَهُكُمْ إِنَّمَا تَكْفُرُ
 أَفِيذَكُمُ أَفِيذُكُمْ﴾ أي وتحيرون أن تغفوا الطاغية التي لا سلاح لها
 وهي العير لأنها كانت محسلة بتجاوز قريش قال المفسرون روي أن عير قريش أنبلت من الشام
 وفيها نجارة عظيمة يرثاسة أبي سفيان ، ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد : إن الله وحدكم
 (أعدى الطائفين : إما العير وإما قريشاً ، فاستشار الرسول ﷺ أصحابه فاختاروا العير لثقة
 الحرب وكثرة النخمة ، فلما خرجوا بلغ أنخير أهل مكة فتأذى أبو جهل : يا أهل مكة انجاء
 النجاء ، هربكم أموالكم إن أصابها محمد فلن تفلحوا بعدها أبداً ، فخرج المشركون على كل
 صعب وذلول ومعهم أبو جهل حتى وصلوا بدرأ ، ونجت القافلة فأخبر الرسول ﷺ أصحابه وقال
 لهم : إن العير قد مضت على ساحل البحر ، وهذا أبو جهل قد أنبل ، فقالوا ، يا رسول الله
 عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله فقال سعد بن عبادة فقال : امض بنا لما شئت فلما
 متجولك ، وقام سعد بن معاذ فقال : والذي بعثك بالحق لو غضت بنا البحر لخصمنا معك فسر بنا
 على بركة الله ، فسر رسول الله ﷺ وقال لأصحابه : اصبروا على بركة الله ، وأبشروا فإن الله
 قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر لسباع النعم^{١٠٣} ﴿وَيُؤْتِرُكَ اللَّهُ أَن يَجِيءَ الْحَقُّ

(١٠٠) الطبري ٤/٢٩٣ .

(١٠١) البيضاوي ص ١٠٩ بصرف .

(١٠٢) الطبري ٤/٢٩٦ .

(١٠٣) البيضاوي ص ١٠٩ .

بكتفيه. ﴿أَيُّ يَظْهَرُ الْمَدِينِ الْحَقُّ وَهِيَ الْإِسْلَامُ بِمَنْعِلِ الْكُفَرِ وَالْمَلَاحِكِمْ يَوْمَ بَدْرٍ﴾ وَيَقْلِبُ ﴿أَيُّ الْكَلْبِ مِنْ﴾ أَيُّ يَسْتَأْمِلُ الْكُفَرَاءِ مِنْ رِيْهِمْ وَكَهْمُ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْلَابٍ وَأَقْلَامٍ فِي الْبَحْرِ وَالْحَمِي يَنْحَدِرُ أَوْ غَوَا فِي الْعَائِدَةِ السَّاحِلَةِ وَسَلَامَةِ الْأَحْوَالِ وَسَعَادَةِ الْأُمُورِ وَأَيْلَهُ نَعْلَى رَبِّهِ مَسْلَى الْأُمُورِ وَالْعِلَاءِ الْحَقِّ وَالْغَوْرُ فِي الدَّائِرَةِ وَتَشْتَاكِي مِنَ الْعَرَبِيِّينَ وَلِذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ بِأَنَّ الشُّوْكَهَ وَأَرْكَهْمَ عِيَانًا خَدَانَهُمْ فَتَفْصِيحُهُ وَهَزْمُهُمْ وَأَذْنُهُمْ وَأَعَزَّكُمْ ﴿أَيُّ يَنْقُلُ نَقْلُ الْفَيْضِ﴾ بِمَعْنَى مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ لِحَقِّ الْحَقِّ وَيَعْلَى شِبَاعَالِ فَعْنِ مَا فَعَلَ وَالْمَوَدَّةَ إِطْلَامُ الْإِسْلَامِ وَيَسْأَلُ الْكُفَرُ ﴿وَأَيُّ كَرِيٍّ الْخُرُوقُ﴾ أَيُّ رَلِوْ كَرِيٍّ الْمَشْرُوكُونَ ذَلِكَ أَيُّ إِهْوَارِ الْإِسْلَامِ وَيَضَاهُ الْمَشْرُوكَ ﴿إِنَّ تَشْكُرُونَ تَشْكُرُ﴾ أَيُّ أَذْكَرَ أَحْسَنَ تَصْلِيحٍ مِنْ رِيْهِمْ الْحَوَثُ وَالْقَسَمُ عَلَيْنِ الْمَشْرُوكِينَ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَرَ بِأَمْرِ الْمَشْرُوكِينَ وَهَمَّ أَلْفَ وَارِثِيَّ تَصْلِيحِهِ وَهَمَّ ثَلَاثَةَ عَشْرَ وَاسْتَفِيلَ الْغَلْبَةَ وَيَدِيْدِيْهِ بِدَعْوَى ﴿أَلَهُمْ أَنْجُو لِيْ مَا عَذْنِيَّ﴾ أَلَهُمْ إِنْ تَهْلِكُ مَدَى الْمَدِينَةِ مِنْ أَعْوَى الْإِسْلَامِ فَتَنْقَلِبُ فِي الْأَرْضِ فَتَزُولُ كَذَلِكَ حَتَّى سَقَطَ رِدَائُو عَنْ مَقْبِدِهِ فَأَعَادَهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَقَامَ عَلَى مَكَبِهِ ثُمَّ انْتَهَى مِنْ وَرَائِهِ وَنَالَ بِأَنِّيْ أَلَهُ كَفَاكَ مَا تَشَدَّدْتَ ذَلِكَ فَوَدَّ مَسْجِدُ ذَلِكَ وَعَدَلَ فَتَنَرَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَسْتَشِيْتُ بِكُمُ الْإِذْنَ مُؤَدَّكُمْ وَأَيُّ يَنْقُلُ الْفَيْضَ﴾ أَيُّ اسْتَجَابَ إِلَهُ الدَّعَاءِ دُعَايَ مَسْجِدِكُمْ بِأَنَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿لَزُوْبِيْ رَبِّ﴾ أَيُّ مُتَابِعِينَ بَيْتِ بَعْضِهِمْ بِعَقْبِ الْغَالِ الْمَغْرِبِيْنَ وَرَوَى أَنَّ جِبْرِيْلَ أَوَّلَ مَحْمُودِيَّةٍ وَقَاتِلَ بِهَا فِي يَمِينِ الْجَيْشِ وَنَزَلَ مِيكَائِيْلُ بِسِمَسَاتِهِ وَخَرَّ بِهَا فِي يَسَارِ الْجَيْشِ وَبِمَ بَيْتِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ قِيَّ قَعَةً إِلَّا فِيْ بَدْرٍ وَأَمَّا فِيْ عَمْرِو مَا فَكَانَتْ تَزُولُ كِلَاكَةَ تَشْكُرُ عَمْدَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَقَاتِلُ ﴿إِنْ جَاءَهُ أَنْ لَا يُدْرِيَّ﴾ أَيُّ وَمَا جَعَلَ إِيْدَانَكُمْ بِالْمَلَائِكَةِ إِلَّا بِشِدَّةِ لَكُمْ بِالنَّصْرِ ﴿وَلَقَدْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ﴾ أَيُّ وَلَقَدْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ ﴿وَلَقَدْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ﴾ أَيُّ وَمَا الدَّعْوَى بِحَقِّهِ إِلَّا مِنْ عَمْدِ إِلَهُ الْعَالِي الْكَرِ الْخَفَا بِصَرِّهِ وَلَا تَشْكُرُوا عَمِيْ قَوْلَكُمْ وَعَذَابَكُمْ ﴿إِنْ أَلَهُ عَزِيْزٌ حَكِيمٌ﴾ أَيُّ غَالِبٌ لَا يَخْلُبُ بِفَعْلٍ مَا نَفْسِيْ بِأَلَهُ حَكِيمٌ ﴿إِنَّ يَخْلُقُكُمْ أَثَرًا ثُمَّ كُنْتُمْ إِيْنَةً﴾ أَيُّ يَخْلُقُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ أَشَاءَ مِنْ عَمْدِهِ سَبَّحَانَهُ وَلَعَالَى وَهَذِهِ مَعْجِزَةُ الرَّسُولِ أَنَّهُ يَخْلُقُ حَيْثُ عَمِيْ الْجَمِيعَ قُلُوبَهُ فِي وَقْتِ الْحَوَفِّ ذَلِكَ عَمِيْ رَسْمِ إِلَهُ عَمْدٍ مَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرَ الْمَقْدُودِ وَتَقْدَرُ لَنَا مَا بَيْنَنَا إِلَانَهُمْ لَا وَرَسُولَ اللَّهِ جِبْرِيْلُ يَصْلِيْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَيَبْكِيْ حَتَّى أَصْبَحَ ﴿قَالَ مِنْ تَشْكُرُ﴾ وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِمُعْزِيٍّ عَمْدَ تَدَايُ الْبَاسِ لَشُكُوبِ قُلُوبِهِمْ مَعَهُ مَطْمَئِنَّةَ بَصَرِ مَعَهُ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً مُّوَحَّدَةً﴾ وَفَلَّتْ لَهُمْ عَمْدًا لِمَا فِيْ عَمْرِيَّةٍ بَدْرٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ حَتَّى مَالَتْ الْأَوْدِيَّةُ وَكَانَ مَسْجِدُ مَنْ أَصْبَحَتْ جِدَّةً فَتَطْهَرُ بِمَاءِ الْمَطَرِ ﴿يَقْلِبُكُمْ فِيْ﴾ أَيُّ مِنْ الْأَعْدَاءِ وَالْحَشَاتِ ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ﴾ عَمْرِيَّ النَّفْثُورِ أَيُّ يَدْفَعُ عَنْكُمْ وَسُوءَهُ وَتَحْوِيْهِ بِإِيْذَنِ مَنْ يَعْطَلُ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَوَى

١٧٧١ (١٢٩١ هـ) : فتح مصر و القضاء على المماليك

2007 January

1937 年 10 月 1 日

Figure 4.10

أهم برلوا في كتيب 'عمر'، تسوخ فيه لأقدام على عر ماء، ويأمر بالاحتياط كثيره، فوسوس إليهم
 ثلثيتان وقال: كتب لثيرون وقد علمنا على الماء، وأنتم تصدون محطتين معنيس وترعمون
 نكم أولياء، ثمة وفيكم رسول؟ فأتوا الله الصفر حتى شئت عليه الأقدام، وأتت الوسمات^١
 ﴿وَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾ أي بقومها بالثقة بصير الله ﴿وَلَيْتَ﴾ أي لآدم، أي يشك بالمطر الأقدام
 حتى تسوخ في الترميل لما الطري: ثبت بالمطر أقدامهم لأهل، كماو اشتر مع عدوهم على
 رماله مته فمدها المطر حتى صارت الأقدام عليها لا تسوخ فيها^٢ ﴿وَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾ أي
 معكم، تدكير بعده اشري أي يوسى إلى الملائكة بأبي معكم بالعون والصبر ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنَّهُ
 كَذَّابٌ﴾ أي ثبتوا أصح من دقورا الصهم على أقدامهم ﴿فَتَلَّوْا فِي لُوبِ الْقَوْمِ﴾ كقولهم ﴿لَتَرَكْتُمْ﴾
 أي ما نذف في قلوب الكافرين الحورم واخرج حتى يندوا ﴿وَتَقَرَّبُوا نَوَى الْأَعْدَاءِ﴾ أي تسويده
 على الأعداء كقوله ﴿سَرَّكَ أَهْلًا﴾ وقيل لعبد المرس لأهله في الأعداء ﴿وَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾
 كقولهم ﴿لَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾ أي لم يوسى لهم على الأعداء، وأما ذلك أن السائل إذا
 صارت أقدامه بعض عن الثقلان فأمكن السرة وقته^٣ ﴿فَذَلِكَ﴾ أي لأنه شافوا الله وقوله ﴿أَي ذَاكَ﴾
 العدد، المقطع وقع عليهم بسبب مخالفتهم ومصائبهم لأمر الله وأمر رسوله بالكفر والبعد عن
 عذاب الله شديد له ﴿فَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾ أي ذلك الله، فاشقوه، و
 منشر الكفار في الدنيا، مع أن الام لا عذاب لأجل في الأعداء وهو عذاب الله ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنَّهُ
 كَذَّابٌ﴾ أي لم يوسى لهم على الأعداء، أي إذا لم يوسى أقدامهم معنيس فأنهم لكثيرهم برحمون
 رحوا، ﴿فَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾ أي فلا تهزوا أقدامهم بل تشقوا واصبروا ﴿وَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾
 أي وسى بولهم يوم الغاء لهم، منهزم ﴿إِلَّا شَعَرَكُمْ لَيْتًا﴾ أي فلا في حال الترحه إلى ذلك طائفة
 اخرى، أو بالمر شكك بأن يحول إلى مسو، أنه منهزم إفرده مكيدة وهو من باد، (الاجرة خذوها)
 ﴿فَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾ أي منشاري حدة المسلم بسندهم بهم ﴿فَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾
 الله، أي فقد جمع سحق عظيم ﴿وَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾ أي بقره ومكت الذي يأتي إليه نارهم
 ﴿وَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾ أي بشي السرج والصال ﴿فَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾ أي فلم يخلو به أبا
 الله، دون بدار بقومكم وفلوتكم، ولكن الله فقلهم بصركم عليهم والقدر الرعدة في قلوبهم
 ﴿وَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾ أي وما ربيت في الحقيقة أمت محمد المحن العرم بغضه من قرب لأن
 كفا من قرب لا بجلاء عوز الجيش الكبير لأن ابن عبد الله رسول الله يؤيد قبضة من الشرب
 فرس به في وجوه المشركين وقال: اشاعت الوجوه، فلم يبي أحد منهم إلا أضاف عبه
 وسخره من ثلث الفرقة موتوا حاربين^٤ ﴿وَلَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِكَ﴾ أي يوصيه الله، ولا في
 الحقيقة من الله ﴿وَلَيْتَ الْقَوْمِ﴾ بنة بدة حكما، أي فعل ذلك ليفهم الكافرين ويتهم على

١) تصديقي على ٣٨٠

٢) الطبري ١١٣/١١١

٣) تهليل ١١٢/١

٤) الطبري ١١٣/١١٢

المؤمنين بالآخر وانتصر العبد ﴿وَاللَّهُ يَجْعَلُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي سمع لأفواههم عنبيهم بيانهم وأحوالهم ﴿وَالْيَوْمَ لَا تَرْوِي لَهُمْ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ أي ذلك الذي حدث من قتل المشركين وانتصر المؤمنين حتى، والغرض منه إسماعهم ونوهم كيد الكافرين حتى لا تقوم لهم فائدة ﴿وَلَوْ لَسَّخْتُمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ تَفْخُخٌ﴾ هذا خطاب، لتفخروا يا معشر الكفار الفتح وانتصر عن المؤمنين فقد جاءكم الفتح وهو الهزيمة والظهور. وهذا على سبيل التهكم بهم قال الطبري: في رواية الرمرمي: قال أبو جهل يوم بدر: الله أينما كان أجبر، وأطلع المرحوم فاجته اليوم أي أمسكته - منكر، الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنَعَكُمْ تَفْخُخٌ﴾ فكان أبو جهل هو الممنوع فاجته يوم أنسوا فهو خير لكم أي وإن تكفروا يا معشر فريش عن حرمة الرسول ومعاداته وعن التكفر بالله ورسوله فهو خير لكم في دنياكم وأخرتكم ﴿وَلَوْ تَوَخَّوْا عَذَابَ﴾ أي وإن فعدوا لحربه وقتلته بعد نصره عنكم ﴿وَلَوْ تَقَوَّى مَكْرًا مَّا تَكْرَهْتُمْ وَأَلَّوْا كَثْرَتُ﴾ أي لو تدفع عنكم جماعتكم التي تستحذون بها شيئ من عذاب الدنيا مهما كثرت الأعمال ولا تنصر ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ أي لأن الله سبحانه مع المؤمنين بالنصر والعون والتأييد ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي دوروا على طاعة الله وفاداة رسوله بعدكم المعز الذي حصل بدمه ﴿وَلَا تَزُولُ أُمَّةٌ﴾ أي لا تعرضوا عنه بخلافه أبدا وأمنه تقولوا حدث به إحدى الشايعين ﴿وَلَا تَزُولُ تَتَّبِعُونَ﴾ أي تسعون القرآن والبر اعطى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قالوا كيف وهم لا يتبعون، أي لا تكونوا كالكفار الذين سمعوا آياتهم دون قلوبهم. فجماعتهم كلا سماح لأن الغرض من السماح التذمر والاعتباط ﴿إِنَّ شَرَّ أُمَمٍ أُمَّةٌ﴾ أي شر الخلق وشر أئمتهم أي من وجه الأرض ﴿أَلَعَمَّ تَكْفُرُ﴾ أي التهم الذين لا يسعون الحق واليكم أي احرموا الذين لا يتفقون به ﴿الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ﴾ أي الذين ففادوا العقل الذي يعجز به الله بين الظاهر والباطن، نزلت في جماعة من بني عبد الدار كانوا يقولون: نحن صدقكم عما جاء به محمد، وثو جهوا تقتل الرسول مع أبي جهل، وفي الآية غاية الدم فكفروا بأنهم أشد من الكذب والعمى والعمى، لأنهم لم يستفيدوا من حوائجهم مضاروا أنفسهم من كل عيب ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ أي لم يسمروا فيه شيئا من الخبر لأسماهم سماح معهم به ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ أي ولو فرض أن الله سمعهم وقد علم أن لا خير فيهم - لتوكلوا بهم معرضون عن جنودا وعساك، وفي هذا تسلية للمسيكين على عدم إيمان الكافرين

البيان:

- ١- ﴿أَلَيْسَ لَكُم تَعْلِيمٌ﴾ الإشارة بالبعد عن القريب لعدم رغبهم وبعد منزلتهم من الشرف.
- ٢- ﴿أَلَعَمَّ أَكْفَرْتُم﴾ استعارة الدراجات للعراب المرفوعة والساكنة لغالبية هو الجنة.
- ٣- ﴿فَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ إِلَى الْكُفْرَانِ﴾ تشبيه هذا تشبيها

والله اعلم ما لا نعلم ولا تنطقون

من الله تعالى، والصدقة التي الاستجابة له على رعايا **﴿وَلَقَدْ يَمَنُّ فَذَكَرْكَ﴾** أي وأنه سبحانه إليه مرجعكم ومدينكم فيحجزكم أعمالكم **﴿وَتَنَزَّلُ مُنَادٍ مُّذَاعِبَةً لِّلَّذِينَ طَبَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾** أي، حذروا عيش الله، انظروا إن عذبتم أمره واحذروا فته إن نال بكم ثم الله، على ذلك خاصة بل تعم الجميع، وتعلم البحر الصالح والظالم، لأن الظالم يهلك بفسقه، وعبدائه، وعمره، بظلمه بذلك عدم مدحه، وسكونه عليه وفي الحديث إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده، أولئك هم مفلحون الله بعدد من عذبه **﴿قَالَ إِنْ عَسَىٰ أَن يَمُنَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَلْفَرَادَ﴾** تنكر بين أظهرهم فعمهم الله بالهداية، ويصيب العبد وغير الظالم **﴿وَأَعْرَضُوا عَنْ آلِهَتِهِمْ﴾** وهذا هو ما شهد أي شهد المذاب لمن عصاه **﴿وَلَا حُجْرَ لَهُمْ﴾** أي أنه لا يحد في الأرض **﴿أَيُّ ذِكْرٍ لِّلَّذِينَ لَا يُذَكَّرُونَ﴾** أي اذكروا الله عليكم وإن كنتم أوله، تصعبكم الكفار في أرض مكة فبه تذركم عن دينكم وبشر بكم بالأذى والعقوبة **﴿وَالْحَقُّ أَن يَنظُرَكُمُ الْمَلَكُ﴾** أي تخافون المشرقي أن ينظفركم بالقتل، والسلب، وحجب: **﴿لَا خَافَ لَهَا﴾** أي حالها ما ترى تنحسروا به من أعدائكم وهذا الخزيه المنزلة **﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾** أي أعانكم ولما هم يوم يشر يسره المזור حتى فرمتوه **﴿وَالَّذِينَ فِي أَعْيُنِنَا﴾** أي منكم فنتبهم حالاً لا ضياعاً لهم نكم، نحن لأحد من قبل **﴿مَلَكًا مُّكَرَّمًا﴾** أي اشكروا الله على هذه النعم الحيلة، والمعرض الدائم بالخدمة منهم تنو، فل ظهور الرسول: أي في حبة القلة والعدة، وبعد ظهوره صبروا في عاليا العزة الرفعة، فنبههم أن يطيعوا الله ويشكروا على هذه النعمة **﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَهُكُمْ﴾** أي لا تعلموا أينكم ورسولكم بإطلاع، يستركس على أسرارهم من **﴿وَالَّذِينَ لَا يَذْكُرُونَ﴾** أي ما نعمتكم به من الخليفة القمرة كفوه **﴿وَيَا قَوْمِ إِنَّا كُنَّا نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ﴾** الآية قال ابن عباس: خياله الله سبحانه شرك فرائضه، ولرسوله يوم يترك الله ولا كتاب معصية، ولا مائدة إلا شيء الله عليه الأعداء **﴿وَأَن تَمُنَّ بِقَوْلِهِ﴾** أي تعلمون أنه خياله، وتبرروا، لعدة ذلك ووباله **﴿وَأَن تَقُولُوا لَكَ﴾** أي محبة من الله ليخبركم كيف تحفظون محبا على حدوده قال الأعمام المعمر: وقد كانت هذه الآية تظفر القلب بالديار وتفسير محبات من خدمة المعنى **﴿وَلَقَدْ كُنَّا بِمَنَاسِكِكُمْ﴾** أي ثوب، وعطاءه غير لكم من الأول، ولا يزال قاهر من أسنى مدحة الله **﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَهُكُمْ﴾** أي لا تعلموا أينكم، وتعلم الله وتجتهد معاصي يجعل لكم عذبة وحر، في قلوبكم، تفرقوا بين الحق والباطل كفوه **﴿وَيَعْلَمُ كَيْفَ يُوَلِّتُ﴾** ومن الآية دليل على أن المعصية نور فتنب ونشرح الصدور، وتزيد في العلم والمعرفة **﴿وَيَذَكِّرُ كَيْفَ يُوَلِّتُ﴾** أي يحسن حكمنا

[illegible]

﴿فَانظُرْ عَلَيْنَا مِثْلَ النُّجُومِ﴾ أي أنزل علينا حاصباً وسجارة من السماء كما أنزلها على قوم لوط ﴿أَوَلَيْسَ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي بعذاب مؤلم أهلكنا به ، وهذا نهكم منهم واستهزاء قال ابن كثير : وهذا من كثرة جهلهم وشدة تكذيبهم وعنادهم ، وكان الأول لهم أن يقولوا : فلهم إن كان حق هو الحق من عندك فاهدنا له ورقنا لا نياحه ، ولكنهم استعجلوا العقوبة والمصائب لسفاههم ^{١٠} ﴿وَمَا حَكَكَ اللَّهُ بِعُزْرَتِهِمْ وَأَنْتَ بِهِمْ﴾ هذا جواب لكلماتهم الشعاء وبيان للسبب السوجب لإهلاكهم أي إتهم مستحلون للعذاب ولكنه لا يعذبهم وأنت فيهم إكراماً لك يا محمد ، فقد جرت سنة الله وحكمته ألا يعذب أمة ونبيها بين ظهرانيها قال ابن عباس : لم تعذب أمة قط ونبيها فيها ^{١١} والمراد بالعذاب عذاب الاستئصال ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ تَعَذِّبُهُمْ وَقَدْ يَسْتَفْتُونَ﴾ أي وما كان الله ليعذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون الله ، وهو إشارة إلى استغفار من بقي بين أظهرهم من بقي بين أظهرهم من المسلمين المستضعفين قال ابن عباس : كان فيهم أمانيان : نبي الله ﷺ ، والاستغفار ، أما النبي فقد مضى ، وأما الاستغفار فهو باق إلى يوم القيامة ^{١٢} ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ تَعَذِّبُهُمْ﴾ أي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم ؟ وكيف لا يعذبون وهم على ما هم عليه من الحر والحر والضلالة ؟ ﴿وَقَدْ يَسْتَفْتُونَكَ عَنْ النُّجُومِ﴾ أي وحالهم الصد عن المسجد الحرام كما مبدا رسول الله ﷺ عام الحديبية ، وكما اضطروه والمؤمنين إلى الهجرة من مكة ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ تَعَذِّبُهُمْ﴾ أي ما كنا أولاً لولاية المسجد الحرام مع إشراركهم ﴿إِنْ لَأَيَّازُهُ إِلَّا أَلْسُونُ﴾ أي إنما يستأهل ولايت من كان براً نبياً ﴿وَلَكِنْ أَصْحَابُهُمْ لَا يَسْتَفْتُونَ﴾ أي ولكن أكثرهم جيلة سفلة فقد كانوا يقولون : نحن ولاية البيت الحرام ، قصد من نشاء ، وتدخل من نشاء ، والغرض من الآية بيان استحقاقهم لعذاب الاستئصال بسبب جرأتهم الشنيعة ، ولكن الله وقاه عنهم إكراماً لرسوله عليه السلام ، والاستغفار المسلمين المستضعفين ﴿وَمَا كُنَّا سَيِّئَاتِهِمْ بِهَدِّ أَلَيْتَ إِلَّا حَكَمَكَ وَتَعَذِّبَهُ﴾ هذا من جملة فيانهم أي ما كانت حياة المشركين وصلاتهم عند اثبيت الحرام إلا تصغيراً ونهنيقاً ، وكثراً يعضطونها إذا صلى المسلمون ليخطوا عليهم صلاتهم ، والمعنى أنهم وضعوا مكان الصلاة والتقرب إلى الله التصفير والتصفيق قال ابن عباس : كانت غريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون ^{١٣} ﴿وَلَقَدْ قُولُوا أَغْلَظَ مِنَّا كُتُوبُ تَعَذُّرُ﴾ أي فذنبوا عذاب القتل والأسر بسبب كفرهم وأغلاظكم القبيحة ، وهو إشارة إلى ما حصل لهم يوم بدر ﴿إِنْ نَجِيتُكَ كَتَبْنَا فِي كُتُوبٍ أُولَئِكَ يَكْتُبُونَ﴾ أي يصفرون أموالهم ويبدلون لها المتع الناس من الدخول في دين الإسلام ، والحرب محمد عليه السلام ، قال الطبري : لما أصيب كفار قريش يوم بدر ، ورجع فلهم إلى مكة قالوا : يا معشر قريش إن محمداً قد وترككم

وفى أخباركم ، فأتيتونهم بهذه النحال على حربة لعلنا ندرك منه نارا بمن أصيب من فزئت لانه
 ﴿مُتَعَفِفِينَ ثُمَّ نَكَّرُوا عَلَيْهِمْ خَسْرَةً﴾ أي فسيبتمون هذه الأموال ثم تصيروا ندامة عليهم ، لأن
 أموالهم تذهب ولا يظفرون بها كانوا راعين معز من بقرهم نور الله وإبداء كلمة الكفر ﴿ثُمَّ
 يُقْلِبُونَ﴾ إخبار بالمعيب أي ثم نهاسهم الهزيمة والاندحار ﴿كَفَبَتْ لَهُمْ لَخْلِيفَةٌ لَّآ وَابِلٌ﴾
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَنْصُرَهُمُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ﴾ أي والذين كفروا أي ينفق الله بين
 بها حسرة وندامة لمن عاثر منهم ومن هالك ﴿إِنَّهُمْ أَفْكَرُوا عَلَىٰ آلِهِمْ﴾ أي ينفق الله بين
 جند الرحمن وحشد الشيطان ، ويفصل بين المؤمنين الأبرار والكفرة الأشرار ، والعراد بالحيث
 والديب الكفر والمؤمن ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أَعْيَتْ﴾ أي جعل الكفار بمعصيتهم على بعض
 ﴿يَكْفُرُوا بِهِ﴾ أي ينفق الله بين تار منهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَنْصُرَهُمُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ﴾ أي ينفق الله بين
 خسرا أنفسهم وأموالهم ، ثم دعاهم تعالى إلى التوبة والإنابة ، وحذرهم من الإصرار على الكفر
 والضلال فقال سبحانه . ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادٍ﴾ ﴿فَلْيَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ مَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي فليرجع
 لهؤلاء المشركين من ثوبك ، إن ينشروا عن الكفر ويؤمنوا بالله وينزلوا قتالكم وتذل المؤمنين ،
 يغير لهم ما قد سلب من الذنوب والآثام ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَنْصُرَهُمُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ﴾ أي وإن عادوا
 إلي فتلك وتكذيبك فقد مضت سنتي في تدمير وإهلاك الكافرين لأبيدي ، فكل ذلك تفعل بهم ،
 وهذا رعب شديد لهم بالله وإن لم يقاتلوا من الكفرة والعدو ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ
 يَنْصُرَهُمُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ﴾ أي وإن عادوا من الكفر والعدو ، فكل ذلك تفعل بهم ، وهذا رعب شديد لهم بالله
 قاتلو يا معشر المؤمنين أعداءكم المشركين حتى لا يكون شرك ولا بعد إلا الله وحده ، قال ابن
 عباس : الفتنة : الشرك . أي حتى لا يبق شرك على وجه الأرض وقال ابن جرير : حتى لا يفرق
 مؤمن عن ديه . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَنْصُرَهُمُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ﴾ أي ينفق الله بين
 الإسلام والأوسى واضع خلاها إما بهلاك أهلها جميعا ، أو بخرابهم عنها حشية القتل القوله
 عليه السلام : أسرت أن أقاتل الناس حتى يعزلوا الله إلا الله ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ﴾
 ﴿يَسْتَوُونَ فِي الْقَبْرِ﴾ أي فإن انتهوا عن الكفر واستمروا في ذلك مطاع حتى قام بهم . يذريهم على
 نوبتهم وإسلامهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَنْصُرَهُمُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ﴾ أي وإن عادوا من الكفر
 الإيمان فاعلموا يا معشر المؤمنين إن الله ناصركم ومعينكم عليهم ، ينشرون نصرته ولا اله ولا
 ينالوا إسماعادهم لكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي نعم الله أن يكون مؤلكنم فإنه لا يصعب من
 تولاه ، ونعم الصبر لكم فإنه لا يغلظ من نصره الله .

تجلاعه .

١ - ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الكفر والقيوم : الكلام من باب الاستعارة التخييلية ، منه لعلنا ندرك منه نارا
 جلوب العباد وتصرفهم كما يشاء ، بمن يحول بين الشيء والشيء . وهي استعارة لطيفة

١ - ﴿وَأَنذَرْتُكَ يَوْمَ الْمَصَارِعِ لَا مَصْرَاعَ إِلَّا شَوْرًا﴾ المصارع المصارع المعجزة من آثار المشركين على صاحب الرسالة عليه السلام

٢ - ﴿وَنَسِيتُ الْفِتْنَةَ﴾ إضافة الحكم إليه تعالى على طريق (المشاكفة) بمعنى (إحباط ما دسوا من كيد ومكر) والفتنة التي هي (الغواية وبخلاف المعنى وقد تقدم)

٣ - ﴿وَمَا كَانَ مِثْلَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَشَهِدُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا﴾ تأمل التعبير الترتيبي في أسلوب القرآن حيث وضعوا الكفار (التصديق) موضع الصلاة التي ينبغي أن تؤدي عند البيت فكانوا كالأنعام التي لا تفقه معنى العبادة، ولا تعرف حرمة بيوت الله، وهو على حد قول القائل: «ثحية بينهم ضرب وجيع»

٤ - ﴿الْعَبِيدُ مِنَ الْعِيبِ﴾ كناية عن العزس والكناز وبين لعب «الحبث» و «الخطب» خبائث وموس الحشرات الدبابة.

تعبير روي لحافظ ابن كثير عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي دبر بي النبي ﷺ فعداني فذكر أنه حتى صليت، ثم أتيت فقال: «ما سمعت أن النبي ﷺ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا كَانَ بِكُمْ ذُنُوبًا بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾» ثم قال: «لأعلمنكم أعظم سورة في القرآن قل أن أخرج» فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له ذلك فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»

تصفه حكيم عن سارية رضي الله عنه أنه قال لرجل من بني: يا أجهل فومث حين ملكنا عبيدكم أمراً فقال الرجل: أجهل من فومي فومث حين فأنوا الرسول الله ﷺ حين دعاهم إلي الحسن ﴿كَانَ حَذَاغُ الْحَقِّ بَيْنَ يَدَيْكَ فَأَنْظِرْ عَيْنًا بِحِكْمَةٍ أَوْ أَتَيْتَ مَذَابَ أَيْبِهِ﴾ ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاعذنا إليه، فسكت مغلوباً رضي الله عنه

□ □ □

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَوْا لَنَا نِعْمَتَكُمْ فَرَحًا﴾ ... إلى ﴿وَلَوْ بِإِنْتِهَى دُورِهِمْ﴾ من آية (٤١) إلى آية (٦٠)

استهسية لما أمر تعالى بمثل المشركين. وذكر فيما تقدم طرفاً من غزوة بدر، وكان لابد بعد القتال من أن ينجم المجاهدون الغنائم وهي أموال المشركين - على طريق التهنيط والظفر - ذكر سبحانه هنا حكمه العظم وكيفية قصبتها، ثم سرد بقية الأحداث الهامة في تلك الغزوة المحيطة (غزوة بدر).

اللقبة ﴿بِالْمُؤْتَفِقِينَ﴾ عدوة الوادي - جانيبه وشقيمه - والذنب ثأيت الأدي أي لأثره والحد ما يلي جانب المدينة ﴿بِالْمُؤْتَفِقِينَ الْقُسُورَى﴾ القسورية ثأيت الأقصى أي لأحد. وكل شيء.

انظر توضيح ذلك عند قوله تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ﴾ من سورة البقرة

المشركين في الحرب سواء كان قليلاً أو كثيراً ﴿فَأَن يَفْعَلْ حَسَنَةً﴾ قال الحسن: هذا مفتاح كلام الدنيا والآخرة لله^(١) أي أن ذكر اسم الله على جهة التبرك والتعظيم كثرة له ﴿وَأَن يَفْعَلْ حَسَنَةً﴾ أي أن يَفْعَلْ حَسَنَةً. قال الضمورون: تقسم القنينة خمسة أقسام، فمطر الخمس لمن ذكر الله تعالى في هذه الآية والباقي يوزع على الخمس ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي سهم من الخمس يعطى الرسول. ﴿وَأَن يَفْعَلْ حَسَنَةً﴾ أي رواية الرسول: وهم بنو هاشم وبشر الحطلب ﴿وَأَلَيْسَ لَكَ عَلَى النَّاسِ حَرَجٌ وَابِعٌ﴾ أي ولهمؤلاء الأصناف من الأئمة الذين مات آباؤهم، والفقراء من ذوي الحاجة، والميتون في سفرهم من المسلمين ﴿إِن كُنتُمْ مَأْمُورِينَ بِشَيْءٍ﴾ جواب الشرط محذوف تقديره: إن كنتم مأْمُورِينَ بالله فاعلموا أن هذه هو حكم الله في الطائفة فامتنوا أمره بما عهد. ﴿وَمَا أَرَأَيْتُمْ إِيَّاهُ﴾ أي وما أَرَأَيْتُمْ علي محمد. ﴿يَوْمَ تَفْرَقُ الْأَشْجَارُ﴾ أي يوم يفرق بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ تَفْرَقُ الْأَشْجَارُ﴾ أي جمع المؤمن وجمع الكافرين، والتفرق فيه عند الرحمن عند الشيطان ﴿وَأَن يَفْعَلْ حَسَنَةً﴾ أي قادر لا يعجز شيء، ومنه نصركم مع فتنكم وكثرتم ﴿إِن كُنتُمْ مَأْمُورِينَ﴾ هذا تصوير للمعركة أي وقت كنتم يا معشر المؤمنين بجانب الوادي أقرب إلى المدينة ﴿وَأَن يَفْعَلْ حَسَنَةً﴾ أي وأعداؤكم المشركون بجانب الوادي الأبعد من المدينة ﴿وَأَن يَفْعَلْ حَسَنَةً﴾ أي والمسلمون التي فيها تجارة فربش في مكان أسفل من مكانكم فيما يلي ساحل البحر ﴿وَأَن يَفْعَلْ حَسَنَةً﴾ أي ونحو ما عهدتم أنتم والمسلمون على القتال لاختلفتم له ولكن الله يحكمه يسر ونعم ذلك قال كعب بن مالك: إننا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون أن يربش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد^(٢) قال الرازي: للمسلمين لو تواعدتم أنتم وأهل مكة بعض القتال لخالفت بعضكم بعضاً ففشلتم وكثرتهم^(٣) ﴿وَلَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي الْمَدِينَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقُصَةٌ بَيْنَكُمْ﴾ أي ولكن جمع بينكم على غير ميعاد يقضي الله أمراً ما أردت بفدوته، من إعزاز الإسلام وأخذ بالذلال الشرك وأهله، فكان أمراً متحققاً واقعاً لا محالة قال أبو الدرداء: والمرح من الآية أن يستحقوا أن ما اتفق لهم من الفتح، ليس إلا ميثاقاً من أمر الله عز وجل خارقاً للعادات، فبذلك دادوا إيماناً وشكراً، ونظمين نفوسهم بفرع الخمس^(٤) ﴿إِن يَكُنْ لَّكَ مِنَ الْهُنَاءِ﴾ أي فعل ذلك تعالى ليكرم من كفر عن وصوح وبيان ﴿وَيَكُنْ لَّكَ مِنَ الْهُنَاءِ﴾ أي ويؤمن من آمن عن وضوح وبيان^(٥) فإن وقعة بدر من الآيات الباهرات على نصر الله لأوليائه وعذلاته لأعدائه ﴿وَأَن يَفْعَلْ حَسَنَةً﴾ أي مسمع لأمر الله العباد عليهم بياتهم ﴿إِن يَكُنْ لَّكَ مِنَ الْهُنَاءِ﴾ أي أذكر يا محمد حين أراك الله

(١) تفسير نووري ١٦٧/١٥.

(٢) تفسير نووري ١٦٧/١٢.

(٣) تفسير نووري ١٦٧/١٨.

(٤) أبو الدرداء ١٦٧/٢٤.

(٥) ذهب طبري إلى أن المعنى: كبرت من مات من خلفه من حجة الله تعالى له ونظمت هنوز، ولهميش منه من معني منه من حجة الله تعالى له، وظهرت لمبيه فطمها وما ذهب إليه من احتياج الجلائين وهو أوضح ويؤيد: ﴿يَكُنْ لَّكَ مِنَ الْهُنَاءِ﴾.

في انتقام أعدائك قلة، فأخبرت بها أصحابك حتى فوجئت نفوسهم ولشجعوا على حربهم لأن مجاهدته أراه الله يدهم في منامه قليلاً، وأخبر النبي بين أصحابه بذلك فكان تنبيهاً لهم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَبَرُوا لَكُنْزُهُمْ أَثَرًا﴾ أي ولو أراك ربك عدوك كثيرًا لعين أصحابك ولم يغدروا على حرب الغوم، وانظر إلى محاسن القرآن وأنه لم يستد الفشل إليه من لأنه معصوم بن قال ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ زُنُودًا﴾ أي أصحابه ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي واختلصتم بما معشر الصحابة في أمر عدائهم ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ أَفْكَهَ﴾ أي ولكن الله أنعم عليكم بالسلامة من الفتن والفتن ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ بَيْنَ أَلْمِيقَاتِ﴾ أي عليهم يد في الغيوب يعلم ما يغير أحوالها من الشجاعة والجبن، والصبر والجور ﴿وَمَا يَبْكُكُمْ﴾ أي أنتم لا تذكرون في المعركة فقلل الله عدوكم في أمتيكم بزيادة جرائكم عليهم، وقللكم في أمتهم حتى لا يستعدوا ويغلبوا لكم قال ابن مسعود لقد كُنَّا في أعيننا يوم بدر حتى تمت فوج من أمرهم يكونون مثلاً وهذا نزل التحذير الحروب مع النجم القتال كثير الله المؤمنين في أعين الكفار فيهنوا وهابوا، وقلل شوكتهم، وراو ما لم يكن في الحسبان، وهذا من عظام آيات الله في تلك المعركة ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَفْكَهَ﴾ أي فعلت ذلك فحرا المؤمنين على الكفار، والكافرين على المؤمنين، تنفع الحروب ويخلص لقتال، وينصر الله حده ويهزم الأعداء وحده، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى ﴿وَأَلَّا يَكْفُورَ بِأَلْسِنَتِهِمُ﴾ أي يصبر لأمر كلها إلى الله يصبر بها كيف يريد، لا معقب لحكمه وهو العليم الخبير، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ فَسَيَكُنْ أَفْكَهَ﴾ هذا إرشاد إلى سبب النصر في مواجهة الأعداء أي إذا لغيت جماعة من الكثرة غلبوا القليلة، ولا تنهزموا ﴿وَأَعْلَوْكُمُ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ أي أكثر من ذكر الله بأستكم تستمطروا نصراً وهو له وتغزوا بالظفر عليهم ﴿وَالْيَقِينُ أَنَّهُ دَرَسُهُ﴾ أي في جميع قولكم، أعلوكم ولا يخافوا أمرهما في شيء، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ﴾ أي ولا تخلفوا أيعا بينكم تنصنفوا وتجنبا حتى تغلب عدوكم ﴿وَتَذَكَّرُ﴾ أي تذهب قوتكم وبأسكم، ويدخلكم الرعب والخوف ﴿وَتَتَّبِعُوا بِأَنَّهُ تَقَالُفُ﴾ أي وامسكوا على شدائد الحرب وأمرها ما بين الله مع الصديقين بالاعتصام واليقين ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن كَفَرَ مِن دِينِهِمْ نَفْسٌ كَثِيرٌ﴾ أي لا تكونوا تكفروا فريش حين خرجوا للدين عتداً، وتكبروا، وقللوا للفخر والشان، ولإية إشارة إلى قول أبي جهل: والله لا ترجع حتى مرد يدنا، فنشرب فيه الخمر ونحرق النجوز، وتعزف علينا القيان - المنغنيات - وتسمع بنا العرب ولا يزالون يهابون أمثالنا قال الطبري قد قهر ما كان الخمر كزوم المنغيات، وسعدت عليهم الذوايع ما كان الغيابة

... الطبري ٥٧٣/١٦٣

١٦١ ذكر الطبري في روايته عن ابن عباس أن أبا سفيان لما جاء بالخير أرسل إلى قريش يقول: ارجعوا فقد سلمت حيركم وسجد - فجزاكم أفعال أبو جهل للمؤمن ما نال

... الطبري ٥٧٣/١٦٣

﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ قَوْمٍ﴾ أي ويضلون الناس عن المذموم في الإسلام ﴿وَأَنذَرْنَاكَ بِمَا فَتَكُنُ فَمِ يَذْكُرْهُ﴾ أي وهو سبحانه عالم بجميع ذلك وسيجازيهم عليه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ أَخَذُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أي واذا ذكر وقت أن حسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة من الشر والعبادة الأصنام ، وغروجهم لحرب المرسون عليه السلام ﴿وَأَنذَرْنَا لَا عَالِيَّ لِحُكْمِهِمْ أَتَوْنَهُ﴾ أي تبنوا ما كان في أيديهم من عبادة الأصنام وأصحابه ﴿وَلَا يَكُنْ لَكُمْ دُونُ اللَّهِ حَمِيمٌ﴾ أي سجير ومعين نكم ﴿فَلَمَّا تَرَأَيْنَاهُ أَتَيْنَاهُ فَكُنْتُمْ عَلَى خَصَمَتَيْنِ﴾ أي فلما تلاقى الفريقان ونرى الشيطان ماريا موني الأعداء ﴿وَأَنذَرْنَا إِلَى تَرْكِهِمْ﴾ أي تروى من عهد جواد كم ، وهذا سألته في الخذلان لهم ﴿إِنَّ أَوَّلَ مَا لَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي أولى الملائكة مازلين لنصرة المؤمنين وأنتم لا ترون ذلك وفي الحديث أما روى الشيطان بوقاه في أصغر ولا أذخر ، ولا أحقر ، ولا أنيط منه في يوم عرفة ، إلا ما رأى يوم بدر ، فإنه رأى جبريل بزغ الملائكة ^(١) أي بعضهم للحرب ﴿إِنَّ كَذَابًا - ثُمَّ وَأَنَّ شَيْئًا تَوَقَّاتٍ﴾ أي إني أخاف الله أن يعذبي لشدة عقابه قال ابن عباس : جاءه إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رأته هي صورة (سرافة بن مالك) فقال الشيطان للمشرجين : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جبار لكم ، فلما اصطفت الناس أخذ رسول الله ﷺ في قصة من التواب فرسى بها وسوء المشركين ، فزولوا مذبذبين ، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس ، فلما رآه وكانت يده في رحل من المشركين انزعج يده ثم ولّى ميمراً وشبعت ، فقال الرجل يا سرافة أترحم أنت كما جاز؟ فقال : إني أرى ما لا ترون إني أعاف الله ، ركذب عذر الله فإنه علم أنه لا قوة له ولا قوة وملك ، حين رأى الملائكة ^(٢) ﴿إِذْ يَسْأَلُونَ النَّاسَ عَنْهُمْ﴾ والذين في قلوبهم غم ﴿أَي حِينَ قَالَ أَهْلُ الْإِيمَانِ أَطْهَرُ وَالْإِيمَانِ وَأَبْطَغُوا الْكُفْرَ لضعف اعتقادهم بالله ﴿عَزَّ وَجَلَّ وَهُدًى﴾ أي اغتر المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيها لا طاقة لهم به قال تعالى في جوابهم ﴿وَمَنْ يُوَفِّقْهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَبُرَتْ أَنَّهُ مَرْهُوبٌ سَخِيكٌ﴾ أي ومن يعتمد على الله ويشق به فإن الله ناصره لأن الله عزيز أي غالب لا يذل من استجابه ، حكيم في أعماله وصنعه ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الْأَيُّمَ مَتْلُوفًا فَالْتَمِسْكُمْ﴾ أي لو رأيت وشاهدت أيها المخاطب أو أيها السامع حالهم بعد حين نفيض ملائكة العذاب أرواح الكفرة المجرمين ، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف للتهويل أي لو رأيت أمراً مطلقاً وشأناً هائلاً قال أبو حيان : وحذف جواب لو جازر ببلغ حذقه في مثل هذا لأنه يدل على التهويل والتعظيم ^(٣) أي لو رأيت أمراً عظيماً لا يكاد يوصف ﴿يَتَقَرَّبُونَ﴾ ويؤمُّون وأذكركم ﴿أَي تضرعهم الملائكة من أمدهم وعقوبهم ، على وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد ﴿وَتَوَفَّوْا عَذَابَ الْعَرْشِ﴾ أي ويقولون لهم : ذوقوا يا محشر العقوبة عذاب النار المحرق ، وهذا إشارة لهم بعدد الأعره وقيل كانت معهم أسواط من نار يضربونهم بها فتشتعل جراحاتهم ناراً ^(٤) ﴿فَلَمَّا يَسُدَّ وَتَمَّتِ الْيَوْمَ﴾ أي ذلك العذاب بسبب ما كسبتم من الكفر والأثم ﴿وَلَمَّا أَتَىٰ لُغْمُ الْيَوْمِ﴾ أي والله تعالى عادل ليس يظلم لأحد من العباد حتى يعذبه بغير ذنب ، وصيغة الضمارة ليست للمبالغة وإنما هي للنسب أي ليس متسبباً إلي الظلم فقد

(١) مختصر ابن كثير ١١١/٩ .

(٢) البيضاوي ص ٦٦٥ .

(٣) رواه مالك في الموطأ

(٤) البحر ١/٦٤ .

اختصاره وكثرة معانيه والمعنى: وإما تخافن من قوم بيتك وبينهم عهد - خيانة فائبة إليهم العهد أي قل لهم قد نبذت إليكم عهدهم «أنا مقاتلكم» ليعلموا ذلك فيكونوا محك في الحكم سواء. ولا نقالهم وبيتك وبينهم عهد وهم يقولون بك فيكون ذلك خيانة وغدر. ^{١١} ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَاسِيَةَ﴾ وهذا كالتعليق للأمر بنية العهد أي لا يجب من ليس حنذا وفاء ولا عهد ﴿وَلَا يَهْدِي الْقَاسِيَةَ كَثْرًا سَبْعًا﴾ أي لا يظن هؤلاء الكفار الذين أمكنوا يوم بدر من القتل أنهم فانون فلا فساد عليهم. بل هم في قبضتنا وتحت مشيت وقهرنا ﴿إِنَّهُمْ لَا يَخْشَوْنَ﴾ كلام مستأنف أي إنهم لا يحذرون بهم. بل هو قادر على الانتقام منهم في كل لحظة، لا يهجزه أحد في الأرض ولا في السماء ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي اعدوا فقتال أعدائكم صحيح أرباع القوة: المادية والمعنوية قال انشهاب: وإنما ذكر القوة هنا لأنه لم يكن لهم في بدر استعداد تام، فهو على أن النصر من غير استعداد لا يتأتى في كل زمان ^{١٢} ﴿فَبِمَا نَسَاكُ الْأَعْمَلِ﴾ أي الخيل التي تربط في سبيل الله ﴿وَبِمَا شَرَكْتُمْ بِهِ اللَّهُ عَتَدُوهُ﴾ أي تخيفون تلك القوة الكفار أعداء الله وأعداءكم ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ فِي زِينَةٍ﴾ أي ترميون به آخرين غيرهم قال ابن زيد: هم المنافقون وقد محاهد: هم اليهود من بني فريظة والأول: أصبح لقوله ﴿لَا تَقْلُوبُوا فَمَنْ يَنْظُرُهُ﴾ أي لا تعلمون ما هم عليه من انفعال ولكن الله يعلمهم ﴿وَمَا تُخَفُّونَ بِهِ شَيْئًا﴾ أي ما تنفخون في الجهاد وفي سائر وجوه الخبرات ﴿وَمَا يَنْصَحُكُمْ﴾ أي تعلمون جزاءه وأثامكم يوم القيامة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَنْفَكُونَ﴾ أي لا تنفصون من ذلك الأثر شيئاً.

سورة

- ١ ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ التكميل للتفصيل.
- ٢ ﴿فَبِمَا نَسَاكُ الْأَعْمَلِ﴾ ذكره في لفظ العبودية وإضافته إلى الله للتحريف والتكريم.
- ٣ ﴿وَبِمَا شَرَكْتُمْ بِهِ اللَّهُ عَتَدُوهُ﴾ بين لفظ (الديار) والفصوى طباق.
- ٤ «اهلك ربيعة» استعار الهلاك والحياة للكفر والإيمان، وبين (يهلك) و(يعيا) طباق.
- ٥ ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ فِي زِينَةٍ﴾ أي تذهب قوتكم وشركتكم وهو من باب الاستعارة أيضاً.
- ٦ «وَمَا يَنْصَحُكُمْ» يأمرنا الله تعالى بإعداد القوة لقتال الأعداء، وقد جاء التفسير عاكس ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يشمل القوة المادية والقوة الروحية. وجميع أساليب القوة، وكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية وهو لا يرى عندنا معاملة للإسماعية، وخائراً للحرب، بل كلها مما شتره المسلمون من بلاد العدو فلا بد لنا من العودة إلى تعاليم الإسلام إذا ما أردنا حياة أمزة والكرامة.

□ □ □

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّهُ جُنُودًا يُنَزِّلُ مَطَرًا مُبَارَكًا... إِلَى... إِنَّ قَلْبَكَ بِكُنُوفِهِمْ ذُكِّرٌ مِنْ آيَةِ (٧١) إِلَى آيَةِ (٧٥) نهاية السورة الكريمة.

لغاية الله أمر الله تعالى بإعداد السعدة للإرهاب الأعداء، أمرنا بالسلم بشرط العزة والكرامة متى وجد السبيل إليه، لأن الحرب ضرورية اقتضتها ظروف الحياة الفرد والعدوان، وحرية الأبيان، وتطهير الأرض من الظلم والظلمين، ثم تناولت الآيات الكريمة حكم الأسرى، وبحثت السودة بوجوب مناصرة المؤمنين بعضهم لبعض، بسبب الولاية الكاملة وأخوة الإيمان.

اللغة: «جنت» ما له يقال، جنت الرجل إلى ملأ إذا مال إليه وخضع له، وحنت الإبن: إذا دانت أعتانها في السر، ومنه قيل للأصلاخ جوائح ﴿يُنَزِّلُ﴾ المسالمة والصلح قال لزمخشري: وهي تزلت تأتت فعنها وهي الحرب قال الشاعر:

السلام فأخذ منها ما رضى به والحرب تنكيت من أنفاسها جرح

﴿مَكْرُورٌ﴾ لتعريض: البحث على الشيء، وتحويل الهمة نحوه كالتخصيص ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ قال الواحدي: الإلتحاق في كل شيء عبارة عن قوته وشدة، يقال: قد كُنْتُه لعرض إذا اشتدت قوته عليه، واشتدته لجراح، والشتانة: العطلة، والسرور بالإلتحاق عند المبالغة في القتل والجراحات^(١).

سبب نزول:

عن عمر رضي الله عنه قال: لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون، استشار النبي ﷺ أي بكر وعمر وعبيد فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو النعم والمثيرة، رأيي أن تأخذ منهم القدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعمر أن يهديهم الله فيكونوا لنا عصاة فقال رسول الله: إما ترضي يا من الخطاب، قلت: والله ما أرى رأي أبي بكر، ولكن أرى أن تعطيني من فلان قريب لعمر - فأضرب عقه وتمكن عليا من عقبل قيسرب عقه، وتمكن حمزة من أخيه فيضرب عقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا مؤادة عنى المشركين، هؤلاء أئمة الكفر وصانديها، فهو رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الغداة، فلما كان من الغد غدوت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وعما يبيكان، فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجده بكاء، بكيت، فقال ﷺ: فأبكي لذي عرض على أصحابك من الغداة، لقد عرض عني عذابي أرض من هذه الشجرة - لشجرة قريبة فأنزل الله ﴿مَا كُنْتَ لِيَنْزِلَ يَكُونَ لَهُ لِيَكُونَ حَتَّى يَفْتَحَ﴾ الآية^(٢).

(١) فتح الرازي ١٥/٣٠١.

(٢) التفسير ٢/٢٣٣.

(٣) زاد المسير ٣/٢٨٠ ولطوية مسلم.

وهو حبيبك، ثم ذكره بيمينت عنب فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ أي قواك وأعمالك حمراء. وشهد أولئك بالمؤمنين قال ابن عباس: يسمى الأنصار ﴿وَالَّذِينَ هُيِّئُوا لَكَ مِمَّا رِزْقُوا﴾ أي جمع بين قلوبهم على ما كان بينهم من العداوة والبغضاء، فأبطلهم بالعداوة حياءً، ولباعد قوتاً قال القرطبي: وكان تأليف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من ثبات الشيء جزواً ومعجزاته، لأن أحدهم كان يظلم للظلمة يقاتل عليها، وكانوا أشد حلياً لله حمية، فالتف الله بينهم بالإيمان، حتى فاقم الرحمن أباة وأخاء بسب الدين ^{١١٠} ﴿وَلَقَدْ لَبِثْنَا أَنرَ الْأَرْضِ مَبْعُوثًا لِّأَنَّكَ تَكُونُ قُلُوبِهِمْ﴾ أي لو أنقضت في إصلاح ذات بينهم ما مني لأرض من الأموال ما دموت على تأليف قلوبهم واجتماعها على معة بعضها بعضاً ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا لَكَ ذَا الْقُرْآنِ﴾ أي ولكه سبحانه بقرآنه بالآفة جمع بينهم ورواق، فإنه المالك للقلوب بقلبها كيف يشاء ﴿فِيهِ مَرْءٌ حَكِيمٌ﴾ أي غالب على أمره لا يفعل شيئاً إلا عن حكمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي حرص المؤمنين ورغبتهم بكل جهلك على قتال المشركين ﴿وَأَن يَكُونَ بَيْنَكُمْ عَدَاوَةٌ بَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال أبو السعود: هذا وعد كريم من تعالى بغلبة كل جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم ^{١١١} والصبي: إن يوجد منكم يا معشر المؤمنين عشرون صابروا على قتالهم العرب يغلبوا مانئين من عديهم، يعون الله وتأييده ﴿وَأَن يَكُونَ بَيْنَكُمْ بَأْسٌ بَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي وإن يوجد منكم مائة بشرط النصر عند الفداء، تغلب ألفاً من الكفار بمشقة الله ﴿بَلْهَرَجَةٌ﴾ أي بقرآن بقرآن الباء مبيية أي سبب فلان الكفار قوم جهلة لا يفقهون حكمة الله، ولا يعرفون طريق النصر والبر، فهم هؤلاء من غير احتساب، ولا طلب لثواب، فذلك وإقامته قال ابن عباس: كان ثبات الواحد للعشرة فرساً، ثم لما شغل ذلك عليهم سحق وأصبح ثبات الواحد للاثنتين فرساً ﴿وَأَن يَكُونَ خِفَّةٌ فَتَةً عَنكُمْ﴾ أي رفع عنكم ما فيه مشقة عليكم ﴿وَأَن يَكُونَ تَسْفُتٌ﴾ أي وعدم ضعفكم فر حرككم في أمر مفتاحه ﴿وَأَن يَكُونَ تَسْفُتٌ﴾ أي وإن يوجد منكم مائة صابرة على الشدة يتفوقوا على مائتين من الكفرة ﴿وَأَن يَكُونَ بَيْنَكُمْ تَسْفُتٌ﴾ أي وإن يوجد منكم ألف صابرون في ساعة اللقاء، يتغلبوا على اثنين من الأعداء ﴿وَأَن يَكُونَ تَسْفُتٌ﴾ أي منسوبة وتسميته ﴿وَأَن يَكُونَ تَسْفُتٌ﴾ هذا نزع في الثبات وتشتت بالصر أي الله معهم

١١٠ القرطبي ١٤/ ٥٢

١١١ القول الأول مبتدأ، حبيبك لله واحد، وحسب أفعالك وقد اشترى الزلف أي ونفسه من تقيم في مقدمة دار السعادة بالآفة مفعلة، والقول الثاني روي عن محمد والحسن البصري وحسنه السيوطي والحدادي في تفسير الخلاص، والأول أرجح.

١١٢ تفسير أبي السعود ١٤/ ٥٢

اللَّهُ مِنْ فَتْرِهِ أَيُّ فَقَدْ خَلَقُوا اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَ هَذِهِ الْغَزْوَةِ غَزْوَةُ بَدْرٍ ﴿فَتَنَزَّلُ فِيهِمْ﴾ أَيُّ فَنَزَلَ وَنَصَرَكَ عَلَيْهِمْ وَحَدَّثَكَ تَسَكُّنَ مِنْ رِقَابِهِمْ ، فَإِنَّ عَادُوا إِلَى الْخِيَانَةِ فَرِيحُكَ مِنْهُمْ أَبَشَاءُ ﴿رَأَيْتُمْ لَيْسَ حَكِيمٌ﴾ أَيُّ عَالَمٍ بِجَمِيعِ مَا يَجْرِي ، يَفْعَلُ مَا تَقْضِي بِهِ حُكْمَتَهُ الْبَاطِنَةُ ﴿يَا أَيُّ الْفَرِيقِ مَا تَقُولُ﴾ أَيُّ مَرَدُّوهُ ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿وَقَاتِلُوا﴾ أَيُّ تَرَكُوا وَهَجَرُوا الدِّينَ وَالْأَوْثَانَ حُبًّا فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿وَيُحِبُّوا بِأَوَّلِهِ﴾ الْغَيْبِيَّةُ ذِي السَّيْلِ الْقُدُّ أَيُّ جَاهِدُوا الْأَعْدَاءَ بِالْأَسْوَاقِ وَالْأَنْفُسِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَرَوْا مُصْرًا﴾ أَيُّ لَوْ أَنَّ اللَّهَ اجْعَلُوا فِي دِيَارِهِمْ دَعَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ الْأَنْصَارُ ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوكَ فَرِيقًا﴾ أَيُّ أُولَئِكَ السَّوْغُورُونَ بِالْصَّدَقَاتِ الْفَدَايَةِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىءُ بَعْضُهُمْ فِي الْمَصْرَةِ وَالْإِثْرِ ، وَلِهَذَا نَسِيَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا دُونَ ذَلِكَ﴾ أَيُّ آمَنُوا وَأَقَامُوا بِدَارِهِمْ فَهُمْ يَهَاجِرُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، لَكُنْ تَرَوْهُمْ وَتَقْنِيهِمْ بَيْنَ حُبِّهِمْ حُبًّا بِأَوَّلِهِ أَيُّ لَا إِثْرَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَلَا وَلايَةَ حَتَّى يَهَاجِرُوا مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوكُمْ مِنْ قَبَلِهِمْ يَتَّبِعْكُمْ الْمَغْتَرُ﴾ أَيُّ وَنَ حَلَبُوا مَعَهُ ، الْمَصْرَةُ لِأَحْلَى إِعْزَازِ الدِّينِ ، عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْصَرُوا وَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَنْتُمْ إِسْمُ الْكُفْرِ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَرَوْا مُصْرًا﴾ أَيُّ إِذَا سَلَّطْتُمْ وَكَمْ عَلَى مَنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ وَمَعَانِدَةٌ فَلَا تَدِينُهُمْ عَلَيْهِمْ ﴿رَأَيْتُمْ بِمَا تَتَكَلَّفُونَ لَيْسَ﴾ أَيُّ رَأَيْتُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ فَلَا تَخَالِفُوا أَمْرَهُ ، ذَكَرَ أَنَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ وَقَسَمَهُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : الْمُهَاجِرِينَ ، الْأَنْصَارَ ، الَّذِينَ لَمْ يَهَاجِرُوا ، فَبَدَأَ بِالْمُهَاجِرِينَ لِأَنَّهُمْ أَسْبَغُوا الْإِسْلَامَ وَقَدْ هَجَرُوا أَسْدِيَارَ وَأَوْصَانِ بِشَاءَ رَضَوَانِ اللَّهِ ، وَنَسِيَ بِالْأَنْصَارِ لِأَنَّهُمْ عَصَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَاهِدُوا بِأَنْفُسِ وَأَعْمَالٍ ، وَحَمَلُوا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الرِّلايَةَ وَالْمَصْرَةَ ، ثُمَّ ذَكَرَ حُكْمَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَهَاجِرُوا وَبَيَّنَّ أَنَّهُمْ مَرْمُوهَا الرِّلايَةَ حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَبَعْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثِ ذَكَرَ حُكْمَ الْكُفَرَاءِ فَقَالَ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ تَنَبَّؤُا بُرْهَانًا﴾ أَيُّ هُمْ فِي الْكُفْرِ وَالْفُضُولِ فَلَمَّا وَاحِدَةٌ فَلَا يَتَوَلَّاهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ﴿وَلَا تَقْصُودُوا﴾ أَيُّ وَإِنْ لَمْ تَقْصُودُوا مَا لَمْ تَقْصُودُوا بِهِ مِنْ تَوَلَّى الْمُؤْمِنِينَ وَقَضَى الْكُفْرَ ﴿تَنَزَّلُ﴾ فِي الْأَرْضِ وَفَضْلٌ سَيِّئٌ أَيُّ تَحْصِلُ فِي الْأَرْضِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ وَمَعْسَدَةٌ كَبِيرَةٌ ، فَهُوَ يَتَرَسَّبُ عَلَى دَارِ قُوَّةِ الْكُفْرِ وَخُرُوبِ الْمَسِيرِ ، ثُمَّ عَادَ بِالْذِّكْرِ وَنَشَأَ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَقَالَ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَرَوْا مُصْرًا وَتَنَبَّؤُوا بُرْهَانًا﴾ وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَأَصْحَابُ السَّبَقِ فِيهِ الْإِسْلَامَ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَرَوْا مُصْرًا﴾ وَهُمْ الْأَنْصَارُ أَصْحَابُ الْإِبْوَاءِ وَالْإِثْرِ ﴿وَأَنبَأَتْهُمْ ثُمَّ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أَيُّ عَوْلًا هُمْ لَكُمُودُ فِي الْإِيمَانِ ، الْمُتَحَفِّقُونَ فِي مَرَاتِبِ الْإِحْسَانِ ﴿ثُمَّ تَنَبَّؤُوا بُرْهَانًا﴾ أَيُّ لَهُمْ مَغْفَرَةٌ لَدُنِّيهِمْ ، وَرَزَقَ كَرِيمٌ فِي جَنَّاتِ الْعَدِيمِ قَالَ الْمُفْسِدُونَ أَيْسَ فِي هَذِهِ آيَاتُ تُكْرَأُ ، قَالَايَاتُ السَّبَقِ نَضَمْتُ الرِّلايَةَ وَالْمَصْرَةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَذِهِ نَضَمْتُ الشَّاءَ وَالشَّرِيفَ ، وَمَا كَانَ حَالُ أُولَئِكَ الْأَجْرِ مِنَ الْمَغْفَرَةِ وَالرَّزَقِ الْكَرِيمِ فِي دَارِ الْعِيمِ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا وَتَنَبَّؤُوا بِكُفْرٍ وَآيَةٍ﴾ هَذَا فَسَدَ رَجْعٌ وَهُمْ السَّوْغُورُونَ الَّذِينَ هَجَرُوا بَعْدَ الْهَجْرَةِ الْأُولَى فَحُكْمُهُمْ كَحُكْمِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسَافِرِينَ فِي الثَّرَابِ وَالْأَحَرِ ﴿وَوُفُّوا أَلْفَاظَهُمْ تَقَعُّهُمْ أُولَى يَقُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أَيُّ أَصْحَابِ

انظر إلى ما ذهب إليه الحق بارت بعض من الأحناف في حذف الله وشريعته قال العلماء: هذه ناسخة
للآيات بالتحريف والإلغاء ﴿إِنْ أَنْتَ بِتَحْتِ شَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَكُنْ مِنْ كَذَّابِينَ﴾ في أحاط بكل شيء عدداً. وكان ما شرعه الله
حكماً ومسابغ صلاح، لم يكن له فساد لو ألقى السمح وهو شهيد، وهو حجة للصورة في غاية
البراعة.

الخلاصة

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا كَانَ لِلزَّكَاةِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّمَا تَقْرَبُ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسْكِينُ وَالْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾
يقدر هذه الأصوات يسمى بالإطباب وفائدته التفكيير بالجنة التكري والتعبد المقتضى على
الرسول والمؤمنين.

٢- ﴿إِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مَشْرُوعٌ فَذَرْهُ بِرَأْسِهِ﴾. الآيات قال في البحر: نظر في فصاحه
هذا الكلام حيث أثبت في الشرطية الأولى قد انقضى، وحذف نظيره من ثمانية، وكانت في الثانية
قد كونه من الكفرة، وحذف من الأولى، وكذا كان النصير شديد الظلم أثبت في معنني
التصنيف. ثم ختمت الآيات بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا كَانَ لِلزَّكَاةِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّمَا تَقْرَبُ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسْكِينُ وَالْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾
من البدع يسمى (الاحكام) قاله في التذييل ما أحسن فصاحه وأخضر بلاغه!!

ثم بضمه تعالى تفسير سورة الانفال.

تفسير سورة التوبة

بين مدق المسددة

وهذه السورة التكرية من السور النعنية التي نفس صاحب التلويح . وهي من أوامر ما نزل على رسول الله ﷺ بعد ما رأى السحاري عن أبيه ، بن علي أن أقر سورة نزلت سورة براءة^(١) . ويرى شافعي أن كثر أن أول هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ عند ما جئ به من جمعة من غزوة تبوك ، وبعد ما باكر الصديق أميراً على جميع تلك السنة ، ليقيم الناس منكم . فها قد نزلت عليه من أمي طالب ليكون مبلغاً عن رسول الله ﷺ ما فيها من الأحكام^(٢) . نزلت في السنة الخامسة من الهجرة ، وهي السنة التي خرج فيها رسول الله ﷺ نحو الروم . والشهيد بين الغزوات النبوة بالبرية نزلت وكانت في نحو شبيب . وفيها بعد . حين طابت الشجيرة ، وحللت الناس إلى نعيم الجنة ، فكانت ابتلاء لإيمان المؤمنين ، واتخذوا الصادقهم من الأسماء لعين الله ، وسميوا بهم وبين المؤمنين . وهذه السورة التكرية هذان أساميت إلى جانب الأحكام الأخرى . هذا :

١٠٤٠ كتاب الفقه في الإسلام: في معاملة المذنبين، وأهل الكتاب.

ثالثاً : يظهر ما كانت عليه المنهج من حيثها استقرهو الرسو ل العزو حروم

١٠ أما بالنسبة للمهدف الأول فقد عرضت الدعوة إلى عهد العهود العشر ليس في صيغة أنها حقاً ، ومعت حق المشركين ليس الله العز وجل ، وقطعت ولاية بينهم وبين المسلمين ، ووصفت الأساس في قبول إلغاء الحق الكتاب في الحرية العربية ، زيادة إلى ما قبل معهم ، وقد نادى بين المسلمين والعهد العهود ومزئيل ، كما كان بين وبين الحق الكتاب عهد أيضاً ، ولكن المشركين أنفسهم اليهود وناس أجمع اليهود عدة مرات على حرب المسلمين ، وإذ لا طواف ، اليهود (أو الضمير) وإبنو نيطلة (أو نيطاخ) ما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ، ونقصوا عهودهم مرات ومرات ، فبم يدعي الحكمة أن يرغب المسلمون في عهد مع اليهود وقد نقضوا أمه وعهد ، فخرت الدعوة للكرامة بإلغاء تلك العهود وندعت إليهم على وضوح وبخبر ، لأن الناشئين لا يتورعون من الحيانة كما ساعدت لهم الفرصة ، وبذلك قطع الله تعالى ما بين المسلمين والمشركون من صلات ، فلا عهد ، ولا تعاهد ، ولا سلام ، ولا آمان ، بعد أن نقضهم الله عهده كذبه في السياسة في الأرض أربعة أشهر يصطفون فيها أميين ، فيهمكن من النظر والتدبر في أمرهم ، ويختار ما يريدون فيه المعصاة لهم ، أقل ذلك أنزل صدر السورة الكريمة (فَرَأَيْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ

ورويده إن تليين الله فخر المشرقيين . ﴿ الآية ١٠ ﴾ .

ثم لفتها الآيات في فناء التفسير للمعهود من أهل الكتاب ﴿ فَنُفِثُكَ الْقَدِيمُ لَا يُؤْمِنُ بِكَ وَكَفَى ﴾ الآية ، وقد تناول الحديث عنهم ما يقرب من عشرين آية ، تكشف الله سبحانه فيها الغنى عن حجاب أهل الكتاب ، وما يطول عليه نفوسهم من خبث ومكر ، وحقد على الإسلام والمسلمين .

وخرجت السورة لهدف الثاني ، وهو شرح تفسيرات المسلمين حين استنقذهم رسول الله ﷺ من أروم ، وقد تعدلت الآيات من المتناهيين منهم والمتخلصين ، « المتطهرين » ، ونسخت الغطاء عن فن المتنافيين ، باعتبار خطرهم الشاهق على الإسلام والمسلمين ، ونسخت أساليب مغايرتهم ، وألواق غشهم ، وتخليطهم بالموهبين ، حتى لم تدع لهم ستر ولا منك ، ولا سريفة إلا كشفتها ، وتركهم بمجد هذا الكشف والإيضاح تكاد تلعبه أيدي المؤمنين ، وقد استغرق الحديث عنهم معظم السورة بدءاً من قوله تعالى ﴿ قَدْ كَانَ قَوْمٌ ذُكِرَ اسْمُهُمْ فَاجْتَدَى الْقَبِيلَ ﴾ . يلي قوله تعالى : ﴿ لَا يَرْزُقُ مِثْلَهُمُ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ قَوْمٌ يَنْفِرُونَ لِقَائِهِمْ فَنُفِثُكَ الْقَدِيمُ وَكَفَى ﴾ . ولهذا المعاد بعض الدلالة (الخاصة) لأنها أفادت الدلالة من وكشفت أسرهم ، فإن سعيد بن جبير ، سألت ابن عباس عن حصة برائة فقال : تلك العاصفة ، ما زال سؤل : منهم ، وهم ، حتى خفا الأعداء منهم أحداً ، ، روى عن حذيفة بن اليمان أنه قال : إنكم تسمونها سورة التوبة ، وإنما هي سورة الجناب . والله ما فرقت أحداً من المنافقين إلا نأت منه ، ، وهذا هو السر في عدم ورود التسمية فيها قال ابن عباس : سألت علي بن أبي طالب لم لم يُكنس ، في برائة ﴿ يَدُ ﴾ . ﴿ قَوْمٌ كَفَرُوا ﴾ ﴿ يَدُ ﴾ ؟ قال : لأن ﴿ يَدُ ﴾ هو أمر تكرر فزينة ، ماذن ، وبراءه فزيت بالسيف . ليس فيها أماء ، وقال سعيد بن عبيدة : رجال لم تكن في صدر هذه السورة المسماة لأن التسمية رحمة ، والرحمة أماء ، وهذه السورة تزلزل بالمعصية وبالسيف . ولا أدنى للمنافقين .

وبالجملة فإن هذه السورة المذكورة قد تناولت (الطاير) الخ (من) ، ما من بين وفوق المسلمين إلا وهم (المتنافيون) الذين هم أشد خطراً من المشركين ، فغضبهم وكشفهم ، أسرهم ومخالفهم . وظلت تادبهم بالحسم حتى لم يبق منهم ذخيرة ، فقد وصل بهم الكيد في الشار على الإسلام ، أن تحدوا بيوت الله أو كادوا للتغريب والتدمير ، وتقاء الفتنة بين معصوف الجسم ، في مسجدهم الذي لحق بأسر (مسجد النصر) وقد نزل في شأنه أربع آيات في هذه السورة ﴿ وَأَنْبِئُكَ أَنْتَهُمْ مَكِيدُونَ ﴾ ، ﴿ وَأَنْبِئُكَ أَنْتَهُمْ مَكِيدُونَ ﴾ ، ﴿ وَأَنْبِئُكَ أَنْتَهُمْ مَكِيدُونَ ﴾ ، ﴿ وَأَنْبِئُكَ أَنْتَهُمْ مَكِيدُونَ ﴾ .

١٠ آيات من (٤٥ - ١١٠) يذكاه بكونه جزء من سورة في التناهي . التفسير

١١ تفرغ (٥٧) - التناهي (١١٠) .

١٢ تفرغ (٩٧) .

هَذَا... ﴿الآيَاتِ وَالْمُكَذِّبِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ يُرِيدُ بِتَلْقَى لِرُوحِي حَتَّى خَالَ لِأَصْحَابِهِ : انظُرُوا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الْقَدِيمِ أَفَعُلَاءَ فَاهْتَمَرُوا وَحَقَّرُوهُ فَنَهَضُوا وَكَفَى اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ شَرَّهُمْ ، وَكَيْدَهُمْ ، وَغَيْثَهُمْ ، وَفَضَحَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

التسعة، تسمى هذه السورة باسمه عذبة أوصلها بعض المفسرين إلى أربعة عشر سبعة ، قال العلامة الزمخشري : لهذه السورة عدة أسماء : (براءة) ، والبرية ، والنشقة ، والمبعثرة ، والمشردة ، والمخزفة ، والمفاحصة ، والبشرى ، والحافرة ، والسككة ، والعامة ، وسورة العذاب) قال : لأن فيها البرية على المؤمنين ، وهي نفس من النفاق أي تبرئ منه ، وتبشر عن أسرار المنافقين ، وتبحث عنها ، وتبهرجها وتحفر عنها ، وتفقدحهم ، وتكل بهم ، وتتردهم ، وتخزيهم ، وتدلم عليهم^(١).



قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَنَا بِالنَّارِ وَتَبَسَّمَ ذَا النُّفُورِ﴾ . إلخ . (أصل قطيعة) من آية (١) إلى نهاية آية (٢٣).

الطَّلْعُ: ﴿تَرْجَعُ﴾ يَرْجَعُ مِنَ الشَّيْءِ بِإِذْنِ قَاعَتِ مَا يَنْتَهِ، وَيَبْتَهِ مِنْ سَبَبٍ وَأَكْزَلَهُ عَنْ مَفْطَحِهِ، قَالَ التَّزْجِاجُ: يَرْجَعُ مِنَ الرَّجْلِ وَالِدَيْنِ بِرَأْفَةٍ، وَيَرْجَعُ مِنَ التَّمْرِ بِسُرْعَةٍ ^{١٢١} ﴿تَجْبَحُ﴾ السَّيَاحَةُ السَّيْرُ فِي الْأَرْضِ وَالذَّهَابُ فِيهَا لِنَتَجَاوِزَ أَوْ لِنُعَايِدَ أَوْ لِنُبْتَهِرَ بِهَا ^{١٢٢} ﴿أَذَاذُ﴾ الْإِذَاذُ: الْإِعْلَامُ وَمَنْ أَذَانُ الْخِدْلَةِ ^{١٢٣} ﴿تَرْجَعُ﴾ الْمَرْجَعُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يَرْجِعُ فِيهِ الْعَدُوُّ مِنْ قَوْلِهِمْ: رَجَعْتُ فَلَانًا إِذَا تَرَفُّعَتْ قَالَ الشَّاعِرُ: إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَقُومَ بِالْمَرْجَعِ ^{١٢٤} ﴿تَسْجَرُ﴾ طَلَبُ جَوَارِكِ أَيْ مَمَالِكِ ^{١٢٥} ﴿يَلِي﴾ الْإِلَى: الْمَعْدُ وَالْعَرَاةُ وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدٍ:

محمد الناس خلوفاً خلصوا فطمعوا الآن وأمرافه كرحباً^{١٠٠}
 ﴿لَقَدْ أَفْلَحَ﴾ الذعر وأصله في كل ما قُتل ثم حل ﴿وَلَيْجَةً﴾ بهانة ودخيلة، قال أبو
 عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة وأصله من الولوج، فالدخول في القوم
 وأبهر منهم يسمى وليجة^{١٠١} وقال القراء: الوليجة: البطانة من المشركين يخفي إليهم سرهم،
 ويعلمهم أمرهم.

مكتب الشؤون

روي أن جماعة من رؤساء قرقيش أسروا يوم بدر، وفيهم (العباس بن عبد المطلب) فاقبل عليهم نفر من أمراء حبيب رسول الله ﷺ - يزعمون بالشرك، وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بقتال رسول الله ﷺ وقطيعه الرحيم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساويتنا وتكتمون

(1) تكيف (T) / (T²).

(٢٠٠٤) : (٢٠٠٤) : (٢٠٠٤)

(٤) نسيم المحيط (T / 4)

والتحليل في (\mathbb{R}^n)

(0.47) $g \approx 2.5$

في البلاد فان ابن عباس : قد تحصنوا فاحصروهم أي في الفلج والحصون حتى يهبطوا إلى
النفس أو الإسلام ﴿يَأْتُمُّوْا لَهُمْ حَصَنٌ مَّرْكُومٌ﴾ أي القعد لهم في كل مرقى يسلكونه ، ويرغبوه .
في كل عمر يجتازونه منه في أسفارهم قاله في الشعر : وهذا تنبيه على أن المقصود بهما الأدنى
انهم بكل وسيلة بطريق القتال أو بطريق الاعتزال ^{١١} ﴿لَيْلٌ دَارًا وَأَيَّامٌ أَلْسِنَةً وَنَارٌ مَّرْكُومَةٌ﴾ أي
لأن دجواً عن اشرك وأدوا ما فرض عليهم من الصلاة والزكاة ﴿وَنَارٌ مَّرْكُومَةٌ﴾ أي كفرا عنهم ولا
تتمنعوا عنهم ﴿إِنَّ لَّكَ عَذْرًا جُورِيَةً﴾ أي واسع المنقرة والرحمة لمن تاب وتاب ﴿وَلَيْلٌ أَلْسِنَةً مَّرْكُومَةٌ﴾
المركبين المشركين ﴿أَيُّ اسْمَاكَ مَشْرِكٌ وَطَلَبَ مَلِكٌ جَوَارِكُ﴾ ﴿وَأَجْرُهُ خِثْيٌ يَسْعُ كَذِبُهُ﴾ أي أمته
حتى يسمع الغرائق ويغديره قال ابن خشرى . المعنى إن حادك أحد من المشركين بعد اغصاء
لأنهم ، لا عهد ، بينه ، واسمائكم ليسع ما تدعو إليه من التوحيد والعقائد ، فأمته حتى
يسمع كلام الله ويغديره ويطلع علي حقيقة الأمر ^{١٢} ﴿قُولُ هَذَا غَايَةُ فِي حَسَنِ الْجَعْلِ وَكُرَمِ
لَاخِلَافٍ ، لِأَنَّ الدَّرَجَاتِ الْبَالِيَةَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، بِمِلْإَتِهِمْ وَهَدَايَتِهِمْ حَتَّى يَمُرُّوا بِالْحَقِّ فَيَسْمَعُوا ،
وَيَتَرَكُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفِتْلِ﴾ ﴿ثُمَّ أَلَيْكُم مَّا تَزْكُرُ﴾ أي ثم إن لم يسلم فأرسله إلي ديار قومه ، التي
يأمن فيها علي نفسه وماله من غير غلو ولا عداوة ﴿وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا أَنْ يَقَامُوا﴾ أي ذلك ، الأمر
بالإجلالة للمشركين ، سب أنهم لا يعلمون حقيقة دين الإسلام ، فلا بد من أماتهم حتى يسموا
بشركوا ، ثم يشترعوا الحكمة من البرية من عهود المشركين فقال ﴿فَكَيْفَ يَكُونُ فَتَكْرِيكَ
تَهْدِيَةً بِنَدَائِهِ وَبِعَدَّتِهِ زَمْرِي﴾ استفهام بمعنى الإكثار والاستبعاد أي كيف يكون لهم عهد معتد به
عند الله ورسوله ، ثم استدرك فقال ﴿وَلَا تُؤَيِّدُ عَهْدَهُ جُنْدُ الْقَسْبِ أَخْرَجَ﴾ أي تكس من
عادته من المشركين عند المسجد الحرام ولم ينفصوا العهد قال ابن عباس : هم أهل مكة وقال
ابن إسحاق . هم قسائل بني بكر كانوا ادخسوا وقت الحديبية في العدة التي كانت بين
رسول الله عز وجل وبين هريش ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نفس عهدته ^{١٣} ﴿فَمَا اسْتَقْبَلُوا
نَكْرَةً فَاسْتَقْبَلُوا قَوْمٌ﴾ أي فما دهموا مستقمن على عهدهم فاستقبلواهم على العهد قال الظهري :
أي فما استقبلواكم على العهد فاستقبلواهم على انوفاء ^{١٤} ﴿وَلَا أَنَّهُ يُجِزُّ الْقَبِيلَ﴾ أي يجب من
انقياد به ، في عهده ، ترك العدا والخيانة ﴿حَتَّى زَيْنَ تَهْمَرُوا تَقْسَمُ﴾ تكرار لاستبعاد
ثباتهم على العهد أي كيد ، يكون لهم عهد وحالهم هذه أنهم إن سلموا وأسلم ﴿لَا يَرْفُؤُا وَكَيْكُمْ إِلَّا
وَلَا دَفْعٌ﴾ أي لا يبرحوا قبلكم عهداً ولا غمة ، لأنه لا عهد لهم ولا أمان قال أبو حيان . وهذا كله
تقرير واستبعاد لثبات قرارهم على العهد ^{١٥} ﴿يُرْسِلُونَكُمْ أَكْفَهِهُمْ﴾ أي يرسلونكم بالكلام الجميل
إن كان الظفر لكم عليهم ﴿وَنَارٌ قُلُوبُهُمْ﴾ أي ونمتنع قلوبهم من الإذعان والوفاء بما أظهره قال

١١ . البحر المحيط (١٠ / ٥)

١٢ . الكشاف (٢ / ٢٤٨)

١٣ . البحر (٥ / ١٠٦)

١٤ . البحر (٥ / ١٠٦)

١٥ . الطبري (٢ / ٨٤)

الطيري: المعنى يعطونكم بالسنتهم من الغول خلافة ما يشعرونه بكم في نفوسهم من اعداءه والبغضاء، ونأبى قلوبهم أن يذعنوا بتعديدهن ما يبدونه لكم بالسنتهم ^{١٠١} ﴿وَأَعْرَضْتُمْ فَعِثْرَتُ﴾ أي وأكثرهم ناضربن للمهد حار حون عن طاعة الله ﴿أَعْرَضُوا بِأَنَّهُمْ رَبُّهُمْ فَعِثْرَتُ﴾ أي استبدلوا بالقرآن عرضاً يسيراً من صنائع الدنيا الخميس ^{١٠٢} ﴿فَصَحَّفَا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي منعوا الدس عن اتباع دين الإسلام ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُكُونًا خِثْرُونَ﴾ أي بس هذا العمل القبيح الذي عملوه ﴿لَا يَرْجِعُونَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي لا يرجعون في قتل مؤمن لو قدروا عليه بهذا ولا ذمة ﴿وَرَأَيْتُكَ هُمُ الْقَائِلُونَ﴾ أي رأيتك الجاهلون لتلك الأوصاف القبيسة هم السجائرون الجحد في القسم والبعثي ^{١٠٣} ﴿كَيْفَ قَالُوا رَبَّنَا السُّورَةُ وَالْحَقُّ السُّورَةُ﴾ أي فإن تأبوا عن الكفر وأنتموا الصلاة وأعطوا الزكاة ^{١٠٤} ﴿فَلَا تَزْكُمُ فِي دِينِهِمْ﴾ أي منهم إخوانكم في الدين، منهم حالكم، وعليتهم ما عليكم ^{١٠٥} ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي دس السجج والأدلة لأهل العلم ولهم، والجملة اعتراضية كبحث ضلي التنبير والتأمل ^{١٠٦} ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ عَنْهُمْ رَبُّنَا فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي ذن نقضوا عهدهم الموثقة بالإيمان ^{١٠٧} ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي عابوا الإسلام بالفتح وندم ^{١٠٨} ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾ أي رؤساء وحشائده الكفر ^{١٠٩} ﴿إِنَّهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي لا أيمان لهم ولا عهد يوفون بها ^{١١٠} ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي كس يكفوا عن الإحرام، ويستهوا عن الطمن في الإسلام، قال البيضاوي: وهو متعلق بما قاتلوا أي ليكن غرضكم في المعاقبة الانتهاء عما هم عليه، لا إيصال الأدب بهم كما هو طريقة المؤذين ^{١١١} ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي لا تفتلون في قتلهم أي لا تفتلون في معشر المؤمنين قوماً نقضوا العهد وعضوا في دينكم؟ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي عزموا على تهجير الرسول من مكة حين تشارروا بدلو الدعوة على إخراجهم من بين أظهرهم ^{١١٢} ﴿وَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي هم المبدلون بالقتال حيث قاتلوا خلفاءكم خزاعة، والباقي أظلم، فما يسحكم أن نقاشنهم؟ ^{١١٣} ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي اتخافونهم فتشركون قتالهم خوفاً على أنفسكم منهم؟ بالله أحي أن تخافوا عقوبته إن تركتم أمره ^{١١٤} ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي إن كنتم صادقين بعبادته وثوابه قال الزمخشري: يعني أن قضية الإنسان الصحيح لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بحسن سواه ^{١١٥} ﴿لَمْ يَدْعُوا إِلَى الْحَرْبِ وَلَا إِلَى الْقِتَالِ﴾ أي لم يدعوا إلى الحرب ولا إلى القتال ^{١١٦} ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي قاتلهم يا معشر المؤمنين فقتلهم لهم عذاب بأيدي أولياء الله وجهاد لمن قاتلهم ^{١١٧} ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي يسلمهم بالأسر والهدى ^{١١٨} ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي يستحكم الظفر والصلية عليهم ^{١١٩} ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي يشق قلوب المؤمنين بزعلاء دين الله وتعليب الكفار وخزهم قال ابن عباس: هم قوم من اليمن قدموا مكة فأسلموا فظفروا من أهلها أذى كثيراً فتسكوا إلى رسول الله ^{١٢٠} فقال: فأشركوا فإن الفرج قريب ^{١٢١} ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْفُلُوفُ بِقَنُوزِهِمْ﴾ أي يذهب ما بها

١٠١ الطيري (ص ٢١٦).

١٠٢ لمع الـ سورة (٢٥٨/٢).

١٠٣ الطيري (٢٥٨/٢).

١٠٤ المكتبة (٢٥٨/٢).

من قبط، وهم، وكراب، وهو كالتأكيد لشفاء الصدور وفائدة انبلاخه في جعلهم سرورين مما يمن الله عليهم من تنقيب أعينهم قال الرازي: أمر تعالى بقفالهم وذكر فيه خمسة أنواع من الثمرات، كل واحد منها يعظم موقعه إذا افرد، فكيف بها إذا اجتمعت؟^(١٠٩) ﴿وَرَبُّكَ اللَّهُ عَلَىٰ شَيْءٍ قَتَّالٌ﴾ كلام مستأنف أي يمن الله على من بشه منهم بالثبوت والدخول في الإسلام تأتي سريان ﴿وَأَنَّهُ قَدِيرٌ حَكِيمٌ﴾ أي عالم بالأسرار لا تحفى عليه غافية، حكيم لا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصالحة قال أبو السمره: ولقد أنجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به علي أجمعين ما يكون، فكان إتيانهم عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة^(١١٠) ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَنَاصِرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أم مقطعة بمعنى بل والهزة أي بل أحصيت يا معشر المؤمنين أن تركوا غير امتعانه وإيتائه يعرف الصادق منكم نبي دينه من الكاذب فيه ﴿وَلَمَّا يَتْلُوا آيَاتَهُ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي والعمال أنه لم يبين المجاهد منكم من غيره، والمراد بالعلم علم ظهور لا علم غفاه لأنه تعالى يعلم ذلك غير أفراد إظهار ما علم ليجازي على العمل ﴿وَلَمَّا يَتْلُوا آيَاتَهُ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي جاهدوا في سبيل الله ولم يتخذوا بطانة وأولاء من المشركين يفسدون إليهم أمرهم ويؤانونهم من دون المؤمنين، والفرس من الآية: أن الله تعالى لا يترك الناس دون تمحيص يظهر فيه الطيب من الخبيث ﴿وَأَنَّهُ حَكِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي علم بجميع أعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ﴿مَا كَانَ يَشْكُرُكُمْ لَنَ تَقْرَأُوا مَنَاجِدَهُمْ﴾ أي لا يصح ولا يستقيم ولا ينبغي ولا يليق بالمشركين أن يحمروا شيئاً من المساجد ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ أي سأل كونهم مقرين بالكفر، ناظرين به بأنهم وأفعالهم حيث كانوا يقولون في قلوبهم: (ليبدأ لا شر لك، لك، إلا شر بك هو لك، تملكه وما ملك) يمتنون الأصنام، وكانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت، وكانوا يطوفون حواف كلما طافوا طوفة سجدوا للأصنام^(١١١) والمعنى: ما استفاد لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين: عبادة مساجد الله، مع الكفر بالله وعبادته ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي بطلت أعمالهم بما قارنوا من الشرك ﴿وَنَزَّلْنَا النَّارَ عَلَىٰ عُلُوقِكُمْ﴾ أي ماكنون في نار جهنم أبداً ﴿إِنَّمَا يَقْرَأُ مُكِيدٌ آيَاتِهِ مَنَاجِدَهُمْ﴾ أي إنما تستغيب عبادة المساجد وتلبس بالمؤمنين المصدقين برحمة الله، الحوقن بالأغرة ﴿وَوَقَّامُ الْغُلَّةِ﴾ أي أقام الصلاة المكتوبة، أي أقام الصلاة المكتوبة بحدودها، وأدى الزكاة المفروضة بشرطها ﴿وَلَمَّا يَتْلُوا آيَاتَهُ﴾ أي خاف الله ولم يرمب أحدًا سواه ﴿فَتَشْتَرِي لَوَاقِحَهُمْ أَن يَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي فمسي أي يكونوا في زمرة المهتدين يوم القيامة قال ابن عباس: كل عسى هي القرآن واجبة قال الله تعالى: ﴿فَتَشْتَرِي لَوَاقِحَهُمْ أَن يَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي فمسي أي يكونوا في زمرة المهتدين يوم القيامة يقول: إن ربك سيبغلك مقاماً محمداً وهي الشفاعة^(١١٢) قال أبو حيان: رعى من الله تعالى واجبة حيثما وقعت في القرآن، وفي التعبير عسى قطع لأطماع المشركين أن يكونوا مهتدين، وإ

(١٠٩) فخر الرازي (٢/١٩٦).

(١١٠) أبو السمره (٢/٢٥٨).

(١١١) الصاوي عن الحللين (٢/١٦٦).

(١١٢) الطبري (١٠/٩٤).

من جمع هذه الخصال الأربعة جعل حانه حال من ترجى له الهداية، فكيف بمن هو عابر سنها؟
 رقبه ترجيح شخصية على الرجاء، ورفض الاغتراف بالأعمال الصالحة^(١١) ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ لِلْعَالَمِينَ كَاذِبِينَ﴾^(١٢) فأنتم كاذبون في سبيل الله، فخطاب للمشركين^(١٣)،
 والاستفهام للإنكار والتوبيخ والمعنى: أجهلتم يا مشركي سقاية السقاية المحجج وصدانة
 البيت، كإيمان من آمن بالله وجاهد في سبيله؟ وهو رد على العباس حيث قال: لئن كنتم
 سبتمونا بالإسلام وشهجرة، فلفظ كنتم نمر المسجد الحرام، ونفى الحاج فنزلت قال الطبري:
 هذا توبيخ من الله تعالى لقوم اعتكفوا بالسقاية وصدانة البيت الحرام، فأعلمهم أن الفخر في
 الإيمان بالله، واليوم الآخر، والجهاد في سبيله^(١٤) ﴿لَا يَسْتَوُونَ يَوْمَئِذٍ أَيُّ لَا يُسْأَلُ
 الْمُشْرِكُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَعْمَالُ أَوْلَئِكَ بِأَعْمَالِهِمْ وَلَا أَهْلُ الْقُرَىٰ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾^(١٥)
 هذا كالتعليق أي لا يوفى الظالمين إلى معرفة الحق، قال في البحر: ومعنى الآية إنكار أن يشبه
 المشركين بالمؤمنين، وأعمالهم المحيطة بأعمالهم المشبهة، ولما نفى المساواة بينهم أوضحها
 بأن الكافرين بالله هم الظالمون، علموا أنفسهم بعدم الإيمان، وظلموا المسجد الحرام إذ
 جعلوا متعبداً لأوثانهم، وأثبت للمؤمنين الهداية في الآية السابقة، ونفاهما عن المشركين هنا
 بنقل ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١٦) ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 يَقُولُ لَهُمْ لَقَدْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَاذِبِينَ﴾ هذا زيادة توضيح وبيان لأهل الجهاد والإيمان والمعنى: إن
 الذين ظهروا أنفسهم من غش الشرك بالإيمان، وظهروا أصدانهم بالهجرة من الأوثان، ومدلوا
 أنفسهم وأموالهم للجهاد في سبيل الرحمن، هؤلاء المستصنفون بالأوصاف الجليلة أعظم أجراً،
 وأرفع ذكراً من سقاء الحاج، وعملوا المسجد الحرام وهم بالله مؤمنون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْا﴾^(١٧)
 وأولئك هم المختصرون بالفور العظيم في جنات نعيم ﴿يُسَبِّحُونَ فِيهَا رَبَّهُمْ بِحَمْدِهِمْ وَبِغُيُوبِهِمْ﴾^(١٨) أي
 يشرهم المولى برحمة عظيمة، ورضوان كبير من رب عظيم ﴿وَسُحُورُ فِيهَا يُسَبِّحُ أَنفُسَهُمْ﴾^(١٩) أي
 وجنات عالية، قطونها ذاتية، لهم في تلك الجنات نعيم دائم لا زوال له ﴿وَسُحُورُ فِيهَا يُسَبِّحُ أَنفُسَهُمْ﴾^(٢٠) أي
 مأكنين في الجنات إلى ما لا نهاية ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢١) أي توباهم عند الله عظيم، تعجز
 العقول عن وصفه قال أبو حيان: لما وصف المؤمنين ثلاث صفات: الإيمان، والهجرة،
 والجهاد بالنفس والماله، قابلهم على ذلك بالتشبيه بثلاثة: الرحمة، الرضوان، والجنات،
 تبدأ بالرحمة لأنها أهم النعم في مقابلة الإيمان، ونشئ بالرضوان الذي هو نهاية الإحسان في
 مقابلة الجهاد، وثالث بالجنات في مقابلة الهجرة وترك الأوطان^(٢٢) وقال الأكوبي: ولا يخفى
 أن وصف الجنات بأن لهم فيها نعيم مقيم جاء في غاية اللطافة، لأن الهجرة فيها السفر،

(١١) البحر المحيط (٢٠/٥).

(١٢) بحر السبب للزور.

(١٣) البحر المحيط (٢٠/٥).

(١٤) الطبري (٩٤/١٠٥).

(١٥) البحر (٩١/٥).

الذي هو قسامة من العقاب^(١).

النبلاغة:

١- ﴿تَرَاكَأُ يَسْ أَلْفَ وَرَسُولِهِ﴾ التوبيخ للتفخيم والتقييد بأنها من الله ورسوله لزيادة التفخيم والتعويل.

٢- ﴿رَزَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِذُنُوبِ آلِيهِ﴾ هذا يسمى «الأسلوب التهكمي» لأن البشارة بالعقاب تهكم به.

٣- ﴿فَلَمَّا نَسَبَ الْآخِثَرُ قُلُوبَهُ﴾ شب مضي الأشهر وانقضاءها بالانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده فهو من باب الاستعارة.

٤- ﴿وَأَلْفَ عَلِيمٍ شَكِيرٍ﴾ ذكر الاسم الجليل مكان الضمير لتربية المهابة وإنه حال الروعة في القلب.

٥- ﴿وَأَلْفَ لَيْلَةٍ مَرَّ الْقَارِئِينَ﴾ الجملة مفعلة للمحصر أي هم القارئون لا ضميرهم.

٦- ﴿وَأَنفَاقَ الْفُلُوكَ زَيْنَ الْكَرْكُوتِ﴾ في شخصيص الصلاة والركعة بالذكر تفخيم لشأنهما وحث علي التفتية لهما.

٧- ﴿وَيَرْحَمُوهُنَّ وَرُسُلَهُنَّ﴾ تنكير الرحمة والرضوان للضعف والتعظيم أي يرحمة لا ينفها وصف واضح.

فائدة:

عمارة المسجد توعان: حسية، ومعنوية، فالحسية بالشيد والبناء، والمعنوية بالصلوة وذكر الله، وقد ربط الباري جل وعلا بين العبادة والإيمان وفي الحديث «إِذَا رَأَيْتُمْ بُرْجًا بَيْنَهُمَا الْمَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ» لأن الله تعالى يقول ﴿إِنَّمَا يَسْتَرْحَمُ كَلِمَةً مِّنَ الْكَلِمَاتِ يَأْتِيهِ وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ﴾^(٢) فالعمارة الحقيقية بالصلوة وذكر الله.

لطيفة:

ذكر الفرطني أن امرأته فدم المدينة المنورة فقال: من يقرئني مما أنزل علي محمد ﷺ؟ فأقره رجل سورة براءة حتى أتى بالآية الكريمة ﴿لَا أَلْفَ تَرَىٰ؟ بِنَا أَكْثَرُ كَيْدًا وَشَوْثًا﴾ فقرأها عليه بخير «وَرَسُولِهِ» فقال الأعرجي: وأنا ألقأ أبرأ من رسوله، فاستعظم الناس الأمر وبلغ ذلك عمر فدعا فقال يا أعرجي: أبرأ من رسول الله ﷺ؟ فقال يا أمير المؤمنين: قدمت المدينة فأقراني رجل سورة براءة فقلت إن يكن الله يري من رسوله فأبرأ منه، فقال: ما هكذا الآية يا أعرجي! قال فكيف يا أمير المؤمنين؟ فقرأها عليه بالقسم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ فقال الأعرجي: وأنا والله أبرأ مما يرى الله ورسوله منه، فأمر عمر ألا يقرئ الناس إلا عالم بلغة العرب^(٣).

(١) روح المعاني ١-٦ / ٢٠٠.

(٢) الفرطني (٢١ / ٢١).

(٣) دواء الرمذي.

فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي مَالِكُمْ زُخْرًا قَلِيلًا ۚ وَمَا يَكُونُ لَهُمْ جِزْيَتُهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ يُؤْتُونَهَا سَعِيًّا ۚ لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَنْ النَّاسِ قَدْ أَمَّا لَهُمْ فَكُنَ لَكُمْ آيَةً ۚ فَذَكِّرْهُمْ بِأَيُّهُمْ آتَتْهُمُ الْآخِرَةُ ۚ فَيَسْتَفِهُوا ۚ وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يَدْعُوا تَلْحِقُوا بَوَالِدِ اللَّهِ يَحْسَبُوا لَكَ وَالِدًا ۚ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ الْبَيْتِ ۚ وَيَخْرُجُونَ عَلَيْهِمْ كَذِبًا ۚ وَأُولَٰئِكَ عَلَىٰ عِتَابِنَا ۚ إِنَّهُمْ عَلَىٰ شَكٍّ مِّنْ عُقَابِ اللَّهِ ۚ﴾ (النساء: ٨١-٨٥).

الفسسية لما ذكر تعالى في آيات المشركين . ولما ذكر على المهاجرين المؤمنين الذين هجروا الديار والأوطان سباً في الله ورسوله . حشرهم من ولاية الكافرين وذكر أن الانشطار عن الأبناء والأقارب واجب بسبب الكفر ، ثم استعطف إلى تذكر المؤمنين بتصرفهم في مواضع كثيرة لمصرها دينهم . ثم عاد إلى الحديث عن قبائح أهل الكتاب للتحذير من موالاتهم ، وأهم كتابهم المشركين يصرحوا لافضل نور الله .

التُّعَّةُ (أُرْبَعَةٌ) جِيعٌ وَابِيٌّ. وَهُوَ النَّاصِرُ وَالْمُعِينُ الَّذِي يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي شَرِّهِ الْعَمِيرِ وَبَصِيرُهُ وَبِقُوَّتِهِ. وَتُجْبِرُهُ (أُرْبَعَةٌ) تَمْشِيَةٌ فِي الْجَمْعَةِ الَّتِي يَحْتَرُّ وَيُحْمِي بِهَا. لِأَنَّ قَاتِلَهُ أَحَادِي. عَشِيرَةُ الْوَجِيلِ أَهْلُهُ الْأَقْرَبُونَ وَهُوَ مِنْ كِبَشْتَةٍ أَيْ الصَّخْبَةِ لِأَنَّهَا مِنْ شَأْنِ الْقَرَسِ ﴿كَمَاءُهَا﴾ كَمَدُ الشَّيْءِ كَمَاءُهَا وَكَمَدُهَا إِذَا بَارَ الْمَرْءُ بِكَ بِهَافٍ ﴿عَبْتُهُ﴾ تَفَرَّقَ بِهَذَا. عَابَ الرَّجُلُ يَعْجَلُ إِذَا تَفَرَّقَ قَاتِلُ الْخَنَازِيرِ.

وما بدوي القفر متى عساه وما رعي الغني متى يعيل
 * أجيئة * ما أخذ من أهل اللغة سميت حزية لأنهم أغفلوها جزاء ففُحوا من الأمس
 * يهفون * يشبهون والفضاء: الفلاة * المحاكاة * يمشون * يصرفون من الحق والإنك
 الصرف قال: ففلك الرجل أي ففك وطرف

سید فضول:

قال الكلبي: نعاظم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، جعل لرحل يهود لانيه وأخيه
وإمرأته: بنت أميئة بالهجرة، فمسيهم من يصرح إلى ذلك ويعجبه، ومهم من يتعلق به زوجته
ووالده فيقولون: لشدة ذلك أنه إن دعنا من غير شيء فنفسح، مروق فيجلس معهم ويدع الهجرة
يريد أن لا نعلمهم فإنها أقدس فأسألوا لا يتعدوا ذلك، فلو أنك أبيت... (١) لأن.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ سُبُلَ الْفُتُونِ إِنَّهَا سُبُلُ الْمُنَافِقِينَ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّكَ مُعْذِرٌ لهُمْ وَإِنَّ هُمُ الْمُنَافِقُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾

وَمَا إِلَىٰ آثِهِمْ خَيْرٌ فَيَذَرُوهَا كَالْمِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَالَّذِينَ يَذَرُوا آيَاتِنَا حَتَّىٰ يُنْزِلَ إِلَيْهِمُ الرِّسَالُ فَقُولُوا إِنَّا هُنَا حَتْمٌ مِّمَّا أَصْحَابُ النَّارِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَسُوا آيَاتِنَا أَن تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ سُبُورًا فَتَكُونَ الْآيَاتِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هُمْ أُولُوعَذَابٍ لَّنْزِلَ إِلَيْهِمْ الرَّسَالُ وَإِن يَعْثَبُوا لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840.

ثم أخذ قبضة من تراب قمري بها نهي وجوه المسلمين ودان: شامت الوجوه لغزاة فبدلت
أحدا ولا يمدح القلب من حبيبة الله وقال: أيها الناس اتقوا الله فإني أخشى أن يبعث الله
فيكم رجلا يمدحكم بما أنتم عليه فيخلفكم ويهلككم ثم يأتكم ثمرة ذلك فياخذكم بها فتأخذونها
أغلا من أخذها بما وعدكم عني ساكتين وفيهم قال أبو السعود: أي التزلزل، حدث الله
تسكين بها القلوب ونطمئن إليها. **«وَأَلْزَمَ شُرَكَاءَ عِبَادِهِ أَنَّ لَهُ الْإِشْرَاقَ»** قال أبو هاشم يعني الإشراق
«وَقَدْ عَلِمَ الْمُبْتَدِئُ كَذِبُهَا» أي ما قبله والآخر رمي الله وأندروني **«وَأَلْزَمَ الْكَلْبَ الْكَلْبَ»** أي
وذلك معربة للكافرين بالله. **«كُلُّ مَثُوقٍ أَتَى بِنَافِلَةٍ»** أي من فاكهة أي شرب من من يشاء
فيرويه للإسلام، وهو إشارة إلى إسلام هؤلاء **«وَأَلْزَمَ عَذَابُ الْجَهَنَّمَ»** أي عظيم العقوبة واسع
المرحمة **«يَكُونُهَا الْأُورُوقُ»** أي لا يتركها **«وَأَلْزَمَ الْكَلْبَ الْكَلْبَ»** أي ما راعاه من فاكهة من عذابي
أشبهه بحمة كالفكوك والحب، وقال الحسن: من صافح مشركا فليترحم الله عليه والناس
على أنه هذا على التشبيه لأنهم يمدحون الجبر أو قاتلهم لثقت اعتقادهم وكفرهم بالله جعلوا
شأنهم المحاسبة بعينهم مبالغة في التوضيح على حد قوله **«عَمِلَ عَبْدُ اللَّهِ كَيْدًا»** فلا يلتزم
الاستعانة الكرامة بقوله **«هَذَا»** أي فلا يستلزم الحرام، أطلق الله على الحرام وفاسده الحرام
كقوله قال أبو السعود: **«قِيلَ الْحَرَامُ السُّعْيُ مِنَ السُّعْيِ وَالْعَمَلُ الْإِي لَا يَحْصُو»** ولا يختص واحد على
صالحهم هذا وهو عام لجميع من الهجرة ويؤيد حديث لو لا باجج هذا العام مشترك **«وَأَلْزَمَ**
«الْعَمَلُ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ سُورَةُ مَرَّةٍ وَمَا فِيهَا عَلِي فِي السَّوَابِ» **«وَقِيلَ يَفْعَلُ حَسَنَةً فَيُؤْتَى بِشَيْءٍ أَفْأَ»**
«مِنْ تَعَالِيهِ» أي وإن عاقبهم أيضا المزمعون فمفارقة من منعهم من تحريم الحرام أو من الحج
فإن الله سبحانه يحكمهم بغير حق آخر من فعله وعطاه قال المصنف: **«يَدْعُو الْمُسْلِمُونَ**
«مِنْ تَشْكِيكِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ» وكذا المشركون يخفون الأطمعة والمخاوف إليهم أي
العواسد التي أشبهت في تنويع الحزن فقال لهم من أين تأكلون وكيف تعيشون وقد
منعت عنكم أذنوا في الحكمة؟ فأذهب الله من أكلهم ومراقبتهم الغنى والجزالة

(١٥) لغز: (١٥٠٠٠)

2007-07-01

١٣) انظر طبري: ١٠٩٨. انهم السوء بنو عور بن عبيد بن اخنس. يهودته يرجعها المحدثون الى اليماني وهو ظاهر
 في قوله الجمهور على انه من النصارى.

4 Y - 6, 17 b 2, 4, 5, 6, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 13, 14, 15, 16, 17, 18, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 121, 122, 123, 124, 125, 126, 127, 128, 129, 130, 131, 132, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 153, 154, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 161, 162, 163, 164, 165, 166, 167, 168, 169, 170, 171, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 182, 183, 184, 185, 186, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 210, 211, 212, 213, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 235, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 246, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 253, 254, 255, 256, 257, 258, 259, 260, 261, 262, 263, 264, 265, 266, 267, 268, 269, 270, 271, 272, 273, 274, 275, 276, 277, 278, 279, 280, 281, 282, 283, 284, 285, 286, 287, 288, 289, 290, 291, 292, 293, 294, 295, 296, 297, 298, 299, 300, 301, 302, 303, 304, 305, 306, 307, 308, 309, 310, 311, 312, 313, 314, 315, 316, 317, 318, 319, 320, 321, 322, 323, 324, 325, 326, 327, 328, 329, 330, 331, 332, 333, 334, 335, 336, 337, 338, 339, 340, 341, 342, 343, 344, 345, 346, 347, 348, 349, 350, 351, 352, 353, 354, 355, 356, 357, 358, 359, 360, 361, 362, 363, 364, 365, 366, 367, 368, 369, 370, 371, 372, 373, 374, 375, 376, 377, 378, 379, 380, 381, 382, 383, 384, 385, 386, 387, 388, 389, 390, 391, 392, 393, 394, 395, 396, 397, 398, 399, 400, 401, 402, 403, 404, 405, 406, 407, 408, 409, 410, 411, 412, 413, 414, 415, 416, 417, 418, 419, 420, 421, 422, 423, 424, 425, 426, 427, 428, 429, 430, 431, 432, 433, 434, 435, 436, 437, 438, 439, 440, 441, 442, 443, 444, 445, 446, 447, 448, 449, 450, 451, 452, 453, 454, 455, 456, 457, 458, 459, 460, 461, 462, 463, 464, 465, 466, 467, 468, 469, 470, 471, 472, 473, 474, 475, 476, 477, 478, 479, 480, 481, 482, 483, 484, 485, 486, 487, 488, 489, 490, 491, 492, 493, 494, 495, 496, 497, 498, 499, 500, 501, 502, 503, 504, 505, 506, 507, 508, 509, 510, 511, 512, 513, 514, 515, 516, 517, 518, 519, 520, 521, 522, 523, 524, 525, 526, 527, 528, 529, 530, 531, 532, 533, 534, 535, 536, 537, 538, 539, 540, 541, 542, 543, 544, 545, 546, 547, 548, 549, 550, 551, 552, 553, 554, 555, 556, 557, 558, 559, 560, 561, 562, 563, 564, 565, 566, 567, 568, 569, 570, 571, 572, 573, 574, 575, 576, 577, 578, 579, 580, 581, 582, 583, 584, 585, 586, 587, 588, 589, 590, 591, 592, 593, 594, 595, 596, 597, 598, 599, 600, 601, 602, 603, 604, 605, 606, 607, 608, 609, 610, 611, 612, 613, 614, 615, 616, 617, 618, 619, 620, 621, 622, 623, 624, 625, 626, 627, 628, 629, 630, 631, 632, 633, 634, 635, 636, 637, 638, 639, 640, 641, 642, 643, 644, 645, 646, 647, 648, 649, 650, 651, 652, 653, 654, 655, 656, 657, 658, 659, 660, 661, 662, 663, 664, 665, 666, 667, 668, 669, 670, 671, 672, 673, 674, 675, 676, 677, 678, 679, 680, 681, 682, 683, 684, 685, 686, 687, 688, 689, 690, 691, 692, 693, 694, 695, 696, 697, 698, 699, 700, 701, 702, 703, 704, 705, 706, 707, 708, 709, 710, 711, 712, 713, 714, 715, 716, 717, 718, 719, 720, 721, 722, 723, 724, 725, 726, 727, 728, 729, 730, 731, 732, 733, 734, 735, 736, 737, 738, 739, 740, 741, 742, 743, 744, 745, 746, 747, 748, 749, 750, 751, 752, 753, 754, 755, 756, 757, 758, 759, 760, 761, 762, 763, 764, 765, 766, 767, 768, 769, 770, 771, 772, 773, 774, 775, 776, 777, 778, 779, 780, 781, 782, 783, 784, 785, 786, 787, 788, 789, 790, 791, 792, 793, 794, 795, 796, 797, 798, 799, 800, 801, 802, 803, 804, 805, 806, 807, 808, 809, 810, 811, 812, 813, 814, 815, 816, 817, 818, 819, 820, 821, 822, 823, 824, 825, 826, 827, 828, 829, 830, 831, 832, 833, 834, 835, 836, 837, 838, 839, 84

(1.1.4.2) $\text{Aut } \mathbb{Z}^2 = \text{GL}(2, \mathbb{Z})$

توب. ﴿الله﴾ ففنت. يا رسول الله لم يكونوا يعبدونك فقال عليه السلام: «أليس بحر من ماء أحل الله تعالى فيحرمونه، ويحرقون ما حرم الله فيه تعذون؟» فقلت: «بلى»، قال: «فذلك عبادتهم»، ﴿وَأَسْبِغْ لَكُمْ تَرَائِذَ الْفَرَسِ﴾ أي التحفة النصارى وثأ معبوداً ﴿وَنَاسًا أَسْرَفُوا لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي أنها ذجداً أي واتحال أن أولئك الكفرة ما أصرروا على لسان الأبياء إلا بعبادة إله واحد هو العالمين ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحق سواه ﴿سُبْحَنَكَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تنزه الله عما يقرب المشركون وتعالى عماؤا كثيراً ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي يلقون الله بأفواههم في يومه هؤلاء الكفار من المشركين راحل الكتاب أن يظفونوا سور الإسلام وشرع محمد عليه السلام بأفواههم احقيرة، سجد جديهم واخرتهم، وهو النور الذي جعله الله لخلق خياه، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفى شمع الشمس أو نور القمر يتفخه بقمه ولا سبيل إلى ذلك ﴿يُنَادِيكُمُ اللَّهُ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي وبأس الله إلا أن يعلى ويرفع شأنه ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي وادركه الكافرون ذلك ﴿فَرَأَيْتُمُ اللَّهَ مُنْزَلًا فِي الْوَيْدِ﴾ أي أرسل محمداً صلى الله عليه وآله في البداية الثمة والدين الكامل وهو الإسلام ﴿يُظَاهِرُ عَلَى الْيَمِينِ حَتَّىٰ لَمَّا خَلَّصَ الْأَيَّانَ﴾ أي لعل على سائر الأيدان ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ جوابه محمول أي ولو كره المشركون ظهوره

البيان:

- ١- ﴿مَقَرَّبُوا حَقَّ بَابِكُمْ إِلَهُ بِأَمْرِهِ﴾ حقيقته أمر وحقيقته عبد كقوله ﴿أَمَرُوا مَا يَنْتَهُم﴾.
- ٢- ﴿وَبَرَزُوا حَقِّقُوا﴾ من باب عطف الخاص على العام للتنبؤ به بشأنه حيث جاء النصر بعد الميامين، والفرج بعد الشدة.
- ٣- ﴿وَوَسَّطَتْ مَقَرَّبَتُكُمْ الْأَرْضَ﴾ وساطة وساطة شبة ما حل بهم من الكرب والهزيمة والعيق للذي سي بضيق الأرض على سبيل الاستعارة.
- ٤- ﴿وَلَمَّا تَنَزَّلَتْ فَتَنُ﴾ انصبغة لإهانة العصر واللفظ فيه تشبيه بليغ أي كأنه جنس في حيث المبالغة وخبت الاعتقاد حذفت منه أذلة الشبه بوجه الشبه فأصبح بليغاً ومثله ﴿فَتَنُكُمْ اللَّهُ﴾ أي كذا لأرباب في ضاعتهم وامتنال ألامهم في التجرد والتحليل.
- ٥- ﴿فَكَانُوا يَنْتَهُمُ﴾ عبر عن اندخول بالقرب للمبالغة.
- ٦- ﴿يُظَاهِرُوا نَزْرًا﴾ أي يظهرون نور الإسلام لأن الإسلام ينوره المضي، ووجهه الغاطمة يشبه الشمس الساطعة في نورها وقصبتها فهو من باب الاستعارة. وهي من لطائف الاستعارات.

تجليفة

قال العلامة القرطبي دل قوله تعالى: ﴿لَا تَقْبَلُوا دِيَارَكُمْ﴾ أي لا تقبلوا دياركم على أن القريب قرب الأيدان لا قرب الأيدان، وقد تشدوا في ذلك آياتاً:

يقولون لي: إله الأحياء قد فنت وأنت كمشيب إن ذا مشيب

فقلت وما نغض غير قريبة إذا لم يكن بين انقاوب قريب

□ □ □

قال ابن كثير: ﴿يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْحُكْمِ يُرِيدُونَ الْأَكْثَرَ وَالْأَكْثَرُ...﴾ إلى... في رؤسهم
يترددون ﴿من آية (٣١) إلى نهاية آية (١٥)﴾.

المناسبة: لما وضع تعالى رؤساء اليهود والنصارى بالكبر والتخبر وإعلاء الروبية، وضعهم
هذا بطمع ونجس والعرض على أقل أموال الناس، تحقيقاً لنهيهم ونهيها لأحلامهم، لأنهم
اتخذوا الدين مطية ليل الدنيا، وذلك نهاية بذل وإهانة، ثم ذكر تعالى من بعدهم وقبائح
المشركين، ثم دعا إلى التغير للعلم وذكر موقف المناقش المتطلب من الجهاد في سبيل الله .
الشقة ﴿الْأَكْثَرُ﴾ معنا، اليهود ﴿وَالْأَكْثَرُ﴾ علماء النصارى قال ابن الميزان:

وهل أقصد المير إلا المشوك وأحبر سره رهباناً

﴿يَكْفُرُ﴾ أصل الكفر في المعية الجمع والعلم ومنه حديث: «ألا أخبركم بحير ما يكن
أمره؟» امرأة الصالحة أي يضمنه نفسه ويحمده، ثم غلب استعماله علم المتقوى من اللجب
والعفة قال الطبري: الكفر كل شيء ممنوع معص إلى معص في معنى الأمر كان أو على
غيره ما ذكره الكوفي، الكفر إلى ما لا يحصى من المديد وشبهه بالمص حتى يمتزج الحل، وفي
الأمثال (أمر اندوا، انكسر) ﴿كَلْبُوتُ﴾ أخير ينادي: ساء، أساء، إذا أحر. ومنه حديث نرسانه
في أثره: أي يؤخر له في حله قال الرمضاني: النسي: تأخير حرمة انشهر إلى شهر أسر
﴿يُؤْتِيهِ﴾ أي ليواظبوا والسراطة: الموافقة بقدر: نراطة لقوم: إذا انفقوا على أمر حبة
﴿كَمُوتُ﴾ التفر: الخروج بمسوحة ومنه ﴿وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ﴾ ﴿فَأَتَتْهُ﴾ أصله تشافته بمعنى
تباطأ ثم رسم تسرعوا ﴿فَتَبَّ﴾ تعرض: ما تعرض للإنسان من منافع الدنيا سمي محرقة لأنه لا
يدوم وفي الحديث الدنيا عرض حاضر، يكل منه الثير والفاجر: ﴿أَشَقُّ﴾ الشاقة العمدة التي
لا تفيض إلا بعشقة قال العمري: الشقة السفر النعية: ٣١، وكانه ما يورد من كمشقة يعال: شقة
شاقة

سبب نقول:

لما رجع رسول الله ﷺ من الطائف وغدوة حنين، أمر الناس بالجهاد، لقرن الروم، وذلك
من زمن عرس فرس الناصر، وحرب من البلاد، وشدة من الحر، حين أضرمت النخل، وخاب
الثمار، فغضم على الناس غزو الروم، وأحيرا الظلال والعمام في المساكن والسكان، وشق عليهم
الخروج إلى القتال فأنزل الله ﴿يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْحُكْمِ يُرِيدُونَ الْأَكْثَرَ وَالْأَكْثَرُ...﴾ الآية ٣١.

في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم^(١١) ﴿يَوْمَ يُخَوِّضُ عَلَيْهَا رَبُّكَ يُنْقِطُ مِنْهَا بَقَاةٌ﴾ أي يوم يحشي عليها
 النار المستمرة حتى تصبح حامية كارية ﴿فَتَكُونُ بِهَا بُعَاةٌ يُدْخِلُ فِيهَا الَّذِينَ لَا يُبْكَوْنَ عَنْهَا﴾ أي تحرق بها
 الجباه والجنوب والظهر بالكي عليها قال ابن مسعود: وانادي لا إله غيره لا يكوي عبد بكر
 تيمس دينار ديناراً، ولا درهم درهماً، ولكن يوسع جثله فيوضع كفي ديناراً ودرهم على
 حذته^(١٢)، وعصت هذه الأماكن بالكي لأن البخيل يرى الغنيير قاذماً فيقلب جهنمه، فإذا جاءه
 أمر من ربانه، فإنما طاله بإحسان ولا ظهراً، قال القوطي: الكي في الوجه أشهر وأشنع، وفي
 الظهر والجنب ألم وأرجع، فذلك خصها بالذكر من بين سائر الأعضاء^(١٣) ﴿فَنَدَامَا كُفِّرَتْكُمْ
 بِأَسْبَاطِكُمْ فَذُوقُوا كَذِبَكُمْ تَكْفُورَكُمْ﴾ أي يقال لهم نيكياً ونارياً: هذا ما كنتم تسمون لأنفسكم فذوقوا
 وبال ما كنتم تكفرونه وفي صحيح مسلم ما من رجل لا يزدي ركة ماله إلا جعل له يوم القيامة
 منافع من نار فيكوي بها جنبه وجهه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي
 بين العباد ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ﴿إِنَّ يَوْمَهُدَّ تُشْجَرُ بِهِ أَشْجَرٌ أَتَى شَجَرًا﴾
 أي إن عند الشهور السعد بها عند الله في شرعه وحكمه هي الثا عشر شهراً على منازل القمر،
 فالعصير به الشهور القمرية إذ عليها يدور ملك الأسلاك الشرعية ﴿فِي حَكَايَةِ لَيْلٍ﴾ أي في اللوح
 المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال ابن عباس: كنه يوم خلق السموات والأرض في
 الكتاب الإمام الذي عند الله ﴿يَسْبَأُ أَرْبَعَةَ شُهُورًا﴾ أي منها أربعة شهور محرمة هي: ذو القعدة،
 وذو الحجة، والمحرم، ورجب وسبب حرمتها لأنها معظمة محترمة تتعاضد فيها الطاعات
 وبحرم القتال فيها ﴿وَاللَّيْلِ الْقِيَمِ﴾ أي ذلك الشرع المستقيم ﴿فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ دِينَ﴾ أي
 لا تظلموا في هذه الأشهر المحرمة أنفسكم بهتك حرمتهم والركاب ما حرم الله من المصايف
 والأدام ﴿وَقَبِلُوا الشَّرِيعَةَ كُلَّهَا كَمَا يَقْبَلُونَكُمْ كَمَا أَنَّ﴾ أي قاتلوهم جميعاً مجتمعين غير
 متفرقين كما يعاتلكم المشركون جميعاً ﴿وَأَعْتَرَا مَا آتَاكَ مِنَ الْكُفْرِ﴾ أي معهم بالضرورة والتأيد،
 وهو شارة وضمان لأهل التقوى ﴿إِنَّمَا الْبَيْتُ وَرَكَدَةٌ فِي الْحَكْمَةِ﴾ أي إنما تأخير حرمة شهر
 لشهر آخر زيادة في الكفر لأنه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرم فهو كفر آخر مضبوط إلى
 كفرهم قال المفسرون: كان العرب أهل حروب وغارات، وكان القتال محرماً عليهم في الأشهر
 الحرم، فإذا جاء لشهر الحرام وهم محاربون تنزل عليهم ترك المحاربة، فيحلونه ويحرمون
 مكانه شهراً آخر، كأنهم يستغضون حرمة شهر لشهر غير، فربما أحلوا المحرم وحرّموا صفر
 حتى يكمل في العام أربعة أشهر محرمة ﴿يُسَبِّلُ بِالْقَبْرِ كَرَّاءَ﴾ أي يفضل بسمي الكافرين فضلاً
 على ضلالهم ﴿يُحَرِّقُ عَادَ وَنَجْرَتَيْنِ فَأَمَّا﴾ أي يحلوا المحرم عَاداً والشهر الحلال عَاداً فيجمعون
 هذا مكان هذا والعكس ﴿لِيُؤْخَذَ بِهِ مَا خَتَمَ اللَّهُ﴾ أي ليؤخَذَ به حنة الأشهر الحرم الأربعة

(١١) تكملة ٦/ ٢٦٦

(١٢) الطبري ١٠٠/ ١٦٦

(١٣) القرطبي ٨/ ١٢٩

﴿فَتَجِدُوا كَثَرَهُمْ أَقْبَرُ﴾ أي فستعلموا بذلك ما حرّم الله قال معاوية: كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلى الموسم على حماره، ليقوده إليها الناس وإنّى لا أحباب ولا أجياب، ولا مرد لما أقول، إنّا قد حرّمنا المحرم، وأخبرنا عوف، ثم يجيء الدم لسفيس ويقول: إنّا قد حرّمنا صفر وأخبرنا المحرم فذلك قواء تعالي: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ ذَا تَارَعْتُمْ أَتَمَّ﴾^(١١) ﴿لَهُنَّ نِسَاءٌ لَهُنَّ مَكْرَاهُنَّ﴾ أي ذين الشيطان لهم أعمالهم الفبيحة حتى حسيروها حسة ﴿وَأَنَّهُ لَا يُفِيدُ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا يرشدهم إلى طريق السعادة ﴿يَتَأَلَّفُونَ الْيَوْمَ﴾ يَصْلُحُوا لَكَ إِذَا قِيلَ لَكُمْ يُبْرَأُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاتَّقُوا إِلَى الْآخِرِينَ﴾ اصطفاهم للتفريق والتوبيخ، وهو توبيخ على ترك الجهاد وعذاب لمن تخلّف من غزوة نونك والممسي: ما لكم أيها المؤمنون إذا قيل لكم اخرجوا للجهاد أعداء الله تباطأتم وتناقمتم، ومنهم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبها^(١٢) ﴿أَتُحِبُّونَ الْكَثِيرَ أَذْهَبَتْ مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي أرمضتم بنعيم الدنيا ومتاعها الغفاني بدل نعيم الآخرة وتوابعها الباقي؟ ﴿وَمَا تَشَاغُرُ الْعُيُودُ لِأَهْلِهَا فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُبَيِّدُ﴾ أي فمب التمتع بلذائذ الدنيا في حنب الآخرة إلا شيء مستحق قليل لا قيمة له، ثم توعدهم على ترك الجهاد فقال: ﴿وَالَا تَتَّبِعُوا تَبَاطُؤَكُمْ مَقَدَّاتِ إِلَى مَا﴾ أي إن لا تخرجوا إلى الجهاد مع رسول الله يعذبكم عذاباً أليماً موجعاً، يستلأ العدو عليكم، ويأخذ المحرقة في الآخرة وقال ابن عباس: هو حبس المعطر عنهم^(١٣) ﴿وَبَشِّرُوا قَوْمًا بِتَرِكْتُمْ﴾ أي يهلككم ويستبدل قوماً آخرين خيراً منكم، يكونون أسرع استجابة لرسوله وأوسع ﴿وَلَا تُشِيرُوا شَيْئًا﴾ ولا تعصروا الله شيئاً بشأنتكم عن السجادة فإنه سبحانه غني عن العالمين ﴿وَأَنَّهُ عَلَى صَغْوٍ قَوْمٌ قَبِيرٌ﴾ أي قادر على كل ما يشاء ومنه الانتصار على الأعداء يدونكم قال الرازي: وهو تنبيه على شدة الزجر من حيث إنه تعالى فافز لا يجوز عليه العجز، فإذا نزعنا بالتعاقب فعل^(١٤) ﴿إِلَّا تَتَصَدَّقُوا فَقَدْ تَكْفَرُوا﴾ أي إن لا تنصروا رسوله فإن الله ناصره وحافظه وجوب الشرط محذوف تقديره: فستعصروا الله دل عليه قوله ﴿فَقَدْ تَكْفَرُوا﴾ والمبصر: إن لم تنصروه أنتم فستنصره الله الذي نصره حين كان ثاني النبي، حيث لم يكن معه أنصار ولا أعوان ﴿إِلَّا أَمْرِيَّةً أَتَمَّ حَكْمًا﴾ أي حين غورجه من مكة مهاجراً إلى المدينة، وأسد إخراجه إلى الكفار لأنهم الجثوة إلى الخروج وتأمر على منه حذر، انبطر إلى الهجرة ﴿وَأَنَّهُ أَتَمَّ﴾ أي أحد اثنين لا ثالث لهما هو أبو بكر الصديق ﴿إِلَّا فُتً﴾ أي من كان هو والصديق مخبيين في الغيب في جبل ثور ﴿إِلَّا يَقُولُ لِكَيْفِهِ﴾ لا تُفَسِّرُهُ إِنَّكَ اللَّهُ تَعَالَى أي حين يقول لصاحبه وهو أبو بكر الصديق تطمئن وتطمئن: لا تخف فالله مع بالسومة والنصر، روى الطبري عن أنس أن أبا بكر رضي الله عنه قال: بيانا مع رسول الله ﷺ في الغار، وأقدام لمشركين فوق رؤوسنا ففتت يا رسول الله: لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا فقال: أيأبأ بكر، ما ظنك

(١٠) الطبري (١١/١٣١)

(١١) الطبري (١٠/١٣١)

(١٢) الرازي (١١/١٣١)

يأتين أنه ثالث^{١٥}، وكان सब حزن أني بكم خوفه على رسول الله فيه المردون
 سكتا لقلبه **﴿فَأَنشَأَ لَكُم مِّنْ دُونِهِ شَيْئًا﴾** أي أنزل الله المسكون والطعامية على رسوله **﴿وَأَنشَأَ
 بِحُجُوتِهِ لَكُمْ مَنَافِعًا﴾** أي غوثه بجد من عبده من الملائكة بحرسه في الغار له تروها أنتم
﴿رَحِمَكُم مِّنْ دُونِهِ﴾ **﴿صَفَرًا لِّقُلُوبِكُمْ﴾** أي جعل كلمة لشرك مباغلة دينه خبيره، قد بها
 الشرك والمشركون **﴿يَسْخَرُونَ لَكُمْ مِنِّي أَنَا لَكُم﴾** أي وكلمة الله حيد (لا إله إلا الله) هي الكلمة
 القاهرة، أمر الله بها المومنين، وأنزل لشرك والمشركون **﴿وَأَنَّهُ غَيْرُ حَكِيمٍ﴾** أي فامر غالب لا
 يغت، لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والمصلحة **﴿أَنذَرُوكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُم﴾** أي أخرجوا القلوب يا معشر
 المومنين شيئا وشأنا، مشاء وركنًا، في جميع الظروف والأحوال، في اليسر والعسر
 والسنت والسكر **﴿وَيَسْجُدُوا لِلَّهِ لِيَأْمُرَكُمْ وَيُكَلِّمُ فِي سُبُلِ الْوَيْدِ﴾** أي جامعه بالأمور والأمن
 لإعلاء كلمة الله **﴿ذَلِكَ عِمَارٌ لِّكُلِّ مَن كَثُرَ تَقَلُّبُتْ﴾** أي هذا تعبير ولجهاد خير من التنازل إلى
 الأرض والجلود إليها، الرغب بالقلوب من منافع الدنيا إن كنتم تعلمون ذلك قال في الشعر:
 والخيرة في الدنيا مغية أعدو ورواة فأرض، وفي الأخرة بأشوب أعطى ورواة الله
 ثم ذكر تعالى أحوال المخلصين الذين يخلصون من غزوة تبوك، وموقف المعطين استبدل منهم
 فقال **﴿لَوْ كَانَ فَرَقًا بَيْنَ﴾** أي لو كان ما دعى إليه من الغزاة سهل **﴿وَلَوْ كَانَ فَرَقًا بَيْنَ﴾** أي
 وسفرا وسطا ليس يبعد **﴿لَفُتِّرْنَا﴾** أي لخرجوا معك لا فرقه الله بين طسفا في الغزاة **﴿وَلَوْ
 بَدَّلْتُ عَنْهُمْ ثَوْبًا﴾** أي ونكر بعدت عنهم الطريق والمسافة الشاقة ولذلك اعتذروا عن الخروج
 لما في قلوبهم من السعاة **﴿وَنَسْتَبَلُّوهُ بِالْمُنَافِقِينَ﴾** أي وسبعلفون لكم
 محذرين **﴿بِأَعْيُنِنَا كَذَابٌ لَّوْ قَسَرْنَا عَنْهُمُ الْخُرُوجَ مَعَكُمُ أَمَا تَأْتُوا مَالًا﴾** ولو كان ناسعة في الحان أو
 قوة في الأبدان لخر من الجهاد معكم، قد تعالى رفا عليهم وتكذب بهم **﴿يَتَّبِعُونَ الْهَيْمَةَ﴾** أي
 يوفون أنفسهم في الهلاك بألسانهم الكذبة **﴿وَأَنَّهُ تَقَالُ بَنِيهِمْ كَذِبِينَ﴾** أي كاذبون في دواهم
 حيث كان مستطيعين للخروج ولم يخرجوا **﴿عَفَا لَكَ ذَلِكَ لِمَ أَيْتَ تَهْتَفُ﴾** تعطف في هذاب
 فارسي **﴿وَأَنَّهُ تَقَالُ بَنِيهِمْ كَذِبِينَ﴾** أي كاذبون في دواهم
 محمدا ليد أوت الهؤلاء الماعين في التخلص من الخروج معك بمجرد الاستعداد **﴿هَؤُلَاءِ
 لَكُمْ أَلْيَسَ مَنَافِعًا﴾** أي وهلا تركتهم حتى يظهر لك المصادق منهم في غزوة من

١٥ تطوى (١٠٠/١٣٦).

١٦ الشعر (٥/٤٤).

١٧ هذا يخرج من أي يهتف، عدد وجعك من غزوة تبوك متغيرين هذه الأبدان الكاذبة وقد جعل كما أسير
 فراق ذلك من أوضح المعجزات العجائب.

١٨ قال القسري من هذه الآية يعرف الإنسان مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهذا، وهو مرسى، بشرة
 بالهوى في أن يحرق بالقدرة، ولو فارقته معاذة (أذن الله) طاعة الله أن يفرق بينه وبينه، قال حميد بن
 سميت بعملية حسن من هذا الآية بالمعنى على المعاني، أي أن: وما ذكره الرعشي، سواء أوت في مقام الرسل.

الكتاب المضاف فإن مجدها نزلت في الحاضرين فلما أناس منهم استأذنوا رسول الله، فإن أخذ لكم قاعدوا، وإن لم يأذن لكم فاعدوا، فقد كانوا مصرين على القعود عن الغزو وإذ لم يأذن لهم. ولهذا أشرع على أنه لا يستأذن أهل الإيمان فقال: ﴿لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ دُيُوتَهُمْ فَالْيَوْمَ الْأَخِيرَ﴾ أي لا يستأذنك يا محمد عن الجهاد والعزو من يؤمر بالله واليوم الآخر ﴿أَنْ يُتَخَذُوا يَوْمَئِذٍ طَبَقًا﴾ أي كراهية الجهاد في المال والنفس لأنهم يعلمون ما أعد الله للمجاهدين الأول من الأجر الحزيل فكيف يتخلفون عنه ﴿وَالَّذِينَ فِيكُمْ﴾ أي ما بينهم من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ﴿يَتَخَذُوا يَوْمَئِذٍ طَبَقًا﴾ أي لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴿أَنْ يُتَخَذُوا يَوْمَئِذٍ طَبَقًا﴾ أي لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴿وَالَّذِينَ فِيكُمْ﴾ أي ما بينهم من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ﴿يَتَخَذُوا يَوْمَئِذٍ طَبَقًا﴾ أي لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

البيان

- ١- ﴿يَتَخَذُوا يَوْمَئِذٍ طَبَقًا﴾ يترحلون ويحرمون مدي وهو من المهنات اليدوية
- ٢- ﴿لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ دُيُوتَهُمْ﴾ استيفاء مقصده الإنكار والتوبيخ.
- ٣- ﴿وَالَّذِينَ فِيكُمْ﴾ أي الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فيه إيحاء بالسفوف أي أرضهم تنعيم الدنيا ولما تذهب يد، نعيم الآخرة.
- ٤- ﴿وَالَّذِينَ فِيكُمْ﴾ أي الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فيه إيحاء بالسفوف أي أرضهم تنعيم الدنيا ولما تذهب يد، نعيم الآخرة.
- ٥- ﴿وَالَّذِينَ فِيكُمْ﴾ أي الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فيه إيحاء بالسفوف أي أرضهم تنعيم الدنيا ولما تذهب يد، نعيم الآخرة.
- ٦- ﴿وَالَّذِينَ فِيكُمْ﴾ أي الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فيه إيحاء بالسفوف أي أرضهم تنعيم الدنيا ولما تذهب يد، نعيم الآخرة.
- ٧- ﴿وَالَّذِينَ فِيكُمْ﴾ أي الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فيه إيحاء بالسفوف أي أرضهم تنعيم الدنيا ولما تذهب يد، نعيم الآخرة.
- ٨- ﴿وَالَّذِينَ فِيكُمْ﴾ أي الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فيه إيحاء بالسفوف أي أرضهم تنعيم الدنيا ولما تذهب يد، نعيم الآخرة.

البيان

- ٩- ﴿وَالَّذِينَ فِيكُمْ﴾ أي الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فيه إيحاء بالسفوف أي أرضهم تنعيم الدنيا ولما تذهب يد، نعيم الآخرة.
- قاعدة

روي أن عمر بن الخطاب قال لابن عمر: أخبرني عن قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ فِيكُمْ﴾ أي الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فيه إيحاء بالسفوف أي أرضهم تنعيم الدنيا ولما تذهب يد، نعيم الآخرة.

بطاعة الله تعالى (١٢٠١)!

تأنيده. قلت الآية ﴿فَإِنَّ يَسْعَىٰ لِحُكْمِهِ﴾ لا تحسروا على منظم نضل العذيق وجليل قدره، إذ جعله الله صاحب الرسول في لثام، ورفيقه في الهجرة، ولهذا قال العلماء: من أنكر صحة أبي بكر فقد كفر لأنه رد كتاب الله تعالى.

لطيفة

عن حيان بن ربه قال: تفرنا مع صفوان بن عمرو، فرأيت شيخاً كبيراً هرمًا، قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحله فيمن أغار فأقبلت عليه فقلت: يا عم لقد أعجز الله إليك قال: فرجع حاجبيه فقال يا ابن أخي! استغفرنا الله عفاً وقشاً، إلا إنه من يحبه الله يتيهه، ثم يعيده الله فيقبه، وإنما يتلي الله من عباده من شكر وحمو وذكر، ولم يعد إلا الله عز وجل (١٢٠٢).

أقول: رحم الله نبت الأنس الركية التي باعت أرواحها في مرماة الله تعالى.

٦٥٥

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسُوهَا فَمَا يَكُنْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٢٠٣) إلى نهاية آية (١٢٠٤)

الفاستبة بما ذكر المتألفين ولما طالعهم عن الخروج للجهاد، ذكر هنا بعض أعمالهم المشيخة من الكبد، والمكر، وإثارة الفتنة بين المسلمين، والفرح بأفاهم، وذكر تعالى أنهم لو خرجوا مع المؤمنين ما زادوا الجيش إلا ضعفاً واستعداداً يتفرون الجماعة وتشتت الكلمة، وذكر كثيراً من مثالبهم وجرانهم المشيخة

الآفة: ﴿أَيْسَافَهُمْ﴾ الانبعاث: الانطلاق في الأمر ﴿فَتَنَّهُمْ﴾ التنبيط: رد الإيمان عن الفعل الذي صم به ﴿سَكَا﴾ الحيان: الشر والنسأة في كل شيء، ومنه المخبول للمعترة الذي فسد عقله ﴿وَلَا يُصْعَقُوا﴾ الإيضاح: سرعة السير قال الرازي:

بنا لبنني فيها حذو أعني فيها وأضع

يقال: وضع اليمير إذا أسرع السير - وأوضع الرجل إذا سار بنفسه سيرة حشيتاً ﴿يَتَنَبَّهُونَ﴾ جمع نمر بإسراع من قولهم فرس جموح أي لا يرد النجم ﴿يُزِيلُكَ﴾ المصير: العيب يقال: لعزه إذا هابه قال الجوهري: وأصله الإشارة بالعين ونحوها ورجل لشدة أي عذاب ﴿وَالْكَفَرِيَّةِ﴾ الكفار: المذبذبون قال الزجاج: أصل الكفر لزوم ما يشق، والكفرام العذاب اللازم الشاق يسمى فاشق غراماً لكونه أمراً شاقاً ولازماً، وسعى الدين غراماً لكونه

(١٢٠١) الطبري (١٢٨/١٠)

(١٢٠٢) رواه ابن ماجه

(١٢٠٣) الصحاح للجوهري.

(١٢٠٤) الرازي (٨١/١٦)

لجهاد، والاية نسبية له **يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** حروب المنافقين معه إذا لا فائدة له ولا مصلحة بل فيه
 الأذى والضرر، ولهذا قال **﴿إِنْ عَزَمُوا بِكُمْ الدَّيْنَ فَلَا مَكْرَهُ أَلَمْ نَجْعَلِ لَكَ فِي الدِّينِ حُرْمَةً أَلَمْ تُؤْمَرْ أَنْ تَنصُرَ الْمَدْعُونَ﴾** أي أمر عوا بكم بالتمسك بالتمسك **﴿يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾** أي
 تطلبون لكم نفعا رائدا بعدد ما يتوكلون **﴿وَيُؤَيِّدُ بِيَدِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك **﴿يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 قولهم **﴿وَيُؤَيِّدُ بِيَدِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك **﴿يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 وهو مرهم **﴿لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك **﴿يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 عدل من قبل غزوة تبوك كما فعل ابن سوط حين اعترف بأصحابه يوم أحد **﴿وَتَكُنْ مِنَ الْغَالِبِينَ﴾**
﴿لَا تُؤْمَرْ أَنْ تَنصُرَ الْمَدْعُونَ﴾ أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك **﴿يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 أي حتى جاء نصر الله وطهر دينه وعدل على سائر الأديان **﴿وَيُؤَيِّدُ بِيَدِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 أنهم كانوا لذلك لعنفهم **﴿وَيُؤَيِّدُ بِيَدِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 يقول لك يا محمد أنت في من انعمود ولا تعني بسبب الأمر بالمرود قال ابن عباس: نزلت في
 (أحد من قس) حين دعاه الرسول إلى جلاسي لأحد، فقال يا رسول الله أنت في من
 انعمود عن الجهاد ولا تعني بالنساء **﴿وَيُؤَيِّدُ بِيَدِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 الفتنة عوا بكم بالتمسك بالتمسك وهي فتنة التخلّف عن الجهاد وظهور كفرهم
 وتعاظم ذل أبو الصمود وفي التعبير عن الايمان بالسقوط في الفتنة تنزيه بها منزلة اليهود
 المهددة، المعصية عن تدينهم في ذنوب الردى أسف سافلين **﴿وَيُؤَيِّدُ بِيَدِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 وتكفرون أي لا يعرفونها لأنها جعلت بهم من كل جانب إحاطة بالسوارب معصية وفيه
 وعيد شديد **﴿يَنْصُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي إن نصبت في بعض العزوات حسنة سواء كانت
 ظهرا أو خفية، بسؤهم ذلك **﴿وَيُؤَيِّدُ بِيَدِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 نصبت معصية من تكية وشدة، أو مكره ومكره يفرح به ويقوله قد احتفظت بأفندي وأخذت
 بالتحذر واليقظة **﴿يَنْصُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 ويتصرفوا عن محتسبهم وهم فرعون سرورون **﴿وَيُؤَيِّدُ بِيَدِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 من يصيبها غير ولا شر، لا خوف ولا رجاء ولا شدة ولا رخاء، إلا وما مقدار علينا مكتوب
 عند الله **﴿وَيُؤَيِّدُ بِيَدِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 أمورهم إلى الله، ولا يتصوروا على أحد سواء **﴿وَيُؤَيِّدُ بِيَدِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك
 لهم هل ينظرون بنا يا معشر المنافقين إلا إحدى المعاصين الحسنات: إما انصر، وإما شهادة،

(١) وقاب معناه المهر، وبكم عوا بكم بالتمسك بالتمسك، والاولى أظهر وهو الأشهر،
 وإليه ذهب قتادة واختاره ابن كثير.

(٢) أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك.

(٣) أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك.

(٤) أي عوا بكم بالتمسك بالتمسك وهو معجوز بالاد.

ورس واحدة منهما شيء حسن!! ﴿وَمَنْ تَزَكَّرْ بِكُلِّ أَنْ يُسَبِّحَ اللَّهَ بِحَدَّثٍ مِنْ حَسَنَةٍ أَوْ
يُحْسِنَ﴾ أي ونحن نستظر لكم أسرار العاقبتين الواعيتين. أن يعلتكم الله بعباد من عنده
يستاصل به شافئكم، أو يفتلكم بأهلبا ﴿مَنْ تَزَكَّرْ أَنْ تَتَكَبَّرَ عَنْهُ﴾ أي انتظروا ما يحل بنا
ومن ينظر ما يحل بكم، وهذا أمر بنقد من اتقاه والنوعين ﴿فَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ كُفْرًا إِلَّا يُغْنِي
عَنْكُمْ﴾ أي قل لهم انفقوا بأعشر المذفين فاعين أو مكرمين، فبعد انفقتم لأموال فلن
يقبل الله منكم قال الطبري وهو أمر معناه الخيب بقوله ﴿لَنْ يُغْنِي عَنْكُمْ كُفْرًا إِلَّا لَا تُسَبِّحُ لَهُمْ﴾
والمنى لن يغفل منكم سوء. أنفقتم طوعا أو كرها ^(١٠١) ﴿إِنْ كُنْتُمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتِيبُوا﴾ تعين بريد
بفتاحهم أي لأكم كنتم عدة منبردين خارجين عن معة الله، ثم فكد هذا المعنى بقوله: ﴿وَمَنْ
تَفَكَّرْ أَنْ تَقُولَ لَهُمْ تَقْتُلُوهُمْ إِلَّا أَنْهَهُمْ حَكْمًا يَأْتِي وَيُؤْتِي﴾ أي وما منع من قتل استغفلات
منهم إلا كفرهم بالله ورسوله ﴿وَلَا يَكُونُ الصَّدَقَةُ إِلَّا وَهُمْ حَكْمًا﴾ أي لا ياتون إلى الصلوة إلا
وهم متناقضون ﴿وَلَا يُطِيعُونَ إِلَّا وَهُمْ حَكْمًا﴾ أي لا يتفقوا أمورهم إلا بالأكبر، لأنهم بعدونهم
منهم قتل في البحر: ذكر تعالى اسباب المنع من قول نفذهم وهو الكفر وأتبعه ما هو مستلزم
له وهو إنباتهم الصلاة كسائر، وزياد الغفلة وهم تدهون، لأنهم لا يرجون بذلك نوابا ولا
يخافون عقابا، وذكر من أعمال الشر هذين العاملين للحيلىين عهد: الصلاة. والصدقة، لأن
الصلاة أشرف لأعمال ليدنية، والصدقة في مبدل الله أشرف الأعمال المالية ^(١٠٢) ﴿فَلَا تُقِيمُكُمْ
أَنْتُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ إِلَّا بِرِيءٍ أَنْ يُقِيمُكُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي لا تسد حسن أيها السامع ولا
تقتن ما أوتوا من ربة الدنيا، وما أتعت عليهم من الأموال والأولاد، ففقدوا ربة نعمة وباطنها
نعمة، إنه يريد الله بقلات استدر عهد لبعيد بها في الدنيا فال البيضاء: أي: وعذابهم بها بسبب
ما يكادون لجمعها وحفظها من المشاعب، وما يرون فيها من الشوائب والفساد ^(١٠٣) ﴿لِيُزَكِّيَ
أَنْتُمْ وَهُمْ كَثِيرُونَ﴾ أي وموتوا كافرين مستعدين بالنعم بربة الدنيا عن النظر في العاقبة فيشتد
في الآخرة عذابهم ﴿وَلِيُزَكِّيَ بِنِجْمَتِهِ لِيُزَكِّيَ عَنْكُمْ﴾ أي وينسود بالله لكم أنهم
لمؤمنون مثلكم، وما هم بمؤمنين لكفر قلوبهم ﴿وَلِيُزَكِّيَ قَوْلَهُمْ بِرِيءٍ﴾ أي ولكنتهم يحافون
منكم أن تقتلوا كما تقتل من المشركين، قطهون الإسلام نعمة ويؤيدونه بالأيمان الفاعلة ﴿وَلِيُزَكِّيَ
بِنِجْمَتِهِ مَلِكًا﴾ أي حصنا يلحاون إليه ﴿أَنْ مَعْرُوفٍ﴾ أي مراديب يحفون فيه ﴿وَلِيُزَكِّيَ﴾ أي
مكافا دخلون فيه ولو هبطا ﴿وَلِيُزَكِّيَ بِنِجْمَتِهِ﴾ أي لا قبلوا إليه يسرعون إسرارنا كالمرس
الجموح، والمراد من الآية تنبيه المؤمنين إلى أن لمنافقين لم غدروا على شهروب منهم ولم ي
شر الأمكة وأحموا أفعلوا لشدة بعدهم. لكم فلا تفتروا بأية الله الكاذبة أنهم معكم ومنكم
﴿وَمَنْ تَزَكَّرْ بِكُلِّ أَنْ يُسَبِّحَ اللَّهَ بِحَدَّثٍ مِنْ حَسَنَةٍ أَوْ يُحْسِنَ﴾ أي ومن ينظر ما يحل بكم، وهذا أمر بنقد من اتقاه والنوعين ﴿فَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ كُفْرًا إِلَّا يُغْنِي
عَنْكُمْ﴾ أي قل لهم انفقوا بأعشر المذفين فاعين أو مكرمين، فبعد انفقتم لأموال فلن
يقبل الله منكم قال الطبري وهو أمر معناه الخيب بقوله ﴿لَنْ يُغْنِي عَنْكُمْ كُفْرًا إِلَّا لَا تُسَبِّحُ لَهُمْ﴾
والمنى لن يغفل منكم سوء. أنفقتم طوعا أو كرها ^(١٠١) ﴿إِنْ كُنْتُمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتِيبُوا﴾ تعين بريد
بفتاحهم أي لأكم كنتم عدة منبردين خارجين عن معة الله، ثم فكد هذا المعنى بقوله: ﴿وَمَنْ
تَفَكَّرْ أَنْ تَقُولَ لَهُمْ تَقْتُلُوهُمْ إِلَّا أَنْهَهُمْ حَكْمًا يَأْتِي وَيُؤْتِي﴾ أي وما منع من قتل استغفلات
منهم إلا كفرهم بالله ورسوله ﴿وَلَا يَكُونُ الصَّدَقَةُ إِلَّا وَهُمْ حَكْمًا﴾ أي لا ياتون إلى الصلوة إلا
وهم متناقضون ﴿وَلَا يُطِيعُونَ إِلَّا وَهُمْ حَكْمًا﴾ أي لا يتفقوا أمورهم إلا بالأكبر، لأنهم بعدونهم
منهم قتل في البحر: ذكر تعالى اسباب المنع من قول نفذهم وهو الكفر وأتبعه ما هو مستلزم
له وهو إنباتهم الصلاة كسائر، وزياد الغفلة وهم تدهون، لأنهم لا يرجون بذلك نوابا ولا
يخافون عقابا، وذكر من أعمال الشر هذين العاملين للحيلىين عهد: الصلاة. والصدقة، لأن
الصلاة أشرف لأعمال ليدنية، والصدقة في مبدل الله أشرف الأعمال المالية ^(١٠٢) ﴿فَلَا تُقِيمُكُمْ
أَنْتُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ إِلَّا بِرِيءٍ أَنْ يُقِيمُكُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي لا تسد حسن أيها السامع ولا
تقتن ما أوتوا من ربة الدنيا، وما أتعت عليهم من الأموال والأولاد، ففقدوا ربة نعمة وباطنها
نعمة، إنه يريد الله بقلات استدر عهد لبعيد بها في الدنيا فال البيضاء: أي: وعذابهم بها بسبب
ما يكادون لجمعها وحفظها من المشاعب، وما يرون فيها من الشوائب والفساد ^(١٠٣) ﴿لِيُزَكِّيَ
أَنْتُمْ وَهُمْ كَثِيرُونَ﴾ أي وموتوا كافرين مستعدين بالنعم بربة الدنيا عن النظر في العاقبة فيشتد
في الآخرة عذابهم ﴿وَلِيُزَكِّيَ بِنِجْمَتِهِ لِيُزَكِّيَ عَنْكُمْ﴾ أي وينسود بالله لكم أنهم
لمؤمنون مثلكم، وما هم بمؤمنين لكفر قلوبهم ﴿وَلِيُزَكِّيَ قَوْلَهُمْ بِرِيءٍ﴾ أي ولكنتهم يحافون
منكم أن تقتلوا كما تقتل من المشركين، قطهون الإسلام نعمة ويؤيدونه بالأيمان الفاعلة ﴿وَلِيُزَكِّيَ
بِنِجْمَتِهِ مَلِكًا﴾ أي حصنا يلحاون إليه ﴿أَنْ مَعْرُوفٍ﴾ أي مراديب يحفون فيه ﴿وَلِيُزَكِّيَ﴾ أي
مكافا دخلون فيه ولو هبطا ﴿وَلِيُزَكِّيَ بِنِجْمَتِهِ﴾ أي لا قبلوا إليه يسرعون إسرارنا كالمرس
الجموح، والمراد من الآية تنبيه المؤمنين إلى أن لمنافقين لم غدروا على شهروب منهم ولم ي
شر الأمكة وأحموا أفعلوا لشدة بعدهم. لكم فلا تفتروا بأية الله الكاذبة أنهم معكم ومنكم
﴿وَمَنْ تَزَكَّرْ بِكُلِّ أَنْ يُسَبِّحَ اللَّهَ بِحَدَّثٍ مِنْ حَسَنَةٍ أَوْ يُحْسِنَ﴾

يَكُونُ ﴿١﴾ أَيُّ فَإِنْ أَعْطَيْنَهُمْ مِنْ نِكَاحِ الصَّدَقَاتِ سَمِعُوا عِدَّتَكَ ﴿٢﴾ (إِنْ لَمْ يَطْعَمُوا يَنْتَهَ إِذَا هُمْ يَسْأَلُونَ) ﴿٣﴾
 أَيُّ وَإِنْ لَمْ تُعْطِهِمْ مِنْهَا مَا يَرْضَوْنَ سَمِعُوا عَلَيْكَ وَعَابُوكَ فَقَالَ الْمَعْرُوفُ: كَذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 بِمَعْرِضِ خَتَمِكَ حَتَّى هَجَاءَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُ لَهُ قَوْلُ الْكَوْبَرَةِ فَقَالَ: أَعْدِلْ بِأَمْرِهِ
 فَإِنَّكَ لَمْ تُعْطِ قَوْلًا يَرْضَوْنَ. أَوْ يَكُونُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَسَيُعْطَى ﴿٤﴾ الْحَدِيثُ: ﴿رَزَقُوا أَهْلَهُمْ رِزْقًا مِمَّا
 رَزَقْنَاهُ أَهْلَهُ رِزْقًا﴾ أَيُّ وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَابُوكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ أَعْطَيْنَهُمْ مِنَ الصَّدَقَاتِ
 وَقَدْ وَابَتْكَ الْفَقْرَةُ وَإِنْ قُلْتَ قَالَ أَبُو السَّعْدِ: وَكَفَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلتَّعْظِيمِ وَالنَّبِيَّةِ عَمَّا أَنْ مَا
 فَعَلَهُ الرَّسُولُ كَمَا بَايَعَهُ سَبَّحَانَهُ ﴿٥﴾ ﴿يَقَالُوا خُذْ أَهْلَكَ﴾ أَيُّ كَمَا فَاضِلُّوا فَضِلَّ إِلَهُ رَأْسَهُ عَمَّا
 ﴿سَبَّحْتَ أَهْلَهُ مِنْ قُسَيْدٍ وَتَوَلَّاهُ﴾ أَيُّ سَبَّحْنَا إِلَهَهُ صِدْقًا وَنَبِيَّهُ الْخَيْرَ حَيًّا وَكَثُرَ مِمَّا أَتَى
 ﴿يَا أَيُّهَا أَهْلُ دِينِي﴾ أَيُّ يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمِينَ وَالْأَهْلِيَّةَ وَالْأَهْلِيَّةَ وَالْأَهْلِيَّةَ وَالْأَهْلِيَّةَ وَالْأَهْلِيَّةَ
 مُحَمَّدٌ وَفَدَّيْرُهُ لَكِنْ هَذَا أَوْ يَكُونُ قَالَ الْإِسْرَافِيُّ: وَتُوكَّ الْجَوَابُ فِي هَذَا الْمَعْرِضِ أَوْلَى عَلَى التَّعْظِيمِ
 وَالْمُتَوَلَّى وَهُوَ كَقَوْلِكَ لِقَوْلِهِ: لَوْ جُمِعَتْ أَسْمَاءُ تَذَكَّرَ الْجَوَابُ أَيُّ وَصَلَتْ ذَلِكَ لَوَيْتَ أَمْرًا
 عَظِيمًا ﴿٦﴾ ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى مَصْرُوفَ الصَّدَقَاتِ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أَفْكَرْتُ إِلَهُ تَزَكَّرَ وَأَتَكَبَّرَ﴾ قَالَ
 الطَّبْرِيُّ: أَيُّ لَا تَقَالَ الصَّدَقَاتُ إِلَّا لِلْمُعْتَمَرَةِ وَالْمُسَاكِينِ وَمِنْ سِوَاهِ الْمَدَى حَلَّ نَافِذًا ﴿٧﴾ وَالْأَهْلِيَّةُ
 تَقْتَضِي حَصْرَ الصَّدَقَاتِ فِي الرِّكَاءِ فِي هَذِهِ الْأَهْلِيَّةِ الْعَامَّةِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْطَى مِنْهَا غَيْرُهُمْ
 وَالْفَقِيرُ الَّذِي لَا يُلْقَى مِنَ الْعِيْشِ وَالْمُسْكِينُ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ فَاقِ يَرْفَعُ: سَابَلَتْ أَعْرَابًا أَفْقِيرَ
 لَيْتَ! فَقَالَ لَا إِلَهَ بَيْنَ مُسْكِينٍ وَقِيلَ الْمُسْكِينُ أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْفَقِيرِ وَلَمَّا دُلَّ عَلَى ذَلِكَ
 ﴿وَالْمُسْكِينُ خَيْرٌ﴾ أَيُّ الْحَبَاءِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّدَقَاتِ ﴿وَالْمُسْكِينُ خَيْرٌ﴾ هُمْ قَوْمٌ مِنْ أَشْرَافِ
 الْعَرَبِ أَعْطَاهُمْ بَعْضُ جَنَائِفِ قُلُوبِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَرَوَى الطَّبْرِيُّ مِنْ حَبْرَاتٍ مِنْ أُمَمٍ قَالَ: لَقَدْ
 أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَابَهُ الْأَهْلِيَّةَ لِمَا سَمِعْتُ مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ إِنْ أَحَبَّ إِلَهُ مِنْ بَنِي
 ﴿وَلِي تَزَكَّى﴾ أَيُّ وَمِنْ فَتَى الرُّقَابِ تَحْتَضِرُهُمْ مِنَ الرِّقَابِ ﴿وَالْفَقِيرُ يَنْتَهَى﴾ أَيُّ الْمُدَّوِّسِ الَّذِي تَغْلِبُهُ
 الْكِبَرُ ﴿وَلَيْتَ سَبِيلَ أَهْلِهِ﴾ أَيُّ الْعِبَادَةِ وَالْعَرَفَةِ وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَرْبُ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْعِتَادِ
 ﴿وَلَيْتَ أَهْلِي﴾ أَيُّ الْبَرِّ الَّذِي يَقْطَعُ فِي سَفَرِهِ ﴿وَلَيْتَ أَهْلِي﴾ أَيُّ فَرَحِهَا إِلَهُ جَلَّ وَعَلَا
 وَحَدَّثَنَا ﴿وَلَيْتَ أَهْلِي﴾ أَيُّ عَالِمٍ بِمَصَالِحِ الْعِبَادَةِ حَكِيمًا لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ
 قَالَ فِي التَّحْقِيقِ: وَإِنَّمَا حَصَرَ مَصْرُوفَ الرِّكَاءِ فِي تِلْكَ الْأَهْلِيَّةِ لِيُفْطَمَ طَعْمُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا
 فَاتَّصَلَتْ هَذِهِ فِي الْمَعْنَى بِأَهْلِ الْمَرْفَعَةِ الصَّدَقَاتِ ﴿٨﴾

الْبَعْضُ

١- ﴿وَلَيْتَ أَهْلِي﴾ بِهَذَا حَامِلُ الْأَشْفَاقِ وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﴿وَلَيْتَ أَهْلِي﴾

(١) رَوَى السُّنَنُ (٢/٢٧٧)

(٢) رَوَى السُّنَنُ (١٠٠/١١٩)

(٣) الطَّبْرِيُّ (١٠٠/١١٩)

(٤) الطَّبْرِيُّ (١٠٠/١١٩)

(٥) السُّنَنُ (٢/٢٧٩)

(٦) الطَّبْرِيُّ (١٠٠/١١٩)

٢- ﴿وَلَا وَضِعُوا يَدَيْكُمْ﴾ قال ابن عباس: فيه استعارة تيمية حيث شبه سرعة إفسادهم ذات اليمين بالتميمة بسرعة سير الرقاب ثم استعير لها الإفصاح وهو اللإيل، والأصل ولا وضعوا وكاتب منهم خلاصكم^(١).

٣- ﴿وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ سَاءَ مَا يَكُونُ لِمَن يَدْعُوهُ﴾ فيه استعارة حيث شبه وقوعهم في جهنم بإخطاة العدو بالجند أو السوار بالمعصم، وإيضاح التحفة الأسعية لتدلالة على الثبات والاستمرار.

٤- ﴿إِنْ تَيْسَّرَ لَكَ تَبَرُّؤُهُمْ فَإِنْ تَيْسَّرَ لَكَ مَوْجِبُهُ﴾ الآية فيها من التحصينات الجديية ما يسمي بالمفاداة.

٥- ﴿وَقُلِ اللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ تَجَارًا وَالْمَجْرُورَ عَلَى الْفَعْلِ لِإِقَابَةِ الْفَاسِقِ﴾ وإظهار الاسم الحنيف مكان الإصهار لتربية الروعة والهداية.

٦- ﴿مَلُوكًا أَوْ كُفَّارًا﴾ بينهما طباق وكذلك بين الرضا والسخط في قوله: ﴿وَمَنَّا وَإِنْ لَّمْ يَهْتَدُوا يَتَّخِذُوا مَا يَكُونُ﴾.

٧- ﴿تَبَرُّؤُهُمْ حِكْمَةٌ﴾ صيغة فعل للمبالغة أي عظيم العلم والحكمة.

تطيفة

قال ابن كثير: في قوله تعالى ﴿وَقُلِ اللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ تَجَارًا وَالْمَجْرُورَ عَلَى الْفَعْلِ لِإِقَابَةِ الْفَاسِقِ﴾ هذا ذم لهم وتعمير وإلحاق بالنساء والصبيان والمرضى الذين شأنهم القعود وانحسارهم في البيوت^(٢) مني حد قول تافلت:

دخ السكارى لا ترحل ليغيثها وأبعد فأنك أنت الطامع الكاسي

تفسيره: قال ابن كثير: لما قدم النبي ﷺ المدينة ومعه العرب عن قوس واحدة، وحدثه يهود المدينة ومنافقوها: فلما نصدروا الله يوم بدر وأعلى كلمته قال ابن أبي ربيعة وأصحابه: من أمر قد توجع- يعني أقبل فادخلوا في الإسلام ظاهراً، ثم كلما أمر الله الإسلام وأهله: أغاضهم ذلك وسامهم ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا كُرْسِيَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ﴾.

□ □ □

قال ابن عباس: ﴿وَقَوْمُهُمُ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْإِثْمَ﴾ إلى... إلى... من ذوي ولا تغيير من آية (٦١) إلى نهاية آية (٧٤).

المناقضة لا تزال الآيات الكريمة تحدث عن المنافقين توضيحاً لخطرهم وتحذيراً للمؤمنين من مكالمتهم وفي هذه الآيات ذكر تعالى نواها آخر من فيلهم وهو يبدؤهم الحرسول بنزول وإفادتهم على الأيمان الكاذبة واستهزأهم بآيات الله وشريعته المعظومة إلى غير ما هنالك من الأعداء المنكراء والأفعال الخبيثة.

تألفه ﴿أَنَّهُ﴾ قال الجوهري: يقال رجل أدن إذا كان يسمع مقال كل أحد، يستوي فيه

(٢) الكشاف (٢/٣٧٦).

(١) روح المعاني (١٠/١١٣).

(٣) مختصر (١٢/١١٧).

من عقوبة الله مثل الذي حل بهم ^(١١) ﴿أُولَٰئِكَ خِطَبَةٌ أَنتَدِبُكَ فِي الْقُرْآنِ الرَّاقِ﴾ أي أولئك الموصوفون بما ذكر من قبيح الفعل ذهب أعمالهم باطلاً بلا ثواب لها إلا انذار ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ الْعَذَابُ﴾ أي أولئك هم الكاملون في الخسران ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمُ الْغَيْبُ﴾ أي الغيبات هؤلاء المنافقين خبر الاسم السابقين حين عصوا: أرسل ماذا حل بهم من العقوبة؟ ﴿قَوْلُ نوحٍ وَعليٍّ وَهُودٍ﴾ أي قوم نوح الذين أهلکوا بالظوفان وقوم هود عاده مدين أهلکوا بالريح، وقوم صالح وجموده الذين أهلکوا بالصيحة ﴿وَقَوْلُ إِبْرَاهِيمَ﴾ الذين أهلکوا بسلب النعمة ﴿وَزُلْزِلَتِ قُلُوبُهُمْ﴾ قوم شعيب الذين أهلکوا بعذاب يوم اقله ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ نَزَّ﴾ قري قوم لوط الذين انقلبوا بهم فصار جانبها سفاهها، وامطروا احجاراً من سجين ﴿أَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ لُحُوفًا وَأُنتَ يُدْعَىٰ إِلَىٰ جَانِبِهِمْ﴾ أي جاءتهم رسالتهم بالمعجزات فكذبهم ﴿فَكَتَبَ اللَّهُ يُلْقِيهِمْ فِي النَّارِ﴾ أي فما أهلکهم الله خلقاً إنما أهلکهم بوجعهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَفْلَهُمْ يُلْقُونَ﴾ أي ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر وارتكاب المعاصي: أقمن هؤلاء المنافقون أن يسلك بهم في الانتقام ميل أسلافهم الحكيين من أهل الإجماع؟ ولما ذكر تعالى سمات المنافقين أضافها بذكر صفات المؤمنين الحميدة فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ سَلَامٌ أُولَٰئِكَ يُسْمَوْنَ﴾ أي هذه إخوة في الدين يتناصرون ويتعاضدون ﴿يَأْتِيكَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَتُسَمُّونَ عَنْ الشَّكْرِ﴾ أي يأسرون. لناس بكل خير وجميل يرضي الله، وينهرهم من كل تبس بسخط الله، فهم عكس المنافقين الذين وأمرون بالانكار وينهون عن المعروف ﴿وَيُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي يؤدونها على الوجه الكامل ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي يعطونها بما يستحبها ابتغاء وجه الله ﴿وَيُطِيعُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ﴾ أي في كل أمر راعي ﴿وَأُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي سيدخلهم في رحمته، ويغفر عليهم جلائل نعمته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ أي غلب لا يغلب من أطاعه ويذل من عصاه ﴿حَكِيمٌ﴾ أي يضع كل شيء في موضعه على أساس الحكمة، في العمة والسنة ﴿وَتَقَرَّبَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ حَتَّىٰ لَمْ يَمُوجْ بَيْنَهُمَا الْأَمْتَرُ﴾ أي وعدهم على إيمانهم بحنات وألفة الطلال، تحري من تحت اشجارها الأنهار ﴿حَالِيُونَ فِيهَا﴾ أي لا يبين فيها أبداً، لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ﴿وَمَسْكَنٌ عَيْنُكَ فِي حَتَّىٰ عَدُوٌّ﴾ أي ومنزل يطيب فيها العيش في جنات الخلد والإقامة قال الحسن: هي قصور من اللؤلؤ والياقوت. لأحمر والزرجد ^(١٢) ﴿وَيُزَوِّجُونَكَ أَهْلَ أَهْلِكَ﴾ أي وشي من رضوان الله أكبر من ذلك كله. وفي الحديث يقول الله تعالى لأهل الجنة: فما أهل الجنة يعبرون: ليبيك دينا وممذيت يقول: هل ربيهم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضي وقد أعطيتنا ما لم نعد أحداً من خلقك! فيقول: أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أهل عليكم وضواني فلا أسخط عنكم بعده أبداً ^(١٣) ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا أَنْ لُفَّيْطُ﴾ أي ذلك هو الغمر العظيم الذي لا سعادة بعده ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ﴾ قال ابن عباس:

(١١) اللغات (٢/ ٢٨٩).

(١٢) ططري (١٠٠/ ١٥٤).

(١٣) ططري (١٠٠/ ١٥٢) وأخذت في التصحيح

جامد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان ﴿وَأَعْلَفُ عَنِيهِمْ﴾ أي أشده عليهم بالجهاد والقتال والإرعاب ﴿وَتَزَارِعُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي مسكنهم ومزارعهم جهنم ﴿وَفِي سَمَكِ الْبَحْرِ مِمَّا يَبْطِشُ الْبَحْرَ﴾ أي يمشي في البحر الذي يبتدئ منه من السب قال قتادة: نزلت في عبد الله بن أبي، وذلك أنه اقتتل وجلان جهني وأنصاري، فعلا الجهنمي على الأنصاري، فقال ابن سلول للأنصار: ألا تنصرون أنحاصم؟ والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: (مدح كلبك بأكلك) فمضى بها رجل من المسلمين إلى النبي ﷺ فأرسل إليه يسأله فجعل يحلف بالله ما قاله ما نزل الله فيه هذه الآية: ﴿وَقَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ حتى قول ابن سلول ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنُؤَيِّدَنَّ الْكَافِرِينَ أَفْرَارًا لِّمَا أَتَيْنَاهُمْ﴾ أي أظهرنا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَقَسَّوْا بِمَآثِرِ بُرُوءِهِمْ﴾ قال ابن كثير: هم نعر من المنافقين هموا بالفتك بالنبي ﷺ عند عودته من تبوك وكانوا مقبعة عشر رجلاً ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَتْرِهِمْ﴾ أي ما عابوا على الرسول وعاله عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته، ولعن سعادته، وهذه الصبغة فقال حيث لا يدب، ثم دعاهم تبارك وتعالى إلى الثوبة فقال ﴿فَإِنْ يَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي فإذ ينتموا من الشقاق يكن رجوعهم وثوبتهم حبراً لهم وأفضل ﴿وَلَنْ يَتُوبَا﴾ أي يعرضوا ويصرفوا على الشقاق ﴿يَعِظُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي يحذبه عذاباً شديداً ﴿فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَعْيُنِ﴾ أي في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالتأثر وسخط الجبار ﴿وَمَا تَحْزَنُ لَ الْأَرْزَاقِ﴾ أي ليس لهم من ينقذهم من العذاب، أو يشفع لهم فيخلصهم ويحببهم يوم الحساب.

الفصل الثاني

١ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَالْدُّونِ يَسْمَعُونَ﴾ أي ما يقرن له، فحذف منه أداة التشبيه ووجه التشبيه فعبار تشبيهاً بليغاً مثل زيد أسد.

٢ ﴿يُؤْتُونَ رَسُولَهُمُ الْمَالَ وَلَمْ يَأْتِيهِمْ فِيهِ الْبَأْسُ﴾ أي يؤذونه تعظيماً لشأنه عليه السلام وجسماله بين الرابضين العقبين (النبوة راتر مائة) وإضافته إليه زيادة في التكريم والتشريف.

٣ ﴿وَلَا يَحْزَنُ الْفُتُورُ﴾ الإشارة بالسبب عن القريب للإيمان بعيد دوحته في الهول والقطاعة.

٤ ﴿وَتَزَارِعُهُمْ لُؤْلُؤُهُمْ﴾ قبض اليد كناية عن الشح والبخل، كما أن بسطها كناية عن الخود والكرم.

٥ ﴿تَسْرَأُ اللَّهُ تَقَبُّلَهُمْ﴾ من باب المشاكلة لأن الله لا ينسى أي تركوا طاعته فتركهم تعالى من رحمته.

١: محمد بن النضر (١٨/٣٤٠).

٢: قتادة في البحر (٤/٦٣).

- ٦- ﴿كَأَنَّهُمْ بَيْنَ قَلْبِهِمْ﴾ التفات من القبية إلى الحساب لزيادة التفرع والعتاب .
 ٧- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَنَافِعَهُمْ...﴾ الآية، فيه إطناب والغرض منه الذم والتوبيخ لاستغلالهم بالمنازع الخسيس، عن الشيء، النفس .
 ٨- ﴿وَمَا تَقْضُوا إِلَّا إِنِّي فَتَكْتُبُهُمْ فِيهَا...﴾ في الآية تأكيد المدح بما يشبه الذم على حد قول المقاتل «ولا عيب فيهم غير أنه سيوفهم» البيت .
 فائدة:

وروي ابن كثير من علي كرم الله وجهه قال: بُعث رسول الله ﷺ بأربعة أسبياف: سيفه للمسلمين ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَنَافِعَهُمْ كَلَّامًا أَشْرَكُوا أَشْرَكُوا﴾ وسيف لأهل الكتاب ﴿وَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ وسيف للمنافقين ﴿يَهْبِئُوا لِلْمُكَذِّبِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ وسيف للبيان ﴿وَتَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعْلَمَ أَنَّكُمْ كُفَرَاءُ﴾^(١١) .
 لطيفة:

قال الإمام الفخر: لما وصف تعالى المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض، ذكر بعده خمسة أمور بها يميز المؤمن عن المنافق، فالمنافق يأمر بالسكر، وينهى عن المعروف، ولا يقوم إلى الصلاة إلا يكسل، ويبخس بالزكاة وسائر الواجبات، وإذا أمر بالمعاصرة إلى الجهاد فإنه يتحلف ويشط غيره، والمؤمن بالصدق منه فإنه يأمر بالمعروف وينهى عن السكر، ويؤدي الصلاة على الوجه الأكمل، ريثني فزكاة، وسارع إلى طاعة الله ورسوله، ولهذا قابل تعالى بين صفات المؤمنين، وصفات المنافقين بقوله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْلَافُونَ﴾ والذين هم عن آلهتهم يتلفون في السكر ويؤثرون الكفاية ويؤثرون الزكوة وتطيلون آفة رسولهم كما قابل في الجزء بين ناز جهنم والجنة فكانت مقابلة لطيفة^(١٢) .



قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنُ عَاهَدَ أَنَّهُ سَيُؤْتِيكَم مَّا أَتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ...﴾ إلى... ﴿فَهُمْ لَا يَتْلُوهُ﴾ من آية (٧٥) إلى نهاية آية (٩٣) .

الخاصة: لا تزال الآيات الكريمة تتحدث عن المنافقين، وتفضح أسرارهم، وتكشف أحوالهم، باعتبار خطرهم الدائم على الإسلام والمسلمين .
 اللغة: أعقبهم، قال الميث: يقال أعقب فلاناً ندماً إذا حازت عاقبة أمره ذلك، ويقال لكل أكلة أعقبه سقماً أي حصل له بها السقم قال الهذلي .

أردى بني وأعتبروني حسرة بعد هرقلا وعبرة لا تغلغ^(١٣) .
 ﴿يَرْفَعُهُ﴾ السر ما ينطوي عليه الصدر ﴿لِيُؤْمِنَهُمْ﴾ التجوى: ما يكون بين شخصين أو أكثر

(١١) تفسير الرازي (١٦/ ١٣٠) بشيء من التصرف .

(١٢) المختصر (٢/ ١٥٦) .

(١٣) الرازي (١٦/ ١٤٢) .

سخرينهم وهو من باب التشاكفة^{١١١} ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي عذاب موحٍ، هو عذاب الأحرار
 المقيمين ﴿فَلْيُؤْمَرُوا تَوَلَّوْا لِلْعَقَبِ﴾ أمر ومعتد الخبر أي سواء أبا محمد استمعتم أم لا
 العاقبة لم تم تستغفر لهم فإن بعض الله لهم ﴿لَنْ يَكْفُرَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَنْ يُؤْمِرَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ قال
 ابن جرير: واستمر حرم مخرجي العيش في كلامهم فتكثير^{١١٢}، والمعنى مهد أكثر من
 الاستعداد لهم وبالمعنى فيه قال: بغفر الله لهذا ﴿فَلْيُؤْمَرُوا تَوَلَّوْا لِلْعَقَبِ﴾ أي عدم
 العودة لهم بسبب كفرهم بالله وبسوء كبرائيتهم حيث أظهروا البعد وأبطنوا الكفر ﴿وَلَا يَأْتِ
 بِهَذَا الْقُرْآنَ الْقَبِيلُ﴾ أي لا يوافقون ما يريدون الخارجين عن طاعتهم، ولا يهدونهم إلى حسن العودة
 ﴿وَلَا يَجِدُ الْعَصَايَا﴾ يعني، هم يتألف وتولي تولى أي مرجع العاقبة الذين يحفظوا عن رسول الله في
 عروا تبرك بغيرهم بعد خروج الرسول من مكة إلى المدينة، فيكون لهم من العاقبة أن يجهدوا
 قلوبهم وأسميتهم في النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الخروج إلى المدينة، فإذ لا خلاف في الأمر
 والمحال إنما في قلبهم من الكفر والفساد ﴿وَلَا يَأْتِ بِهَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي قال بعضهم لحصل لا
 تخرجوا إلى الجهاد وقت الحرب، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتظرهم إلى هذه القفرة في حر شديد،
 قال أبو السعود: إذا قال ﴿وَلَا يَأْتِ بِهَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي يجهدوا بأهل مكة على قوله، أو هو من
 جهة حوا إلى العز، أي أن الجهاد في سبيل الله مع كون من أهل مكة حاسب، والخبر
 السطلي، التي يجب أن يفتن فيها المشركون قد كثر، كما هو حال ما في السبيل التي هو
 المودود خلافه، ومن الله عز وجل قالوا لا يوافقهم نواحيهم فيما يريدون، ولا تنصروا في
 الحرب، فقد حصل ثلاث خصائص من الكفر والفساد: الفرج بالمقعود، وقراءة الجهاد، ونهي
 الغير عن ذلك^{١١٣} قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِ بِهَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي قل لهم يا محمد، انزل
 جهنم التي تصيرون إليها تتألفكم عن الجهاد أشد حرا، كما تحذرون من البحر المعمود، فإن حرم
 الدنيا بول ولا يفر، وحرم جهنم تألم لا يفر، فبالكم لا تعادون نواحيهم، قال ابن كثير: يا
 وهذا استحجال لهم، لأن من نصونه من مشقة ساعد، عزم بذلك النصرون في مشقة الأسد فإن
 أهل من كل حال^{١١٤} ﴿وَلَا يَأْتِ بِهَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي لم كبراء يجهلون تنصروا مع كرسون، وهي العدا،
 لتعوا به حرم جهنم الذي هو أضاف أصعب هذا، وتكسرهم (كاستحجر من الرصاص بالشر) ^{١١٥}
 ﴿فَلْيُؤْمَرُوا تَوَلَّوْا لِلْعَقَبِ﴾ أي يؤمرهم بالجهاد معه، فيسبحون قتيلا، وسيكون كثير من نور
 ابن عباس: الذين قتل في الجهاد، فيها ما شاوروا، فإذا قطعت الشياطين من إلى الله عز وجل
 أناسهم بكاء لا يقطع أبدا^{١١٦} ﴿وَلَا يَأْتِ بِهَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي حرم الله على ما أخرجه من غير
 نصيبه ﴿وَلَا يَأْتِ بِهَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي فإن ذلك الله من عذرة تترك إلى طائفة من

١١١: لغة التلذذ، يقال التلذذ بالشيء وسلاهما من

١١٢: أي كثر العدد (١١٣)

١١٤: أي الكثر (١١٥)

١١٥: أي كثر العدد (١١٦)

١١٦: أي كثر العدد (١١٧)

المتقين الذين تخلفوا بغير عذر ﴿وَأَشْتَدُّكَ يُشْخَرُجُ﴾ أي طردوا، الخروج منك لغزو أو أخرى ﴿فَقُلْ لِمَ تُخْرَجُونَ إِنِّي أَخَذْتُ﴾ أي في لهم لم تخرجوا معي للجهاد أيضا ﴿وَلَقَدْ تَنَبَّأْتُ بِهَذَا عَذَابٌ﴾ أي لن يكون لكم شرف القتال معي لأعداء الله، وهو خير بعد الله التي نسلتكم، جاز مجري الذلة لهم لإطهاد أنفسهم ﴿إِن كُنْ رَبِّيُمْ أَنَا فَتَعْلَمُونَ﴾ أي فاعلموا مع المتخلفين عن الغزو من السماء والبيان ﴿وَلَا تَقُلْ لِمَ أَتَىٰ نَجْمٌ فَاتَ أَخَذْتُ﴾ أي لا تصل يا محمد على أحد من هؤلاء المتخلفين إذا مات لأن صلاتك رجعة، وهم ليسوا أعداء للرجعة ﴿وَلَا تَقُلْ لِمَ أَتَىٰ فَرَّقُوا﴾ أي لا تقف على ثبوت الكفر، أو للبراءة منه عاه ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ كَذِبًا﴾ أي لأنهم كفروا في حياتهم متنافقين بظهور الإيمان ويظهرون الكفر ﴿وَتَنَبَّأُوا بِخَيْبَةٍ﴾ أي ومانوا وهم على نفاقهم خارجون من الإسلام متعبدون في المعصاة، فرأت في ابن رسول الله ﴿وَلَا تَجْعَلْ تَأْمِينَهُ وَتَوَكُّفَهُ﴾ أي لا تستحضر ما المعصية عليهم من الأموال والأولاد ﴿إِنَّهُمْ لَمَّا أَتَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي لا يريد بهم الخير إنسان يريد أن يحسبهم بها في الدنيا بالمعاداة والكتمان ﴿وَتَوَكَّفُوا لِقَابِهِمْ﴾ أي تخرج أو احسبهم وبعثوا على الكفر متنافقين بالضعف بالأموال والأولاد عن النظر والدبر في العواقب ﴿وَلَا تَرْكَبُوا السُّلُوكَ﴾ أي التكرار للتخفيف أي إذا أزلت سورة جازية الشان ﴿أَلَمْ يَأْتُوا بِنُورٍ وَتَعْبَهُوا نَجْمًا﴾ أي بأن آمنوا بالله يصدق ويقر، وجاهدوا مع الرسل لنصرة الحق وعزال الدين ﴿وَأَشْتَدُّكَ أُولُوا الْقَوْلِ فِيهِ﴾ أي استأذنت في التخلف أولو النسي والعمال الكثير ﴿وَلَمْ يَأْتُوا بِنُورٍ شَيْءٍ﴾ أي دعوا نحن مع الذين لم يخرجوا للخير وفعدوا للغير، قال تعالى فليكن لهم وذما: ﴿وَمَنْ يَأْتِ بِكُفْرٍ مِّنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ﴾ أي وضوا بأن يكونوا مع النساء والمعوصي والمجنونة الذين تخلفوا في البيوت ﴿وَالَّذِينَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي ختم عليها ﴿فَقَدْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي فهم لا يفهمون ما في الجهاد وطاعة الرسول من السعادة، ود في التحالف عنه من الشقاوة ﴿لَقَدْ كُنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ هَاهُنَا إِذْ دُكِّرُوا بِالْغَيْبِ﴾ قال الرازي: ما شرح حال المتخلفين، بين حال رسول الله والمؤمنين بانفسد منه، حيث شكوا الحال والنفس في طلب: ضوان الله وانفردت إليه: والمعنى: إن تعذب هؤلاء ولم يجاهدوا، فقد جاهد من هو خير منهم وأخلص نية واعتقاد: ﴿وَأَلْبَسْتَهُمْ لَهْمًا ظَنُّوا أَنَّهُمْ مِنَ النَّارِ﴾ أي لهم منافع تدوين: النصر والمصيبة في الدب، والحدة والكرامة في الأسماء: ﴿وَلَقَدْ كَفَرَ الْقَافِلُونَ﴾ أي الفاسقون بالمتطوعين ﴿فَلَمَّا كَانَتْ هُدًى مِّنَ الْغَيْبِ﴾ أي أعد الله لهم من إيمانهم وجهدهم مائتين تجري من تحت قصورها الأنهار ﴿فَجَدُوا فِيهَا﴾ أي لا شيء في الجنة أبدًا ﴿وَلَقَدْ تَوَكَّلْنَا عَلَىٰ الْعِلْمِ﴾ أي ذلك هو الطغر العظيم الذين لا مود وراه: ﴿وَلَقَدْ كَفَرْنَا بِهِمْ﴾ أي جاء المستشرقون من الأعراب الذين اتبعوا الأعداء: تخلفوا عن الجهاد: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي نَزْمٍ مِّنَ الْجَهَنَّمَ﴾ أي من نرك الجهاد، وهذا بيان لأحوال المتخلفين من الأعراب: بمدعيان أحوال المتخلفين من

أهل المدينة، قال البيهقي: هـ (أشد) (وعظمان) استأذنا في التحلب معترفين بالجهد وكثرة
 الأعمال^(١) ﴿وَقَدْ آتَيْنَا كَثِيرًا ثُمَّ زَمُّوا﴾ أي وتعد عن الجهاد الذين كذبوا الله ورسوله من
 دعوى الإيمان، وهم قوم لم يحلوا ولم يعتدوا عن تخلفهم ﴿سَبِّحْتَ إِلَهًا صَبَرُوا بِهِ
 عَذَابَ أَلِيمٍ﴾ وحيدكم شديد أي سياله هؤلاء المنحرفين الكاذبين في دعوى الإيمان، عذاب اليم
 بالغفل والأمر في الشيا، واختار في الآية ﴿لَنْ تَغْلِبَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي ليس على
 المشرك المستنير، ولا على المرضى العاجزين الذين لا يستطيعون الشهادة لحيث هذا أمر مهم
 ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ مَا يُبْعَثُونَ﴾ أي الفقراء الذين لا يحدون نفقة للبعداء ﴿خَرَجَ﴾ أي
 إسم في القعود ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا﴾ أي أقداموا الإيمان والعمل الصالح، فلم يرجعوا عن اسم
 ولم ينفكوا عنه، ولم يبرأوا الفتن، فليس على هؤلاء من إفتاركم الغزو لأنهم أصحاب أعداد
 ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي ليس عليهم جناح ولا إلى معاصم سبل قال في التمهيد
 وصمهم بالمحسين لأنهم تصحوا لله ورسوله، ورفع عنهم العقوبة والتعريف والويل^(٢)، وهذا
 من بلع الكلام؛ لأن معاد لا سبل لحاق عليهم، وهو جاز مجرى النفس ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
 الْحَقِّ﴾ أي عظيم المنفعة والرحمة حيث وسع على أهل الأحكام ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾
 نزات في ليكتن النفس أذا العز مع رسول الله ولم يجد لرسول رقة ما يحلهم عليه قال
 البيهقي: هم اليكادون سبعة من الأنصار أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد طردوا الحوارج فاجتمعوا
 لغزو مكة، فقال عليه السلام: «الأنصار ما أحبطكم عليه فتولوا وهو يكد»^(٣) ﴿لَكُمْ لَا أَمْرَ
 مَا أَجَادَكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي ليس على ما أحبطكم عليه من الدواب ﴿تَوَلَّوْا وَأَنْتُمْ نَفِيسٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
 كَرِهَ﴾ أي نصره وأحبهم نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم من شدة المحزون ﴿أَلَا يَجِدُوا مَا يُبْعَثُونَ﴾ أي لأنهم لم
 يجدوا ما ينفقونه لمرورهم، ولم يكن عند آل رسول ما يجمعهم عليه ﴿إِنَّمَا الشُّبُهَاتُ عَلَى اللَّهِ
 يُنْفِقُونَ وَمَنْ أَهْلُهَا﴾ أي إنما الإلهم والرحم على الذين بمشاهدته في التخليف وهم قاتلون
 على الجهاد وعلى الإنفاق لعداهم ﴿بِمَا بَدَأْنَا مِنْ الْبَقَرِ﴾ أي رضوا بأن يكونوا مع النساء
 وأمرهم بالعبادة ﴿وَالطَّعْنُ لَهُ عَلَى قَوْمِهِمْ فَهُمْ لَا يَنْتَوْنَ﴾ أي يخشعوا فهم بذلك لا يهتدون
 بالعبادة

١- ﴿سَبِّحْتَ﴾ ... ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ بين علم وعلام جناس الاستفهام.

٢- ﴿وَقَدْ نَزَّلَ الْإِنشَادَ﴾ التنوين في عذاب للتسهيل والتعظيم

٣- ﴿تَسْبِيحٌ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْبِيحٌ لَهُمْ﴾ بينهما طباق السلب، ولقد خرج الأمر عن حقيقته إلى

التشويه

٤- ﴿فَتَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ﴾ فيه من المحسنات البدعية ما يسمي بالمعابة

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ الخوَالِفُ: المتخلفون، المتأخرون، هم الذين بقيوا بعد رحيل الرسل وفيه استعارة. وإنما سمي المتخلفون خوالف تشبيهاً لهم بالخوالف وهي الأعملة تكون في أواخر بيوت الحي تشبهن بكثرة لزوم البيوت بالخوالف التي تكون في البيوت^(١).

٦- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ذَٰلَآ أَنُؤْتَهُمُ الْكَيْفَ ۚ هُوَ مِنْ حِطِّ الْمُنَافِقِينَ عَلَىٰ لِقَائِهِمْ بِشَأْنِهِمْ فَنَادَىٰ الْمُؤْمِنُونَ﴾

فَانْدَادَ:

قال ابن كثير: عند قوله تعالى: ﴿إِنْ تَشَاءُ نَحْنُ سَبْعَةٌ﴾ نَزَلَتْ: ﴿لَفِ السَّبْعِينَ جَارٍ مَجْرَىٰ﴾ في كلام العرب فلنكتفي قال علي بن أبي طالب:

لأصبعين العاصي وابن العاصي
سبعين ألفاً عاقدي النبوي
فذكرها ليس تشديد العدد، وإنما هو للمبالغة بمرهاً على أساليب العرب^(٢).

مُذَابِقَةٌ:

إِنَّمَا مَنَعَ يَحْيَىٰ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتَيْنِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْمَيِّتِ دَعَاءٌ وَاسْتِغْفَارٌ وَاسْتِغْفَاعٌ لَهُ، وَالْكَافِرُ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِّذَلِكَ.

لِطَبَقَةٍ:

اشتهر (سديدة بن ايمان) بأنه صاحب سر الرسول ﷺ وقد قال له ﷺ: «إني سر إليك سرّاً فلا تذكره لأحد، إني نيت أن أصلي على فلان وفلان»، فلهذا ذري عدد من المنافقين، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يأتيه فيقول: أسألك بالله هل عدني رسول الله من المنافقين؟



قال الله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُونَ لَكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ فَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ تَوْبَتَكُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى نهاية آية (١١٠).

الْمُتَابِعِينَ: لا تتركوا أذيات تحدث عن المنافقين، الذين تخلعوا عن الجهاد وجاهدوا يؤكدون تلك الأضرار بالأيام لكافة، وقد ذكر تعالى من مكائد المنافقين (مسجد الضرار) الذي بنوه ليكون ذكراً المتأخر على الإسلام والمسلمين. وحملوا نبيه ﷺ من الصلاة فيه، لأنه ثم وشيد على أساس من الشقاق، وإنما بني ليكون مركزاً لأهل الشقاق والتفاق، وتعميق وحدة المسلمين، وقد تشهر باسم مسجد الضرار.

الْمُطْعَنُ: «مُطْعِنٌ» و«مُطْعِنٌ» انزعس: الشيء الخبيث المستفذر، وقد يطلق على الجسس «وَمَاؤُنْهُمْ» قال شجرهري: المأوى كان مأوى إليه نبل أو نهدراً «الْأَخْرَابُ» جمع أخرب أي قال أهل اللغة يقال رجل عربي إذا كان سبي في لعرب وجمعه العرب، ورجل أعربي

(١) تلخيص اليلاء للشريف فرغس (١٤٨). (٢) روح المعاني (١٠/١٥٩).

من غير انهاء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي ذلك هو الغنم الذي لا يجوز ذلله قال في المحرر فما بين
تعالى فصائل الأعراب المؤمنين في حال هؤلاء السابقين ولكن شدة ما بين السابقين فهناك
قال ﴿إِنَّمَا يَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَهُوَ قَاتِلٌ﴾ وهذا قاتل ﴿إِنَّمَا يَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَهُوَ قَاتِلٌ﴾ وهذا قاتل
أما ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي
فمن حولكم يا أهل المدينة سافقون من الأعراب سادتهم تربية من سادتكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي
عليه قال ابن عباس: أمروا بحبه وشقوا منهم من سوادهم والجلال. وإليه عمار الراعي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي
كثيرين. ولكن من تعلمهم ومخبرك عن آخرهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي في الدنيا بالنقل
والأسرى. وعبد لعمرك عذاب القبر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي ثم في الآخرة يدون إلى
عذاب النار الذي أعد الله للكفار والفساد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي وقوم آخره أقرب
منهم ولم يعتدوا عن تحفيهم بالمعاصي الكدية قال في الزبي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي
لحلفوا عن عزوة شوك لا يحلفهم بل تحلفهم. ثم دعوا على ما فعلوا وأجابوا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي
وهو تحلفهم عن غزو تبوك هذه المرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي لعل الله يتوب عليهم قال
الطبري. وعسى من الله وأحب ومعاذ. يتوب الله عليهم. ولكنه في كلام الأعراب بمعنى
الترجي. ما وصفنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي دعه لمن تأبى. عظيم الرحمة لمن تأبى.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي حذبه محمد من هؤلاء الذين دعوا. دعوتهم
صدقة تطهرهم به من الذنوب والأوسار. وتسمى تلك الصدقة حسنتهم حتى يرتفعوا بها إلى
مراتب المخلصين الأبرار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي ولعل لهم بالمعصية ما يمدح
والمدح ما يمدح ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي رحمة لهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي
للمؤمنين عليهم يتوبهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي لا يحلفهم لتضيق أي لم يعلم
أولئك الذين يؤمن بالله تعالى هو الذي يقبل توبته من ذنب من عباده ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي
يقبلها من أهل السنة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي والله وحده لمستدبر يقول التوبة
والفرحمة. أقوده ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي
أمر متضمنة بلوعيد أي عملوا ما شئتم من الأعمال فأعد لكم لا تحلف على شيء. استمرض يوم
العباد شئ من سواد المؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي رسترون إلى الله الذي
لا تحلف عليه حافة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَا يَصْرِفُهُ إِلَهُكُمْ﴾ أي يجوزكم على أعمالكم من خير أو غير. وإذا

1997-1998

454 (7) 2000 2000 2000 2000

(182.113) g_2, g_3 .

(١٤) العزيم (١.٩ / ١.٩)

يوفق الظالمين إلى الهدى، ولا يهديهم سبيل الرشاد، والآية لكرامة على سبيل التوبيخ والتعريض لعمل أهل الإخلاص، والإيمان، وعمل أهل النفاق والفساد، والمعنى هل من أسس بنيان دينة على التقوى والإخلاص كمن أسسه على الباطل والنفاق الذي يشبه طرف الوادي أو الجبل الذي أسمى على السفوح؟ ﴿لَا يَرَأَىٰ جَنَّاتُهُ الْآبَتِ بِمَآرِبُهُ وَلَا طَرَبُهُ﴾ أي لا يزال في قلوب أهل مسجد الضراء شئت وتعالى، وغيف والزيات بسبب هدمه، يحسبون أنهم كانوا في بناءه محصنين، روي أن النبي يخرج يمشي إلى ذلك المسجد من هدمه وسرقه وأمر بإلقاء الخيف والنقش والقمامة فيه إهانة لأهلها، فلهذا أشتد غيظ الله ففزعهم ﴿إِنَّمَا لَهُ تَنطَعُ بُنْيَانُهُ﴾ أي لا يزالون في زياب وغيف إلا أن تصدع القلوب بهم فليسوتوا ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمُبِرًا﴾ أي والله ما بهجته عديم الاحوال المتألفين، حكيم في تدبيره وإعماهم ومجازاتهم بسره، نيابته.

الفلاحة.

١- ﴿عَبْرَ النَّبِ وَالنَّبَةِ﴾ بين الكلمتين ضائق.

٢- ﴿لَا يَرَىٰ فِي الْقَوْرِ الْقَبَائِلِ﴾ الإظهار في موضع الإحصار زيادة التشنيع والتفجيع وأمله لا مرضى عنهم.

٣- ﴿نَبِيَّهُمْ أَنَّهُ لَا تَزِيدُ﴾ فيه مجاز مرسل أي يدعهم في جنته التي هي محل الرحمة وهو من إطلاق الحال وإرادة المعمل.

٤- ﴿عَذَابُ عَالَمًا وَأَمْرٌ سَيِّئٌ﴾ بين «صالحًا وسيئًا» طباق.

٥- ﴿يَرَىٰ سَوْدُوكَ سَكْرًا﴾ فيه تشبيه بليغ حيث جعل أصلا نفس السكون والاطمئنان مبالغة وأصله كالسكن حذفت أداة التشبيه ووجه التشبيه فالصبح يلوح.

٦- ﴿هَكَذَا فَاتَّكَرَ﴾ بينهما جناس ناقص وهو من المنحنيات البدعية.

٧- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ في الكلام استعارة مكنية حيث شبهت القوي والوضوان بأرض صلبة يعتمد عليها البيان وطوى ذكر التشبيه ووزله بشيء من قوارحه وهو التأسيس^(١).

توبيخه.

كلمة «عسى» من الله واجب قاله الإمام الرزي: وتضمن القول أن القرآن نزل على عرف الناس في الكلام، والصلطان العظيم إذا أتمس المحتاج منه شيئا فإنه لا يجيبه إلا علو سبيل الترجي مع كلمة «عسى» أو «هل» تنبيها على أنه ليس لأحد أن يلزمه شيء، بل كل ما يغمله فأنما هو على سبيل التفضل والتطوع، وفيه فائدة أخرى وهو أن يكون المكاتب عسى التمتع بالإشفاق لأنه أبعد من الائتكال والإهمال^(٢).

(١) انظر ما كتبه الشرح الوافي في تجميعه أبيه من هذه الآية الكريمة (ص ١٤٩) فيه روايت أبيان.

(٢) (١٧٦/١٧٦).

تكملة

روى الأعمش أن أبا أيوب (م) قال (زيد بن صوحان) - وهو يحدث أصحابه - وكانت يده
أصبحت يده نهاره، فقال الأعمش، والله إن حديثك بيمينك، وإن يدك شريفة، فقال زيد، ما
يريك من يدي إنها لاسم، فقال الأعمش، والله ما أدري أين يمين يقطعون ثم السعال فقال زيد،
صدق الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذَلِكَ صُوفُوا مَا كُنُوا إِلَّا أَنْ يَرْجُوا رَوْحَهُ﴾ .
لأنه معنى يمين أي تامل إلى قلبك انشك هذا فطعت في سرفه وهذا من سهل الأعمش .

□ □ □

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْمَنَازِلُ يُرْسِلُ الْكَافِرِينَ الْفِتْنَةَ﴾ . قال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْمَنَازِلُ﴾
من آية (١١١) آية (١١٦) نهاية السورة الكريمة

المناسبة: لما ذكر تعالى أحوال المنافقين، المتخلفين عن الجهاد، المشركين، ذكر
صعاب المؤمنين المجاهدين، فذكر ما عو أنفسهم له . ثم ذكر قصة الثلاثة الذين خلفوا
عن غزوة تبوك وتوبة الله عليهم، وختم السورة بتذكير المؤمنين بأهمية العظمى . سعة الدراج
معبود ال في العمري، الذي أرحمه الله رحمة العالين

اللغة: ﴿أَوْ﴾ فخير قنوه ومعناه الحاشع المضرج، يقال: تناوه لرجل إذا كان مع فاء،
الشاعر:

إذا ما فئت قنوه . . . فحين تناوه أمة لرحل الحزين

﴿علم﴾ للحاسب: الكثير الحظم وهو الذي يصفح من الدنيا ويستر عن الأذى ﴿أَفْتَنُوا﴾
الشد وأصعبه آخر وأسم من قزوة تبوك (جزء العرة) لما فيها من المشقة والشد، ﴿يَزِيمُ﴾
الزنج الجبل، يقال: زاع فسه إذا مال عن الهدى والزياد ﴿كَلْبًا﴾ الأسداء: الأسداء: ﴿تَنَافَسُوا﴾
التنافس: الإعياء، والتعب ﴿تَمَقَّقُوا﴾ مجاعده شاذ يجره، فدا من الإعياء: ﴿تَأَلَّوْا﴾ حصون،
بال تشي، إذا أدرك وأصابه ﴿عَطَّوْا﴾ شد وقوى وحمة ﴿فَزِمُوا﴾ صفت وشاق ﴿تَنَافَسُوا﴾ لعبت
الشد والمنافسة .

معجم الدوا

١- لما تابع الأنصار رسول الله حتى ليلة المعقب، وكانوا سبعين رجلاً قال عبد الله بن رواحة
و رسول الله: اشتراط تريك ولن تفصل ما شئت . فقال: «الشرط لم يزل تعدده ولا شرطي»
شيئاً، والشرط لشيء أن تمنعني عما تصنع، منه تمنعكم فلو لم أؤلفاً ممنا ذلك فمات؟ قال:
«الجنة»، قالوا: روح اليمين لا نفس ولا تستقبل قبرك ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْمَنَازِلُ﴾ .
﴿الآية﴾ .

مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَنْتَرِكُ وَلَا مُتَعَذِّرٌ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَا لِيَكَ شَرٌّ فَعَرَّ شَهْرًا بِكَ نَسِيْرٌ مَلَكٌ يَرْحَمُكَ مِنْ أَمْرٍ لَمْ تَعْلَمْ بِهِ مِنْكَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْتُمْ قَوْمٌ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ لَئِنْ مَنَعْنَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ قَرِيبٍ عَذَابُكَ وَكَانَ عَذَابُهُمْ غَرِيبٌ مِنْ غَرِيبٍ مَنَعْنَاهُمْ بِأَلْوَمٍ مِنْ غَرِيبٍ عَذَابُكَ لَئِنْ لَمْ يَلْزَمْ عَلَيْهِ تَوَكُّلُهُ وَهُوَ ذَاكَ التَّوَكُّلُ الْفَرِيدُ ﴿٢٢﴾

الْمُتَعَذِّرِينَ: ﴿٢٠﴾ إِنَّ اللَّهَ أَشَدُّ مِنْكَ تَعَذُّرًا إِنَّهُمْ لَا يَنْتَرِكُونَ لَكَ أَيْ الشَّرَّ أَيْ الشَّرَّيَّ مُوَالِي الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْفُسِهِمْ بِالْجَنَّةِ وَهُوَ تَشْبِيلٌ فِي فَرْدِهِ ابْتِلَاغٌ وَتَلْبَانٌ لِأَحَدٍ لِمَجَامِدِهِ، مَثَلُ تَعَالَى جَزَاءُ مَعْمٍ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَدَاهِمِ الْأُمُورِ وَالْأَنْفُسِ فِي سَبِيلِهِ بِصُورَةٍ عَقْدَةٍ بِهِ بَيْعٌ وَشَرَاءٌ، قَالَ لِحَسَنِ: بَايَعَهُمْ فَأَخْلَصَ لَهُمُ الثَّمَنُ^(١) وَانْظُرُوا إِلَى كَرَمِ اللَّهِ، أَنْفَعًا هُوَ خَلَقَهَا، وَأَمْوَالُ هِيَ رِزْقُهَا، ثُمَّ وَجَّهَ لَهُمْ، ثُمَّ أَشْرَاهُمْ، فَهَذَا الثَّمَنُ الْإِغَالِي فَإِنَّهَا لَصَفَقَةٌ رَابِعَةٌ وَقَالَ مَعْصُومٌ: نَاهَبَكَ عَنْ بَيْعِ أَيْتَانِ فِيهِ الْمُؤْمِنُ، وَالْمُشْتَرِي فِيهِ رَبُّ الْعَزَّةِ وَالثَّمَنُ فِيهِ الْجَنَّةُ، وَالْمَالُ فِيهِ الْكُتُبُ السَّامِيَّةُ، وَالْوَلَامَةُ فِيهِ مَحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿يَنْتَرِكُ فِي كَيْفٍ اللَّهُ﴾ أَيْ بِجَاهِلِيَّةٍ لِإِعْرَازِ دِينٍ لَهُ وَاعْلَامُهُ كَلِمَتُهُ ﴿يَنْتَرِكُ وَيَنْتَرِكُ﴾ أَيْ فِي سِلَاسِ الظَّنِّ بِالْأَعْدَاءِ بِضَلَمِهِمْ، أَوْ الْإِسْتِغْنَاءِ فِي الْمَحْرُومَةِ بِسَرْتِهِمْ ﴿وَعَدًا عَلَيْهِ عَذَابٌ﴾ أَيْ وَعْدُهُمْ بِهِ الْعَوْلَى وَعَدًا قَاطِعًا ﴿وَوَ الْكُتُبِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ﴾ أَيْ وَعَدًا مُتَبَايِنًا لِكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ الْفُتُورَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَالتَّوْحِيدِ ﴿وَمَنْ كَذَّبَ بِتَعَالَى﴾ فَلَا مَسْتَفْهَامَ إِنْكَارِيٍّ مَعْنَى أَيْ لَا أَحَدَ أَوْفَى مِنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ: لَأَنْ إِخْلَافَ الْمِعْجَادِ بِبَيْعٍ لَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِكِرَامٍ مِنَ الْحَقِّ، فَكَيْفَ بِالْعَمَلِ الَّذِي لَا يَحُورُ عَلَيْهِ تَضَلُّعٌ وَلَا تَرَى تَرْغِيبًا فِي إِجْهَادِ أَحْسَنِهِ وَأَبْخَاقٍ^(٢) ﴿فَأَسْتَفِيدُوا بِشَيْءِكُمْ أَلْوَمٍ بَلَا تُمْ يَدٌ﴾ أَيْ أَلْوَمُوا بِذَلِكَ السَّيِّئِ الرَّاحِ، وَأَمْرٌ حَرَّابُهُ عَلَيْهِ الْفَرْجُ ﴿وَوَيْلٌ لَكُمْ هُوَ الْقَوْلُ الْقَلِيلُ﴾ هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي لَا مَوْرَ أَعْلَمُ بِهِ ﴿فَأَكْثَرُونَ تَكْفِيدًا تَقْيِيدًا﴾ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: مَبْدَأُ خَبَرٍ مَحْدُوفٍ أَيْ الثَّانِيُونَ الْعَائِدُونَ مِنْ أَمَلِ الْجَنَّةِ أَيْضًا وَإِنْ لَمْ يَبْهَاهُوا ثَقُولُهُ ﴿وَوَيْلٌ لَكُمْ هُوَ الْقَوْلُ الْقَلِيلُ﴾ وَالْحَقُّ الثَّانِيُونَ عَنِ الْحَقِّصِيِّ، الْعَائِدُونَ أَيْ الْمُخْلِصُونَ فِي الْعِبَادَةِ، الْحَادِثُونَ لَهُ فِي السَّوَاءِ وَالْقِسْمِ ﴿أَلْكَتَهُمْ﴾ أَيْ تَأْتَرُونَ فِي الْأَرْضِ لِنُفُوزِ أَوْطَلَبِ لِسَانٍ، مِنَ السَّيَاحَةِ وَهِيَ الْفَسَادُ وَالذَّهَابُ فِي الْمَعْدِنِ وَالْمَغَارِ لِلْعَلَّةِ وَالْإِعْيَارِ^(٣) ﴿تَرْجِعُونَ أُنْكَبُوتُ﴾ أَيْ مُصْبَوْنَ ﴿وَالْأَوَّلُونَ يَسْتَمْرُقُونَ وَكَتَافُونَ عَنِ التَّحَصُّرِ﴾ أَيْ الْذَاهِبُونَ إِلَى اللَّهِ، يَدْعُونَ فَتَسَدُّ إِلَى الرُّشْدِ وَالْهَدْيِ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْفَسَادِ وَالتَّرَدِّي ﴿وَالْمُطِيعُونَ بِأُثْرِهِ﴾ أَيْ الْمُحَافِظُونَ عَلَى قِرَاطِ اللَّهِ، الْمُتَمَسِّكُونَ بِسَاسِغِ اللَّهِ مِنْ حِلَالٍ وَحَرَمٍ قَالَ الطَّبْرِيُّ: أَيْ الْمُحَافِظُونَ فَرَاتِضِ اللَّهِ، الْمُتَمَسِّكُونَ إِلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ^(٤)

(١): القمّي (١١/٣٥)، والزَّيْلَوِي (١٦/١٩٩)، (٢): التَّكْشَافُ (٢٦/٢٣٦).

(٣): فسر مَعْصُومٌ ﴿أَلْكَتَهُمْ﴾: بِأَعْيَادِ الصَّائِتِينَ، وَقَالَ عَطَاءٌ: هُمُ الْفَرَاةُ، وَقَالَ ابْنُ بَدْرٍ: هُمُ الْمَاهِجُونَ وَمَا ذَمُّهُ إِلَيْهِ هُوَ مَا رَحِمَهُ الْفَخْرُ تَرَاوِي وَهُوَ الْأَوَّلُ بِتَسْبِيحِ الْآلَةِ الْكَرِيمَةِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ: ﴿فَصَبِّحُوا فِي أَذْيَمٍ﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٤): الطَّبْرِيُّ (١١/٣٩).

﴿يَذَرُ الْمُتُوبِينَ﴾ أي بشرهم بجنات النعيم، وحذف المتعشر به إشارة إلى أنه لا بد من نعت حصر، بن لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿مَا كُنَّا بِمُنْجِيٍّ وَالَّذِينَ لَا يَتُوبُونَ﴾ أي لا ينبغي ولا يصح لنبي ولا مؤمن أن يبطئوا من الله المستغفرة للمشركين ﴿ذُو حُفَاةٍ أُولِي قُوَّةٍ﴾ أي ولو كان المشركون قوماً لهم ﴿فِي تَتَابُعٍ تَتَابَعَتْهُمْ﴾ أي من بعد ما وضع لهم أنهم من أهل التوحيد لهم على الكفر، والآية نزلت في أبي طالب^(١) ﴿وَمَا كُنَّا بِمُنْجِيٍّ لِّلَّذِينَ لَا يَتُوبُونَ﴾ الذي حصل إبراهيم على الاستغفار الآية أنور أي ما تقدم إبراهيم على الاستغفار ﴿إِلَّا مَن قَرَعَهُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ﴾ أي بالأمس أجل وقد تقدم له بعوله ﴿مَّا تُسْتَفِيرُ فَذَرَيْ﴾ وأنه كان قبل أن يستحق إصراره على الشرك ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ قَدْ ذَرَىٰ قُوَّةً وَأَنَّهُ﴾ أي فلما تبين لإبراهيم أن أباه مصر على الكفر واستمر على الكفر، تبرا من أبيه بالكلية فصلاً عن الاستغفار له، ثم بين تعالى بأن الذي حصل إبراهيم على الاستغفار هو شرط ثم حمله وصبر، علموا أبيه ففان: ﴿إِلَّا لِّرَجِيمٍ لَّا ذُرِّيَّ﴾ أي كثير الشاؤم من قرط ثم حمة ورفقة الغليب ﴿عَلِمَ﴾ أي صبر على ما يعرضه من الأذى ولذلك حمله عن أبيه مع توعده له بقوله ﴿فَلَنُؤْتِيَنَّهُ لَازِحَتَكَ﴾ فليس لغيره أن يتأسر به في ذلك قال أبو حيان: ولما كان استغفار إبراهيم لأبيه بعد أن يعتدي به بين تعالى أئمة في استغفار إبراهيم لأبيه، وهو الوعد الذي كان وعده به، فكان برحوا إيساه فلما تبين له من جهة الوحي أنه عدو الله، وأنه بدت كاهنه، وانقطع رجوه منه تبرأ منه وقطع استغفاره^(٢) ﴿وَمَا كُنَّا بِمُنْجِيٍّ لِّلَّذِينَ لَا يَتُوبُونَ﴾ نزلت الآية في قوم من المسلمين استغفروا للمشركين، فصاروا على أنفسهم من ذلك فنزلت الآية ثانياً لهم^(٣) أي ما كان الله ذنباً ضري على قوم بالفساد ﴿تَعَذَّرُوا﴾ أي بعد أن دفعهم للإيمان ﴿مَنْ يَتُوبْكَ لَعَنَّا مَن تَتُوبْكَ﴾ أي حتى يبين لهم ما ينجسونه فإن غافروا بعد الهوى فسحقوا العقوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكْفِي تَوْبَةَ الْكَافِرِ﴾ أي عليهم بجميع الأشياء ومنها أنه يعلم من يستحق الهداية، ومن يستحق الإفساد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ﴾ أي له سلطان السموات والأرض وملكنهما، وكل من فيهما عبده وسألكه ﴿يَمْحُ الْغَيْبُ﴾ أي بيده وحده حياتهم وموتهم ﴿وَمَا كُنَّا بِمُنْجِيٍّ لِّلَّذِينَ لَا يَتُوبُونَ﴾ أي ما لكم أيها الناس من أحد غير الله لمعاون إليه أو معتمدون عليه قال الألوسي: لما منعهم سبحانه عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى، وتضمن ذلك وجوب اخبري عنهم، بين أنه أن الله سبحانه مالك كل موجود، ومقتول امرء، ولعالب عليه، ولا يئأس لهم ولاية ولا نصر إلا منه تعالى، ليتوجهوا إليه بكلتهم، متبرئين عما سواه غير فاصدين إلا بإياه^(٤) ﴿لَقَدْ كُنَّا أَكْثَرُ عَلَىٰ أَثَرِيٍّ وَالْكَافِرِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾ أي ذاب الله على النبي من إيمانه لمحت فنيين في التخلف، وتاب على المهاجرين والأنصار لما حصل منهم من بعض الهفوات في غزوة تبوك، حيث ثابوا بمنهم، وتناقل عن الجهاد آخرون، والمرض التوبة على من

(١) البحر المحيط (٥/٩٠).

(٢) روح المعاني (١١/٢٩).

(٣) نظر حسب النزول.

(٤) التفسير (٢/٩٦).

تخلفوا من المؤمنين عن غزوة تبوك ثم تابوا وقاتلوا، وعلم الله صدق نوبتهم فقبلها منهم،
 وصدرها بتوبته على رسوله وكبار صحابه، جيئاً لغزوتهم، وتوبتها لأشهرهم، وبعثاً للمؤمنين على
 التوبة، وأنه ما من مزمع إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار، حتى النبي والمهاجرون
 والأصهار **﴿الَّذِينَ آمَنُوا فِي كِتَابِكَ آتَيْنَاهُم فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ﴾** وقت المعركة في شدة
 الحر، وقلة الزاد والضيق الشديد روى الطبري عن هبيرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع
 رسول الله **﴿إِنَّهُ إِلَى تَبُوكَ مَيَّ قَبِضَ شَلِيدٌ﴾** فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابتنا
 مستطعم، حتى إن الرجل ليمسح بالبرص فيخبر فرثه فخرته، فقال أبو بكر يا رسول الله: إن الله قد
 هودك في الهداه غير فادع لنا، قال: اتعجب ذلك؟ قال: نعم فرفع يديه فلم ير حشهما حتى
 سكبت السماء قملاً وما معهم، فرجعنا ننظر فلم نجد ما جاوزت المعسكر **﴿وَمِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾**
﴿يَرْجِعُ قُلُوبُ مُرْقِي يَتَّبِعُهُ﴾ أي من بعد ما كادت غيوب بعضهم تسيل عن الحق وثراب، لأنا نعلم من
 استسقة الشدة **﴿ثُمَّ رَأَى أَنَّهُمْ﴾** أي وفهم نيات على الحق وقاب عليهم لما نعلموا **﴿وَيَوْمَ يَهْرُؤُا﴾**
﴿وَقَدْ دُخِرُوا﴾ أي لطيف وحرم بالمؤمنين **﴿وَمِنْ أَلْفَتَةِ الْفُؤَادِ﴾** أي وقاب كذلك على الثلاثة
 الذين تخلفوا عن غزوة، وهم (كعب، وهلال، وحمرلة) **﴿وَمِنْ أَلْفَتَةِ الْفُؤَادِ﴾** أي خدعت نفوسهم بما اعتدواها من الغم
 والهم، بحيث لا يسمعون أنس ولا سرور، وذلك بسبب أن الرسول عليه السلام دعا لقطع ألعنتهم،
 فكان أحدهم ينسب السلام لأقرب أقربيه فلا يرد عليه، ومجرتهم ضارهم وأملوهم وأهملوهم
 حتى تاب الله عليهم، **﴿وَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَا مَشْأَ بَيْنَهُ إِلَّا إِلَهُهُ﴾** أي وأيقنوا أنه لا معصم لهم من الله
 ومن عذابه، لا بالرجوع والإجابة إليه سبحانه **﴿ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِمْ جُثُودًا﴾** أي رجع عليهم بما قبول
 والرحمة، ليستقيموا على التوبة ويدوموا عليها **﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَافِلُ الْخَبِيرُ﴾** أي المبالغ في قبول
 التوبة وإن كثرت الجنات وعظمت المنفصل على العباد بالرحمة الشاملة **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**
﴿أَتَقْرَأُونَ﴾ أي راضوا الله في جميع أفعالكم وأفعالكم، وكونوا مع أهل الصدق
 واليقين، الذين صدقوا في الدين نية وفولاً وسماً **﴿مَّا كَانَ لِأَكْثَرِهِمْ بِأَكْثَرِهِمْ﴾** أي
 لا يتفقوا من رسول الله **﴿عَمَّا لَمُنْ﴾** عن غزوة تبوك أي ما صح ولا استقام لأهل المدينة
 ومن حولهم من سكان البوادي أن يتخلفوا عن الخروج مع رسول الله **﴿وَلَا يَرْجِعُوا﴾** أي لا
 يتراجعوا بانفسهم عن نفسه بأن يكرهوا لها المكروه ولا يكرهوها له علي السلام،
 بل عليهم أن يفدوه بالمهج والأرواح، وأن يكابدوا مع ما يكابدون من الأهوال والخطوب قال
 أبو مخنف: أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء، وأن يلقوا من الشللاند ما تلقاه نفسه.

١٠) انظر الكشاف (٢/٣١٦).

١١) الطبري (١١/٥٥٦).

١٢) انظر قصصهم في صحيح البخاري، كتاب المغاري، وفي الطبري (١١/٥٨٨).

علما بأنها أخر نفس على الله وأكرمها عليه ، لا أن يصنوا بأنفسهم على ما سمح بنفسه عليه ، وهذا نهى بليغ ، وتصحح لمشايعته عليه السلام ^(١١) ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا يُعَذِّبَكُمْ عَلَىٰ أَثْمَارِكُمُوهَا﴾ أي ذلك النهي عن التخلّف بسبب أنهم لا يمتيهم بعض ^(١٢) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي في طريق السجادة ^(١٣) ﴿وَلَا تَقْلَقُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي ولا يندوسون مكانا من أمانة الكفار بأرجلهم أو حوافر عيولهم ^(١٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمُوهَا﴾ أي بغضب الكفار وعلوها ^(١٥) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي ولا يصيرون أعداءهم بشيء ، مثل أو أسر أو هزيمة قليلا كان أو كثيرا ^(١٦) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي إلا كان ذلك قربة لهم عند الله ^(١٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾ أي لا يضيغ أسر من أحسن عملا ^(١٨) ﴿وَلَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾ ولا يحكي ^(١٩) ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي لا يضيغ أسر من أحسن عملا ^(٢٠) ﴿وَلَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾ أي ولا يجتازون للمجاهد في سيرهم أرضا ذهابا أو إيابا ^(٢١) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي التبع ذلك ^(٢٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي ليجزيهم على كل عمل لهم جزاء أحسن أعمالهم قال الألوسي : على معنى أن لأعمالهم جزاء حسنا وجزاء أحسن ، وهو سبحانه اعتار لهم أحسن جزاء ^(٢٣) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي لا ينبغي خروج جميع المؤمنين للغزو ^(٢٤) بحيث تغلوا منهم البلاد ، روي عن ابن عباس أنه تعالى لما شدد على المتخلفين قالوا : لا يتخلف منا أحد عن جيش أو سرية أبدا ، فلما قدم الرسول المدينة وأرسل انصرا إلى الكفار ، نفر المسلمون جميعا إلى الغزو وتركوه وحده بالمدينة فتركت هذه الآية ^(٢٥) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي فإذا لم يمكن غير الجميع ولم يكن فيه مصلحة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة فئة قليلة ^(٢٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي ليجبوا نفعهم وينكفوا المشاف في طلب العلم ^(٢٧) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي ليخفوا قومهم ويرشدوهم إذا دعوا إليهم من الغزو ، تعلم يغاثون عذاب الله بامتنال أمره واجتناب نواهيه قال الألوسي : وكان الطاهر أن يقال للمعلمين بدل ^(٢٨) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ ولكنه اعتبر ما في النظم الجليل للإشارة إلى أنه ينبغي أن يكون غرض المعلم : الإرشاد والإنذار ، وغرض المعلم : اكتساب العتبة لا التيسر والاستكبار ^(٢٩) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي قاتلوا القريبين منكم وطهر وأما حولكم من رجس المشركين فم انتقلوا إلى غيرهم ، والغرض إرشادهم إلى الطريق الأصوب والأصلح ، وهو أن يبتعدوا من الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد ^(٣٠) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي وليجهد هؤلاء الكفار منكم شدة عليهم ^(٣١) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي واعلموا أن من أغنى الله كان الله معه بالنصر والمود ^(٣٢) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾ أي من سود القرآن ^(٣٣) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِكُمْ﴾

(١٢) روح المعاني (١٦/١٦)

(١٣) روح المعاني (١٦/١٦)

(١٤) اكتشاف (٢١/٢١)

(١٥) وقيل المراد أن يقرأوا طلب العلم .

(١٦) روح المعاني (١٦/١٦)

وَالَّذِينَ قَبِلُوا مِنْهُ أَى بَعَثَ مَوْلَاهُ الْمُتَنَافِضِينَ مِنْ بَقُولِ اسْتَهْزَاءِ أَتَيْكُمْ وَاتَّخَذَهُ سَمَانًا عَلَى رَأْسِ
الْإِسْتَهْزَاءِ بِالْقُرْآنِ كَانَهُمْ يَقُولُونَ أَى عَجَبٌ فَمِنْ هَذَا أَوَى ثَلَاثُ مِنْ هَذَا بِقَوْلِ لَعَلَّكُمْ - ﴿فَلَمَّا
الْقُرْآنُ مَاسُوا فَرَادَتْهُمْ أَيْ فَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَرَادَتْهُمْ مُتَعَدِّيًا وَذَلِكَ لِمَا يَتَخَذُهُ مِنْهُمْ مِنْ
لِبَرَاهِينِ الْأَدْنَى عَدَدَهُ لَوْ كُلُّ سُورَةٍ ﴿وَقَدْ يُنْقَضُونَ﴾ أَى مِنْهُمْ بِغَرَضٍ لِبَرَاهِينِ لَمَّا كُنَّا بِرِ
شْرِ مِنَ الْقُرْآنِ إِذْ دَاوَاهُ بِمَعَانٍ ﴿وَلَمَّا الْيَاكُوفُ فِي تَوْبِهِمْ مَرَّتْ﴾ أَى وَأَمَّا الْمُتَنَافِضُونَ الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ عَاقِبَةٌ وَكَانَ فِي دِينِ اللَّهِ ﴿فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ﴾ أَى إِذْ دَاوَاهُمْ بِمَعَانٍ إِلَى تَفَاقُحِهِ وَكَثْرَةِ
إِلْمِهِ كَعَرَفِهِمْ فَزَادَهُمْ رَجَسًا وَضَلَالًا لَوْ أَنَّ مَا فِيهِمْ مِنْهُ مِنْ الرِّجْسِ وَالضَّلَالِ ﴿وَمَسَاوِي أَعْيُنِهِمْ
كَتَبَتْهُ﴾ أَى مَا تَوَسَّعَ لِكُنُوسِ ﴿وَلَا يَتَذَكَّرُ أَعْيُنُهُمْ كَتَبَتْهُ فِي حِكْمَتِهِ خَائِرُ شَيْءٍ أَوْ مَرَاتِبٍ﴾
لِجَهْدِ الْإِنْكَارِ وَالْوَيْخِ فِي أَوَّلِ بَرِي مَوْلَاهُ الْمُتَنَافِضُونَ الَّذِينَ تَفَضَّلَ سِرَّائِهِمْ كُلُّ سِدَّةٍ مَرَّةٍ أَوْ
مَرَّتَيْنِ حِينَ يَنْزِلُ فِيهِمْ لَوْحٌ ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ﴾ أَى لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ عَلَيْهِمْ فِيهِ
مِنْ الْإِلَهِ وَلَا مِنْ رُؤُوسِهِمْ ﴿وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ﴾ أَى لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ عَلَيْهِمْ مِنْ رُؤُوسِهِمْ وَلَا مِنْ رُؤُوسِهِمْ
أَعْيُنُهُمْ أَى إِذَا مَزَلَتْ سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهَا عِبَادَةُ الْمُتَنَافِضِينَ وَمِمَّنْ فِي مَحَلِّهِ الْغَيْبِ - يَنْظُرُ
بِعَيْنِهِ لِمَنْ هَلْ يَرَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِكُنُوسِهِ فَمَّا لَا تَصِيرُ عَلَى اسْتِدْعَاهِ وَهُوَ يَغْضَبُهَا
تَدَامُوا فَاصْبِرُوا ﴿مَرَاتِبُ اللَّهِ قُوَّتُهُمْ﴾ سَبَلَةٌ دَعَايَةُ أَى صِدْقُهُمْ أَى الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ ﴿بِأَنْبِيَاءِهِمْ
لَا بِأَنْبِيَاءِهِمْ﴾ أَى لِأَجْلِ أَعْيُنِهِمْ وَلَا يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ عَلَيْهِمْ وَلَا يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ عَلَيْهِمْ وَلَا يَكُنْ لَهُمْ
بَرَاهِينٌ عَلَيْهِمْ أَى لِمَنْ جَاءَتْهُمْ أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ بِسُورِ عَصِيَةِ الْفُلُوحِ وَمَنْ جَسَدُكُمْ عَرَبِي
لَرَشِيءٍ بِسَبْحِكُمْ سَالَةَ اللَّهِ ﴿غَيْرُ فَتَنَةٍ مَا يُكَلِّفُ﴾ أَى بِقَوْلِ عَدِيهِ عَذَابُكُمْ وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ
لِلْمَكْرُوهِ ﴿غَيْرُ فَتَنَةٍ﴾ أَى مَرِيضٍ عَلَى هَدَايَتِكُمْ ﴿بِأَنْبِيَاءِهِمْ قُوَّتُهُمْ﴾ أَى رُؤُوسِهِمْ
بِأَعْيُنِهِمْ رَحِيمٌ بِالْمُسْلِمِينَ شَدِيدٌ لِلْعَاقِبَةِ وَالرَّحْمَةُ عَلَيْهِمْ قَالَ أَبُو عَرَابَةَ - دَعَا مَسَاوِي مِنْ
أَسْمَانٍ - ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ﴾ أَى لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ عَلَيْهِمْ أَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ عَلَيْهِمْ بِأَعْيُنِهِمْ
رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَى لَا مَعْبُودَ سِوَهُ ﴿فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ﴾ أَى عَلَيْهِ اعْتَدَتْ فَلَا أَوْ جُودَ لَا
أَعَابَ أَحَدًا غَيْرَهُ ﴿وَقَدْ رَأَى كَثِيرٌ أَعْيُنُهُمْ﴾ أَى هُوَ سَيِّدُهُمْ رَبُّ الْعَرْشِ الْمَحْبُوطِ بِكُلِّ شَيْءٍ
يَكُونُ أَعْيُنُ الْأَشْيَاءِ الذُّرَى لَا يَمْلِكُ مَعْدَارَ عِظَمِهِ وَلَا اللَّهُ تَعَالَى .

١ - ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ﴾ اسْتِدْعَاهُ نَعْبَةَ شَبِّ عَلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَالْأَنْفُسُ إِذْ نَهَمَ عَلَيْهِمَا بِالْجَنَّةِ نَسَمِ

وَالشَّرِّ .

٢ - ﴿يَقُولُونَ يُنْقَضُونَ﴾ فِيهِ جَانِسٌ نَاقِصٌ لِأَخْلَافِهِمَا فِي الشَّكْلِ هُوَ مِنَ الْمَحْدَثَاتِ الْمُدْرِيَةِ

٣ - ﴿فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِينٌ﴾ يَعْنِي الْمُتَعَدِّينَ فِيهِ مَحَلُّهُ مَرَّعٌ مِنْ إِطْلَاقِ الْعِزَّةِ وَإِرَادَةِ الشَّكْلِ .

وحصر الركوع والسجود بالذكر لشرفهما فاقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد،^(١٢)

١- ﴿رَبِّهِمْ أَتَنَبَّأُونَ﴾ الإظهار في مقام الإضمار للاعتناء بهم وذكرهم.

٢- ﴿تَوَعَّدُوهُمْ وَقَدَمًا﴾ بينهما جناس الاشتقاق.

٣- ﴿يُنْفِئُ﴾ ... ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ بينهما طباق وكذلك بين ﴿يُنْفِئُ﴾ و﴿وَرَبَّيْتُمْ﴾ وكذلك ﴿مَنَافَتٍ﴾ و﴿رَبَّيْتُمْ﴾.

٤- ﴿الْقَوْلُ الْخَبِيرُ﴾ من صيغ البيانة.

٥- ﴿يَعْلَمُكَ مَوْلَاكَ﴾ جناس الاشتقاق وكذلك ﴿يَتْلُوكَ مِنْ عَدُوِّكَ﴾.

٦- ﴿سَيِّئًا رَكًا حَكِيمًا﴾ طباق.

٧- ﴿فَرَأَاهُمْ يَفْشَىٰ﴾ أي يخبئهم قال في تلخيص البيان: السورة لا تزيد الأركان رساء ولا القلوب مرميا، بل هي شفاء للصدور وجلاء للقلوب، ولكن المتأففين لها ازدادوا عند نزولها عسى، حسن أن يفتد ذلك إلى السورة على طريق الاستعارة.
نضيفة.

روي أن أبا عبيدة الأنصاري رضي الله عنه بلغ ستانه وكانت له امرأة حسناء فرسث له في الغل، وبسطت له الحصر، وقربت إليه الرطب وأماء الباد، فنظر فقال: قل غليل، ورطب يانع، وماء باد، وامرأة حسناء، ورسول الله كاذب في البحر والربيع! ما هذا بخير، فقام فرجل ناقته، وأخذ سيفه ورمحه، ومر كالريح فنظر رسول الله بيته خلفه فإذا براكب وراء السراب، فقال: كن أبا عبيدة! فكان ففرح به رسول الله بركة واستغفر له.

«تم تفسير سورة القوبة وبه الحمد في البدء والختام»

العذاب، عن قوله حين تفتوا، أن كل واحد منكم البلاء والعذاب، وهذا من المخلصات التي
خلص الله بها قوم يونس لصدقهم ويساندهم

300

قال ابن سعد: «قرأ بلال بن رباح الكتاب الحزبي» . أي : فاستطاع أن يقرأه معكم يومئذ .

اللُّغْزُ: ﴿قَدْ جِئْتُكَ﴾ ذَالُ الْيَمِينِ: تَقْدِيمُ: كَسْبَهُ قَالَ ذَرِ الرَّمْعَ:

وانت امرؤ من أهل بيت ذرية لهم فدم معروضة صفاحر

وقال أبو حبيدة: كل عاقل في خير أو شر فهو قدم وقال الأخفش: سادة إخلاص ﴿قَدْ﴾
 استنير. القضاء والتفكير معنى حسب الحكمة والقسط العدل ﴿يُحْيِي﴾ الحميم: الماء الحار
 الذي يخرج بالنار حتر التهم حرم ﴿يُفْقِدُ﴾ انفصل: التبيين والتوضيح ﴿مَنْزِلَتُهُمْ﴾ منازلهم
 ومقامهم ﴿لَقَدْ نَبَّأْتُ﴾ أعلموا والإزداع ﴿بِغَيْبِهِمْ﴾ يتأخرون ﴿لَقَدْ نَبَّأْتُ﴾ جمع عيلة وهو
 الذي يحلف غيره في شئونه.

سبب انقروا فان ابي عامر لما بعث الله تعالى محمداً : واكثر التكفير وقالوا : الله اعظم من ان يكون رسوله نبياً ، فما وجد الله من ربه لا يتبع ابي طالباً فامر الله ان كان انما بعثت في انفسهم ان لا يكونوا من الذين كفروا من الذين قالوا : ان الله اعظم من ان يكون رسوله نبياً .

—

[illegible]

فإن الله لا يشبه شيء من خلقه، فمن أثبت لله تعالى ما ودرعت به الآيات تصریحاً، ولا سيما
 لصحيفة على اموجه الذي يدين جلال الشاء، فقد ملك حساب الهدى^{١١} وقال ابو السمرود
 حنوي بن دور: أمرش على اموجه الذي عناء، وهو سبعة في سبجانه بلا كب، مرها من التمكن
 والاستقرار، وهذا جائز لجلالة تلكه ومطابقه، بعد بيان عطية شاء^{١٢} ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ أي بغير أمر
 الخلاق ما في ما انتصبه الحكمة والمصلحة، لا يشعه من تدبير حقه أحد^{١٣} ما من
 شيء إلا برأيه^{١٤} أي لا يشع عنه شافع يوم القبلة إلا ما كان من له في الشاعة، ومن
 هذا ود حسن الشكر كين في زعمهم أن الأقسام تسع لهم ﴿الْعَظْمُ ثُمَّ رُفِعْتُمْ وَقِيلَ لَهُ﴾ أي
 ذلكم تعظيم الإنسان هو حكمه، فالحكم لا يات سواء في حكمه بالعدة ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ الْأُولَىٰ﴾
 تعقلون وتعذرون أو تعلمون أنه الصخرة ما تخلفت تعذرون معه غيره^{١٥} ﴿إِنَّهُ قَرَّبَكُمْكُمْ حَبِيبًا﴾ أي
 في حكم مرعيتكم أيه الإنسان يوم القبلة حبيباً ﴿إِنَّهُ لَمَّا خُصَّ﴾ أي ومما من الله لا يشع،
 وبه يد علم، منكري امتحان حيث قالوا: ﴿فَأَجِبْ لَهُمْ يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ فِي الْأَنْفُ﴾
 بهذا الحق^{١٦} ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ﴾ كذا في بعده ﴿إِنَّمَا يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ﴾
 أي كسري المرعيتين ما عدل، ويوفيهما أبوورعهم بالحركة الأولى ﴿وَأَوَّلَىٰ حَشْرُهُ﴾ أي وانفيس
 حشروا باله وخشروا رسله ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾ أي لهم من يومهم شراب من حبيب، ما من
 الشهادة في الحارة^{١٧} ﴿وَأَوَّلَىٰ حَشْرُهُ﴾ أي ولهم عذاب مروج سرج سبب حشرهم
 وحشروا بهم من الجحيم^{١٨} الآية كالتعليل لما سبق فراه بعد كان المقصود من الآية والإعداد
 مع الآية السكتلن على أعمالهم كان مروج مروج إياه لا معناه^{١٩} ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾
 بنية الآية للتفصيه من دلائل القدر، ولو حدثت أي هو تعارضه من بعض الشمس معنة
 سابقة النهار كسراج الترميح^{٢٠} ﴿وَأَوَّلَىٰ حَشْرُهُ﴾ أي وجعل القصر مبراً بالبرق وهذا من عدل وعدته
 بالعباد، ولما كانت الشمس أعظم حرماً خست بالصباح، لأنه هو الذي به سفلوح والعباد قال
 الطبري: الشمس أصغر شمس، وأما القصر^{٢١} ﴿وَأَوَّلَىٰ حَشْرُهُ﴾ أي قصر مبراً في ما رزق وهي
 البروج ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾ أي لتعذب فيها الناس حسب الآفات، فالشمس
 تعرف الأمان، ويسر القصر يعرف المشهود والأمان ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾ أي ما حق
 تعالى ذلك عتلاً بل لحكمة عظيمة، وفائدة جليلة ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾ أي بغير الآيات
 الكونية ويوضحها القصر يعلموا بقدرة الله، ويندرون حكمته قال أبو السمرود: أي يعلمون
 الحكمة في إبداع الكائنات، فيستدلون بقدرة على شئونها ببدعها حل وعلا^{٢٢} ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾
 وأنهار^{٢٣} أي من تعاقبها تأتي الليل فذهب النهار، وأتت النهار فذهب الليل ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ

١١: انحصار (٢٥: ٢٦)، والط ترميح (٢٥: ٢٦) لأن سورة الأنعام من هذا الكتاب.

١٢: أبو السمرود (٢٥: ٢٦).

١٣: أبو السمرود (٢٥: ٢٦).

١٤: أبو السمرود (٢٥: ٢٦).

١٥: الطبري (٢٥: ٢٦).

عن اعدائهم، وهادئة الشهوات ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ نَفْسًا نَافِلَةً﴾ أي ولقد آتيناك النفس من قبلك أي المشركون لما كفروا وشركوا، او تعادوا في النفس الضلال ﴿رَبِّانِيَّتًا﴾ أي جاثمة بها، جاثمة، لباغرة التي نزل على صدقهم ﴿وَمَا كُنَّا بِأَعْيُنِنَا﴾ أي وما انصوبنا بجانبهم به الزملا، أي أنهم ظالموا وما انصوبنا سبب إهلاكهم شئنا، ظلمهم، وعلم بيمانهم ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ أي مثل ذلك الجزاء، يعني الإهلاك نحري كل مجرم، وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم ورسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ سَنَكُنَّ يَدُ الرَّحْمَنِ فِي الْقُرْآنِ حَكِيمًا﴾ استعملناكم في القرآن يا أهل مكة من بعد ذلك، القرون، التي نسمعون أخبارها وتضاهون آثارها ﴿يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ بَنُو إِسْرَءِيلَ مِنْ هَارُونَ﴾ أي سخر أنعمولون حيرتهم سخرنا، فجعلناك على حسب عملكم قال القرطبي: والمعنى: بعامتكم معاملة المخير إظهارا للعنف^(١) وقال في التسهيل: معناه ليظهر في الوجود عملكم فتفهم عنكم به العنفة^(٢) ونفرض أن الله تعالى عالم بأعمالهم من قبل ذلك ويكون اختيارهم أيسر في له جود ما علمه تعالى أولا ﴿وَيَا قَوْمِ اقْبَلُوا نَذِيرًا﴾ أي وإذا حدثت على المشركين آيات القرآن المبين حال كونها واضحة لا لبس فيها ولا شكك ﴿قُلْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا نَقْرَأُهَا عَلَيْكَ عَلَى سِتْرٍ مِنْ أَلْحَامٍ﴾ أي أتيت يا محمد بكتاب آخر غير هذا القرآن ليس فيه ما نكره من عيب ألهنا، ونسبته إلهنا ﴿أَوْ بَيِّنَاتٍ لِيُنْذِرَ الْكَافِرَ بَأْسَ الَّذِي كَانُوا يُكَذِّبُونَ﴾ أي قل لهم يا محمد: ما ينبغي ولا يصح لي أن أغبر أو أذل شيئا من قبل نفسي ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي لا تبغ إلا ما يوجه إلي ربي، فأنا عبد مأمور، ورسول، مبلغ، يبلغكم رسالة الله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي يني لهم، إن خالفوا أمره، وبطلت رحمة عذاب يوم شديد الهول مؤبوم القياة، وهذا كالتعليق بما سبق ﴿قُلْ تَرَوْا شَيْئًا مِمَّا تَدْعُونَ إِلَهُاتَكُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي قل لهم يا محمد: لو شاء الله ما نزلت هذا القرآن عليكم، وما توفوه إلا بشئ نعالني، لأنه من عباده، وما هو من عبادي ﴿وَلَا تَدْرِكُهُمُ يَدَايُ السَّمَاءِ سَاسًا﴾ أي لا أسلمكم به على إنساني ﴿فَقَدْ بَيَّنَّا يَدُ الْغَفْلِينَ﴾ أي قد مكنت بين أظهركم زمنا طويلا، مدة أربعين سنة من قبل القرآن لا أعلمه أنا ولا أسلموه عليكم ﴿أَنَّهُمْ قَتَلُوا نَبِيَّكُمْ﴾ أي أملا تستعملون عقوبتكم بالنسب والتعكر لتعلموا أن مثل هذا التكذيب المعجز ليس إلا من عند الله اقل الإمام تغفر: إن الكفار شاهدوا رسول الله ﷺ من أول عمره إلى ذلك الوقت، وكانوا يعللون بأسراره، وأنه ما دافع كفتها، ولا تظلم لأسناد، ولا تعظم من أحد، ثم

(١) التسهيل (١/ ٩٠).

(٢) القرطبي (٨/ ٣١٨).

(٣) البدر (٥/ ١٣١).

بعد انقراض أو بعين سنة جاءهم بهذا الكتاب العظيم، المثلث على نعمات علم الأصول، ودقائق علم الأحكام، ولطائف علم الأخلاق، وأسرار قصص الأولين، وحجج عن معارضته العلماء والقصاصاء، والبلغاء، وكل من له عقل سليم يعلم أن مثل هذا لا يكون إلا على سبيل الوحي والتنزيل. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ ثَوْبَ اللَّهِ لَهْوَ كَيْدٍ﴾ استفهام إنكاري بمعنى الظني أي لا أحد أظلم ممن اختلق على الله الكذب والمقصود منه نفي الكذب عن مقامه الشريف ثم حيث زعم المشركون أن هذا القرآن من صنع محمد ﴿أَوْ كَذَّابٌ يَقُولُ﴾ أي كذاب بالحق الذي جاءته به الرسل ﴿كَيْفَ لَا يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ أي لا يجوز بالسعادة من ارتكب الإجماع وكذب الرسل الكبرام ﴿وَيَقُولُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ﴾ بيان نقيض المشركين أي ويعبدون الأوثان التي هي جمادات لا تقدر على جلب نفع أو دفع ضرر ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ هُوَ إِلَّا بَعْثٌ لِلنَّاسِ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي قول يا محمد لهؤلاء المشركين: أفخبرون الله تعالى بشريك أو شفيخ كائن في السموات أو الأرض لا يعظمه جبل وعلا، وهو علام الميرب الذي أحاط علمه بجميع الكائنات؟ والاستفهام للتهكم والهزء بهم ﴿سُبْحَنَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي نزه الله وتقدس عما يقول الظالمون، وينسب إليه المشركون ﴿وَكُنَّا كَذَّابِينَ لَا نُحْسِنُ الْحِكْمَةَ﴾ أي ربما كان الناس إلا على دين واحد هو الإسلام من قديم آدم إلى نوح فاختلصوا في دينهم وتفرقوا شيعة وأحزابا قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كنهم على الإسلام، ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الأوثان والأصنام فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ﴿وَأَنزَلْنَا كِتَابَكُنَا مَكِّيًّا مِنْ رَبِّكَ﴾ أي ولولا قضاء الله بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَفُتِنَ بِهِمْ رَبُّكَ رَبَّنَا رَبَّنَا﴾ أي يقول هؤلاء الكفرة المعاندون: هلا أنزل على محمد معجزة من ربه كما كان للأنبياء من الناقة والمعصا وأبد ﴿فَقَدْ رَأَى الْقَلْبُ يَوْمَ﴾ أي قل لهم: أمر الخيب لله وعده ولا يأنس بالآيات إلا هو وإنما أنا مبلغ ﴿فَأَنصَلِبُوا إِيَّائِي مَنَافِكُمْ﴾ أي فانتظروا قضاء الله بيته فأنما ممن ينتظر ذلك.

البلاغة.

- ١- ﴿الْكِتَابُ الْكَبِيرُ﴾ فعل بمعنى مفعول أي المحكم الذي لا يتطرق إليه الفساد ولا يمتريه الكذب والتناقض.
- ٢- ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ .. ﴿وَنُفُوسُهُمْ﴾ بينهما طباق.
- ٣- ﴿وَنَزَّلْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾ كناية عن السيرة الرديئة، ولعبارة غاية في البلاغة لأن بالقدم يكره الإسناد والتقدم، كما سميت النعمة بذل لأنها تعطى بها.

- ٤- ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ رَاسِداً﴾ بين كلمتي البدء والإعادة جباقي
- ٥- ﴿لَا يَرْجِعُ بَلَدًا﴾ فيه التظاير مع الإضافة إلى غسير الجلالة لتعظيم الأمر ونهونه .
- ٦- ﴿أَتَكْفُرُ لَيْسَ لَكُمْ بِالْمُكْذِبِينَ﴾ أي كاستعجالهم أو مثل استعجالهم بالخير فبِهِ تشبيه مؤقّد مجمل وبين الشر والخير طباق .
- ٧- ﴿يَنْظُرُ كَيْفَ يَفْعَلُونَ﴾ في الكلام استعارة تعجيلية حيث شبه حال العباد مع ربهم بحال رعية مع سلطانها في إسهالهم للنظر في أعمالهم ، واستعير الاسم الدال على استشه به لضعفه على سبيل التمثيل والتغريب ، ولله المثل الأعلى .
- ٨- ﴿أَتَكْفُرُ تَكْفُورًا﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ .
- قائفة: قال السبرطي في قوله تعالى: ﴿سَلِّ أَسْأَلُ سَبْطًا وَالْقَمَرُ تُرَابًا﴾: إن هذه الآية أصل في علم المواقف، والحساب، والتاريخ، ومنازل القمر .
- تعبية: قال الحافظ ابن كثير: من قال مقالة صادقة أو كاذبة فلا بد أن ينصبه عليه من الأدلة على بره أو فجوره ما هو أظهر من الشمس، فإن الفرق بين محمد ﷺ وبين مسيلمة الكذاب لمن شاهدتهما أظهر من الفرق بين الضحى وحندس القطعاء، قال عبد الله بن سلام: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل الناس (أي تفرق اليهود عنه) فكنت فيمن انجفل، فلما رأته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول ما سمعته بقول: «يا أيها الناس أنشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» فقد أيقن بصدقه صلوات الله وسلامه عليه ما رأى من الدلائل، قال حسان:
- لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره بتبنيك بالخبر



- فبالله تعالى: ﴿وَيَذَكَّرُ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ رَاسِداً﴾ إلى: ﴿يَنْظُرُ كَيْفَ يَفْعَلُونَ﴾
- التوبيخ: من آية (٢١) إلى نهاية آية (٣٩) .
- الغاسفة: لما ذكر تعالى الأدلة على فساد عبادة الأوثان، وشهدت المشركين حول الرسالة والفران، ذكر هنا أن هذه هولا الأضياف المكر، والجبود، والعناد، فإن أصابتهم الشدة فصرعوا، وإن جاءتهم الرحمة بطروا وكفروا، ثم ضرب تعالى المثل بالحياة الدنيا في الزوال والفساد، ثم عاد إلى ذكر الأدلة والبراهين على وحدانية الله رب العالمين .
- الشفقة: ﴿كَامِيفٌ﴾ الماسف: الريح الشديدة التي تعصف بالأوراق والأشجار، قال الغراء:
- بقال عصف الريح وأعصف أي اشتدت قال الشاعر:
- إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيذان نجد ولا يمان ما نرتم^١ .
- ﴿الْمَرْجَمُ﴾ ما ارتفع من الماء فوق البحر، سمي موجاً لاضطرابه ﴿يَتْرَقُّهَا﴾ الزخرف: كمال

أمرناكم بعبادتنا^(١) كقولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحُكْمِ بِهِنَّ﴾^(٢) أي نقول للشركاء للمشركين يوم القيامة: حسبي الله شاهدا بيننا وبينكم ﴿وَلَا تَدْعُوا مَعَ إِصْرِكُمْ مَعْبُودًا﴾ أي ما كنا عن عبادتكم لنا إلا عافيين، لا سعي ولا بصير ولا نعقل، لأننا كنا جعادا لا روح فيها ﴿فَمَا تَتْلُوا مِنْ مِثْلِ مَا تُنْقُلُ﴾ أي في ذلك الوقت تختبر كل نفس بما قدمت من خير أو شر، وننال جزاء ما عملت ﴿وَرَوَّلُوا إِلَى اللَّهِ مَوَلَاهُمْ الْقَبِيلَ﴾ أي رجوا إلى الله تعالى المصنوعي جزاءهم بالعدل والفضيلة ﴿وَصَلُّوا عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي صاع وذهب عنهم ما كانوا يزعمونه من أن الأوثان تشفع لهم، وفي الآية تنكير تشديد للمشركين الذين عبادوا ما لا يسع ولا يصير ولا يغي عنهم شيئا ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْأَرْضَ﴾ في هذه الآيات الأدلة على وسادية الله وربوبية أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من ينزل لكم النخيل وانظروا ومخرج لكم الروح والدمار^(٣) ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْإِنْسَانُ﴾ أي من ذا الذي يملك أسماكم وأسماءكم، التي تسمعون وتصورون بها؟ ومن يستطيع أن يردها لكم إذا أراد الله أن يسلككموها؟ كقولهم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ مَتَاعًا مِنْكُمْ وَلَمْ يَمْسَسْكُمْ بِهِمْ﴾ أي من جرح لإنسان من المنطقة، والغير من الشيعة، والسنطة من الحية، والثبات من الأرض، والدم من من الكافر؟ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْآلَاءُ﴾ أي ومن يدبر أمر الخلائق، ويصرف شؤون الكائنات؟ ﴿فَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ أي فيجرون بأن فاعل ذلك كله هو الله رب العالمين، إذ لا مجال للمكابرة والعناد لعبدية وحرمته ﴿قُلْ أَمَّا تَقُولُ﴾ أي قل لهم يا محمد أفلا تحلقون عقابا ولقمة بإشراككم وعبادتهم غير الله؟ ﴿مَذْكُورًا﴾ أي هذا الذي يفعل هذه الأشياء الخفية هو ربكم الحي، الثابت ربوبيته بوحدياته بالمرءين القاطعة ﴿فَقَدْ جَاءَهُ الْفَتْحُ﴾ أي أُنْشِلَ^(٤) استفتحهم إنكار أي ليس بعد الحق لا الضلال، فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ أي فكيف نصرمون عن عبادة الله، إلى عبادة ما لا يغسل ولا يبرق، ولا يحيي ولا يميت؟ ﴿كَذَلِكَ حَكَّتْ كَيْدَ رَبِّكَ﴾ أي كذلك وجب قضاء الله وحكمه السابق ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي على الذين كفروا عن الطاعة وكفروا وكذبوا ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لأنهم لا يصدقون بوحدياته الله ورسالة ربه، فذلك سفت عليهم كلمة العذاب لثغافوتهم وضلالهم ﴿مَنْ عَلَىٰ مِنْ شَرِّكَائِكَ ثُمَّ يَدْعُوا لِلَّهِ ثُمَّ يَسْتَعِينُ﴾ أي قل لهم يا محمد على جهة الترخيع والتفريع حل من الأوثان والأصنام من ينشئ الخلق من العدم ثم يغيثه، ثم يعيده ويحييه؟ قال الطبري وإنما كانوا لا يعلمون على دعوى ذلك، وفيه الشبهة القاطعة، وبالدلالة الواضحة على أنهم في دعوى الأرباب كاذبون مفترون، أمرهم^(٥) بالجواب^(٦) ﴿قُلْ اللَّهُ يَسْتَعِينُ

(١) تفرطي (٢٣٣)

(٢) هذا ما ذهب إليه الطبري، وقال بعض المفسرين: المراد الرسل والغنيين الذين لا يرشدون أنفسهم بل الهدى ولا أن يرشدوا

﴿وَلَمَّا بَلَغُوا ثُلُوثَهُ﴾ أي والحال لم يأتهم بعد عاقبة ما فيه من العبد ﴿كَذَلِكَ كَلَّمْنَا الَّذِينَ مِنْ ذِكْرِهُ تَتَكَلَّرُ﴾ أي مثل تكذيب هؤلاء كذبت الأمم الخالية قبلهم ﴿فَتَنَزَّلُ كَيْفَ كَانَتْ عَجَبَةُ الْفَلَكِيِّينَ﴾ أي فانظر يا محمد كيف أخذهم الله بالعذاب والهلاك بسبب ظلمهم وعبثهم ، فكما فعل بأولئك يفعل بهؤلاء انتفاعهم الطاغين .

الفلاحة .

١ - ﴿أَسْرَجَ مَكْرًا﴾ تسمية عقوبة الله مكرًا من باب (الاستكارة) .

٢ - ﴿وَتَوَكَّنَ يَوْمَ﴾ فيه الشفاعة من المخطئ إلى الخير وحكمته زيادة التقبيح والنشيع على الكفار لعدم شكرهم النعمة .

٣ - ﴿فَلَقَّبَتِ الْأَرْضُ بُرُوقَهَا﴾ هذا من يذبح الاستمارة شبه الأرض حينما تنزله بالنبات والأزهار بالبروس التي تنبت بالحلل والياب واستعير لفظك البهجة والتضارة لفظ الخزرف .

٤ - ﴿أَتَنَهَا أَمْرًا﴾ الأمر ههنا كناية عن العذاب والدمار .

٥ - ﴿أَتَسَوَّا فَلَاحًا﴾ بينهما جناس الاشتقاق

٦ - ﴿كَانَتْ لَعْنَتٌ وَتَوَفَّيْتُ يَوْمَئِذٍ﴾ فيه تشبيه مرسل مجمل .

٧ - ﴿يَسْأَلُ﴾ . . . ﴿تَمَّ يَسْأَلُ﴾ بينهما ضيق .

٨ - ﴿مَالِي يَوْمَئِذٍ﴾ الاستعارة للتوبيخ ، ومثله ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ؟

٩ - ﴿يَوْمَ يَسْأَلُ﴾ استعارة لطيفة والمراد لما سبقه من التوراة والإنجيل فإنها قد بشرت به .

لطيفة .

يقول شهيد الإسلام (سيد قطب) في تفسيره الضلال : «ف يزال البشر يكشفون كلما اعتدوا إلى مواهب الكون من رزق بعد رزق في السماء والأرض يستخدمونه أحيانًا في الخير ويستخدمونه أحيانًا في الشر حياءً نلهم عقابهم أو لغفل وكلف من رزق الله المسخر للإنسان فمع سطح الأرض أرزاق ومن جوفها أرزاق ومن سطح الماء أرزاق ومن أعماقه أرزاق ومن أشعة الشمس أرزاق ومن هواء اللهب أرزاق حتى حفر الأرض كشف فيه العلم عن نواه وشرياقه»^{١١٤} وصنف الله ﴿فَلَمْ تَرَ يَوْمَئِذٍ مِمَّنْ أَنشَاءَ وَالْأَرْضِ﴾ .

□ □ □

قال الله تعالى ﴿وَمِمَّنْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ فَعَرَّمُوا مِنْ دُونِهِ إِلَى . . .﴾ . أَلَمْ تَكُنْ أَتَقُولُ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاكُفَرُونَ ﴿ . من آية (٤٠) إلى نهاية آية (٧٠) .

الإنسانية : لما حكى تعالى عن الكافرين طعنهم في أمر النور والبرحي ، ذكر هنا أن منهم من يصدق بأن القرآن كلام الرحمن ، ولكنه يكابر ويعاند ، ومنهم من لا يصدق به أصلاً لفرط

عبادته، ومخافة عقله، واختلاف تمييزه. ثم ذكر تعالى أن القرآن شفاء للعاجي الصدور، وأعطيه يدكر مال المشركين في الآخرة.

قُلْعَةً. «الْقَمُّ» جمع أسهم وهو الذي لا يسمع ﴿يَنْ﴾ ليلاً ﴿نَيْمُونُ﴾ يقال أقامس فلان في الحديث إذا اندفع فيه ﴿بَرَدٌ﴾ بحدس وصفب ﴿بُقَالٌ﴾ وزن ﴿سُقُطِرَ﴾ حجة وسريمان ﴿سُبُعَانَةٌ﴾ قذبة للدهجل وعلا عن الناقص.

[illegible]

الشَّوْبَةَ بِمِائَةِ مِائَةٍ يَتَكَذَّبُونَ ﴿١٠٠﴾

الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠١﴾ وَهُمْ عَنْ قُرْبَىٰ يَوْمٍ ﴿١٠٢﴾ أَيُّ وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْتَبِرُ بِإِيهِمْ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ يَوْمٍ هَذَا
الْقُرْآنِ وَيُضَعِّكُ وَيُفْهِمُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴿١٠٣﴾ وَهُمْ عَنْ قُرْبَىٰ يَوْمٍ ﴿١٠٤﴾ بَلَىٰ بِحُجَّتِ عَلَىٰ ذَٰلِكَ وَيَبْعَثُ عَلَيْهِ
﴿١٠٥﴾ وَأَنْتَ أَفْسَرُ يَسْتَعِينُونَ ﴿١٠٦﴾ أَيُّ رَحْمَةِ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ فِيهِدِي، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَهَ فِيضِلْهُ
﴿١٠٧﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ فِي سُورَةِ وَلَكِنَّكَ تَسْأَلُ ﴿١٠٨﴾ أَيُّ رِأْيَانِ تَدْبِكُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فَعَلَّ لِي جَزَاءُ عَمَلِي
وَلَكُمْ جَزَاءُ عَمَلِكُمْ حَقًّا ﴿١٠٩﴾ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَاطِلٌ ﴿١١٠﴾ أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ بِمَا أَفْعَلُ رَأْيًا ﴿١١١﴾ إِنَّا نَسْتَنْوِيكُمْ ﴿١١٢﴾ أَيُّ لَا يُوَاحِدُ
أَحَدٌ بِذَنْبٍ تَأْخُورُ ﴿١١٣﴾ وَهُمْ عَنْ قِتْنَتِهِمْ يَلْزَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَيُّ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ وَقَدْ نُهُهُمْ لَا تُعِي
شَيْئًا مِمَّا نُنْزِلُ، وَتَسْمَعُونَ ﴿١١٥﴾ أَلَمْ تَكُنْ تُحْسِنُ السَّمْعَ ؟ أَيُّ أَنتَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَسْمَعَ مِنْ سَلْبِهِ الْكَلِمَ
الْمُحَرِّجَ ﴿١١٦﴾ وَأَنْتَ أَكْثَرُ مَا يَقُولُونَ ﴿١١٧﴾ أَيُّ وَلَوْ كَانُوا مِنْ النَّصِيبِ لَا يَحْفَظُونَ وَلَا يَنْدَبُونَ ؟ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ :
الْمَعْنَى وَمَنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَسْمَعُونَ قَوْلَ الْمَلِكِ الْحَسَنِ، وَالْقُرْآنَ التَّامَّ، وَكَانَ لَيْسَ أَمْرُهُمْ بِهِمْ إِلَيْكَ،
فَكَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِسْمَاعِ الْأَهْلِ فَكَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ هَذِهِ هَؤُلَاءِ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿١١٨﴾ وَهُمْ عَنْ قُرْبَىٰ
يَوْمٍ يَلْزَمُونَ أَلَمْ تَكُنْ تُحْسِنُ السَّمْعَ ؟ أَيُّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَحْفَظُونَ ؟ أَيُّ وَمَنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَسْطَرُّ إِلَيْكَ وَيُعَايِنُ
دَلَائِلَ نِيَّتِكَ الْوَاضِحَةِ، وَلَكِنَّهُمْ عَمِي لَا يَتَقَرَّبُونَ بِمَا رَأَوْا أَفْكَارًا بِأَحَدٍ تَقْدِرُ عَلَىٰ عَذَابِهِمْ
وَلَوْ كَانُوا تُحْسِنُ الْفُطُوبَ ؟ شَبَّهَهُم بِالنَّحْيِ لِقَاعِهِمْ عَنْ الْحَقِّ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَالْمَعْنَى نَسْنِيَةِ
الْإِنْبِيَاءِ بِمَا لَا يَكُنْ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَحْفَظَ قَوْلَ الْأَهْلِ بِصَوْتٍ يَهْتَدِي بِهِ، فَكَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَقْرَأَ هَؤُلَاءِ
لِلْإِيمَانِ ﴿١١٩﴾ إِنْ أَتَى لَا يَحْفَظُونَ أَفْكَارًا شَبَّاهُ ؟ أَيُّ لَا يَحْتَسِبُ أَحَدًا يَدُونَ ذَنْبَ، وَقَدْ يَنْجَلُ بِسَلْبِهِ مَا لَا
يَسْتَحِقُّهُ ﴿١٢٠﴾ وَلَكِنَّكَ أَكْثَرُ الْمُفْسِدِينَ يَجْهَلُونَ ؟ أَيُّ وَلَكِنَّهُمْ يَظْلُمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْعِصْيَانِ وَمُخَالَفَةِ
أَمْرِ اللَّهِ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَهَذَا إِهْلَامٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَمْ يَسْلُبْ هَؤُلَاءِ الْإِيمَانَ أَبَدًا مِنْهُ بَعْدَ جَرِّهِ
سَلْبَهُ مِنْهُمْ، وَإِنَّ سَلْبَهُمْ ذَٰلِكَ لَذُنُوبٌ أَكْسَبُوهَا، فَحَقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَطْلُعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴿١٢١﴾
﴿وَمَنْ يَحْتَرِفْهُ قَالَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا نَصَحْنَا فِي الْكَفَرِ﴾ أَيُّ لَوْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ نَصِيحَةَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لِلْحَسَابِ كَانَهُمْ
مَا أَقَامُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا نَاصِحَةً مِنَ الْإِيمَانِ، لَوْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ نَصِيحَةَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَتَّبِعُونَ نَصِيحَتَهُمْ ؟ أَيُّ وَهُمْ
بَعْضُهُمْ بِعَضَا كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ تَعَارُفٌ تَوْبِيخٌ وَانْقِصَاحٌ، بِقَوْلِ الرَّاحِدِ لَلْآخَرِ : أَنتَ
الْمُؤْمِنُ وَالْمُفْسِدُ، رَأَيْتَ تَعَارُفَ حُجَّةٍ وَمَوَدَّةٍ ﴿وَلَمْ يَخَيْرَ الْفُؤَادَ كَذَٰلِكَ بِقَوْلِهِ رَأَى كَلَامًا مُتَعَدِّيًا﴾ أَيُّ
لَقَدْ خَسِرَ حَقًّا هَؤُلَاءِ الطَّالِعُونَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَانِيَّتِ الشُّرُورِ، وَمَا كَانُوا مُوقِنِينَ لِلْحَقِّ فِي هَذِهِ
النَّجْمِ ﴿وَلَوْ كَانَتْ رِزْقُهُ يَمُوتُ عَلَى يَدَيْهِمْ لَوْ تَوَكَّلُوا عَلَيْنَا مَا يَرْجِعُونَ﴾ أَيُّ إِنْ أَرَادَكَ يَا مُحَمَّدُ بِبَعْضِ عَذَابِهِمْ فِي
الدُّنْيَا أَنْتَرُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ قَذَافًا، وَإِنْ تَوَكَّلْتَ عَلَيْهِمْ لَيَأْتِيَنَّكَ فِي آخِرَتِهِمْ، وَلَا يَدُ مِنَ الْجَزَاءِ إِنْ
يَا جَدُّ أَوْ أَحَدًا ﴿لَمْ تَكُنْ تُحْسِنُ السَّمْعَ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أَيُّ عَمَّا سَبَّحَاتُ شَاهِدَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَإِحْرَاسِهِمْ
وَمَحَافَظِهِمْ عَلَى مَا أُفْرَفُوا ﴿وَلَكِنَّكَ أَنْتَ تَزْعُمُونَ﴾ أَيُّ وَلَكِنَّ أَمْرًا مِنَ الْأَمْرِ رَسُولُ أَرْسَلُ لِهَدَايَتِهِمْ

الخالق بالعدل ﴿وَمَنْ لَا يُجَاهِدُ﴾ أي لا يظلمون من أعمالهم طبعاً ولا يعاقبون إلا بجرورهم ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الشُّكْرِ﴾ وَالَّذِينَ ﴿إِلَّا كَلِمَةً نَّبِيٍّ لِّلْمَسَامِعِ نَزَّادٍ فِي أَرْكَانِ الْكَلَامِ أَيْ انْتَهَبُوا الصَّامِتِينَ لَكُمْ فَكُنْ وَأَخِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَلِكٌ لَّهُ لَا شَيْءَ فِيهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ هُوَ الْخَالِقُ وَمَنْ أَمَّاكَ﴾ ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ خَرَّ﴾ أَيْ إِنْ رَعِدَ بِأَمْرِهِ الْمَرْءُ حَتَّى قَاتَرَ لَا مَحَالَةَ ﴿وَلَكِنْ أَتَيْنَاهُم بِمَا يَفْخَحُونَ﴾ وَتَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لِقَاصِرِ عَقُولِهِمْ وَتَسِيلاً لِّلْعَقْلِ عَلَيْهِمْ لَا يَعْنُونَ ذَلِكَ وَيَقُولُونَ مَا يُنْزِلُونَ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أَيْ هُوَ مِيحَانُهُ حَسْبِي وَالْعَصْبُ وَإِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ فِي الْآخِرَةِ فَيُجَادِبُكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ﴿يُنَاقِشُ الذُّرُوقَ مَا دَلَّتْكُمْ نَوْعُهُ ثُمَّ يَنْزِلُ﴾ عَطَابُ لِحَمِيمِ الْبُشْرَى قَدْ حَادَّكُمْ هَذَا الدِّانُ الْعَلِيمُ الَّذِي هُوَ مَرِيعَةٌ لَّكُمْ مِنْ خِلَافَتِهِ ﴿وَيُنَزِّلُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرَهُ﴾ أَيْ يَنْقِي مَا فِيهَا مِنَ الْمَلَكِ وَالْجَهْلِ ﴿وَيُنَزِّلُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرَهُ﴾ أَيْ وَمَدَايِجَ عَنِ الْفَلَالِ وَرَحْمَةً لِّأَهْلِ الْإِبْدَانِ فَإِنَّ صَاحِبَ الْكُشْفِ أَنْصَحَنِي قَدْ جَاءَكَ كِتَابُ جَمَاعَةِ الْهَادِ الْعَرَالِدِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الْمَوْعِظَةِ وَالنَّبِيَّةِ عَلَى لِسَانِ حَبِيبٍ وَدَاءِ الصُّدُورِ مِنَ الْغَفَاةِ الْفَاسِدَةِ وَدَعَا إِلَى الْحَقِّ وَرَحْمَةً لِّعَمَلِ آمَنَ بِهِ مِنْكُمْ ^١ ﴿قُلْ بَعْضُ دِينِكُمْ يُرْثَقُ وَبَعْضُهُ يَنْفَرُ﴾ قَالُوا بَلْ عِبَادُ نَفْسِ الْبَدَا أَشْرَافُ وَرَحِمَةُ الْإِسْلَامِ ^٢ وَالْمَعْنَى يَحَرِّمُ هَذَا الَّذِي حَامَاهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ لَفْظٍ وَوَاسِلٍ فَإِنَّ أَوَّلَى مَا يَفْرَحُونَ بِهِ ﴿قُلْ مَا يَرَى رُؤُوسُكُمْ قُلُوبُكُمْ﴾ أَيْ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْمَدُونَ مِنْ حُجْمِ الدِّينِ وَمَا يَرَوْنَ مِنْ أَوْرَاقِهِ أَعْمَالِهِ وَالنَّجْمِ الرَّائِلِ فَإِنَّ الدِّينَ بَدَّ بِهَا لَا تَسَاوِي خِطَابُ بِمَوْجِئَةٍ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ﴿قُلْ أَزِيدُكُمْ قُلُوباً أَمْ أَتَقْتُلُكُمْ قُلُوباً﴾ هَذِهِ لِكَيْفَارِ الْعَدَبِ وَالْمَعْنَى أَنْصَحِيهِمْ بِأَيْهَا الشُّرَكَاءُ عَمَّا خَلَفَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ فَرْزِ الْحَقِّ ^٣ تَنْفَضُّ عَنْ رُؤُوسِكُمْ أَيْ مَحْرَمَتُهُمْ مَعَهُ وَحَلَّتْهُ بَعْضُ كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّابَةِ وَالْجَنَةِ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَتْ بِكَوْنِهِ عَلَى الْمَشْرُوكِ لِيُعَا كَامُوا يَحْمِلُونَ وَيَحْمِلُونَ مِنَ الْمَنَافِرِ وَالْمَوَاقِبِ وَالْحَدَثِ وَالْأَعْمَالِ ^٤ ﴿قُلْ دِينُكُمْ كُنْتُ أَعْلَى ثُمَّ تَقُولُونَ﴾ أَيْ دِينُكُمْ هُوَ مَجْرُودٌ أَفْتَرَاهُ وَبِهَذَا عَلَى ذَوِي الْعِزَّةِ وَالْحَقِّ ^٥ ﴿وَمَا عَلَى الْيُتْرَاقِ تَقُولُونَ﴾ قُلْ أَمْ تَحْكُمُونَ بِمِثْلِ الْحُكْمِ أَيْ وَمَا تَقُولُونَ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ يَنْخَرُصُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَحْمِلُونَ وَيَحْمِلُونَ مِنْ نَفْسِهِمْ أَنْصَحِيهِمْ أَنْ يَحْكُمُوا بِمِثْلِ يَوْمِ الْغِيَاةِ؟ كَلَّا بَلْ سَيُصْلِحُهُمْ حَبِيبُهُمْ وَهُوَ رَعِيدٌ شَدِيدٌ لِّلْمَقْتَرِبِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ كُنَّا قُلُوبَنَا فِي شَأْنٍ﴾ أَيْ لَدَى إِنْصَاعٍ عَظِيمٍ عَلَى الْعَدَاةِ حَتَّى رَحِمَهُمْ بِتَرْكِ مَعَاجِلَةِ الْعَذَابِ وَبِالْإِنْعَامِ عَنْهُمْ بِعَذَابِ الرَّسُولِ وَإِبْرَالِ الْكُتُبِ ^٦ وَيَكُنْ أَلْفُفَةً تَمْشُكُونَ ^٧ أَيْ مَا يَشْكُونَ النَّعَمَ بَلْ يَجْحَدُونَ وَيَكْفُرُونَ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ بِالْخَطَابِ كَالرَّسُولِ ^٨ أَيْ مَا تَكُونُ يَا مَسِيدُ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ وَلَا تَحْمِلُ مِنَ الْأَعْمَالِ ﴿قُلْ تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ وَأَنِصِحُوا

^١ أَوَّلُهُمْ وَمَعَانِيهِمْ مَا تَوَقَّعُوا نَوَافِلَهُمْ يَتَقَرَّبُونَ عِلَاقَتَهُ كَمَا لَا يَحْرُسُهَا إِلَّا بِمَنْ يَتَقَرَّبُ لِحَدِيثِهِ لَا يَكُونُ

يَسِيرُ بِكَلِمَةٍ وَيَعْرِضُ بِمَنْهَجٍ جَانِبًا

^٢ الْإِسْلَامُ (٢/٥٦٢)

^٣ الْإِسْلَامُ (٢/٥٦٢)

^٤ الْإِسْلَامُ (٢/٥٦٢)

^٥ الْإِسْلَامُ (٢/٥٦٢)

^٦ الْإِسْلَامُ (٢/٥٦٢)

^٧ الْإِسْلَامُ (٢/٥٦٢)

^٨ الْإِسْلَامُ (٢/٥٦٢)

نقرأ من كتاب الله شيئاً من القرآن ﴿وَلَا تَقْرَأُوا مِنْهُ خَرَأً﴾ أي ولا تعملوا أبهاً للناس من خسر أو شر ﴿إِلَّا سَكَنَ بِكُمُ الشُّعُورُ إِذْ تُبْعَثُونَ يَوْمَ﴾ أي إلا كما شاهدتم رقباء، نحصى عليكم أعمالكم حين تشفعون، وتخوضون فيها ﴿وَمَا بَقَرْتُ مِنْ ذَنْبٍ﴾ أي ما يعيب ولا يهين على الله ﴿فَمِنْ شَرِّ مَا دَلَّ عَلَى الْإِثْمِ وَلَا فِي الشُّكِّ﴾ أي من وزن هامة أو تعلقة صغيرة في سائر الكلمات، أو العوارج، دار، ﴿وَلَا لِحُصْنٍ مِنْ دُونِهَا أَقْبَرُ وَلَا فِي كَيْفِ شَيْءٍ﴾ أي ولا أصغر من الدعة ولا أكبر منها إلا وهو معلوم لدينا ومسجل في اللوح المحفوظ قال العنبري: والآية غير من تعالى أنه لا يخفى على أحد من الأشياء وإن خفى في الوزن، ولا أكبرها ولا عظم في الوزن، فليكن حكمكم أبهاً للناس فيسارعوا إليكم، فإنما محصورها عليكم ومجازوكم بها^(١) ﴿أَلَا إِنَّكُمْ لَعِندَ اللَّهِ لَا تَخَافُونَ رَبَّهُمْ وَلَا تَهْتَفُونَ بِهَيْبَتِهِ﴾ أي تنهوا، أبهاً للناس واعلموا أن أحبب الله وأوليائه لا خوف عليهم في الآخرة من عذاب الله، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا، ثم يبيّن تعالى هؤلاء الأولياء فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي الذين صدقوا الله ورسوله، وكانوا يتقون ربهم باعتبار أولادهم، واجتناب نواحيه، فالرؤي هو السوس النقي وفي الحديث: إن لله عبداً هم أبناءه ولا شهاده، يقطبهم الآتياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله، قالوا: أخبرنا من هم؟ وما أعمالهم؟ فنعنا نحبيهم. قال: اسم قوم تحابوا في الله، على غير أحوالهم، ولا أموال يدعوا لها، فوالله إن وحدهم نور، وإنهم لمضى من نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ: ﴿أَلَا إِنَّكُمْ لَعِندَ اللَّهِ لَا تَخَافُونَ رَبَّهُمْ وَلَا تَهْتَفُونَ بِهَيْبَتِهِ﴾ أي لا يخشون الله، حيث بشرهم الله بالجنة^(٢) عند الاحتضار برضوان الله ورحمته، وفي الآخرة بجنات المنعم والمغور العطيع بقوله: ﴿إِنَّ الْفِرَّةَ قُلُوبُ رَبِّكَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْهَمُوا فَعَلَمُوا أَنَّهُمْ قَسَتْ رَيْبُكَ أَفْرِغُوا مِنْهُمْ وَأَقْبَرُوا وَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ لَعِنَةٌ﴾ أي لا تعلمون أنكم لعنة لا تخشون ربكم، ولا تخشون الله، ولا تخشون ربكم، أي لا يحزنون ولا يؤسفكم يا محمد تكذيبهم لك وقولهم: لست بشيء مرسلاً، ثم ابتلى تعالى فقال: ﴿فَمِنْ شَرِّ مَا دَلَّ عَلَى الْإِثْمِ وَلَا فِي كَيْفِ شَيْءٍ﴾ أي القوة الكاملة، والخلة الشاملة، لله وحده، فهو ناصركم ومأمرك ومعييت، وهو الصغرى بالعزة يستحب أوليائه، ويستحب أعداءه ﴿فَهُوَ أَلْفَيْتُ الْفَيْتُ﴾ أي المصحح لأفوالهم، فاعلم بأعمالهم ﴿أَلَا إِنَّكُمْ لَعِنَةٌ وَمَنْ فِي الشُّكِّ مِنَ الْإِثْمِ﴾ أي الجميع له سبحانه عبداً وملكاً وخلقا ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الْفِرَّةَ يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ أَمْرِ شَرِّكَ﴾ أي وما يتبع هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله كلمة على الحقيقة، بل يظنون أنها تشفع أو تمنع، وهي لا تسلك لهم خيراً ولا نصراً ﴿فَمِنْ شَرِّ مَا دَلَّ عَلَى الْإِثْمِ وَلَا فِي كَيْفِ شَيْءٍ﴾

(١) الطبري (١/١٧٢).

(٢) الطبري (١/١٧٢).

(٣) ذهب بعض المفسرين إلى أن البشارة في الدنيا هي (مروءة الصالحة) التي يراها المؤمن أو ترى له، وقد ورد ذلك في حديث أخرجه المصنف، وأما العنبري أن البشارة تكون بالرويا الصالحة ومثيرة للملائكة عند الموت

١٠ - ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا شَيْءٌ لَهُ﴾ استفهام توبيخ وتفريع.

فلاندة

أمر تعالى رسوله ﷺ بالحلف في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم في هذه السورة ﴿قُلْ إِيَّايَ رَبِّي أَنُفَعُ﴾ وفي سورة مآ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا فِتْنَةٌ قُلْ عَلَىٰ رَبِّي نَتَّخِذُكُمْ﴾ وفي سورة النحل ﴿رَبِّمُ الَّذِينَ كَفَرُوا قُلْ لِي بِمَثَلٍ قُلْ عَلَىٰ رَبِّي نَتَّخِذُكُمْ﴾ ذكره ابن كثير.

تعبية

كلعة ﴿أَتَقُولُونَ﴾ تستعمل بمعنى الاستفهام من الرؤية البصرية أو العلمية وهذا أصل وشيها ثم استعملت بمعنى (تخبرني) فيقولون : أ رأيت ذلك الأمر أي الحربي عنه ، والرؤية إما بصرية أو علمية والتقدير : ألبصرت حالته العجيبة ، أم أعرفت أمره للعجيب ؟ فأخبرني عنها ، ولذا لم تستعمل في غير الأمر العجيب . ﴿أَتَقُولُونَ أَنِّي نَتَّخِذُكُمْ﴾ * ﴿أَتَقُولُونَ أَنِّي نَتَّخِذُكُمْ﴾ * وحكا

٦ ٦ ٦

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا نُوحًا﴾ إلى . رَأَىٰ نَحْنًا سَبِيلَ الْوَيْتِ لَا يَمْلُؤُونَ . من أية (٧١) إلى نهاية آية (٨٩) .

المناسبة : لما ذكر تعالى الفتن الدالة على وحدانيته وذكر ما جرى بين الرسول ﷺ وكفار مكة ذكر هنا بعض قصص الأنبياء نسبة للرسول ﷺ ليناسي بهم فيهلك عليه ما يفقه من الشدائد والمكائد وقد ذكر تعالى هنا ثلاثة قصص :

١ - قصة نوح عليه السلام مع قومه

٢ - قصة موسى وهارون مع الطاغية فرعون .

٣ - قصة يونس مع قومه وفي كل قصة عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن تدبر .

الدخلة ﴿كَمْ﴾ قال الواحدي : كبر بكسر كـ راء في المصنوع ، وكبر الأمر والشئ بكبر كبراً وكداوة إذا عظم ﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ الإجماع : الإعداد والمزينة على الأمر وأشد الفراء :

بأ ليت شعري والسمي لا يتفهم حل أعلون يونا وأمري مجمع

﴿عَفَا﴾ ميمتا من قولهم عفا عني الهمال فهو مغموم إذا التبس واستمر قال طرفة :

لعمرك ما أمري علمي بنعمة نهارى ولا ليلتي علمي بمرمد

﴿نَطْلُحُ﴾ نختم ، ننهنا ، نبرتنا ونلوينا واللفظ : انصرف عن أمر وأصله التلي بقا فقت عتفه إذا لواها ﴿أَتَجِدَنَّاهُ﴾ العظمة والملك والسلطان ، عال ، عات متكر ، ﴿أَتَجِدَنَّاهُ﴾ المنجد وزين الحد في الضلال والظنانيان ﴿أَتَجِدَنَّاهُ﴾ العظمى : المسخ قال الزجاج ، طمس الشيء إذا بهاه عن صورته ومنه عين مطموسة .

[illegible][illegible]

تَبَيَّنَ يَمَنُ قَوْمِي الْقَهْقَرَى أَي قاصروا واستمروا على تكذيب نوح فتجابه ومن معه من المؤمنين في السفينة «وَمَنْ تَبَيَّنَ شَيْئًا» أي جعلنا من معه من المؤمنين سكان الأرض وحلقا من غرق «وَالْمَرْءَ الْيَمِينُ كَذِبًا يَكْذِبُ» أي اعرفوا المكذبين ببطوفان «مَنْ تَبَيَّنَ كَذِبًا كَانَ نَيْفًا لِقَوْمِهِ» أي نظر يا محمد كيف كان نهاية المكذبين لرسلهم؟ والغرض: تسلية لرسول ﷺ والتحذير لتكفار مكة أن يحل بهم ما حل بالسابقين «ثُمَّ نَفَخْنَا مِنْ نَفْوِهِمْ وُشْلًا إِنْ قَوْمُهُ» أي أودعنا من بعد نوح رسلا إلى قومهم يعني هودا وصالحا ولوطا وإبراهيم وإسماعيل «فَعَاوَنَهُمْ بِآيَاتِهِمْ» أي بالمعجزات لتواضعات «فَمَا كَانُوا يَتَّقُوا يَا كَذِبُ» أي ما كانوا يصدقوا بما جاءهم به الرسل، ولم يزرهم عقاب السابقين «كَذَلِكَ نَفْخُ عَلَى الْفَاسِقِينَ» أي كذلك نختم على قلوب السجودين الحد في الكفر والتكذيب والعناد «فَلَمْ يَتَّقُوا يَا قَوْمِمْ ثَوْبِي وَمُتْرُوكِي إِنْ يَرْجَوْا وَيَمْنَهُ» أي بعثنا من بعد أولئك فرسل وألهم موسى وهرون إلى هرون وشراة قومه «يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ» أي بانيهم والمعجزات الباهرة، وهي الآيات التسع المذكورة في سورة الأعراف «فَمَا تَكْفُرُوا وَأَنْتُمْ قَوْمٌ تُخْفِرُونَ» أي تكبروا عن الإيمان بها وكانوا مفسدين، ثمود الإجراء وارتكاب الذنوب العظام «فَلَمَّا سَاءَ مَا يَمْكُنُ مِنْكُمْ فَأَوَّلًا إِلَى هَذَا بُعِثَ شَيْئٌ» أي فلما ساء نهم لحق الذي جاءهم به موسى من اليد والمعصاة قالوا لفرط غرورهم وعنادهم: هذا سحر ظاهر بين أراد به موسى أن يحررنا «فَالْحَقُّ أَقْدَرُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» لاستفهامهم لغير تكار والتوبيخ أي أقولون عن هذا الحق إنه سحر؟ ثم انكر عليهم أيضا باستفهام آخر «أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي حَسَبْتُمْ بِهِ؟» «وَلَا يَخْلُجُ أَتَشْكُرُونَ» أي والحال أن لا يفرج ولا ينجع السامعون «فَلَمَّا أَتَيْنَا أَهْلَنَا فَأَمْرًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعُوا أَنَدَاءَهُمْ» أي ادعوا أصواتهم من الآباء والأجداد؟ «وَنَكُونَ لَكُمْ الْكَافِرِينَ فِي الْأَرْضِ» أي يكون ذلك لأخيت هارون العظيمة والملك والسلطان في أرض مصر «وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِشَيْئٍ» أي ونسأ بعضدين لكما في اجتماعه «وَقَالَ يَرْجُوا لِقَائِي يَكُنْ لَكُمْ سَعِيرٌ غَلِيمٌ» أي اتقوني بكل ساحر ساحر، غليم مفترق السحر «فَلَمَّا سَاءَ أَتَشْكُرُونَ قَالَ لَهُمْ ثَوْبِي ثَوْبِي أَفَلَا تَتَّقُونَ» في الكلام معذرة تقديره فأمره بالسحر فلما جاءوا قال لهم موسى الفؤاد أنهم ملغوز من جبالكم وعصبيكم «فَلَمَّا كُنْتُمْ قَوْمٌ تُؤْمِنُونَ يَكْفُرُونَ» أي ما جئتم به الآن هو السحر لا ما اتهمتموني به «إِنْ تِلْكَ سِجْنَةُ اللَّهِ» أي سجنه وسيد به ويظهر بطلان الناس «إِنْ أَتَاكَ لَا يَخْلُجُ قَوْمٌ الْفَاسِقِينَ» أي لا يصلح جعل من معنى الفساد «وَيَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ» أي يثبت الله الحق ويغويه بجمعه ويراعيه «وَلَوْ كُنْتُمْ بِرُؤْيَايَ» أي ولو كره ذلك، النجوة للكافرين «فَمَا دَأَى يَوْمِي إِنْ دُرِّيَتْ» أي فما آمن مع موسى ولا عمل في دمه، مع مشاهدة تلك الآيات الباهرة إلا نفر قليل من أولاد بني إسرائيل قال سبحانه «هم أولاء الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم» «عَلَى حُجُوتِي يَرْجُونَ

١١ والخبر لإمام الجلال أن العلاقة التي آمنت موسى هم من أن فرعون وما ذكره هو احتياط لطيف والجمهور روهه لأرجح.

عباس : كان النهر يبيع حريصاً عمر إيمان جميع الناس ، فأخبره تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبغت له المصعدة في الذكر الأول ، ولا يفضل إلا من سبغت له الشفاوة في الذكر الأول^(١) ﴿وَمَا كُنْتَ بِنَبِيٍِّّ﴾ أي مؤمراً ، ﴿إِلَّا بِرِزْقِ اللَّهِ﴾ أي ما كان لاحد أن يؤمن إلا بإرادته تعالى وتوفيقه ﴿وَيُخَوِّضُ الرِّجْسَ عَلَى الْغُرُبَةِ﴾ أي ويجعل العذاب على الذين لا يتدبرون آيات الله ، ولا يستعملون عقولهم فيما ينفع ﴿فَلْيَنْظُرُوا مَكَادِ السُّجُودِ وَالْأُجْمِ﴾ أي قل يا محمد نهؤلاء الكفار : انظروا انظر تفحصوا ، ما الذي في السموات والأرض من الآيات الدالة على وحدانيته وكعاقب قدرته سبحانه ؟ ﴿وَلَا تُلْهِمِ الْقَلْبُوتَ وَتَلْذُرْ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وما تنفع الآيات والإنذارات قوماً سبق لهم من الله العقاب ﴿فَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ أي لم ينظروا في آثار القوي عزاً من قهره ؟ أي فهل ينظر منكم مكة إلا مثل أيام أسلمهم ، وما حل بهم من العذاب والهلاك ؟ ﴿فَلْيَنْظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ يَوْمَ السَّعِيرِ﴾ أي فل لهم يا محمد ، انظروا عاقبة البغي والكذب أي من المستنظرين ملاحكم وعذابكم ﴿فَلَمْ يَتَّبِعْ رَسُولُكَ وَمَا أَتَاكُمْ﴾ أي ثم إذا مؤل العذاب بالمتكذبين نجس الرسل والمؤمنين بوجه ، مثل ذلك الإنجاء ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا﴾ أي حقاً ثامناً جلبنا من عبر شك قال الربيع بن أنس : خولهم عذاب ونعمته ، ثم أخبرهم أنه إذا وقع من ذلك أمر شئ الله رسوله والدير آمنوا رسوله^(٢) ﴿فَلْيَنْظُرُوا إِلَى النَّاسِ إِلَى كَيْفٍ وَبِغْيِهِمْ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك إذ كنت في شك من حقيقة ديني وصحتي ﴿وَلَا تَجْعَلُ الْقَبْرِ قَبْرًا لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي فلا أعبد ما تعبدون من الأوثان والأصنام التي لا تنفع ولا تضر ﴿وَلْيَكُونِ الْقَبْرِ لِلَّهِ يَوْمَ تَكُونُ﴾ أي ولكنني أعبد الله الذي يترعاكم ، ويبدع سبحانه ومساكنكم ، قال الطبري : وهذا تمريض ولحبر من الكلام لطيف ، وكأنه يقول ، لا ينبغي لكم أن تشكوا في ديني ، وإنما ينبغي أن تشكوا في عبادة الأصنام التي لا تعقل ولا تضر ولا تنفع ، فاما إلهي الذي أعبد فهو الذي يقبض الخلق ويوسع ويضيق^(٣) ﴿وَلْيُرْزَقَ لِّهُ الْكُوفُ مِنَ الْقَوْبِ﴾ أي وإن ما مور ياك كرون مؤمناً سر حقاً أنه لا أشرك معه غير ، ﴿وَلَا تَجْعَلُ الْبَقِيَّةَ لِلَّهِ حَبِيبًا﴾ أي وأمرت بالاستقامة في الدين ، على الحبيبة السبعة ملة إبراهيم ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي ولا تكونوا ممن يشرك في عبادة ربه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ تأكيد للهي المذكور أي ولا تعبد غير الله مما لا ينفع ولا يضر كالآلهة والأصنام ﴿فَلْيَنْظُرُوا إِلَى الْآيَاتِ الْكُوفِ﴾ أي وإن عبيد تلك الآلهة السزومة كنت ممن ظلم نفسه لأنك عمر صنمها العذاب ، الله ، والخطاب هنا للرسل يبيع والمراد غيره كما تقدم ﴿وَلْيَنْظُرُوا إِلَى بَشَرٍ لَا ضَرَّ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ أي وإن أراد الله إصابتك بضر فلا تافع له إلا هو وحده ﴿وَلْيَكُونِ يَوْمَ تَكُونُ الْقَبْرِ وَلَا تَكُونُ الْقَبْرِ﴾ أي وإن أراد إصابتك بسعة أو رداء فلا يمنعه عنك مانع ﴿يَغِيثُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ جُنُودِهِ﴾ أي يصيب بهذا الفضل والإحسان من شاء من العدد ﴿وَقَوْلُهُ أَتَدْعُونَ

وجهه الدافئ، مشقة أومر، مشقة ٢٩

كلام ابن القيم حول أمثال نفوس ١٠

قصر في التفسير بقوله تعالى ﴿وَقَدْ أَتَىٰ يَوْمَهُمْ﴾ ١٠

ولم يقل: بل هو ١٠

قصر في جمع المفعول ونوعه الدور ١٠

الأكل والبرهان على وجوبه وبه تخلص ١١

كلام الإمام المصاوي حول كروية الأرض ١١

وجوه إعجاز القرآن الكريم ١١

قصر في شرحه، وشروحه، وبيانه ١٢

عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن ١٣

كلام الساعاتي ابن كثير في إعجاز القرآن ١٣

قصر على شهادات المشركين ١٤

كلام غريب الطرآن الأمثال سائيب ١٤

والكثير ١٤

كلام من إشارات الأمثال في القرآن ١٤

خلق آدم وخلقه في الأرض ١٤

الحكمة من أمر نملانية بالبحر لأدب ١٤

لطيفة هل لأليس زوجة؟ ورد النعمي على ١٤

المؤمل ١٤

سجود نملانية لأدب سجود نحية وتكريم ١٤

التعريف في أن ليس لم يخس من نملانية ١٤

من هو إسرائيل؟ ١٤

قصر في عهد التعم وخبره ١٤

قول علي: اعظم طمري رحلانا ١٤

سبب قتل الزكوري من بني إسرائيل ١٤

ما هو البحر الذي نبع منه الماء؟ ١٤

قصة البقرة ومعجزة إعلاء العرب ١٤

في سورة البقرة ذكر إحياء نبوت في حصة ١٤

مواضع ١٤

الشعرية ذكرهم لأن نوحان ١٤

الفهرس

تأريخ لطائف من كتاب الطهارة ٢٠

كلمة سماحة شيخ الأزهر ٢٠

كلمة سماحة رئيس مجلس القضاء الأعلى ٢٠

كلمة سماحة شيخ أبي الحسن المدني ٢٠

كلمة مدني مدير جامعة الملك عبد العزيز ٢٠

كلمة فضة عند كلمة الشريعة ٢٠

كلمة فضة حبيب المسجد الحرام ٢٠

كلمة مبررة وتر في الدعاء ٢٠

مقدمة المؤلف الشيخ محمد علي الصابوني ٢٠

طريقة التذلل في حقبة الفلاس ٢٠

١ سورة القاتحة ٢٠

الحكمة من فتاح السور باسم الله الرحمن ٢٠

براهيم ٢٠

مقاصد الأساليب لسورة النعمة ٢٠

فضل سورة القاتحة ٢٠

وجوه النقص في القاتحة ٢٠

الأدب الفندية في قاتحة الكتاب ٢٠

٢ سورة القاتحة ٢٠

مقاصد الأساليب سورة القاتحة ٢٠

إذا كانت سورة البقرة ٢٠

فضل سورة البقرة ٢٠

سورة من افتتاح بعض السور المحروقة ٢٠

المنفعة ٢٠

المقام من إلى مؤمنين، وكافرين، ومذنبين ٢٠

أوصاف المؤمنين كفاية ٢٠

أوصاف الكافرين ومذنبهم في الآخرة ٢٠

صفاته المتأقن الشعة ٢٠

سورة الأمثال لتبليغي ٢٠

بان من الفرق لخدمة الصلوات والتفاني ٢٠

- فسه عزه اليهود على نثر كرمون بالشم . ٧٢. قصة أبي الدجاج في تحذره بيسه . ١٤٩
 -- بعض اليهود لجأ إلى عليه السلام . ٧٩. تفسير ابن عباس بنكريس بأنه لغيم . ١٥٥
 السر في التفسير بين ﴿أَنْزِلْ يُنَزِّلُ﴾ و﴿وَرَزَّ﴾ . ٨٠. ماله الله مؤامراً وكفراً . ١٦٢
 ﴿يُنَزِّلُ﴾ . ٨١. سزال، شغليل عن كيفية لإحياء قبـت . ١٦٢
 الحكمة من تعيد المفكين البحر الحشر . ٨٢. للشك . ١٦٢
 وزود لهم ﴿بِالْبَقِ الدِّينِ أَدَوُ﴾ من ثمانية سزال عن للسحبة عن معنى أده . ١٦٦
 وأربعين مؤلفاً من الفرق . ٨٥. قول بعض الحكماء: إذا اصطفت المعروف . ١٦٦
 معنى إسلام نوحه لله تعالى . ٨٧. طمسه . ١٦٨
 تعريه لغره . وفاق حمى تدعى . ٩٠. لغيم أوامان، كسئ ورهي . ١٧٥
 التكتلات التي أصدر الله بها إبراهيم . ٩٣. سورة كه حمى . ١٧٧
 أنزل في تقبل آيت خبث . ٩٣. أحسن ما قيل في المنشاء والملك . ١٨١
 تفسر من معنى ﴿وَلَا تَقُولُ إِلَّا وَاكُ﴾ مؤلف وهو لاسر عباس عن المنشاء في . ١٨١
 ﴿يُنَزِّلُ﴾ . ٩٤. القرآن . ١٨١
 لحكمة من تحويل الفيلة . ٩٥. مادة في تخصيص الأسعار بالتمديد . ١٨٥
 الحكمة من تكرر الأمر بتقيل القبلة . ١٠٢. اطعم في المداورة من العمل والعلم . ١٨٥
 ما هي أصناف الثلاثة في التمديد . ١٠٢. كرامات الأولياء والأقلاء عليها . ١٩٤
 معنى الأربع شعوب التباعد . ١٠٢. سزال الحيد عن مكر الله وحسنه اللطيف . ٢٠٢
 فائدة عامة في سحر شجر من ناحية حسن لا تحمل أمثال قول الدعاء إذا أودا الحزف . ٢٠٧
 بيان من قوله ﴿وَأَنْزِلْ لِي قُرْآنًا مِنْ جِبْرًا﴾ . ٢٠٦. قصة قتال من قبيل اليهودي وما نزل في . ٢٠٦
 أنزل في القرآن فقال بكلمة في سأل الله . ٢٢٢. الأصغر بعدد عدد الله . ٢٢٢
 الحكمة من استجابة بين ﴿قُلْ﴾ و﴿فَصَلِّ﴾ في . ٢٢٢. النفس من الاستغفار في الاستسار لا في . ٢٢٢
 أجوبة الأسئلة . ٢٢٢. الفروع . ٢٢٨
 أمضى الله حاج الإفناء بسوء من التهلكة . ٢٢٢. المقصود بالانقضاء المضاعفة في الربا . ٢٢٢
 نفرق بين ذلك النساء إذا لا مرة . ٢٢٨. أصل الآخر يعني لها المدونة . ٢٢٨
 سدا ذات البحر أو العيشة . ٢٢٨. قصة كسر بين منصر رضي الله عنه . ٢٢٨
 ما هي المصاع في البحر وأمسره . ٢٢٩. حواء، كس، في عود أحد . ٢٢٩
 أول حجب كان في الإحرام . ٢٢٩. محمد بن بحر المكارم والخصائر . ٢٢٩
 الحكمة من إجبار المنة . ٢٢٩. احسان قول التزمين . ٢٢٩
 قصة تبيع الحسن بن علي زوجة . ٢٢٩. لو كس عند اختم وأموال الحيلة . ٢٢٩
 التفسير أن الصلاة الوسطى هي العصر . ٢٥٠. قصة أبي بكر مع فخر بن . ٢٤٠

- أعجب ما رأته عائشة من رسول الله ﷺ ٢٤٩ السير، صفراء، الحميم، الجارية ٣٠٦
- ٤ - سورة يساء ٢٤٩ سيد عام شقيقين بين العاق والكنز ٣٠٦
- كلغة الصفة عون، تعدد الزواجات في الإسلام ٢٥٤ الرد على هؤلاء الخصماء، من زعمهم صلب
- استنباط يديم من امة مؤيدية الله لا الصبح ٣١٠
- أول حاكم ٢٥٧ سخر ك الصبح عيسى بن مريم من روح الله ٣١٤
- من الكتاة عن ابيج بالافضاء كذ وفتح ٢٦٠ قصة طبيب اعمالي، واطارنه المرافدي ٢٦٥
- سوى عمر عن المحدثات في اليهود ودة امرأة ٥ - سورة العائشة ٣١٩
- عليه ٢٦٠ قصة آة اسوة، لكنني عدي عام من معارضة
- ذات فاضل اذ كنه الشيعة في النعمة ٢٦٥ القرآن ٢٦٩
- لا عبدة مع استعظم ولا صخر مع يصرز ٢٦٥ فطارق من العدا الجدي والاذن ٢٢٣
- نعمه سعد بن الربيع مع امرئته حية ٢٦٦ قصة اليهودي مع عمر من الخطاب، وفضل آية
- نزل في ذكر الإصلاح دون التبرير ٢٧٠ من القرآن ٢٦٢
- كلغة الصفة حرب ذوب النساء ٢٧١ قدر من زعم حلول الله في الصور من جهك
- لا يبادر والإعجاز في تحرير لغزهم ٢٧١ المروية ٢٢٦
- قصة يساء عشتار من طمحة صاحب مفتاح ٢٧١
- لكمة ٢٧١ المظنة ٢٢٩
- قصة عشتار واليهودي وما نزل فيه ٢٧٧ استنباط دقيق من القرآن أن تعذيب لا يمتد
- نزل الصفة: كما في عز ونحي مشوكوك قلعة حية ٢٢٩
- نزل مرة أمة ١ ٢٨١ قصة ذليل وعالين وسب نزل ذليل لأخيه ٢٢٩
- المؤيد بين أيدي الحنة والسب ٢٨٤ عفوة قطع الطريق والرهط من عربة كذيب
- الحذر، الصفة في نزل السافس ٢٨٨ فغو رامي النبي ﷺ ٣٢٩
- لعادة، نهض بين حضارة الإسلام والحضارة ٢٩١
- المرأة ٢٩١ سحر السحر من الأرض وهل يمدل فيه
- قصة الصدام من اليهود من ابيج رضى الله ٢٩١
- ٢٩١
- قصة ضمة بن لوى وصاحته المافس ٢٩٦ الساري ٣٢٩
- نفاخر المسلمين ونفاخر أهل كلاب ٢٩٧ كلفة وجودة نسل - لكمة الشريم من قطع
- الحذل بين ساء الذي امر به الإسلام ٣٠٤ اليه ٣٣٤
- سعى آية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ٣٠٦ قصة اليهودي الذي رمى وركبه ابراهيم
- سواء جهنم اسمة اجهد، غنى، المظنة، فيه ٣٣٥

٥٠١. السادة الثلاثة في السجدة من التسعة استلوه التي بين وأصحبه في أسرى بدر ٤٩٩
 ونسبهم؟ ٤٧٢. أحمد زكري في بكر وما نزل من الكتاب ٤٩٩.
 الحكمة في إسماء السبعة من العباد ٤٧٢. قصة أسير القمباني بمعدنة وامرأته
 التحقيل فلعلى في آية ﴿إِنشِرْكَوْا مَا كُنَّا بِمُؤَيَّدِيكُمْ﴾ في إسماءه بعد قتاله لأوجه أم
 وَكَوْا بِمُؤَيَّدِيكُمْ﴾ وقصة آدم وحواء ٤٧٤ الفصل ٥٠٠
 قصة إسلام معاذ بن جبل ومعاذ بن الحذاف ٥٠١ سورة البراءة ٥٠٥
 وتكبير حبه لأسماء المسلمين ٤٧٤ سورة لقمان كتبت أسرار المانقين ٥٠٦
 الأدلة على عطلان عبادة الأصنام والأولاد ٤٧٤ التمر في عدم وجود البسالة فيها ٥٠٦
 كيف يدع الإنسان عنه ذنبه العظيم؟ ٤٧٢ أسماء سورة لقمان أربعة عشر أصفاً ٥٠٧
 ثلاثة الاستدلال منه من لفظي الرحيم ٤٧٢ توبيع الصحابة فليس يتبرهم له بالشرك ٥٠٧
 A سورة الأعراف ٤٧٨ قول العباس: ما الحكم المذكور من موسى ولا
 الفداءات لآية المؤمنين في سورة الأعراف ٤٧٨ تذكرون محاسن ٥٠٧
 صفات المؤمنين الكمالين وكلام ابن ٥٠٨ عمرة المساجد بعد حبة ميمونة ٥١٤
 للعطيل ٤٨١ لطيفة في قصة أمراء طلب منية القرآن ٥١٤
 إمداد المؤمنين بالله لا لا في يوم بدر ٤٨٢ معنى آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتْلُبِكُمْ﴾ ٥١٧
 التوفيق بين إسماعيل بنف وثلاثة آلاف ٤٨٢ من نطقت لاسمحات مؤلفه ﴿يُؤَيَّدِيكُمْ﴾ ٥١٩
 قصة هاني بلبقة واستشارة نبوه له ٤٨٢ ﴿يُؤَيَّدِيكُمْ﴾ في قوله ﴿يُؤَيَّدِيكُمْ﴾ ٥١٩
 معنى آية ﴿وَتَلَوَّا بِهَا لَآئِيَةً﴾ في قوله ﴿يُؤَيَّدِيكُمْ﴾ ٤٨٢ قول الرسول لأبي بكر: ما كنت بتأيس الله
 بِمَكْرٍ مَكْرًا ٤٨٨ قاتلها ٥٢٤
 قصة اجتماع مجلس النجدين مع المشركين بدر ٤٨٩ اتفاق المصنفين على أن أبا بكر كان صاحب
 الدعوة ٤٨٩ الرسول في العار ٥٢٤
 للمؤمنين أسماؤا: نبي الله والآنفس ٤٩٠ علو قدر الرسول ﷺ وسم منزله عند ربه ٥٢٤
 انبى إلى جبريل عليه السلام الرسول ﷺ ٤٩١ نزاهة المعنى على لسان تكريم الرسول عليه
 لطيفة في قول معاوية لرجل ما أجهل قومك ٤٩١ ٥٢٤
 حين ملكته امرأة! ٤٩١ المعنى الصحيح لكلمة الأموال ٥٢٥
 قول أبي سهل في بكر: والله لا نجمع حتى نرد ٤٩١ نسبة على عظيم فضل التصديق رضي الله
 مثلاً وشرب الخمر ٤٩٥ عنه ٥٢٤
 معنى قول تعالى ﴿وَأَمَّا لَكُمْ فَا تَعْلَمُونَ﴾ ٤٩٥ قصة «صفوان بن عمرو» وشروجه للجهاد وهو
 قَوْز ٤٩٥ شيخ هرم ٥٢٤
 شد إلى أن نغرة نوحات: نادية ورجية ٤٩٨ قصة «الحجة بن قيس» المسافر وما نزل به ٥٢٧

- لعبقة من حملى آية ﴿وَلَقَدْ أَقْبَرْنَا نَحْنُ﴾ ٥٢٧... ٥٥٦
 ﴿تَقْبِرُونَ﴾ ٥٢٧... ٥٥٦
 نبي من ميث دحور تاسطين في الإسلام ٥٢٨... ٥٥٦
 قول علي بن عبد رسول الله ﷺ ما رواه أبيه ٥٢٧... ٥٥٦
 الأمور التي يتغير بها عزم من العاقب ٥٢٧... ٥٥٦
 نسبة لطف المتكلم وهو غير لطف من أي حال ٥٢٨... ٥٥٦
 السحابي المشهور ٥٢٨... ٥٥٦
 النبي عي القبل على المتكلمين من قوله في لن ٥٢٨... ٥٥٦
 مأول ٥٢٨... ٥٥٦
 السر من ذكر سبعين في قوله ﴿لَقَدْ تَقَبَّرْنَا﴾ ٥٢٨... ٥٥٦
 ثم اتبعه ﴿تَقَبَّرْنَا﴾ ٥٢٨... ٥٥٦
 الصلاة على الميت استغفار له واستغفار الآدمي ٥٢٨... ٥٥٦
 ليس أعلا للثلاث ٥٢٨... ٥٥٦
 لعلنا ذلك جبر يفوق الحديفة حل عدسي ٥٢٨... ٥٥٦
 رسول الله عز الله ﷺ ٥٢٨... ٥٥٦
 قصة أبي عامر السعدي الذي شطط في ٥٢٨... ٥٥٦
 الحامية ٥٢٨... ٥٥٦
 سيد العراق وأمر الرسول ﷺ بالسيرة ٥٢٨... ٥٥٦
 قصة هام إلى أن قصده من الله واجد ٥٢٨... ٥٥٦
 نصيحة من قصة أريه بن جودرة مع ٥٢٨... ٥٥٦
 الأعرجي ٥٢٨... ٥٥٦
 منه أي قتله لما حصرته الزهراء وآلها ٥٢٨... ٥٥٦
 انطبق في أدبها ثلاث من على التكم ٥٢٨... ٥٥٦
 معنى قوله تعالى ﴿وَأَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ ٥٢٨... ٥٥٦
 ﴿وَأَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ ٥٢٨... ٥٥٦
 ثلاثة الذين تحلفوا على حذو نزل ٥٢٨... ٥٥٦
 ما بين سبعين نوبة نزلوا بعده ٥٢٨... ٥٥٦
 لا ينبغي خروج جميع المسلمين إلى مغزو ٥٢٨... ٥٥٦
 مع... ٥٢٨... ٥٥٦
 ﴿وَأَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ ٥٢٨... ٥٥٦